# ذاكرة وطن

## عدن

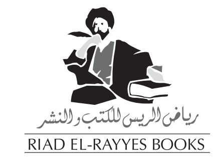
## من الاحتلال إلى الاستقلال

علي ناصر محمد

# ذاكرة وطن

## عدن

## من الاحتلال إلى الاستقلال



**A Homeland's Memory**
**Aden**
**From Occupation to Independence**

By: Ali Nasser Muhammad

First Published in January 2019


BEIRUT — LEBANON

***elrayyes@sodetel.net.lb***
***www.elrayyesbooks.com***

ISBN: 978-9953-21-704-8



**صورة ظاهر الغلاف:** الرئيس علي ناصر محمد عام ١٩٦٣

**الطبعة الأولى:** كانون الثاني (يناير) ٢٠١٩

**تصميم الغلاف:** أرتيستو - علي الحاج حسن

**الإخراج الفني:** علي كمال الدين

# مقدمة



**التقطت هذه الصورة في منزل أحد الأصدقاء في دباش بجبال الساحل السوري عام ١٩٩٠ بداية كتابة المذكرات**

في هذه المذكرات حاولتُ تدوين ما استطعت من تاريخ ثورة الرابع عشر من أكتوبر في الجنوب، وهي جزء من حصاد سني حياتي وما حملته من حلاوة ومرارة. لم يكن ما دونته سيرة حياة، ولا كان شهادة شاهد على عصر، أو تاريخ ثورة فحسب، بل كان ذلك كله، كما سيلاحظ القارئ الكريم، أنّ مشاعري تشدني أحياناً، فأسترسل وراء الذكريات، بل ما علق منها من تفاصيل اختلط فيها العام بالخاص، والموضوعي بالذاتي العابر، ولكن من حقها أن

تُروى ما دامت لصقت بالنفس، وفرضت نفسها في أن تكون صورة للماضي، وإن لم تكن إلا بعضه، وإن لم يسعف القلم في تجسيدها، لتكون ناطقة بالحياة، وما كانت الكتابة يوماً تعبيراً صادقاً عن الحياة، بل ظلالاً لها.

أتذكر تماماً حين عُرض الوضع السياسي في الاجتماع الذي عقد في بيت نور الدين قاسم بالمنصورة[١]، وترأسه فيصل عبد اللطيف، الذي قدم عرضاً حياً وعميقاً لاتجاه الأحداث والدعوة إلى الإعلان الرسمي للكفاح المسلح بقيادة الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل، وعندما أبدى البعض ملاحظات على الثورة المسلحة في عدن والمحميات وخشيته من فشل الثورة وأن الوضع في عدن والتحصينات والبوابات والأسوار والأسلاك قد تمنع دخول الأسلحة إلى المستعمرة، وقد لا يكون الريف مهيَّأً للثورة، أتذكر مقولته: إننا إذا انهزمنا في هذه المعركة فسيسجل التاريخ أننا قد حاولنا، وإذا انتصرنا فهو نصر لشعبنا وللأجيال القادمة. وحديث المناضل فيصل عبد اللطيف عن النجاح والفشل للثورة المسلحة في الجنوب عام ١٩٦٣ يذكرنا بخطاب جمال عبد الناصر يوم ٢٢ يوليو ١٩٦٢ بمرور عشر سنوات على الثورة، عندما حاول البعض ثنيهم عن تنفيذ الخطة بسبب اكتشاف الملك لها في اللحظة الأخيرة، وتحرك قادة الجيش لاعتقال الضباط الأحرار، ولكن عبد الناصر رفض التراجع عن تنفيذ هذه الخطة، فالعجلة قد دارت ولن يستطيع أحد إيقافها، وإذا لم يكتب لها النجاح في القضاء على النظام الملكي، فليس أقل من أن نضحي ونثبت للأجيال القادمة أن الجيل الذي عاش عام ١٩٥٢ لم يستكِن لهذا الظلم والاستبداد، بل قام وقاتل واستشهد من أجل الثورة والتغيير في مصر، لتواصل الأجيال القادمة ما عجزنا عنه. وسبب نجاح ثورة مصر أنها وقفت إلى جانب ثورة ١٤ أكتوبر وغيرها من الثورات في المنطقة العربية والعالم.

ومن أهم الأسباب التي دفعتني إلى تدوين ذلك، أنه لم يصدر كتاب توثيقي شامل يؤرخ للثورة في الجنوب أو يوثق لها... كذلك لم يُصدِر قادتها أية مذكرات أو شهادات توضح دورهم أو رؤيتهم لأحداثها ووقائعها إلا بقدر محدود جداً وعبر الندوات ووسائل الإعلام

(١) أطلق اسم المنصورة على هذا الحي بعد أن اكتمل بناؤه بقرار صادر عن المجلس التشريعي العدني سنة ١٩٦٢. وقد شيد هذا الحي في المساحة المعروفة سابقاً بمعسكر حاشد بعد اكتمال الخرائط الهندسية وإيصال كافة الخدمات. وقد اكتمل بناؤه في بداية الستينيات.

المختلفة، إما بسبب انشغالهم بهمومهم وبمشاكل السلطة، أو لعدم اهتمامهم بالتوثيق والتسجيل، أو بسبب مغادرتهم الحياة قبل التمكن من ذلك. وقد حاول البعض من اليمنيين والعرب[٢] والأجانب ذلك بجهد مشكور، ولهذا فقد بذلت جهدي في ما لم تسعفني الذاكرة في الوصول إليه، بالرجوع إلى المصادر المتعددة التي تناولت تاريخ الثورة والوثائق التي صدرت عنها، إضافة إلى تجميع ما كنت أسجله يومياً من وقائع واستقراءات، وما جمعته في لقاءاتي ببعض من شارك في صنع الكثير من تلك الأحداث أو معايشتها، وهي أحداث فرضتها طبيعة المواجهة بين شعبنا وأعدائه، وأحياناً بين فصائله الثورية واتجاهاتها المتباينة عند كل طارئ، مما يقع في كل ثورةٍ عادة، مثلما تباينت ردود الفعل على العنف الممارس بحق الوطن أو بعنفٍ مضاد، كان مسوَّغاً في بعض وقائعه وحيثياته، أو كان يمكن تلافيه وتجاوزه في مناسبات أخرى، حقناً للدماء وتحكيماً للوعي السياسي.

وبالرّغم من أنني حاولت تحرّي الصّدق والموضوعية والحياد ما أمكن في تحليلي ونقلي الحقائق والأحداث، فإنني أدرك أن ما قدمته لا يخلو من وجهة نظر ذاتية قد ترضي أو تغاير وجهات نظر آخرين ممن سيقرأون مذكراتي، وإني أقدّر وأحترم وجهات نظرهم وحكمهم على الأمور، بل يسعدني أن يصوّبوا أو يضيفوا إليها، بحيادٍ وتجرد خدمة للحقيقة، وهو ما أصبو إليه من كتابة تاريخنا الوطني للأجيال.

شكراً لكل من أمدّني بمعرفته وعلمه وجهده في إعداد الكتاب. وعذراً لكل من رأى في ما كتبت تجنياً عليه أو إساءة إليه دون أن أقصد ذلك، وما كان هدفي سوى إظهار الحقيقة، ولكن اللّسان قد يزلّ، والقلم قد يعثر، فلي من حلمهم ما يشفع، ولي من التاريخ ما ينصف حين ينتصر للحقيقة ويعتمدها كما هي، لا كما يراد لها أن تكون...

تناولنا في هذا الكتاب لمحة سريعة عن الانتفاضات الشعبية التي كانت الإرهاصات للثورة المسلحة في ما بعد ونشوء الأحزاب الوطنية والإسلامية والجمعيات الدينية والحركة النقابية،

---

(٢) ومن المحاولات الجادة التي جرت على هذا الصعيد تلك الحملة المنظمة التي قادها مركز البحوث التابع للجنة المركزية في الحزب بمناسبة الذكرى العشرين لثورة ١٤ أكتوبر المجيدة عام ١٩٨٣ من خلال تشكيل فرق ميدانية متخصصة شملت جميع محافظات البلاد ومناطقها بهدف جمع كل الوثائق وتسجيل الشهادات الحية عنها، ولكن للأسف فقدت بعد حرب عام ١٩٩٤.

ولكن الجبهة القومية قد حددت ثلاثة اهداف (تحرير الجنوب من الاحتلال البريطاني - توحيد الجنوب في دولة واحدة - توحيد اليمن)، وقد التفّت الجماهير حول هذه القضايا الاستراتيجية فانتصرت الثورة المسلحة في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ وتوحد الجنوب صبيحة ٣٠ نوفمبر بقيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية وإعلان توحيد اليمن لاحقاً عام ١٩٩٠.

**علي ناصر محمد**

# الفصل الأول

## عدن والقبطان هينس

## القبطان هينس وبداية الاحتلال

لنعد إلى عام ١٨٣٩ واحتلال مدينة عدن التي لم تكن في ذلك العام سوى ميناء يستقبل سفن الإمبراطورية البريطانية ويوفر لها الخدمة والوقود. حرصت بريطانيا على جعل هذا الميناء «مستعمرة» تابعة للتاج الملكي، بما يساعد على إخضاع المنطقة وفرض الحد الأدنى من شروط التهدئة والهيمنة، وعلى حماية الطريق البحري المفضي إلى مستعمرة الهند من جهة، ومنطقة الخليج من جهة ثانية، وصارت عدن نقطة انطلاق للرحلات الاستكشافية والاستخبارية والتبشيرية التي كان الغربيون يقومون بها في سواحل شرقيّ أفريقيا.

وعلينا ألا ننسى أن لعدن تاريخاً طويلاً من المعاناة: مع الاحتلال والغزو.

- في القرن السادس عشر تعرضت عدن لحملات البرتغاليين الذين وجدوا فيها قاعدة صالحة للتجارة مع الهند والملايو وسيلان، غير أن سكان المدينة دافعوا ببسالة عن مدينتهم فألحقوا هزيمة بالمعتدين، فأضرم هؤلاء النار في المدينة وهم يغادرون ميناءها إلى غير رجعة. كذلك ألحق الشعب في الشحر بحضرموت هزيمة أخرى بالبرتغاليين.

- وبعد بضعة عقود تعرضت المدينة لمحاولة تسلل دانماركية باءت بالإخفاق هي الأخرى، ولاذ أسطول الغزاة بالفرار.

- ومنذ القرن الثامن عشر بدأ اهتمام الاستعمار البريطاني بعدن، مدفوعاً بعامل التنافس المتزايد مع الفرنسيين الذين كانوا قد احتلوا مصر في عام ١٧٩٨، فتقدمت القوات البريطانية إلى احتلال جزيرة بريم (ميون)، في محاولة لإقفال البحر الأحمر من الجهة الجنوبية، وأصبحت عدن القريبة من هذه الجزيرة في مرمى مدفعية الإنكليز، فتقدموا

إليها، أول الأمر، من خلال اتفاق تجاري مع حاكم المدينة يقضي بفتح الميناء أمام البضائع الإنكليزية وإعطاء امتيازات للبواخر البريطانية. وبذريعة تعرض الملاحة والسفن البريطانية لاعتداءات القبائل في الجنوب، هاجم المستعمرون الميناء يوم السبت في ١٩ يناير عام ١٨٣٩. ولكن، كيف تقدم الإنكليز إلى هناك؟ وكيف أخضعوا الرماة في عدن الذين حموا هذا الخليج العربي سنين عديدة؟

وقبل ذلك نتساءل: لماذا أثار ميناء عدن شهية القوى الأجنبية الكبرى؟ وما ميزات هذا الميناء وأهميته الذي تحول إلى رابع أشهر ميناء في العالم في القرن العشرين، وأصبح ميناءً حراً عام ١٨٥٣، وكانت تدخله ٥٠٠ سفينة كل شهر، أي ٦٠٠٠ سفينة في العام، وكان ذلك في نهاية عام ١٩٦٧؟

ميناء عدن الذي شهد بداية نشاط السكان في ارتياد البحر يحتل موقعاً حصيناً، فالجبال تحيط به من جميع الجهات وتحصنه إزاء غدر الطبيعة واندفاع الغزاة، وقد أبدع القدماء، وهم يحصنون ميناءهم في حفر الأنفاق الجبارة وشق المسالك الخفية بين قمم الجبال البركانية حتى وصلوا البحر بجبل «حديد» وأشاحوا عن وجهه ظلال القلق، فاهتدت إليه الأسماك الحذرة زرافات، وازدهرت على شطآنه الروايات التي تُجمع - على اختلافها - على بسالة العدني وهو يرافق الميناء والماء وشمسان الشاهق والصهاريج على مدى الزمن.

من تلك الروايات التي نقلتها الكتب عن شفاه الشيوخ، أن شداد بن عاد خرج من يمن الشمال طالباً أقصاه في الجنوب الغربي (حضرموت)، ولما وصل إلى لحج رأى جبلاً متشامخاً هو جبل العر الذي يقف من بعيد حارساً لخليج عدن، فأرسل إليه من يستوضح سرَّه، فجاءه الخبر بأن ثمة أفاعي عظاماً تحول دون الوصول إلى هناك، ولكنه تحدى المحال بأن أمر بحفر الآبار التي تؤمن الماء العذب لعدن فكانت «الطويلة».

## صهاريج عدن

تتحدث صهاريج المدينة عن ذلك العمل الذي يقرب حقاً من الأسطورة، إذا ما عرفنا أن الأمر يتعلق بعصر ابتعدنا عنه قروناً وربما آلافاً من السنين. أشار الآثاري المعروف عبد الله محيرز في كتابه «صهاريج عدن» إلى «أن وجودها - بدائياً كان أو متطوراً - قد عاصر البشرية

منذ استيطانها المدينة». ونقل ابن بطوطة دواعي تمسك العدنيين بهذا الأثر العظيم، حين زار المدينة وهي تغالب الحصار المضروب حولها إبان حروب القبائل والملوك (المجاهد الرسولي، الظاهر) خلال القرن الرابع عشر. فقد اقتضت تخزين المياه مثلما اقتضت تأمين مسالكه ومفاتيحه وشقَّها، وقد شاهد البرتغالي (رسنديس) في فترة متأخرة «أنه يجلب إلى المدينة ما بين ألف وخمسمئة وألفي جمل محملة بالماء يومياً وتدخل هذه الجمال المدينة بالماء في النهار، ولكن في الليل تصبّ في صهريج قريب من بيت الماء تحت بابها. إذ لا تفتح أبواب المدينة في الليل على الإطلاق.

بالقرب من هذا الصرح التاريخي العظيم كان يقع «معهد المعلمين» الذي أُعددت فيه لكي أكون مدرساً. ولطالما ذهبت لتأمل ذلك الأثر الخالد ووقفت على الهندسة البديعة التي نفذها الأجداد منذ عهود سحيقة في حفر هذه الصهاريج في الصخر الصلد، لكي يوفروا حاجة المدينة والسكان من المياه الصالحة للشرب أطول فترة ممكنة، ما يدلّ على أن عدن كانت ذات أهمية عظيمة منذ القدم، وبناء مثل هذه الصهاريج يدلّ على أن الدولة التي بنتها كانت قوية ومزدهرة، واستطاعت أن تبني هذه السدود في رؤوس الجبال وأسفلها.

وتأتي أهمية عدن المدينة من ميزاتها الطبيعية، إذ تتكون على هيئة شبه جزيرة تقع على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية على خط العرض ٤٧/ ١٢ْ شمالاً وخط الطول ١٠/ ٤٥ْ شرقاً. وتبلغ المسافة بينها وبين مضيق باب المندب مئة وعشرة أميال شرقي المدخل، فهي هنا مفتاح المدخل الجنوبي للبحر الأحمر. أما رأس المدينة الذي يمتد في البحر بعيداً عن الساحل بنحو خمسة أميال، فهو بركان قديم يتطاول بارتفاع ٣٣٥ متراً فوق سطح البحر فيما يربط بينهما منخفض خور مكسر الرملي الذي يبلغ عرضه نحو ٣٥٠ متراً. ويكوّن رأس عدن هذا في امتداده البحري خليجين عميقين يشكلان بدورهما ميناءين صالحين لرسو السفن.

## فوهة بركان

- عدن القديمة، تطلّ على الميناء الشرقي مباشرة وتحتل الجزء الشرقي من رأس عدن، وقد بنيت أولى معالم المدينة على حافة فوهة بركان خامد عرفت باسم «كريتر»، تميزت بحصانتها الطبيعية. أما سلسلة جبال شمسان العظيمة، فقد وصفها أحد رجال حكومة

الهند البريطانية (روسيل) بأنها «تشبه أسنان سمك القرش، فهي بارزة من مياه البحر، وتتميز بلونها القاتم الممتزج باللونين الأسود والأحمر القاني».

- والميناء الثاني هو «المعلا» الذي يقع في الجزء الغربي من عدن، وهو في منتصف الطريق بين «كريتر» وحيّ «التواهي» الجديد، وكلاهما يتبادلان «الوشوشة» على ساحل عدن، ويتطلعان إلى شمسان العظيم الذي دخل في كتاب أبي مخرمة «قلادة البحر»، وهو يصف احتلال المماليك لقلعة صيرة، حيث لاحظ أن قذائف مدافعهم تصل إلى سفح شمسان.

ويضيف: «جبل يحيط به البحر»، وكأني به يريد أن يقول بأن الحياة قلدت هذا الجبل وساماً من اليمّ. وهكذا فإن عدن ببحرها وقلعتها الحصينة (قلعة صيرة) وجبلها الشامخ ورأسها البركاني تبدو - كما تصورها كاتب مصري - آخذ بعضها برقاب بعض من جميع الجهات».

وترتبط عدن المدينة بساحل رملي إلى الغرب الأقصى يصلها بشبه جزيرة البريقة (عدن الصغرى) حيث تتشكل هناك موانئ واسعة وعميقة صالحة للملاحة طوال العام.

## أقدم أسواق العرب

أما لماذا سميت عدن بهذا الاسم؟

- يقول الأمير الشاعر أحمد فضل العبدلي: لأنها كانت موضع «العدون»، حيث إنها دار إقامة واستقرار تبعاً لما تتمتع به من أسباب الهدوء والراحة.
- ولكنْ للطبري رأيٌ آخر، حيث يرى أن عدن وأبين «اسمان لابني عدنان».
- ويصفها «ياقوت الحموي» الذي زارها في القرن الثالث عشر الميلادي بالقول: «إن عدن مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند. لا ماء فيها ولا مرعى وإن الماء يحضرونه من عين بينها وبين عدن مسيرة نحو يوم... إلا أن هذا الموضع هو مرفأ مراكب الهند، والتجار يجتمعون إليه لأجل ذلك، إنها أقدم أسواق العرب».
- وبين أيدينا تقرير رفعه «ر. جرانت» حاكم بومباي البريطاني إلى حكومته في لندن يستحثها على احتلال عدن يقول فيه: «إن رأس عدن الممتد في البحر يشكل مرتفعاً صخرياً يمكن

اعتباره جزيرةً لا تتصل بالأرض الداخلية إلا من طريق شقة ضيقة من الأرض على هيئة شريط رفيع تغمره المياه خلال فترة طويلة من السنة، ويمكن عدداً قليلاً من الرجال أن يحافظوا عليه ضد أي هجوم. أما مدينة عدن نفسها فهي محاطة بالجبال ويكفي للدفاع عنها قوة صغيرة، وفي مواجهتها جزيرة طولها ١٢٠٠ ياردة وارتفاعها نحو ٤٣٠ قدماً (يقصد صيرة) ويمكن بناء استحكامات للقوات العسكرية فيها».

ويضيف جرانت: «وتدل الآثار وبقايا الخزانات المتسعة الموجودة فيها على أنها كانت منذ القدم مدينة ذات أهمية عظيمة».

وكان جرانت قد استند في حماسته الاستعمارية لاحتلال عدن إلى ملاحظات ميدانية مبكرة قدمها الضابط البريطاني البحري المعروف «هينس» الذي كان قائداً لسفينة «بالينوس» يوم أن قام بالمسح الجغرافي (الاستعماري) على طول الساحل الجنوبي للجزيرة العربية[٣].

## الكابتن هينس

والكابتن هينس اسمه، ستافورد بيتزورث هينس، ولد عام ١٨٠٢ لعائلة من سوسكس، التحق بالبحرية في بومباي بصفة ضابط صف بحري، وكان نشيطاً وبارعاً وذكياً، ما أحاطه بقدر كبير من التقدير والاهتمام من السير تشارلز فالكوم، المشرف الأعلى للبحرية ١٨٢٧ - ١٨٣٨. إن مواهب هينس الضابط الشاب أسهمت في تعيينه رئيساً للجنة الدائمة للمسح والرسم الهندسي في البحرية البريطانية في الهند. إذ برز قبطاناً ماضي العزم في الخليج العربي، ذا نظرة ثاقبة ومهارة وفطنة عاليتين.

تولى عام ١٨٣٢ مهمة مسح الساحل الجنوبي للجزيرة العربية على مساحة خمسمئة ميل من باب المندب على مدخل البحر الأحمر، فقاد سفينة المسح (بالبزس) من أجل تحديد مكان ملائم لتخزين الفحم، حيث إن البحرية البريطانية اندفعت نحو الملاحة البخارية. وكل

(٣) وقد كلف في ما بعد قيادة حملة الغزو العسكرية البريطانية لاحتلال عدن. وقال في تلك الملاحظات التي وضعها تحت تصرف حاكم بومباي إنه أعجب بالمدينة وميزاتها الطبيعية، وخاصة رأس عدن البركان الممتد تجاه البحر بمينائيه الممتازين الصالحين لرسوّ السفن في مأمن تام من العواصف والأمواج. ويضيف: «إن هذا المرفأ العظيم يمتلك من القدرات والإمكانات ما لا يملكه ميناء آخر في الجزيرة العربية».

الدراسات التي قدمتها البحرية في بومباي ترى أن جزيرة سقطرى هي المكان المناسب، والسبب يعود إلى أن الخط المصري عبر السويس رغم سرعته في البريد وراحة المسافرين، تكاليفه باهظة، فقد كان طن الفحم فيه يكلف عشرين جنيهاً، ويستغرق نقله من رأس الرجاء الصالح خمسة عشر يوماً. هذا من ناحية، أما السبب الثاني، فهو ضيق حاكم بومباي بقرارات مجلس الإدارة في الاستمرار بالاتصال عبر السفن الشراعية، إلا أن الكابتن هينس اقترح عدن بدلاً من جزيرة سقطرى، وفعلاً حصل ذلك على يده في يوم السبت ١٩ يناير ١٨٣٩، ويعد (الفتح الأول) للإمبراطورية البريطانية في عهد الملكة فيكتوريا.

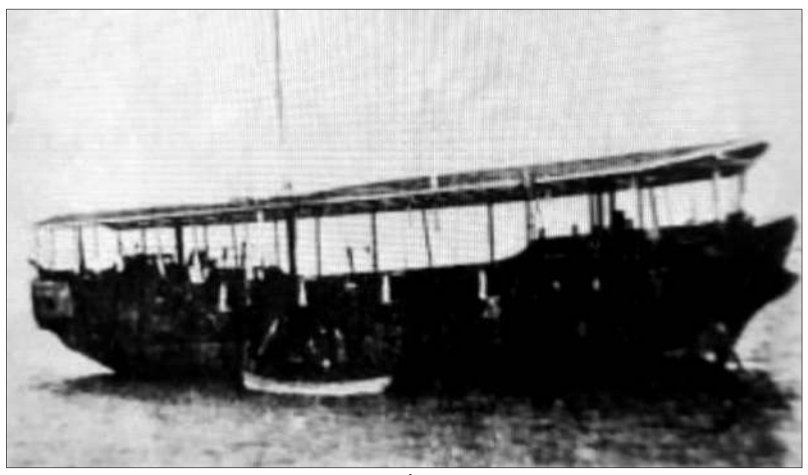
ولعل من المناسب أن أستشهد هنا على هذه المعركة بما أورده اللفتانت كولونيل هارولد.ف.يعقوب في كتابه الشهير (ملوك شبه الجزيرة العربية)، وهو ضابط في الجيش البريطاني، وكان على اتصال وثيق بالبلاد العربية لعدة سنوات، باعتباره المساعد السياسي الأول للمندوب السامي البريطاني في عدن، ثم باعتباره المعتمد السياسي في محميات جنوب شبه الجزيرة العربية إلتي تقع إلى جهة الداخل من عدن، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ كان مستشاراً رئيسياً للشؤون السياسية في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية لكل من المندوبين الساميين في مصر.

ويورد ف.يعقوب الآتي: «في اليوم الحادي عشر من شهر يناير ١٨٣٩ حدثت مناوشة كبيرة في جزيرة صيرة بين المدفعية العربية المقامة على الحائط الذي يحتجز مياه البحر وتنكسر عنده الأمواج والمجهزة بالمجندين من الطوبجية المصريين، وبين السفينة (ماهي) ومعها قاربان مسلحان، وقد جرح رجلان من الإنكليز بينما كان عدد القتلى والجرحى من العرب يراوح بين عشرين وثلاثين شخصاً[٤]».

(وقد طلب هينس إمدادات من الجنود الأوروبيين ومن رجال المدفعية الهنود وعددهم ستمئة وخمسون رجلاً مع عدد من المعماريين ورجال التعدين، كما طلب أيضاً كتيبة مؤلفة من مئة رجل ومكونة من مختلف الرتب يوجهّهم أربعة وعشرون بحاراً مع سفينة مزودة بثمانية عشر مدفعاً وأخرى مزودة بعشرة مدافع، وباخرة صغيرة وقارب شراعي يحمل كل

(٤) ملوك شبه الجزيرة العربية، تأليف هارولد.ف.يعقوب، ترجمة أحمد المضواحي - مركز الدراسات والبحوث اليمني - دار العودة - بيروت (ص٣١).

منهما مدفعاً طويلاً. وبالإضافة إلى ذلك، أعطى أمراً لثمانية وعشرين مدفعاً من ذات عيار يراوح بين ١٢ و ١٨ رطلاً لكل قذيفة للدفاع عن النقاط الرئيسية بعد الاستيلاء على عدن»[٥].



**إحدى السفن التي حاصرت عدن أثناء احتلالها من الكابتن هينس**

وفي اليوم السادس عشر من شهر يناير ١٨٣٩ وصلت السفينة الحربية فوليج (H.M.S.Volage)، بقيادة سميث (capt.Smith)، مزودة أيضاً بستة عشر مدفعاً وعليها ثلاثمئة من الجنود الأوروبيين وأربعمئة من الجنود الوطنيين الهنود تحت قيادة بيلي (Mahor Bailie).

وفي مكان آخر يورد يعقوب: «كانت خسارة البريطانيين طفيفة جداً إلى أن حدث التمرد المشؤوم من قبل الأسرى الذين كان قد أُلقي القبض عليهم في جزيرة صيرة، وكان عدد القتلى والجرحى منا خمسة عشر وثماني إصابات بعد الاستيلاء على عدن، وكانت خسارة العدو فادحة، حيث فقد منهم ١٣٩ علاوة على الكثيرين من الجرحى»[٦].

ورغم أن البريطانيين اتخذوا من غرق سفينتهم (داريا دولت) ذريعة لاحتلال عدن، إلا أن الاتصال البريطاني بعدن بدأ عام ١٦٠٩ عندما قامت أول سفينة بريطانية (صعود) بزيارة عدن بقيادة أ. شاربي، الذي أُلقي القبض عليه واعتقل عدة أسابيع وحجزت الحمولة التي على ظهرها، وتوالى الاهتمام بعدن منذ ذلك الحين، وتقدموا بمحاولات لشرائها من

(٥) المصدر نفسه (ص٣٣).

(٦) المصدر نفسه (ص٣٧).

سلطان لحج عدة مرات دون فائدة، لكنهم توصلوا إلى معاهدات مودة وتجارة عام ١٨٠٢ فتحت بموجبها الموانئ العدنية للبضاعة التي تأتي بها السفن البريطانية. غير أن بريطانيا كانت تطمح إلى ما هو أكثر من مجرد السماح لبضائعهم بالنزول في الميناء، وهو ما لم يكن ليتحقق لهم إلا بالاستيلاء مباشرة على عدن، وإخضاعها لحكمهم، وهو ما تحقق لهم في ١٩ يناير في عام ١٨٣٩.

ولعلنا نستدل من الإجراءات و الخطوات التي أقدم عليها هينس بعد احتلاله لعدن، على أن بريطانيا خططت لبقاء طويل الأمد فيها، فبدأ أولاً بإخماد المقاومة المتقطعة- كما يذكر ذلك هارولد.ف. يعقوب في كتابة المشار إليه، وأنهى الأشغال العامة، وحفر قناة على الخط القديم (الحائط العربي) - درب الحريبي الواقع في المرتفعات التي هي إلى شمال الداخل من الممر الرئيسي. ولم ينتظر طويلاً «ففي اليوم الثاني من شهر فبراير عام ١٨٣٩ تم التوقيع على معاهدة صداقة بين الانكليز والسلطان العبدلي، ثم استبدلت بوثيقة الثامن عشر من شهر يوينو عام ١٨٣٤ التي تم التصديق عليها من قبل الحاكم العام في الهند في نفس السنة»[٧].

كذلك أخذت بريطانيا على عاتقها دفع المرتبات والمبالغ التي تستحق الدفع على السلطان عادة قسراً إلى أربعة من رجال القبائل البارزين في داخل البلاد، لتأمين سلامة الطرق الداخلية، ومع ذلك فقد تعرضت القوات البريطانية في خلال شهر نوفمبر عام ١٨٤٥ لهجوم من نحو خمسة آلاف عربي على الحائط التركي في مكان البرزخ بتحضير من سلطان لحج الشيخ محسن[٨].

و استمرت المناوشات بين الطرفين حتى عقد معاهدة سلام في شهر فبراير عام ١٨٤٣. أما طريقة هينس الأخرى لإحكام قبضته على عدن، فكانت اتباعه سياسة (فرّق تسد) من طريق إثارة القبائل بعضها على بعض، وإشغالها في الحروب في ما بينهما بدلاً من الهجوم على قواته[٩].

---

(٧) المصدر نفسه (ص٤٣).

(٨) المصدر نفسه (ص٤٤).

(٩) المصدر نفسه (ص٤٧).

واستطاع هينس أن يجعل قبيلة الفضلي منشغلة بالدس والتآمر مع جيرانهم قبائل العولقي واليافعي.. وفي عام ١٨٤٦ ومع مرور سبع سنين من الخبرة في عدن، وبعد أن أهدرت معظم التدابير و الخطط التي ناضل من أجلها هينس قبلت الحكومة في بومباي بالسياسة التي اتبعها و هي الخصام و الانشقاق والتنازع بين العبدلي و الفضلي(١٠)، كما اهتم هينس بدراسة سجية السكان الوطنيين (المحليين) وعاداتهم ومشاعرهم و أساليب تعابيرهم، وقد استعان باليهود المقيمين في عدن، واستخدمهم كمخبرين، وكانت تبليغاتهم تكتب إلى أبناء ملتهم باللغة العبرية حتى لا يتمكن السكان العرب من حلها و تفسيرها في ما لو عثروا عليها(١١).

كذلك فإن هينس (أبعد اهتمام حكام صنعاء من الاقتراب من عدن، واعتقد أنه من المضر بالمصالح البريطانية أن يصبح الإمام الزيدي أو الإمامة الزيدية قريباً جداً من عدن، وقد دافع عن وجهة نظره القائلة بضرورة القيام في رسم خط الحدود (كحد) لمنع تقدم الزيود نحو الجنوب في اتجاه القعطبة. وهذا هو الحد الجنوبي المعين من قبل لجان الحدود الانكليزية التركية الذي تم تخطيطه في عام (١٩٠٢ - ١٩٠٤))(١٢). وهي نفسها حدود استقلال عدن و الجنوب في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ وحتى إعلان الوحدة في ٢٢ مايو ١٩٩٠.

وفي حين كانت الحكومة في مومبي تعطي الأولوية لأهمية عدن الحربية اعظم من تقدمها التجاري، فإن هينس أعطى اهتمامه في تأمين سلامة التجارة الحرة، والامكانيات الكبيرة لتجارة القهوة، وبناء وتشييد كنائس عدن، وايجاد مقابر للمسيحيين، وأولى أهمية للقيمة النسبية و العددية للعرب والصوماليين والهنود، في عدن التي ارتفع عدد سكانها من ٦٠٠ عند احتلال هينس لها إلى ٢٠,٠٠٠ الف نسمة خلال ١٥ سنة من حكمه لها(١٣).

وقد تبنت حكومة بومباي وجهة نظر هينس في عدم اعتبار عدن موقعاً عسكرياً فقط، بل أيضاً مدينة ذات أهمية تجارية كبيرة، وبقيت عدن تحت حكم هينس حتى عام ١٨٥٢ عندما قامت اللجنة العسكرية بفحص خزانة عدن فوجدت فيها عجزاً قدره ٢٨٠٠٠ جنيه إسترليني، ما

---

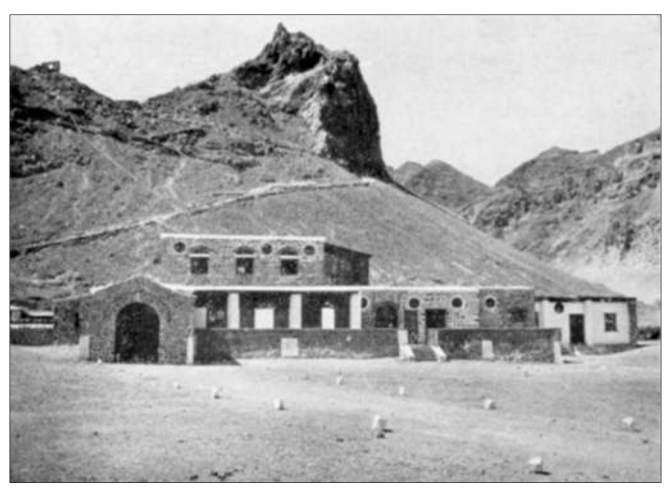
(١٠) نفس المصدر (ص٤٧-ص٤٨).

(١١) نفس المصدر (ص٥١).

(١٢) نفس المصدر (ص٦١).

(١٣) نفس المصدر (ص٧٥).

أدى إلى عزل الكابتن هينس واستدعائه إلى بومباي في عام ١٨٥٤ ثم محاكمته وسجنه. وقد انعكس ذلك سلباً على صحته وعجّل في منيته فتوفي في ١٦ يونيو ١٨٦٠ ودفن في بومباي ولم تخلد ذكراه بعد هذه الانتصارات إلا بشاهد على قبره في مقبرة كلابا.



منزل الكابتن هينس - الخساف كريتر

## سلطان لحج: نفتح لك الباب... ثم نقطع رأسك!

لم تكن بريطانيا، الإمبراطورية الجامحة، في ذلك الوقت محتاجة إلى نصيحة حين يتعلق الأمر باحتلال ميناء له كل تلك الصفات والأهمية، بل كانت كما يبدو أحوج إلى ذريعة مناسبة لتحقيق هذا الهدف. وقد جاءت تلك الذريعة برجْلها - كما يقال- في الساعة الثالثة من صباح الرابع من كانون الثاني/ يناير ١٨٣٩ حين جنحت السفينة «دوريا دولت» التي تحمل العلم البريطاني والمملوكة للهند من خط سيرها شرقي عدن. فاعتبرت حكومة صاحبة الجلالة أن ثمة عملية عسكرية لقبائل الجنوب ضد «العلم» البريطاني، حيث لا يمكن ردّ الاعتبار إليه و«رفع الإهانة» عنه دون احتلال عدن. وهذا بالرغم من أن شخصاً عدنياً من آل العيدروس أنقذ ركاب السفينة وانتشلهم في قارب وقدم لهم طعاماً وثياباً، كما هو معروف ومتداول حتى في الوثائق البريطانية.

كانت بريطانيا ترغب في حصول الاحتلال بالطرق السلمية، ودون حرب، وبأقصر الطرق وأيسرها وأقلها كلفة - وبخاصة في أرواح البريطانيين - فلجأت إلى الرشوة للحصول على

عدن مقابل مبلغ من المال يقدم إلى سلطان عدن ولحج آنذاك محسن العبدلي، ولكنها أخفقت بسبب مشاعر العداء الشعبية الواسعة تجاه البريطانيين التي دفعت أحمد ابن السلطان إلى أن يخاطب المفاوض البريطاني بقوله: «إن كنت تريد أن تمتلك عدن، فإن أهل عدن لا يريدونكم». وفي مرة أخرى قال له: «فإذا جئت إلى باب عدن لمقابلة السلطان، فتحنا لك الباب وقطعنا رأسك بالسيف». وكانت رسالة السلطان إلى حاكم الهند البريطاني بليغة، ولا يمكننا الآن أن نقبل الرأي القائل إن كثيراً من السلاطين أجبروا على التعامل مع البريطانيين خلافاً لطبع البداوة والعراقة العربية اللتين تأنفان الذل والاستسلام للأجنبي.




**«فإذا جئت إلى باب عدن لمقابلة السلطان فتحنا لك الباب وقطعنا رأسك بالسيف»**

## الأمير أحمد بن محسن العبدلي(١٤)

جاء في الرسالة ما يأتي، ولنتأمل صدقها:

«وصل إلى أسماعنا أن في عزمكم رفع العلم البريطاني على الميناء، وسألنا «هينس» عن معنى ذلك، فقال إن الأرض ستبقى ملكنا أما الميناء فلكم. ألا فلتعلموا جنابكم أنه يهون على العربي أن يبيع حتى أمه على أن يقبل مثل هذه الصفقة، فإذا كان لجنابكم مصلحة عاجلة أو دائمة في عدن فإننا على استعداد بأن نضطلع بها نيابة عنكم، فأصدقاؤكم أصدقاؤنا، وأعداؤكم أعداؤنا ولكن علينا أن نعيش كلّ تحت علمه، وبوسع كل منا أن يعيش بموارده، فإذا ما هاجمتمونا براً وبحراً، فأمرنا لله القوي العظيم»(١٥).

(١٤) المصدر جار العابدين اليماني.

(١٥) د. فاروق أباظة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، القاهرة ١٩٧٦، ص ١٧٠، يمكن أيضاً مراجعة كتاب «عدن وجنوب اليمن في شبه جزيرة العرب» تأليف الليفتنانت كولونيل هارولدف يعقوب، المساعد =

وفي هذا السياق لا بد أن أنقل وجهاً آخر للصورة، وجهاً منقطاً بالسواد والخزي وباعثاً على الألم والأسى، يتمثل في قيام رشيد بن عبد الله، المبعوث الذي كان السلطان يعتمد عليه في مفاوضة قائد الحملة العسكرية البريطانية «هينس» بخذلان سيده والتواطؤ مع البريطانيين وخيانة الثقة والقضية وبداهات الوفاء العربي. كذلك لا يسع المرء إلا أن يتأمل كيف حاول البريطانيون إقناع السلطان الفضلي بأن يعينهم ويشاركهم في حملتهم على السلطان العبدلي الذي يصارعه على النفوذ على عدن والمنطقة المجاورة لها، ومحاولتهم دقّ إسفين بين القبائل وجرّ البلاد إلى دوامة الاقتتال والتمزق في إطار سياسة «فرق تسد» المعروفة[١٦].

وهكذا، بعد الحصار الاقتصادي والحرب النفسية والفتنة القبلية بدأت حرب المواقع ضد عدن وشعبها، (١٥٠ مسلحاً تطوعوا للدفاع عنها). ومن حافة الحرب إلى ميادينها، حيث شهد صباح يوم التاسع عشر من كانون الثاني/ يناير ١٨٣٩ بداية المعارك وبداية الغزو، فقد أنذر «هينس» مواطني عدن ورجال المقاومة بضرورة التسليم بحدود غروب الشمس من ذلك اليوم وإلا «تتعرض مدينتهم للدمار». ولما لم ينفع التهديد تقدمت السفينة «فولاج» نحو سواحل المدينة وتبعتها «كوت» إلى خليج حقات بدعم من السفينة «ماهي»، وفي لحظة متفق عليها إنطلقت المدافع نحو المدينة الآمنة إلى مواقع المقاتلين فاشتعلت النيران،

= السياسي الأول للمندوب البريطاني في عدن والمعتمد السياسي في المحميات، وكان له دور استشاري بارز في مصر أيضاً أثناء الحرب العالمية الأولى. ورغم ما يحتويه من مسوّغات للسياسة البريطانية في العالم العربي، إلا أنه يتضمن أيضاً اعترافات بالمأزق الذي وصلت إليه هذه السياسة في القرن الماضي ومطلع القرن الحالي، إزاء صمود أبناء جنوب اليمن المحتل (ترجمة أحمد المضواحي، توزيع مكتبة بلقيس الحديثة - صنعاء).

(١٦) من الكتب القيِّمة في التاريخ اليمني، بالإضافة إلى مؤلفات المؤرخ الكبير الراحل محمد عبد القادر بامطرف، نذكر كتاب «تاريخ ابن المجاور والجندي والأهدل»، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ-١٩٨٦، «منشورات المدينة - صنعاء» وأيضاً «التاريخ العام لليمن» تأليف محمد يحيى الحداد، «منشورات المدينة» - صنعاء (وهو دراسة موسوعية سنأتي على ذكرها لاحقاً)، وكتاب «مئة عام من تاريخ اليمن الحديث» للدكتور حسين عبد الله العمري، دار الفكر - دمشق ١٩٨٤، ويتناول مرحلة ١٧٤٨-١٨٤٩، وكتاب «هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن»، تأليف أحمد فضل بن علي محسن العبدلي - دار العودة - الطبعة الثانية - بيروت ١٩٨٠، وكتاب «صفحات مجهولة من تاريخ اليمن» لمؤلف مجهول، تحقيق وتقديم القاضي حسين بن أحمد السياغي، مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء - الطبعة الثانية - ١٩٨٤، وكتاب «اليمن ماضيها وحاضرها» المشار إليه. وكان السلطان الفضلي يدعي أن حدود سلطنته هي ما كان يسمى باب السلب (أي السلاح).

وتركز القصف على قلعة صيرة، فيما قدم الوطنيون صوراً من المقاومة البطولية، واستُشهد منهم ١٣٩ فرداً، بينهم الأمير عبد المجيد نجل سلطان لحج، واعترف السلطان محسن بأنه فقد كل شيء، وقال: «لقد أخذتم عدن» وهو يشعر بالندم، كذلك اعترف «هينس» بتلك المقاومة(١٧) في تقرير له يقول: «لو كانت خطة دفاعهم أحسن تنظيماً مما كانت عليه لأصلونا ناراً حامية». حتى إنه باستيلائه على عدن، عمل على جمع كل المدافع التي استخدمتها المقاومة وصهرها، محولاً إياها إلى تمثال ضخم لملكة بريطانيا آنذاك «الملكة فكتوريا»(١٨) كما جاء في كتاب المؤرخ الأستاذ سلطان ناجي في كتابه «التاريخ العسكري لليمن».






وقد وضع التمثال في ما بعد في حديقة التواهي التي سُميت باسمها وظل هناك حتى عام ١٩٦٧ حيث نقله الإنكليز سراً إلى حديقة السفارة البريطانية في التواهي قرب المنزل الذي سكنته في مرحلة السبعينيات خوفاً من أن يقوم الشعب يوم النصر على البريطانيين بتحطيمه، باعتباره رمزاً استعمارياً، واستبدل به نصب تذكاري لشهداء الثورة في عهد الرئيس قحطان الشعبي، (أعيد التمثال إلى مكانه في الحديقة ذاتها عام ٢٠٠٢ في احتفال حضرته سفيرة بريطانيا في اليمن وعدد من كبار المسؤولين في محافظة عدن، فيما أزيل النصب التذكاري لشهداء ثورة «١٤ اكتوبر» الذي نهب خلال حرب صيف عام ١٩٩٤).

---

(١٧) كان على رأسهم السيد علوي بن زين بن علوي بن زين العيدروس، والشيخ راجح بن عزب بن علي العزيبي، والشيخ علي السلّامي وغيرهم. (المصدر: أبو بكر شفيق) في ندوة «الثورة اليمنية الانطلاق.. التطور.. آفاق المستقبل» الجزء الثالث (واحدية الثورة في مقاومة الاحتلال ونيل الاستقلال) ٩-١١-١٢ أكتوبر ٢٠٠٣.

(١٨) الملكة فيكتوريا (Queen Victoria) ملكة بريطانيا العظمى وآيرلندا (١٨٣٧-١٩٠١) وإمبراطورة الهند (١٨٧٦-١٩٠١) أيضاً، كانت حفيدة للملك «جورج الثالث»، تنتمي إلى أسرة هانوفر ذات الأصول الجرمانية. كانت فيكتوريا آخر حاكم بريطاني يترك بصماته على الحياة السياسية في البلاد. من مواليد ٢٦ أكتوبر ١٨١٦ =

## مأزق هينس ونصائح جيكوب JACOB

يمكن القول إن السياسات الإنكليزية على أرض الواقع، والطرائق المستخدمة في مجال التفرقة والإثارة القبلية والترهيب والترغيب وما إليها، تشكل مدرسة قائمة بذاتها، و«عالماً» بكامله. ولقد أفاد البريطانيون من تجاربهم المعقدة «والمتنوعة» في الجنوب، وعملوا على تقويمها حتى لا يقعوا، في مناطق أخرى من العالم، بما وقعوا فيه من أخطاء جسيمة في الجنوب. وخصص عشرات الضباط والقادة العسكريون «والرحالة» والباحثون الإنكليز وحتى رجال الأعمال، دراسات وتقارير ومؤلفات، مرفقة ببيانات واستقصاءات متخصصة في بعض الأحيان، لعرض تجاربهم في عدن والمحميات والبحر الأحمر، وبالضبط في مسألة كيفية التعامل مع مختلف شرائح المجتمع، وكيفية «ضبط إيقاع» النزاعات بين مراكز النفوذ، وكيفية تعزيز التخلف والأمية والحواجز والعقبات المتعددة التي تحول بين الإنسان واستعادة أرضه ووحدته. وكان شغلهم الشاغل، في العديد من الدراسات والمؤلفات – وفي الأفلام والبرامج التلفزيونية والإذاعية والعظات التبشيرية – البحث عن اللغز المحيّر الذي يجعل الإنسان اليمني مشاكساً وعنيداً وغير متعاون، ودائم الحذر (إزاء المستعمر ومشاريعه)، ومتمتعاً بقدرة هائلة على تخطي المصاعب، وعلى كسر الحواجز، وعلى منع تمرير أي «لعبة» من الألعاب التي يحوكها له زعماء أو مبعوثون... أو أشخاص يبدو للوهلة الأولى أنهم طيّبون ومحبون للمنطقة وأهلها.

وتحفل كتابات عدة مؤلفين بريطانيين بالنقد اللاذع للسياسات التي اتبعها مبعوثو حكومتهم في اليمن الجنوبي وفي البحر الأحمر وشبه الجزيرة العربية، فيما يلجأ آخرون إلى المكابرة... والتباهي بالأساليب الإجرامية والتضليلية والخبيثة التي اتّبعت في عدن والمحميات. حتى إن بعضهم لجأ إلى إعطاء تحليلات «للنفسية اليمنية» و«المزاج العربي» و«العقلية البدوية» و«العقل المحدود» و«القبلي الخائف من خصومه» إلخ... وتبرز بعض تجليات هذا النهج

---

= توجت «فيكتوريا» ملكة بعد وفاة عمها «وليام الرابع». تزوجت سنة ١٨٤٠، وإلى ذريتها تنتسب معظم الأسر الملكية والأميرية في أوروبا اليوم. كانت تنتمي بأمها إلى أسرة يهودية باسم سيلفرد من منطقة ساسكس. حتى إن ملامح نشاط الملك إدوارد كانت تشهد بأصله اليهودي، نسبة إلى والدته اليهودية، وهم من أسهموا بإنشاء الأحياء اليهودية وتوسيعها في بلاد الشام ومصر مادياً.

في الاعترافات والتحليلات التي أعطاها الحاكم البريطاني الشهير «هينس» (سبق أن أشرنا إلى بعض «مآثره» في عدن منذ التدخل العسكري المكشوف في عام ١٨٣٩).

يعترف هينس بالمأزق الذي وقعت فيه قواته و«خبراؤه»، لكنه يكابر ويزعم أنه أعظم القادرين على التعامل مع العرب... ومع أبناء الجنوب خاصة. وينطبق الشيء نفسه، ولو بأسلوب مختلف، على الكولونيل هارولدف يعقوب الذي أرسلته بريطانيا إلى عدن في العشرينيات من القرن العشرين، مكلفاً اتباع سياسة «اللين» والإغراءات المختلفة... لكنه سرعان ما وجد نفسه في بحر من العداء... فلجأ إلى البطش الدموي.

من جهته فإن «يعقوب» (الكولونيل جاكوب Jacob أول مساعد مقيم في عدن) يعود وينقل - كتاب «عدن وجنوب اليمن في (ملوك العرب)» - الكثير من آراء هينس وقادة سالفين كثر، ويورد أيضاً آراءه هو، مطلقاً العنان لشحنات من الغطرسة والفكر العنصري المعادي لليمن، وللعرب جميعاً، مغلفة بمؤثرات نفسية وتحليلات حول العادات والطبائع العربية واليمنية.

في ما يأتي لقطات مقتضبة من ملاحظات هينس و«جاكوب Jacob»، الخلف والسلف:
«(...) إن جيراننا المشاغبين هم الذين يعتبرون السلب والنهب والسرقة أموراً لا تشكل جرائم كبيرة، لن يقتنعوا دفعة واحدة بأخطائهم، أو بالمزايا المؤدية إلى الحياة الهادئة، ولا يستطيعون حتى الآن تقدير الكرم والعطف البريطاني بمظاهره الحقيقية. والأيام سوف تعلّمهم كيف يحترموننا أو، على أي حال، يعدُّوننا أناساً ليسوا سوى وسائل لتطوير عقولهم ويعملون لراحتهم (...)».

«العرب لا يريدون منا أن نخلف الأتراك في السيطرة عليهم وأن نخضعهم لحكمنا (...) من الخطأ تكرار الأغلاط التي حصلت في الهند ومصر (...) لا نريد، كذلك، أن نرى العرب وقد أصبحوا إنكليزاً».

«(...) إن الاصطياد ومطاردة الوعل المكار في التلال قد منحتني أفكاراً لدراسة العقلية العربية. إن العربي في رشاقته وسرعة حركته كالحيوان تقريباً، ومراقبة خفّته على التلال تعدّ نوعاً من الإلهام والوحي. وإن العربي ساكن التلال حيوان نفيس وأحسن ما يمكن المرء هو أن يدركه ويتعرف عليه في العري».

«(...) إن العربي شخص طروب وهو يغنّي بقدر ما يعمل، وثقته تكون بالله الرفيق المسيطر في حياته».

«(...) وكل شخص يركب دابة أو حيواناً يكون شخصاً أرقى من أخيه الذي يمشي على قدميه».

«(...) إن الأخذ بالثأر ميراث عزيز تتمّ تغذيته، وتركه يلزم الحفاظ عليه واحتضانه كما يقول تاسيتوس (...) ويحدث الانقسام بين القبيلة وزميلتها الأخرى عن طريق الشك المتبادل والريبة المشتركة. إن الطبيعة والتشكيل الجغرافي للبلاد والتضاريس تساعد على ذلك، فالتلال تعدّ فاصلاً طبيعياً بين كل قبيلة وأخرى (...) والمثل يقول: أخذ الثأر ما هو عار (...) ولهذا السبب سوف تستمر الحروب القبلية وستبقى طالما عَبَدَ الله، وطالما ظلّ الغراب محتفظاً بسواده».

(...) إنه مشغول البال خوفاً من أن تحيق به الشرور من عين الحسود، والجني البريّ يحوم دائماً حوله. إنه ينطق باسم الله قبل أن يمتطي ظهر جمله، لأن الوصفة التي هي (بسم الله) سوف تعيذه من شر إبليس الذي يسكن سنام بعيره.

«(...) إن حضور النكتة عنده، وسرعة بديهته، وصبره على الحياة بشهامة ورجولة، وثقته بالله التي تجعله غير مكترث بالغد، تغطي طفولته، وتطغى على كبريائه الواضحة، وعلى جشعه في جمع المال كسائر الساميين، وعلى تشبثه بالخرافات التي تؤدي إلى التسويف في العمل، وتقهر أكبر العقول الغربية خبرة، وتهزم أرقى الأشخاص فهماً وعلماً في الحقل التجريبي. إنه عديم الاكتراث بالحاضر، ليست لديه مدنية أو حضارة مستمرة. إنه يتّكل على المستقبل حيث سيلتقي الله».

«(...) إن مرور اثنين وثلاثين عاماً من الاحتلال التركي لليمن قد حافظ على المنازعات بين العرب المتخاصمين والمتنافسين، وجعل الخصام يزداد حدة (...)».

«(...) العبارة الدارجة في اليمن اليوم هي (اتفقوا - أي اتفق - الشوافع على أن لا يتفقوا)... أي بمعنى أن الطوائف الشافعية قد قبلت أن تختلف في ما بينها».

«(...) ولكن الزيود لا ينوون تحطيم المذهب السني (الشافعي) ولا يعملون على ذلك.

ولهذا فإن الإمام الزيدي أعقل من الذين يحملون رتبة لواء من موظفينا المسؤولين. وأكثر حكمة من أحد جنرالاتنا عندما اعتقد خلال الحرب أن الحل الوحيد لمشكلة العرب هو تحطيم عقيدتهم.

«(...) إن العقيدة أو المذهب عند العربي شيء، والوطن شيء آخر. ومن رأي السّني (الشافعي) أنه لا يستطيع حكم مقاطعته، وهو يمتدح المنازعات التي تحدث في صفوف جماعته ويثني عليها. ولقد انتظرت اليمن طويلاً لمجيء الرجل القوي. وها هو ذا قد وصل. ولسوف يعيد الأمن والنظام بعد الفوضى والاضطراب، إذا ما وضعنا أيدينا بعيداً ولم نفسد عليه عمله، إذ لسنا أهلاً لحسم الخلافات وللفصل في المنازعات بين المذاهب المتصارعة. ولا نستطيع أن نحسم في رسم الحدود بين أصحاب الشأن المتنازعين. وإنما الشخص القدير على أن يفعل ذلك هو الرجل العربي القومي ابن البلاد».

«(...) لقد كان في استطاعة الأتراك أن يحافظوا على النظام، ويتغلبوا على المشاكل. ولكنهم كانوا بطبيعة الحال فاقدي المعرفة الكاملة بطبائع العرب، ونفسياتهم، وكانت تنقصهم أساليب التودد والعطف التي تؤثر عادة في العربي، لأن لديه مفاهيم وتقاليد أخرى تشغل باله وتملأ نفسه وعقله. وهو ليس زنديقاً متعصباً يعمل ضد الدين لمصلحة قومه كما هي حال التركي الذي يعتقد أن مجرد كونه مسلماً يستطيع أن يجعل من العربي تركياً مخلصاً. وأنا أظن أن هذه كانت غلطتنا في الهند. والإسكندر الأكبر عندما أخبر أرسطوطاليس بأنه سوف يخضع الشرق، ويحوّل سكانه إلى مقدونيين مخلصين وطيّبين، أنذره أستاذه من الانتكاس وحذّره من الرّدة إلى الأساليب الشرقية».

وفي الحقيقة، وبمعزل عن هذا الفكر العنصري وهذه العجرفة التي لا تخفي عجز صاحبها وتقهقر مخططاته وأساليبه، يلاحظ البعض أن سياسة بريطانيا في بلادنا كانت «غير ثابتة أو محددة، بل كان للولاة المختلفين من الإنكليز طرقهم المختلفة في معاملة حكام العرب هناك. ولكن هذه السياسات المختلفة كانت تنحصر في صفة واحدة، وهي اتباع سياسة (أقل ما يمكن من التدخل)»، وكان «لهذه المرونة مظاهر شتى، مثل المعاهدات الولائية والمرتبات المالية الشهرية ومدافع الترحيب والتوديع لمن يجيء إلى عدن من السلاطين، أو يسافر منها، ثم الألقاب والنياشين، والتحزّب لبيت طامع بالملك على بيت مالك، أو

عكس ذلك. وأهم من ذلك كله حرصهم على استغلال كل أمير، أو سلطان، أو شيخ قبيلة على حدة (...)»[١٩].

## الصراع على عدن زهرة البركان

وقبل أن أواصل تناول ظروف الغزو البريطاني لعدن ونتائجه ووقائعه، أتوقف سريعاً عند حقيقة أن بريطانيا لم تكن وحدها معنية بهذه المنطقة المهمة. فقد كانت عيون أمريكا تتابع بحسد وطمع نجاح البريطانيين في إخضاع جنوب جزيرة العرب لمشيئتها، لأنها تعرف خطورة موانئها ومواقعها وأهمية جعلها مركزاً للتموين وبرجاً للمراقبة وقاعدة انطلاق للسفن على مختلف مهماتها، وليس سهلاً أن يتقبل الأميركيون مبدأ الانسحاب مجاناً.

قبل الغزو بفترة طويلة كان الأميركيون يتنافسون مع التجار الهنود في بيع الأقمشة القطنية في المنطقة، وكانوا يصطادون الحيتان في المحيط الهندي وينخرطون في تجارة الرقيق والبخور واللبان والصمغ والجلود والعاج[٢٠].

عندما احتل البريطانيون عدن، لم تكن لتملك في واقعها آنذاك من مقومات النهوض الاقتصادي سوى بعض الأعمال التجارية والمصرفية والمالية التي كان يزاولها في الغالب السكان اليهود وبعض الشرائح المدينية. كان موقعها الجغرافي ومميزاتها البحرية هي التي أهلتها لاحقاً لمرحلة من النهوض، فيما كانت تفتقر إلى البنى الصناعية الضرورية.

كان سكان عدن حين دخلها البريطانيون - عدا القبائل المحيطة بها - لا يتجاوزون ألفاً ومئتين وتسعاً وثمانين نسمة، يقول هينس إن ٥٧٤ منهم من اليهود و٦٣ من الصومال و٣٥ هندياً يعملون بالتجارة، والبقية من العرب. أما البيوت المبنية بالحجارة فلم يزد عددها على

---

(١٩) أمين الريحاني «ملوك العرب»، ج ١، ص ٤١٧. راجع أيضاً: د. سيد مصطفى سالم، «تكوين اليمن الحديث، اليمن والإمام يحيى (١٩٠٤-١٩٤٨) م»، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٢٨٢ وما بعدها.

(٢٠) وقد عبرت - في حينه - شركة الهند الشرقية البريطانية عن انزعاجها من منافسة الأميركيين لها في قنوات نشاطها. ولعل حملتهم في جزر كوريا موريا لجمع «مخلفات الطيور» وشحنها وإعادة إنتاجها كسماد للأرض قد أثارت حنق البريطانيين واعتبروها نوعاً من الاختراق لمناطق نفوذهم. وعدا عن هذا، كانت الشركات الأميركية قد أطبقت على تجارة البن اليمني، حيث كانوا يرسلون - في مطلع القرن التاسع عشر - سفنهم التجارية إلى ميناء «مخا» فيحصلون على ثلاثة أرباع إجمالي محصول البن البالغ ثلاثة عشر ألف بالة.

التسعين. لكن المعروف أن سكان عدن كانوا أكثر من ذلك بكثير، غير أن المئات من السكان غادروا خلال التحضيرات للغزو البريطاني، أو أنهم لم يقدموا العدد الصحيح خوفاً من أن يؤخذوا رهائن، أو أنهم لم يسجلوا الإناث لأنهم يعتبرون ذلك عاراً أو يخشون فرض رسوم عليهم. وكانت قبل ذلك التاريخ بفترة طويلة مزدهرة حسبما تذكر كتب التاريخ، لكنها فقدت أهميتها بسبب الحروب أو الغزوات أو ربما بسبب بعض الكوارث الطبيعية ونشاط ميناء المخاء التجاري. إلا أنه سرعان ما بدأت حركة ناشطة في حقل التجارة وبعض مرافق العمل والمال والخدمة، على هامش الاستقرار النسبي والوجود العسكري البريطاني وانتعاش النشاط البحري في الميناء، وما لبث أن تواتر على المدينة آلاف ممن تركوها زرافات ووحداناً إلى المناطق الأخرى، وجرى استيعابهم وتوافرت لهم فرص التأهيل. فضلاً عن تبلور الوعي الوطني والقومي تحت ثقل نتائج الاحتلال وغطرسته ومظاهر الاستغلال والإهانة القومية التي يمارسها، وبتأثير عوامل إقليمية وعالمية ذات صلة بتطورات نضال الشعوب العربية والإفريقية والآسيوية من أجل الحرية والسيادة والتقدم، في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

في غضون بضعة أشهر بلغ سكان عدن نحو ثلاثة آلاف نسمة، وبلغ عددهم بعدها بعام واحد - حسب تقارير بريطانية - خمسة آلاف. وبمرور عامين، أصبح نفوس عدن ١٦,٤٥٠ نسمة فضلاً عن ثلاثة آلاف بريطاني و ٨٥٠ أوروبياً.

## مزيج بشري

وفي دراسة طويلة عن شبه جزيرة عدن نشرت عام ١٨٦١ في أشهر مجلة دورية فرنسية La Revue de Monde يقدِّم لويس سيمونان قبل عرضه مختلف الأجناس البشرية إحصاءً دقيقاً ومثيراً لسكان عدن. فهو يكتب أنّ من بين الخمسة والعشرين ألف نسمة التي تعيش في عدن نجد ٨٥٠٠ عربي، هم إما مسلمون أو يهود[٢١] و١٠٥٠٠ هندي، منهم المسلم

(٢١) في سنة ١٨٦١ يدخل الرحالة الفرنسي سيمونان ما يقارب ١٥٠٠ يهودي ضمن العدد الكلي للعرب الموجودين في عدن، حينئذٍ فهو يفرق بين اليهود كدين والعبرانيين كقبيلة وجنس. ويبرز اليهود في عدن على حالتهم الأكثر حزناً وقذارة وقبحاً، فهم يمارسون مِهَناً تكيل لهم السباب حتى من الصوماليين، ومنهم مناحم ميسا الذي كان يوماً ما مالكاً لدار رامبو.

والهندوسي والفارسي و٦٠٠ إفريقي جميعهم تقريباً من الصومال، بالإضافة إلى هؤلاء يوجد ٢٠٠٠ أوروبي يعملون أساساً جنوداً أو موظفين لدى الحكومة البريطانية، يوجد بينهم بعض التجار. وضمن سكان عدن تبرز فئة الأخدام (عمال نظافة) التي يتجاوز عددها ١٥٠٠ نسمة[٢٢].

كذلك يعبر الرحالة الفرنسيون عن دهشتهم إزاء المزيج البشري الذي شاهدوه عند وصولهم إلى عدن، وذلك من خلال تقديم منظر بانورامي تبرز فيه الملابس كنوع مميز للأجناس. ففي الشارع حشود ملونة من البشر تمشي الهوينى: عرب بعمائمهم، هنود بكوفياتهم الصوفية السوداء، يهود بطرابيشهم الحمراء، صوماليون بلون الأبنوس، وقد بدوا في مآزرهم المخططة الفاقعة الألوان وعصيّهم الطويلة في غاية الأناقة.

إن الغالبية الساحقة من هؤلاء الناس صوماليون ينتمون إلى إحدى القبائل التي تعيش في الساحل الإفريقي المقابل لخليج عدن. وإنصافاً لهم، يجب أن أعترف بأنني لم أشاهد في حياتي كلها أجمل من تلك المخلوقات. في الحقيقة الصوماليون سود اللون، لكن سواد بشرتهم ليس منفرداً، بل هو سواد صلب لمّاع، يضفي على الجسد نعومة تذكِّر ببريق الذهب الأسمر، ويمنيون وقد غطى وجوههم غبار الفحم وبعض الإنكليز الذين يشبهون في سراويلهم (الكاكية) القصيرة، صبية عمالقة.

ويتحدث الأستاذ أحمد محمد نعمان[٢٣] في مذكراته وانطباعاته عن عدن عام ١٩٤٣ ويقول: «كانت عدن مركزاً ومنطلقاً بسبب وجود الإنكليز فيها، ففيها صحافة وفيها طباعة وفيها حرية. وهي مركز لليمنيين وأكبر مهاجرهم. لأنه ليس بينهم وبين اليمن سوى ساعات، والحدود بينهما مثل الحدود بين لبنان وسورية، فكان الناس ينزحون إليها، الهاربون من الظلم، والهاربون من الفقر، والباحثون عن العمل، والباحثون عن التجارة، إنها سوق تجارية تكاد تكون سوقاً لكل شبه الجزيرة العربية بوجود الإنكليز فيها، فمركز عدن شهير».

ومن جانب آخر، فإن اندفاعة عدن نحو قدرها كميناء ومركز تجاري ساعدت على بناء

---

(٢٢) المصدر: عدن في كتابات الرحالة الفرنسيين.

(٢٣) المصدر: مذكرات الأستاذ أحمد محمد نعمان سيرة حياته الثقافية والسياسية ص ١٣٧.

أسس وتقاليد لأعمال التصدير والنقل، انتهت إلى صورة من التجارة الحرة، تجارة المفرَّق المعفاة من الضرائب الجمركية من إدارة الميناء، الأمر الذي ساعد على تدفق السياح وتجار المناطق الداخلية في الجزيرة وعلى امتداد الخليج والهند، والأجانب والسائحين، وبلغت حصة الخدمات من الناتج الإجمالي الوطني ما يزيد على نسبة ثلاثة أرباعه.

## عدن الميناء... والبشر

مع استمرار الاحتلال ووجود قواته واتساع مجالات الصناعة والمرافق الإنتاجية مثل صناعة السجائر وإنتاج الألمنيوم والطوب وكتل الإسمنت والأثاث والمرطبات والصناعات الاستخراجية والغذائية، برزت بالمقابل الانعكاسات السلبية لتدفق البضائع المستوردة الرخيصة من هونغ كونغ وغيرها من المستعمرات، وما يعنيه ذلك من تنامي معارضة الأوساط الوطنية سياسة المحتلين، والدعوة إلى حماية الاقتصاد الوطني والصناعة المحلية المنافسة. كذلك برزت ظاهرة الهجرة إلى عدن، وبخاصة من شرق آسيا وإفريقيا، وذلك بأعداد قياسية. فقد كان البريطانيون يشجعون نزوح الأوروبيين ومواطني المستعمرات البريطانية وأقطار الكومنولث إلى عدن وإقامتهم فيها للعمل في مجال التجارة والبنوك والوظائف الحكومية. أما الجنوبيون من المحميات ومن شمالي اليمن، فقد توافدوا إلى عدن في السنوات اللاحقة، ليشكلوا نسبة كبيرة من سكانها. وفي نهاية الأمر، فإن عدن شكلت من عناصر السكان «خامة» اجتماعية آيلة إلى التجانس والانتماء العميق إلى التراث العربي، مشاركة في الكفاح المبكر ضد الاحتلال، خاضعة لقانون الصراع الاجتماعي الذي يطرح فئات مستغلة من مختلف الانتماءات والأصول ذاتها، رغم أن البريطانيين حاولوا وضع المهاجرين من دول الكومنولث بمواجهة أبناء البلد، حين عيّنوهم في مراكز حساسة ومنحوهم امتيازات عديدة. وقد سيطرت بعض الشرائح الأجنبية من التجار الوافدين وبعض التجار المحليين على دورة الاقتصاد، بالإضافة إلى الشركات البريطانية طبعاً.

على هذه الأرضية نمت الشرائح الاجتماعية المختلفة، فيما نزعت الشرائح الدنيا إلى بعض الشعارات الإصلاحية والدعوات الوطنية للاستقلال، ولكنها مشوبة بالغموض أو الانعزال مثال (شعار عدن للعدنيين)، لكن ذلك سرعان ما اصطدم بالحركة الجماهيرية التي كانت تنشد التحرر الناجز في إطار الدعوة الوطنية إلى وحدة الجنوب وإنهاء واقع التجزئة.



ميناء عدن

## الحياة النيابية في عدن

من جانبهم، عمل المستعمرون على ضبط إدارة عدن بإجراءات توحي في الظاهر- بالديموقراطية، ولكنها تستهدف ترك مصادر البلاد في قبضة الفئات المرتبطة بها. فقد أنشأوا عام ١٩٣٨ «مكتب العمال» كهيئة شبه نقابية تديرها سلطات الاحتلال لتسهيل طلبات أصحاب العمل من الشركات والدوائر الحكومية والمقاولين ومتابعة شؤون العمل في مرافق الميناء والممالح (حقول استخراج الملح) والبناء والتجارة والشركات المختلفة. وبعد ثلاثة أعوام صدرت قوانين النقابات التي أريد لها أن تكون إطاراً لقيام نقابات تتولى كبح الاضطرابات التي كانت تندلع بين وقت وآخر، وبخاصة في الميناء، إذ يتوقف شحن البضائع وتفريغها، مع أن تلك القوانين صدرت تحت ضغط المطالبة الواسعة بتشكيل نقابات عمالية قانونية. وذهب البريطانيون في محاولات تدجين مواطني عدن إلى أبعد من ذلك في السنوات اللاحقة، بإقامة حياة سياسية وتمثيلية شكلية لاستدراج مشاعر المعارضة الشعبية الناهضة إلى «أوعية» تابعة لهم، ووضعها في حدود «الشرعية» القائمة، وأمام سيف الابتزاز السياسي الدائم، من أجل «تصنيع» قيادات سياسية تتكفل في نهاية

الأمر بتوجيه الأحداث والمشاعر المحلية بعيداً عن التصادم مع الاحتلال ومؤسساته. وكانت هذه المحاولات تستهدف في جوهرها دمج عدن في النظام السياسي البريطاني توطئة لإخضاعها.

وهكذا فقد شكل الإنكليز عام ١٩٤٧ مجلسين للإدارة والتشريع: أحدهما «مجلس تنفيذي» (عربي واحد معين) من سلطات الاحتلال، يقوم بإعداد صيغ القوانين والتشريعات المقترحة واتخاذ القرار بشأنها، ذلك القرار الذي لا يكتسب الدرجة القطعية قبل موافقة المندوب السامي البريطاني عليه. وقد تأسس المجلس التشريعي عام ١٩٤٧، ويتكون في صيغته الأولى من ممثلين معيّنين من سكرتير الحكومة والمدعي العام وأمين المالية ومساعد السكرتير لشؤون المستعمرة وممثل قيادة القوات البريطانية ومن رؤساء الجاليات المحلية في المدينة.

في عام ١٩٥٥ وافقت على انتخاب أربعة من أصل أحد عشر من أعضاء المجلس التشريعي لإعطائهم صفة تمثيل المواطنين، وأعدت مسرحية الانتخابات بما يوحي بالديموقراطية والتنافس بين المرشحين. ولم يحقق ذلك المجلس غير إقرار اللغة العربية لغة رسمية في المستعمرة.

في عام ١٩٥٨ وافقت السلطات البريطانية على توسيع المجلس ليضم ١٢ عضواً منتخباً و١١ عضواً معيناً، إلا أن شروط الترشُّح والانتخابات كانت مهينة. فقد أعطى الإنكليز مواطني دول الكومنولث الأفضلية في الترشُّح، وأعطوا حق الانتخاب للعدنيين فقط ممن عاشوا في المدينة في السنوات العشر الأخيرة إذا كانوا عرباً، وثلاث سنوات فقط إذا كانوا من مواطني دول الكومنولث. وفرضوا أيضاً شروطاً مالية قاسية على من يفكر في المشاركة في الانتخابات.

وفي الانتخابات التي جرت ذلك العام امتنعت الأكثرية الساحقة من سكان عدن عن المشاركة في التصويت. فقد بلغت المقاطعة باعتراف سلطات الاحتلال نحو ٧٣ بالمئة من مجموع من يحق لهم المشاركة (خمسة آلاف مواطن فقط كان يحق لهم ذلك)، بل شهدت المدينة تظاهرات وأعمال احتجاج واسعة، وتصدرت الأحزاب والهيئات العمالية والاجتماعية والشخصيات الوطنية والثقافية حملة المعارضة والاحتجاج والتظاهر.

وفيما تحول المجلس التنفيذي عقب قيام «اتحاد الجنوب العربي» إلى مجلس للوزراء، جرى تغيير طفيف على طبيعة المجلس التشريعي الذي وسع ليضم ممثلي المحميات، فقد تقرر تعيين سلطات الاحتلال سبعة من أعضائه بدلاً من أحد عشر عضواً، غير أن هذا التغيير لم يحقق هدفه القاضي بامتصاص المعارضة الشعبية للمجلس وللسياسة البريطانية التي تطبق ترسيخ التجزئة.

في عام ١٩٦٤ أُجريت الانتخابات في عدن[٢٤] بالتزامن مع الانتخابات العامة في بريطانيا بعد أن قدمت أسرة عبد الله حسن خليفة أوراق ترشحه وهو في السجن. كتب السيد الأهدل في مذكراته أن فوز حزب العمال البريطاني في الانتخابات العامة بزعامة هارولد ولسون وسقوط حكومة المحافظين التي كانت تؤيد حكام ولايات الاتحاد قد غير موقف السياسة البريطانية تجاه عدن ودولة الاتحاد تغييراً جذرياً. إن قيام حكومة يسارية في لندن معناه بطبيعة الحال تأييد العناصر اليسارية في عدن والجنوب في معارضتها القوية لحكام الولايات التقليديين وإيذاناً بزعزعة أركان الاتحاد الفيدرالي الذي صنعته عقول المستشارين الإنكليز بتأييد من حزب المحافظين وحكومتهم السابقة.

أدى فوز خليفة الكاسح في انتخابات المجلس التشريعي لعدن بنسبة ٩٠٪ من الأصوات وتحطيمه لكل رقم قياسي لأي انتخابات جرت في عدن بفعل التعاطف الشعبي معه إلى حرج شديد للإدارة البريطانية في عدن وللمندوب السامي البريطاني شخصياً الذي دمر فوز خليفة بالانتخابات مستقبله السياسي.

بعد ظهور نتائج الانتخابات دعا المندوب السامي السيد زين عبده باهارون، وكلفه تأليف الوزارة الجديدة، ولكن السيد الباهارون وأعضاء المجلس بالإجماع رفضوا تأليف الوزارة، ورفضوا حتى عقد اجتماع المجلسُ (البرلمان) قبل الإفراج عن السيد خليفة عبد الله حسن

(٢٤) وحسب البرلمان البريطاني كان تعداد سكان عدن عام ١٩٦٢: العرب العدنيون ٦٠٠٠٠، عرب المحميات ٣٥٠٠٠، العرب اليمنيون ٨٠٠٠٠، العرب الآخرون ٥٠٠٠ الصوماليون ١٥٠٠٠ الهنود والباكستانيون ٢٠٠٠٠ اليهود ٨٠٠، البريطانيون الأوروبيون (باستثناء القوات المسلحة) ٤٥٠٠، الأوروبيون الآخرون ٧٠٠، المجموع الكلي:٢٢١٠٠٠ نسمة. وكان عدد أبناء الشمال اليمنيين (المهاجرين) في عدن يساوي تقريباً عدد الجنوبيين من أبناء عدن والمحافظات الأخرى هذا إن لم يكن أكثر منهم.

وحضوره المجلس، وقد رفض المندوب السامي ذلك الطلب متعللاً، بأن السيد خليفة لا يزال معتقلاً، ولكن الأعضاء نبهوا المندوب السامي إلى أن السيد خليفة يتمتع بالحصانة البرلمانية ولا يمكن عقد المجلس دون حضوره.

## مدينة هندية فوق أرض عربية

## الاحتلال والهجرة

كان الهنود عام ١٨٦١ بغالبيتهم المسلمة يشكلون أكبر جالية في عدن. ولا شك في أنّ أفراد كتيبة المشاة المستقرة حينئذٍ في عدن، قد أسهمت في توسيع هذه الجالية، لكن الباحث الفرنسي لويس سيمونان يفسر كثرة الهنود المسلمين في عدن بأسباب أخرى تتجاوز السياسة البريطانية، حيثُ يكتب: «لقد توقف الهنود في هذه المدينة العربية في طريقهم إلى الكعبة، أو عند عودتهم من الحج الذي هو واجب على كل المسلمين. وتبدو عدن محطة مريحة وجذابة لمسلمي الهند، فينصرف كثيرٌ منهم إلى الأعمال المربحة فيها وينسون تماماً الكعبة والرسول». ومع ذلك يتكوّن جزء لا بأس به من الهنود في عدن من الهندوس «البانيان» الذين يعملون في التجارة، بينما نجد أنّ معظم الهنود الذين يعملون جنوداً أو موظفين في الجيش البريطاني من المسلمين. وقد أثار ارتفاع عدد الهنود في مدينة عدن التي تقع في شبه جزيرة العرب دهشة الرحالة الفرنسيين. فعالم الاجتماع آرثر دي غوبينو، مثلاً، بعث برسالة إلى أخته في ٥ مايو ١٨٥٥، كتب فيها: «في عدن شاهدنا مدينة هندية فوق أراضٍ عربية، وسط الصخور»، وتكرر مثل هذا الحديث بعد قرن ونصف عن مدينتي دبي وأبو ظبي عندما قال السفير الهندي في الإمارات إنهما أجمل مدينتين هنديتين، واحتجت الدولة على مثل هذا التصريح.

«في شوارع عدن الهندية، لا توجد تلك البيوت الكبيرة البيضاء التي تشبه القلاع وتحمل بعناء المشربيات الضخمة الجميلة. المرء هنا لا يستطيع أن يشاهد إلا مساكن صغيرة مظلمة، مفتوحة من الأمام كالمتاجر. وتوجد أمام كل منها منصة خشبية تستخدم كصالون وقاعة طعام وغرفة نوم، وهذا يتيح للسكان الاستفادة من الأملاك العامة والنوم وسط الشارع».

ونتيجة لهذا الطابع الهندي يؤكد بول موراند، في كتابه «طريق الهند»، أنّ المسافر القادم من

أوروبا لا يكتشف الشرق إلا عند وصوله إلى عدن «فسوقها يقدّم للمسافرين القادمين من أوروبا عيّنات - فاتحة للشهية - من عجائب الهند، ويسمح للعائدين بشراء ما لم يتمكنوا من شرائه هناك، فقاعات البيع الكبيرة التي يمتلكها الفارسيون في التواهي تضاهي تماماً الدكاكين الضخمة في بومباي».

والهنود الفارسيون (Les Parsis) هم أولئك الزرادشتيون الذين يتحدثون الأوردية ويعبدون النار، وقد فروا من إيران بعد الفتح الإسلامي مباشرة إلى الهند. لهذا السبب يُحسَبون من ضمن العدد الإجمالي للهنود في عدن. وهم «ما زالوا يعبدون النار والشمس كما كانوا يفعلون في عصر زرادشت، فهم في عدن مثلما هو الحال في بومباي وبقية أنحاء الهند، لم يتركوا ديانة أجدادهم ويرون في العناصر الأربعة، ولا سيما في النار المقدسة، مصدر الكائن الأزلي. كما أنهم لا يدفنون موتاهم، بل يتركونهم لفعل الهواء والطيور الجارحة، وقد نُقلَت النار المقدسة من عدن إلى الهند في منتصف السبعينيات من القرن الماضي.



**مهلكة الفرس (برج الفرس)**[٢٥]

## بول نيزان أمنا أوروبا!

خلال القرن التاسع عشر كان الوجود الغربي في عدن محصوراً في الجنود والموظفين الحكوميين وعدد محدود من التجار الذين فتحوا في عدن فروعاً لشركاتهم الضخمة، وذلك

(٢٥) برج الفرس أو برج الصمت (مهلكة الفرس) وهو بناء أنشئ بغرض التخلص من جثث الموتى حيث يرى الفرس، وخصوصا الزرادشتيين أن جثة الميت تكون نجساً، ووفقا للتقاليد، يجب ألا تتعرض الأرض أو النار لهذه النجاسة، لذلك توضع الجثة على قمة البرج بحيث تتعرض للشمس وتكون طعاماً للطيور الجارحة. بني البرج في كريتر بشكل دائري مكون من ثلاث حلقات بحيث توضع جثث الرجال داخل الحلقة الكبرى (الخارجية) وتوضع جثث النساء داخل الحلقة الوسطى، أما جثث الصغار فتوضع في الحلقة الصغرى (الداخلية).

بغرض تنظيم حركة التجارة والملاحة بين أوروبا وسواحل إفريقيا والهند والشرق الأدنى. ويذكر سيمونان أن الإنكليز، بفضل فعالية وكلائهم الفارسيين، يأتون في المرتبة الأولى بين التجار الغربيين. أما الفرنسيون، فقد كثفوا وجودهم التجاري في عدن بعد افتتاح قناة السويس وتأسيس شبكة خطوط الملاحة الفرنسية. وقد ازدهر عدد من الشركات الفرنسية التي تعمل في عدن مثل شركة فياني– مازاران – بارديه وشركة أنتوني بس.

وفي بداية القرن العشرين تضاعف حجم الوجود الغربي في عدن مع تصاعد أهمية عدن كقاعدة عسكرية وزيادة عدد الشركات التجارية الغربية التي لم تعد قادرة على الاكتفاء بالموظفين الهنود، واضطرت إلى جلب عدد كبير من الموظفين من أوروبا. فأنتوني بس مثلاً كان يُحضِر معظم سكرتيريه ومُديريه من فرنسا وبريطانيا. ومن الطبيعي أن تؤدي زيادة عدد الأوروبيين في عدن إلى ظهور بنية تحتية غربية في عدن، كالكنائس والمدارس والنوادي والمسارح، ومنتجعات جولد مور ومعاشيق، و... بعض الخلايا الماسونية.

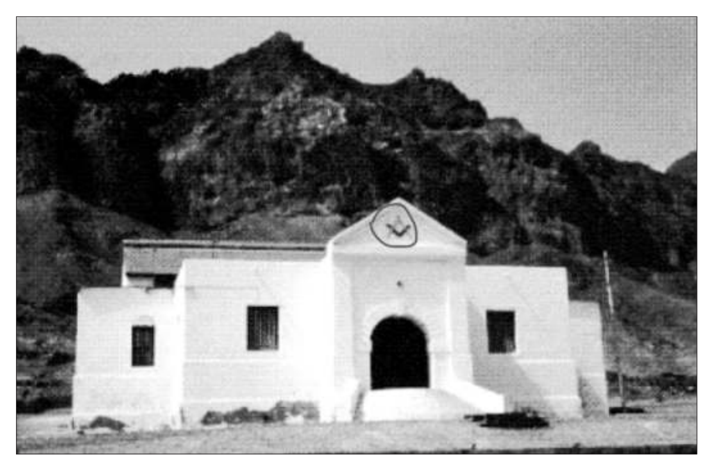
## الماسونية[٢٦] في عدن

إبان الاحتلال البريطاني لعدن أقيم عدد من المحافل الماسونية، منها ما كان يُطلق عليه (بنجلة الشيطان) بالمعلا، وعدد آخر من المحافل الماسونية في كل من كريتر وخور مكسر وعدن الصغرى، وكانت لها علاقات مع المحفل الاسكتلندي ومحافل الهند (مدينة بومباي) وغيرها من المحافل العالمية.

ارتبطت تسمية مبنى الشيطان بالبناية وتعني بالهندية (بنجلة)، ولهذا عرفته العامة بـ(بنجلة الشيطان)، ويُعتقد أن المبنى قد شُيِّد في عام ١٨٥٠، كمحفل رئيسي للحركة الماسونية من قبل المحفل الماسوني الاسكتلندي الأعظم، وكانت إقامته بعد الاحتلال البريطاني لمدينة عدن بنحو إحدى عشرة سنة. ويُحكى أنه مسكون بـ(الجن والعفاريت) وكان الناس يخافون الاقتراب منه، وقيل إن هذا المبنى يجري فيه اختطاف الأطفال وقتلهم وشرب دمائهم، وهذا ليس صحيحاً. وكان الهدف من هذا الكلام، هو الحفاظ على سرية نشاطه ونشاط أعضائه.

(٢٦) في عام ١٧٢٣ كتب جيمس أندرسون (١٦٧٩ – ١٧٣٩) دستور الماسونية، وكان أندرسون ماسونياً بدأ حياته ناشطاً في كنيسة اسكتلندا، وأعاد بنجامين فرانكلين بعد ١١ سنة طبع الدستور في عام ١٧٣٤ بعد انتخاب فرانكلين زعيماً للمنظمة الماسونية في فرع بنسلفانيا.

وضمّ هذا المحفل إلى عضويته أعضاء من المثقفين العرب المسلمين اليمنيين إلى جانب التجار اليهود والهنود والبهرة والإنكليز وغيرهم من مختلف الجنسيات والديانات، وقد اتسمت طريقة القبول في هذه المحافل بالترشيح والتزكية طبقاً للقانون الماسوني، ثم تجري عملية الاقتراع السري للقبول النهائي. وكانوا يجتمعون الجمعة الثالثة من كل شهر، ومع مرور الزمن توسعت العضوية فيه لتشمل أعضاءً عرباً مسلمين، ما استدعى فتح المزيد من المحافل[٢٧]. وكان بعض الحكام العرب قد انضموا إلى الماسونية أيضاً واحتلوا مراتب عليا في عضويتها وقيادتها. وبعد استقلال الجنوب عن بريطانيا توقف نشاط هذه المحافل نهائياً في عدن.



**مبنى مقر الماسونية بالمعلا (بنجلة الشيطان)**

وقد دفع الوجود الغربي المتزايد في عدن وبروز بعض ملامح الحياة الغربية إلى خلق مضاهاة بين عدن وأوروبا. فبول نيزان يقول في كتابه (عدن العربية): «إنّ الذي يجب أن يفهمه المرء هو أنّ عدن صورة مركزة لأمنا أوروبا. بل إنّها أوروبا مكثفة جداً. فبضع مئات من الأوروبيين محتشدين في مساحة خمسة أميال طولاً وثلاثة أميال عرضاً – كأنّهم في سفينة السجناء – يعيدون هنا، على نطاق مصغر، ولكن بدقة متناهية، تلك التصميمات التي تتشكل بفعل طبيعة العَلاقات التي تفرزها الحياة في البلدان الغربية، إنّ الشرق يعيد إنتاج

(٢٧) ومن الأسماء العربية التي انضمت م. ه. إ. منصور و م.ع. غانم و م. ف. ناخودة، و ن. ف. ناخودة و س. ب. منصور و أ. س. باسندوة.

نصف الكرة الغربية، وهو في الوقت نفسه تعليق عليه، فسكان عدن لا يختلفون عن سكان لندن أو باريس، فهم من الطينة نفسها، ولكنهم في بيئة تجعلهم يبدون أكبر نمواً. وهم مثل أهل أوروبا يظهرون ويختفون ويمشون ويتريثون بدون إيقاع أو سبب». وكان يعيش في عدن أيضاً عدد من الأوروبيين البريطانيين والإيطاليين والفرنسيين وغيرهم من الذين قدموا بعد الاحتلال.

### امنعوا الهجرة

وعلى ذكر هجرة الجاليات الأجنبية إلى عدن، يطيب لي أن أعيد إلى الذاكرة الأغنية المشهورة التي أطلقها فنان الشعب المعروف المرحوم محمد مرشد ناجي، وفيها يستنكر أعمال الاستيطان التي كان الاحتلال يشجعها ويرعاها، وكنت حينها في عدن طالباً في معهد المعلمين، وقد سمعت الأغنية وتركت في نفسي أثراً عميقاً:

**امنعوا الهجرة، إنها خطرة جواً أو بحراً**
**امنعوا الأجنبي عـن دخــول الوطن**
**نــهــبــوا مــالــنــا ســـــــودوا حظنا**
**وأنكروا حقنا فرّقوا جمعنا في بلدنا عدن**

اللافت أن هذه الأغنية عندما تغلغلت في نفوس الناس وأصبحت جزءاً من حياتهم، عادت وأثارت لدى الفنان مرشد بالذات دفقاً من المشاعر دفعته إلى طرح عدة استنتاجات سياسية واجتماعية. وها هو ذا يكتب في مذكراته ما كانت تعنيه الأغنية وما كانت تعنيه الهجرة. أورد مقتطفات مما كتب، اعترافاً بدوره الكبير في تأجيج الغضب الشعبي إزاء الاستعمار.

يقول الفنان المرشد: «قدمت هذه الأغنية في عام ١٩٥٨ عندما دعا المؤتمر العمالي بعدن إلى إضراب عام ضد سياسة الهجرة الأجنبية، وإعطاء المقيمين من أبناء الكومنولث حق التصويت والترشيح في الوقت الذي حرم فيه هذا الحق من سمّتهم الإدارة الإنكليزية اليمنيين وعرب المحميات. وقد نجح الإضراب حينها نجاحاً عظيماً.

توضح السياسة الإنكليزية نفسها إزاء الجنوب اليمني ومستقبله من خلال تصنيفه الغريب والمضلل للمواطنين اليمنيين، وهي سياسة ثابتة دأب على ترسيخها القمع الإداري، وإشاعة

الأمية. ولعب الكتّاب والشعراء والفنانون والصحفيون الوطنيون ورجال الدين دوراً كبيراً في إشاعة الوعي الوطني وإذكاء روح الكفاح والاستبسال ومقاومة الاستعمار. وألهبت أشعارهم وكتاباتهم وأغانيهم وكذلك خطب رجال الدين في المساجد حماسة الجماهير التي قدمت كل سبل الدعم والحماية للثورة ومقاتليها في كل مكان.

وعالجت الصحافة الوطنية هذه الشكاوى في شكل خبر أو مقالة كما شنّت الصحافة الوطنية هجومها على اعتراف الإدارة البريطانية بحق المهاجرين الأجانب من أبناء الكومنولث في التدخل في الشؤون السياسية (...)»، وقد ازدهرت وتطورت الصحافة اليمنية في الخمسينيات والستينيات وكانت تعكس كل الأفكار والرؤى لمختلف الأحزاب والشخصيات الوطنية[٢٨]. إن هذا الكمّ المتمثل بوجود ٣٢ إصداراً ما بين صحيفة ومجلة في عدن في تلك الفترة، لدليل على حجم الدور الذي أدّته على صعيد التنوير الوطني والمعرفي وتهيئة المناخ المطلوب لمرحلة النهوض الوطني الشامل على مستوى الجنوب بكامله.

وعندما أتحدث عن ذلك الواقع، فإنني أقصر الحديث على مرحلة تاريخية معينة في حياة مدينة عدن، ولا أهدف إلى التجني الآن على أبناء تلك الجاليات، هؤلاء الأبناء الطيّبين الذين اندمجوا مع إخوانهم وأصبحوا جزءاً من اللبنة اليمنية التي تؤسس نهضة عدن والجنوب كلها في وحدة عميقة اجتازت امتحانات عديدة وأكدت صلابتها. وأعني أنني أبعد ما أكون عن تحميل أبناء بلدي من أولئك المنحدرين من الجاليات المستوطنة، مسؤولية الهجرة أو مسؤولية ما ترتبت عنها. فمن بينهم من استشهد في سبيل الثورة والوطن وهو يقاتل المستعمرين الإنكليز مثل الشهيد خالد هندي. وبعضهم أصبحوا وزراء في حكومة عدن والاتحاد وحكومات ما بعد الاستقلال، ومنهم من أصبحوا طيارين ومهندسين وكوادر في إدارات الدولة المختلفة في الجنوب.

هذه هي عدن التي كانت أول محطة على امتداد البحر الأحمر والخليج وطئتها قوات

---

(٢٨) أهم الصحف والمجلات: فتاة الجزيرة، صوت اليمن، الفضول، المستقبل، الذكرى، افكار، النهضة، الشباب، القلم العدني، إيدن كرونيكل: أخبار الجنوب، الجنوب العربي، البعث، اليقظة، الرقيب (بالعربية والإنكليزية)، الفكر، العامل، النور، الفجر، الأيام، الزمان، الريكوردر، الشعب، أنغام، فتاة شمسان، الميزان، الحقيقة، التامل، العمال، الطريق، الصباح، المصير.

الإمبراطورية البريطانية، وآخر محطة اضطرت – وليس رضيت – إلى التخلي عنها في هذه المنطقة في آخر المطاف.

عدن التي أُحبها وأجدُ في ناسها الطيبين وكل ما فيها من آثار وحواضر وشعاب وبيوت حضناً دافئاً لذكرياتي ومسراتي وتجاربي في الحياة السياسية والاجتماعية.

## الأربعينيات والانتفاضات الشعبية

كانت مرحلة الأربعينيات، وبخاصة سنوات الحرب العالمية الثانية، مشحونة بالتوتر، وصور الصراع، وهي في الواقع نتاج السياسة البريطانية المتشبثة بمدينة عدن والمحميات في ظلّ مخاوف دائمة من الاجتياح الايطالي لشرقيّ البحر الأحمر. شهدت هذه الأعوام اندفاع القوات البريطانية في جنوبيّ اليمن على امتداد ساحل بحر العرب والمناطق الداخلية واستخدام كل آلات البطش وأساليب المناورة والخداع وسياسة التفتيت وتجنيد العملاء المرتزقة، وتحصيناً للمنطقة إزاء احتمالات تعاون بعض المشايخ والساسة المحليين مع «الطليان».

لكن بانتهاء الحرب العالمية الثانية، بدأ المستعمرون البريطانيون يتحررون من تأثيرات الخطر الإيطالي، فتنكروا لتعهداتهم وتصريحاتهم، وانطلقوا يرسخون التجزئة، وأطلقوا العنان لسياسة تأجيج العداوة بين القبائل، فيما ربطوا خلال العامين ١٩٤٤–١٩٤٥ سلاطين الفضلي والعوالق السفلى والحواشب وشريف بيحان وأمير الضالع بمعاهدات استرقاقية جائرة، وبعدهم سلطان الواحدي عام ١٩٤٩. وقد نُفي بعض السلاطين المعارضين لهذه الاتفاقيات إلى جزيرة سيشل، وفي مقدمتهم السلطان صالح بن عبد الله الفضلي. ونُفي بعد ذلك زعماء رابطة أبناء الجنوب بين عامي ٥٦–٥٨ والسلطان علي عبد الكريم إلى مصر.

## مرحلة التحديث الاقتصادي

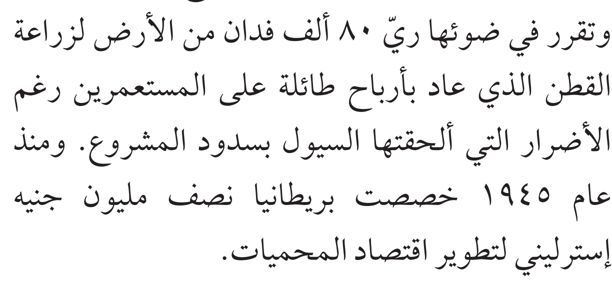
دشّن المحتلون في عدن، عقب الحرب، سياسة تحديث الإدارة والاقتصاد، وعمموا تلك السياسة لتشمل بعض المحميات، خاصة القريبة من عدن، يدفعهم في ذلك هدفان:

- **الأول**: امتصاص ظواهر التململ الداخلي ومنعه من الاتساع ومن الوصول إلى نقطة الانفجار.

- **الثاني**: استغلال الثروات الكامنة في المنطقة بعد أن كان التعامل معها يقتصر على الإفادة من موقعها الجغرافي وحدود الخدمات التي تقدم للبواخر وطرق المواصلات.

في هذا النطاق، فُتحت عدن أمام شركاء لبريطانيا، فتأسست عام ١٩٤٩ شركة مستودعات الميناء الأميركية «كالتكس»، ثم شركة أميركية ثانية هي «ستاندر فاكوم أويل»، ومع إحلال النفط محل الفحم مصدراً للطاقة غداة الحرب تضاعفت أهمية ميناء عدن وبدأ يستقبل بواخر شحن البترول من عبادان في إيران بكثافة لا سابق لها، باعتبارهما ميناءين من ضمن نفوذ بريطانيا في المنطقة، الأمر الذي ضاعف من اهتمام بريطانيا بعدن نفسها التي خُصَّت بعد بضع سنوات بقرار تشكيل المجلس التشريعي كواجهة سياسية توحي بالديموقراطية.

وعلى صعيد المحميات شهدت الأربعينيات اهتماماً بريطانياً، ولو بطيئاً، بالمشاريع، ولعل مشروع وادي دلتا أبين كان أهمها، بالنظر إلى نزوع الإنكليز إلى استثماره اقتصادياً. استمرت البحوث والدراسات الخاصة بالمشروع طوال سنوات الحرب، ولم ينفذ إلا في عام ١٩٤٩، وتقرر في ضوئها ريّ ٨٠ ألف فدان من الأرض لزراعة القطن الذي عاد بأرباح طائلة على المستعمرين رغم الأضرار التي ألحقتها السيول بسدود المشروع. ومنذ عام ١٩٤٥ خصصت بريطانيا نصف مليون جنيه إسترليني لتطوير اقتصاد المحميات.





غير أن هذه الإجراءات والتوجهات البريطانية جميعها لم تحقق سوى الهدف المتمثل في جني الأرباح من المشاريع الاقتصادية، أما هدف تطويع الشعب وامتصاص نقمته فقد كان بعيداً عن التحقق. لقد أخذت الحركة الوطنية السياسية المعارضة للاحتلال تندفع من قانونها الخاص على خلفية نضج عوامل التحرك الشعبي في المملكة المتوكلية ضد حكم الإمام واتساع أعمال المقاومة في الريف والمدينة على امتداد الجنوب.

## العصيان المسلح

شهدت سنوات الأربعينيات اندلاع المقاومة المسلحة في الريف ضد دخول بريطانيا

مناطقهم، رغم أن المحتلين أضعفوا تلك النشاطات بتجريدها من المضمون السياسي، مغرقين إياها في الصراع القبلي المدمر، ولم يتورعوا عن الزجّ بقواتهم البرية والجوية في محاولة للجم القبائل وشعب الجنوب وترويضه.

- في عام ١٩٤٢ تعرضت مدينة شقرة عاصمة السلطنة الفضلية لهجوم بري وجوي وبحري، واعتقل سلطانها صالح عبد الله الفضلي ونفي إلى جزيرة سيشل، لأنه رفض التبعية لأيّ مستشار بريطاني.
- بعد أشهر قصفت القوات الجوية البريطانية قبيلة بالحارث والفاطمي في بيحان، وهاجمت قبيلة بن عبدات في حضرموت، واستشهد جراء ذلك عدد من المواطنين، وألقي القبض على زعيمها ونفي إلى عدن. وأيضاً أغارت تلك القوات على قبائل الحموم في ساحل حضرموت وأخمدت انتفاضة قبائل نوح والعكايبر في المكلا.

وكانت انتفاضة بن عبدات استمراراً للانتفاضة التي بدأها عام ١٩٢٤ صالح عبيد بن عبدات وأخوه عمر حتى وفاة بن عبدات عام ١٩٣٩ في منفاه في إندونيسيا، وواصلها من بعده ابن أخيه عبيد صالح بن عبدات إلى عام ١٩٤٥.

## بن عبدات

كانت القوات البريطانية في عدن قد قررت لأول مرة سحق انتفاضة الشيخ بن عبدات في نيسان/ أبريل ١٩٤٠[٢٩]، حيث تعرضت قريته المحصنة الغرفة لقصف جوي، قبل أن يحتلها جنود جيش المكلا، ومع ذلك فإن العملية وفق تقييم الإنكليز كانت محدودة النجاح، بسبب ضعف إعداد الجنود المحليين. وكذلك لأن الطائرات سُحَبت من جنوبي الجزيرة العربية، بما أن إيطاليا كانت قد دخلت الحرب العالمية الثانية. ولم ينفذ الاتفاق الذي كان قد وقع بين حكومة جلالته وابن عبدات. هنا أريد أن أُشير إلى أنه من أجل تهدئة الشيخ عبيد صالح بن عبدات وقعّ معه الإنكليز باسم حكومة بريطانيا على معاهدة، مع أن حجم طرفي المعاهدة كان متفاوتاً إلى حدّ مرعب.

---

(٢٩) كتاب اليمن واليمنيون في ذكريات دبلوماسي روسي. د. أوليغ بيريسيبكين الصفحة ٢٧٥-٢٧٦، دائرة التوجيه المعنوي-صنعاء طبعة ثانية ٢٠٠٥.




**صالح عبيد بن صالح بن مبارك بن خالد بن عمر بن عبدات، الجد المؤسس لأسرة بن عبدات، وجدّ المناضل الشيخ عبيد صالح بن عبدات**

واصل الشيخ بن عبدات نشاطه في وضع المتفجرات، فاتخذت بريطانيا قراراً باستعمال الطائرات الحربية المرابطة في عدن. ولقيادة العملية استُدعى الضابط واسمه ايجورتون من حيدرأباد، وليس ذلك مصادفة، فعدن والمحميات العدنية الشرقية والغربية، حتى عام ١٩٣٧ كان يشرف عليها الجنرال الإنكليزي حاكم الهند المقيم في بومباي، ولكن هذه العلاقات ظلت مستمرة لفترة محدودة. ومنح الإنكليز الشيخ بن عبدات مهلة لتسليم السلاح وحلّ مجموعاته المسلحة والاعتراف بسيادة سلطان سيئون، علماً منهم أن الشيخ على الأغلب لن يقبل بالتسوية السلمية. بدأ الإنكليز بحشد قواتهم في الريان أولاً، ثم في سيئون، هنا قد يكون مهماً بالنسبة إلى الخبر عن حركة قافلتين عسكريتين من الريان إلى سيئون عبر طريقين الشرقي والغربي، وقد وصلتا في ٣ آذار/ مارس ١٩٤٥، رغم أن إحداهما انطلقت يوم ٢٦ شباط/ فبراير والثانية ٢٨ شباط/ فبراير، وحتى وصول القوات الإنكليزية، قام ٥٠ من جنود سلطان سيئون بدوريات في ضواحي الغرفة لإرهاب القبائل المحلية.

بدأت العملية في ٤ آذار/ مارس ١٩٤٥، عندما قصف أنصار الشيخ ثلاث مدرعات. قوات سلطان سيئون النظامية هاجمت مواقع الشيخ حتى لا يتركوا إمكانية للفرار. وفي إحدى المواجهات قتل محمد البطاطي، قائد قوات الشيخ. في الأيام التالية قصف الإنكليز مواقع الشيخ بقذائف الهاون وألقوا بالمناشير لإقناع السكان بالاستسلام، كما وجهوا إلى الشيخ بن عبدات شخصياً إنذاراً نهائياً.

الداهية بن عبدات عرض بدء المفاوضات، وعبّر عن استعداده لإرسال وفده بشرط ضمان أمن أعضائه. الإنكليز رفضوا وطالبوا بالاستسلام دون قيد أو شرط.

في ٦ آذار/ مارس، بدأ القصف الجوي واقتحمت المدرعات المدينة وخلفها المشاة، وأُسر الشيخ ونُقل مباشرةً على متن الطائرة إلى عدن. وفي ٨ آذار/ مارس، نُقلَت السيطرة على مدينة الغرفة إلى جيش المكلا، وعاد الجنود الذين قدموا من عدن إلى سيئون. وفي هذه المدينة نُظِّم استعراض استقبله السكان بحفاوة. بعد ذلك تحرك الجنود في طريق العودة إلى الريان، ثم عبر البحر إلى عدن. كانت العملية قد انتهت واستعجل الإنكليز عودة جيوشهم إلى عدن، لأن موسم الرياح الجنوبية الغربية يبدأ عادة في نيسان/ أبريل، ويجعل الملاحة من المكلا حتى عدن محفوفة بمخاطر كبيرة.

## انتفاضات المحميات الغربية

- في عام ١٩٤٥ أخضعت قوات الاحتلال بالقوة سلطنة يافع السفلى بعد أن رفض سلطانها تجديد اتفاقية مع الإنكليز بشأن استغلال أراضي يافع الساحل لمشروع زراعة القطن.
- في المرحلة عينها قصفت قواتُ الاحتلال قبائل آل باعزب وآل منصور من آل باكازم في العوالق السفلى.
- وبعد سنة تمردت قبائل الضالع على الهيمنة الاستعمارية، فتعرضت لهجوم عسكري بري وجوي واسع النطاق.
- وفي العام نفسه (١٩٤٦) قتل الشيخ محمد عواس المستشار البريطاني المستر «ديفي»، في منطقة الأزارق، فردت القوات البريطانية بقتل الشيخ المذكور ومصادرة أرضه.

وفي هذا يقول شاعر المياسر علي رامي:

**بن عواس ضلعي من ضلوع الهند وافي**
**ذي ختق واسقى المشوك دم نصراني**

- وبعد زمن وجيز نفّذ السيد عبد الدائم محاولة اغتيال المعتمد البريطاني «الميجر سيجر» الذي كان يومها في الضالع طعناً بخنجره، ولكنه نجا من محاولة الاغتيال بينما أردى

الجنود عبد الدائم قتيلاً وهو عائد إلى بيته بعد اجتماع حضره مع الشيخ محمد صالح الشاعري في منزل الشيخ علي قاسم عبد الرب في قرية الجليلة.

وقد قال الشاعر الوطني الكبير عبد الله هادي سبيت في هذه المناسبة قصيدة أورد منها الأبيات الآتية:

**جالنا سيجر معمم سيرته تدكع وتدرم**
**راكب العفريت راسه**
**قل لذي يشتي حمانا**
**أرضنا غاية منانا كلنا كابر براسه**
**شوفها الدنيا كرامة من خسرها**
**وإعدامه تقرعوا المرفع براسه**

- في ديسمبر عام ١٩٤٧، استدعى المعتمد البريطاني لمحمية عدن الغربية الميجر سيجر الشيخ محمد عسكر بني خلف[٣٠] بسبب ضلوعه في الاضطرابات التي حدثت في الضالع وتوابعها. كذلك واجه عبد الله ديفي في ٣ كانون الأول/ ديسمبر ٤٧ نداءً مماثلاً للأسباب ذاتها.
- في عام ١٩٤٨ تمردت قبائل المصعبين على الوجود البريطاني فتعرضت لغارات جوية وحشية، واستمر ذلك عاماً ثانياً.
- انتفاضة ١٩٥٦ التي قادها وبرز فيها الشهيد مساعد علي والشيخ صالح مثنى عامر ومحسن ناجي بن ناجي والشيخ فضل الشاعري وعلي عامر وأحمد مثنى قايد وقائد صالح ومحمد مانع صالح وعلي سعيد ناصر وقائد عامر وعثمان صالح فاضل وصالح محمد جرمل وشايف خالد أحمد وقاسم عبد الله وقاسم الحيدي ومحمد صالح المحرابي ومحمود عبد الله مثنى وآخرون.
- في عام ١٩٥٦ نفسه، شهدت قرية الثمير في بلاد القطيبي معركة كبيرة شارك فيها سلاح

(٣٠) ولد الشيخ محمد عسكر عام ١٩٢٠ في قرية السلفة بجبل جحاف، في الضالع، وتوفي في ٢٠ مايو ١٩٨٤.

الطيران والمدفعية والدبابات، وكان من أبرز نتائجها إسقاط طائرتي هوكر هنتر[٣١]، سقطت الأولى على مقربة من دار الشيخ محمود حسن القطيبي الذي دُمِّر الدور الثاني منه جراء قصف الطيران والمدفعية، ولاذت الطائرة الأخرى بالفرار والنيران تشتعل فيها وسقطت على مقربة من مدينة الشيخ عثمان في عدن.

## الحركة السياسية في عدن

في هذا العقد دخلت الحياة السياسية طور العمل المنظم، فقد ولدت في عام ١٩٤٩ «الجمعية الإسلامية» التي ضمت فئة من رجال الدين والمثقفين وبعض المتنورين الذين وجدوا في الإطار الإسلامي أسلوباً لمواجهة الإنكليز، غير أن هذه الوجهة تعثرت بسبب النفوذ المتزايد لرموز الجاليات الأجنبية فيها وفي قياداتها، كذلك أنشئ العديد من النوادي الثقافية والرياضية التي سيكون لها في المراحل المقبلة دور بارز في إعداد جيل الشبيبة للنضال الوطني القومي.

وفضلاً عن ذلك، واجه البريطانيون آنذاك ما أقلقهم حقاً، إذ بدأت الحركة السياسية في عدن تدفع إلى واجهة المسرح جيلاً جديداً من القيادات المتنورة، أغلبيتهم الساحقة من أوساط المثقفين والعسكريين والنقابيين ورجال الدين الوطنيين، وقد وحدّهم جميعاً الهمّ الوطني.

وإذ تنامت حركة المطالبة بالتحرر من الاستعمار في الجنوب، وقطعت نواة الحركة الوطنية شوطاً مهماً في تحدي المحتلين، انتقلت الحركة الوطنية في اليمن إلى التصدي للإمامة بخطوات بارزة عبر العمل المنظم، وذلك حين تأسس حزب الأحرار اليمنيين عام ١٩٤٤ في عدن بالجنوب. وكانت شعارات الحزب الداعية إلى إنهاء الحكم الإمامي السلفي تعبّئ مشاعر اليمنيين حول الحركة اليمنية الناهضة. وقد تأسست بعد مرحلة وجيزة في مدينة «إب» «جمعية الإصلاح» كامتداد لحزب الأحرار في عدن، وأصبحت بعد أشهر قليلة من تأسيسها

---

(٣١) طائرة هوكر هنتر، طائرة مقاتلة وطائرة هجوم أرضي بريطانية الصنع من شركة هوكر سايدلي تاريخ الصنع ١٦ مايو ١٩٥٣، الكمية المصنعة منها بلغت ١٩٧٢، وكانت أول تجربة طيران لها عام ١٩٥١، وتم استخدامها أثناء العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ من قبل القوات الجوية الملكية، كذلك استخدمتها القوات العراقية أثناء حربي عام ١٩٦٧ و١٩٧٠.

واجهة وطنية تتحدى الحكم، وتدعو إلى تحديث الإدارة والاقتصاد والتعليم وإصلاحها في اليمن (الشمال).

## تنسيق وخلاف بين حكم الإمامة والبريطانيين

من البديهي أن يثير هذا التنامي في النشاط الوطني المبكر قلق كل من الاستعمار البريطاني في الجنوب وحكم الإمامة في صنعاء، بل يثير رغبتهما في التنسيق لمواجهة الخطر المشترك المتمثل بالحركات الوطنية اليمنية، إذ تكشف المعطيات عن تنسيق وتعاون بين الطرفين يقضيان بأن يضيّق الإمام الخناق على القبائل الجنوبية المعارضة للإحتلال، ويشدد البريطانيون ضغطهم على الوطنيين المعارضين للإمام الذين وجدوا في عدن ساحة لنضالهم.

وتفضح «رسالة» رفعها وكيل وزارة الدولة البريطانية إلى وزيره حول لقائه «سكرتير مستعمرة عدن» حقيقة الأفكار المشتركة بين لندن وصنعاء، يقول: (...) فإن تغيير النظام ليس من المحتمل أن يكون مفيداً للمصالح البريطانية، ما دام اليمنيون التقدميون هم أيضاً قوميين ولهم أيضاً طموحات تحررية ووحدوية، وإن بعض اليمنيين المبعدين في عدن كانوا في ذلك الحين يتحدثون عن جنوب غرب الجزيرة العربية الموحدة الذي يشمل اليمن ومحميات عدن نفسها».

لكن في نهاية الأربعينيات - كما يرصد المؤرخ الكبير سلطان ناجي - كان هدف الإمام أحمد إثارة القلاقل على الإنكليز في الضالع والشعيب، ما يدفع المحتل البريطاني إلى استخدام القوة والبطش ضد كل من المنطقتين، وبعدهما اتجهت الأنظار إلى بيحان بفعل ازدياد نشاط الإنكليز في تلك الإمارة وتدعيم سلطة شريف بيحان بمواجهة قبائل المصعبين التي لا تعترف به. وفي إطار ردود الفعل على هذه الأحداث، أمر الإمام أحمد ببناء حصن في مقابل الحصن الذي شيده شريف بيحان باسم «نجد مرقد»، فزعم الإنكليز أن حصن الإمام شيّد في مناطق نفوذهم ببيحان وقاموا بدكه بالقنابل، ما دفع العلاقة بين لندن وصنعاء إلى التوتر الشديد الذي ألقى بظلاله على طول الحدود، حيث ازدادت حدة الصراع بين القبائل والوجود البريطاني من جهة، والقبائل والإمام أحمد من جهة أخرى، حتى توصل الطرفان

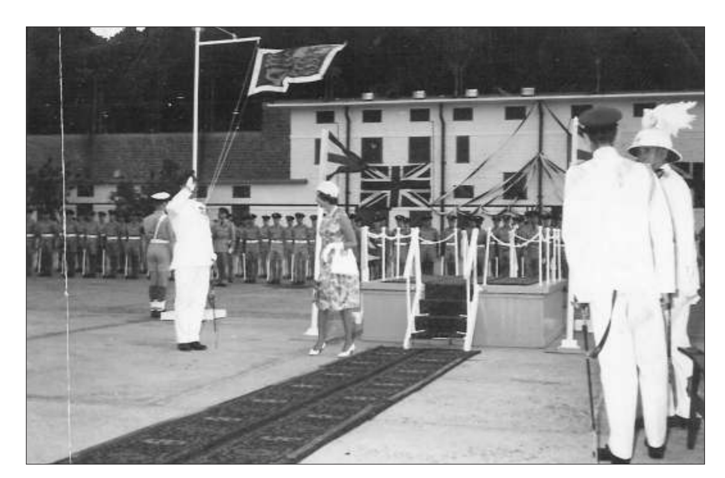
إلى مبدأ تسوية الخلافات، استغل الإنكليز خلالها اهتزاز سلطة الإمامة الجديدة بعد (اغتيال الإمام يحيى) وثورة ١٩٤٨، وإخمادها بقوة الحديد والنار.

توصل الإنكليز والإمام أحمد إلى اتفاقية ١٩٥١ التي ضمنت لهم ضرب مقاومة القبائل في المحميات، فانطلقوا فوراً لفرض سلطتهم المباشرة على كل من سلطنة لحج وسلطنة العوالق السفلى ومشيخة العوالق العليا وبلاد العوذلي. وفي صنعاء بلغ الصراع بين الإمامة والحركة الوطنية المعارضة والإصلاحية ذروته عام ١٩٤٨ حين أقدمت مجموعة من الوطنيين على اغتيال الإمام يحيى وفرضت عبد الله الوزير إماماً بديلاً منه، قبل أن يعود ولي العهد الإمام أحمد إلى السلطة في حركة مضادة، وسط حمامات الدم التي طاولت الوطنيين العسكريين والشخصيات السياسية ممن شاركوا في الثورة التي لم تصمد إلا خمسة وعشرين يوماً، وسيرد الحديث عنها لاحقاً.

وهكذا اختتمت أربعينيات القرن العشرين بـ«دروس قاسية» للحركة الوطنية في المنطقة، ولكنها ليست بلا فائدة... تلك الفائدة التي ينظر إليها في العادة من منظور التراكم الذي يصنع الأحداث ويحدد مسارها.

## زيارة الملكة إليزابيث لعدن

احتلت بريطانيا عدن في بداية عهد الملكة فيكتوريا ١٨٣٩، وقال عنها ونستون تشرشل: «إمبراطوريتنا تبدأ من أسوار عدن». وأصبحت في منتصف القرن العشرين إحدى جواهر التاج البريطاني وجوهرة الجزيرة العربية كلها، وكان اسمها يملأ الآفاق ميناءً مزدهراً وسوقاً حرة للجزيرة العربية والقرن الإفريقي وهمزة الوصل بين المستعمرات البريطانية في الشرق والغرب ورابع ميناء في العالم وأكبر قاعدة بريطانية في شرق السويس. وللأهمية الاستراتيجية والسمعة العالمية التي كانت تتمتع بها عدن، قامت الملكة إليزابيث مع زوجها في بداية عهدها بزيارة عدن عام ١٩٥٤، وكانت ضمن برنامجها لزيارة بعض الدول والمستعمرات البريطانية، واستقبلت استقبالاً حافلاً من قبل المندوب السامي البريطاني وسلاطين ومشايخ الجنوب الذين جاؤوا للقاء معها والسلام عليها وتقديم الولاء من مختلف المحميات، وقد نزلت في فندق الهلال Crescent في التواهي.






**مراسم استقبال الملكة إليزابيث في أبريل ١٩٥٤ بعدن**

وقد استقبلها حكام الجنوب استقبالاً حاراً في حديقة (بستان الكمسري) بالشيخ عثمان، وقد تزامن موعد وصولها مع موعد صلاة المغرب، فطالب بعض الحكام بأن يكون اللقاء بعد صلاة المغرب خلافاً للمراسيم الملكية البريطانية، ووافقت الملكة على تأجيل اللقاء إلى حين انتهاء الصلاة. وقال الشيخ فريد الصريمة ساخراً: إنها لن تنقض الوضوء، فهي تعتبر بمكانة والدتنا، وضحك الجميع. وعند وصولها والسلام على الحكام ومصافحتهم كانت ترتدي قفازين في كفيها، وعلّق الشيخ فريد الصريمة ساخراً أيضاً: أنتم رفضتم وهي لا تريد أن تلامس يدها أيديكم. منحت الملكة أثناء زيارتها وسام الفروسية للسيد أبو بكر بن شيخ الكاف، تقديراً

لدوره في تعبيد الطرقات بحضرموت، ولكنه رفض الانحناء باعتبار ذلك نوعاً من الركوع، واتُّفق على حلّ وسط يقضي بأن يوضع بموجبه كرسي أمام الملكة ويضع ركبته عليه ليبدو في صورة الانحناء[٣٢].

فندق كرسنت «الهلال»

وحصل مثل هذا الموقف قبل ذلك مع الملك إدوارد السابع أثناء زيارته لعدن، عندما طلب من السيد علوي بن زين بن علوي بن زين العيدروس مصافحة الملك وفق البروتوكولات الملكية البريطانية (مصافحة الملك مع الركوع)، وقد رفض ذلك لاعتباره مهيناً وخارجاً عن القيم والأعراف الإسلامية التي تحرِّم الركوع لغير الله تعالى[٣٣].

وكان الأمر ذاته قد حصل مع السيد عبد الله العيدروس الذي رفض الركوع للملك - الإمبراطور جورج الخامس الذي زار عدن عام ١٩١١ وهو في طريقه إلى الهند، وأُقيم له مهرجان احتفالاً بقدومه، وقد كرّم الملك جورج بعض الشخصيات، من بينها السيد عبد الله العيدروس، الذي رفض الانحناء كما كان يقتضي البروتوكول، وكما كان يفعل الآخرون من لندن إلى هونغ كونغ، بل تقدم يصافحه مصافحة الأنداد، فمنحه بعد ذلك لقب شمس العلماء بدلاً من ميدالية فارس - جسير- وتخلَّد ذكر السيد عيدروس وارتفع مقامه أكثر وأكثر[٣٤].



إدوارد السابع

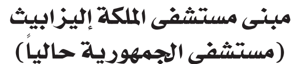
(٣٢) «المصدر: الشيخ محمد فريد».

(٣٣) المصدر: أبو بكر شفيق.

(٣٤) فاروق لقمان، صحيفة الأيام العدنية العدد ٥٢٠٢، ٢٠٠٧/٩/١٩ عام ١٩١١ السيد عبد الله العيدروس يرفض الركوع أمام الملك - الإمبراطور جورج الخامس.



تدشين الملكة إليزابيث الثانية لمجسم
لمستشفى الملكة أثناء زيارتها لعدن ١٩٥٤



مبنى مستشفى الملكة إليزابيث
(مستشفى الجمهورية حالياً)

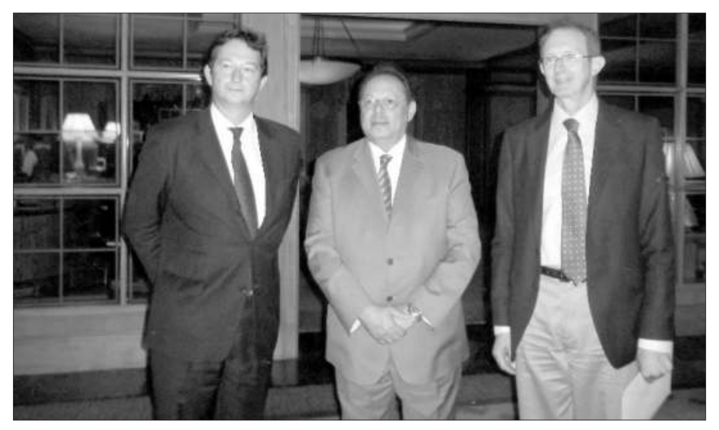
اثناء زيارة الملكة إليزابيث لعدن وضعت الحجر الأساس لمستشفى الملكة إليزابيث بخورمكسر في أبريل ١٩٥٤ والذي افتتح في أبريل ١٩٥٨ وأصبح اسمه في ما بعد مستشفى الجمهورية، كذلك شُيد تمثال «الملكة فكتوريا» في حديقة «التواهي»، وكان يُعَدّ حينذاك رمزاً للاحتلال البريطاني لعدن، ورمزاً للإمبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس. وقد حرصت الملكة أثناء تلك الزيارة على ارتداء الزيّ الشعبي العدني كنوع من الذكرى لهذه الزيارة.

وفي لقاء جمعني بالسفير البريطاني نيكولاس هوبتن، سفير المملكة المتحدة في صنعاء عام ٢٠١٢ في القاهرة على خلفية اجتماعاتهم مع المعارضة اليمنية في مصر، قال إن الملكة سمعت لأول مرة «أذان الفجر»، وعندما سألت عن ذلك الصوت قيل لها إنه المؤذن الذي يدعو الناس إلى الصلاة، وقد أُعجبت بصوت ذلك المؤذن. وقال لي إنه عندما عُيِّن سفيراً للمملكة المتحدة في اليمن، استشار صديقه السفير البريطاني في الولايات المتحدة، المولود في عدن، الذي بارك له تعيينه في هذا المنصب، وقد سمع عن



الملكة إليزابيث بالزي العدني

عدن من والده الطبيب البريطاني الذي كان يخدم فيها أيام الاحتلال البريطاني، وكذلك من الملكة إليزابيث التي ذهب ليستأذنها بالذهاب إلى اليمن، وقد أخبرته إنها زارت عدن عام ١٩٥٤، وإنها أُعجبت بصوت ذلك المؤذن الذي يدعو الناس إلى الصلاة فجراً.



**مع السفير البريطاني في صنعاء نيكولاس هوبتن القاهرة ٢٠١٢**

وفي ٢٨ أبريل ٢٠١٤ بعثت الملكة إليزابيث الثانية ملكة المملكة المتحدة رسالة إلى الشعب اليمني تذكره بزيارتها لمدينة عدن يومي ٢٧ و٢٨ أبريل عام ١٩٥٤، تقول فيها: «**في الذكرى الستين لزيارتي، لعدن، أبعث بأحرَّ تحياتي للشعب اليمني. لديّ ذكريات جميلة من زيارتي، ويسرني أن العلاقة الوثيقة بين بلدينا ما زالت مستمرة. وأود أن أعرب عن أطيب تمنياتي بالسعادة والأمن والازدهار للشعب اليمني**».






**من آثار النهب الذي طاول الفندق في أحداث حرب ٢٠١٥**

وبعد مرور ٦٠ عاماً (بتاريخ ٢٨ أغسطس ٢٠١٥) من زيارة الملكة إليزابيث لعدن والإقامة في فندق كريسنت، تعرض هذا الفندق التاريخي في ظل الفوضى التي سادت عدن وبعض المدن الأخرى عقب أحداث حرب ٢٠١٥ أو ما يعرف بعاصفة الحزم (بين ما يسمى قوات التحالف العربي بقيادة السعودية والمقاومة الشعبية الجنوبية في عدن من جهة، وقوات أنصار الله الحوثيين وقوات الجيش التابعة للرئيس السابق علي عبد الله صالح من جهة أخرى) تعرض هذا الفندق لنهب محتوياته كغيره من المنشآت، وبيعت محتوياته، ومن بينها مجموعة مؤلفة من كرسيين وطاولة، هي جزء من تراث هذا الفندق التاريخي، وقد جلست الملكة على الكرسيين في أحد الاستقبالات أثناء زيارتها. أبلغني أحد الأصدقاء أن الكراسي معروضة للبيع، وطلبت منه أن يشتريها ويحتفظ بها ويعيدها إلى الفندق بعد أن يسود الأمن والاستقرار في عدن. وفي ٢٢ يوليو ٢٠١٧ اتصل بي هذا المواطن الذي يحتفظ بالكرسيين والطاولة في منزله وأبلغني أن المحافظ عبد العزيز المفلحي اتصل به وطلب تسليم الكراسي ورددت عليه بألّا يسلّم هذه الكراسي للمحافظ إلا إذا تعهد كتابياً بأن هذين الكرسيين والطاولة ستعود إلى الفندق وإلى نفس المكان في فندق الهلال، لأننا في مرحلة أصبح كل شيء للبيع.

# الفصل الثاني

## عقد الخمسينيات العاصف وبداية النهوض الوطني الفاعل

شهد عقد الخمسينيات منذ بداياته تطورات سريعة على صعيد الوطن العربي. وافتتحت ثورة ٢٣ يوليو المصرية في عام ١٩٥٢ هذه الأحداث التي عززت النزوع العربي العام إلى الاستقلال والتحرر من الاستعمار، ثم انتقلت مبادئ الحرية إلى بقية الشعوب العربية التي لم تكن قد نالت استقلالها الوطني بعد، أو كانت ترزح تحت أنظمة حكم استبدادية. وتبع ذلك كمّ هائل من الأحداث والثورات (محاولة قتل الإمام عام ١٩٥٥)، (صفقة السلاح التشيكية والعلاقة مع الاتحاد السوفياتي وبناء السد العالي)، (تأميم قناة السويس)، (العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦)، (الوحدة المصرية السورية ١٩٥٨)، (الثورة الجزائرية ١٩٥٤)، (ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ في العراق)، (مؤتمر باندونج ١٩٥٦)، (قيام حركة عدم الانحياز). وكان القطران العربيان سورية ولبنان في مقدمة الأقطار العربية التي حصلت على استقلالها في ١٩٤٦، وكل هذا الكمّ من الأحداث التي ذكرتها، وتلك التي لم أذكرها، كانت علامات بارزة توحي بأن عقد الخمسينيات سيكون عقداً عاصفاً بحق. كانت خمسينيات الجنوب المحتل ملتهبة بالصراعات والأحداث هي الأخرى، إذ برز التطلع إلى الاستقلال والتحرر من بريطانيا. وأعتقد أنه إذا أراد مؤرخ ما أن يفكّ أسرار وعوامل ثورتي سبتمبر ١٩٦٢ وأكتوبر ١٩٦٣ وعواملهما، فعليه أن يتوقف ملياً عند لوحة الخمسينيات السياسية والاجتماعية، تلك اللوحة التي تشكلت من إرهاصات المعارك ونتائجها ضد الاحتلال البريطاني في الجنوب والإمامة في صنعاء من أجل التحرر من الاستعمار والانعتاق من الاستبداد، وصاغت ملامح الأحداث المقبلة ومواصفات القيادة الجماهيرية من بين جيل كامل انخرط مبكراً في النضال الوطني بأدنى ذخيرة إيديولوجية، ولكن بأعمق حب للوطن وارتباط بالجماهير وطموحاتها.

وعدا الرافد الشعبي للنهوض الوطني، فإن عوامل أخرى دفعت ذلك النهوض إلى ذُرىً جديدة ونوعية أهمها:

- ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ المصرية التي أشاعت نوعاً من الثقة في إمكانية التغيير وإلحاق الهزيمة بالاستعمار البريطاني وألهبت المشاعر القومية.
- تنامي النشاطات السياسية والثقافية في عدن، وتنامى حركة الأحرار في صنعاء وغيرها من المدن في المملكة المتوكلية اليمنية.
- أثرت النتائج التي تمخضت عنها الحرب العالمية الثانية بهزيمة النازية والفاشية وانتصار الحلفاء واندلاع الحركات الثورية في آسيا وإفريقيا وأميركا اللاتينية فى العمل بمستويات جديدة من التنظيم.
- بروز الاتحاد السوفياتي كقوة عظمى، وتزايد هيبته ونفوذه بعد انتصاره في الحرب على الفاشية والنازية، وكان له الدور الحاسم فيها، وتبنيه الرسمي والعلني لدعم حركات التحرر الوطنية على الساحة الدولية ومساندة الأنظمة المناهضة للاستعمار والإمبريالية.

ومن جملة العوامل الذاتية التي جعلت أعوام الخمسينيات عامرة بالكفاح النوعي في إقليم اليمن، تجارب دروس إخفاقات معارك الأربعينيات، واستيعاب الثوريين تجارب العمل الوطني بما رافقها من سلبيات وقصور ألحقت أفدح الأضرار بالحركة الوطنية. ولعل الاستنتاج المبكر الذي جرى التوصل إليه، هو التنظيم كضرورة وشرط، وكان هذا من أهم وأبرز الاستنتاجات التي أعطت نضال هذا العقد سمته الجديدة، بالإضافة إلى عدم وجود رؤية استراتيجية لتحرير الجنوب من قبل من قادوا تلك الانتفاضات الشعبية التي كانت تقاتل الإنكليز في جزر منعزل بعضها عن بعض، ما سهّل إخمادها والقضاء عليها.

## البحث عن الخلاص الوطني

كان الجيل الشاب، من أقراني، ملتهباً بالحماسة الوطنية والقومية... كنا نستمع إلى أولئك الرجال، ممن يكبروننا سنّاً ووعياً وتجربة ويسبقوننا إلى مصادر الأخبار والأسرار، وهم

يحدثوننا عن مآثر الثورة المصرية بتصفية النظام الملكي، وعن وقائع اندلاع الثورة الجزائرية المسلحة بوجه الاستعمار الفرنسي، ويروون لنا عنها ما أخذ صفة الأساطير عن نضال الأحرار الجزائريين، وفي مقدمتهم المناضل أحمد بن بلّة ورفاقه، والمناضلة الأسطورة جميلة بوحيرد التي أصبحت في ما بعد رمزاً لكل المناضلين والمناضلات في الوطن العربي، فضلاً عن سير المعارك التي خاضها الجيل السابق منذ الوجود البريطاني في عدن وجنوب اليمن تحديداً، وفي السنوات الأخيرة من العقد أصبح لاسم بور سعيد التي تحدت العدوان الثلاثي البريطاني الفرنسي الإسرائيلي سحر ثوري بيننا، وأضحت عنواناً للاعتزاز القومي، ومناسبة للبحث عن أفضل الطرق للردّ على الاستعمار البريطاني الذي شارك في العدوان على الشقيقة مصر، وعبّر عمال ميناء عدن عن تضامنهم مع مصر ضد ذلك العدوان بمقاطعة السفن البريطانية التي تدخل الميناء.

بمرور الأيام أصبحت القضايا التي تثيرها خطابات عبد الناصر وتعليقات إذاعة صوت العرب ومقالات هيكل والإذاعات الأخرى مادة للمناقشة والجدل بين الفئات المثقفة والمتآلفة، وكان الحديث يتمحور حول البحث عن طريق الخلاص من الاستعمار وحول الوحدة العربية وقضايا التقدم الاجتماعي، وقد اتخذت الأجوبة - أول الأمر - أشكالاً متفاوتة، ثم راحت تتعمق شيئاً فشيئاً بفعل الإحساس الطاغي بما يعانيه الشعب في ظلّ الاحتلال واستعدادات الجماهير المتنامية لخوض المعارك.

كان الإنكليز يمعنون من جانبهم في استفزاز مشاعر شعبنا بسلسلة من الاعتداءات المسلحة، ولا سيما الجوية، على مدن قعطبة وحريب، والجموع الآمنة قي قراها، بذريعة دعمها حركات التمرد في الجنوب المحتل. وانعكست تلك المشاعر لدى جيل الخمسينيات فيضاً من الرغبة في المقاومة من جهة، وتعاطفاً لا حدود له مع حركة التمرد والانتفاضات الريفية ومعارك المدن والنشاطات السياسية والاجتماعية المعارضة للإنكليز من جهة ثانية.

ومثلما سرت في أوصال الشبيبة رعشة ثورة يوليو المصرية ومآثر الانتفاضة المسلحة في الجزائر ومعارك بور سعيد، ألهبت ثورة تموز/ يوليو ١٩٥٨ في العراق، والوحدة بين مصر وسورية مزيداً من مشاعر الحماسة الوطنية والقومية، وسلطت الضوء مجدداً على جدوى التنظيم والتخطيط حين يتعلق الأمر بمواجهة المستعمرين والعمل على تحقيق أهداف الشعب.

منذ أوائل تلك السنوات - بدأت كما يبدو لي - المقدمات الجدية لعملية البحث عن طريق الخلاص من الاحتلال، وجرى تقويم ومراجعة النتائج السياسية للانتفاضات السابقة، وأصبح واضحاً للجميع أن الأسباب الكامنة لإخفاق تلك الهبّات الثورية التحررية هي افتقارها إلى التنظيم، وإلى الأداة السياسية التي تقودها وترسم أهدافها، وكذلك عزلة الواحدة عن الأخرى، بما يعنيه ذلك من غياب التنسيق بينها في فترة زمنية متقاربة، ما أعطى المستعمرين ذريعة لتشويه المعاني السامية للانتفاضات بتصويرها على أنها تمردات قبلية لا صلة لها بالموقف من الوجود الاستعماري ذاته.

## مصفاة عدن

نضجت خميرة الأربعينيات والخمسينيات في الجنوب المحتل بفعل خطوة «مهمة أقدمت عليها سلطات الاحتلال عام ١٩٥٤. حين أُنشئت مصفاة عدن[1] التي اشترك في بنائها أكثر من ١٢,٥٠٠ عامل ومهندس أوروبي وأميركي وعربي وهندي، هم الذين نقلوا الصخور والتراب والحديد والرمل والإسمنت، وبنوا المصفاة وبيوت المسؤولين والعمال، إضافة إلى بناء أول سوبر ماركت في عدن، بدأ العمل فيها في نوفمبر ١٩٥٢، واستمر حتى يوليو ١٩٥٤، وكلف بناؤها ما يقرب من ٤٥ مليون جنيه إسترليني، وقام بتشغيلها ١٨٠٠ عربي، و٣٠٠ إنكليزي لتكرير ٥ ملايين طن سنوياً.



مصفاة عدن: «المختبر» الكفاحي

(١) مصفاة عدن: استخدم في بناء المصفاة (١١٠,٠٠٠ طن من الصلب) و(٣٠,٠٠٠ طن من الإسمنت) و(١,٥٠٠,٠٠٠ طن من الصخور التي اقتلعت من الجبال) و( ٢,٠٠٠,٠٠٠يارد مكعبة من الرمل) و(٦,٠٠٠,٠٠٠ يارد مكعبة ضخت من الرمل لردم ٢٠٠ فدان).

وكان قرار إنشائها تدبيراً وقائياً لتوفير النفط وتخزينه وتصديره عقب اتخاذ مصدق[٢] رئيس وزراء إيران حينها، قرارات التأميم وإنهاء سيطرة الشركات الاحتكارية على الثروة النفطية الإيرانية. فتحت المصفاة أبوابها أمام آلاف العمال المنحدرين من أرياف المحميات، وكذلك من المملكة المتوكلية، وفتحت مدينة عدن أبوابها لعشرات الآلاف من الأُسر الفقيرة، ليخلق الاستعمار البريطاني بؤرة جديدة لمقارعته من التشكيلة الاجتماعية الجديدة التي أفرزت نواة الطبقة العاملة، وملامح دورها الطليعي في الأحداث اللاحقة التي ستتوج بعد سنوات باندلاع الكفاح المسلح المنظم من جبال ردفان. وقد تعرفت خلال زياراتي ولقاءاتي وعلاقاتي إلى عدد من العمال والفنيين في هذه المصفاة، أبرزهم: أحمد صالح الشاعر، محمد حسين أمذروي، محمد صالح عولقي[٣] أحمد علي العلواني، محمد هيثم علي، محمد عامر جحلان، أحمد ناجي، عبد الله مطلق، محيي الدين أحمد سعيد، وقاسم غانم، عبد الله علي عبيد، ناصر عمر الشيخ، وآخرين أسهموا لاحقاً في حركة القوميين العرب.

في ٢٩/ ١١/ ١٩٥٤ بدأ العمل في المصفاة بطاقة إنتاجية بلغت نحو خمسة ملايين طن من النفط الخام (مئة وواحد صهريج تستوعب نحو خمسة ملايين طن من النفط الخام) وقد ربطت الشركة المصفاة بمنشآت تموين السفن بالوقود في التواهي بواسطة أنابيب بلغ طولها ١٩ ميلاً لضخّ الزيت، وكانت شركة البترول البريطانية (عدن – المحدودة) قد قامت في عام ١٩١٩ ببناء منشآت لتموين البواخر بزيت الوقود في ميناء التواهي، وفي الستينيات من القرن الماضي وصل إنتاج المصفاة إلى ثمانية ملايين طن سنوياً.

---

(٢) مصدق: محمد مصدق ١٦ ونيو ١٨٨٢ – ٥ مارس ١٩٦٧، محام وبرلماني بارز قبل أن يصبح رئيساً لوزراء إيران في ١٩٥١ إلا أن المخابرات الأميركية – البريطانية خلعته في عملية مشتركة سُميت عملية أجاكس عام ١٩٥٣، أدخلت إدارته إصلاحات اجتماعية وسياسية واسعة مثل الضمان الاجتماعي وتنظيم الإيجارات واستصلاح الأراضي. ولكن يبقى تأميم صناعة النفط الإيرانية هي النقطة الأبرز في سياسة حكومته حيث كان البريطانيون يسيطرون عليها منذ ١٩١٣، إلا أن ذلك سبب في إزاحته في انقلاب عليه يوم ١٩ أغسطس ١٩٥٣ بعد إجراء استفتاء مزور لحل البرلمان، فقد طلبت المخابرات البريطانية مساعدة السي آي إيه في تنفيذ الانقلاب واختيار الجنرال فضل الله زاهدي ليخلف مصدق. فأسقطت الحكومة وسجن مصدق ثلاث سنوات ثم أطلق سراحه، إلا أنه أستمر رهن الإقامة الجبرية حتى وفاته سنة ١٩٦٧.

(٣) اعتقل بعد ذلك لمدة سنة وأفرج عنه في نهاية ١٩٦٦.

## سبعون يوماً من الإضراب

يكفي أن يتذكر المرء أن عمال المصفاة خاضوا عام ١٩٦٠ أوسع وأعنف إضراب عن العمل دام أكثر من سبعين يوماً من أجل حقوق العمل والضمانات الأخرى ووقف الاستغلال(٤). وكان قانون النقابات صدر عام ١٩٤٨، أما بروز الحركة النقابية وتشكيل النقابات واندلاع الإضرابات عن العمل في عدن فقد بدأ قبل سنين طويلة تعود إلى القرن التاسع عشر، غير أن عقد الخمسينيات شهد نُقلة كبيرة في مستوى التنظيم النقابي العمالي وفي وعي جماهير العمال لأهمية التنظيم والتضامن وربط النضال من أجل حقوق المعيشة بالنضال من أجل التحرير. وهذا لا يعني تجاهل حقيقة أن العمال بقوا حتى ذلك الحين فئة فتية وضعيفة

---

(٤) هذه كانت البداية، أما في ما بعد، فقد جرت تغييرات عديدة، ونذكر من بين من تولوا مناصب نقابية وأدوا دوراً نقابياً الأخوة الآتية أسماؤهم:

أعضاء نقابة عام ١٩٥٦/ ١٩٥٧.

١- علي عبد الله عبيد - رئيساً ٢- عبد الرحمن فاضل - نائب الرئيس ٣- محمد عبد الله القاضي - السكرتير العام، ٤- حسن قائد وهباني - نائب السكرتير العام ٥- عبد الله عوض باذيب - أمين المال ٦- السيد محمد سليمان - مشرف عام ٧- سعيد عبيد ضالعي - عضو إداري ٨- سالم حبيشي - عضو إداري.

اعضاء نقابة عام ١٩٥٧/ ١٩٥٨.

١- عبد الله علي عبيد - الرئيس ٢- عبد الرحمن فاضل - نائب الرئيس ٣- محمد عبد الله القاضي - السكرتير ٤- حسن قائد وهباني - نائب السكرتير ٥- أحمد سلطان مدهش - أمين المال ٦- إبراهيم محمد سعيد - مشرف عام.

أعضاء نقابة عام ١٩٥٨ / ١٩٥٩

١- عبد الله علي عبيد - الرئيس ٢- عبده محمد خليدي - نائب الرئيس ٣- محمد عبد الله القاضي - السكرتير العام ٤- علي عبد الله سعيد - مساعد السكرتير ٥- محمد عُباد الأمير - أمين المال ٦- السيد علي حسين العطاس - مساعد أمين المال ٧- محمد عبد الله النجار - مشرف عام ٨- عبد الجبار شاهر - عضو إداري ٩- عبد القوي الحميقاني - عضو إداري.

ونعدد هنا الشخصيات النقابية بالأخوة:

محمد عُباد الأمير، الحاج سالم ناصر، محمد عبد الله النهاري، أبو بكر صالح العولقي، الحاج أحمد جريبة، الحاج علي محمد، أحمد مجاهد، أحمد ثابت حيدر، محمود عبيد هويدي، فارع سيف أسودي، عبد الجبار أحمد حيدر، عبد الكريم عبده عبد الله، حسين سالم عوذلي، سالم عبد الله، عبد الوالي اسماعيل، علي سعيد موسواط، أحمد صالح الشاعر، محمد صالح العولقي، أحمد عبده جبلي، محمود عبد الله عشيش، أحمد محمد قعطبي، محيي الدين أحمد سعيد، خالد عبد الولي.

الانسجام، بسبب تفاوت الأصل الفئوي لجماهير العمال، وبخاصة حجم الأصول الريفية. وليس لنا أن نقصر المعاينة التاريخية على الجانب النقابي المهني الفئوي في نضال العمال، مع أن هذه الفئة، وهي على حالها من الحداثة والضعف البنيوي، أدت دوراً فاعلاً في إغناء نضال الحركة الوطنية وتعميق مضمون مواقفها وبرامجها السياسية.

في مطلع الخمسينيات من القرن العشرين تشكلت في عدن أول نقابة بالمفهوم المعروف للنقابة (وهي الأولى التي يجري تشكيلها في شبه الجزيرة العربية)، فكانت انعكاساً لتأثيرين مديدين:

- **أولهما**: التوسع الأفقي في حجم العمال المنتجين وجمهور الشغيلة، بعد ازدياد عدد المؤسسات والشركات وتوسيع الميناء وتكاثر المعامل والورش الصغيرة.
- **وثانيهما**: النشاط المنظم والمتنامي للهيئات والأحزاب والشخصيات السياسية.

لم تواجه النقابة التي سميت «اتحاد عمال وموظفي عدن» في بداية الأمر تضييقاً يذكر من قبل سلطات الاحتلال، بسبب علاقاتها المبكرة بـ«رابطة أبناء الجنوب» وبوضع قانوني يسمح بضبط النشاط النقابي، وكونه قد فرض على النقابة الانتساب، آنذاك، إلى «النقابات الحرة» العالمية دون أن يتمكن الاحتلال من الحيلولة دون انتسابها إلى الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب. على أن قبول الإنكليز بالاعتراف الشرعي بالنشاط النقابي، وحسن تعاملهم في عام ١٩٥٢ مع نقابة اتحاد عمال وموظفي عدن، كان محكوماً في الواقع بالمخاوف من اتساع التحرك العمالي الذي دشن هذا العقد بإضراب كبير في مرافق الميناء، شارك فيه بناؤون وشغيلة أبنية ومرافق مصفاة عدن يوم كانت قيد الإنشاء.

ومع تطور الصراع الاجتماعي ضمن قوانين المراكمة، وبفعل إمعان السلطات البريطانية في سياسة ترسيخ التجزئة ومواصلة محاولات إخضاع المحميات وقبائلها بقوة النار والحديد، ازداد عدد النقابات العاملة في عدن بين عامي ١٩٥٤ و١٩٥٦ إلى ٢٥ نقابة، تعبيراً عن انخراط قطاعات جديدة من العاملين، في ميدان العمل المنظم. وفي غضون بضع سنوات انتزع العديد من النقابات حق العمل القانوني[٥].

---

(٥) منها نقابة العمال والفنيين، نقابة عمال مؤسسة إنجلو إيرانيان كومباني، نقابة الموظفين المدنيين للقوات المسلحة، =

## تيارات ثلاثة

وعلى خلفية الصراع السياسي حول خيارات النضال الوطني والقضايا التي تواجه الحركة الثورية والهيئات السياسية، توزعت الجماهير العمالية ونقاباتها أول الأمر على ثلاثة تيارات، هي أيضاً التيارات السياسية في الشارع:

- التيار الموالي لسلطات الاحتلال الذي يدعو إليه قادة النقابات من ذوي «الياقات البيضاء»، ويستند بالدرجة الأساسية إلى بعض شرائح العاملين من مواطني الكومنولث وإلى أصحاب الامتيازات والمصالح المرتبطة بالإدارات الإنكليزية.
- والتيار الثاني هو الذي يتبنى شعارات محدودة الأفق تأثراً بالحركة السياسية الداعية إلى ترك «عدن للعدنيين».
- والتيار الثالث هو الذي يطرح وحدة الجنوب ويضع محاربة الاحتلال طريقاً لذلك الهدف، مع ارتباطه بشعار «الوحدة العربية» الذي يعني الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة.

منذ عام ١٩٥٤ وفي أجواء النهوض السياسي، شهدت عدن إضرابات عمالية عاصفة، وبخاصة في مصفاة البترول، حيث سحقت التحركات بمساعدة الجيش البريطاني، وعادت حركة الإضراب في أوائل عام ١٩٥٦.

ينبغي هنا عدم التقليل من شأن أولئك الأفراد الرواد الذين أوضحوا أبعاد الصراع الاجتماعي وكافحوا من أجل تعميق وعي الطبقة العاملة الناشئة فيه والمحدودة، بأن نضالهم لا يتوقف عند حدود العيش، بل ويشمل الحقوق الوطنية والقومية.

فها هو ذا عبد الله باذيب الصحافي الشاب الصاعد بقوة يدعو عام ١٩٥٥ في مقال بجريدة «النهضة» (العدد ٢٦٣) إلى هبّة كفاحية من أجل يوم جديد: «يوم ينتهي استغلال الإنسان لأخيه الإنسان. يوم لا يكون هناك سيد ومسود، وشعوب محكومة ودول أجنبية حاكمة،

---

= نقابة عمال المصافي، نقابة عمال شل، نقابة عمال كالتكس، نقابة عمال موبيل أويل، نقابة عمال أمانة ميناء عدن، نقابة عمال لوك توماس، نقابة عمال الملح، نقابة عمال محطات البترول، نقابة البنوك، نقابة المعلمين، نقابة عمال البرق واللاسلكي، نقابة عمال البريد والتليفون، نقابة عمال الخطوط الجوية، نقابة عمال حلج القطن، نقابة عمال البلدية، نقابة عمال الباصات، نقابة عمال المطابع.

ويوم لا تكون هناك سياسة مرسومة موجهة ضد عروبتنا وكياننا القومي، ويوم تزول سياسة توطين وتغليب الأقليات الدخيلة على الشعوب الأصلية»، في ذلك العام أعلن حزب الرابطة أنه يقف مع دولة «الاتحاد» المستقلة ومع إقفال الهجرة إلى البلاد، مؤيداً القومية العربية.

## ١٩٥٦ عام عدم الاستقرار

سيدخل عام ١٩٥٦، في سجل الوجود البريطاني في عدن والجنوب على أنه «عام عدم الاستقرار»، فقد شهد ذلك العام قيام «مؤتمر عدن العمالي» وسط حركة إضرابات عمالية بلغت ٧٢ إضراباً.

في آذار/ مارس من ذلك العام، كانت نقابات العمال المرخص لها قد بلغت أكثر من خمس وعشرين نقابة، وظهرت لدى الأوساط السياسية القريبة من الإنكليز ميول ومقترحات لتجميع هذه النقابات في هيئة سياسية واحدة تنظم عملها وتكبح نشاطاتها التي وصفت بالتطرف، ووجدت هذه الاقتراحات تفهماً سريعاً لدى الاحتلال، ومن قبل الشخصيات السياسية التقليدية التي أخفقت في ترسيخ أحزابها السياسية وفرضها على الشعب، وهكذا أُعلن قيام «المؤتمر العمالي».



مبنى المؤتمر العمالي في عدن

ومما أزعج الإنكليز، امتداد حركة الإضرابات والنشاطات العمالية الوطنية إلى ثكنات الجيش البريطاني، إذ شملت العمال الذين كانوا يخدمون في المرافق العسكرية، وأزعجهم أيضاً إلى حد كبير واقع انصهار رافد العمال اليمنيين المنحدرين من شمال اليمن أو الجنوب أو من الأرياف أو المدن، في بوتقة واحدة، بالإضافة إلى شريحة من العمال المهاجرين ومواطني دول الكومنولث.

وعبّر الإنكليز عن حجم استيائهم بما اتخذوه من إجراءات استفزازية للتمييز بين العمال، من طريق حرمان اليمنيين من أبناء المملكة المتوكلية اليمنية المشاركة والانتساب إلى العمل السياسي والنقابي، فاضطر «المؤتمر العمالي» إلى معارضة هذه الإجراءات وإلى خوض صراع مع سلطات الاحتلال اتسع ليمتد إلى الشارع السياسي كله.

وبصرف النظر عن الطبيعة المترددة لبعض قادة المؤتمر فقد استطاعت القاعدة العمالية أن تفرض عليهم سياسات ومواقف إيجابية، أبرزها التصدي للوجود الاستعماري في عدن والمحميات، وتسليط الضوء على الطابع العسكري لذلك الوجود، والدفاع عن حقوق العمال، بخاصة ما يتعلق بالإضراب ووقف التمييز، والتوسع في الشعارات والمطالب لتشمل حقوق العمال والمنتجين من خارج الإطار النقابي الدائم.

## صراع الأفكار والخيارات

كان عقد الخمسينيات إذاً مليئاً بصراع الأفكار والفئات والشعارات والخيارات:

- بين الشعب في الجنوب والإنكليز.
- وبين الشعب اليمني في المملكة المتوكلية اليمنية - كما سنرى - والإمامة (تنامي الحركة الوطنية، حركة الثلايا، التمردات العسكرية والقبلية).
- بالإضافة إلى الصراعات الأخرى بين مراكز النفوذ والفئات الاجتماعية، وبعض عواملها التي هي ذات بعد قومي.

وتلخص، هنا، إشارة في برقية المفوضية البريطانية بتعز إلى وزارة الخارجية في لندن في ٣٠/ ١٠/ ١٩٥٦، بعض ما جرى في تلك المرحلة، إذ يؤكد باعث البرقية الآتي:

- «أعتقد أن التوتر العام الموجود في الشرق الأوسط، وبخاصة ذلك الموجود في الجزائر أكثر منه في السويس، قد أصبح مؤثراً أيضاً هنا، حيث تزايد الشعور المعادي للغرب».

وفي برقية أخرى في أوائل كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٦ من المصدر نفسه:

- «إن هناك إشارات بأن كل شيء ليس على ما يرام على المستوى الداخلي:

أ- زاد الإمام من حرسه الخاص في السخنة بمجندين من القبائل الشمالية بدلاً من الجيش.

ب- وقعت محاولة ضد ولي العهد البدر في صنعاء...

ج- تقول الأنباء الموضوعية نسبياً إن عامل قعطبة الذي عُيّن حديثاً، وعشرين ضابطاً قد رفضوا الأوامر بإطلاق النار على الضالع، وتم سجنهم في حجة.

د- عملاء الأمير حسن يبثون الشائعات ضد الأمير البدر وليس ضد الإمام أحمد.

هـ- اليمنيون الأحرار الذين تظاهروا بأنهم انضموا إلى جانب الإمام، أخذوا - كما يقال - ينشرون أفكار اليمنيين الأحرار خلسة بمختلف الأماكن.

وحتى تكون الصورة اليمنية في عقد الخمسينيات واضحة، يجب استذكار الانتفاضة العسكرية التي قادها المقدم أحمد الثلايا في آذار/ مارس ١٩٥٥، إذ نجح في إطاحة حكم الإمام أحمد وفرض عليه التنازل للأمير عبد الله قبل أن تُحبَط الانتفاضة بعد خمسة أيام.

- أما الموقف البريطاني من هذه الأحداث، فقد عبّرت عنه رسالة (أي. بي. سي. صامويل) التي تمثل سياسة بريطانيا إزاء الأحداث اليمنية. وتشير الرسالة المرسلة في ٥/ ٤/ ١٩٥٥:

«في عام ١٩٤٨ لم نعترف بالإمام الجديد (الوزير) حتى تأكدنا أنه يسيطر على البلاد كلية (...) وخلال فترة الانتظار تلك فإنه واضح أننا كنا على اتصال دائم مع الأميركيين والفرنسيين والحكومة الإيطالية ومع أقطار الكومنولث (...) من الواضح أن الوقت الآن مبكر جداً لدراسة الاعتراف بالنظام الجديد (إمامة الأمير عبد الله)».

وفي الوقت نفسه تحرك المستعمرون نحو ترتيب أوضاع عدن بما يكفي لفرض هيمنتهم

التامة عليها وتحويلها إلى نقطة وثوب إلى الجنوب كله. ففي أوائل هذا العام، ١٩٥٦ عادوا فأحيوا مشروع الاتحاد، موحين - هذه المرة - أنها مبادرة من سلاطين الإمارات ومشايخها وعلى رأسهم شريف بيحان.

- خلال نهاية العقد كانت مكانة عدن قد ارتفعت في نطاق استراتيجية بريطانيا العسكرية، ولا سيما بعد أن تلقّى وجودها العسكري في كل من قبرص[٦] والعراق وكينيا[٧] والأردن والسويس ضربات شديدة أدت إلى تصفيته هناك، حتى إنه جرى الحديث آنذاك حول فكرة أن تكون عدن مقراً عاماً للقيادة العامة للقوات البريطانية في الشرق الأوسط، ارتباطاً بأهمية المنطقة بعد اكتشاف النفط في عدد من دولها. وفي هذا الإطار زار وزير المستعمرات البريطاني «اللورد سلوين لويد» عدن وتحدث في المجلس التشريعي عن أن لندن لا يمكن أن تتصور «أي تحلل جوهري من مسؤولياتها تجاه المستعمرة». ولم تمضِ سوى سنة واحدة على زيارة الوزير البريطاني حتى صدرت في لندن «الورقة البيضاء الدفاعية»، وفيها ورد أن «عدن تساعد في تحمّل مسؤولية الدفاع البريطانية في ما وراء البحار...».

## من المدينة إلى الريف

واصل التوجه الحتمي لعقد الخمسينيات مسيرته الصاعدة، وكان يعبّر حقاً عن تزامن أعمال المعارضة الوطنية للهيمنة البريطانية في عدن والمعاهدات التي فرضها الإنكليز على حكام المحميات الجنوبية، مع التحول الكبير في مستوى نضال الحركة الوطنية في صنعاء ضد حكم الإمامة.

نهاية الخمسينيات كانت فرصة لنا نحن القادمين للدراسة في دار المعلمين بعدن من المحميات (من بيحان، الضالع، يافع، المفلحي، أحور، العواذل، الفضلي) - وفي مقدمة هؤلاء محمد حسين ناجي من سلطنة العواذل الذي مات بعد ذلك في ظروف غامضة - أن نتحاور في أوضاع بلادنا، وقد شمل حوارنا الوجود الاستعماري في عدن والمحميات

---

(٦) كانت المعارضة بقيادة الأسقف مكاريوس وجريفاس (قائد حرب العصابات).

(٧) كانت المعارضة بقيادة الزعيم جومو كونياتا الذي أصبح في ما بعد رئيساً لكينيا.

والمعاهدات الجائرة التي فرضها الإنكليز على السلاطين والحكام والتي تمنعهم من حق الاتصال بالدول الأجنبية أو مراسلة أي جهة أجنبية دون استئذان الإنكليز أو التصرف بأراضي سلطناتهم. وبعض تلك المعاهدات كانت تخلو حتى من توقيعاتهم واستُبدلت بمكان علامة(X) التوقيع وتضمنت تحديد الرواتب التي يتقاضاها السلاطين من المحتل، وقد بلغ بعضها سبعة دولارات فقط في الشهر إمعاناً من الإنكليز في إيذاء الشعور الوطني. ويبدو أن حال الفقر والحاجة إلى مثل تلك المساعدات، على قلتها، قد أجبرتهم على قبول مثل تلك المعاهدات مقابل أجور متدنية.

حين كان الأبناء المتنورون يطّلعون على نصوص الاتفاقيات والمعاهدات، كان يختلج في صدورهم الغليان ومشاعر الاستياء والنقمة، فقد كانت وثائق غير قانونية، وهي أشبه بالصفقات التجارية المذلة. فإما أن تكون قد أُبرمت تحت الضغط والتهديد، أو اضطروا إليها تحت العوز والحاجة والرغبة في الحماية. كان الإنكليز يعمدون - لينتزعوا التواقيع - إلى إثارة الشقاق بين أفراد العائلة المهيمنة ليضمنوا التجاء المغلوب إليهم طلباً للمساعدة. ويضمنون أيضاً ابتزاز الغالب مخافة أن يقفوا ضده ويسهلوا إزاحته، وهذا ما حصل مثلاً مع مشايخ الصبيحة والعواذل والفضلي... فإن لم يضمن الإنكليز اختراق صفوف القبيلة الواحدة، فهم يعملون على إثارة القبائل والإمارات بعضها على بعض وصولاً إلى فرض المعاهدات المجحفة، كما حصل لإمارة الكسادي الحضرمية وجارتها السلطنة القعيطية، إذ لم يتورع الإنكليز عن تثبيت فقرات هي غاية في الإذلال ضمن المعاهدات المكتوبة، مثل «رغب الطرف العربي في وضع نفسه تحت حماية بريطانيا وفي بيع جزء من أراضي بلاده»، أو أن الشيخ أو السلطان «قبل الحماية وتعهد بالخضوع والطاعة لبريطانيا وحماية الطرقات مقابل مبلغ من المال...» وكان الجهل والفقر والعجز والبقاء في الحكم والعزلة والحروب آنذاك تجعلهم يقبلون بذلك.

عقدت بريطانيا مع المشايخ والسلاطين عام ١٨٨٨ طائفة من الاتفاقيات بلغت أكثر من عشر، ومضت في فرض العديد من الاتفاقيات بعد جلاء الأتراك عن المنطقة، غير أنه منذ منتصف الأربعينيات من القرن العشرين اندفعت سلطات الاحتلال إلى تجديد تلك المعاهدات بإضافة قيود أخرى تتضمن مثلاً: «على الطرف العربي المتعاقد أن يتبع مشورة ورأي والي عدن أو أي ضابط منتدب من طرفه في كافة الأمور».

وحفل سجل الاحتلال البريطاني للجنوب بكثير من الممارسات غير الإنسانية، وليس هناك وثائق تبرز عدم الإنسانية أكثر دلالة من تلك «المعاهدات» التي بقيت شاهداً على استباحة المحتل أبسط حقوق السيادة المكفولة للشعوب بموجب الأعراف والشرائع[٨]. وهكذا أصبح الجنوب مقيداً بمعاهدات ظالمة تكبله كله بقواعد عسكرية وارتباطات تخدم بريطانيا لمدة طويلة غير محددة، إذ لا يحق للسلاطين الذين وقعوها الإخلال ببنودها، فضلاً عن الانفكاك منها ما لم يفرج عنه الطرف الآخر الأقوى، وهو هنا بريطانيا العظمى.

وقد حرصتُ الإشارة إلى هذه المعاهدات ليأخذ القارئ فكرة عن واقع الاحتلال والمشاعر التي ترسخت لدى شعبنا ووعي جيلنا الشاب وحتى بعض السلاطين والمشايخ الذين تمردوا في الأخير عليها وخرجوا عن طاعة الإنكليز، وكان السؤال الذي واجهناه في تلك المرحلة هو: ما العمل؟!

سرعان ما انتقلت إرهاصات الوعي المبكر لدى الجيل الشاب، إلى دائرة أوسع من الشعب، وراحت تتجاوز المدن إلى الريف، فتؤثر في وجهة أعمال التمرد القبلي وتساعد على تطويق

(٨) ترك الإنكليز نحو تسعين اتفاقية ومعاهدة، نذكر منها: المعاهدة التجارية الأولى مع سلطان لحج في القرن الثامن عشر، معاهدات الحماية للحفاظ على طرق المواصلات، معاهدات جمركية مع سلطان لحج، معاهدة الزايدة لتنظيم الرية، معاهدة مع الصبيحة لإقامة العلاقات، معاهدة شراء أراضٍ في لحج، إتفاقية الحدود بين العبادل وأهل فضل، معاهدة الصداقة مع سلطان العوالق السفلى، معاهدة مع القعيطي للإشراف البريطاني، معاهدة حماية مع سلطان سقطرى، اتفاقية مع أمير الضالع لتأمين الطرقات، اتفاقية شراء أراضٍ من شيخ العقارب، معاهدة الحماية مع سلطان العوالق السفلى، اتفاقية تنصيب سلطان الحواشب، معاهدة حماية مع الحوشبي، مع شيخ عرقة، مع شيخ حورة الدبيني، مع الواحدى، مع الواحدي (بلحاف)، مع القعيطي، مع قشن، مع العوالق السفلى، مع العقارب، مع أهل فضل، مع العواطف، مع الرهمي، مع الواحدي في بلحاف (مرة أخرى)، مع العلوي، مع يافع السفلي، مع عرقة (بعد أربع سنوات من الأولى)، مع حورة، مع قبيلة الضبي، معاهدة امتياز مع قبيلة الموسطة، مع قبيلة المفالحة، مع الحضارم، معاهدة طاعة مع شيخ الشعيب، معاهدة حماية مع الشيخ محسن اليسلمي العولقي، معاهدة مع قبيلة الشعيب، معاهدة مع قبيلة الشيخ الشريف أحمد بن بيحان القصنا، معاهدة مع سلطان العوالق العليا، معاهدة مع أمير الضالع، اتفاقية مع الواحدي حول إنقاذ السفن الغارقة، معاهدة حماية مع الواحدي (مرة ثالثة)، اتفاقية الرجاعية مع سلطان العبادل لتأمين الطرق، اتفاقية امتياز مع أهل قطيب، معاهدة بين القعيطي والكثيري لإدخال الكثيري في الحماية البريطانية، معاهدة حماية مع الكثيري، معاهدة استشارة مع سلطان لحج.

مظاهر الاقتتال ومحاولات المستعمرين لإثارة الفتن. ولعل هذا يفسر لنا لماذا تعمقت حركة المعارضة التي شملت القبائل في الجنوب، بمضامين وطنية مبكرة، واتخذت طابعاً من الحدة والعنف والدعوة إلى التحرر الناجز.

## انتفاضة الربيزي والصبيحة

شهدت منطقة لحج انتفاضة واسعة لقبائل الصبيحة، رداً على الفتنة الإنكليزية بإثارة الاقتتال وفرض تنصيب فضل بن علي سلطاناً، رغماً عن إرادة السكان بعد نفي السلطان علي عبد الكريم إلى مصر وهروب قائد حرسه يحيى حرسي الذي التحق بالحرس الملكي المتوكلي، وزواج وليّ العهد البدر بابنته التي أنجب منها ما يُسمى اليوم إمام اليمن الجديد، والمقيم في جدة. كذلك هبّت ضد الإنكليز في السنوات الأولى لعقد الخمسينيات قبيلة الربيزي بمشيخة العوالق العليا للتخلص من نظام الاستشارة... لكنها كانت انتفاضة «مغدورة»، لأن نصيبها من الحديث والتسجيل في وثائقنا التاريخية المعاصرة قليل ونادر، ولا أعتقد أن ذلك يعود إلى قلة المصادر والمعطيات ولكنها للأسف الشديد - بسبب ضيق الأفق الذي ورثناه عن البعض في الفريق القيادي الأول حيث كان يتعمد تجاهل الانتفاضة لأنها حظيت بدعم وتأييد حزب رابطة أبناء الجنوب العربي وتأييده، ما لا يصح معه حسب ذلك المنطق الجائر إنصاف الانتفاضة مخافة أن يشمل الإنصاف الرابطة نفسها.

## شيوعي بدون شيوعية!

سمعت الكثير، وقرأت القليل عن انتفاضة الشيخ علي معور الربيزي التي أُطلق على ثوارها صفة «الشيوعيين» في وقت كان الحديث فيه عن الشيوعية - قبل استشراء الخلاف بين الرئيسين عبد الناصر وخروشوف في الستينيات - يعني الحديث عن المتمردين على النظام والخارجين على القانون، وعن قطّاع الطرق واللصوص والإرهابيين! وكان البريطانيون يروِّجون لهذه



**الشيخ علي معور الربيزي وإلى جانبه عامل الإمام في البيضاء**

الصفات ويوردونها في إعلامهم. أما لدى الإنسان العادي في الجنوب، فإن «الشيوعية» كانت تعني الهروب إلى اليمن أو الجبال في حالة الخلاف مع السلطة أو مع الأسرة، أو حتى بسبب الخلاف بين الزوج وزوجته، أو في نطاق الخلافات على الأرض، أو بنتائج أعمال الثأر والانتقام أو القتل، ما يتطلب ترك القاتل قريته أو منطقته!

وهكذا يبقى المواطن الهارب «شيوعياً» حتى تجري تسوية أسباب هروبه. أما من وجهة نظر الحركة الوطنية فإن «الشيوعية» تتجاوز تسميتها «الحزبية» لتصبح عنواناً للانتفاضة ومقاومة الاستعمار، وإن مَن يطلق عليهم اسم «الشيوعيين» هم المطلوبون للسلطات وقوات الاحتلال، وهم الذين يلجأون إلى الجبال أو اليمن - كما سبق - تجنباً للوقوع بأيدي الأعداء، مثلما حدث في حطيب ومكيراس وجبال الكور.

تقع «حطيب» موطن الشيخ علي بن صالح معور الربيزي، في الشمال الشرقي لولاية دثينة، وغربي المرازيق في سلطنة العوالق العليا (نصاب) وشمال عبدان (آل دغار) جنوب الجعادنة (من الفضلي) وهي وادٍ يرتوي من سلسلة جبال الكور، ويمتد شمالاً ليصبّ في وادي نصاب... يُزرَع فيه القمح والذرة والبطاطس ويُنتج العسل.

ومنذ أن اختير علي معور رئيساً أو شيخاً لقبيلته في (العوالق العليا) تعرض لضغط كبير من الانكليز للقبول بمعاهدة «الاستشارة» - التي أشرت إلى كونها مذلة وغير مقبولة - لكن بعض مشايخ العوالق العليا كانوا قد قبلوا بها قبل ذلك.

في عام ١٩٥٣ بلغت الضغوط الاستعمارية ذروتها على الشيخ علي وآل ربيز للتسليم للحكم البريطاني، وشُقّ طريق يدعى طريق الرُّقب يربط مناطق العوالق وبيحان، وقد وقفت القبيلة ضد هذا المشروع الذي يهدف إلى السيطرة على وادي حطيب وإقامة مركز حكومي بريطاني في حطيب، وحاولوا فرض نظام ضرائبي جائر على المواطنين، قائم على أن يقدّر مندوب السلطنة محصول الحبوب وهو ما زال في سنابله، وهو نظام لم تعرفه منطقة العوالق. تقدمت قبيلة الربيزي إلى السلطات بطلب إلغاء هذا النظام، ولكن دون جدوى، وانتقلت الضغوط في مطلع عام ١٩٥٤ إلى التهديد بالقوة العسكرية. وفعلاً تعرضت حطيب مركز قيادة التمرد للقصف المدفعي، إذ طاول منزل الشيخ علي معور[٩]، وقُتلتْ والدته وعدد من أفراد أسرته،

(٩) توفي عام ١٩٥٤.

فاضطر معور إلى أن يلجأ مع مجموعة من أنصاره وذويه إلى سفح الجبل والحراج، ومن هناك بدأ ينظّم أعمال المقاومة والتعرض لقوات الاحتلال التي زحفت إلى شعاب المنطقة، واستمرت المعارك والمناوشات غير المتكافئة نحو عشرة أيام، وكان يصعب على ثوار ربيز الاستمرار بقوتهم المحدودة وذخيرتهم المتناقصة أكثر من ذلك.

لجأ الشيخ علي معور وثوار آل ربيز إلى المملكة المتوكلية، واتصلوا بمحمد بن عبد الله الشامي عامل الإمام في البيضاء آنذاك، سعياً إلى الحصول على مساعدة الإمام أحمد لمواجهة الغزو البريطاني لمنطقتهم، فلم يحصلوا إلا على كميات بسيطة من العتاد والسلاح عادوا بها إلى منطقتهم ليقاتلوا بشراسة نادرة، صمدوا خلالها أمام القصف الجوي والعمليات البرية والمدافع أكثر من ثلاثة أشهر، إلى أن دبرت المخابرات البريطانية مؤامرة غادرة لقتل قائد الانتفاضة الشيخ علي معور بالسُّمّ بعد تسريب أحد عملائها إلى حيث يقيم المقاومة ويقودها[١٠].



**سالم علي معور ابن الثائر علي معور الذي قاد انتفاضة الرُّبيزي في عام ١٩٥٤ وتعرضت حطيب موطن الشيخ معور والقرى الأخرى لقصف بالطائرات والمدفعية في معركة غير متكافئة ولكن قوات الاحتلال وعملائها انهزموا وانسحبوا.**

لم ينته التمرد بموت قائد الانتفاضة، فقد واصل أبناؤه المقاومة وأبدوا إقداماً في حمل راية الشهيد، وأجبروا في نهاية الأمر قوات الاحتلال على الانسحاب والرحيل من منطقة «آل ربيز» بعد أن خسرت كثيراً من أفرادها وسلاحها.

في عام ١٩٥٥ انسحبت القوات البريطانية مضطرة من منطقة حطيب، ولكنها أبقت المنطقة هدفاً لغاراتها اليومية الوحشية حتى عام ١٩٥٩ حين شنّت حملة جديدة في اتجاه المنطقة، ونجحت في إخضاعها بالقوة وفرضت على الثوار الانسحاب إلى البيضاء.

---

(١٠) استشهدت والدته في الحصن وهي أول شهيدة في حرب التحرير.

عند وصول الشيخ وابنه سالم وبعض من آل الربيز إلى البيضاء استقبلهم النقيب محمد بن صالح الرويشان ورحب بهم وسأل عن أخبارهم وردّ عليه الشاعر ابن قدرية قائلاً:

**جـابـت بريطاني ثنعشر طايره**
**ترمي على سالم علي بأس العّول**
**ظـلالـهـا عــاكــور فــي جــو السما**
**ساعة سواء ترمي وساعة في شَول**
**يــا نــائـب البيضاء عليك التاليه**
**ما يقرع الدولة ســوى رمــي الـدول**
**دقــوا فــيَ البرقية واحـكـوا للملك**
**لا شــي مـعـه قــوة قـويـة للعمل**
**ما احنا شعو قدنا في الربع الخلي**
**نلعب على صوت المشوَك والزمل**
**نشرب مشنجل من سريعات العجل**
**ذي صاب سالم والرباعه والجبل**

وقال أحد شعراء الربيز أيام انتفاضة الربيز محذراً الطائرات البريطانية التي استخدمت لقمع انتفاضة الربيز:

**يــابــو جناحين أرفــعـي عمرش**
**مــن ضـــوع مـعــور لا يــوطـونـش**
**بــا يـكـرفـونـش فــي لـجـى مرنة**
**مــا شـــي تـخـاتـر بــا يــداوونـــش**

أجد في وقائع هذه الانتفاضة الباسلة كثيراً من الدروس والعبر، وعدداً من مناقب شخصية، المناضل علي معور الربيزي الذي أتقن الفن العسكري والحوار السياسي، مع أنه كان أمياً محدود الثقافة، ولكنه كان يملك حكمة الشيوخ وصلابة المنطقة وطبيعتها. وهناك واقعة تستحق أن أشير إليها، هي واقعة لقائه مع النقيب محمد بن صالح الرويشان في البيضاء، الذي أبلغه بموافقة الإمام على منحه بعض المساعدات (التي رآها غير كافية كما أسلفنا

سابقاً) بقوله: «خذوا هذه ومعكم الله والنبي»، فردّ الشيخ الربيزي: «إن الله امتحننا بهم فهم يرموننا بالطائرات[١١] من فوق والرسول (ص) قد مات مظلوماً من الكفار»، وأضاف: «إننا سنقاتلهم حتى يبتسم الرسول في قبره».

## زيارة حطيب وبندقية الثائر

- حرصت في كلمة لي، أذكر أنني ألقيتها في عام ١٩٨٣، أن أعيد إلى الذاكرة روح التحدي التي كان يملكها الثائر الربيزي، وأكدت شجاعته بالقول: «**وبن العور قال ما بانسلم قط، ولو نفنى من الدنيا كلنا**». وحاولت ردّ الاعتبار لهذا الثائر وانتفاضة آل الربيز في كلمتي تلك وسط جماهير مركز حطيب، وكنت أعني ذلك وأقصده، إذ جرى على مدى طويل تجاهل هذه الانتفاضة الوطنية من قبل إدارتنا السياسية، وتجنب زيارة المنطقة الشديدة الضيق، وهي أن ثورة آل ربيز حظيت بدعم حزب رابطة أبناء الجنوب وتأييده، دون أن نعي أن الرابطة كانت التنظيم السياسي الوحيد الذي اضطلع في مطلع الخمسينيات بالتعبير عن المطالب الوطنية قبل بروز تنظيمات أخرى كبرت في ما بعد، وتطورت مع الوقت، واتسع نشاطها ليشمل ساحة النضال الوطني. وكان العديد من قياداتها والشخصيات الوطنية فيها وفئات من المواطنين أصلاً أعضاءً في حزب الرابطة.

كنت أول رئيس يتفقد مركز حطيب، وأذكر أنني تسلمت خلال الاحتفال، وفي ظل الحماسة الشعبية بندقية الثائر الوطني ابن معور من أحد المواطنين الذين شاركوه الانتفاضة هدية منه لي، وقد أحسست لحظتها بأنه يهديني قطعة غالية وعزيزة على قلبه، ويسلمني أمانة تاريخية، وذكريات غالية لا تقدَّر بثمن، وقد قدمت لذلك المواطن بندقية آلية كلاشينكوف تقديراً وتكريماً لثورة الربيزي وقادتها الأبطال، حصل ذلك بعفوية أمام الجمهور الذي صفق طويلاً لذلك المشهد.

---

(١١) قال الشاعر سالم صالح:

بر صالح أحمد جاك يا الشامي — قالوا يبوني أكفرونا إسلامي
عشـريـن طـيـارة تقنبلنا — واسقت بلدنا من قلم حامي



وأذكر أيضاً أنني قابلت في عام ١٩٦٩، وكنت حينها وزيراً للإدارة المحلية، سالم نجل الثائر الوطني علي معور، وذلك على طريق الري خلال افتتاح الطريق برعاية رئيس الوزراء، حينها ألقى المرحوم محمد علي هيثم كلمة بالمناسبة. وبهذه المناسبة قال الشاعر الشعبي جازع مسعود الأبيات التالية التي لم يكن يقصد بها رئيس الوزراء محمد علي هيثم بقدر ما كان يحذّر من أن تنشأ هوّة بين المسؤول والمواطن:

**يابن علي هيثم وزيـر القومية(١٢)**
**لا تلبسون الكوت(١٣) والبدوي جرم(١٤)**
**شف قد لبسها جرجرة من قبلكم(١٥)**
**واليوم يـدرج بين مكة والـحـرم(١٦)**

- كتب السير «كينيدي ترافسكس» المعتمد البريطاني في عدن آنذاك في كتابه ظلال الكهرمان (Shadows Of Amber) عن وقائع المعارك مع آل ربيز قائلاً: «كان أمامنا خياران، فإما أن نبعث لهم قوات تأديبية عسكرية بين حين وآخر، وإما أن نشنّ عليهم حرباً شاملة لإخضاع المنطقة ونجعلهم تحت سلطتنا. وقد رأيت في الاختيار الثاني الحل الصحيح (...)»، ثم يقول: «يظهر أن كل شيء قد سار سيراً خاطئاً، فسرعان ما أصبحت قوة الحرس الحكومي مصيدة لرصاص آل ربيز...». وكان الشعب يتابع بتعاطف وحماسة مجريات هذه الحركات، وكانت إذاعة «صوت العرب» المصرية تتابع وقائعها على أنها حركة تحرير وطنية، فيما شهدت عدن حملة تضامن مع القبائل المتمردة وتظاهرات احتجاج ضد عمليات الانتقام البريطانية، وقد عمّت صنعاء ومدن المملكة المتوكلية اليمنية حركة إدانة

---

(١٢) يقصد بها الجبهة القومية، الحزب الحاكم في الجنوب.
(١٣) الكوت: المعطف.
(١٤) جرم: الجزء العلوي من الملابس الداخلية.
(١٥) المقصود به عبد الرحمن جرجره الذي كان وزيراً قبل الاستقلال.
(١٦) يشير إلى خروج جرجره إلى السعودية.

واسعة لتواطؤ حكم الإمامة مع الإنكليز، وضد اتفاقية ١٩٥١ التي وُقِّعت بين الجانبين وأعطت المستعمرين فرصة القمع للقبائل وفق مشيئتهم.

## انتفاضة آل رشيد (سلطنة الواحدي)

قررت بريطانيا تثبيت وجودها في المحميات الشرقية، فزار المستر إنجرامز[١٧] المستشار البريطاني في المحميات الشرقية بتكليف من الحاكم البريطاني في عدن المستر برنارد رايلي[١٨] تلك المناطق لتثبيت الوجود الاستعماري فيها، وأجرى مسحاً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً لتلك السلطنات في ما عرف بسياسة التوسع إلى الأمام، ومن المناطق التي شملتها زيارته مناطق وقرى سلطنة الواحدي في عزان وبالحاف وبئر علي، تمهيداً لربط السلطنة الواحدية بمعاهدة الاستشارة البريطانية.

ولتحقيق سياسة بريطانيا الجديدة دعا «إنجرامز» إلى عقد صلح بين قبائل المنطقة عُرف بـ (صلح إنجرامز) مدته ثلاث سنوات ١٩٣٧- ١٩٤٠، إدراكاً منه أنه لا يمكن تثبيت الوجود البريطاني نحو الداخل دون وجود الأمن والاستقرار في منطقة تعاني من الصراعات والحروب القبلية، وخاصة صراعات قبيلتي آل رشيد، وآل العظم، مع سلطنة آل أحمد بن هادي الواحدي في عزان وبالحاف وعدم اعترافهما بسلطنته.

رفضت القبيلتان (صلح إنجرامز) لأنهما رأت فيه أنه يشتّت سلطنة آل العظم في الساحل الغربي، ونظراً أيضاً لصراعهم الطويل مع آل أحمد بن هادي الواحدي، وعلى أية حال فإن

---

(١٧) أنجرامس: ولد، عام ١٨٩٧ في مقاطعة شروبشاير الإنكليزية، وصل إلى عدن عام ١٩٣٤ وتقلد منصب مسؤول الشؤون السياسية، وتوفي في ٩ ديسمبر عام ١٩٧٣، أما دورين إنجرامس فقد توفيت في ٢٥ يوليو ١٩٩٧. قاما بأول زيارة إلى حضرموت في الفترة ١٩٣٤ – ١٩٣٥ بغية دراستها والتعرف إلى المساعدة التي يحتاجها السكان، توجها بتقريره هما الرسمي المعنون تقرير المستعمرات ١٢٣: تقرير عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في حضرموت ١٩٣٦.

(١٨) يقول: في خريف ١٩٥٦ أثارت الأحداث في مصر اهتماماً كبيراً في عدن والمحميات، فقد استاء العرب من العدوان البريطاني والفرنسي على مصر عام ١٩٥٦. وإن القومية العربية تسيطر على جنوب الجزيرة مثلما هي مسيطرة على بلدان الشرق الأوسط وفي عدن ومحمياتها، ويقول: في يونيو غادر يحيى حرثي قائد قوات لحج إلى اليمن واصطحب معه ٣٠٠ من أفراد الجيش النظامي والحرس القبلي ومعدات عسكرية سحبها من مخازن الجيش بناءً على إرادة السلطان علي عبد الكريم.

الهدف من وراء ذلك الصلح لم يكن حلّ النزاعات القبلية أو المشاكل الاجتماعية بقدر ما كان القصد منه توفير الأمن والحماية للاحتلال وتثبيت حكم السلطنة الواحدية في المنطقة التي كانت قد ارتبطت مع بريطانيا بمعاهدات حماية واستشارية، وهو ما رفضته قبائل آل رشيد وآل العظم، وقد رفض آل رشيد أيضاً محاولات بريطانيا لجعل هضبة الريدة التابعة لهم مطاراً عسكرياً لبريطانيا.

اعتبر البريطانيون هذا الرفض حجر عثرة أمام سياستها الجديدة في المنطقة، وقد تطور الصراع بين آل رشيد في عام ١٩٣٩ وآل عبد الواحد الذين تساندهم بريطانيا بعد سيطرة الأولى (آل رشيد) على خط القوافل التجارية القادمة من ميناء بالحاف، ما أفقد الثانية (الواحدي) الدخل الذي كانت تحصل عليه من الضرائب.

في البداية جرب أنجرامس سياسة (الجزرة)، فعرض على القبيلتين (آل رشيد وآل العظم) ألا تكون للسلطان الواحدي عبد الله بن محسن الواحدي أي سلطة عليهما، وأن تُعامَلا ككيانين مستقلين يرتبطان مباشرة ببريطانيا، مقابل فتح الخط التجاري والدخول في طاعة بريطانيا، لكنهما رفضتا ذلك.

هنا لجأ إنجرامز إلى سياسة العصا بعد فشل سياسة الجزرة، فمنع القبيلتين من دخول المدن والأسواق التجارية في شقرة، وعدن، والمكلا، وعزان، وبئر علي، بالاتفاق مع الإمارات والسلطنات المجاورة، ومنعهما أيضاً من شراء حاجاتهم من تلك الأسواق، وهو ما يُعرَف اليوم بسياسة «الحصار والمقاطعة الاقتصادية».

وعندما فشلت سياسة الحصار في تطويع القبيلتين، شرعت بريطانيا بقصف قرية الريدة لمدة ثلاثة أيام، بدءاً من ١٧ نوفمبر ١٩٣٩، ونتج من القصف هدم عدد من المنازل وحرق المحاصيل ونفوق الثروة الحيوانية. وأمام كثافة القصف وحصار الريدة، وفرضت بريطانيا شروطها القاسية عليهم، ومنها: حبس ثلاثة من أفراد القبيلة في سجن المكلا ضماناً لعدم اعتداء آل رشيد على بريطانيا، وأن يدفعوا لها ٢٠٠٠ ريال ماريا تيريزا(*)، وخمسين بندقية، و١٥٠٠ طلقة من الرصاص، و٣٠٠ رأس غنم.

---

(*) تالر ماريا تيريزا يُعرف أيضاً باسم الريال النمساوي أو دولار ماريا تيريزا، وهي عملة فضية سُكَّت عام ١٧٤١ وسُمّيت باسم الملكة تيريزا التي حكمت النمسا وهنغاريا وبوهيميا من عام ١٧٤٠ إلى عام ١٧٨٠ .



**المستر إنجرامز المستشار البريطاني في المحميات الشرقية**

## انتفاضة قبيلة بلحارث في بيحان[١٩]

ترجع أسباب اندلاع الانتفاضة إلى عدم اعتراف قبيلة بلحارث في وادي بلحارث في عسيلان بسلطة الشريف الهبيلي، وهذا دفع بريطانيا إلى عقد بعض اللقاءات مع بعض مشايخ بلحارث، وكان من شروطها:

**أولاً**: اعتراف قبيلة بلحارث بسلطة الشريف في بيحان.

**ثانياً**: أن تفتح الحكومة البريطانية مركزاً في عسيلان.

**ثالثاً**: أن تدفع قبيلة بلحارث العشور والضرائب على البضائع كبقية قبائل المنطقة.

وقد رفض معظم قبيلة بلحارث هذه الاتفاقية، وأعلنوا أنها غير ملزمة لهم، ولم يدفعوا الضرائب والعشور على بضائعهم ومنتجاتهم الزارعية، ما دفع بريطانيا إلى اعتقال عدد منهم والزجّ بهم في سجن بيحان.

وكان منجم الملح في منطقة الأياديم المصدر الذي تعيش منه القبيلة، ولهذا حاولت بريطانيا نزع ملكية هذا المنجم من بلحارث وتسليمه للشريف في بيحان، وقد رفضت قبيلة بلحارث تسليم المنجم لبريطانيا وللشريف. وبدأت أولى شرارات الانتفاضة في ١٦/ ٧/ ١٩٤٧ عندما أطلق أحد أفراد قبيلة بلحارث النار على أحد جنود الشريف, وبدأت معركة بين الجانبين. وفي صباح اليوم الثاني هاجمت طائرات من سلاح الجو البريطاني

---

(١٩) ١٧ نيسان ١٩٤٧/ ٥ مارس ١٩٤٨.

قادمة من عدن المواقع التي يتمركز فيها أفراد قبيلة بلحارث، وبواسطة الأسلحة البدائية للقبيلة أُسقطَت طائرتان، ومن جراء القصف الوحشي للطائرات البريطانية سقط العديد من أفراد القبيلة دفاعاً عن الأرض والكرامة. دفعت عمليات القصف إلى دخول البعض على خط الوساطة بين الطرفين، وفرضت بريطانيا شروطها بأن تقدم قبيلة بلحارث عدداً من الرهائن مقابل تسليم منجم الملح لقبيلة بلحارث، على أن تعمل بريطانيا على وقف العمليات الجوية ضد القبيلة.

إلا أن الاتفاق لم يستمر طويلاً، إذ عادت الطائرات البريطانية لقصف منطقة بلحارث في مارس ١٩٤٨، ودمر حصن شمسان[٢٠]، ما أدى إلى نزوح الكثير من أفراد القبيلة إلى مناطق أخرى.

## انتفاضة دثينة وحرب شمعة

## إنهاك القبائل المزعجة

إذا تأمل المرء دوامة تلك الحرب المدمرة، فإنه لا بد أن يفترض وجود أصابع أجنبية، فمن يستفيد من هذه الحرب غير البريطانيين؟ وحتى دور مؤلف كتاب «بلاد شمعة»، المستشرق السويدي كوم رولاند بريج (عمر السويدي) كان محطَّ علامة استفهام، وتكبر هذه العلامة عندما يستعيد المرء بعض ما كتبه المؤلف من أن اليوم الذي سيضع فيه الإنكليز أيديهم على هذه القبائل المثيرة للاضطرابات سيكون يوم عيد كبير[٢١]، ما يؤكد أن مهمته تتجاوز إطار «الإثنوغرافيا[٢٢]»، بل تقوم في إطار التحضير لنشر القوات البريطانية في العمق الجنوبي، ليمتد إلى دثينة، العواذل، الصبيحة، حضرموت، الواحدي والعوالق، وهي مناطق زارها

(٢٠) وقيل الكثير من الأشعار والزوامل:

يا عسيلان سوق الغنائم راجع الحارثي من دبوره

والله اليوم ما القلب عاجب يوم شمسان هدوا ضبوره

وقيل زامل أخر:

قال العريفي شفتا لثفان والوادي المثعوب حير

يهناك ثوب العز يا شمسان ذي رتبتك كمن مخير

(٢١) يقال: القبيلي عقله في بندقيته.

(٢٢) علم الأجناس (يدرس عادات وتقاليد الأقوام البشرية وتقاليدها).

المؤلف وتأمل فيها طباع الناس ومشاكلهم. كذلك زار من قبل جبل الدروز في بلاد الشام ومناطق في الجزيرة العربية.

ولكن على ما يبدو – أو على الأقل ما يؤكده كتابه «بلاء شمعة» – إن جلّ نشاطات الباحث تركز في منطقة دثينة وعزان، لأن بقية الأخبار التي أوردها عن حضرموت والعوالق كانت عبر وسطاء وروايات مسموعة متداولة. وأهمية هذه المنطقة تفضح الدافع الذي أدى بالباحث إلى أن يصرف وقته في متابعة قصة شائكة مثل قصة شمعة.

تنبع أهمية منطقة دثينة من كونها تقع في وسط الطريق بين عدن وحضرموت، فلم تكن هناك طريق برية أخرى تربط عدن وبلاد العوالق وحضرموت غير الطريق التي تمرّ من قلب دثينة. كان لا بد من التمهيد لدخول الاستعمار إلى المنطقة، ويفضل أن يكون هذا الدخول من دون حساسية مؤلمة، أي من دون مقاومة. وقد اهتم الإنكليز بموقع دثينة، نظراً لاعتدال مناخها وبرودة جوَّها صيفاً، فضلاً عن مميزاتها الأخرى، فكتب المقيم البريطاني مذكرة سياسية بهذا الصدد إلى بلاده عام ١٩٠٢ قائلاً:

«إن دثينة مهمة لعدن في المستقبل كمستشفى للقوات. والمسافة إلى دثينة من عدن تبلغ نحو تسعين ميلاً. ويمكن مدّ خط حديدي صغير إلى مساحة كبيرة سيكلف نفقات قليلة. وإن وضع ما بين ٢٠٠ – ٣٠٠ جندي في هذا الإقليم المرتفع البارد في أشهر الصيف سيكون له أثره الكبير في رفع كفاءة الحامية وتحسين الأحوال الصحية للجنود. وإن إنشاء مصحّة سيسمح لكل الرتب بفرصة تغيير المناخ».

وقد أرسلت بريطانيا كتيبة بريطانية وفرقة من المشاة الهنود للإقامة في منطقة دثينة. وأبدت حكومة الهند مخاوفها من أنه إذا ازداد التدخل التركي في المنطقة، فإن ذلك سيؤدي إلى زيادة حجم القوات البريطانية(٢٣).

## سلطانَا لحج والفضلي

وإذا كانت «حرب شمعة» قد اندلعت أساساً بمحض المصادفة، إلا أنها جاءت لتقدم خدمة

(٢٣) سلطان ناجي، التاريخ العسكري لليمن، ص ٣٣.

جليلة للاستعمار، دون أن يشعر بذلك «أبطال» هذه الحرب. ولا نظن أن إدخال المدفعية في هذه الحرب بمعونة سلطاني لحج والفضلي قد جاء بحسن نية، ومع ذلك يبقى للعصبية القبلية دورها الحاسم في كل ذلك. ويروي كوم رولاند بريج «أن علي هادي ذهب عند السلطان محسن العبدلي في الحوطة وخطر[٢٤] لعند الفضلي في شقره»، وأنه طلب من السلطانين مدفعاً وذخيرة، ومقابل ذلك وعدهما بمناصفة الأرض التي افترض أنه سوف يسيطر عليها بقوة المدفع، أو على حد تعبير الكاتب «لأخذت الأرض بانديكم ناصفه»، وقد جرت «مكاتبة»، أي تبادل الرسائل، بين السلطانين واتفقا على أن يقدم أحدهم المدفع والآخر الرصاص والبارود، إذ اقترح سلطان لحج علي الفضلي: «أنت يالعثماني عليك المدفع وأنا عندي الباروت والرصاص» ص١٧.

وهكذا نرى أن «البلاء» رغم الوساطات ظل يتأجج، إلا أن السلطان الفضلي والسلطان العبدلي أديا دوراً غير بريء في هذه المعركة. ومهما كانت المطامع الشخصية للسلطانين في الأرض المفترَض الحصول عليها، فإن هذه الفترة بشهادة بريج كانت بمثابة فترة تحضير لتغيير حياة القبائل العشوائية (الحرّة) وربطها بالاستعمار.

هكذا إذاً! فالسيد كوم رولاند بريج (عمر السويدي) لم يكن يجوب الجبال والوديان ويتسقط أخبار القبائل ويدرس عاداتها وتقاليدها حباً بعلم اللغة والأجناس (الإثنوغرافيا)، بل خدمة لأصدقائه الإنكليز. ولم تكن جنسية المؤلف لتقف عائقاً أمام التعاون والتعاطف مع الإنكليز، فهم جميعاً حملة فكر واحد، فكر النصف الأخير من القرن التاسع عشر، قرن تشكل الإمبراطوريات الاستعمارية، والدلائل هذه كثيرة، لعل أهمها ما أورده الكاتب نفسه:

«إنني نصير كبير للسياسة البريطانية في جنوب الجزيرة العربية، وآمل أن يعترف سكرتيري الإنكليزي القديم بأنّ أبحاثي في هذه البلدان لم تكن غير مثمرة للإنكليز، وخاصة بالنسبة إليه، وفي اليوم الذي سيضع الإنكليز فيه اليد على هذه القبائل المثيرة للاضطرابات والكاسرة، سيكون يوم عيد بالنسبة إلى العلم».

لذلك فإنه يتذكر بحنق شديد خيبة بعثتين كلفهما السيد Burry سكرتيره (سكرتير الكاتب) الإنكليزي إلى دثينة (١٩٠٤) وإلى عزان، وكانت نتيجتهما «كارثة» على حد تعبيره.

---

(٢٤) ذهب.

وبذلك يصل إلى الاستنتاج الآتي:

«ونرى كم هي الصعوبات التي نواجهها في الرحيل عبر جنوب الجزيرة العربية حيث القبائل المستقلة لا تزال سيدة الأرض في همجية لا تقهر» ص١٦٤.

وقام الرحالة الإنكليزي بينت BENT عام ١٨٩٧ مع مجموعة من العساكر الهنود برحلة إلى دثينة، متعقباً آثار الكونت لاند مورج في ٤/ ٥/ ١٨٩٧، ولكنه مات في ظروف غامضة فيها.

والآن، عندما نتذكر أن هذه الحرب استمرت أكثر من خمسين سنة، ندرك أن عوامل عديدة تداخلت من أجل استمرارها أطول فترة ممكنة حتى تنهك «القبائل المثيرة للاضطرابات والكاسرة» على حد تعبير الكاتب. وهذا يعني أن دخول المنطقة وهي منهكة ممزقة بالثأر والأحقاد، أفضل بكثير من دخولها وهي بكامل عافيتها وفي وئام واتفاق، وهذا ما حصل فعلاً.

## انتفاضة دثينة

سبق دخول قوات الاحتلال البريطاني إلى دثينة سلسلة من الصراعات والحروب بين قبائل المياسر وقبائل آل حسنة، وأهمها حرب شمعة كما أشرنا آنفا. فقد سهلت دخول البريطانيين إلى المنطقة في بداية الأربعينيات، في وقت افترض فيه أن تكون المنطقة قد أنهكت تماماً جراء حرب دارت في حدود منطقة جغرافية ضيقة، وهو ما يجعل حياتها أشبه بالجحيم. بذلك كان قدوم «أجنبي محايد» من شأنه أن يظهر هذا «الضيف»، ولو غير المرغوب فيه، بمظهر الملاك المنقذ لقبائل الحسني والميسري والسعيدي التي قبلت بالأمر الواقع والاستسلام من أجل السلام بالمنطقة.

الأمور بدأت تستتبّ، في الظاهر، ويحاول الحاكم الجديد أن يفرض ولو حداً أدنى من النظام، ضمن عبرةُ بعض التعايش بين القبائل المتقاتلة، على الأقل في عاصمة المنطقة (مودية) التي لم يكن سكان المنطقة ليستغنوا عن خدماتها الضرورية المختلفة، وقام الضابط البريطاني المستر فكس ببناء مقر للحرس ومحكمة بعد الاحتلال البريطاني لدثينة عام ١٩٤٣ في محاولة لتهدئة الأوضاع فيها.

كان هذا في الظاهر، أما ما خفي من الأمور فقد دأبت السلطات الجديدة على تغذية قانون الثأر بشكل «منظم»، أي إنها كانت من حين إلى آخر تعمل على التدخل للتذكير بنفوذها.

ومارست كما في سائر المناطق سياسة «فرِّق تسُدْ» حتى تضمن بقاء القبائل في حروب تناحرية دائمة، بما يكفل لها البقاء بأمان، وبأقل التكاليف العسكرية، وقد لعب عبد الله حسن جعفر، المستشار السياسي، دوراً مهماً في ترويض القبائل والمشايخ وبناء الإدارة والمدارس الابتدائية في (جمهورية) دثينة.

واستمرّ الوضع هكذا حتى بزوغ الخيوط الأولى لفجر الوعي الوطني في أواسط ونهاية الخميسنيات من القرن الماضي، وقد احتُلَّت دثينة وغيرها من المحميات بقرار من الحكومة البريطانية والمندوب السامي في عدن.

انفجرت الانتفاضة المسلحة في جمهورية دثينة ضد سلطات الاحتلال البريطاني وضد تعيين عبد الله حسن جعفر الذي كان ضابطاً محنكاً وسياسياً حاكماً فيها، على أمل تثبيت أقدام المحتلين. وكان يقود الانتفاضة زعيم قبلي وشعبي هو العاقل حسين عبد الله (المجعلي)، وكان عضواً في مجلس الولاية، حيث شق عصا الطاعة على الإنكليز مع عشرات من أنصاره والتجأ إلى مدينة البيضاء لتنظيم العمليات المسلحة وقيادتها ضدهم. وعبثاً حاولوا استدراجه المرة تلو المرة إلى المساومة والتخلي عن الانتفاضة، فقد اندلعت العمليات والاصطدامات وطاولت المراكز الحكومية، وأضرمت جذوة الغضب في قلوب أبناء المنطقة والمحميات القريبة، فاتسعت أعمال المعارضة والمقاومة الوطنية العفوية ضد القوات البريطانية، وشملت مناطق أخرى.



**العاقل حسين عبد الله المجعلي**

وتكشف المذكرات التي كان يسجلها المعتمد البريطاني في عدن آنذاك ويبعث بها إلى حكومته، حقائق الوضع السائد، وتسلط الضوء على ما وصل إليه المناخ الشعبي في ظل الاحتلال.

يقول: «انتشرت الفوضى الآن في خلال أشهر قليلة وامتدت من وادي حطيب إلى القسم الأعظم من ولايتي العوالق العليا ودثينة والعوالق السفلى ومناطق الحدود في العواذل وبيحان... ومن كل مدينة وحصن ومركز معزول كانت تتقاطر علينا الطلبات العاجلة من

أجل الإمدادات والذخيرة ونقل المصابين». ولم يكن جيش الليوي (جيش محمية عدن) الذي كان كله يستخدم لحراسة قوافل المؤن والذخائر ولا كل من الحرس القبلي والحرس الحكومي بقادرين على مواجهة الموقف»[٢٥].

في هذا الوقت تصاعدت حركة التمرد التي قادها قبل سنوات العاقل حسين عبد الله[٢٦] (المجعلي) في ولاية دثينة عام ١٩٥٣، الأمر الذي اضطرهم إلى طلب التفاوض مع الثوار، فجرى لقاء للطرفين قرب قرية امقليته. ويتحدث المندوب البريطاني عن أجواء تلك المفاوضات بقوله:

«جلسوا في دائرة أمامنا وبنادقهم في أحضانهم... وعندما كان «عاقلهم» يستشيرهم بأمر، بين آن وآخر، كانوا يرفعون الصراخ الحاد بالاحتجاج أو الهتاف: «**أبداً... كذابون... خدعة استعمارية**». وفي الأخير قال لنا العاقل الحسني إنه مستعد لأن يعقد سلاماً مع بريطانيا العظمى بشرط أن تعترف به حاكماً مستقلاً ذا سيادة، وعضواً في «الجامعة العربية»، ولكن بريطانيا رفضت كل مطالبه غير الواقعية، وقبل ذلك رفضت مطالب السلطان فضل عبد الكريم بإدخال لحج إلى الجامعة العربية، ولكن طلبه رُفِضَ لأنه غير واقعي أيضاً.

- وفيما تواصلت انتفاضة دثينة بقيادة محمد ناصر الجعري[٢٧] وناصر علوي السقاف ومحمد علي فضل الصالحي وفضل قنان، اندلعت انتفاضات أخرى طوال عام ١٩٥٤، وتعرض حصن الحرس الحكومي في المحفد لهجمات الثوار وقطع الطريق بين عدن والعوالق وبيحان، وانتقل الغليان إلى مشيخة العوالق العليا، فانضمّ أهل أبو بكر بن فريد إلى الثورة ولجأوا إلى الجبال وأصدروا النشرات والبيانات المعارضة للاحتلال،

(٢٥) أرض الريزي التي كانت تشهد النتفاضة قبلية.

(٢٦) من مواليد ١٩١٨، وقد نُصّب عاقلًا وشيخاً عام ١٩٤٤. وفي ١٠/ ١٠/ ١٩٤٤ طلبه المعتمد البريطاني سيجر إلى عدن لمقابلته من أجل السماح ببناء مركز عسكري في امقليته مقابل مساعدات له ولقبيلته، ولكنه رفض، ورفض مقابلة الملكة إليزابيث عام ١٩٥٤، وقرر الذهاب في نفس اليوم إلى شمال اليمن وقدم له عامل البيضاء مساعدة مالية وعسكرية وهاجم مراكز الحكومة في امخديره، وامقليته وقطع طريق شبوه (العوالق)، وبعد ذلك عاش في شمال اليمن من عام ١٩٥٤ حتى عام ١٩٦٧.

(٢٧) من مواليد قرية مهيدان ١٩١٧.

ونفذوا عمليات عسكرية، ونصبوا الكمائن للقوات البريطانية، الأمر الذي حدّ وجودها وضيّق نشاطها ورقعة الأرض التي تتحرك عليها. وانتقاماً منهم دكت القوات البريطانية بيوتهم في (الصعيد) وحولتها إلى أطلال.



**الفقيد شيخ المناضلين**
**الشيخ محمد ناصر الجعري**

- وفي منتصف عام ١٩٥٦، انضمت مناطق وأرياف جديدة إلى التمرد على الاحتلال. فقد أجهز ثوار «الرباط» على قوة عسكرية للمحتلين، اضطروا بعدها إلى سحب حاميتهم من المنطقة، ونسف آل ربيز الحصن الذي أقامه الإنكليز في منطقتهم، في وقت شهدت فيه قوات «الليوي» المحلية (جيش محمية عدن) هروب كثير من مجنديها وانحيازهم إلى القبائل الثائرة.

- وفي عام ١٩٥٧، اتسعت حركة التمرد الريفية لتتركز في إمارة الضالع، حيث يعترف المعتمد البريطاني في حينه بأن الانتفاضة «كانت على درجة أكبر من أية انتفاضة سابقة واجهناها»، لأنها أصبحت موضع إلهام لأبناء منطقتي العواذل وبيحان، حيث انتفضتا على الوجود الاستعماري، وانتقل تأثيرها إلى القبائل الفضلية في شرقي أبين وإلى ردفان حيث سيطر الثوار على الطريق الوحيدة المؤدية إلى الضالع.

كانت هذه الانتفاضات والأعمال الثورية امتداداً لانتفاضات سابقة، إذ قامت في منطقة العوالق السفلى انتفاضة عام ١٩٤٦، وفي حضرموت والمهرة خلال الأعوام ١٩٤٤-١٩٥٥ ويافع عام ١٩٥٨ وحالمين والضالع والشعيب ١٩٤٧-١٩٥٧، والواحدي عام ١٩٤١ والفضلي ١٩٥٦-١٩٥٧ والعواذل ١٩٤٦-١٩٤٧، والحواشب «الراحة» عام ١٩٥٠ وبيحان ١٩٤٣-١٩٥٧.

- وطُبعت في لحج (عاصمة السلطنة العبدلية) منشورات تدعو جنود جيش محمية عدن «الليوي» إلى الثورة والتخلي عن خدمة البريطانيين، وشهد مركز المدينة تظاهرات شعبية تندد بالحملة العسكرية ضد الثوار.

وفي ظل هذا، حدث ما يمكن اعتباره نوعاً من الرد على سياسة «فرق تسد» البريطانية. فقد نزع المتنافسون على مشيخة العوالق العليا فتيل الفتنة الإنكليزية وتخلوا عن الاقتتال بينهم، وفي غضون ذلك هاجم الثوار بقيادة السلطان محمد بن عيدروس مدينة جعار وسيطروا عليها، وأقاموا فيها سلطة شعبية فترة قصيرة، قبل أن يضطروا للإنسحاب منها عام ١٩٥٧ إلى وادي حطاط، حيث تعرض لقصف الطيران البريطاني، وانتقلوا بعد ذلك إلى القارة[٢٨]. وفي عام ١٩٥٨ قاد الأمير السلطان محمد بن عيدروس معركة مع قوات الاحتلال في القارة، واستهدفت منطقة القارة بالطيران، ما أدى إلى دمار بعض المنازل وانسحاب السلطان محمد عيدروس إلى المملكة المتوكلية والتحق بالثوار المناهضين للاستعمار.

## بين جاذبية الشارع وجذب الاحتلال

قبل أن ينتهي عقد الأربعينيات، وبالتحديد في سنة ١٩٤٩ أقدمت مجموعة الساسة العدنيين، عرباً ومهاجرين، وأغلبهم من الشخصيات الدينية المتنورة، على تشكيل «الجمعية الإسلامية»، ونجح محمد علي الجفري بما له من ثقل ونفوذ، وكان على رأس قيادة الجمعية في استقطاب العديد من الشخصيات الدينية والعناصر الوطنية من العلماء والمثقفين والأعيان الذين كانوا الوجه البارز للحركة الوطنية في عدن والمحميات في فترة الأربعينيات. كان الجفري محرضاً ومثقفاً لامعاً، وامتدّ نفوذه إلى خارج عدن، وبخاصة في لحج ووادي يشبم والصعيد.

تصدرت الجمعية حملة التثقيف الديني والوطني من خلال منابر المساجد والنوادي الطلابية والمدارس لإذكاء مشاعر الإخاء الديني والوطني، غير أن شعارات الاستقلال والتحرر لم تتبلور في نشاطات الجمعية، مع أن العديد من أعضائها كانوا يؤمنون بتلك الشعارات، ولا

---

(٢٨) في شهادة محمد صالح المصلي عن ضرب الطيران ليافع عام ١٩٣٣ يؤكد أن هذا القصف جاء بعد زيارة ليافع قام بها الضابط البريطاني مونتغمري، قائد سلاح الطيران البريطاني في عدن آنذاك. كانت بريطانيا قد أنشأت في حالمين مركزاً عسكرياً جهزته بجهاز لاسلكي تحت تصرف السلطان محمد صالح بن هرهرة، وقد هاجم محمد صالح المصلي وأنصاره هذا المركز، وتمكنوا من الاستيلاء على جبل حلين ما عدا دار السلطان، واستشهد في هذه المعركة محمد عبد ربه الوطحي، وعلي عسكر العياشي، وجرح حسين صالح المصلي.

سيما أبناء عدن الأصليون وأبناء المحميات وشخصياتها ورموزها الدينية آنذاك. لقد اكتفت الجمعية بمناشدة الإنكليز احترام المشاعر الإسلامية، وتطوير التعليم الديني للمسلمين، والحفاظ على اللغة العربية وجعلها لغة أولى رسمية في المدارس والمؤسسات. وأغلب الظن أن الإنكليز كانوا ينظرون بعين الرضا والاطمئنان إلى نشاط الجمعية السلمي، وبخاصة جهودها لخلق حركة يندمج فيها أبناء الجاليات غير العربية بأبناء البلد، غير أنه من جهة ثانية، كان لميول ترسيخ الاندماج بين عدن والمحميات الجنوبية لدى أغلبية قادة الجمعية أثر في تأزيم وضعها الداخلي، على خلفية مخاوف التيار الذي لا يريد انصهار عدن بالمحميات، وهو التيار الذي يستمدّ ثقله من رئيس الجمعية وقياداتها المنحدرة من دول الكومنولث. وسرعان ما حلّت بوادر الانشقاق، وتجذر نهائياً بتأثير عامل آخر هو تدخل البريطانيين في شؤون الجمعية بوساطة رجالهم من بين قياداتها ووجوهها.

الجمعية الإسلامية أول تنظيم سياسي على مستوى الجنوب، وأول محاولة لصياغة بدايات الأهداف الوطنية. ولم يكن ذلك ممكناً لو لم تحصل هذه التجربة بفضل محاولات سابقة، رغم محدوديتها وأطرها المحلية الضيقة، ولم يكن ذلك ممكناً لو لم يضطر المحتلون إلى احترام حقوق التنظيم السياسي والاجتماعي تحت ضغط النمو المطّرد لمستوى الحركة الوطنية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. تأسست الجمعية الإسلامية بعد سلسلة محاولات وتجارب لتشكيل هيئات وأطر ثقافية ودينية وسياسية في عدن والمحميات معاً. فقد تأسّس نادي الأدب العربي بأكثرية وطنية من المثقفين والأدباء المعروفين[٢٩].

## الجمعية العدنية

وعلى هامش الأزمة المستحكمة التي عصفت بـ«الجمعية الإسلامية»، أقدم حسن علي بيومي

(٢٩) عبد الله الجفري، خالد عبد الله عبد اللطيف... وغيرهما. وأُعلن قيام نادي الاصلاح العربي باتجاهه العربي العام، ونادي الشعب في لحج، وكان ينظم الدعوة إلى التنوير وتطوير الزراعة. وكانت حضرموت تمد بدورها زخم الحركة الوطنية بالدماء والأفكار الجديدة من طريق أبنائها المهاجرين الذين حملوا معهم من الخارج، وبخاصة من الدول العربية، شعارات التحرر وأفكاره. هذا فضلاً عن دور أولئك العمال الذين ترسلهم سلطات الاحتلال إلى بريطانيا للتأهيل المهني في نقل تقاليد العمل السياسي والنقابي إلى البلاد، والطلاب الذين حصلوا على التعليم العالي في البلاد العربية.

ومحمد علي لقمان على إعلان تشكيل «الجمعية العدنية» عام ١٩٥٠، فردّ الجناح الآخر المعارض بتشكيل «رابطة أبناء الجنوب» في الفترة عينها، ليبرز استقطاب سياسي جديد حول تنظيمين سياسيين بعد أن كانت ساحة ذلك الاستقطاب تنظيماً واحداً.

كان استقطاباً بين خيارين سياسيين: التحرر من الاستعمار البريطاني، أو العدننة، بمعنى عزل عدن بخصوصيات سياسية. ولقد سهّل البريطانيون العمل لـ«الجمعية العدنية» وأطلقوا يدها في الوظائف الحكومية وإصدار الصحف التي رفعت للمرة الأولى شعار «عدن للعدنيين» برنامجاً سياسياً يعكس مصالح بعض الشخصيات العدنية، عربية ومهاجرة، واستخدمت في ذلك كله - في بادئ الأمر - إقفال المدينة بوجه أبناء المملكة المتوكلية اليمنية والمحميات الجنوبية. وتضمن برنامج «الجمعية العدنية» السياسي مفردات تفصح عن هويتها، أبرزها: حكر الوظائف، الهيمنة على المصالح والحركة الاقتصادية في عدن، الحكم الذاتي لعدن، ضم عدن إلى الكومنولث.

وبعد أشهر على قيام الجمعية، أصبحت موضع اهتمام البريطانيين الذين كلفوا المندوب السامي الإشراف المباشر على عملها ومتابعة نشاطاتها، وقد كسبت أنصاراً كثيرين بين السكان، وبخاصة في أوساط المهاجرين، الأمر الذي دفعها إلى تشديد الدعوة إلى «استقلال عدن» بذريعة عدم تجانسها السياسي والثقافي والتشريعي والقضائي والاقتصادي مع المحميات المتخلفة!

على مدى عامين من هيمنة الجمعية العدنية على الحياة السياسية والإدارية، أُغرقت المدينة بالجاليات الأجنبية، فيما حُرِّم على أبناء المحميات والمملكة المتوكلية اليمنية العمل فيها، وجرى التضييق عليهم، وصيغت حدود حقوقية غريبة لصفة المواطن العدني: فهو من مواليد عدن، ودول الكومنولث!

وبدلاً من أن تضمن هذه الامتيازات ترسيخ موقع الجمعية العدنية في تربة عدن انقلبت ضدها، فلم يكن أمام قيادتها الا تغيير الاسم وتحويل الجمعية عام ١٩٥٤ إلى «حزب المؤتمر الشعبي» برئاسة محمد علي لقمان، وإصدار نظام داخلي وبرنامج له لا يختلف عن برنامج الجمعية ونظامها إلا من حيث الشكل.

**تضمن البرنامج:**

١- تأكيد إصدار دستور جديد لعدن يقضي بتكوين «جمعية تشريعية» ينتخب كل أعضائها الشعب العدني.

٢- الإسراع بإجراء انتخابات تؤدي إلى قيام حكومة محلية بصلاحيات كاملة.

٣- العمل على تحقيق استقلال عدن على أساس حق تقرير المصير وترك العلاقة مع المحميات إلى المستقبل.

إلا أن شكل العلاقة مع المحميات الجنوبية بقي لدى حزب المؤتمر الشعبي خاضعاً لتحولات الاستراتيجية البريطانية في هذا الموضوع. فعندما يؤكد الإنكليز ضرورة ترسيخ استقلال محمية عدن، يندفع الحزب إلى تلميع الشخصية العدنية. وحين يرى المحتلون أنه لا مفر من دمج عدن بالمحميات الجنوبية في وحدة إدارية سياسية واحدة، ينشط الحزب في الدعوة إلى ذلك وينظم حملة إعلامية وسياسية لتحقيق هذا الهدف. غير أن التقلب حيثما تطلب الموقف البريطاني ذلك، قد فاقم عملية التآكل داخل الحزب وعزز إمكانيات التفسخ والانشقاق في صفوفه... وهكذا فقد انقسم إلى قسمين بعد أقلّ من عامين: أحدهما باسم «الحزب الوطني الاتحادي» عام ١٩٥٤، والآخر باسم «الحزب الدستوري».

لم يكن الحزب الوطني الاتحادي لينطلق، في اندفاعه إلى الدعوة لتوحيد عدن مع المحميات الجنوبية، من دواعي خدمة، فهو قد عبّر في ذلك أيضاً عن مصالح بعض وجهاء عدن في نزوعهم إلى التحالف مع السلاطين وأمراء المحميات من أجل توسيع نفوذهم الاقتصادي والسياسي.

ويتلخص برنامج الحزب الاتحادي في الدعوة إلى دمج عدن في المحميات التي ربطها المحتلون في «اتحاد» يخضعونه لسيطرتهم، ولكنه يدعو - بالمقابل - إلى حصول عدن على موقع متميز في الاتحاد، وعلى نوع من الكيانية الذاتية. وحاول أن يتبنى شعار وقف الهجرة إلى عدن، والعمل على إلغاء «قانون العدننة» الذي يعتبر أبناء الشمال والمحميات الجنوبية مواطنين من الدرجة الثانية. هكذا كان الواقع انذاك، ولكن بعض الشخصيات كانت لها علاقات واسعة على مستوى المنطقة، وفي مقدمتهم محمد علي لقمان ولعبت صحيفة «فتاة الجزيرة» دوراً مهماً في نشر الوعي الوطني والقومي، وفي عملية التنوير التي باشرها مؤسسها محمد علي نعمان.

## رابطة أبناء الجنوب العربي

السيد محمد علي الجفري

لكن بدايات الحركة الوطنية بالمفهوم السياسي الواسع بدأت في الواقع من مبادرة تشكيل وتأسيس «رابطة أبناء الجنوب العربي» وإعلانها رسمياً في ٢٧ مايو ١٩٥١ بزعامة السيد محمد على الجفري، بعد تآكل «الجمعية الإسلامية» واستنفاد شحنتها السياسية، وعقب تحولات عميقة في سياق مواجهة الشعب في الجنوب المحتل، وبخاصة محاولات إلغاء الحدود المصطنعة بين المحميات الجنوبية، وأبرزها تأثيراً في المزاج السياسي، محاولة تحقيق الوحدة الحضرمية بتوحيد سلطنتي الكثيري والقعيطي بقيادة شيخان الحبشي (زعيم الرابطة لاحقاً)، وعمر محضار الكاف (أحد قادة الرابطة)، وحركة توحيد العوالق لإرساء قواعد جديدة لإدارة المنطقة بمشاركة السكان ومواجهة الاحتلال، والمحاولة التي قادها السلطان علي عبد الكريم وعبد الله الجفري لتكييف الوجود البريطاني في لحج بإلغاء نظام الاستشارة الاستعماري. وكان السلطان علي عبد الكريم قد سافر إلى مدينة لندن، وبقي أكثر من شهرين وهو يطالب بحق بلاده في تقرير مصيرها ونيل حريتها، لكن البريطانيين أصمّوا آذانهم عن سماع أي شيء. فما كان من السلطان إلا مغادرة لندن وعند وصوله إلى إيطاليا أبلغه القنصل البريطاني في ميلانو أن حكومة صاحبة الجلالة سحبت اعترافها به وممنوع عليه دخول لحج وعدن وأي بلد في الإمارات الجنوبية.

وفي الساعة السادسة والنصف من ذلك اليوم أوقفت إذاعة عدن برامجها، وأعلنت أنه سيُذاع نبأ مهم. وبعد قليل قال مذيع: «إن الحكومة البريطانية قررت سحب اعترافها بالسلطان علي عبد الكريم، سلطان لحج الذي غادر لندن إلى إيطاليا في نهاية الأسبوع الماضي»، وبعد ساعتين تقريباً عاد المذيع ليقرأ بيان وزير المستعمرات البريطاني في مجلس العموم قائلاً: «آسف لأخبر المجلس بأن حكومة صاحبة الجلالة الملكة قد شعرت باضطرار إلى سحب الاعتراف من السلطان علي عبد الكريم سلطان لحج، وقد توصلنا إلى نتيجة نهائية هي أن السلطان كان لوقت طويل يتبع مسلكاً يخالف تلك المعاهدة الموقعة بينه وبين حكومة صاحبة الجلالة».

وفي اتصال للسلطان علي عبد الكريم قال: «أبلغتني الحكومة البريطانية، وأنا بإيطاليا في طريقي إلى بلادي لحج العزيزة أنها قد سحبت اعترافها بي كسلطان على لحج وأني ممنوع من العودة إليها أو إلى عدن، أو غيرها من الإمارات. وإنني أرفض هذا الإجراء، ولا أعترف بشرعيته، لأن الحكومة البريطانية لا تملك هذا الحق إطلاقاً، فهي تتخذ من الإجراءات ما لا تبيحه لها القوانين ولا العرف المتبع، ومن المؤسف أن تكيل لنا بريطانيا التهم جزافاً، وكل ذنبنا لدى الحكومة البريطانية أننا كنا نعمل لنحمي استقلالنا الداخلي، ونحافظ على مصالح الشعب.

لقد حاول حاكم عدن والمعتمد البريطاني، أن يزجّا لحج في مشاكل أكبر وأن يجعلا منها مخلب قط ضد بعض البلاد العربية المتحررة، فلما حاولت إفهامهما أن ذلك ليس في مصلحة بلدي ويتعارض مع رغبات شعبي. جاهراني بالعداء واتخذا ضد لحج سلسلة من الإجراءات اشتدت عنفاً منذ اليوم الأخير من شهر رمضان. حاولت أن أُقنع المسؤولين في لندن بالأخطاء الجسيمة التي يرتكبها حاكم عدن والمعتمد البريطاني، وخطورة النتائج التي تترتب عن الاعتداءات العنيفة ضد السلطنة اللحجية، ولكن محاولاتي ذهبت دون جدوى.

إنني لا أعترف بشرعية هذا الإجراء ولا بصحته، ولا بأن لبريطانيا الحق في اتخاذه، فإنني انتُخبتُ سلطاناً من قبل الشعب في لحج، ولم تعينّني بريطانيا سلطاناً على لحج، وأناشد الشعب وجميع الهيئات الرسمية وغير الرسمية أن يعتصموا بالثبات، ويلجأوا إلى الحزم، فيقفوا صامدين ضد سائر المحاولات البريطانية للانتقاص من حقوقنا، والمساس بكياننا. إننا أصحاب حق، وسنكافح بجميع الطرق المشروعة للاحتفاظ بحقوقنا كاملة. سدد الله خطانا جميعاً وجعل التوفيق رائدنا».

من تحليل هذا الكلام نرى حسّاً وطنياً متوقداً في ضمير هذا الحاكم الذي ضحى بمنصبه من أجل قضية شعبه، وتعبيراً عن رغبة الشعب بانتخابه سلطاناً، فهو على قدر تلك الأمانة، واستطاع أن يدافع عنها أو يفقدها. فإن خضع لرأي السلطات في عدن ولندن، فلا فائدة من انتخابه، وبالتالي فهو لا يعبّر عن مصالح الشعب الذي وضع هذه الأمانة في عنقه، لذلك أصرّ على موقفه مع الشعب لا مع السلطة.

## الاستقلال دون اتحاد والعكس

هذه المحاولات والتحركات كلها سبقت قيام «الرابطة» بفترة قصيرة، وأثرت في طبيعتها ووجهتها وقيادتها وشعاراتها. فقد تجمع عدد من الساسة المثقفين ومتخرجي جامعات البلدان العربية، وحملة الأفكار التحررية الجديدة ليعلنوا تشكيل الرابطة، وكان على رأس مؤسسيها محمد علي الجفري، شيخان الحبشي، عمر محضار الكاف، قحطان الشعبي، عبد الله باذيب، سالم الصافي، محمد أبو بكر بن فريد، رشيد الحريري، أحمد عبده حمزة، علي غانم كليب، عبد الله أحمد الفضلي، حسين هادي العولقي، علي محمد سالم الشعبي، محمد علي باشراحيل، عبد الرحمن جرجره، عبد الله بن صالح المحضار، مصطفى بازرعه، محضار الكاف السيد، زين صادق الأهدل وعبد اللطيف كتبي، وهم ممثلو النشاطات السياسية التحررية من حضرموت ولحج والعوالق والفضلي وعدن. وقد حددت الرابطة مهمات النضال الراهنة أمامها في التحرر من الاستعمار البريطاني، وحدة الجنوب العربي، السعي إلى نقل السيادة وسلطات الحكم إلى الشعب، إطلاق الحريات العامة في كل أنحاء الجنوب، الغاء قرارات النفي والإبعاد التي تمارسها السلطات الاستعمارية في المنطقة، وإجراء انتخابات عامة لإقامة مجلس تأسيسي تحت إشراف دولي محايد.

وتحت شعار «لا استقلال بدون اتحاد ولا اتحاد بدون استقلال» خاضت الرابطة صراعاً متعدد الجوانب مع السلطة الاستعمارية، فيما تنامت سمعتها وشخصيتها على الصعيد العربي والدولي، ففتحت مكاتب لها في القاهرة وجدة وتعز. وهي إذ استقطبت الكثير من السلاطين المعارضين للإنكليز، وفي مقدمتهم سلطان لحج علي عبد الكريم، خاضت من جانب آخر معارك سياسية واسعة ضد مواقف السلاطين والساسة الموالين للاحتلال، وكذلك ضد وجهاء عدن من كبار التجار المهاجرين. ومع اتساع دائرة نشاطها أخذ ينضم إليها أبناء الفئات المتوسطة والصغيرة، فرسّخ ساستها أسلوب نضالها السلمي (عرائض، منشورات، وفود، اتصالات...) ولكن لمرحلة قصيرة.

بعدها طورت الرابطة أشكال النضال بتنظيم التظاهرات والإضرابات وقيادة الاجتماعات الجماهيرية الحاشدة. ومع تطور أشكال النضال تطورت أيضاً شعارات الرابطة ومواقفها، فأضافت إلى مهماتها الآنية مهمات بعيدة المدى مثل «إقامة الوحدة العربية الكبرى» وتحقيق

«العدالة الاجتماعية في ظل تعاليم الإسلام والاشتراكية»، كذلك لامست عدداً من القضايا الاجتماعية بشجبها «الانقسام والقبلية والعائلية والمذهبية»، حتى قال عنها المندوب السامي ترافسكس إنها «معادية لبريطانيا» و«إن أعضاءها ينتشرون بين الجنود والموظفين والمدرسين يحرضونهم على بريطانيا».

لكن الرابطة، وفي لحظة حساب غير دقيقة، أخفقت في امتحان انتخابات «المجلس التشريعي» عام ١٩٥٨، حين خاضت الانتخابات في وقت كانت فيه مشاعر الأغلبية الساحقة من الأعضاء - انعكاساً للمزاج السياسي العام - تقف ضد المشاركة وتدعو إلى المقاطعة. وبذلك فقدت الرابطة حيزاً كبيراً من رصيدها الجماهيري، وانسحب منها كثير من العناصر السياسية والاجتماعية، وقاطعتها الهيئات الوطنية، ما أثر في مكانتها السياسية. وقد أسهم في تشديد عزلتها قيام «المؤتمر العمالي» برئاسة عبد الله عبد المجيد الأصنج وتصدّره نضال الجماهير، وكذلك الحملة القمعية المركزة التي طاولت صفوفها وقياداتها على يد سلطات الاحتلال، والتي أدت إلى حظر نشاطها القانوني ومصادرة صحيفتها، ونفي رئيس الرابطة محمد علي الجفري من عدن.

## الجبهة الوطنية المتحدة

من النقطة التي أخفقت فيها رابطة أبناء الجنوب - نقطة الموقف الخاطئ من انتخابات المجلس التشريعي - ولدت حركة جديدة باسم «الجبهة الوطنية المتحدة».

وقد حدثني الصديق محمد عبده نعمان في جلسة خاصة في ٢٠ أيار/ مايو ١٩٨٩ في مدينة صنعاء عن تلك الخطوات الأولى لتشكيل الجبهة، فقال:

«تشكلت الجبهة الوطنية المتحدة في ١٤ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٥، بعد أن أعلنت بريطانيا مشروعها الخاص بالتطور الدستوري لعدن ووعدت بموجبه أن تعطي الشعب ثلاثة مقاعد في المجلس التشريعي، على أن ينتخبهم المواطنون. كان ذلك في أوائل عام ١٩٥٥، إلا أن المشروع البريطاني حرم أبناء المحميات وأبناء المملكة المتوكلية اليمنية حق التصويت والترشُّح واقتصر ذلك الحق على أبناء عدن فقط ممن لا يقلّ رصيده عن عشرين ألف شلن، في وقت كان فيه السواد الأعظم لأبناء عدن يعمل في الصيد والأعمال البسيطة.

قمت بتوزيع المشروع على كل الأندية الثقافية في عدن، كنت حينها رئيساً لنادي شباب التواهي، وأنتمي في الوقت نفسه إلى نادي أبناء قريتي «نادي الأحكوم»، وكنت أحرّض ضد المشروع البريطاني، وقد نجحت مع عدد من زملائي في عقد ثلاثة اجتماعات في مقر رابطة أبناء الجنوب العربي في السيلة بكريتر، وفي الاجتماع الرابع المنعقد في ١٤ أكتوبر ١٩٥٥ الذي حضرته مع ٢٤ وفداً تمثل مختلف الأندية الثقافية في عدن، قررنا مقاطعة الانتخابات ووضعنا صيغة وطنية للموقف منها، وافق عليها الحضور بالإجماع ما عدا ممثلي «حزب الرابطة» و«الجمعية العدنية». وتتمثل تلك الصيغة في مقاطعة الانتخابات، فيما اقترح المعارضون المشاركة فيها وطرح المطالب من خلال المجلس، وكان ممثلو الرابطة بقيادة شيخان الحبشي.

وفي أجواء ذلك الاجتماع والنقاشات توصلنا إلى فكرة تأسيس الجبهة، وجرى انتخاب قيادتها مؤلفةً من محمد سالم علي عبده (رئيساً)، ومحمد عبده نعمان (أميناً عاماً) وحسين باوزير ومحمد سعيد مسواط عضوين.

استهلت الجبهة الوطنية نشاطها المبكر بعريضة وجهتها إلى كل من المندوب السامي بعدن، ورئيس وزراء بريطانيا، ووزير المستعمرات، ومجلس اللوردات ومجلس العموم البريطاني، والصحف الأجنبية والعربية، تعلن فيها «أن الجبهة الوطنية المتحدة ترفض قانون انتخابات المجلس التشريعي الذي فرضته السلطات البريطانية»، وأصدرت الجبهة بياناً لاحقاً موجهاً إلى الشعب اليمني أكدت فيه «أنها تعتبر نهاية الانتخابات الشكلية بداية لكفاحها، وأولى خطواتها نحو العمل الجدي الذي ستعلن عنه أولاً بأول»، وكان من مؤسسي الجبهة محمد عبده نعمان، عبد الله عبد الرزاق باذيب، عبد الله الأصنج، محمد سالم علي ومحمد سعيد مسواط، ثم احتضنت بمرور أشهر قليلة على تأسيسها عدداً كبيراً من القيادات النقابية والوجوه السياسية الوطنية من حزب رابطة أبناء الجنوب، فتمكنت من قيادة الحركة الوطنية والنقابية وإقامة مؤتمر نقابات عدن، ما جعلها هدفاً لحملة إرهاب بريطانية واسعة أدت إلى نفي الأمين العام للجبهة محمد عبده نعمان إلى صنعاء، غير أن الجبهة واصلت نشاطها حتى عام ١٩٦٠ ليتصدر «المؤتمر العمالي» الذي كان قائماً منذ سنوات، الحركة الشعبية وتنظيم أعمالها المعارضة للإدارة البريطانية.

كانت الخبرة التي أضافتها «الجبهة الوطنية المتحدة» إلى تجارب الحركة الثورية اليمنية اللاحقة غنية ومهمة، إذ بينت أن البرنامج السياسي ينبغي ألا يقتصر على مهمة آنية يواجهها الشعب (انتخابات المجلس التشريعي)، بل يجب صياغة منظومة كاملة من المهمات القريبة والبعيدة ورسم رؤية مستقبلية لضمان تجدد العمل السياسي وعدم اهتزازه أمام المتغيرات».

## نضال الحركة النقابية في عدن

منذ الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي بدأ ظهور جمعيات ونوادٍ عمالية، أولها للمشتغلين في التجارة ونشر الأخشاب (جمعية النجارين- ١٩٣٥) التي وضعت لنفسها دستوراً، وأجرت انتخابات في عام ١٩٤٩ وأُضيف إلى اسمها كلمة «العدنيين»، واختير الحاج عبده حسين الأهدل رئيساً لها، والسيد زين صادق نائباً للرئيس، ومحمود علي لقمان وأحمد علي سكاريب ومحمد عبد الله الهندي أمناء سر. وعقدت «جمعية الموظفين العدنيين» أولى جلساتها التأسيسية في العام نفسه (١٩٤٩)، وأجرت انتخاباتها، في مدينة التواهي، وتكلم في الحفل السيد عمر عبد العزيز والشيخ علي الريان، والأديب والشاعر إدريس حنبلة[٣٠] فالأستاذ محمد يحيى ميسري وفي الختام كلمة الشيخ محسن عميرة، وتأسس بعدها نادي الشباب والعمال اللحجي.

وما لبث الصراع بين دعاة الانتماء العدني وأصحاب الدعوة اليمنية أن فرض نفسه هنا أيضاً، وقد تقرر تغيير اسم «جمعية النجارين العدنيين» إلى «نقابة العمال والفنيين»، وقد دافع الأستاذ عبد الله عبد الرزاق باذيب في مقالات له في الخمسينيات عن ضرورة إسقاط «العدنية»، مندداً بحملة المحتل البريطاني لحرمان معظم اليمنيين حق الانتخاب، وكانت قد تأسست في عام ١٩٤٣، جمعية عمال «الأنكلو إيرانية»[٣١]، وهي شركة للزيت، وقام إضراب واسع في الميناء عام ١٩٤٨ استمر شهرين.

---

(٣٠) الشاعر إدريس حنبلة: من مواليد شهر ديسمبر ١٩٢٢. وُلد بالتواهي في محافظة عدن وتوفي عام ١٩٩١، وظف الكثير من شعره الحماسي والثوري لخدمة الحركة الوطنية اليمنية وطنياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً، وله مواقف وطنية أصيلة ومشهودة، ذاق من أجلها مرارة السجون والمعتقلات.

(٣١) هي شركة نفطية إيرانية أسسها رجل الأعمال البريطاني ويليام كتوكس عام ١٩٠٩ بعدما حصل على حق استثمار النفط الإيراني.

غير أن النقابات - وفقاً للأسس الحديثة - لم تنشأ إلا في الخمسينيات، وقد تقاذفتها اتجاهات سياسية تراوح بين العدنية والدعوة إلى وحدة الجنوب العربي آنذاك، وتيار ثالث يهتم بمصالح العمال المعيشية والمهنية، وبرفع الظلم والقهر عنهم، وقد حارب هذا الاتجاه أوساط عديدة. وفي عام ١٩٥٦ تفجرت سلسلة من الإضرابات العمالية في مختلف الشركات الاحتكارية الأجنبية، وانبثق منها «مؤتمر عدن للنقابات» الذي فرض نفسه قوة سياسية منظمة، معطياً الحركة الوطنية انطلاقة عارمة ودفعاً هائلاً، فطوّر الأساليب ورفع سقف المطالب العمالية والشعبية، مجسداً وحدة العمال في المدن والأرياف. وإلى جانب الدور البارز لقيادة المؤتمر العمالي، كان عبد الله باذيب أبرز الشخصيات التي دافعت عن الحركة العمالية في الصحافة، وقد حوكم على أثر ذلك، لكن الجماهير طوقت جلسات المحاكمة في كل من كريتر والتواهي، وفرضت على السلطة التراجع. وأدت المحاكمة إلى موجة وعي نقابي وسياسي في صفوف عمال البلاد.

وتمخض عن ذلك تكوين عدد من النقابات كان أهمها[٣٢]: نقابة عمال مصافي الزيت «عدن الصغرى» - برئاسة عبد الله علي عبيد.



**توم هيكنبوتم والي عدن يزور سوق عدن الصغرى بعد افتتاحه وكان أول سوق نموذجي من نوعه**

(٣٢)
- نقابة شركة كوري برادرس - برئاسة عبده خليل
- نقابة شركة لوك توماس - برئاسة علي عثمان جرجرة
- نقابة شركة خطوط عدن الجوية - برئاسة عبد الله الأصنج
- نقابة عمال البلدية - برئاسة علي حسين القاضي
- نقابة بي. بي تواهي «شركة تمويل البواخر بالوقود» - برئاسة أحمد عبد الملك
- نقابة موظفي وعمال البنوك - برئاسة عبد الله عبد المجيد السلفي

## نبذة قصيرة عن الحركة النقابية

نتيجة للإضراب الذي قام به عمال المقاولين (CCC) وللإجراءات والممارسات التعسفية من قبل المشرفين الإنكليز في المصافي التي بلغت حداً لا يحتمل ضد العمال اليمنيين، اضطروا إلى القيام بأول إضراب عمالي في المصفاة دام لعدة أيام، كان من ناحية مساندة لإخوانهم عمال المقاولين ومن ناحية أخرى تعبيراً عن استيائهم للحالة التي هم فيها، وذلك في أوائل عام ١٩٥٦، وعلى أثر ذلك تكوّن تجمّع عمالي نتج منه تشكيل لجنة تقوم بتمثيل العمال وطرح مشاكلهم ومطالبهم للشركة، وكانت مكونة من الآتية أسماؤهم:

آدم عباس إلياس

حامد عبد الحميد خان

عبد القوي حميقاني

عبد الله أحمد عولقي (ابن الأشرف)

وقد عمَّ الإضراب كل شركات عدن مثل شركة أ. بس، ولوك توماس، وقهوجي دنشو وغيرها من الشركات الأخرى، وتلك كانت حالة مخاض لولادة الحركة العمالية. وبعد نحو شهر من تأسيس التجمع دُعي إلى اجتماع عمالي في شهر آذار/ مارس ١٩٥٦، نجم عنه تكوين نقابة موظفي المصافي وانتخاب الأخ عبد الله علي عبيد رئيساً بالإجماع[٣٣]، والآتية أسماؤهم أعضاء:

---

(٣٣) وفي انتخابات عام٥٧/ ٥٨ تم تجديد انتخاب عبد الله علي عبيد رئيساً للنقابة وكل من:

| | |
|---|---|
| عبد الرحمن فاضل | نائباً للرئيس |
| ومحمد عبد الله القاضي | سكرتيراً عاماً |
| وحسن قائد وهباني | نائب السكرتير |
| وأحمد سلطان مدهش | أميناً للمال |
| وإبراهيم محمد سعيد | مشرفاً عاماً |

وفي انتخابات عام ٥٨/ ٥٩ جددت النقابة ثقتها فانتخبته رئيساً لها فيما انتخبت:

| | |
|---|---|
| عبده محمد خليدي | نائباً للرئيس |
| محمد عبد الله القاضي | لمنصب السكرتير العام |
| وعلي عبد الله سعيد | مساعداً للسكرتير |
| ومحمد عُباد الأمير | أميناً المال |
| والسيد علي حسين العطاس | مساعداً لأمين المال |
| ومحمد عبد الله النجار | مشرفاً عاماً |
| وعبد الجبار شاهر | عضواً إدارياً |
| وعبد القوي الحميقاني | عضواً إدارياً |

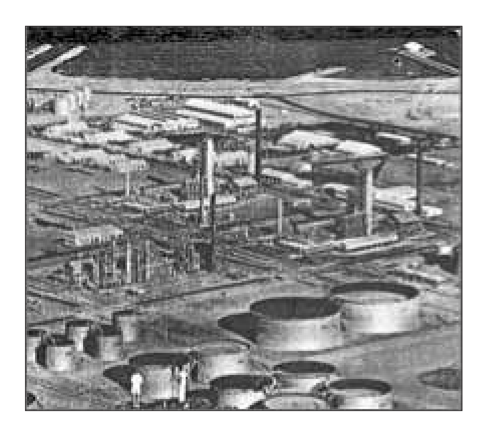
| | |
|---|---|
| عبد الرحمن فاضل | نائب الرئيس |
| محمد عبد الله القاضي | السكرتير العام |
| حسن قائد وهباني | نائب السكرتير العام |
| عبد الله عوض باذيب | أمين المال |
| السيد محمد سليمان | مشرف عام |
| سعيد عبيد ضالعي | عضو إداري |
| سالم حبيشي | عضو إداري |

هذه كانت البداية، أما في ما بعد، فقد جرت تغييرات عديدة، ونذكر من بين من تولوا مناصب نقابية وأدوا دوراً نقابياً الأخوة الآتية أسماؤهم:

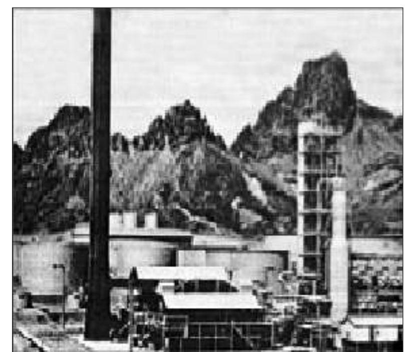
محمد عُباد الأمير، الحاج سالم ناصر، محمد عبد الله النهاري، أبو بكر صالح العولقي، الحاج أحمد جريبة، الحاج علي محمد، أحمد مجاهد، أحمد ثابت حيدر، محمود عبيد هويدي، فارع سيف أسودي، عبد الجبار أحمد حيدر، عبد الكريم عبده عبد الله، حسين سالم عوذلي ٦١/ ٦٢، سالم عبد الله، عبد الوالي إسماعيل، علي سعيد موسواط، أحمد صالح الشاعر، محمد صالح العولقي، أحمد عبده جبلي، محمود عبد الله عشيش، أحمد محمد قعطبي، محيي الدين أحمد سعيد، خالد عبد الولي.

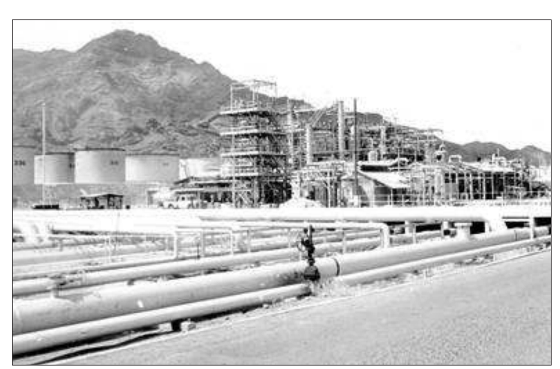


**أبو بكر صالح ميسري وقد تدرب في مصافي الزيت البريطانية (عدن المحدودة) في عدن الصغرى، ونال شهادة البكالوريوس في العلوم من بريطانيا، وكان يعمل في إدارة الإنتاج في المختبر في المصافي.**



**صورة عامة لمصافي عدن القادرة على تكرير ٨,٠٠٠,٠٠٠ طن من البترول الخام سنوياً.**





**صورة وحدة تقطير الزيت الخام في مصافي عدن (BP عدن) المحدودة في عدن الصغرى.**

في الأعوام اللاحقة ٥٧ - ٥٨ - ١٩٥٩ جرت تغييرات عديدة في بنية القيادات النقابية[٣٤] وفي بداية الستينيات أرسل الاتحاد الدولي للعمال العرب السيد علي السيد إلى عدن، فعمل على إعادة تنظيم هذه النقابات وتجميعها في ثمانية اتحادات، وفي ضوء ذلك غُيِّر اسم مؤتمر عدن للنقابات الذي تأسس معها إلى «المؤتمر العمالي في عدن» الذي لم يلبث

---

(٣٤) محمد عُباد الأمير، الحاج سالم ناصر، محمد عبد الله النهاري، أبو بكر صالح العولقي، الحاج أحمد جريبة، الحاج علي محمد، أحمد مجاهد، أحمد ثابت حيدر، محمود عبيد هويدي، فارع سيف أسودي، عبد الجبار أحمد حيدر، عبد الكريم عبده عبد الله، حسين سالم عوذلي، سالم عبد الله، عبد الوالي إسماعيل، علي سعيد موسواط، أحمد صالح الشاعر، محمد صالح العولقي، أحمد عبده جبلي، محمود عبد الله عشيش، أحمد محمد قعطبي، محيي الدين أحمد سعيد، خالد عبد الولي، عبد الله مطلق، محمد حسين الذروي.

طويلاً حتى غُيِّر عام ١٩٦٢ إلى «اتحاد عام نقابات عمال عدن»، وبقيت هذه التسمية إلى يوم الاستقلال المبارك. وبذلك أصبح للعمال في عدن تنظيم رفيع المستوى نوعاً ما، يستطيعون من خلاله أن يؤثروا في الحركة السياسية والنضالية ضد الاستعمار، ما جعل هذه النقابات هدفاً لمختلف القوى السياسية الموجودة على ساحة عدن، إذ بدأت هذه القوى تتجاذب القيادات والنقابات على حد سواء. ففي الفترة ١٩٦١- ١٩٦٢ كانت تأثيرات حزب البعث واضحة على بعض قيادات حزب الشعب الاشتراكي، لكن هذا الحزب لم يكن بحال من الأحوال واجهة للبعث كما شاع في كتابات كثيرة تصدت لهذه المرحلة.



**النقابي الكبير عبد الله الأصنج**

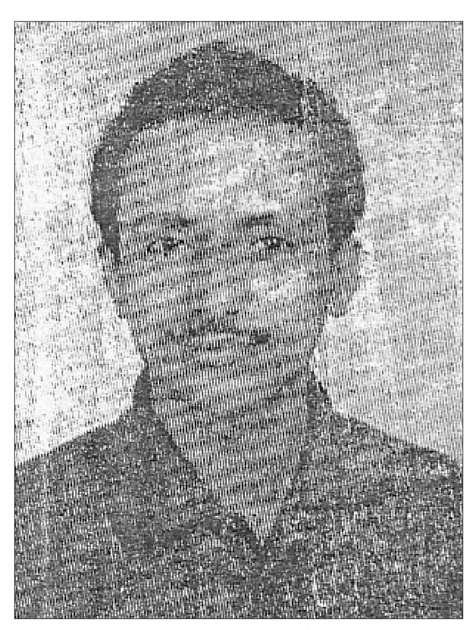
ولعل ذلك يعود إلى القيادي عبد الله الأصنج الذي كان يشغل منصب أمين النقابات، إضافة إلى كونه أمين الحزب، ورئيس تحرير صحيفة «العامل» التي ألغيت بقرار من السلطات، ما اضطره إلى تسميتها في ما بعد «العمال» وقد ساعده في ذلك العضو محمد سالم باسندوة، والمحامي فريد صحبي وعبده خليل سليمان ومحمد سالم علي عبده الذي كان من مؤسسي النقابات في عدن ورئيس نقابة عمال الباصات، التي أسسها، وكانت سبباً في فصله من الشركة التي يملك والده معظم أسهمها. وقد أصدر محمد سالم صحيفة «البعث» التي لم يكتب لها الاستمرار بسبب سلطات الاحتلال التي أغلقتها.

الجدول الآتي يبين عدد النقابات العمالية وأعضائها من بداية الخمسينيات حتى قبيل قيام ثورة ١٤ أكتوبر المجيدة.

| عدد الأعضاء | عدد النقابات | سنة |
|---|---|---|
| ١١ | ١ | ١٩٥٢ |
| ؟ | ٣ | ١٩٥٢–١٩٥٤ |
| ؟ | ٣٥ | ١٩٥٤–١٩٥٦ |
| ١٣٣٨٨ | ٢٥ | ١٩٥٦ |
| ١٣٦٠٠ | ٢٦ | ١٩٥٧ |
| ١٣٦٩١ | ٣٣ | ١٩٥٨ |
| ١٥٨٢٧ | ٣١ | ١٩٥٩ |
| ١٥٩٠٥ | ٢٥ | ١٩٦٠ |
| ١٩٠٧٥ | ٣٠ | ١٩٦١ |
| ٢١٤٠٠ | ٣٢ | ١٩٦٢ |

## مقتل القاضي والسلفي

بعد قيام الثورة اشتدّ الصراع بين أطراف الحركة القومية والوطنية الممثلة في الساحة والتيار الماركسي، وكان كل طرف يحاول أن يثبت وجوده ويتزعم حركة النضال، ولكنهم للأسف لجؤوا إلى أساليب دموية أحياناً راح ضحيتها قادة ومناضلون. ولم تكن النقابات بعيدة عن تلك الأساليب، فقد اغتال خالد مفلحي «خالد أحمد سعيد» علي حسين القاضي بمسدس أنور خالد رئيس مؤتمر الخريجين، وقد سُلِّم مسدساً مرخصاً بحكم عمله موظفاً في إدارة الزراعة والريّ، إذ كان كثير التنقل بين عدن والسلطنات. إن عملية الاغتيال كانت فجة ومفضوحة، إذ انتظر خالد مفلحي علي حسين القاضي أمام منزله في القلوعه «حي الروضة» في النصف الأول من عام ١٩٦٥ وأطلق عليه النار، وأثناء هروبه تخلص من المسدس «أداة الجريمة» قريباً من الحادث، ما سهّل على أجهزة الأمن العثور عليه ومعرفة صاحبه أنور خالد. كذلك فإن علي حسين القاضي ذكر اسم القاتل، قبل أن يلقي حتفه. أما صحيفة «الأمل» التي يترأس تحريرها عبد الله عبد الرزاق باذيب، فإنها لم تتحمس كثيراً للهجوم على قتلة القاضي كما كان يسمى حينها، وعلى أثر ذلك عمد أحمد المجعلي الملقب بـ«التيس» إلى قتل عبد الله عبد المجيد السلفي الذي كان رئيساً لنقابة البنوك، ومن المتعاطفين مع الثورة والجبهة القومية.



عبد الله عبد المجيد السلفي




علي حسين القاضي

لكن رواية أخرى أقرب إلى الصواب تفنّد هذه الحادثة على النحو الآتي: «إن الشهيد عبد الله السلفي اغتيل انتقاماً لمقتل الشهيد علي حسين القاضي، باعتبار السلفي أحد القادة البارزين للنقابات الستّ التي تدعمها الجبهة القومية إبان احتدام التوتر مع جبهة التحرير، وليس لأن صحيفة «الأمل» لم تتحمس للهجوم على قتلة القاضي. بمعنى، أن اغتيال هاتين الشخصيتين البارزتين في هذه المرحلة الدقيقة من عمر الثورة جاء في إطار الصراع الذي احتدم بين تيارين في الحركة النقابية وعكس الانقسام في الصف الوطني بين الجبهة القومية وجبهة التحرير. وبصرف النظر عن الهدف، كان اللجوء إلى هذا الأسلوب في حلّ الخلافات السياسية خطأً فادحاً، وألحق ضرراً بالغاً بمسار الحركة الوطنية، وأطلق الشرارة للحرب الأهلية التي آلت إليها أوضاع الثورة في ما بعد. أما خالد مفلحي، فقد ألقت القبض عليه قيادة الجبهة القومية في اليوم ذاته، وكذلك اعتُقل أنور خالد ونُقل إلى جبهة الضالع حيث قضى أكثر من عام يتنقل بين الضالع وتعز، إلى أن بدأ الخلاف يدبّ في داخل قيادات النقابات والاتحاد على السواء. وبدأت قيادة الجبهة القومية في عدن تعمل على الاستيلاء على كل الاتحادات والمنظمات، بما فيها اتحاد النقابات، في اتجاه إيجابي لدعم الثورة

المسلحة، وجنّدت أعضاءها وأنصارها للسيطرة على النقابات، وصولاً إلى السيطرة على الاتحاد، وسيطرت على ستّ نقابات من أصل (١٣) نقابة، لكن النقابات الستّ عملت على إبراز شخصيتها الاعتبارية محلياً وعربياً ضمن المنظمات النقابية الدولية مثل «الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب» و«اتحاد النقابات في البلدان العربية»[٣٥].

---

(٣٥) أبرز قادة هذه النقابات الستّ هم:

١- نجيب إسماعيل جمال، رئيس نقابة الحكومة والحكومات المحلية، وهذه النقابة هي التي أشرنا إليها في بداية تأسيس النقابات (عمال البلدية قبل تنظيم النقابات).

٢- محمد صالح عولقي، رئيس نقابة اتحاد عمال البترول، الذي يضم نقابة عمال مصافي الزيت ونقابة عمال البترول، التي كان يقودها النقابي حسن سرحان.

٣- فضل علي عبد الله، رئيس نقابة عمال وموظفي ميناء عدن.

٤- محمد علي عماية، رئيس نقابة البنوك.

٥- إسكندر إسماعيل، رئيس نقابة بي. بي التواهي.

٦- حسين الدقمي، رئيس نقابة الطيران المدني.

٧- توفيق عوبلي، الامين العام لاتحاد الطيران المدني.

٨- عبد الله أحمد عمر.

# الفصل الثالث

## اتحاد إمارات الجنوب العربي

## كلية جبل حديد

نظراً لموقع عدن وأهميتها التاريخية والاستراتيجية، فقد جعل البريطانيون منها «غرفة عمليات» لإدارة السياسة البريطانية وضبطها في مناطق المحميات الجنوبية، ومكاناً لعقد الصفقات والاتفاقيات مع السلاطين والأمراء، وقد اتخذت صفة «معاهدات صداقة» تضمن الحفاظ على طرق المواصلات والتجارة ومنافذ التحرك العسكري البريطاني خارج عدن وعلى امتداد ساحل بحر العرب. وإمعاناً في محاولة ربط المحميات ومصائرها بيد البريطانيين، أنشأت سلطات الاحتلال «كلية جبل حديد» في عدن، مقتصرة على أبناء السلاطين ومن في حكمهم، بغرض إعدادهم للمستقبل ليكونوا قيادات «متنورة» قادرة على تلميع صورة الاستعمار والدفاع عنه قبل أيِّ هدف. أما الهدف الثاني، فهو إبقاؤهم تحت نظر السلطات البريطانية حتى لا يتمرد عليها هؤلاء الحكام، وكانت وزارة المستعمرات البريطانية تموّل هذه الكلية وتشرف على مناهجها، وتضع القيود أمام انتماء أبناء الفئات الشعبية والشخصيات الوطنية. ولكن دماء الحركة الوطنية تسربت إلى مفاصل هذه الكلية، سواء من خلال بعض الطلاب الوطنيين الذين استطاعوا الوصول إليها بحكم تفوقهم في الدراسة، أو عبر بعض أبناء السلاطين ورجال الحكومة ممن تأثروا بأفكار ونشاطات الحركة الوطنية المناهضة للاحتلال.

تقع هذه المدرسة في قلب مدينة عدن[1]، بعيدة عن أسواقها و«مفاسدها» في ذلك الوقت.

---

(١) ويشرف مبنى هذه الكلية على الميناء و«باب السلب»، وقد استُخدم قبل ذلك في (١٩٢٠-١٩٢١) سجناً للمناضل المصري سعد باشا زغلول الذي نفاه الإنكليز من مصر، ومكث فيه مدة عام كامل.

أما بناؤها فهو على صورة ثكنة عسكرية طُوِّر إلى مبنى مدرسي مع إدخال بعض التعديلات عليه. ويتألف هذا البناء من غرفة دراسية واحدة قدرتها الاستيعابية بحدود ٤٠ تلميذاً، ومسجد وقسم داخلي ومطبخ وقاعة طعام وحمامات وغرفة خياطة للملابس. وقد طرح فكرة إقامتها منذ عام ١٨٦٦ القس «بدجر»، ولم تُفتَتَح رسمياً إلا في عام ١٩٣٥ على يد المستشار المعتمد «وليم هارولد انجرامز». أما تلامذتها عند الافتتاح فكانوا من أبناء الحكام والسلاطين ورؤساء القبائل وأبناء أقاربهم المقربين، ولم يزد عددهم على سبعة تلاميذ. ثم أصبحوا في عام ١٩٣٧ أربعين تلميذاً من الذين تولى بعضهم مسؤوليات قيادية في حكومة الاتحاد عند قيامه، وقد وُضعَتْ لهذه المدرسة خطة تربوية تعليمية تمثلت في القراءة والكتابة والحساب والتربية الدينية واللغتين العربية والإنكليزية، ويدرس التلاميذ إضافة إلى ذلك العلم الطبيعي وعلم الصحة ومبادئ علم الأدوية، ومبادئ علم الزراعة والتربية الوطنية وفنّ الحكومة أو فنّ الحكم.

إن تغير صفة النظام بالمحميات في عدن من نظام الصداقة إلى نظام الحماية البريطانية جعل فكرة إنشاء هذه المدرسة أمراً واجباً، ومما زاد في أهمية ذلك، دخول نظام الحماية إلى الأرياف المحيطة بعدن، وقد حدد الكولونيل هارولدف يعقوب ذلك بقوله: «إن ما يلزمنا من أجل السيطرة على الأرياف شيئان اثنان: سكة حديد لتطوير التجارة من جهة، والحاجة الماسة من جهة أخرى لإنشاء كلية لأبناء السلاطين والمشايخ». ويستطرد قائلاً عن خصوصية الأطفال العرب في جنوب اليمن: «إن الأطفال العرب ينمون ويكبرون وهم في جهل مطبق لكل شيء ما عدا القتال القبلي والعراك العشائري وفنون الحرب... ونحن نرغب في أن نتلقفهم صغاراً لأن للشباب العربي إمكانات كبيرة ومؤهلات كثيرة». ويقترح يعقوب أن يكون موقع هذه المدرسة في سهل خور مكسر، وأن يتولى إدارتها رجل إنكليزي نشيط يعرف اللغة العربية، يساعده موظفون من سورية ومصر ويختار الطلابَ المندوبُ السامي نفسه، وأن يشمل منهاج هذه المدرسة القرآن الكريم بشكل بارز واللغة والحساب والأدب والتاريخ العربيين واللغة الإنكليزية. وبالفعل مارست هذه الكلية نشاطها، وقدم القبطان سنكلير في ٣ يوليو ١٩٣٥ رسالة إلى السلطان علي بن منصور الكثيري سلطان آل كثير في حضرموت، يعلمه فيها بأمور كثيرة، منها إرسال الأولاد الذين يتعلمون في المدرسة

إلى أوطانهم لقضاء إجازة العيد في ٤ يوليو ١٩٣٥، وسوف يعودون إلى الدراسة في الأول من سبتمبر ١٩٣٥. وقد طلب سنكلير من السلطان معونات مالية للمدرسة. أما عن تلاميذ المدرسة السبعة - كما أسلفنا سابقاً - فهم ثلاثة من يافع، وواحد من العوالق، واثنان من أبناء سلطان أهل فضل، وواحد من أبناء ضباط جيش محمية عدن. أما طاقم المدرسة فهم ثمانية مشرفون يصرفون كل أوقاتهم للعمل في المدرسة، وهم معلمان والمدير السوداني الشيخ حسن فريجون والمشرف وهو الضابط محسن بن فريد العولقي ومعاون واحد، وخمسة أذنة بالإضافة إلى المستر «انجرامز» والدكتور الطبيب فريافا، وكانوا أيضاً يصرفون بعض أوقاتهم على الأولاد السبعة. وفي ختام الرسالة يدعو سنكلير السلطان إلى زيارة المدرسة.

ووصف فاراجو كلية محمية عدن لأبناء الرؤساء والسلاطين في عام ١٩٣٧ حيث زارها بدعوة من « انجرامز» فكتب يقول: «كانت نظرية المستر « انجرامز» التي وجدت دعماً حاراً في دار الإقامة هي: أنه سيكون أسهل أن تحكم البلاد إذا ما نشأ الحكام المحليون إلى طور الرجولة تحت التأثير المباشر لبريطانيا، واليوم هناك حوالي أربعين مرشحاً في هذه المدرسة الفريدة الخاصة.

وقد تعددت أسماء هذه المدرسة، فهي تسمى أحياناً كلية عدن لأبناء الحكام والسلاطين أو «مدرسة أبناء السلاطين والرؤساء» وأحياناً أخرى «مدرسة أبناء الحكام والمشايخ» أو «مدرسة الشيوخ» ولكن الاسم الأكثر شيوعاً وشعبية هو «مدرسة جبل حديد».



**مدرسة جبل حديد، بدأت الدراسة فيها عام ١٩٢٦م وأغلقت في سنة ١٩٥١م وقد تخرّج فيها نحو ١٦٠ طالباً معظمهم من أبناء محميات عدن الغربية وكان سبب انتشار المدارس في عدن والمحميات، ويبدو في الصور ناصر صالح الفضلي. صالح عمر يافعي وهما من متخرجي آخر دفعة فيها عام ١٩٥٠م وقد اعتقل فيها الزعيم المصري سعد زغلول عند إبعاده من مصر وسكنها الجنرال ديجول أثناء مروره بعدن خلال الحرب العالمية الثانية.**

وممن درسوا فيها: قحطان الشعبي، فيصل عبد اللطيف، أحمد علي مسعد، صالح عمر يافعي، أحمد سيف المفلحي، علي محمد الحسني، محمد فريد العولقي، مهدي عثمان، أحمد مفلحي، صالح عبد الرحمن، عبد الرحيم غوث باوزير، فضل علي منصر، يحيى عبد الله مفلحي، فضل حسن لصفوح، سعيد عثمان عشال، عيدروس أحمد النقيب، قائد حسين، شريف بيحان، سليمان ناصر الحسني، ناصر صالح عبد الله الفضلي، حسين عثمان عشال، السلطان حسين عبد الله، أحمد حسين الفضلي، أحمد عبد الله الفضلي، محمد عبد الله الشعيبي، غالب علي العفيفي، عبد الملك عبد الله الشاعري، سيف عبد القوي مفلحي منصور، حيدرة منصور العطوي وغيرهم. وكان لهؤلاء دور بارز في الحركة الوطنية قبل الاستقلال، وبعضهم تولى مهمات إدارية وسياسية في حكومة الاتحاد وفي تأسيس الإدارة المحلية في المحميات، وبعد الاستقلال مارس هؤلاء دوراً في بناء الدولة الجديدة في الجنوب وتطويرها[٢].

---

(٢)

| | |
|---|---|
| ١. قحطان الشعبي | رئيس جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية |
| ٢. فيصل عبد اللطيف | رئيس للوزراء |
| ٣. أحمد علي مسعد | وكيل لوزارة الإدارة المحلية |
| ٤. صالح عمر يافعي | مشرف التعليم في دثينة |
| ٥. محمد سيف مفلحي | ضابط سياسي ووكيل وزارة الأشغال |
| ٦. علي محمد الحسني | ضابط إداري في شركة النفط |
| ٧. مهدي عثمان | رئيس تحرير صحيفة الرابطة |
| ٨. محمد فريد العولقي | وزير للخارجية في الجنوب العربي |
| ٩. صالح عبد الرحمن | مدير مدرسة |
| ١٠. يحيى عبد الله مفلحي | محافظ في شبوة |
| ١١. فضل حسن لصفوح | ضابط سياسي |
| ١٢. سعيد عثمان عشال | مشرف تعليم |
| ١٣. قائد حسين الهبيلي | قائد أمن بيحان |
| ١٤. ناصر صلبح عبد الله | ضابط في الحرس الاتحادي |
| ١٥. حسين عثمان عشال | مشرف تعليم |
| ١٦. السلطان حسين عبد الله الفضلي | سلطان السلطنة الفضلية الفضلي |
| ١٧. السلطان أحمد عبد الله | سلطان السلطنة الفضلية الفضلي |
| ١٨. عبد الله أحمد الفضلي | مدير التعليم في أبين |
| ١٩. محمد عبد الله الشعيبي | مأمور في مودية |

وإلى جانب ذلك شجعت بريطانيا قيام «المدارس التبشيرية» ووفرت لها ثمانين في المئة من مصروفاتها ومستلزماتها من ميزانية المستعمرة، وسعياً إلى ضرب أو «بعثرة» الوحدة السكانية المحلية، فتحت سلطات الاحتلال الباب مشرَّعاً أمام الجاليات الأجنبية للاستيطان في المدينة، بل أغرت الجاليات من دول الكومنولث وإفريقيا، فضلاً عن الأوروبيين، بالعمل والامتيازات، ووجدت من بينهم من وضع نفسه تحت تصرف السلطة الاستعمارية، وانتهى الأمر إلى أن يحتل بعض هؤلاء المراكز الحساسة في أجهزة الحكم والدوائر المهمة، فضلاً عن سيطرتهم على التجارة والأسواق وقنوات المال.

## المندوب السامي البريطاني

## ملحق أسماء الحكام البريطانيين لعدن ١٨٣٩ - ١٩٦٧

حملوا ألقاب الممثل السياسي، المقيم السياسي والحاكم العام، والوالي وأخيراً المندوب السامي!

| | |
|---|---|
| الكابتن اس.بي.هينس البحرية المنصبة | ممثل سياسي ١٨٣٩ – ١٨٥٤ |
| الميجر–جنرال جاي. اوترام | ممثل سياسي ١٨٥٤ – ١٨٥٦ |
| كولونيل – دبليو – كوهلان | مقيم سياسي ١٨٥٦ – ١٨٦٢ |
| ميجر – جنرال ار. دبليو. هونر | مقيم سياسي١٨٦٢ |
| كولونيل دبليو. كوهلان | مقيم سياسي ١٨٦٣ |
| ميجر دبليو آل. ميريويدز | مقيم سياسي ١٨٦٣ – ١٨٦٧ |
| ميجر جنرال سير أي. آل. رسل | مقيم سياسي ١٨٦٧ – ١٨٧٠ |
| ميجر جنرال سي. دبليو تريمنهييري | مقيم سياسي ١٨٧٠ – ١٨٧٢ |
| بريجيدير جنرال جاي. دبليو شنايدر | مقيم سياسي ١٨٧٢ – ١٨٧٧ |
| بريجيدير جنرال أن. ايه. أي لوه | مقيم سياسي ١٨٧٧ – ١٨٨٢ |
| بريجيدير جاي. بلير | مقيم سياسي ١٨٨٢ – ١٨٨٥ |
| بريجيدير جنرال ايه. جي. اف هوج | مقيم سياسي ١٨٨٥ – ١٨٩٠ |

| | |
|---|---|
| بريجيدير جنرال جاي جوب | مقيم سياسي ١٨٩٠ – ١٨٩٥ |
| بريجيدير جنرال سي. ايه. كننجهام | مقيم سياسي ١٨٩٥ – ١٨٩٩ |
| بريجيدير جنرال أمور كيرييه | مقيم سياسي ١٨٩٩ – ١٩٠١ |
| بريجيدير جنرال بي. جاي. ميتلاند | مقيم سياسي ١٩٠١ – ١٩٠٤ |
| ميجر جنرال اتش. أم. ماسون | مقيم سياسي ١٩٠٤ – ١٩٠٦ |
| ميجر جنرال ايه. دي. براث | مقيم سياسي ١٩٠٦ – ١٩١٠ |
| بريجيدير جنرال جاي. ايه. بيل | مقيم سياسي ١٩١٠ – ١٩١٤ |
| بريجيدير جنرال سي. اتش. يوه. برايس | مقيم سياسي ١٩١٥ – ١٩١٦ |
| ميجر جنرال جاي. أم. ستيوارت | مقيم سياسي ١٩١٦ – ١٩٢٠ |
| ميجر جنرال تي. أي. سكوت | مقيم سياسي ١٩٢٠ – ١٩٢٥ |
| ميجير جنرال جاي. اتش. كيه. ستيوارت | مقيم سياسي ١٩٢٥ – ١٩٢٨ |
| ليوتينانت كولونيل سيرجي. اس سيمس | مقيم سياسي ١٩٢٨ – ١٩٣٠ |
| ليوتينانت كولونيل بي. ار. رايلي | مقيم سياسي ١٩٣٠ – ١٩٣٣ |
| ليوتينانت كولونيل بي. ار. رايلي | كبير المقيمين ١٩٣٣ – ١٩٣٧ |
| ليوتينانت كولونيل بي. ار. رايلي | حاكم (والٍ) ١٩٣٧ – ١٩٤٠ |
| السير هاتورن هول | حاكم (والٍ) ١٩٤٠ – ١٩٤٤ |
| السير ريجنالد شامبيون | حاكم (والٍ) ١٩٤٤ – ١٩٥١ |
| السير توم هيكنبوتم | حاكم (والٍ) ١٩٥١ – ١٩٥٦ |
| السير وليام لوس | حاكم (والٍ) ١٩٥٦ – ١٩٦٠ |
| السير تشارلس جونستون | حاكم(والٍ) ١٩٦٠ – ١٩٦٢ |
| السير كينيدي ترافسكس | مندوب سامٍ ١٩٦٢ – ١٩٦٥ |
| السير ريتشارد ترينبول | مندوب سامٍ ١٩٦٥ – ١٩٦٧ |
| السير همفوري تريفيليان | مندوب سامٍ من ٢٠ مايو ١٩٦٧ إلى ٢٩ نوفمبر ١٩٦٧ |

كان المندوب السامي البريطاني أعلى مرجع إداري وسياسي، بوصفه نائباً لملك المملكة المتحدة ورئيساً للإدارة المحلية وقائداً لجيش عدن والمحميات، ويليه في المسؤولية السكرتير العام للحكومة الذي يقوم مقام رئيس الوزراء الفعلي. فمن طريقه تصدر الأوامر والتعليمات، وإليه تتوجه التقارير وترفع جميع شؤون المنطقة. ثم يليه كل من المعتمد البريطاني في المحمية الشرقية والمعتمد البريطاني في المحمية الغربية: الأول يشرف على إدارة سلطنات القعيطي والكثيري والواحدي وقشن وسقطرة وبئر علي، والثاني يشرف على أعمال الإمارات والمشايخ في العبادل والحواشب والصبيحة وردفان والضالع وأهل فضل وأهل يافع والعوالق والعواذل ودثينة وبيحان والعقارب وأهل علي. ولمعتمد الغربية خمسة مساعدين يقومون بضبط إدارات المناطق الخمس: الجنوبية الشرقية ومركزها أحور في بلاد العوالق السفلى، والجنوبية الغربية ومركزها زنجبار في بلاد أهل فضل وتتبعها دثينة ويافع والعواذل، والشمالية الشرقية ومركزها بيحان وتتبعها سلطنة العوالق ومشيخة الصعيد، والشمالية الغربية ومركزها الضالع، ومن ضمنها ردفان والعلوي ويافع العليا والحواشب والشعيب وحالمين.

وهناك قائد الحرس (الحكومي القبلي)، وهو ضابط إنكليزي تابع للمعتمد البريطاني، ويقوم بالتنسيق مع قيادة قوة الطيران في عدن بتوفير حماية الحدود و«تأديب» القبائل المتمردة، من وجهة نظرهم، والإشراف على العمليات العسكرية التي يقررها المعتمد البريطاني.

وثمة ضباط بريطانيون بمركز «ضابط سياسي» في وحدة إدارية، يساعده «مستشار عربي» أو اثنان، ويقوم هذا الضابط بالتصديق على مختلف الأحكام التي يصدرها القضاة أو غيرهم (أو إلغائها)، وإليه تقدم طلبات الاستئناف، وعنه يصدر وقف بعضها.

منذ عام ١٩٢١ راحت الحملات العسكرية البريطانية، براً وجواً، تضرب مرة في المملكة المتوكلية اليمنية وأخرى في الجنوب، مرة لإخماد حركات التمرد على الاحتلال، وأخرى لتأجيج العداوة والشقاق بين المملكة المتوكلية اليمنية والجنوب وفي ما بين القبائل والطوائف، وهو ما كانت بريطانيا تبرع فيه. وفي غضون ذلك، اندلعت الحرب اليمنية السعودية عام ١٩٣٤ حول نجران وجيزان والحديدة وتهامة، لتنتهي إلى انتصار القوات السعودية وإخضاع أجزاء من الأراضي اليمنية للسيادة السعودية، وألقى ذلك على علاقات البلدين ظلالاً من التوتر عقوداً من السنين.

إن تاريخ المنطقة زاخر بصفحات الصراع، غير أن الحقيقة التي تجدر الإشارة إليها هي عجز الاستعمار البريطاني عن مسخ الهوية الوطنية وتشويه روح الشعب. وأعيد ذلك إلى سببين: أولاً، بفعل النهوض المبكر للحركة الوطنية المناهضة للاحتلال، وتواصل حركات التمرد القبلية والشعبية العفوية، وثانياً بسبب طبيعة سياسة الاستعمار البريطاني الذي لا يميل إلى فرض ثقافته أو حتى لغته على الشعوب التي يخضعها بقدر ميله إلى بناء القواعد العسكرية والاستراتيجية بعكس الاستعمار الفرنسي الذي كان يفرض ثقافته ولغته على شعوب البلدان المستعمَرَة.

إلاّ أن هذا لا يعني أن الإنكليز لم يتركوا بصمات على مزاج شعبنا وأفكاره ونفسيته إلى جانب بصماتهم السياسية والإدارية، وخاصة في عدن بحكم موقعها الاستراتيجي، بينما فرضوا الإهمال والعزلة على بقية المحميات في الجنوب، وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة. ولكنهم في الخمسينيات بدأوا يهتمون ببعض الإصلاحات في المحميات، كزراعة القطن والخضار والفواكه لحاجة مستعمرة عدن لذلك، وشيدوا بعض المدارس والمستشفيات ما هيّأ الظروف لإعلان قيام اتحاد الجنوب العربي عام ١٩٥٩ بالاعتماد على السلاطين والمشايخ وأبنائهم والكادر الذي جرى تأهيله في مدينة عدن وبالاستعانة بالخبرات البريطانية المتميزة في مجال النظام الإداري والمالي، وظل تحت رعايتهم حتى سقوط الاتحاد قبل خروج بريطانيا.

## اتحاد الجنوب العربي... وُلد ميتاً

أبصرت فكرة إنشاء اتحاد لإمارات جنوب الجزيرة العربية النور تحت هيمنة الاستعمار البريطاني منذ وقت سابق لمعاهدة ١٩٣٤. فقد ظهرت عام ١٩٢٥ على لسان المندوب البريطاني في عدن «رايلي»، وفي عام ١٩٣٠ رعت بريطانيا مؤتمراً لأمراء قبائل الجنوب وسلاطينها، عقد في الضالع، إلا أن المؤتمر لم يسفر عن قرار محدد. ثم حاول الإنكليز على مدى عقدين من السنين إقامة «اتحاد» تابع لهم في الجنوب، وبخاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، دون أن يتوصلوا إلى مبتغاهم بالنظر إلى مقاومة الشعب في الجنوب للاحتلال البريطاني.

في عام ١٩٥٤ بلغت محاولات حكومة لندن نقطة حاسمة في التهيئة لإقامة «الاتحاد» المنشود، فقد وضع المندوب السامي البريطاني في عدن آنذاك «هيكام بوتام» بالتنسيق مع مستشار المحميات الغربية «كينيدي ترافسكس» صيغة لاتحاد الجنوب العربي قوبلت بأوسع مقاومة محلية، على أن الجهود الإنكليزية عادت وتكللت في شباط/ فبراير ١٩٥٩ بإعلان قيام «اتحاد إمارات الجنوب العربي»[٣] من ست ولايات[٤] فقط، هي: إمارة الضالع، مشيخة العوالق العليا، إمارة بيحان، سلطنة العوذلي، سلطنة الفضلي وسلطنة يافع السفلي. وصدر قانون بتنظيم قيام المجلس الأعلى الاتحادي الذي عقد دورته الأولى يوم الاثنين ٩ نوفمبر ١٩٥٩، نتج منه تشكيل حكومة اتحادية أو ما يُسمى المجلس الأعلى الاتحادي، وحدد راتب الوزير بألفي جنيه سنوياً، وصدرت عنه جريدة رسمية[٥]، وعين الشيخ علي أحمد السليماني قاضياً للاتحاد، وقد أُنشئت مدينة «خاصة» سُميت «مدينة الاتحاد»[٦] على أرض مساحتها ٢٣٦٠ فداناً، أستؤجرت من مشيخة العقارب بموجب عقد بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٥٩، وكلفت الحكومة شركة ويلسون ميسون وضع مخطط شامل للمدينة[٧]، ضمت مقار الوزارات والدوائر الحكومية ومبنىً للبرلمان وداراً للضيافة ومنازل الوزراء والموظفين وثانوية الاتحاد، وبُني مسجد[٨] للعاصمة. وقد اهتمت بريطانيا بالشكل أكثر

---

(٣) وقّع على المعاهدة وملحقاتها الوالي والقائد العام لمحمية عدن و - ه - ت لوس ورئيس المجلس الأعلى للاتحاد السلطان أحمد عبد الله الفضلي - وأعضاء المجلس الأعلى للاتحاد السلطان صالح بن حسين العوذلي - الأمير شعفل بن علي - الشريف حسين بن أحمد الهبيلي - عبد الله بن محسن العولقي - علي عاطف الكلدي. ورفض السلطان علي عبد الكريم سلطان لحج الانضمام إليها، الأمر الذي أدى إلى احتلال القوات البريطانية للحج عام ١٩٥٨ واعتقلت الاستاذ عبد الله علي الجفري وزير المعارف لحكومة لحج.

(٤) وعاصمتها مدينة الاتحاد بالحسوة.

(٥) صدر العدد الاول منها ١ يناير ١٩٦٠.

(٦) وافق المجلس الأعلى لحكومة الاتحاد الفيدرالي لامارات الجنوب العربية بموجب قرار رقم ٤٠ (أ) بتاريخ ٩ يوليو ١٩٥٩ أن يكون الاسم الرسمي لعاصمة الاتحاد هو (مدينة الاتحاد).

(٧) ١) المنطقة السكنية، ٢) المنطقة التجارية، ٣) المنطقة الصناعية، وأبرمت الحكومة الاتحادية اتفاقية لتشييد سكرتارية الاتحاد وعشرة منازل لكبار المسؤولين كدفعة أولى مع المقاول محمد عثمان ثابت يوم ١٧ أغسطس ١٩٥٧، المصدر: نجيب يابلي جريدة الأيام ٢٢/ ٤/ ٢٠٠٧.

(٨) كلف بناؤه أربعمئة ألف شلن (ما يعادل ٦٠ ألف دولار)، وتبرع أعضاء المجلس الاتحادي بـ٤٠٠ ,٣٠٨ شلن، المرجع (الجريدة الرسمية ١١ يونيو ١٩٦١).

من اهتمامها بمضمون ومستقبل هذا الاتحاد الذي انتهى باستكمال هذه المنشآت نهاية عام ١٩٦٧، وتحولت هذه المباني إلى مقارّ للوزارات ومساكن للمسؤولين بعد الاستقلال في جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية. وفي تلك الأثناء أعلنت بريطانيا أنها من حيث المبدأ ستتخلى في المستقبل عن مستعمرة عدن. ولم يكن هذا الإعلان محض «منحة» أو «تبرع» لمصلحة استقلال عدن والمحميات، بل جاء في سياق تداعي الإمبراطورية البريطانية وهزالها، والصعوبات المتزايدة التي تواجهها في إدارة مستعمراتها، ولم يكن ليشكل من جهة أخرى إعلاناً بكفِّ يدها وباحتجاب نفوذها ووجودها، ولا يعني ترك مصير الجنوب لشعبه ليختار ما يرتئيه.



وبالفعل فقد أكدت الأحداث اللاحقة أن المستعمرين إنما كانوا يبذلون جهوداً مضنية في ثلاثة اتجاهات:

- **الأول**، إرجاء الانسحاب العسكري أطول فترة ممكنة[٩].
- **الثاني**، تهيئة «الطاقم» المحلي المناسب الذي سيحلّ محلهم في إدارة المنطقة وتقديم كل أشكال الدعم له، ولن تجد أفضل من الأمراء والسلاطين وحكام المناطق من المشايخ للقيام بذلك.

(٩) أعلنت بريطانيا أكثر من مرة انسحابها من مصر، وكانت مواعيد لذلك، ولكنها كانت تتراجع عن التنفيذ تحت ذرائع ومبررات مختلفة، حتى اضطرت إلى ذلك بعد قيام ثورة يوليو، وكان يمكن تكرار ذلك في الجنوب لولا قيام ثورة ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣.

- **الثالث،** اختراق الصف الوطني ببناء جيوب، وتجنيد «رجال» يكونون بمثابة احتياط للمستقبل.

وتوطئةً لهذا كله، بدأ المحتلون يفكرون منذ إعلان اتحاد الإمارات الجنوبية في ضمِّ عدن إلى الاتحاد. وبتعبير أدق، بجعل عدن رأساً للاتحاد ومركزاً له ضمن حسابات لا صلة لها بالرغبة في توحيد الجنوب على أية حال، بل تهدف إلى كبح نوازع الوحدة تحديداً في الإطار الوطني، آملين أن يساعد وضع عدن «المميز» في الردّ على أية نزعة وحدوية عربية.

في هذه الأثناء راحت الدوائر البريطانية تعمل باتجاه العزوف عن الاحتفاظ بعدن كمستعمرة تابعة للتاج البريطاني، وبدأت تفكر في ضم المدينة إلى «الاتحاد» جنباً إلى جنب مع مساعيها لضم سائر الولايات الجنوبية إليه.



في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦١ انضمت سلطنة لحج إلى الاتحاد[١٠]، كذلك انضوت ضمنه في أوائل عام ١٩٦٢ سلطنة العوالق السفلى و(جمهورية) دثينة ومشيخة العقربي، وألحقت بالاتحاد بعدها بأشهر سلطنة الواحدي.

---

(١٠) ولايات الاتحاد الفيدرالي حسب تاريخ انضمامها:
إمارة بيحان ١١فبراير ١٩٥٩، إمارةالضالع ١١ فبراير ١٩٥٩، السلطنة العوذلية ١١فبراير ١٩٥٩، السلطنة الفضلية ١١ فبراير ١٩٥٩، سلطنة يافع بن قاصد ١١ فبراير ١٩٥٩، السلطنة العبدلية ٨ ديسمبر ١٩٥٩، سلطنة العوالق السفلى ١٢ مارس ١٩٦٠، ولاية دثينة ١٢ مارس ١٩٦٠، مشيخة العقارب ١٢ مارس ١٩٦٠، سلطنة الواحدي ١٨ مارس ١٩٦٣، ولاية عدن ١٨ مارس ١٩٦٣، سلطنة الحواشب ٣٠ مارس ١٩٦٣، مشيخة الشعيب ٣٠ مارس ١٩٦٣، سلطنة العوالق العليا ١٣ فبراير ١٩٦٥، مشيخة المفلحي ٢٥ فبراير ١٩٦٥، مشيخة العلوي ٩ فبراير ١٩٦٥.

لا بد من الإشارة إلى المحاولات الكثيرة التي استهدفت فصل عدن عن محيطها ونسيجها الطبيعي، ونضيف هنا ما كشف عنه السيد محمد حسن عوبلي[١١] في كتابه «اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب»، حيث قال: قدمت الجمعية العدنية ووزراؤها مشروعاً سرياً للحكومة البريطانية من وراء ظهر الحكومة الاتحادية، اقترحت بموجبه أن البلاد لا تصلح للحكم الجمهوري، بل للحكم الملكي على أساس تكوين «مملكة الجنوب العربي» ورشحت الأمير عبد الإله الوصي على عرش العراق ليكون ملكاً على الجنوب، وخاصة أن ثقافته تنسجم مع ثقافة العدنيين، شرط أن تكون عدن عاصمة المملكة الجديدة. وصادف هذا المشروع موافقة الأمير عبد الإله، ولكن ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ في العراق وضعت حداً لهذه الفكرة، ولو لم تقم ثورة العراق لأصبح الأمير عبد الإله ملكاً على الجنوب العربي من عدن حتى مسقط وعُمان. وبعد أربع سنوات ضُمَّت عدن[١٢]، وكذلك سلطنة الحواشب ومشيختي العلوي والمفلحي، فبلغ عدد ولايات الاتحاد الذي غُيِّر اسمه إلى «اتحاد الجنوب العربي» منذ نيسان/ أبريل ١٩٦٢ سبع عشرة ولاية، يقطنها مليون نسمة، وبقيت خارج هذا الكيان سلطنات الكثيري والقعيطي والمهرة وثلاث مشيخات صغيرة في يافع العليا، منها سلطنة الشقي، وهي جميعها لا تتمتع بأية سيادة، بسبب ارتباطها بمعاهدات مع بريطانيا تلزمها بالتبعية التامة. إلا أن إعلان قيام الاتحاد سنة ١٩٥٩ لم يكن مفاجأة لأحد. فقد سبق ذلك نشر «نص المعاهدة» بين حكومة بريطانيا والاتحاد المزمعة إقامته، وما من فقرة فيها إلا تفضح طبيعة الاتحاد وهويته والأهداف الاستعمارية من وراء إقامته. إذ تشير المادة الثانية إلى مسؤولية بريطانيا المسؤولية الكاملة بشأن علاقات الاتحاد بالدول الأخرى وحكوماتها والهيئات «الدولية».

- وتؤكد المادة الرابعة أن المنح والمساعدات المالية والفنية هي رهن «بإرادة المملكة المتحدة»، وأن «يسلم الاتحاد ويقدم جميع التسهيلات الضرورية للموظفين الاستشاريين».

---

(١١) محمد حسن عوبلي، اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب، صفحة ٨٠.

(١٢) وعارض انضمام عدن إلى الاتحاد عدد من أعضاء المجلس التشريعي وفي مقدمتهم علي محمد لقمان، عبد القوي مكاوي، عبد الله إبراهيم صعيدي، سعيد محمد حسن، مصطفى عبد الله، علي علوان ملهي وعلي سالم علي.

- وتقطع المادة الخامسة بأن الاتحاد «يقبل» و«يعمل على إنجاز» أي نصيحة من لندن «بشأن» أي قضية متعلقة بسياسة الاتحاد.
- وتلزم المادة السادسة حكومة الاتحاد أن لا تقبل أي ولاية في الاتحاد «دون موافقة المملكة المتحدة».
- وتشير المادة السابعة إلى أن معاهدات الاستشارة السابقة تبقى سارية المفعول.
- والمادة الثامنة تجعل الحاكم البريطاني العام مسؤولاً مباشراً بالنيابة عن بريطانيا.

أما ملحق المعاهدة، فقد ألزم «جيش الاتحاد» أن يعمل بمشيئة بريطانيا حتى ولو تطلب العمل خارج الحدود، وأن تعيين «قائد» جيش الاتحاد مشروط بموافقة لندن، وتقديم التسهيلات العسكرية لحلفاء المملكة المتحدة، وإعطاء «حق» للاتحاد بأن يعيِّن شخصين «لا أكثر» في«مجلس الدفاع» الذي يتولى شؤون الدفاع عن الاتحاد وتقديم النصح للحاكم العام.

لقد أثارت سياسة بريطانيا هذه، وخضوع بعض الساسة العدنيين والسلاطين لها مشاعر الغضب لدى الشعب، وقد عبّر الشاعر الوطني عبد الله هادي سبيت عن ذلك أصدق تعبير في قصيدته الشعبية الشهيرة «يا شاكي السلاح» ويقول في مطلعها:

**يا شاكي السلاح شوف الفجر لاح**
**حط يدك على المدفع زمان الذل راح**
**هـذا الغير سيد واحـنـا لـه عبيد**
**يا من مات والله أنه من القهر استراح**

كذلك هاجم الشاعر صالح فقيه في قصيدته «قال بو زيد»[١٣] قيام الاتحاد الفيدرالي، مخاطباً حكام إمارات الجنوب، وقد غناها أحمد يوسف الزبيدي في حفل بمدرسة البادري بكريتر وحضره بعض الأمراء والسلاطين، وعندما وصل إلى البيت الذي مطلعه «يوم قالوا عجمتوا ما تردوا الجواب» انسحب بعض السلاطين من الحفل، واستمر الحفل إلى نهايته كما روى لي المناضل الاستاذ عبد الله الهيثمي الذي كان حاضراً في ذلك الحفل، ومما جاء فيها:

---

(١٣) بو زيد تعني الشعب.

**قال بو زيد جاني علم ما هو سوى**
**نكد علي هيج أشجاني وعطل مزاجي**
**يوم قالوا عجمتوا ماتردوا الجواب**
**ما هكذا كان ظني يا رجال المحاجي**
**في العبادل وبيافع وأهل فضل الرجا**
**والعولقي والكثيري عادني اليوم راجي**
**يا رجال (الإمــارات) منعكم كلكم**
**لا ترهبوا الموت ما واحد من الموت ناجي**

## بعد سياسة «فرِّق تَسُدْ»... «وحِّد وانسحب»

جربت بريطانيا خلال فترة احتلالها الطويل لعدن والمحميات سياسة فرق تسد المعروفة، ونجحت إلى حد كبير في فرضها على المنطقة بقوة. ومنذ نهاية الخمسينيات وإلى بداية الستينيات، أخذت تروِّج لرغبتها في ترك المنطقة والانسحاب منها ومنح الاستقلال لدولة موحدة تجمع في اتحاد فيدرالي إمارات ومشيخات وسلطنات الجنوب العربي وعدن، ثم تطورت الفكرة إلى إقامة دولة «اتحاد الجنوب العربي»، كما سبق أن أشرنا، وبذلك تكون قد انتقلت سياستها من خطط التفرقة لفرض السيادة إلى خطط «التوحيد» لتسهيل الانسحاب بما ينسجم مع مصالحها وفائدة المنطقة من منظورها، وبما ينسجم مع مصلحة أعضاء هذا الاتحاد ورموزه القيادية. لكن الرياح لم تأتِ بما اشتهت السفن، وما تحقق لسياسة «فرق تسد» من نجاح طوال سنوات الاحتلال لم يكتب لسياسة «وحِّد وانسحب»، ربما لعدم الكفاءة أو الجدية في فرض هذه السياسة وجعلها تعمل وترى النور وتجني الثمار على أرض الواقع كما كان الأمر مع سابقتها.

ولو كانت بريطانيا جادة فعلاً وسلمت المنطقة منذ وقت مبكر لحكومة محلية تتمتع بقدر من الثقة، لجنبت شعبنا الكثير من الصراعات والتضحيات والآلام والتجارب المريرة، ولكنها لم تفعل وتخبطت في تصورات ومشاريع غير متناسقة، لعدم امتلاكها الرؤية الواضحة لمستقبل المنطقة بعد رحيل قواتها منها، بل عدم امتلاكها لرؤية واضحة لمستقبلها كدولة عظمى كانت ذات يوم إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس، وكان التردد وعدم الوضوح سمة واضحة

للسياسة البريطانية ومشاريعها لمستقبل عدن والجنوب العربي. فهي من ناحية تودّ الحفاظ على قاعدتها العسكرية في عدن، لكن كيف وما هو الثمن الذي يجب أن تدفعه مقابل ذلك؟ هذا ما عجزت عن فهمه وإدراكه، حيث تجاوز تطور الأحداث في المنطقة والعالم العقلية الهرمة للإمبراطورية العجوز التي أصابها الشلل والجمود، وأصبحت أشبه ما يكون بالتاجر المفلس الذي يبحث في دفاتره القديمة عن شيء ينقذه من الإفلاس. ولو أرادت بريطانيا حقاً إيجاد حل لمشكلة الجنوب العربي وترتيب أوضاعه بصورة طبيعية تكفل نقل السيادة بصورة سلسة من الإدارة الاستعمارية إلى إدارة محلية، تحظى بقبول المواطنين، لتجاوبت مع المقترحات التي خرجت بها اللجنة الفرعية التي شكلتها لجنة الأمم المتحدة الخاصة بتصفية الاستعمار المعروفة بلجنة الأربع والعشرين، حيث أوصت هذه اللجنة التي ضمت في عضويتها في ذلك الحين ممثلي يوغسلافيا والعراق ومدغشقر وفنزويلا وكمبوديا، بعد زياراتها المتعددة لكل من مصر واليمن والسعودية ولقاءاتها مع العديد من الشخصيات العدنية المستقلة أوصت:

١- الدعوة إلى انتخابات عامة تقوم على الاقتراع العام.

٢- وقف جميع تدابير القمع، بما في ذلك العمليات العسكرية واحتجاز السجناء السياسيين.

٣- حل الأنظمة الحكومية القائمة في عدن والاتحاد وإجراء انتخابات جديدة.

٤- إناطة مسؤولية الإقليم بالأمم المتحدة.

٥- تحديد موعد مبكر لمنح الاستقلال للحكومة الجديدة المنتخبة.

لكن الحكومة البريطانية كابرت ورفضت هذه المقترحات ومنعت اللجنة من دخول عدن والاتحاد لتقصي الأوضاع، وبذلك فوتت على نفسها حلاً يمكن أن يحفظ لها بعضاً من ماء وجهها الذي أهرقته حركة التحرر الوطني المتنامية على امتداد العالم ولجنبت شعبنا الكثير من التضحيات.

وللحق، فقد تضافرت عدة عوامل في إخفاق هذه السياسة، منها:

**أولاً**: ضعف الرغبة البريطانية في إحلال بديل لائق ومستقر وصديق قد تكلفها صداقته ثمناً

باهظاً، وهي ليست مستعدة له ولا راغبة فيه. وهي تستعد للرحيل من شرق السويس، آخر مستعمراتها الاستراتيجية.

**ثانياً**: فإن الموقف غير الواضح من وضع المحميات الشرقية في حضرموت والمهرة الرافضة للاتحاد وموقف بريطانيا منها أضاف إلى عوامل ضعف الاتحاد عنصراً جديداً.

**ثالثاً**: إن الضعف الأساسي في حكومة الاتحاد، أنه لم يكن هناك قائد أو زعيم ليقودهم إلى الاستقلال كما كان نهرو وكينياتا في الهند وكينيا ودولة الإمارات برئاسة الشيخ زايد، وإن ضعف وعجز بعض رموز الحكم في إماراتهم، علاوة على عدم التناسب بين الإمارات من حيث السكان وجغرافية المكان والموارد، كل ذلك أضاف عنصراً آخر معوِّقاً لتماسك هذا الكيان وقدرته على البقاء.

## هيئة دون رأس!

وللحقيقة، فإن بعض الحكام المحليين كانوا يشعرون منذ وقت مبكر بالقلق من الطبيعة الفضفاضة للاتحاد وسلطاته الواهية وعدم امتلاكه للقدرات والإمكانات التي تمكنه من تطوير أوضاع المحميات وتحسين حياة السكان، ودستور الاتحاد المتداعي كان مشكلة، فبموجب نظامه لم يكن هناك منصب رئيس أو رئيس وزراء، وبدلاً منهما فإنه عند اليوم الحادي عشر من كل شهر يترأس رئيس جديد المجلس الأعلى الذي كان بمثابة مجلس الوزراء في الحكومة، وقد فشل المجلس الأعلى في جلسته يوم ٦ يونيو ١٩٦١، في تعيين رئيس دائم للمجلس الاتحادي، ونتيجة لذلك فإن النظام كان مشلولاً والسلطات كلها بيد المندوب السامي البريطاني الذي يدير الاتحاد من وراء الستار بصفته المستشار البريطاني للاتحاد وله سلطة الوساطة الاستشارية على حكومة الاتحاد ومسؤولية الأمن، وحتى عندما اقترح وزير المستعمرات البريطاني السير دانكن ساندس تحويل عدن من مستعمرة إلى محمية في إطار الاتحاد في ديسمبر ١٩٦١، فإنه أبقى سلطات الأمن بيد المندوب السامي البريطاني[١٤]. وقد أبدى عدد من الحكام المحليين عدم رضاهم عن هذا الواقع في أكثر من مناسبة، فهذا السلطان أحمد بن عبد الله الفضلي يقول للمندوب السامي البريطاني

---

(١٤) DEFE 11/422.

ترافسكس عندما رفضت بريطانيا السماح للجنة الأمم المتحدة بدخول عدن والاتحاد: «إذا كنت تريد لنا أن ينظر إلينا بصفتنا حكومة فدعونا نتصرف كحكومة». ووزير آخر في حكومة الاتحاد يقول لترافسكس أيضاً: «لا يستطيع المرء أن يحكم العرب إلا عبر الترهيب أو الترغيب، وأنتم لا تسمحون لنا بالحكم عبر الترهيب، ولا أنتم تمدوننا بالوسائل التي تتيح لنا الحكم عبر الترغيب»[١٥].

أما أمير بيحان، فقد أعرب في لقائه مع السير نيجل فيشر وزير الدولة البريطاني لشؤون المستعمرات عن قلقه من المشاكل التي تواجه الاتحاد، وذكر أن الاتحاد يواجه الكثير من المشاكل التي يجب أن توجد لها الإدارة البريطانية الحلول قبل أن يكون الاتحاد مهيّأً للاستقلال، مبدياً انزعاجه من السلطة الواهية للمجلس الأعلى للاتحاد الذي أصبح هيئة دون رأس فعلي من قادة الاتحاد، مؤكداً ضرورة أن يتغير النظام الذي بموجبه يتولى وزير مختلف كل شهر رئاسة المجلس الأعلى للاتحاد[١٦].

وحتى عندما تحركت الحكومة الاتحادية بإيعاز من ترافسكس، بعد حادث الاعتداء بقنبلة يدوية في ٩ ديسمبر ١٩٦٣ على المندوب السامي البريطاني في مطار خورمكسر، ومعه حشد من ممثلي حكومة الاتحاد وعدن، وهم يزمعون السفر إلى لندن لحضور المؤتمر الدستوري حول عدن، ما أدى إلى مقتل مسافرة هندية عبر مطار عدن وجرح ٥١ شخصاً، بينهم المندوب السامي البريطاني ومساعده جورج هندرسون الذي توفي متأثراً بجراحه في اليوم التالي. حتى عندما تحركت الحكومة الاتحادية، بغضّ النظر عن سلامة تحركها وقامت بفرض حالة الطوارئ وإغلاق الحدود مع الجمهورية العربية اليمنية واعتقال بعض الناشطين السياسيين وطرد آخرين، رأت وزارة المستعمرات أن تصرف الاتحاد كان عنيفاً أكثر مما ينبغي[١٧]. (رغم أن التحرك جرى بإيعاز من ترافسكس الذي رأى أن أفضل الأمور هو أن يقوم العرب باتخاذ أي إجراء تستدعيه الضرورة ضد أتباعهم العرب بدلاً من أن تستخدم بريطانيا يدها الثقيلة).

(١٥) رسالة شخصية من تريفاسكس إلى ساندس في ٢٠/ ٢/ ١٩٦٤. PREM- 11/4678.

(١٦) مذكرة حول اجتماع نيجل فيشر وأمير بيحان ٢٩ أغسطس ١٩٦٣، وزارة الخارجية ١٦٨٣٩/ ٣٧١.

(١٧) DEFE 11/424 برقية من تريفاسكس إلى ساندس ١٣ ديسمبر ١٩٦٣.

## أحمد الفضلي وتحذير عبد الناصر

بلغ التوتر والتبرم من السياسة البريطانية المترددة في دعم الاتحاد بصورة واضحة لدى القادة المحليين قمته عندما هددت قيادة الاتحاد بالمطالبة بالاستقلال ما لم تقم الحكومة البريطانية بعمل قوي في مواجهة المدّ المتصاعد للاضطرابات في المنطقة، وخاصة في ردفان وحدود الجمهورية العربية اليمنية. وقد أشارت وزارة الخارجية البريطانية إلى أن حكام الاتحاد يجدون أن إحجام البريطانيين عن التصرف غير مفهوم، وأن بعض هؤلاء الحكام يتساءل عمّا إذا كان البريطانيون مستعدين على المدى القريب أو على المدى البعيد للسماح بانهيار الاتحاد[١٨].

وأخذت الأمور منحىً دراماتيكياً خلال المؤتمر الدستوري حول عدن الذي عقد في ٩ يونيو ١٩٦٤ بعد التصريحات التي أدلى بها رئيس وزراء عدن زين باهارون في كلمته قبيل المؤتمر والتي قال فيها إن الاتحاد قد وُلد مشلولاً، إذ أثار هذا التصريح غضباً عاصفاً لدى السلطان أحمد بن عبد الله الفضلي ورئيس المجلس الأعلى للاتحاد الذي قال بعدئذ للمندوب السامي ترافسكس: «كان علينا منذ البداية أن نصغي إلى ما قاله جمال عبد الناصر عندما حذرنا من حقيقة كونكم منافقين»[١٩].

كان هدف بريطانيا من المؤتمر ضمان استخدام القاعدة العسكرية في عدن، بينما كان قادة الاتحاد وعدن يأملون بدرجات متفاوتة إحراز الاستقلال وبسط سيطرتهم على الدولة الجديدة، لم يحقق المؤتمر النجاح الذي كانت قد أرادته الإدارة البريطانية، ولم يسفر عن توافق تام على مقرراته، وقبل يوم واحد من اختتام المؤتمر غادر السلطان أحمد عبد الله الفضلي إلى روما وأعلن انسحابه من المؤتمر وانفصاله عن الاتحاد كما حدثني بذلك السلطان أحمد عبد الله الفضلي شخصياً، وتوجه مباشرة إلى القاهرة للقاء جمال عبد الناصر، وكان ذلك كسباً إعلامياً وسياسياً كبيراً لمصر وضربة قوية للسياسة البريطانية في عدن والجنوب.

لم تحبط الحكومة البريطانية ممثلة بوزارة المستعمرات آمال حكام إمارات الجنوب في

---

(١٨) ملخص عن المحادثات الإنجلوأميركية حول الشرق الأوسط ٢٤ يناير ١٩٦٤ FO 371/174484.

(١٩) تريفاسكس: ظلال الكهرمان ص ٢١٨.

الحصول على دعمها القوي لتعزيز سلطاتهم وتقوية نفوذهم وتهيئة بلادهم للاستقلال المبكر فقط، بل أيضاً وقفت أمام أي أفكار من طرف موظفيها في مستعمرة عدن والاتحاد لإصلاح أوضاع المستعمرة والاتحاد وتهيئتهما لمرحلة ما بعد رحيل القوات البريطانية من الجنوب. ولعبت الأوضاع السياسية في المملكة المتحدة نفسها، التي اتسمت بعدم الوضوح والضبابية في ما يتعلق بالرؤية لمرحلة ما بعد انتهاء الفترة الاستعمارية دوراً في ذلك، إذ تعددت الآراء والأفكار في هذا الشأن وسط النخبة السياسية البريطانية وراسمي سياساتها واستراتيجياتها في الدولة العجوز المنهكة والمدِينة والتي لم تقم بعد من حالة انعدام الوزن بسبب الضربات التي تتالت عليها من حركات التحرر الوطني في مختلف أنحاء العالم، ولم تقرر بعد ماذا تريد، وما هو الدور الذي ستلعبه في السياسة الدولية بعد انحسار نفوذها. وقد تعددت الآراء وتناقضت الرؤى بين راغب في ممارسة دور مؤثر في الساحة الدولية وبين من يدعو إلى ترك الماضي الاستعماري والتركيز على الداخل. وبسبب هذه الحالة، فإن ما كان يهمّ الحكومة العمالية البريطانية في ذلك الوقت هو سحب قواتها من عدن ومحميات الجنوب دون إبطاء لكي لا تتحمل المزيد من الخسائر والنفقات وبأي صورة كانت دون الاكتراث بمستقبل المنطقة التي انسحبت منها قبل أن ترتب أوضاعها.

وإذا توقفنا أمام بعض الأفكار والمقترحات التي تقدم بها بعض موظفي وزارة المستعمرات في عدن ومحميات الجنوب لتهيئة أوضاع المنطقة لما بعد انسحاب القوات البريطانية، لوجدنا أن بعضها سبق الأحداث التي شهدتها المنطقة، ومنها الخطة التي قدمها لوزارة المستعمرات السير تشارلز جونستون والي عدن في الفترة ١٩٦٠ - ١٩٦٣ وقدمها في نوفمبر ١٩٦٢ بناءً على نصيحة اللجنة الأمنية لمحمية عدن الغربية والتي احتوت على ثلاث نقاط رئيسة هي:

١- تحسين صورة الاتحاد بين العرب.
٢- حماية قبائل المحمية من التخريب الخارجي.
٣- تعزيز قوة الاتحاد عسكرياً.

لكن وزارة المستعمرات لم تستجب إلا لمطلب واحد من هذه المطالب، وهو زيادة الجيش الاتحادي بكتيبة إضافية ولم ترغب في زيادة التمويل المقدم إلى الاتحاد «ما حال بين

الاتحاد والاضطلاع بالحد الأدنى من مسؤولياته بصورة كفوءة، وبالتالي فإن الاتحاد قد خسر بدلاً من أن يكسب»(٢٠).

أما المندوب السامي البريطاني السير كينيدي ترافسكس (١٩٦٣- ١٩٦٥)، فقد تقدم أكثر من مرة بمقترحات لتعزيز نفوذ اتحاد الجنوب العربي وترتيب أوضاع عدن والجنوب، منها خطته لمنح عدن استقلالاً مبكراً في إطار اتحاد الجنوب العربي، التي تكونت من ثلاث نقاط رئيسة هي:

١- منح عدن الاستقلال ضمن الاتحاد بأسرع وقت ممكن.
٢- منح الاتحاد الاستقلال مباشرة بعد استقلال عدن.
٣- استبقاء السيادة على مناطق القاعدة(٢١).

وظل ترافسكس متمسكاً بفكرة استقلال المنطقة، وظل يؤكد أن من المحتم أن تبقى الدولة المستقلة حليفاً وثيقاً لبريطانيا في المستقبل القريب والبعيد، وكتب إلى وزارة المستعمرات، (أن هدف بريطانيا كان أن عدن يجب أن تكتسب استقلالاً في إطار دولة اتحادية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بنا بمعاهدة وتكون محل نفوذنا وسيطرتنا المباشرة، وكانت هذه السياسات ترتكز على الاعتقاد بأن أفضل سبيل لحماية القاعدة العسكرية في عدن هو بواسطة وكالة الاتحاد أكثر منه من خلال سلطتنا الدستورية الاستعمارية المباشرة)(٢٢).

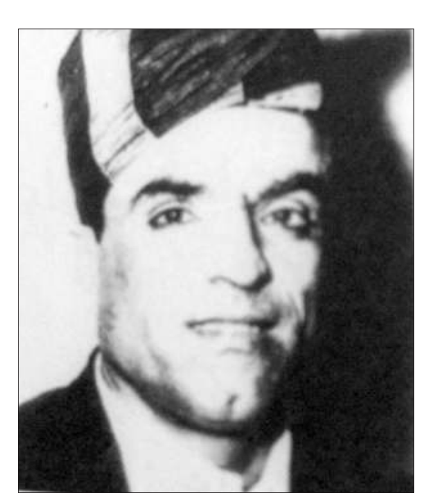
ورغم أن خطة ترافسكس كانت تستجيب إلى الحد الأدنى من طموح بعض القوى السياسية الوطنية في ذلك الوقت، إلا إن هدفها الأوحد هو خدمة المصلحة الاستعمارية لبلاده، ولم تكن مصلحة أبناء الجنوب في سلم الأولويات، إلا أن هذه الخطة لم تحظ بأي اهتمام من وزارة المستعمرات ولم تمنح الاهتمام الذي تستحقه، وكان من سوء حظ رسائل ترافسكس وبرقياته أنها أُرسلت في خضمّ الصراع حول مستقبل حزب المحافظين في ذلك الوقت.

**رابعاً**: وهو الأهم من بين الأسباب، فقد ظل وضع مستعمرة عدن وموقف حكوماتها وحتى

(٢٠) رسالة «برقية» من ترافسكس إلى ساندس ١٩، ١٤ أكتوبر ١٩٦٣، مكتب رئيس الوزراء – disbatch 4928/11.
(٢١) رسالة من جي، جاي، سي، دبليو، يوشل إلى تي إف برنشلي ٢٤ سبتمبر،١٩٦٣ وزارة الخارجية/ ١٦٨٣٠/ ٣٧١.
(٢٢) تلغراف من تريفاسكس إلى إيستوود، ١٤ أكتوبر ١٩٦٣، وزارة الدفاع ٥٢/ ٢٥.

كثير من رعاياها من هذا الاتحاد في حالة شدّ وجذب ومراوحة خلقت ضبابية كثيفة على رؤية أهل الشأن أشد وطأة من الموقف البريطاني الذي كان يفتقر إلى الجدية التي تستدعي الحزم. لذلك، وجدنا أن نفور أغلبية أعضاء حكومة عدن، وحتى اللحظات الأخيرة من الاتحاد، يفوق جدية بريطانيا بمراحل، فهم يكنّون لهذا الاتحاد عداوة ويحرضون عليه وكأنه عدوهم الأساسي، ولا فرق بينه وبين البريطانيين. هذا في الوقت الذي لم يطرح فيه أعضاء هذه الحكومة من المعادين للاتحاد رؤية أو مشروعاً سياسياً بديلاً لمستعمرة عدن بعد جلاء البريطانيين المرتقب. وأخذتهم نعرة الانسياق وراء روح التعالي والإحساس بالتفوق على غيرهم دون مسوغ يعطيهم الحق، أو حتى يمكنهم من وضع بديل يكون مقبولاً أو حتى منطقياً. وكأن هذا الاستعلاء وحده سيمكنهم من إقامة دولة كاملة السيادة فوق رقعة صغيرة من الأرض على البحر، ولكن عزلها عن محيطها الداخلي في البر الذي تتكون منه بقية الإمارات والسلطنات يقلّل كثيراً جداً من هذه الأهمية إذا نظرنا إلى الأمور بتعمق وبعد نظر.

## الزواج بـ١٧ أو على طريقة عبد العزيز


**الشيخ علي عاطف الكلدي**

**خامساً** وأخيراً: فإن نظرة إلى المشهد السياسي حينها، كما كان على حقيقته عندئذٍ، تكفي لجعلنا ندرك كم كان مشروع دولة اتحاد الجنوب العربي هذا مهيض الجناح تتناوب على كيانه السهام من كل حدب وصوب، حتى تكسرت النصال على النصال. فعلى سبيل المثال عقد اجتماع لحكومة الاتحاد لمناقشة الدستور الجديد، قبل وصول بعثة الأمم المتحدة للتحقيق في تقدم المنطقة نحو الاستقلال. افتتح الاجتماع الشيخ علي عاطف الكلدي، وزير الصحة، وقال إن من المعروف جيداً أن أنجح ملك عربي في التاريخ الحديث هو الملك عبد العزيز آل سعود، لأنه استطاع أن يوحّد السعودية بأن تزوج من كل قبائلها وعشائرها، دون أن يشغل نفسه بسنّ دستور، وإذا ما أراد رئيس

الجنوب العربي أن يوحد البلاد، فإن عليه الزواج بفتاة من كل إمارة من الإمارات والمشيخات والسلطنات السبع عشرة فضحك الجميع، وعلق الشيخ محمد فريد العولقي، وزير الخارجية، بسخرية بأنه يجب أن يُستثنى من هذا القرار الوزراء العدنيون، فهم لا يستطيعون الزواج إلا بامرأة واحدة، فكيف بسبع عشرة؟! وقال الشيخ علي عاطف: إنني لا أرشح نفسي، ولكنني أسجل أنني مقتدر على ذلك. وتدخل الوزير عبد الرحمن جرجرة لإرجاع الجلسة إلى هدفها الأساسي، وهو الدستور، وإن مستقبل الاتحاد ودستوره واستمراره أمام التطورات السياسية العاصفة لن يحلّ بطريقة الزواج هذه. هؤلاء هم عينة من المسؤولين الذين عينتهم بريطانيا، ما يدلّ على عدم جديتها في بناء الاتحاد!! وكانت الحركة قد أصدرت كتاباً سمّته اتحاد الإمارات المزيف.

ومن ذلك أيضاً، أن بريطانيا العظمى لو كانت مخلصة النية والمقاصد ومنزهة عن الأغراض في تفكيرها، وجادة فعلاً في إقامة دولة اتحادية فيدرالية قابلة للحياة والصمود والمقاومة، عندما تهبّ عليها الرياح إذا هبّت أو تعصف بها الأعاصير إذا عصفت، لكانت سعت إلى خلق أبسط مقومات الدول، وهي تهيئة بنية تحتية وفوقية معاً في الوقت ذاته وبالتماسك ذاته، بمعنى توفير الحد الأدنى من شروط الحياة اللائقة بالإنسان في ريفٍ ظلّ محروماً كل شيء طوال زمن الاحتلال.

فباستثناء مستعمرة عدن التي توافرت لها بعض الخدمات العصرية والمرافق المدنية الحديثة من طرقات ومستشفيات ومدارس وكهرباء ومياه واتصالات وصرف صحي وخدمات بلدية وأنشطة ثقافية وترفيهية وحركة رياضية وفنية، وبعض هذه الخدمات، كانت إما موجهة لخدمة القاعدة العسكرية البريطانية وأفرادها وأسرهم، أو نشأت بفعل الحركة التجارية والملاحية النشطة لمدينة يزيد عمرها على ثلاثة آلاف سنة وتمتلك واحداً من أكثر موانئ العالم أهمية واستراتيجية، وبالتالي ليس للسلطات البريطانية فضل في ذلك، باستثناء هذه الخدمات الموجودة في عدن لخدمة القاعدة البريطانية ولخدمة مستعمراتها عبر الشرق والغرب، فإن أغلبية السكان في محميات الجنوب العربي كانوا يعيشون أوضاعاً معيشية وإنسانية في غاية التخلف والسوء، ويعيشون ظروفاً لا تمتّ إلى العصر بصلة، إذ لا توجد مدارس أو طرقات أو مستشفيات أو كهرباء أو مياه أو اتصالات أو أنشطة تجارية أو صناعية

أو زراعية أو ثقافية أو فنية، فضلاً عن أن أبناء هذه المناطق كانوا أسرى لدوامة الثأرات والحروب القبلية والجهل والتخلف والخرافات. حتى قيام الدولة في الجنوب التي أنهت أعمال الثأر وأقامت المدارس والمستشفيات وبعض الصناعات، وطورت الزراعة وفتحت أول جامعة في تاريخ الجنوب، فضلاً عن تعميم الخدمات وتحديث الإدارة في مختلف المحافظات وفرض النظام والقانون على كامل تراب الجمهورية.

## أبخل من شيلوك

كانت الخزينة البريطانية التي أفرغت ذهبها وكنوزها التي دأبت لعقود طويلة على جمعها وكنزها من مستعمراتها المترامية الأطراف (التي كانت لا تغيب عنها الشمس) خلال الحقبة الاستعمارية لتسديد فواتير الحرب العالمية الثانية لخليفتها الصاعدة الولايات المتحدة الأميركية أشد بخلاً على عدن ومحميات الجنوب من بخل التاجر اليهودي شيلوك في رائعة شكسبير المعروفة، إذ لم تخصص لحكومة الاتحاد سوى مبلغ ثلاثة ملايين وستمئة وسبعين ألف جنيه إسترليني للفترة من ١٩٦٣ إلى ١٩٦٦ منحت منها مبلغ ٥٦٠ ألف جنيه في يونيو ١٩٦٣ ومليوناً ومئتين وخمسين ألف جنيه في ديسمبر ١٩٦٣ ومليوناً وثمانمئة ألف جنيه في سبتمبر ١٩٦٤، وبميزانية سنوية تقلّ عن ١٠٪ من الميزانية المخصصة للقاعدة العسكرية البريطانية في عدن التي تبلغ ١١ مليون جنيه إسترليني سنوياً. وكانت معظم المبالغ المخصصة لميزانية اتحاد الجنوب العربي تذهب إلى المرتَّبات والمكافآت والهبات والنفقات الإدارية، وهي بالكاد تغطي هذه المصروفات. أما الخدمات الصحية والتعليمية وخدمات الطرق والكهرباء والمياه والأنشطة التنموية الأخرى، فلم تكن يوماً في أولويات السياسة البريطانية، وبالتالي فإن المبالغ التي رصدتها الحكومة البريطانية كميزانية لاتحاد الجنوب العربي، وهي مبالغ تافهة طالما تحدثت عنها الإدارة الاستعمارية وكأنها نوع من الكرم الاستعماري على شعب الجنوب، متناسين أنها جزء صغير من دين كبير عليها لأبناء عدن والجنوب مقابل الاستعمار الطويل جداً للبلد واستخدامها لميناء عدن وقاعدتها العسكرية في بسط نفوذها على مناطق واسعة من العالم، «وكرمها الكبير» جاء متأخراً وتحت ضغط حركة التحرر الوطني التي زلزلت الكيان الاستعماري. ولم تقدِّم الإدارة البريطانية لمحميات الجنوب طوال ١٣٠ عاماً من استعمارها سوى البنادق والرصاص التي منحتها

بسخاء لرؤوس القبائل ليستمروا في دوامة الاقتتال الأهلي والثأرات القبيلة المقيتة. ومثل هذه المساعدات الشخصية تُقَدِّم للسلاطين الامراء والمشايخ عندما يزورون عدن ويلتقون بالمسؤولين البريطانيين، وهذه أقصى مطالبهم إضافة إلى بعض المبالغ المالية.

وكان حرياً ببريطانيا العظمى العمل على تحقيق تفاهم وانسجام في القواسم المشتركة بين المحميات الغربية والمحميات الشرقية، ولو من أجل تصالح الأطراف في هذه المحميات المحرومة، وكذلك كان يمكن وضع عدن في المكان اللائق بها ومنحها الدور القيادي المطلوب كعاصمة لدولة الاتحاد هذا. إذ لا الاتحاد قادر على الوجود من دون عدن، ولا عدن تستطيع أن تدير ظهرها لبعدها الوطني وعمقها الاستراتيجي الذي يمنحها مقومات البقاء كدولة، فإنه محكوم عليها مقدماً بالعزلة إذا اختارت أن تدير ظهرها إلى الآخرين وتعزل نفسها عنهم. وبالتالي أوجد هذا التناقض وعدم الانسجام بين محميات الاتحاد الفدرالي الغربية والمحميات الشرقية، وكذلك بين عدن وبقية المحميات - بالإضافة إلى ضعف الدعم البريطاني وانعدام الإخلاص- كياناً هشاً سرعان ما تهاوى مع أول هبة ريح وانهار مع زمجرة العاصفة. وللأمانة، لا بد من الإقرار بأن الموقف البريطاني من اتحاد الجنوب العربي بدا وكأنه خديعة تدرجت إلى أن بلغت مستوى الخيانة، خيانة كل الرجال المخلصين لها وللاتحاد الذين تبنوا فكرته وانخرطوا فيه، وخيانة للكيان نفسه الذي تشكل منهم برغم ضعف الدعم البريطاني، وخيانة للفكرة البريطانية ذاتها التي نادت وروجت لقيام الاتحاد ووقعت الاتفاقيات والمعاهدات بدعمه والحفاظ عليه ليكون قوام دولة المستقبل في الجنوب العربي.

وما يدفعنا إلى التشكيك في جدية بريطانيا والتزاماتها تجاه خلق كيان قوي متماسك يضم ما تريده أن يكون اتحاداً للجنوب العربي مستقلاً عن سيطرتها وإرادتها، عزوفها عن تقويته بعناصر القوة الفعلية الموجودة في المنطقة، التي أكدت الدراسات والاستكشافات الأولية أن النفط والغاز يأتيان في مقدمتها، وظهر ذلك جلياً في كشف هذه الدراسات عن احتياطيات نفطية وغازية كبيرة في المنطقة، وخاصة في منطقتي حضرموت وشبوة وأبين «وثبت ذلك في ما بعد». ولكن بريطانيا والشركات النفطية السائرة في ركابها لم تكشف عن أي بوادر تبشر بهذه الحقيقة، ونتيجة لسوء الهدف أعلنت أن المنطقة خالية من النفط ولا أمل في استخراجه من هناك. وكانت مصالح كثيرة أخرى، بالإضافة إلى المصلحة البريطانية

قد تلاقت ووجدت من يسدد فواتير التنقيب ويوقف الأمل نتيجة للشك في السيطرة على مستقبل الجنوب العربي. لهذا توقف العمل في الكشف عن النفط الموجود أصلاً نتيجة لرغبة خارجية وشكوك بريطانية، وسحبت من «دولة الاتحاد المرتقب» أهم أوراق أملها في البقاء نتيجة لذلك. كان الناس حينها يتغنون بالنفط واستخراجه للقضاء على الفقر كما كان يردد الفنان محمد جمعة خان:

**يا حضرموت افرحي كلين بالسر باح واحيا الليالي الملاح**
**الفقر ولاّ وراح**
**مسكين مسكين بوحضرم تغرب وساح طاير ولا له جناح**
**الفقر ولاّ وراح**
**بترولنا بايجي ماليوم خلوا الصياح ريحه بالأحقاف فاح**
**الفقر ولاّ وراح**
**اليوم بترولنا بالأحقاف فيه الفلاح والمخرجة والنجاح**
**الفقر ولاّ وراح**

إضافة إلى كل ذلك، كان هناك «العامل الثوري» الداخلي والمدعوم من الخارج، أي حركات التحرر من الاستعمار المدعومة من مصر جمال عبد الناصر بصورة رئيسية، والتي كانت من المحرضين الأساسيين ضد هذا الاتحاد. تحرض جماهير الشعب وتعبئها ضد الاحتلال والاتحاد مستخدمة مختلف وسائل الإعلام وفي مقدمتها إذاعة صوت العرب التي كان صداها طاغياً ومكتسحاً ولا يقاوم.

## انفراط حبات السُّبحة

ويأتي العامل الأكثر حسماً للمسألة برمتها، وهو بروز حركات ثورية عملت ضد الاحتلال ومشروعه، وكان في مقدمتها الجبهة القومية، التي تبنت خيار الكفاح المسلح ووجدت تجاوباً جماهيرياً من الصعب تحديه أو مقاومته بسبب الالتفاف الجماهيري الواسع من حوله، وكان ذلك العامل حاسماً للصراع لأنه استطاع أن يجمع تأييد الغالبية العظمى من

الشعب، ويكسب تعاطفها، مع اعتقاده بأن الاستعمار والاتحاد وسلاطينه ليسوا إلا وجهين لعملة واحدة تعادل في المحصلة النهائية العدو المشترك الذي يجب العمل من أجل هزيمته وإسقاطه. وهذه الحركات والجبهات والاتجاهات هي التي اتخذت تعابير من قبيل «العدو الاستعماري الإنكلوسلاطيني» و«الاتحاد المزيف وحكومته». وبالتالي أضافت هذه العوامل سهماً آخر قاتلاً ليحقق المقتل المطلوب في ميدان المواجهة.

ولا أجد أصدق مما عبّر عنه الشيخ محمد بن فريد العولقي وزير خارجية حكومة اتحاد الجنوب العربي عندما قال: «إن بريطانيا قد تخلت عن كل وعودها وتنصلت من اتفاقياتها المبرمة معنا، والموقعة بيننا، فتركت كل شيء بطريقة مهينة ومذلة، لا تليق بدولة تحترم نفسها وتضع اعتباراً لمعايير الشرف والأخلاق»[٢٣].

وبحسب ديفيد ليدجر في كتابه «رمال متحركة»[٢٤]، انفرطت حبات السبحة في عموم الجنوب في شهر سبتمبر وأكتوبر وتدهورت الأوضاع الأمنية بعد نكسة حزيران/ يونيو ١٩٦٧، واشتعلت الأرض من تحت أقدام الجميع، وخرجت الأوضاع عن سيطرة الجامعة العربية والأمم المتحدة التي خطب من على منبرها الفرقاء المعنيون ومنهم الشيخ محمد فريد العولقي، وزير خارجية اتحاد الجنوب العربي.



---

(٢٣) وبدا ذلك كمحصلة لمقولة تشرتشل (ليس هناك صداقات دائمة أو عداوات دائمة ولكن هناك مصالح دائمة).

(٢٤) نقله إلى العربية عمر علي العفيفي.

## أسماء آخر مجلس وزراء في الجنوب العربي قبل الاستقلال

١-عبد القوي حسن مكاوي، ٢-محمد بن فريد العوقلي، ٣- السلطان فضل بن علي العبدلي، ٤- الشريف حسين بن أحمد الهبيلي، ٥- عبد الله سالم باسندوة، ٦-مصطفى عبد الإله عبده، ٧- عبد الرحمن جرجرة، ٨- السلطان ناصر بن عبد الله الفضلي، ٩-سالم أحمد النيقة، ١٠-سعيد حسن مدي ١١- الأمير شعفل بن علي، ١٢- عبد الرحيم قاسم، ١٣- أبو بكر كعدل ١٤- أحمد عبد الله درويش ١٥- أحمد سالم مقطري، ١٦- السلطان ناصر بن عبد الله الواحدي، ١٧- السلطان صالح بن حسين العوذلي، ١٨- حسن إسماعيل خدابقش، ١٩- الشيخ علي عاطف الكندي ٢٠- السلطان ناصر بن عيدروس، ٢١- سعيد حسن صحبي، ٢٢- السلطان فيصل الحوشبي، ٢٣- سعيد محمد حسن، ٢٤- عبد الله إبراهيم صعيدي، ٢٥- عبده حسين الأهدل، ٢٦- محمد سالم علي عبده.

## ذهبت مع الريح

تسرب التمرد إلى صفوف القوات المسلحة الاتحادية، ودعت الحاجة عند البعض إلى قيام «حكومة ذات قاعدة عريضة»، وعقد المجلس الأعلى الاتحادي اجتماعاً يوم ٥ يوليو ١٩٦٧. وهنا يقول ديفيد ليدجر في كتابه «رمال متحركة»: «بدأ محمد فريد الدمث الأخلاق يشرح الموقف بعناية، موضحاً أنه من خلال بعض الالتفاف والتعامل يمكن اجتذاب عدد من أعضاء جبهة التحرير الذين كان على اتصال معهم إلى الحكومة»[٢٥]. وبينما كان الشيخ محمد فريد يشرح رؤيته، كان حسين علي بيومي يقاطعه بالزعم أنها مهمة سهلة التنفيذ، ما أثار حفيظته، فردّ عليه الشيخ في الحال: «حسناً عليك أن تبرهن ذلك، فقم بهذا العمل». اختار المجلس الأعلى حسين بيومي ليقوم بمهمة تشكيل حكومة ذات قاعدة عريضة، ومنحه مهلة مدتها (١٢) يوماً، إلا أنه فشل. واستمرّ تدهور الأحداث من السيّء إلى الأسوأ، ما حمل شقيقه السيد حسن بيومي الرئيس الأسبق لمجلس الوزراء في عدن على التصريح في ٢٨ يوليو ١٩٦٧ بأن دولة الاتحاد «ولّت مع الريح»، وكان السيد عبد القوي مكاوي، رئيس وزراء عدن، قد استقال وغادر عدن وعين أميناً عاماً إلى حين التحرير.

---

(٢٥) حدثني الشيخ صالح بن فريد العولقي أنه قام بزيارة مصر للقاء المصريين وبعض قيادات جبهة التحرير، ولكن هذه المبادرة والمحاولة جاءت بعد فوات الأوان.

## الأحزاب الطليعية

كما سبقت الإشارة، فقد لوّح الإنكليز في عام ١٩٥٤ بعزمهم على توحيد الإمارات الجنوبية في كيان إداري وسياسي واحد يسهل ضبطه وإخضاعه. وقد استنفر ذلك مشاعر الوطنيين وضاعف من قلق أبناء الشعب في الجنوب المحتل.

- فهذا يعني من جهة: تجذير التجزئة الجغرافية - السياسية.
- ومن جهة أخرى تعميم الوجود الاستعماري وتطبيعه وتوسيعه بما يعنيه من تشديد القبضة الحديدية وحملات القمع و«التأديب» العسكري ضد المدن والأرياف المتمردة.
- وهو من جهة ثالثة يوسع دائرة القوى التابعة، ويجرّ إلى خدمته العديد من المشايخ والسلاطين والساسة.
- ومن جهة رابعة يضاعف من محاولات إثارة الفتن بين القبائل والمحميات لإضعاف الرابطة الوطنية وتفتيتها بين أبناء الوطن الواحد.
- ومن جهة خامسة ينقل أجواء المواجهة مع النظام الإمامي في صنعاء إلى ذُرىً جديدة يدفع الشعب ضريبتها.

وقد انتقلت أجواء القلق الشعبي إلى مسامع الحركة السياسية، فعمّ نوع من البحث والتأمل في ضرورة بناء تنظيمات طليعية ترقى إلى مستوى الخطر المحدق بحق تقرير المصير، وتعبر عن إرادة الشعب المشروعة، ولا تساوم الإنكليز أو تهادنهم.

في هذا الوقت - في أواخر الخمسينيات - بدأت تتشكل في عدن وبعض المحميات أولى خلايا حركة القوميين العرب، جنباً إلى جنب مع تنظيم لفروع حزب البعث العربي الاشتراكي، واندفع التيار الماركسي إلى بناء تنظيمه وإعلانه: «الاتحاد الشعبي الديمقراطي»[٢٦] في عدن

---

(٢٦) في أغسطس ١٩٥٦ تأسست أول خلية شيوعية في عدن، وعُيِّنَ عبد الله باذيب سكرتيراً لها، وكان خالد فضل منصور الذي أشرف على إنشاء هذه الخلية عندما جاء في نفس العام ومعه عمر الجاوي من القاهرة إلى عدن واتصلا بعبد الله باذيب ليتفقا معه على هذا الأمر بحكم أنه أكثر منهم معرفة بالناس في عدن. وحضر الاجتماع الأول أيضاً علي باذيب وعايض باسنيد وأحمد سعيد باخبيره ومحمد سالم باوزير الذي اعتذر عن عدم الاشتراك في الخلية الشيوعية. المصدر عمر الجاوي.

وحضرموت وغيرهما. وبعد سنوات قليلة جرى تشكيل «حزب الشعب الاشتراكي» كواجهة سياسية للمؤتمر العمالي، لتدخل الحركة الوطنية والثورية في طور جديد، من أبرز سماته التخلي عن التعامل مع الإنكليز، أو تزكية الأطر السياسية التي يصطنعونها، أو محاولة إيجاد قواسم مشتركة مع المحتلين وأعوانهم المحليين.

وقد تحدثنا عن هذه الأحزاب في كتاب «عدن من الحرب إلى الوحدة».

## حركة القوميين العرب... الحضور والتأثير

بداية، لا بد أن أشير إلى أن حركة القوميين العرب التي انتميت إليها، بدأت في بيروت، بقيادة كل من جورج حبش[٢٧]، هاني الهندي، وديع حداد، محسن إبراهيم، أحمد الخطيب، حامد الجبوري، وصالح شبل وكان الغرض من تأسيسها - كما رواه البعض - تنمية الاتجاه الليبرالي بين شباب الجامعة الأميركية، لنشر هذا الاتجاه وتعميقه بين جماهير الأمة العربية بأسلوب منظم وممنهج.



**خلية حركة القوميين العرب في عدن (١٩٦٢). من اليمين وقوفاً: عبد الكريم السروري، طه مقبل، سيف الضالعي، نور الدين قاسم. من اليمين جلوساً: علي محمد سالم الشعبي، عبد الباري قاسم، علي أحمد السلامي.**

---

(٢٧) أول من أطلق اسم حركة القوميين العرب هو جورج حبش، بحيث تتسع الحركة لكل المناضلين في الأمة العربية، بينما كان يريد محسن إبراهيم حزباً، وحسمت التسمية لمصلحة الحركة. (المرجع: حوار شامل مع جورج حبش).


فيصل عبد اللطيف الشعبي

تكونت في عام ١٩٥٨ أول خلية يمنية لهذه الحركة من طالبين يمنيين هما فيصل عبد اللطيف الشعبي، وسلطان أحمد عمر على يد الأستاذ الجامعي اللبناني معن زيادة، وفي العام نفسه انضم إلى هذين الطالبين كل من عبد الملك إسماعيل وعبد الحافظ قائد وعبد العزيز الدالي وعبد الكريم الإرياني ويحيى عبد الرحمن الإرياني، وكانوا من الطلبة اليمنيين في القاهرة. وفي عدن انضم إلى هذه الحركة في عام ١٩٥٩ كل من طه مقبل وعلي السلَّامي، وفي العام نفسه استطاع فيصل عبد اللطيف إقناع كل من قحطان محمد الشعبي ونور الدين قاسم وسيف الضالعي بالانضمام إلى الحركة، وبهذا استطاع هؤلاء الشباب بقيادة فيصل عبد اللطيف الشعبي الذي يتمتع بعقلية سياسية وتنظيمية عالية، أن يشقوا رابطة أبناء الجنوب العربي بعد انسحاب قحطان الشعبي وعلي أحمد السلَّامي وطه مقبل وسيف الضالعي وعلي محمد سالم الشعبي وآخرين من قائمة الـ(١٣) الذين أحدثوا شرخاً عميقاً في حزب الرابطة بقيادة محمد علي الجفري وشيخان الحبشي، ثم انضم إليهم سالم زين محمد عام ١٩٦٠. ويضاف إلى مجموعة الرموز الأوائل والمؤسسين لفرع حركة القوميين العرب في اليمن كل من حسين الجابري، عبد الفتاح إسماعيل، علي عبد العليم، عبد القادر سعيد، عبد الرزاق شايف، عبد العزيز عبد الله سلَّام، علي ناصر محمد، محمد صالح، عبد الله قديش، سعيد الجناحي، سالم ربيع علي، ناصر علي صدح، أحمد صالح الشاعر، محمد صالح عولقي، علي سالم البيض، علي صالح عباد، محمد سليمان ناصر، حيدر العطاس، سعيد محمد عبد الله الأبي «عبد الوراث»، أحمد عبده راجح، محمد عيدروس، أحمد سالم، طه زين، أحمد محمد قعطبي، طه أحمد غانم، محمد عوض عولقي (مبارك)، محمد حسين ناجي العوذلي، ناصر عمر شيخ، محمد بن سلمان، منصور بن زيمه، محمد سعيد مصعبين، وغيرهم.

## دورة دمشق والكفاح المسلح

في آذار/ مارس ١٩٥٩ عقدت في دمشق ندوة خاصة لعناصر قياديين من الجنوب اليمني المحتل، وكان الهدف منها الإعداد لتطوير التنظيم في الجنوب ومناقشة فكرة الكفاح

المسلح ضد البريطانيين، وقد حضر هذه الدورة فيصل عبد اللطيف، قحطان الشعبي، علي السلاّمي وسالم زين. وكان جورج حبش، هاني الهندي، محسن إبراهيم، مصطفى بيضون، والحكم دروزة مسؤولي الندوة.

قدم فيصل عبد اللطيف المسؤول فيهم، مجموعةٍ اقتراحات ونقاط شكلت هيكلاً جيداً للنقاش، وكان هناك برنامج مكثف أُعد في دمشق يتناول الجوانب الفكرية والسياسية والتنظيمية.

في البدء تأزم الموقف حين اعترض محسن إبراهيم على مسألة الكفاح المسلح، لافتقاد المنطقة الشروط الموضوعية للكفاح المسلح من وجهة نظره، ولأن الوضع القبلي يمكن أن يقدم عصياناً محلياً وليس ثورة وكفاحاً مسلحاً. إلا أن هذا الرأي لم يلقَ قبولاً من المشاركين في الندوة، وقد حققت هذه الدورة نجاحاً مهماً وأثراً إيجابياً في نفوس شباب الحركة، وازدادوا حماسة ورغبة لبناء التنظيم والإعداد للكفاح المسلح.

لكن ملاحظات محسن إبراهيم وتعليقاته الساخرة في فترات الاستراحة تركت آثارها السلبية لسنوات طويلة عند أولئك القياديين الذين عادوا وواصلوا نشاطهم السياسي والتنظيمي الصارم، وقد كان بعض قادة حركة القوميين العرب يترددون على اليمن قبل الاستقلال وبعده، وكان عضو الحركة يمرّ بمراحل تنظيمية للوصول إلى المواقع القيادية المتقدمة، وكان الهيكل التنظيمي يمرّ بمراحل للوصول إلى القيادة كما يأتي: ١- حلقة من خمسة إلى سبعة أعضاء «اختبارية»، ٢- خلية من خمسة إلى سبعة أعضاء «اختبارية»، ٣- خلية قيادية، ٤- رابطة، ٥- شعبة، ٦- قيادة إقليم، ٧- قيادة مركزية، ٨- لجنة تنفيذية.

وبعد قيام الثورة المسلحة عام ١٩٦٣ استفادت قيادة الجبهة القومية وقواعدها من الهيكل التنظيمي الصارم لحركة القوميين العرب، وطُبِّق في مرحلة الكفاح المسلح حتى الاستقلال. أما في جبهات القتال، فقد كان هناك وضع تنظيمي مرن يسهّل المهمات النضالية للمقاتلين.

في عدن أُعيد ترتيب الوضع التنظيمي بعد الضربات العسكرية التي تعرض لها التنظيم في نهاية عام ١٩٦٤ وبداية عام ١٩٦٥، وأُسس نظام القطاعات من غير أن يؤثر ذلك في الهيكل التنظيمي ورُتِّبت هذه القطاعات على النحو الآتي:

١ - القطاع الشعبي.

٢ - القطاع الفدائي.
٣ - القطاع النقابي.
٤ - القطاع الطلابي.
٥ - القطاع النسائي.
٦ - جهاز الأمن.

وكانت الشعبة تشرف وتقود تلك القطاعات التي تداول على مسؤوليتها كل من:

١- فيصل عبد اللطيف.
٢- عبد الفتاح إسماعيل.
٣- علي صالح عُباد «مقبل».
٤- علي أحمد السلّامي.
٥- أحمد صالح الشاعر.

وقد أشرف على العمل الفدائي في بدايته الأولى فيصل عبد اللطيف، عبد الفتاح إسماعيل، أحمد صالح الشاعر وسالم ربيع علي الذي استمر إشرافه من بداية عام ١٩٦٦ حتى الاستقلال.

## جزائر ثانية في جزيرة العرب

منذ البدء كان التنظيم يعني وحدة الأسس الثلاثة: التنظيمية والأيديولوجية والسياسية. واستأثر موضوع الكفاح المسلح بوقفة خاصة لدى فرع الحركة: ليس فقط لأن الكفاح المسلح هو من وجهة النظر الفكرية الأسلوب المناسب لمواجهة الاحتلال البريطاني الطويل للجنوب، ولكن لأن أعضاء الحركة وأنصارها يناقشون هذا الأمر بصورة متزايدة، وعن قناعة راسخة بضرورته. بل أكثر من ذلك، ثمة أعمال مسلحة نفذتها الجماهير الريفية في أكثر من منطقة ضد المحتلين، وهي تهدد بالاتساع.

وهكذا طرح كرّاس الحركة المذكورة ضرورة الكفاح المسلح بصورة لا يشوبها أي تردد، وبأسلوب يتقد بأقصى درجات الحماسة، فجاء في مستهله: «في هذا الجزء من الوطن ستكون جزائر ثانية». وأضاف (...) أن «هذه العوامل والظروف التي تصور طبيعة معركتنا النضالية إنما هي نفسها التي تحدد شكل هذه المعركة، فهي ليست معركة انتخابات سياسية،

وهي ليست في شكلها الحاسم الأخير معركة إضرابات ومظاهرات فحسب. إنها في النهاية، كما هو واضح من البداية، معركة كفاح مسلح عنيد لا لين فيه ولا مهادنة، ومعركة دماء وبطولات لا تراجع فيها ولا مساومة (...) من الواضح لكل من يلقي نظرة على جغرافية هذا الجزء من الوطن، أن معركة التحرير في الجنوب ليس من السهل أن تؤدي إلى نتيجة حاسمة فاصلة ما لم تجد لها متنفساً في الشمال يتيح لها نوعاً من المرونة العسكرية والتقدم والتقهقر والتموين وغيرها من العناصر الأساسية في أية ثورة مسلحة».

وحول الوحدة اليمنية رأت الحركة «أن اليمن شمالاً وجنوباً يشكل وحدة واحدة هو إقليم اليمن الذي يعد جزءاً من الوطن العربي الكبير، وأن على المملكة اليمنية أن تواجه التزاماتها المترتبة عن وجود الاستعمار البريطاني في الجنوب، وخاصة أن معركة التحرير لا يمكن أن تنجح في الجنوب إلا بدعم من الشمال، بسبب ضرورات الموقع الجغرافي، بالإضافة إلى ذلك فإن المعركة مشتركة، والنصر الذي يحققه أحد الطرفين اليمنيين إنما هو نصر للطرف الآخر».

وتمضي الحركة إلى أبعد من حدود الجغرافية اليمنية فتؤكد ضرورة «القضاء على تبعثر قوى النضال العربي ومواجهة الاستعمار بجبهة نضالية موحدة»، وترى صورة الوحدة العربية في ما تحقق بين مصر وسورية، فتؤكد أن الجمهورية العربية المتحدة «نواة طبيعية أصيلة للدولة العربية من المحيط إلى الخليج».

إلا أن التشكيلات الأولى لفرع حركة القوميين العرب في الجنوب كانت مفتوحة على شرائح المثقفين والموظفين وجيل الشبيبة الطلابية والعمالية. وقد عكست تلك التشكيلات نفسها، فضلاً عن تشكيلات الريف في تكوين الحركة. وبمرور الأيام والتجارب تزايد تأثير الفئات المتوسطة في التنظيم، الأمر الذي خلق مقدمات لعملية الفرز داخل الحركة، وبخاصة حين انتقلت بشكل قاطع إلى الكفاح المسلح، وقامت في صفوفها، في المركز والأطراف، صراعات فكرية تمحورت حول علاقة العامل القومي بالاجتماعي والأولويات المطروحة على الحركة، وتنظيم الرؤية الأيديولوجية للصراع على المستوى الدولي وطبيعته، والموقف من الأحزاب الشيوعية العالمية والعربية. وأعتقد أنه على هامش هذا الفرز أخذت تتكون بالتدريج قلة أو صفوة تأثرت بتحليلات الماركسية للواقع الاجتماعي -

الاقتصادي اليمني، على خلفية بروز تيار ماركسي في فرعي الحركة الفلسطيني واللبناني، وانتكاسة الوحدة بين مصر وسورية، وتقارب بعض الأجنحة القومية مع التيار الشيوعي العربي. في هذه الأثناء استطاع فرع الحركة ترسيخ مكانته في الحركة العمالية وتمكن من قيادة نقابة «مصفاة عدن»، وهي أهم وأقوى نقابة محلية، ما يسمح له بالانطلاق إلى مجالات عمالية أوسع، فإذا به وجهاً لوجه أمام المؤتمر العمالي وحزب الشعب الاشتراكي اللذين يستأثران بقيادة الحركة النقابية.

## انتشار الحركة في الريف

ولعل انتشار الحركة في ريف المحميات كان من بين القضايا التي شغلت المراقبين في وقت لم تنجح فيه القوى الأخرى في تحقيق ذلك. ولعل من أبرز أسباب هذا الانتشار، في الواقع، تنبه الحركيين المبكر إلى أهمية العمل بين القبائل التي كانت تمور بالغضب والتمرد على الإنكليز، فيما لعب الإعلام المصري وإذاعة «صوت العرب» وخطب الرئيس عبد الناصر دوراً أساسياً في الترويج للفكر القومي في أوساط المزارعين وشبيبة القبائل المتعلمة، خاصة هجومه على البعثيين والشيوعيين. فضلاً عن أن الحركة أولت واقع الريف المتخلف اهتماماً خاصاً، وحرّضت الفلاحين وأبناءهم على تغييره بالعمل على طرد المحتلين الإنكليز، فاقتربت من الهموم الاجتماعية والاقتصادية لسكان الريف وللمجتمع كله، وطورت الأساليب والصور الكفيلة بالتعبير عن تلك الهموم.

ولأنّ الجيش مكوَّن من أبناء المناطق الريفية، فقد لعب دوراً حاسماً في دعم تنظيم الجبهة القومية في الريف، إضافةً إلى أن إحساس سكان المناطق الريفية بتعاطف الجيش مع الجبهة القومية، جعلهم يؤيدونها.

والأمر الآخر الذي ساعد على بناء تنظيمات للحركة في أرياف المحميات الجنوبية، نفوذ الفرع في مصفاة عدن التي تضم مئات من أبناء تلك المناطق، وكذلك النفوذ القوي بين طلاب المدرسة الداخلية والثانوية في كلية عدن[٢٨]، وكثيرون منهم ينحدرون من الأرياف،

---

(٢٨) كلية عدن: سميت بعد الاستقلال ثانوية عبود. وكلية الاتحاد في مدينة الاتحاد الجديدة سميت كلية الشعب، والمدينة نفسها مدينة الشعب.

وقد أعدت الحركة من نشطاء أبناء الريف، ولا سيما العمال والطلبة، عناصر حزبية جماهيرية للعمل في المناطق والقيام بالترويج لفكر الحركة، والإعداد للكفاح المسلح.

وفيما نمت صلة حركة القوميين العرب وفرعها في جنوب اليمن بأوساط الجماهير الشعبية، حصل نموّ مماثل على المستوى الفكري لجهة تحليل الأوضاع وتحديد معسكر الأعداء ومعسكر الثورة الوطنية وحلفائهما، والتركيز على المحتوى الاجتماعي، فضلاً عن المحتوى القومي للنضال، والقرب من التيار الماركسي وقبول التحالف معه بعد سلسلة من المواقف الرافضة والمعارضة لهذا المبدأ.

وما يعطي فرع حركة القوميين العرب أهميته وصلته الوثقى بالأحداث، أنه ولد في خضمّ تطورات وانعطافات حادة في تاريخ اليمن الحديث، وبخاصة في الجنوب، تمثلت في قيام اتحاد الجنوب العربي، ومن ثم ضم عدن إليه، والتمادي في المناورات الدستورية البريطانية لتزوير إرادة الشعب، وأعمال التضييق على الحركة العمالية والوطنية بمواجهة تعاظم النضال العمالي والطلابي، ونشوء حركات وتنظيمات سياسية وطنية في مقابل تفتُّت التنظيمات التقليدية للأسباب التي سبق أن أشرت إليها، واشتداد أزمة الحكم الإمامي في صنعاء، ونمو الحركة الوطنية وتزايد التمرد العسكري عليه، وبروز مظاهر التفاهم والتنسيق بين الإمامة والإنكليز رغم بعض الأحداث والصراعات الهامشية بين الجانبين. فقد واجه تنظيم حركة القوميين العرب في جنوب اليمن ثلاثة مؤثرات عميقة وموضوعية، كانت السبب في تعميق ترسيخ دوره من جهة، والسبب في عملية التفتت والتمزق - وإعادة البناء أيضاً - طوال نشاطه وحتى انسلاخه من جلد الحركة الأم وهياكلها في منتصف الستينيات من جهة أخرى.

أما تلك المؤثرات فهي:

- **أولاً**، القيادة المركزية التي لم تعمل فقط على ضبط أفكار التنظيم وفرض الوصاية السياسية والفكرية والتنظيمية (وحتى العسكرية) على نشاطاته، بل إنها نقلت إليه صراعاتها وتياراتها وحتى نزواتها ونزعات رموزها المتناقضة وأمراضها الانتهازية إلى كل فروع حركة القوميين العرب، وهذا أثر سلباً في فروع الحركة، ما أدى إلى انقسامات في أوساط الحركة.

- **ثانياً**، إن الساحة الشمالية لليمن التي حضنت التنظيم في الجنوب «وزَّعت» وشتّت واجهته اللاحقة (الجبهة القومية)، ففقدت قيادتها الحد الأدنى من الانسجام ومن البحث عن أشكال توحيد السياستين والموقفين من المهمات المطروحة في الإقليم (ملاحظة: كانت قيادة الحركة موحدة، وكذلك البعث واتحاد الشعب ثم انفصلت في ما بعد).
- **ثالثاً**، يتمثل في خصوصيات الجنوب اليمني المحلية ابتداءً من القاعدة الشعبية للتنظيم، وصولاً إلى مسألة تناسب القوى بين التيارات المؤثرة في القيادة، والتحالفات السياسية.

ولست أشك في أن تجربة نشاط حركة القوميين العرب في جنوب اليمن تحتاج إلى المزيد من التأمل والبحث المسؤول، ولا شك أيضاً في أن الملاحظات المقتضبة، على أهمية بعضها، لا يمكن أن تفي في الكشف عن الحقائق التاريخية لدور حركة القوميين العرب سلباً وإيجاباً.

## مصفاة عدن وحركة القوميين العرب

في نهاية عام ١٩٦١ عقد أول لقاء لي مع تنظيم الحركة في عدن الصغرى، في منزل محمد هيثم علي، وترأس الاجتماع علي السلَّامي، وكان النقاش والجدال يدوران داخل الحركة حول سبل توسيع وجودنا التنظيمي والسياسي في صفوف العمال. يومها تركز الانتباه على مصفاة عدن التي كانت أكبر منشأة اقتصادية تضم جمهرة واسعة من العمال والكوادر الفنية، الذين كان لا بد من الاتصال بهم وتنظيمهم. وقد اتخذتُ قرار في حركة القوميين العرب لاختراق المصفاة التي كان لحزب الشعب الاشتراكي وقيادته وجود ونفوذ قوي فيها.

كان لهذا الاجتماع أثره في نفسي بما أثاره من موضوعات، ولقد اندفعت في أعقاب ذلك لكسب مناضلين إلى صفوف الحركة، جنباً إلى جنب مع رفاق لي ممن يشاركونني تلك الحماسة التي تكللت بعقد سلسلة من الاجتماعات للأعضاء والمناصرين الجدد، في عدن الصغرى. وكم كان معبراً ومؤثراً حضور أولئك الذين كسبناهم إلى جانبنا حيث انضموا إلى صفوف الحركة، وكانوا من أبرز الوجوه العمالية وأنشطها في مصفاة عدن، ومنهم من واصل نشاطه السياسي حتى قيام الحزب الاشتراكي اليمني في ثمانينيات القرن الماضي.

وأذكر أن لقاءات عدن الصغرى، كانت تضم كلاً من محمد حسين امذروي ومحمد هيثم علي وأحمد صالح الشاعر وعبد الله مطلق ومحمد الخريبي وأحمد ثابت وأحمد حيدرة عبد الله وصالح محمد المفلحي وفاروق مكاوي وصالح حسن مفلحي ومحمد صالح عولقي وقاسم غانم، وقد تشكلت الهيئة القيادية في ما بعد من محمد هيثم علي ومحمد حسين امذروي ومحيي الدين أحمد سعيد وأحمد صالح الشاعر وفاروق مكاوي وقاسم غانم[٢٩].

وبالإضافة إلى موضوعات الثورة والكفاح المسلح وشروطها، تمحورت النقاشات داخل التنظيم حول الجوانب التي تتصل بحياة العمال ومعيشتهم ومشاكل عملهم. ويتسع البحث ليشمل دور الفلاحين ومكانتهم في الكفاح ضد الاحتلال، وتحليل أوضاعهم ومعالجتها في ظل سيطرة فئات الوسطاء التجاريين وارتفاع نسبة الضرائب التي تثقل كاهلهم، وإجراءات السلطة بحصر تسويق المُنتَج على القنوات المرتبطة بها. وقد أفدنا من هذه الموضوعات في التوصل إلى الأشكال المناسبة لتوسيع تنظيمات حركة القوميين العرب في الريف وتشخيص المؤهلين للعمل في المستقبل بهذه الوجهة.

## مرحلة تكوين الوعي السياسي

وجدتُ لأفكاري الأولى التي كونتُها في سنوات الدراسة بعدن من شعارات ومواقف واستنتاجات، صدىً بين زملائي، وصرتُ أنظر إلى ظروف الحياة وصعوبات معيشة الفلاحين والسكان الريفيين، وإلى التخلف الاجتماعي، نظرة جديدة، عملية، وبعيدة عن الأسى والضعف، ورحتُ أقترب شيئاً فشيئاً من أسبابها ومسبباتها، وأنكبُّ مع زملائي على البحث والتمحيص في ما يمكن أن نفعله لمعالجتها.

إن واقع المعايشة اليومية لحياة المنطقة ولمعاناة السكان كان ثقيلاً على كاهل كل منا، على وجدانه وفكره، يفاقمهما واقع الاحتلال الذي يمعن في ترسيخ التخلف، والتجزئة، مستعيناً أو «صانعاً» فئات وشرائح معينة لا علاقة لها بمعيشة الفقر والحاجة، ولا تشعر بما نشعر به نحن أبناء الشعب، مستفيداً من تواطؤ بعض السلاطين والمشايخ وكبار الموظفين من حوله.

---

(٢٩) أصبح اثنان من هذه المجموعة وزيرين في حكومة الاستقلال، هما: محمد صالح عولقي (وزيراً للدفاع) وأحمد صالح الشاعر (وزيراً للزراعة).

تلك المعاناة وتلك المعايشة خلقت منّا، مجموعة من المدرسين والطلبة الكبار وبعض المزارعين والموظفين، فريقاً شبه منظم، لا تربطه الحماسة لمتابعة الأحداث والاطلاع والمناقشة وإبداء الرأي بشأنها، فحسب، بل أيضاً البحث - ولو بصورة عفوية - عمّا هو كفيل بتغيير هذا الواقع.

لكنني لم ألتحق بأي حزب سياسي إلا بعد عام ١٩٦٠، فقد مررت بسلسلة من التجارب والتجاذب بين التيارات السياسية التي كانت تعجُّ بها المنطقة، والجنوب في مرحلة الخمسينيات والستينيات، من الرابطة إلى الجبهة الوطنية إلى حزب الشعب، فاتحاد الشعب، إلى حركة القوميين العرب وحزب البعث.

وكانت أجهزة الدولة الاستعمارية وعناصرها السياسية تشكِّك في هذه القوى السياسية وتتهمها بأنها «ترتبط بالقوى الخارجية» كالاتحاد السوفياتي الذي كان من أوائل الدول التي اعترفت بإسرائيل عام ١٩٤٨، وتكيل الاتهام لها، فترى أنها من الأقليات العربية، وزعماؤها مسيحيون كميشيل عفلق وجورج حبش ونايف حواتمة، وخالد بكداش وأنهم ملحدون، وأنها معادية للجنوب ولشعب الجنوب وللإسلام! أو يهود كما في العراق ومصر.

واللافت أن العديد من الأحزاب والحركات التي نشأت في الوطن العربي، القومية واليسارية، كانت على يد أقليات عرقية، وثمة من يقول إن الهدف من ورائها هو رغبة هذه الأقليات القومية في حماية نفسها، فيما يرجعها آخرون إلى المستوى الفكري والثقافي الذي حظيت به النخب من هذه الأقليات، لكن الظاهرة في حاجة إلى بحث ودراسة معمقين، وهذا لا يعني التقليل من الدور الذي لعبته هذه الشخصيات والأقليات في الوطن العربي إن جاز لنا تسميتها كذلك.

كان للأستاذ أحمد محمد نعمان، رأي[٣٠] في الخلاف بين البعثيين والقوميين واليساريين، قد لا نتفق معه فيه، مع احترامنا لرأيه.

---

(٣٠) قبل أن تنجلي شعارات هذه الأحزاب السياسية في أذهان الشباب، كانوا يردون انتساب بعض الشبان إلى ولاءات عشائرية أو دينية كما أشار النعمان في مذكراته، فيقول: «فالطلبة الشافعيون يميلون إلى افكار اليسارية باعتبارهم مضطهدين من الزيود، والزيود أكثرهم بعثيون يميلون إلى البعث وكانوا حينما يتصارعون ويدمغون الشافعيين بأنهم شيوعيون يرد الطالب عليه ويقول أنت ضدي لأنني شافعي ولست شيوعياً، ويرد عليه: أنت =

كان الاختيار أو القرار صعباً في ما يخصّ الانضمام إلى حركة سرية ليس لها برنامج معروف أو قيادة معروفة كثيراً على الساحة اليمنية الجنوبية، بعكس الأحزاب الأخرى، كالرابطة التي يقودها محمد علي الجفري وشيخان الحبشي وغيرها، والبعث بقيادته التاريخية المعروفة مثل ميشيل عفلق، وكذلك اتحاد الشعب الديمقراطي بقيادة عبد الله باذيب، وغير ذلك من الأحزاب العدنية.

كان حسين محمد الجابري عضواً نشطاً في حركة القوميين العرب ويتردد على الشبان والطلاب والمدرسين بين عدن ودثينة، وقد حاول عبر سلسلة من اللقاءات أن يقنعني بأفكاره بطريقته الهادئة والحذرة حرصاً على السرية عند الحديث عن مقاومة الاستعمار البريطاني وضرورة تصفية قواعده في عدن والمحميات وتحرير الجنوب وقيام دولة فيها، وكان يرى أننا يجب أن نقاوم هذا الاحتلال بكافة الأساليب حتى إخراجه وجلائه من عدن بالتحالف مع كافة القوى الوطنية في الداخل وفي الوطن العربي، وخاصة مصر عبد الناصر.

تعود علاقتي التنظيمية بالجابري إلى عام ١٩٦١ حيث يعود له الفضل بانضمامي وتنظيمي مع غيري في صفوف حركة القوميين العرب، فكان همزة الوصل بيني وبين الحركة في عدن، وكان اللقاءات والمناقشات وحالة الفراغ والبحث عن الذات الوطنية التي كنا نمارسها والحماسة والاندفاع اللذين يتسم بهما الشباب، كل هذا وغيره، دافع لأن نقبل برؤية حسين الجابري وفكره والالتحاق بحركة القوميين العرب.

وقد توسع نشاط الحركة في دثينة في أوساط الطلاب والمدرسين والفلاحين وبعض الشخصيات الاجتماعية المؤثرة فيها، ومن أبرزهم محمد علي هيثم، علي جازع، محمد صلاح، سعيد محمد امفقيريه، سعيد عثمان عشال، عبد الله ناصر الجونه، علوي حسين فرحان، أحمد مسعود العلواني، عبد الله ناصر مسعود، علي شيخ عمر، محمد عبد الله البطاني، عبد الله عمر البطاني، علي سليمان علي، محمد سليمان ناصر، عبد الله أحمد عنبر، عبد الرحمن العود، ناصر عمر الشيخ وغيرهم. وتطور نشاط الحركة ليشمل كافة أنحاء

= تقول بنفسك إنك شافعي ولست شيوعياً فيردّ آخر: وأنت تغطي زيديتك باسم البعث كانت هذه أيضاً مما جاء به الجيل الجديد لليمن الذي لا يزال متخلفاً يبحث عن تحقيق وجوده كإنسان قبل أن يصل إلى مرحلة الخلاف على الأفكار الشيوعية والبعثية واليسارية »، المرجع مذكرات النعمان ص ١٥٦.

الولاية في منطقة المياسر والحسني والسعيدي، وكان الجابري يتحرك بين عدن ودثينة حتى استقر به المقام في مودية. وكما جمعتنا الحركة، فقد جمعنا السجن فبسبب النشاط الحزبي والسياسي والجماهيري وحركة التظاهرات والاحتجاجات ضد الاحتلال البريطاني، اتُّهمنا بأننا نظمنا تظاهرة في مودية احتجاجاً على السلطات الاستعمارية التي منعت لجنة تقصي الحقائق وتصفية الاستعمار من زيارة عدن عام ١٩٦٣، وعلى أثر ذلك اعتُقلتُ وحسين الجابري وآخرين بتهمة هذه المظاهرة، وأُفرج عنا بعد سجن وغرامات ونُقلتُ على أثرها إلى السلطنة العبدلية في لحج، ومنها غادرتُ إلى تعز ثم إلى الجبهة الوسطى أثناء فترة الكفاح المسلح، ولم نلتقِ إلا بعد ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧.

الجابري كوّن أول خلية في الجيش من:

١- أحمد صالح عبد الله

٢- محمد حيدره (مسدوس)

٣- محمد عبد الله باصهيب

٤- عمر علي أحمد، وتلا ذلك خلايا أخرى حتى وصلت إلى كبار الضباط في الجيش والأمن.

كان الجابري يمدنا عند عودته من عدن ببعض الأدبيات والبيانات والوثائق الصادرة عن حركة القوميين العرب في اليمن وخارجها كاتحاد الإمارات المزيف، وكتاب السيد قحطان الشعبي عن الاستعمار البريطاني في الجنوب، وأتذكر أنه قدّم لي قصيدة لنزار قباني بعد أن أخرجها من «كمره» الأخضر الذي كان يستخدمه الكثير من الناس آنذاك، وقد تبللت بالعرق من يده، ولكن خطه الجميل كان واضحاً، وإن كانت قد ضاعت بعض أحرفها تحت حبر قلمه الباركر الذي كان معلقاً في جيب قميصه كالعادة آنذاك.

سألته: ما هذا؟

قال: اقرأ.

فقلت له: ما أنا بقارئ.

وقال: لا تمزح، اقرأ لتعرف خيانة الحكام العرب لقضية فلسطين. حينها لم أكن أدرك أن من أهداف الحركة وشعاراتها التحرر والثأر لفلسطين، وأنه كان يريد أن يوصل رسالته القومية عبر هذه القصيدة التي كتبها نزار عام ١٩٥٥، وكان عنوانها «راشيل شوازنبرغ».

وشعرت بعد ذلك بأن أبيات هذه القصيدة لا تزال صالحة لكل المراحل التي مررنا بها منذ ذلك الحين وحتى الآن، ولأهمية هذه القصيدة فقد علقت بذاكرتي لكنني اكتفي بإيراد بعض أبياتها والتي يقول في مطلعها:

**أكتب للصغار العرب.. الصغار حيث يوجدون.. لهم على اختلاف اللون.. والأعمار.. والعيون.. أكتب للذين سوف يولدون.. لهم أنا أكتب.. للصغار**

ويضيف نزار:

**فليذكر الصغار.. العرب الصغار.. حيث يوجدون.. من ولدوا منهم ومن سيولدون.. قصة إرهابية مجندة.. يدعونها راشيل.. حلت محل أمي الممددة.. في بياراتنا الخضراء في الجليل.. أمي أنا الذبيحة المستشهدة.. وليذكر الصغار.. حكاية الأرض التي ضيعها الكبار.. والأمم المتحدة**

وقد حفظت هذه القصيدة ورددتها في لقاء لاحق معه، حيث شعرت بأنه نجح في أداء مهمته ورسالته القومية عندما كنت أتحدث بحماسة عن هذه القصيدة وعن موقف العرب من القضية الفلسطينية واقتناعي بما جاء فيها، وكان وفاء مني لها أن أقف بعد ذلك التاريخ إلى جانب الثورة الفلسطينية بالمال والرجال والسلاح.

ومن جانب آخر، كان لمعلم آخر الفضل في توجيهي وتحديد خياراتي، هو الأستاذ محمد باب الله، صديقي وزميلي القادم من السودان والقاهرة. إنه أحد المتعلمين البارزين الذين وجهوني إلى الحياة السياسية وإلى الشغف بالقراءة، وكان يحدثنا عن الثورات في مصر والعراق والجزائر، وعن دعم الاتحاد السوفياتي لمصر في حرب السويس عام ١٩٥٦ ومعركة بناء السد العالي، وللعرب عموماً في نصرة قضاياهم العادلة في المحافل الدولية، ومساندته لحركات التحرر العالمية.

أثر فينا الأستاذ باب الله كثيراً، وخضنا معه معركة القصر ضد الأمير أحمد فضل محسن


الأمير أحمد فضل محسن

الذي كانت له ست أصابع في كل كف، وهو من أمراء أبين- المسيمير، وكان شاباً يافعاً ووسيماً، ويتصرف كالأمراء الشبان. وكان سبب خلافنا المباشر معه اعتقال زميلنا محمد الحمزة ورفضه الإفراج عنه، بل أكثر من هذا هدد وفد المدرسين الذي كان على رأسه الأستاذ محمد باب الله الذي ذهب إلى الأمير للمطالبة بالإفراج عنه. وبصورة غير متوقعة، أمسك باب الله بخناق الأمير، ما جعله يشتاطُ غيظاً ويأمر حرسه وهو في قمة الغضب لكبريائه المجروحة بأن يضربونا بالنار! فاشتبكنا معهم، لكن قائد الحرس الضابط والرجل الوطني محمد عبد الله العلبية، حاول تهدئة الموقف وقام بإخراج جنوده، فيما بقينا نحن في مكتب الأمير بعد أن أغلقنا بابه في مشادة معه، حيث كان لا يزال يصرّ على خروجنا من مكتبه، لكن باب الله أصرّ من ناحيته على البقاء حتى يأتي المعتمد البريطاني والمندوب السامي البريطاني لمشاهدة ما فعله هذا الأمير! وكان هذا مستحيلاً إلا أن ذلك الموقف كان من باب التحدي للأمير وللسلطات في المنطقة، وقد اقترحت عليه أن نذهب إلى الضابط البريطاني المقيم في لودر، وبعد حوار طويل أقنعناه أن يخرج من المكتب وأن يذهب إلى الضابط البريطاني كيلر في السلطنة العوذلية، فاقتنع وكان يومها قد أصيب بجرح في رأسه خلال تعرضه للضرب من قبل أحد الحراس. وأذكر أننا بعد خروجنا من مكتب الأمير أحمد فضل ذهبنا إلى لودر لنشكوه إلى الضابط السياسي مستقلين (المناضلة) كما كنا نطلق عليها، وهي السيارة الوحيدة يومئذ في مودية ويملكها عوض الجبل، ولم نصل إلى لودر إلا بعد ساعات من السير المتعثر والتوقف المتكرر وسط الأتربة والطرق المغبرة غير المعبدة، رغم أنها لا تبعد كثيراً عن مودية.

كان وصولنا إلى لودر بعد الظهر. اتجهنا من فورنا إلى مقر الضابط السياسي البريطاني «كيلر» حاكم دثينة والعواذل الفعلي آنذاك، يتقدمنا الأستاذ باب الله ونحن نسير خلفه، وبعد أن شكا له تصرف الأمير غير اللائق واعتداء حرسه عليه وعلى وفد المعلمين، فجّر باب الله قنبلته غير المتوقعة وقال للضابط السياسي إن الأمير لا يعترف بحكومة صاحبة الجلالة ولا بسلطته!

انتفض كيلر، وعلت وجهه مسحة من اصفرار، وقاطع باب الله بالعربية:

- إنني ضابط البلاد كلها!

وسألنا:

- هل تعترفون بي؟

أجبناه: نعم! كان قول باب الله بأن الأمير لا يعترف به وبحكومته دهاءً منه، وقد اتفقنا معه قبل أن ندخل على الضابط السياسي أن يقول له ذلك، وكان معروفاً عن هذا الضابط أنه يوقف سيارته ويسأل المارة: هل تعرفون من أنا؟! فإذا قالوا «لا» يجيبهم: أنا كيلر ضابط البلاد كلها، فقد كسب بتلك الحركة الضابط السياسي البريطاني إلى صفنا، لذلك ما إن سمع جوابنا حتى قال منشرح الصدر:

- أنتم ضيوفي، وسأحميكم وأنصفكم من هذا الأمير «البقرة»، وطلب من أحد المسؤولين في مكتبه أن يرسل برقية يطلب فيها وصول الأمير فوراً إلى لودر. وطلب إلينا أن ننتظر وصوله لكي نرى بأعيننا كيف سيعاقبه جراء تطاوله وعدم اعترافه به وبحكومة صاحبة الجلالة. كانت أكبر عقوبة لنا أن ننتظر وصول الأمير الذي استغرق أكثر من أربع ساعات، وقد حوّل الموقف إلى مصلحته بمجرد مقابلته للضابط السياسي البريطاني الذي خرج إلينا حيث ننتظر غاضباً:

- أنتم شيوعيون! ولا تعترفون بحكومة صاحبة الجلالة ولا بي.

انقلب الموقف الذي كان حتى وقت قريب لمصلحتنا رأساً على عقب بعد أن أوغر الأمير صدر الضابط السياسي ضدنا، وأفهمه أننا شيوعيون وهي تهمة تلصق بكل معارض، فطلبنا منه أن نلتقيه ثانية بعد ما حدث من تشويش، وتحدث إليه باب الله بالعربية والإنكليزية، قائلاً إنه جاء من السودان لخدمة حكومة صاحبة الجلالة، وأصرّ على رأيه السابق بأن هذا الأمير المستهتر هو الذي لا يعترف بحكومة صاحبة الجلالة والمستر كيلر، وطلبنا منه لقاءً آخر بحضور الأمير الذي رفض الاجتماع بنا. وبعد أن أصرّ كل منا على موقفه، نصح حسن مسعد الحمزي الضابط العربي والمترجم والمستشار بأن نقبل بأي حكم يقترحه هو شخصياً، وطلب مني أن أقنع الآخرين به.

اقترح أن نعود إلى مودية، على أن يأتي الضابط السياسي كيلر بعد ثلاثة أيام، ويحكم في القضية التي تحولت من خلاف يتعلق باعتقال زميلنا محمد الحمزة إلى تظاهرات وهتافات، وإلى صراع داخل القصر، وإلى خلاف سياسي. كانت تلك هي المرة الأولى التي نخوض فيها صراعاً سياسياً مكشوفاً مع السلطات المحلية في مودية وتنشر أخباره خارج الولاية.

قبلنا بهذا المقترح وعدنا إلى مودية في اليوم الثاني بعد أن استضافنا الأستاذ محمد حسين ناجي، زميلي في معهد المعلمين بعدن، بحضور عبده فارع نعمان ومحمد عمر الجفري وحسين عبد ربه علوي وعربي عبد القادر ومحمد أحمد حرباج الذي قُتل في حرب التحرير، وأحمد منصور وأحمد صالح العيسي وعلي صالح غرامة، وقد التحق بعضهم بحركة القوميين العرب وبالجبهة القومية في ما بعد.

كان علينا أن ننتظر وصول المستر كيلر لحسم المشكلة، وعند وصوله اتخذ قراره الأول ضد الجندي علي منصور ديمح بالوقوف ساعة في الشمس بلا ملابس، عقاباً له على اعتدائه على الأستاذ باب الله. أما القرار الثاني، فقد اتُّخذ بناءً على نصيحة السيد حسن مسعد الحمزي، وهو من أبناء عدن كريتر، بذبح عشرة خرفان وجمع المتخاصمين على مائدة واحدة على الطريقة العربية، وإنهاء المشكلة بهذه الطريقة الساذجة. بعد تناول الطعام جلسنا في انتظار ما يحكم به الضابط السياسي، فاذا به يسألنا: هل أكلتم؟ فأجبناه: نعم، وشربتم؟ أجبناه نعم... وتكلم... واجتمعتم مع الأمير، قلنا نعم، قال: «خلاص انتهت المشكلة». وعندما أبدينا استغرابنا من ذلك، قال: أليست هذه طريقتكم كعرب في حلّ الخصومات؟! فما كان منا إلا أن غادرنا المكان دون أن نكون مقتنعين بهذا الحل. وكان هذا الحكم هو مخرج للضابط من الإحراج حسب كلام السيد حسن حمزي، وقال باب الله: إن هذا الضابط غبي، ولن أبقى في هذا البلد، وفعلاً غادر للعمل إلى السلطنة الفضلية في زنجبار، وكانت ميوله يسارية ويتعاطف مع التيار الماركسي في عدن وكان من أعضائه عبد الرحمن خبارة.

كان عبد الرحمن خبارة، صديق الأستاذ عبد الله باذيب زعيم الاتحاد الشعبي الديمقراطي، يحاول التأثير فينا هو الآخر وجذبنا إلى أفكاره. وكان يحدثنا عن معارك باذيب القلمية ضد الاستعمار والإمامة، وعن رؤيته الوطنية من أجل قيام يمن ديمقراطي موحد. وحدثنا خبارة أيضاً عن محاكمة باذيب الشهيرة عام ١٩٥٥ بعد مقاله الجريء والمعنون بـ«المسيح

الجديد الذي يتكلم الإنكليزية!»، وعن الدور الذي يقوم به باذيب في مساعدة الطلاب في مودية والمحميات والشمال حيث يُرسَلون إلى الاتحاد السوفياتي للدراسة باسم «الشبيبة». كذلك كان يحدثنا عن السلاح السوفياتي لمصر وسورية والعراق والجزائر، وعن الصواريخ وطائرات الميغ١٧. المهم أن مودية كانت في تلك الأيام ساحة مهمة للاستقطاب السياسي في أوساط الشباب بين مختلف التيارات القومية واليسارية.

كانت مودية ومدرستها تتسع لنا قبل أن تضيق بنا بعد ذلك بسبب الصراعات والخلافات الحزبية الحادة التي كان مصدرها القوى السياسية المحلية والتأثيرات الإقليمية والدولية بعد أن كنا متحابين ومتعايشين بعد الحروب القبلية التي مرت بها المنطقة في نهاية القرن التاسع عشر وحتى دخول البريطانيين الدثينة في بداية الاربعينيات وبدأ بعدها صراع الأحزاب القومية واليسارية التي مزقت النسيج الاجتماعي في مرحلة لاحقة.

ولم يكن حزب البعث العربي الاشتراكي، وحزب الشعب بعد ذلك بعيدين عن هذا الاستقطاب. كان عبد الله علي عبيد، وهو من النقابيين البارزين الذين ينتمون إلى هذه المنطقة يحاول عبر أصدقائه، وفي مقدمتهم عبد الله العبودي وناصر محمد عشال وأحمد المجعلي (التيس) أن يكون لهم موطئ قدم في ساحة مودية التي كانت تعجّ بالحماسة، وتغلي بشتى الأفكار للتيارات الفاعلة في نسيج المجتمع في المستويين السياسي والاجتماعي.

بعد صلاة العشاء من كل يوم، كان الناس يتحلقون على إذاعة «صوت العرب» في قلب ساحة مودية ويستمعون إلى خطابات عبد الناصر، ومقالات هيكل «بصراحة»، وتعليقات المذيع والمعلق أحمد سعيد النارية، وإلى أخبار ثورة الجزائر، والانقلابات والثورات التي تجري في سورية والعراق وسائر أنحاء الوطن العربي، وفي سواها من البلاد الإفريقية والأميركية اللاتينية.

ونجد التعليقات والنقاشات مسكونة في مثل هذه التجمعات السكانية حول الأخبار والتعليقات السياسية التي سمعوها للتو من الراديو الوحيد في مطعم القطي لصاحبه عبد الله القطي، وهو أول مطعم يفتح في ولاية دثينة يقَّدم فيه جميع أنواع الطعام، وكان فيه أول ثلاجة للمياه تدخل المنطقة، فكنا نذهب إلى المطعم لتناول الطعام والاستماع إلى

الراديو وشرب الماء البارد وكنا نسهر في ذلك المطعم حتى ساعات متأخرة، حيث كان لديه مصابيح كهربائية بعضها يعمل على الغاز والآخر على نوع خاص من البطاريات، بينما كانت بقية المنطقة تستخدم الفوانيس التقليدية التي تعمل على الكاز، وكان ذلك قبل دخول الكهرباء إلى مودية في ولاية دثينة في خمسينيات القرن العشرين. وكانت مودية متقدمة على بقية المحميات حولها من حيث انتشار تعليم البنين والبنات وتطور زراعة الخُضَر والفواكة والري بالمضخات والحراثة بالمحراث الحديث.



**عبد الله القطي**
**صاحب مطعم القطي**

وكان هناك رجل عجوز يدعى ناصر سميح، وهو ساخر كبير من الكون والحياة، يعرف باقتدار كبير كيف يبثّ النكتة والسخرية في روح الزمان والمكان. وكان مطعم القطي الوحيد الذي يفتح في الليل ويشغِّل الراديو على إذاعة صوت العرب، فيتردد صدى الأخبار والتعليقات، في المكان كله، وكان الناس بعد انتهاء نشرة الأخبار من إذاعة لندن وصوت العرب وسماع التعليقات يتحلقون حول ناصر سميح ليعرفوا تحليله أو نظرته إلى الأمور التي سمعوها. وكان العجوز ناصر سميح مريضاً بالبواسير، ومن أشدِّ المعجبين والمتحمسين لعبد الناصر، وأكثر الناس حقداً على الملوك والاستعمار، ولكنه كان عجوزاً داهية، تشرَّب عصارة الثقافة الشعبية، وقام بتخميرها وإعادة تعتيقها حتى غدت تعليقاته الساخرة دليلاً على نسق الحياة ونكهة الأرض. ومما أذكره عن ذلك العجوز، أنه انزعج أشدَّ الانزعاج من نتائج مفاوضات الزعيم السوفياتي خروتشوف والرئيس الأميركي جون كينيدي في ما كان يسمى أزمة الصواريخ في الكاريبي، التي قبل الروس في نهايتها بسحب صواريخهم من كوبا والكاريبي عام ١٩٦١. يومها لعن عمنا ناصر سميح، الروس وآباء الروس الجبناء! على حِّد تعبيره، وقال: لو كنت مكان خروتشوف لضغطت على زر الصواريخ في كوبا وفجرتها على الأميركان!

علَّق أحد الذين سمعوا تعليقه: يا عمّ ناصر، هذه سياسة دُول كبرى، لها علاقاتها ومصالحها، ولو لم يسحب خروتشوف صواريخه لسبّب ذلك حرباً عالمية ثالثة! لكن هذا التفسير «الجبان» من وجهة نظره لم يعجب عمنا ناصر سميح الذي كانت مودية آخر حدوده في العالم، ولم يكن يهمه خارج هذا العالم المحدود من يقتل ومن ينهزم ومن ينتصر في هذه

الحرب أو يفنى من الكون. وكان ما ينفك يتهم خروشوف بالتردد والجبن. وقال: لو خرج من الاجتماع ونفض قُحرته (أي مؤخرته) لتراجع كينيدي!

ضحكنا، وضحك صديقنا أحمد محمد علي شيخ وقال: يا عم ناصر، كيف ينفض قُحرته ويخرج من الاجتماع؟! ليش هو جالس على الأرض أو على سوم مثلنا نحن؟ هُوْ جالس فوق كرسي وثير ونظيف!

ولكن هذا هو عالم عمنا ناصر، وهذه هي مفرداته التي يعرفها ولا يستطيع إحلال مفردات أخرى محلها، وقد كان يستخدمها للتعبير عن موقفه، أو عن غضبه وعدم رضاه، وهو الذي تابع بكل أعصابه أزمة الصواريخ الكوبية، وعندما انتهت أخيراً على تلك الصورة التي لم يكن يتوقعها أغضبه ذلك وخيب أمله، وعلمتُ لاحقاً أن الزعيم فيدل كاسترو أتهم خروتشوف بالجبن، وأنه وغد حقير قد خذل القيادة والثورة الكوبية[٣١]. كان العمّ ناصر يستمد قاموس مفرداته من معمار القرية اللغوي، ومن مشاهد مجالس رجال القبائل الذين يجلسون على الأرض وهم محتبون[*] للاحتكام على خلاف نشب بينهم إلى الشيخ أو كبير القوم. وكان الشخص الذي يرفض الحكم يقوم ويخرج نافضاً مؤخرته من التراب، دليلاً على أنه لا يقبل هذا الحكم، وأن الخلاف لا يزال مستمراً!

وكنا ننصرف جميعاً بعد مثل هذه اللقاءات ومعنا العمّ ناصر سميح استعداداً للنوم، فلا مكان للكسالى الذين ينامون بعد صلاة الصبح وشروق الشمس، وعلى الجميع أن يتوجهوا إلى أعمالهم في المدارس والمزارع ورعي الأغنام والأبقار.

---

(٣١) بعد ذلك قرأت في عدد من المذكرات أن فيدل كاسترو اتهم خروتشوف بالجبن وأنه وغد حقير قد خذل القيادة والثورة الكوبية، ما اضطرهم إلى إرسال مبعوث كبير لدعوته إلى زيارة موسكو وأثناء جلسة ساخنة مع خروتشوف عقب أزمة خليج الخنازير، بدأ كاسترو ساذجاً جداً أمام ذلك الفلاح الروسي الداهية. لقد تهكم منه خروتشوف كيف يبعث له رسالة سرية يدعوه فيها إلى توجيه ضربة نووية وقائية ضد أميركا، وقال له وهو يقهقه: «هل تدعوني إلى الانتحار يا أيها المسكين؟ ألا تعرف أن صواريخنا في كوبا كانت للردع لا من أجل الضرب أو الحرب؟ ألم تدرك أن صواريخنا هذه حققت لنا مكاسب في تركيا وألمانيا؟». وحاول كاسترو أن يدافع عن نفسه بقوله إنه لم يرسل أي شيء بهذا الخصوص، لكن خروتشوف سحب من ملفه نص الرسالة قائلاً للمترجم:» إقرأ معه هذا النص. ألا يوجد فيه كلمة حرب؟ وكذلك نووي؟».

(*) يجلسون على الأرض رابطين ركابهم بالحبية أو العمامة، إلى ظهورهم، بدلاً من الكرسي.

كانت مصر وإعلامها وإذاعة صوت العرب، هي التي تشكل الرأي العام في تلك الأيام في مودية والقرى المجاورة، كما هي الحال في كل مكان. الرجال والشبان والنساء يقفون ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية والسوفيات. المهم أنهم مع عبد الناصر! فإذا كان مع الروس، فهم مع الروس، وإذا كان ضد الروس، فهم أيضاً ضدهم. وعلى هذا الغرار فهم مع عبد الكريم قاسم حين يكون عبد الناصر معه، وضده عندما يكون عبد الناصر ضده. ومع عفلق وضده. المهم ما يقوله الرئيس. وما يقوله صوت العرب. والناس لا يسمعون إلا إذاعة (صوت العرب)، ولا يشترون الراديو إلا بعد أن يثبّت لهم البائع مؤشر المذياع على محطة صوت العرب ويسمعوا صوت مذيعيه أو معلقيه المشهورين، كأحمد سعيد ومحمد عروق، حتى إن أحد المواطنين في عدن سمى ابنته «أكاذيب» وابنه «حقائق»، مستعيراً الاسمين من برنامج «أكاذيب تكشفها حقائق»[٣٢]. ذلك أن هذه الإذاعة ارتبطت في أذهان الجماهير بهمومها بالتحرر ومقاومة الاستعمار والأحلاف والإمبريالية والرجعية، وبوقوف ثورة عبد الناصر إلى جانب ثورة الجزائر واليمن وعمان وحركات التحرر العربية والإفريقية والآسيوية.

ولأنني قد اخترت، بإرادتي ووعيي المتواضع وقناعتي الخاصة حينها، الالتحاق بحركة القوميين العرب، فقد أخذت أدافع عنها في خلافها مع البعث والشيوعيين. وعملت مع رفاقي الآخرين على نشر بذور الوعي الوطني والتبشير بالفكر القومي للحركة، التي كانت ترفع شعارات الوحدة والتحرر والاشتراكية، وتناضل من أجل تحرير جنوب اليمن المحتل. انطلقنا في أوساط المدرسين والطلاب الذين يلتحقون بالمدارس وهم كبار في السن، وبعض الفلاحين، واستطعنا أن نضمّ إلى الحركة أبرز شخصية في مودية يومها، الأستاذ سعيد عثمان عشال، مشرف التعليم. وكان هذا يعدّ أكبر انتصار تحققه الحركة لاعتبارين: الأول: أن سعيد عشال، هو مشرف التعليم في مودية. والثاني: أنه ينتمي إلى أسرة آل عشال التي تتمتع بسمعة ومكانة مرموقة في المجتمع. وقد التحق في ما بعد بالثورة المسلحة، وأصيب في إحدى المعارك وأُسر واعتُقل وتمكن من الهرب إلى الجمهورية العربية اليمنية عام ١٩٦٦.

كان سعيد محمد عشال حاكماً في مودية، وأصبح بعد ذلك وزيراً للعدل في حكومة الاتحاد

---

(٣٢) أصبحت «أكاذيب» فنانة تغني للجماهير، ولم تكن تخجل، ولا أسرتها من هذه التسمية عندما يقدمونها في أي حفل فني. وأتذكر أنني حضرت حفلاً فنياً وقدمها مقدم الحفل بالفنانة الصاعدة «أكاذيب» وصفق لها الجمهور.

ونائباً لولاية دثينة. كذلك أصبح حسين عثمان عشال الذي كان ضابطاً في الحرس الاتحادي، قائداً للجيش بعد الاستقلال عام ١٩٦٨ . ومن بين الذين انضموا إلى الحركة محمد سليمان ناصر، وكان من الشباب المتحمسين للحركة في أوساط المدرسين والطلاب في مدرسة أمقوز، وقد أصبح بعد الاستقلال وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي، والأستاذ الفاضل عبد الله أحمد عنبر، وهو رجل لطيف ومتواضع وجمٌّ الأدب، والأستاذ علي جازع، وهو رجل هادئ ومحترم يحظى بإجلال من السكان في مودية، وقد عمل في إدارة الزراعة. كذلك كسبنا إلى صفوف الحركة محمد صلاح، الرجل المجرب، وكان أكبر سناً وأكثر دهاءً، وله علاقات واسعة في أوساط الفلاحين والقبائل، وسعيد محمد افقيرية، وهو رجل يحظى باحترام الفلاحين ورجال القبائل وينتمي إلى القبائل المعروفة بآل صالح، وعبد الرحمن العود، وهو شاب قصير يتدفق حيوية، وقد أصبح في ما بعد ضابطاً في أمن الدولة، وصالح الجابري، وهو شقيق حسين الجابري الذي ذكرت أنه هو الذي ضمني إلى الحركة.

وإلى جانب هؤلاء التحق بالحركة عدد من الطلاب الأذكياء والأقوياء بانتمائهم إلى أسر معروفة لها مكانتها الاجتماعية بالإضافة إلى وعيهم وقوة إيمانهم بقضية شعبهم. ومن هؤلاء أذكر:

**علي سليمان**: من قرية جمعان، من قبيلة آل زامك. وهو ابن شقيق الشيخ علي سليمان: الرجل والسياسي الذكي الذي أصبح أحد حكام ولاية دثينة البارزين. أما الدكتور (في ما بعد) علي سليمان، فقد أصبح مديراً للدائرة القانونية في مجلس الوزراء في الثمانينيات من القرن الماضي.

**محمد عبد الله البطاني**: وكان والده يملك سيارة نقل يؤجرها بين عدن ومودية، وقريته أورمه، وكان بارعاً في أداء الحركات البهلوانية، وصاحب نادرة ورجلاً ساخراً، قد انفصل عن شقيقه عمر البطاني وابن أخيه علي البطاني، وصار كل واحد منهم يمتلك سيارة نقل، وكانت لهم علاقاتهم الواسعة. ويُعَدّ محمد عبد الله البطاني وابن عمه عبد الله عمر البطاني امتداداً لهذه الأسرة، ولكنهما كانا أكثر وعياً وحماسةً ونشاطاً وتأثيراً في سكان قريتهما التي لم يكن فيها ولا في القرى المجاورة مسجد. وقد أصبح محمد البطاني وزيراً للداخلية. وعبد الله مديراً لمؤسسة الخضار والفواكه، ويتميز هذا الأخير بالصراحة والصدق والوفاء.

**علي شيخ عمر**: هو مناضل صلب ومجرب وشجاع وجريء. وقد اعتُقل في سجن مربط

المشهور بالتواهي، ونُقل إلى عدة سجون، ولكنه لم يعترف رغم كل ما تعرض له من أساليب الترهيب والترغيب بأسماء رفاقه أو بانتمائه إلى التنظيم. وقد أطلق سراحه بعد ذلك، وأصبح بعد الاستقلال مديراً للأمن في عدن، وقنصلاً في موسكو، ومحافظاً لأبين وشبوة بعد إعلان الوحدة.

**عبد الله ناصر مسعود**: الذي أصبح في ما بعد ضابطاً محترماً فطياراً في شركة طيران اليمن الديموقراطية الجوية «اليمدا»، ويتمتع بسمعة جيدة.

**أحمد مسعود العلواني**: وهو من قرية امقليته، وينتمي إلى أسرة مرموقة من قبائل آل منصور التي ينتمي إليها أيضاً الشيخ حسين المجعلي والشيخ المحنك والسياسي الداهية علي هادي. وقد أصبح العلواني، وهو طيار مدني، مديراً عاماً لشركة الطيران الوطني (اليمدا) في عدن، وبعدها مديراً عاماً للخطوط الجوية اليمنية.

**عبد الله ناصر الجونة**: هو من منطقة آل السعيدي، وابن الشيخ ناصر الجونة المشهور بذكائه ودهائه وتواضعه وبعلاقاته الواسعة وبنفوذه في منطقة آل السعيدي، وقد عمل ابنه عبد الله في السلك الدبلوماسي، وكان القائم بأعمال سفارة اليمن الديموقراطية في بيروت واستشهد في عام ١٩٨٦. وآخرون سواهم، أبرزهم **علوي حسين فرحان** الذي عرفته أول مرة من طريق المناضل النقابي ناصر عمر الشيخ الذي كان يعمل في مصافي عدن. وبعد عدة لقاءات اقتنعنا نحن الإثنين بأنه شخص مناسب لكي نضمه إلى صفوف الحركة، وأصبح الاثنان، فرحان وناصر عمر، من العناصر المؤثرة في مصفاة عدن وفي منطقة آل السعيدي. وكان من المفترض أن نذهب معاً إلى مصر في صيف عام ١٩٦٢ لتلقي دورة عسكرية ضمن دفعة من أعضاء الحركة، كان من بينهم أيضاً سالم ربيع علي وآخرون، لكن الدورة تأجلت بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر من العام ذاته، وقد أصبح علوي حسين، اسمه الحركي فرحان، قائداً بارزاً في العمل الفدائي في عدن ونفّذ عدة عمليات فدائية ناجحة ومؤثرة بالاشتراك مع عدد من زملائه الفدائيين[٣٣]. وتسلّم مسؤولية كبيرة في أمن الدولة حتى عام ١٩٨٦، وأُعدِم في

(٣٣) كان من أبرزهم أحمد ناصر أمخادم (الاسم الحركي مهدي) الذي كان فدائياً بارزاً ومتواضعاً وكثير التهذيب وقد اعتقله الإنكليزية، ولكنهم لم يتمكنوا من قتله. لكن هذا الفدائي الجسور قتل بعد ذلك على يد الرفاق.

نهاية عام ١٩٨٧ في سجن المنصورة مع رفاقه فاروق علي أحمد، وأحمد حسين موسى، وهادي أحمد ناصر ومبارك سالم. وقد كتب في مذكراته الشخصية التي تسلمتُ نسخة منها من طريق ابنه إياد قصة التحاقه بحركة القوميين العرب، وأحببت أن أستعيرها كما أوردها بالنص، إذ إنها تُلقي الضوء على جوانب من التجربة التنظيمية للحركة فى بداياتها الأولى:

«في أحد الأيام كنت عائداً من (مودية) إلى قريتي، وحدث أن صادفت سيارة كانت تقل مجموعة من الطلبة عائدة في طريقها من (مودية) إلى قريتي (الخديرة)، وكنت أعرف سائقها الذي قبل أن يقلني مع الطلبة، وعندما هممت بالصعود إلى السيارة وقع نظري على شخص مميز هو أكبر الموجودين في السيارة سنّاً فيما عدا السائق. لقد كان لهذا الشخص حضور قوي وشعرت بالارتياح من الوهلة الأولى ومن أول كلمة تبادلتها معه حيث حدثته عن متاعبي في البحث عن عمل، ارتحت لإجابته عن بعض تساؤلاتي وفهمت منه أنه هو كذلك غير راضٍ وناقم على الأوضاع السائدة، وقد دار نقاش حاد بيننا داخل السيارة أثناء سيرها، وذلك عن كيفية التخلص من الوضع الرجعي السلاطيني المشايخي القائم آنذاك، فوجدت هذا الشخص ينظر إلى الأمور من خلال رؤى تقوم على التنظيم والتعبئة والمنهجية، بينما أنا كنت أنظر إليها نظرة مختلفة لأنني لا أعرف التنظيم وأصرّ على عمل تلقائي وعفوي غير منظم ومنذ الوهلة الأولى، بالطبع ما كنت أصرّ عليه هو اللجوء إلى العمل المسلح ضد السلطات في المنطقة، وهو الأمر الذي اعتبره هذا الشخص أنه عمل فوضوي غير منظم ولم يحن أوانه. بطبيعة الحال، عند وصولنا إلى القرية، طلبت من هذا الشخص أن يحلّ ضيفاً ويبيت عندي، ولكنه اعتذر وأصرّ على العودة إلى (مودية)، وقبل أن أودعه طلب مني مقابلته مرة أخرى وأصرّ على ذلك ثم غادر.

وفعلاً التقينا مرة أخرى، وذلك بعد أن تسلمت عملي في مودية كمراقب جمرك، وفي هذا اللقاء ناقشني وحاورني أكثر من ذي قبل. بدأ بتوجيهي من غير أن يقول لي أو يفهمني أي شيء عن أن هناك تنظيماً، وإنما أخذ يحذرني من الاندفاع والتهور بالقيام بأي فعل أو ردّ فعل طائش غير مدروس لا طائل منه.

بعد انقضاء العقوبة وخروجي من السجن التقيت (الأخ) مرة أخرى ولقد بدا غاضباً هذه المرة، مشيراً إلى أن ما عملناه، ويقصد بذلك احتجازنا للسيارة أنه كان خطأً فادحاً منوهاً بأن الأمور

لا تُحلّ بهذه الطريقة، فسألته عن تصوره للمعالجة الصحيحة والطريقة التي يعنيها، فوعدني بالجواب لاحقاً، وهكذا انتظرت لذلك الجواب وكنت كلما أجده في أي مكان أسأله عن الجواب بخصوص تساؤلاتي، فيعدني بالرد لاحقاً مرة أخرى. وهكذا طال انتظارى بوعد طال انتظاره. التقيته في ميدان مودية، كان هذا الأخ هو الرفيق (علي ناصر محمد) الذي كان مديراً لمدرسة (مودية الابتدائية) وفي ذلك الميدان في (مودية) أعطاني ورقة صغيرة كتب عليها (احضر إلى البيت الساعة السابعة مساءً) ويقصد طبعاً منزله، فلبيت طلبه وحضرت حسب الموعد المحدد إلى البيت الذي يسكنه (الأخ) علي ناصر في (مودية)، وقد كان مكوناً من غرفة يؤدي إليها سلم ضيق جداً، وفيها مكتبة صغيرة تحتوي على كتب معظمها من مؤلفات الكاتب (ساطع الحصري) وفي هذه الزيارة تكلم (الرفيق علي) في العموميات ولم يتطرق إلى أي شيء كنت أتوقعه ولكنه (ربطني) فيه بصورة غير مباشرة وبأساليب مختلفة مثل: دعنا نكون على اتصال دائم، أو مثلاً تعال عندي إلى البيت، المهم في الأمر أنني بعد ذلك اللقاء عدت إلى محطة بنزين (مودية) حيث كنت أعيش وظللت على اتصال وعلاقة دائمة بالرفيق (علي)، وبعيد أيام من لقائنا سافر الأخ (علي) إلى مدينة (عدن) حيث قضى فترة قصيرة فيها ثم ما لبث أن عاد، وعند عودته كنت في قريتي وقد سمعت من يقول لي إن هناك شخصاً ما في انتظاري، وكانت الساعة تقارب الثانية عشرة بعد منتصف الليل، ذهبت حينها لأرى من هو فإذا بالأخ (علي) واقفاً عند باب البيت حاملاً بيديه قرطاساً كبيراً (كيساً ورقياً)!

لقد استغربت وجوده في تلك الساعة المتأخرة من الليل، وما زادني استغراباً قيامه بتسليمي ذلك الكيس الورقي بلهفه وتعجّل قائلاً: دع هذا الكيس عندك وفي مكان آمن حتى أعود إليك غداً مساءً.

أخذت هذا الكيس الذي لم أكن أعلم حينها ما بداخله، وبقيت في الحقيقة متوتراً تلك الليلة لأنني كنت أريد معرفة ما في داخله، وكذلك كنت مستغرباً لما أتى الأخ (علي) في وقت متأخر من الليل، رغم علمي المسبق أنه موجود في مدينة (عدن)!

بالنسبة إلى شاب مثلي حينها، وفي تلك الأيام والأوضاع السائدة، كانت أمور كهذه تبدو لي غير مألوفة أو مفهومة، لأنني كنت ما زلت في مرحلة التبلور، أو طور التلقي إن جاز لي التعبير، وهي مرحلة لم تكتمل بعد في ذهني، لهذا كانت تساؤلاتي كثيرة، وكنت أتمنى لها

إجابات سريعة، ولكن هذه التساؤلات ظلت أسيرة في داخلي، على أمل إيجاد أجوبة لها بما تحمله قادمات الأيام من أحداث.

على أية حال، في اليوم التالي، وفي فترة ما بعد الظهر، وصل الأخ (علي) يرافقه شخص آخر هذه المرة هو الأخ (حسين محمد الجابري)، وقد مكثا عندي حتى الساعة العاشرة من ليل ذلك اليوم حينها وفي تلك اللحظة طلب مني الأخ (علي) أن أُحضر ذلك الكيس وأحضرته فعلا، فتحه وتبين عندها أنه يحتوي على منشورات موقعة باسم (حركة القوميين العرب). كان شيئاً ساراً جداً بالنسبة إليّ، أن أرى بالملموس ما يدلّ على أن هناك جهداً يُبذَل لمناهضة الأوضاع التي تعيشها المنطقة، بل والبلاد قاطبة. هذا الأمر منحني زخماً ودفقاً معنوياً عالياً، لربما أنا كنت بحاجة إليه.

أعطاني الأخ (علي) جزءاً من هذه المنشورات، طالباً مني توزيعها في المسجد وأنحاء أخرى، وذلك في آخر الليل، أما بقية المنشورات، فقد أخذها معه إلى (مودية) مع مرافقه الأخ (الجابري) عرفت في ما بعد أنه في تلك الليلة السابقة التي جاءني فيها متأخراً وأعطاني الكيس لأخبئه، كان هناك من يطارده، وهو شخص يُدعى (حسين سعيد) ويعمل مع السلطة وكان عضواً في حزب (الشعب) جماعة (الأوضاع).

كان ذلك المنشور مناهضاً للأوضاع القائمة بشكل عام في جنوب اليمن، وقد قمت بقراءته مرات عديدة، لكني لم أفهمه نظراً للأمية السياسية التي كانت تعتريني.

عدت إلى (مودية) بعدها، حيث موقع عملي، وتواصلت الاتصالات مع الأخ (علي) الذي بدأ حينها يلِّمح من خلال لقاءاتي به بأن هنالك تنظيماً سرياً، ويقصد بذلك (حركة القوميين العرب)، وأن هذا التنظيم سيتبنى أسلوب الكفاح المسلح كوسيلة في المستقبل لطرد المستعمر بالقوة. انفرجت أساريري كثيراً لسماع هذا الكلام، فرحت أستعجله في أن أفهم كل شيء عن هذا التنظيم. وذات مرة عرض عليَّ أن أصبح أحد أعضاء هذا التنظيم السري، فرحتُ بذلك ووافقتُ على الفور، ولكن انتظاري طال فلقد بقيت مدة ستة أشهر أو أكثر وأنا أوزع منشورات التنظيم، وكان هذا أمراً محبطاً لحدٍّ ما نظراً للحماسة التي كانت تغمرني، ولكن أخيراً وبعد فترة جلس إليّ الأخ علي ناصر في ما يمكن أن أسميه الاجتماع الرسمي الأول، وذلك بمنزله بمودية.

لقد أعطاني خلال اللقاء بعض الكتب، ومن ضمنها مؤلفات لساطع الحصري، وتحدث عن كيفية فهم الجهاد الإيجابي، وأفصح لي بأنه بات بالإمكان البحث عن شباب جيدين وأكفياء ليكونوا أعضاءً في التنظيم، وقد فهمت منه كذلك أنهم (الأخوة) حوُلوا مكان عملي إلى مكان آخر، وهذا معناه أنني بتّ عضواً فعلياً في التنظيم، وكان هذا منتصف عام ١٩٦٢.

كان (حصن لحمر) في المديرية الشرقية من المحافظة الثالثة (أبين) حالياً هو موقع عملي الجديد، وهناك وجدت الشهيد أحمد سالم (عباس) وتعرفت إليه وأُعجبت به كثيراً من حيث أنه شاب شجاع ويمكن الاعتماد عليه، وقد بدأت مع الوقت ألمِّح له إلى الأوضاع السيئة القائمة آنذاك وما تعيشه منطقتنا من جهل وفقر ومرض، محاولاً معرفة آرائه ومدى استجابته، وبمرور الوقت بدأ عباس يتعايش وينفتح معي ويحدثني دائماً عن المشاكل القبلية وغيرها من الأوضاع السائدة. لقد جمعتنا أخوة وصداقة متينة وتفهم عميق وقواسم مشتركة كثيرة. وفي هذه الفترة التي كنت فيها و(الشهيد عباس) في حصن لحمر، حدث أمر عظيم وجلل لقد قامت ثورة السادس والعشرين من سبتمبر الخالدة عام ٦٢م.

كان لهذا الحدث وقع عظيم في نفوسنا وآثار إيجابية كبيرة، ومنحنا دفقاً معنوياً هائلاً وإرادة للعمل لا تنكسر. وعلى إثر هذا الحدث العظيم أردتُ والشهيد عباس الذهاب إلى الجمهورية العربية اليمنية للدفاع عن ثورة سبتمبر، وعندما طرحتُ الفكرة على الرفيق علي ناصر، أفهمني أن فكرة بقائنا هي المرجَّحة، لأن مكاننا يمكن أن يكون هنا. بالطبع سُررتُ لهذا الأمر لأنني أدركت في تلك اللحظة أنه سيوكل إلينا مهمات وأننا مقدمون قريباً على عمل ما هنا.

حاولت إقناع عباس بالأمر، وكان فعلاً قد استقال من عمله استعداداً للذهاب إلى الجمهورية العربية اليمنية والالتحاق بالثوار، وأقنعته بالبقاء في الجنوب لأن ثمة حاجة لنا هنا. وفعلاً سافر إلى عدن وعمل هناك كشرطياً في شركة البرق واللاسلكي في منطقة الحسوة.

بعد فترة قصيرة طلبني الأخ علي ناصر محمد للاجتماع به، فالتقيته على إثر ذلك ومعه الأخ الجابري، قالا لي إن هناك أمراً مهماً جداً يريدان طرحه عليّ وأخذ رأيي فيه. انشغل طبعاً ذهني في هذا الأمر، المهم أنه بعد تعب ورحلات طويلة كان لا بد من القيام بها، طُرح أخيراً

الموضوع عليّ، وقد كان سؤالاً كبيراً في حقيقة الأمر، فقد سألاني عمّا إذا كنت مستعداً للسفر إلى القاهرة سراً برفقة الأخ علي ناصر وذلك لأخذ دورة تدريبية عسكرية في الكلية الحربية في مصر، ثم العودة من هناك إلى صنعاء. بدا لي وكأنه طلب محيِّر لكن الإجابة لم تتأخر في تبديد هذه الحيرة حيث فهمت أن المقصود من تدريبنا في القاهرة ثم عودتنا إلى صنعاء أن نكون من ضمن قوام (جيش التحرير). قبلت بذلك على الفور وبسرور بالغ، وبعدها حدد الأخ علي موعداً للقاء آخر، على أن أقدِّم في أثناء ذلك استقالتي من العمل فوراً. وفي اليوم التالي قدمت استقالتي من العمل، ولكن محمد سعيد الظهر لم يقبلها، مبرِّراً رفضه بأنه يجب أن أبقى في عملي حتى يجد بديلاً آخر يقوم بالعمل مكاني، لكنني صممت على الاستقالة، ولم أذهب إلى العمل برفقته. وفي الموعد التالي الذي كان قد حدده الأخ علي أُقِرَّ سفري، وفعلاً سافرنا معاً إلى عدن.

بعد وصولي إلى عدن بفترة وجيزة، طُلب مني الاستعداد للسفر إلى مصر، وسلمني خمسين ديناراً بدل ملابس ومصاريف سفر، وطلب مني استخراج جواز سفر، وقمتُ فعلاً بمعاملة استخراج جواز السفر، ومن ثم شراء بعض الملابس، وحولت ما معي من مال إلى خمسة وثلاثين جنيهاً إسترلينياً، وهكذا بتُّ مستعداً للسفر، ورحت أنتظر، وأمعنت في الانتظار الذي طال أمده، وبعد نحو شهرين فاجأني الأخ علي ناصر بأن موضوع السفر قد تأجل، وأن من الضرورة بمكان أن أبدأ بالبحث عن عمل لي في عدن... ثم طلب مني أن أعيد ما بقي معي من المال إلى الحركة، وبالفعل ناولته ما كان معي من جنيهات إسترلينية.

شعرت بأن الفرحة لم تكتمل لتأجيل السفر إلى القاهرة، إذ كانت تلك الدورة التدريبية، ومن ثمّ الانضمام إلى جيش التحرير في الشمال، يمثلان لي تشريفاً كبيراً، وهنا من المهم أن أوضح أن التأجيل أو التعديل أو الإلغاء في بعض الأمور المقررة في العمل التنظيمي أو الفدائي هي مسألة تعود - كما يبدو - إلى تحول نظرة عبد الناصر إلى أولويات الموقف من أحداث اليمن، وضرورة تغيير النظام الملكي في صنعاء أولاً كشرط لا بد منه لنجاح أي ثورة في الجنوب المحتل».

أكتفي بهذا القدر الذي استعرته من مذكرات الشهيد (فرحان) وربما عليّ أن أعتذر للقارئ لطولها، لكن عذري إنها تلقي ضوءاً على أساليب عملنا السري في بداياته الأولى.

وبعد ثلاث سنوات من تأجيل سفرنا إلى مصر، تحقق حلمنا بالسفر إليها باللباس الكاكي لحضور مؤتمر القاهرة في مارس عام ١٩٦٥، بعد أن كنا عام ١٩٦٢ نستعد للسفر بملابسنا الإفرنجية وربطة العنق التي لم نتعودها في عدن بسبب حرارة الطقس، وكانت هذه هي المرة الأولى التي ألبس فيها ربطة العنق وبذلة إفرنجية، وشاهدت نفسي في المرآة لأكثر من مرة وأتخيل نفسي وأنا أسير في شوارع القاهرة ومصر أمّ الدنيا بهذه البذلة الأنيقة، وكنت على إستعداد للسفر والرحيل إلى مصر للاشتراك في دورة عسكرية عن حرب العصابات. وكان رفاقي أيضاً يستعدون ويتمنون هذا اليوم الذي نقلع فيه من عدن إلى القاهرة على بساط الريح، الطائر الجديد.

لم نتعود لبس هذه البذلات إلا في الاستديو الخاص لعبد الرحمن العبسي في الشيخ عثمان، لالتقاط صور جوازات وصور صغيرة وكبيرة، وهو يختار اللون والبذلة وربطة العنق التي تناسب كل شخص، بما في ذلك الأطفال الذين يلبسون الملابس العسكرية وخلفهم صور ولوحات حسب مزاج المصوِّر والمصوَّر الذي يخضع لتدريب وحركات برفع الرأس وحركة يمين ويسار، وفي الأخير يطلب المصوِّر الذي يقف خلف صندوق أسود وستارة سوداء أن ينظر الشخص مع ابتسامة نحو عدسة الكاميرا، وبعد ثلاثة أيام يعود لأخذ صورته. وأتذكر أن أحد الأصدقاء ممن التُقطت له صورة، قال إن هذه ليست صورته لأنه كان نادراً ما يشاهد صورته في أي مرآة، وبعضهم يخاف من التقاط الصور في هذا المكان المظلم، وقد ذكّرني هذا بما قرأته في مذكرات نوبار باشا عن التصوير في مصر والتقاط الصور لأول مرة عام ١٨٤٦ لمحمد علي باشا، حيث أقنعه المصوِّر بأخذ صورة له، وكان وجه محمد علي مشحون بالاهتمام وعيناه تكشفان عن حالة من الاضطراب ازدادت عندما غرقت الغرفة في الظلام استعداداً لوضع الألواح فوق الزئبق، حيث خيّم صمت مقلق ومخيف فلّم يجرؤ أحد على الحركة، وكان محمد علي الواقف قرب آلة التصوير يقفز ويقطِّب حاجبيه، وقد نفد صبره وصاح: «هذا من عمل الشيطان!» وأمسك بقبضته على سيفه الذي لم يتخلَّ عنه ولو للحظة وكأنه يخشى مؤامرة أو تأثيراً غامضاً وأسرع لمغادرة الغرفة دون تردد.

المهم أن هذه الفرحة لم تتم، والبذلات وربطات العنق لم تُستخدَم إلا بعد أربع سنوات، وأتذكر أننا عندما لبسنا البنطال في مودية، اتفقنا أن نلبسها في يوم واحد بعد عصر ذلك

اليوم. واجتمع المدرسون في المدرسة المتوسطة والابتدائية، حيث اقترح الأستاذ السوداني محمد باب الله (المتخرج في جامعة القاهرة) المنتدب للعمل في مودية[٣٤] أن نكسر الخوف والحاجز النفسي في يوم واحد، والقيام بجولات داخل مدينة مودية أمام الدكاكين والمقاهي والبيوت، وعندما شاهدنا أحد المواطنين وهو رجل ساخر اسمه أحمد البحيث، صاح بنا بصوت يشبه الصوت الذي يطلقه راعي الإبل عندما يسوقها إلى المراعي أو الماء، مشبهاً إيانا بجمال قبيلة آل وليد، إحدى قبائل دثينة التي تمتلك كثيراً من الجمال، وكان عددنا يومها لا يقلّ عن ١٥ مدرساً، وفي مقدمتنا الأستاذ باب لله. فقد كان لباسنا الكاكي ولونه يشبه لون الجمال في المنطقة، وردّ عليه باب الله بصوت أش... أش يا حيوان. فسكت البحيث، واحدة بواحدة والبادئ أظلم، ونجحنا في هذا الإختبار وأصبح زياً موحداً واختفت الملابس الشعبية التي كان يستخدمها البعض.

وقال أحد الجلوس: مالك سكت يا البحيث؟

قال: شوفه ما أكبره (مشيراً إلى أنه طويل القامة ومفتول العضلات وكان في قمة شبابه وحيويته) ينخط نخيط (أي يهدد بصوت عالٍ) اكفنا شره. وضحك الجميع ولم يعلّق أي شخص بعد ذلك على إبل آل وليد وعلى (التالو)[٣٥] أي الحلاقة، وحسم هذا الموقف ارتداء الطلاب والمدرسين البناطيل، وكان لبس البنطلون والحلاقة عيباً وعاراً في المنطقة لا يليق بأبناء القبائل!

عليّ أن أعترف بأنّ مودية كانت مدرسة لنا، تعلمنا منها الكثير، فقد كان أبناؤها سباقين في العمل الوطني والحركة النقابية والتجارية والزراعة والتسويق وبناء المساكن على الطراز الحديث، وأرسلوا أبناءهم للدراسة في لندن وموسكو ومصر، وساهم الإصلاحي الكبير محمد سعيد هيثم في عملية التطور والتنوير حيث شجع على تعليم البنين والبنات. تأسست ثاني

(٣٤) الأستاذ محمد باب الله عاش في مودية وتزوج منها وانحاز إلى الثورة لاحقاً في الجنوب.

(٣٥) التالو: قصة شعر الشباب «المارينز»، وكانت معروفة في عدن منذ عام ١٩٠٠، وكان الحلاقون الهنود يسمونها «التالو». في عدن كان معظم الحلاقين من الهنود، ثم من أبناء المناطق الوسطى في شمال اليمن، وعند ظهور الأفلام المصرية وزيارة فريد الأطرش حصل انقلاب في قصات الشعر وأصبحت الموضة على نسق قصة شعر فريد الأطرش، وكان بعض الحلاقين يحملون شنطهما ويأتي إلى البيوت وبعضهم يجلس على الشوارع يحلقون للفقراء. (محمد أحمد البيضاني).

تجربة برلمانية فيها بعد سلطنة لحج، وتشكلت فيها مجالس قروية منتخبة وجمعيات تعاونية للفلاحين، وجمعيات توفير للطلاب والطالبات، وبرز فيها العمل التعاوني بنحو رائع وخلاق.

بعد هذا الحديث عن السفر إلى مصر وتأجيله، انصرفنا للنشاط السياسي والتنظيمي في صفوف الجماهير، وخاصة في صفوف المدرسين والطلاب والفلاحين في ولاية دثينة، وكنا حرصاء على أن يكون العناصر الجدد يحظون بالاحترام الكبير في أوساط المواطنين في جمهورية دثينة. المهم أننا كنا نسيطر الآن على رقعة واسعة من أهم المناطق والقبائل عبر هذه النخبة من الشبان الواعين والمتحمسين لقضية الوطن والشعب. وكان لا بد أن يكون لهذه الفئة المتعلمة وغيرهم أثر في المنطقة، وكانوا مع سواهم في المدن والقرى، في عدن والمحميات يمثلون العصب الحساس للمجتمع وضميره الحيّ، وهم الذين سيحددون درجة تطوره الاجتماعي والحضاري.

وجاء اليوم الذي أصبحنا نشعر فيه بأننا أصبحنا على درجة من القوة والتنظيم، ما يتيح أن يكون لنا رأي وموقف في ما يحدث، وأن نضع ذلك محل الاختبار. كان أول ما فكرنا فيه إصدار منشور سياسي يطالب بزيادة أسعار الخضار والفواكه للفلاحين في ولاية دثينة. كان هذا، مثلما اعتبره البعض في حينه، أول تحول استراتيجي في نشاط الحركة، وأول اختبار لنا ولأعضائنا وأنصارنا في الولاية. كان انتقالاً من القراءة والنقاش والجدل وكسب الأعضاء والأنصار إلى النزول إلى ساحة المعترك السياسي وجماهير الفلاحين والاحتكاك مباشرة بالسلطات وأجهزتها. وقد أبدى الكل درجة عالية من الوعي والانضباط واتباع التعليمات، فنفذ كل منا مهمته بإتقان، ووُزِّع المنشور وأُلصِق بحليب العلب اللزج بدلاً من الصمغ على جدران المساجد، والشوارع والأزقة والمدارس، وعلى أبواب المتاجر والمحلات العامة. اخترنا أن يكون هذا النشاط الأول لنا مساء خميس وصباح جمعة، وقد ساعد هذا التوقيت السليم على إطلاع أكبر عدد من الناس على محتواه، وعلى انتشار خبر توزيع المنشور إلى كل مكان من ولاية دثينة وسلطنة العواذل وسلطنة الفضلي المجاورتين. والأهم من هذا، أن الخبر وصل إلى أسماع المسؤولين في السلطة، فحركت أجهزتها للتحري والبحث عن مصدر هذه المنشورات التي سببت لها الإزعاج، ومن يقف وراءها، دون أن تتوصل إلى شيء في البداية، إلا أن بعض القوى السياسية التي كانت تنافسنا في الساحة أشعرت السلطات

بطريقتها بأننا، في الحركة، نقف وراء هذه المنشورات، وأبلغني مسؤول قريب منا باسم تلك الجهة وطلب أن نردّ عليها بالمثل، ولكنني نفيت أن يكون لنا صلة بحركة القوميين العرب، أو أن نكون مستعدين للدخول في مهاترات وعملية دسّ مهما كانت خلافاتنا مع تلك الجهة التي دسّت علينا.

وهذا العمل قرّبنا إلى دائرة هموم جماهير الريف في المنطقة، وأكسبنا رصيداً شعبياً واسعاً كنا نحتاج إليه حتماً للاضطلاع بمهمات المستقبل الكبيرة.

ومما أذكره، أنني وضعنا نسخة من ذلك المنشور، بجانب غرفة والد محمد سليمان ناصر لمعرفة ردة فعله. وفي الصباح التقيتُه أنا وابنه محمد سليمان. عرفنا على الفور أنه عرف فحوى المنشور لأنه شتم «الزيود» الذين – على حد قوله – وزعوا المنشور واتهمهم بأنهم مرسلون من الزعيم عبد الله السلال. وقال لنا إنه شاهد مساء الخميس رجلاً قصيراً ممتلئاً مفتول العضلات يحمل مسباً أو قرعةً في مسجد أمقوز، وأنه واثق بأنه كان يحمل المنشورات فيها. وكنت أنا وابنه محمد اللذين وضعنا له المنشور، والناس – مثلما هو معروف – في مثل هذه الحالات، يخلقون من الحبة قبة.

كانت إذاعة صنعاء توجه في تلك الأيام برنامجاً للجنوب المحتل باسم «ركن الجنوب اليمني». يبثّ الأخبار والبيانات المعادية للاستعمار ومنها أذيع بياننا الذي أصدرناه باسم الحركة في دثينة والذي سبقت الإشارة إليه. وكان يقف على رأس ذلك البرنامج الإذاعي الأستاذ المناضل محمد عبده نعمان والأستاذ المناضل عبد الله حمران والشيخ حسين محفوظ، وهو من أبناء دثينة، وقد أطلق على نفسه لقب «شيخ مشايخ الجنوب»، واستطاع أن يكوّن علاقات وصداقات جعلته من المقربين إلى المسؤولين في صنعاء، وأن يرسم لنفسه صورة البطل الكاريكاتوري، فكان يمتطي حصاناً، ويلبس البذلة، ويعتمر عمامة من الحرير، ويتمنطق حزاماً مليئاً بالرصاص، ويحمل بندقية ومسدساً وسيفاً، ويتدلى كل ذلك من جسده: كتفه، ويمينه ويساره ووسطه. المهم أنه مدجج بالسلاح من رأسه إلى أخمص قدميه. لم يكن شيخاً في أي يوم من الأيام قبل هروبه إلى المملكة المتوكلية اليمنية، ولكنه بطوله وشنبه وبذكائه وبراعته أصبح شيخاً للجنوب كله. ولكنه كان شيخاً بلا مشايخ ولا نفوذ إلا من إذاعة صنعاء، وكان له جمهور يتابع تصريحاته. وبعد قيام الدولة في الجنوب عاد إلى

عدن وذات يوم زارني إلى مكتبي في التواهي ورحبت به ترحيباً حاراً وتحدثنا عن الماضي والحاضر والمستقبل بالنسبة إليه وماذا يريد أن يعمل لمساعدته على توفير عمل مناسب لإعالة أسرته، وطلبت منه أن يحدد العمل المناسب له، وسأوافق على طلبه، وتركت الخيار له، لكنه صمت وبعد لحظات قال إنه يريد أن يعمل حارساً في إحدى المؤسسات وهذه آخر حدود مطالبه، واحترمت طلبه المتواضع، ووجهت رسالة إلى أحد الوزراء لتوظيفه، وقرأت عليه مضمون الرسالة وكتبت فيها مازحاً أن يوظفوا الشيخ محفوظ «شيخ مشايخ الجنوب»، ووقف وهو يشير إلى الرسالة ويطالبني بشطب كلمة «الشيخ» واستبدال كلمة «الرفيق» بها، تجنباً لأي إحراج له، وكانت كلمة «الرفيق» حينها متداولة في الجنوب. وعمل في إحدى المؤسسات في جولد مور حتى وافته المنية عام ١٩٩٧، وقد عاش فقيراً متنقلاً بين صنعاء وعدن منذ الخمسينيات وحتى وفاته.

المهم، أننا نجحنا في ذلك الاختبار الصغير الأول، الكبير في معانيه ودلالاته الوطنية والسياسية. واتخذ نشاطنا السياسي والاجتماعي طوراً جديداً، وتحول تدريجاً إلى مواجهة مع السلطات المحلية بسبب التظاهرات شبه اليومية التي كان يقوم بها الطلاب ضد السيارات البريطانية التي تقلّ الجنود الإنكليز بين عدن والمحميات.

آنذاك، صارت مودية، ساحة لتلقي الوعي السياسي والوطني والاجتماعي الذي اتسع نطاقه في دثينة، وتعددت مصادر النشاط السياسي، والإزعاج للسلطة المحلية وللسلطات في المستعمرة البريطانية في عدن، إذ كان أبناؤها سبّاقين إلى الهجرة إلى عدن منذ نهاية القرن التاسع عشر، حيث استوطنوا حارة القطيع. وهاجر بعضهم إلى الحبشة، وإلى جيبوتي، والصومال، وفرنسا، وسويسرا، وبريطانيا كفضل سريب الذي رافق الكونت كوم رولاند بريج الذي ألف كتاب «بلاء شمعة» أو «حرب شمعة»[٣٦] في نهاية القرن التاسع عشر، وتدور أحداثه حول حرب شمعة في عام ١٨٩٦.

لعب المدرسون والطلاب من البنين والبنات دوراً مهماً في التحريض والتعبئة في أوساط الشعب لمقاومة الاستعمار والاحتلال والسلطات المحلية في هذه المنطقة.

---

(٣٦) وله مؤلف آخر عن لهجات حضرموت ودثينة تضمن مواضيع عن قبائل دثينة البلد الحر وقبائل سلطنة العوالق العليا وبلاد الحاضن الحرة وحصن الغراب. نقلاً عن المستشرقين وآثار اليمن الدكتور محمد عبد القادر بافقيه.

كان المنضمون إلى الحركة في مودية قلة، ينحدر أغلبهم من أصول فلاحية، ويعملون في التدريس أو الوظائف المحلية، أو كانوا طلاباً أو عاطلين من العمل. لم يكن عددنا ليزيد على العشرين، لكن نشاطنا كان يغطي الولاية كلها ويستقطب التأييد والتعاطف لدى الجماهير، فيما «يحظى» بحقد السلطات المحلية وغضبها وتلويحها بالانتقام. ولكنها - مع ذلك - لم ترتكب عُشر الأخطاء وأعمال الانتقام التي مارستها الأجهزة بعد الاستقلال.

أما القضية المحورية التي كانت موضع مناقشة جدية - عدا القضايا السياسية التي تنتج من أحداث المواجهة مع الاحتلال - فهي كيفية إيجاد أنجع الأساليب العملية للنضال وتعبئة الشعب من أجل أهدافه القومية والاجتماعية. وكانت هذه الأمور تتبلور من خلال المناقشة المستفيضة والبحث المتأني، فتبرز إلى الواجهة فكرة الدعوة إلى الكفاح المسلح باعتباره الطريق الناجح لطرد المحتلين من الجنوب.

وبمرور الأيام، أصبحت فكرة الكفاح المسلح ضد الإنكليز غير قابلة للاجتهاد أو المراجعة في صفوف تنظيم الحركة، بل أصبحت قناعة راسخة لدينا نلحّ في المطالبة بالردّ عليها من الهيئات القيادية العليا، وقد ثبتنا في رسائلنا وتقاريرنا والمحاضر التي رفعناها إليها هذه الفكرة، مطالبين بموقف واضح من تلك الاقتراحات، وإمكان تدشين هذا الأسلوب في بلادنا.

وسرعان ما أدركنا صعوبة الحصول على ردٍّ شافٍ، ليس لأن نقل المقترحات من دثينة إلى عدن، ثم إلى قيادة الحركة، يقتضي وقتاً طويلاً فحسب، بل لأن الدعوة إلى الثورة المسلحة، في تلك الفترة، كانت تعني الانتقال من أشكال النضال السائدة إلى أشكال جديدة هي في طور المناقشة على صعيد حركة القوميين العرب مركزاً وأقاليم، وكان ثمة اتفاق على المبدأ، غير أنه - على ما يبدو - كان البحث جارياً حول تحديد المستلزمات والظروف المناسبة.

والحقيقة أن الدعوة إلى الكفاح المسلح في الجنوب المحتل كانت منتشرة في جميع تنظيمات الحركة، ومنها في مودية، الأمر الذي لم يكن بمقدور القيادة تجاهله، فاضطرت إلى أن ترسل مندوباً قيادياً من عدن لمناقشة الدعوة في دثينة وغيرها. وقد أبلغنا المندوب أن القيادة تؤيد مبدأ الثورة المسلحة، غير أن إعلانها في الوقت الحاضر يتطلب خلفية لوجستية ضامنة للتدريب والتمويل والتموين، وهذا لا يعني أن قيامها واستمرارها غير ممكنة، وذلك بسبب الحماسة الشعبية لمناصرة أي حركة جماهيرية لتحرير الجنوب من الاستعمار.

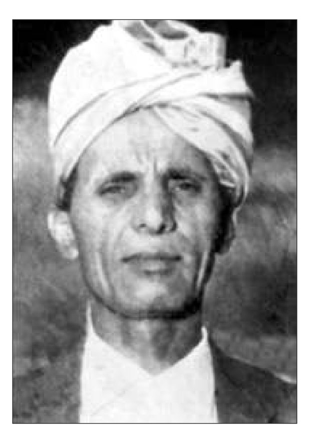
ومن خلال ذلك، انصبّ الجهد على البحث في تطوير أشكال النضال، واستيعاب إمكانات استخدام أساليب جديدة للوصول إلى ذروة الأساليب، وهو الكفاح المسلح، وتأكدت حقيقة مفادها التفاوت بين مدى تفهّم ضرورة الكفاح المسلح واستيعابها في قيادة أطر حركة القوميين العرب، وهو الوجه الآخر للتفاوت في الجذور الاجتماعية وفي الأصالة الثورية لذلك الجيل من أبناء الحركة.

ولم تسقط فكرة الكفاح المسلح، لأن الظروف الذاتية من حيث نضج الاستياء والاصطفاف الشعبي وعزلة وضعف الكيانات السياسية المحلية التي نصبها الإنكليز، متوافرة ومحققة، في الواقع، فضلاً عن توافر الأداة السياسية المؤهلة لصياغة أهداف الانتفاضة المسلحة، وهي فرع حركة القوميين العرب في اليمن.

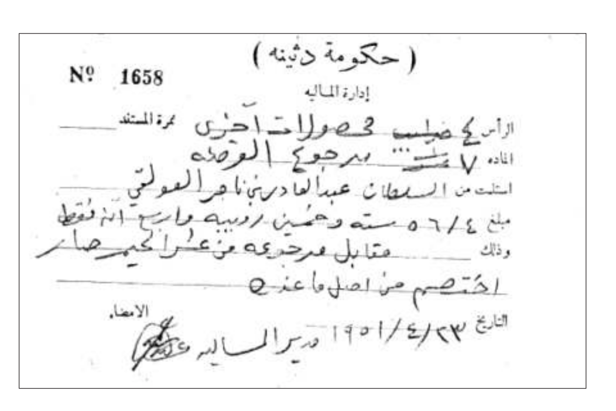
كانت الظروف في ولاية دثينة تختلف عن ظروف بقية السلطنات والمحميات من حيث أن هذه المنطقة قبل احتلال البريطانيين لها عام ١٩٤٦ لم تكن تخضع لسلطة أي رئيس أو شيخ محدد، فقد وزعت الرئاسة بين عدد من المشايخ ضمن اتفاق جماعي، ويُحدَّد رئيس الفترة بالتناوب، وهو أسلوب فريد على مستوى الجنوب آنذاك، ويُعَدّ حلاً لرفض القبائل سيادة قبائل أخرى عليها، وكانت السلطات البريطانية حائرة في تسمية المنطقة، أطلقت عليها أول الأمر «حكومة دثينة» ثم «جمهورية دثينة» ثم بعد قيام اتحاد الجنوب العربي سمّتها «ولاية دثينة».



السير عبد الله حسن جعفر الذي عمل في مودية ضابطاً سياسياً في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات من القرن العشرين، وقتل في ثمود وهو يعمل في شركة النفط البريطانية



الشيخ حسين منصور
نائب ولاية دثينة



(حكومة دثينه)

№ 1658

إدارة الماليه

الرأس في ضليب محصولات أخرى — نمرة المستند

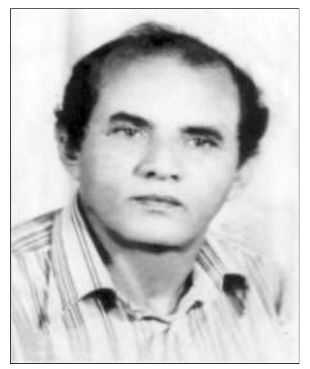
المادة ٧

استلمت من السلطان عبدالقادر بن ناصر العولقي

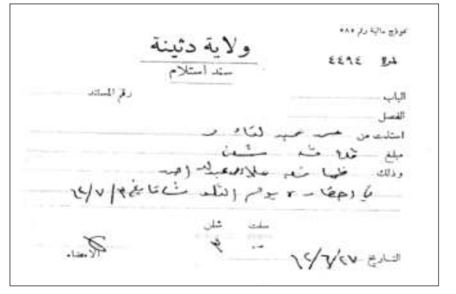
مبلغ ٥٦/٤ ستة وخمسين روبيه وأربع آنه فقط

وذلك مقابل

التاريخ ١٩٥١/٤/٢٣ مدير الماليه — الامضاء



**الشيخ عبد القادر شائع**
**آخر حاكم لولاية دثينة**



نموذج مالية رقم

ولاية دثينة

سند استلام

نمرة ٤٤٩٤

الباب — رقم المستند

الفصل

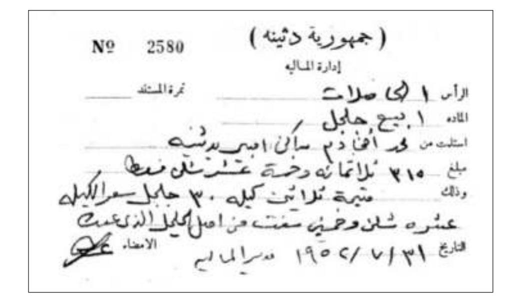
استلمت من

مبلغ

وذلك

شلن — سنت

التاريخ ٦٢/٦/٢٧ — الامضاء



(جمهورية دثينه)

№ 2580

إدارة الماليه

الرأس ١ — نمرة المستند

المادة ١ بيع جلجل

استلمت من

مبلغ ٢١٥ ثلاثمائة وخمسة عشر شلن فقط

وذلك قيمة ثلاثين كيله ٣٠ جلجل سعر الكيله عشره شلن وخمسين سنت

التاريخ ١٩٥٢/٧/٣١ مدير الماليه — الامضاء



**الشيخ علي هادي عضو مجلس الدولة في ولاية دثينة عام ١٩٦١**

## مجلس الدولة بولاية دثينة

عند احتلال المنطقة فرض البريطانيون على دثينة «معاهدة استشارة»، وبعد التطور الذي شهدته المنطقة في مجال الزراعة والإدارة والتعليم واستتباب الأمن وتوقف أعمال الثأر، سادت المنطقة حالة من التصالح والتسامح بين ابنائها بعد الحروب التي شهدتها في الماضي، ولكن الخلاف كان يظهر بين الحين والآخر بين المشايخ حول من يمثل قبيلته

ومنطقته في مجلس الولاية، وقد قررت الحكومة البريطانية والمندوب السامي البريطاني والمعتمد البريطاني تشكيل «مجلس الدولة» الذي كان يتكون من المشايخ الآتية أسماؤهم:

| | القبيلة | المنطقة |
|---|---|---|
| النائب حسين منصور | حاكم ولاية دثينة | |
| الشيخ علي هادي علي | آل منصور | منطقة الحسنى |
| الشيخ علي سليمان علي | آل زامك | منطقة الحسنى |
| الشيخ علي عبد الله صالحي | آل صالح | منطقة المياسر |
| الشيخ الخضر السعيدي | آل السعيدي | منطقة السعيدي |
| الشيخ عبد الله منصور | آل فرج | منطقة المياسر |
| الشيخ صالح سواد | آل فطحان | منطقة آل فطحان |
| الشيخ محمد حسين المجعلي | آل منصور | منطقة الحسني |
| الشيخ سعيد محمد سالم | آل فرج | منطقة المياسر |
| الشيخ أحمد حسين أمطلي | آل ديان | منطقة الجوف بالقرب من لودر |
| الشيخ محسن امكنهوش | المشايخ | أمعطفه جابره |
| الشيخ عبد الله الحامد | آل الجوف | منطقة الجوف |
| السلطان عبد القادر | (دثينة) آل السعيدي | |
| الشيخ صالح علي محمد العليهي | آل العليهي | (أضيف في ما بعد) |

ويشرفون على الحكم المحلي والرئاسة دورية كل عام.

واستمر الإنكليز في تعيين العديد من الضباط السياسيين الإنكليز الذين عرفتهم دثينة[٣٧]،

(٣٧) الضباط السياسيون الإنكليز الذين حكموا دثينة هم: المستر سيجر، المستر فكس، المستر ولسن، المستر بدون،=

ويساعدهم عدد من الضباط السياسيين العرب[٣٨]، إضافة إلى عدد من الموظفين الكبار ممن يساعدون في إدارة شؤون الحكم في دثينة[٣٩].

وكان مجلس الدولة يناقش المعاهدة وسط احتجاج المواطنين، ومن داخل المجلس ارتفع صوت ناصر السقاف - الذي كان أصغر الأعضاء سناً - داعياً إلى الاعتراض على المعاهدة والتمرد عليها. وقد تعرض لغضب سلطات الاحتلال، فطورد وانتهى به الأمر إلى الفرار في اتجاه البيضاء.

تتكون دثينة من أربع قبائل رئيسة هي: «الحسني» و«الميسري» و«السعيدي» و«عرمان» و«العليهي»، وكان لكل قبيلة ممثلوها في مجلس الولاية الذي يتألف في نهاية الأمر من تسعة أعضاء. أما عدد سكانها فيصل إلى عشرين ألفاً، ولا يزيد سكان مدينة مودية في حد ذاتها على ثلاثة آلاف نسمة، إلا أن شبان المدينة كانوا منخرطين بنشاط اجتماعي وثقافي وسياسي ورياضي مبكر، وقد أقاموا ثلاثة نوادٍ ثقافية ورياضية بدفع وتشجيع ورعاية أولئك الأبناء الذين تعرفوا إلى أوجه النشاط المماثلة في عدن منذ نهاية القرن التاسع عشر. وعرفت الحارة التي سكنوها في كريتر بحارة (القطيع) أو بحارة البدو. وأبرز هذه العائلات آل الظهر، وآل قاسم، وآل شرا، وآل سريب. ومن أبرز الشخصيات المؤثرة: محمد سعيد الظهر، علي أحمد قاسم، فضل سريب، وناصر علي الظهر.

كانت آثار الصراعات القبلية تلقي بثقلها على شبان المدينة، وباتوا يرفضون أسباب تلك الصراعات ويتجنبون المشاركة فيها. ومع دخول الإنكليز إلى الولاية، بدأت بوادر المقاومة العفوية، وتأسست منذ البداية تقاليد جديدة دخلت في الموروثات الشعبية واحتفالات الأعياد والأفراح والزواج، فتكوّن نوع من التمازج بين الموروثات الشعبية الإيجابية ومشاعر العداء

---

= المستر كيلر، المستر ناش، المستر ميلن، المستر داي.

(٣٨) الضباط السياسيون العرب الذين عملوا مساعدين للضباط الانكليز وهم: عبد الله حسن جعفر العجمي، أحمد حسن مظفر، ثابت عبده نعمان، علي أحمد قاسم، علي عبد الله مدي، فضل أحمد السلّامي، محمد علي مرشد، أحمد محمد زوقري، فضل حسن لصفوح، فضل حسن عباس، محمد فريد بن محسن العولقي، حسين ناصر البعسي، حسين منصور باجابر، عبد القادر صالح شائع.

(٣٩) كبار الموظفين الحكوميين في دثينة هم: أحمد علي مسعد، محمد أحمد باشراحيل، حسين سالم باصديق، عبد الله سعيد باعباد، أحمد سعيد باعباد، القاضي الشرعي، السيد محمد جعفر السقاف... وغيرهم.

للمحتلين، وعبّر ذلك عن نفسه خير تعبير في تلك الأشعار الزجلية والقصص المتداولة التي كانت تحضّ على مقاومة الاحتلال وتتغنى ببطولة الأبناء وحب الأرض، ومنها ما بقي عالقاً بالذهن حتى الآن. وعلى سبيل المثال لا الحصر، تلك القصائد التي كان يطلقها ابن دثينة، الشاعر ناصر عبد ربه (أبو حمحمة) في التحذير من الخيانة الوطنية والدعوة إلى اليقظة، وكان سكان دثينة ومشايخها قد رفضوا الانضمام إلى السلطنات المجاورة (الفضلي والعوذلي) وعارضوا الدخول في حكومة الاتحاد، وعبّر هذا الشاعر بصدق عن موقفهم في قصيدته الشعبية التي تقول:

**الحر أصله حر ما يبتاعشي**
**لا جاز دي باعه ولادي يشتريه**

وقال الشاعر محمد أم فضل الذي يرفض تقسيم دثينة بين الفضلي والعوذلي:

**يا ذا ويااذا وانت يا ذا قل لذا**
**لا تنهلون الشاه للذئب الشتوح**
**لا عاد يشاريها ويأكل لحمها**
**وأنّا حنبنا في الشبك بين المبوح**
**الأرض حاضي عند أبوها وأمها**
**ما حد ملكها من على آدم ونوح**

وفي قصيدة للشاعر أبو حمحمة المعروفة التي سجن بسببها يقول:

**طاب الأمل ما بين مصر واليمن**
**طاب الأمل ما بينهم والفكر طاب**
**تفكروا بالسيف يا كل اليمن**
**السيف ذي حده على عنق الرقاب**
**شمس العروبة في سماها مشرقة**
**والغرب شمسه غيبت والنجم غاب**

أي إن الاستعمار البريطاني قد أفل نجمه وانتهت إمبراطوريته التي لا تغيب عنها الشمس.

## محاولة تقسيم دثينة

وحول تقسيم دثينة التقيت مع الأخ الصديق والمناضل عبد الله محمد الهيثمي الذي حدثني عن لقاء جرى بينه وبين الشيخ حسين منصور (نائب ولاية دثينة في الستينيات) في القاهرة بعد استقلال الجنوب.

يقول الشيخ حسين منصور إنه سمع أثناء عمله مع الاستشارية البريطانية في عدن أن دثينة ستقسم ثلاثة أقسام: المنطقة الجبلية (عله) وستضم إلى السلطنة العولقية (أنصاب)، ومنطقتا الحسني والميسري ستُضَمان إلى السلطنة الفضلية، ومنطقة السعيدي إلى السلطنة العوذلية. وكان هناك رأي آخر ضمن الاستشارية البريطانية يرفض هذا التقسيم. وبعد الحرب العالمية الثانية، في الخمسينيات، بدأت بريطانيا تمدّ نفوذها نحو المحميات الشرقية والغربية، وعند وصول قواتها إلى سلطنة العوالق العليا بعد تمرد قبائل آل ربيز، رفض السلطان صالح بن عبد الله التفاوض مع السلطات البريطانية واعتكف في منزله. كان الجيش العربي والجيش البريطاني قد أقاما معسكرات بالقرب من أنصاب، عاصمة السلطنة، بقيادة ضابط بريطاني يدعى ماكنتوش، ويرافق هذه القوة حسين منصور باجابر بصفته ضابطاً عربياً استشارياً لدى الضابط البريطاني، وقد رفض السلطان قبول الحماية البريطانية التي فرضت على السلطنات والمحميات الأخرى. وأبلغ المندوب السامي في عدن وزارة المستعمرات البريطانية أنهم قد سيطروا على منطقة العوالق. وأبلغت الحكومة البريطانية المندوب السامي في عدن أن اللورد مونتباتن (آخر مندوب سامي بريطاني للهند وعمّ الملكة إليزابيث) سيزور عدن، ووضعوا ضمن برنامج زيارته زيارة سلطنة العوالق. فوجئ ماكنتوش بهذا الخبر وشعر بإحراج شديد لرفض السلطان مقابلته وسأل حسين منصور: ما العمل؟

أجاب حسين منصور: تربطني معرفة قديمة بالسلطان، فهل تأذن لي بمقابلته؟

فقال ماكنتوش: لا مانع.

ذهب حسين منصور لمقابلة السلطان، وحين قابله قال له: معي لك رزق.

قال السلطان: ما هو؟

قال: سيأتي مسؤول بريطاني كبير إلى هنا من العائلة المالكة، ويريدك ماكنتوش أن تقابله وتتناول الغداء معهم.

فقال السلطان: وماذا يريدون مني؟

قال: لا شيء، فقط تتناول الغداء وتعود إلى منزلك، وأي طلب لك تقدمه إلى الضيف.

قال السلطان: وإذا طلبوا مني الموافقة على وجودهم؟

قال: لن يطلبوا منك شيئاً.

وافق السلطان على اللقاء مع مونتباتن.



**لويس فرنسيس ألبير فيكتور نيقولا مونتباتن (١٩٠٠-١٩٧٩)[40]**

(٤٠) قدّم الإعلام الغربي عامة، والبريطاني بخاصة، اللورد مونتباتن وكأنه شهيد الإنسانية، وذلك البريء الذي راح ضحية البرابرة المجرمين، وجُرّد حادث الاغتيال من معناه الحقيقي كعملية إعدام لرجل يمّثل قوات الاحتلال في إيرلندا، وروّج للعملية وكأنها مجرد صراع بين عصابتين، راح الحمل الوديع ضحية لها.
قبل موته، كان اللورد مونتباتن يتمتع بخيرات إيرلندا، ويسكن في قلعة حجرية، ويمارس هواية صيد القريدس على قاربه الفخم المسمى «الظلال».
تحدث مونتباتن في شيخوخته عن حقوق الإنسان، وقال إنه يحارب التمييز بسبب العرق أو الجنس أو اللون... أو الدين، ولكن على الصعيد العملي، كان ذلك اللورد على النقيض من ذلك تماماً، وكمثال، فإنه في عام ١٩٤٧ كان نائباً لملك بريطانيا العظمى في الهند، وعندما حاول المسلمون التخلص من الاستعمار البريطاني والهندوسي في آن واحد، تآمر مونتباتن، وبسببه لا زالت كشمير تنزف دماً حتى اليوم.

وقال حسين منصور: أنا لي طلب يا سلطان.

قال السلطان: ماذا تريد؟

قال: أريد منك أن تطلب من هذا المندوب عدم تقسيم دثينة.

وافق السلطان. وقال حسين للسلطان: وأنا معي لك رزق (هدية) مئتا بندقية ومئتا ألف شلن وعشرون صندوق ذخيرة.

فرح السلطان ورحّب بهذه الهدية.

وبالفعل، وصل اللورد مونتباتن وتمت المقابلة واللقاء والغداء، وقال اللورد للسلطان: أي طلب؟

قال السلطان: نعم. الطلب الأول ألاّ تُقسَّم دثينة. والطلب الثاني أن هناك منطقة متنازعاً عليها بين سلطنة أنصاب وسلطنة الواحدي، وتسمى منطقة «آل باهدا» أريد ضمّ هذه المنطقة إلى سلطنة أنصاب.

فقال اللورد: في ما يخصّ تقسيم دثينة، لا مانع أن تبقى موحدة، ولكن في ما يخصّ الموضوع الثاني قال إن هناك وجهة نظر (أي إنهم سيدرسون الموضوع ولم يُعطِ جواباً قاطعاً).

عندها نظر السلطان نحو حسين منصور (الوسيط) دون كلام. فقال حسين: عشاؤك (هديتك) معك يا سلطان. وأنا معي وعد ممكن أن يوفى به أو لا يوفى.

وبعد عشر سنوات من هذا الحديث اختير حسين منصور نائباً وحاكماً لولاية دثينة بإجماع مشايخ المنطقة ومجلس الدولة بولاية دثينة، وهذا يدل على بعد نظره، وهو ليس له قبيلة، ولكن كان يستمد قوته من شخصيته ودعم البريطانيين له الذي مكنه من حكم ولاية دثينة التي كانت لا تحتكم لأحد وكان يحكمها قبل ذلك مجلس دولة مؤلف من ٩ أشخاص يتداولون السلطة كل سنة تحت إشراف الضابط البريطاني.

# الفصل الرابع

## معهد دار المعلمين

ازداد شعوري بأهمية التحصيل العلمي الذي سيفضي بي إلى الميدان الذي كنت أتوق إليه. كانت صورة «المعلم» ومهنة التدريس أكثر إلحاحاً على ذهني، سواء في اليقظة أو في الحلم.

وتذكرت قول شوقي المشهور:

قُم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا

وقد خاطبنا لاحقاً مدير المعارف حسن فريجون بأشباه الرسل.

وأصبح الحلم حقيقة، بعد أن قررت وزارة المعارف إرسالي إلى عدن للالتحاق بدار المعلمين، وهاأنذا الآن طالب في معهد دار المعلمين TTC في كريتر(عدن)، في نهاية الخمسينيات، وقد بدأ التحول الكبير في حياتي وأفكاري واهتماماتي. لقد افترقت عن تلك التمنيات المثالية التي رَسمت لي مهنة التدريس والمرتب «وبحبوحة» العيش الشخصي وكأنها نهاية للأحلام، وهدفاً أسمى للفتى... وحل مكانها شعور بالقلق على مصير بلادي وشعبي، وإن لم يكن مكتملاً أو محمولاً على فكر سياسي محدد حينها.

صارت تتراءى أمامي المعاني الحقيقية للآلام المبرّحة التي رأيتها في صغري على وجوه أبناء جيلي، وأصبحت أعي أنّ أيّ سعادة شخصية أو عائلية تبقى ناقصة، أو مستحيلة، ما دام هناك احتلال جاثم فوق صدر بلادنا. وازداد «ثقل» هذا الشعور من خلال معايشتي الحياة الجديدة الحافلة بالصراعات الفكرية والمناقشات بين الاحزاب القومية والبعثية لاستقطاب

الأعضاء والأنصار والجمهور، والحافلة أيضاً بالتظاهرات، ومن خلال مناقشاتي مع زملائي طلبة المعهد ومع المدرسين، وعبر ما كنتُ أسمع وما أقرأ من أخبار وصحف وكتب متوافرة في عدن التي تلتهب بالنشاط السياسي والثقافي.

هنا تعرفت أول مرة إلى ثلة من الأساتذة، من أصحاب الفكر والرأي والقامات الشعرية والأدبية السامقة: الشاعر الكبير لطفي جعفر أمان، والأستاذ القدير زين الحازمي، والأستاذ الجليل عثمان عبده، والأستاذ والقاصّ الوسيم كمال حيدر، والأستاذ العزيز محمد خليل الیناعي، والأستاذ الرياضي يوسف حسن صعيدي. ومن الطلبة الذين زاملتهم في معهد المعلمين صالح عبد الرحمن (من يافع)، ومحمد حسين ناجي (من العواذل)، وعطا مفتاح (من الفضلي)، وحسين الكيله (من الفضلي)، وأحمد حسن ضالعي (من الضالع)، وأحمد حسين ذيبان (من احور)، وعلي حيدره عقربي (من بئر أحمد) وقد توفي رحمه الله خلال الدورة. وأحمد أبو بكر (من بيحان)، وطارق علي قاسم، وأحمد علي الصغير، وأحمد علي الصافي، وأنور صالح (من عدن)، وكان هذا الأخير، يتميز بالشقاوة، ويعجبه التندر والضحك طوال الطريق بين الطويلة بكريتر والشيخ عثمان، حيث كنا نسكن ونخرج من القسم الداخلي سيراً على الأقدام ونذهب للتنزه في بستان الكمسري المشهور. وفي بداية القرن كانت آبار هذا البستان تسدّ حاجة السكان من المياه. ويُعَدّ بستان الكمسري في الشيخ عثمان أجمل ما في عدن ذات الجبال البركانية الجرداء. إنه حديقة كبيرة أشجارها وارفة، ظليلة، وتغطي أجزاءً واسعةً منها الزهور الحمراء والبيضاء والصفراء والوردية. ويذهب الناس أيام العطل إليه للتنزه، حيث يفترشون الأرض المكسوة بالخضرة، أو يجلسون على المقاعد الثابتة ويلتقطون الصور التذكارية، فكنا نهرب من حرِّ عدن إلى فيء الكمسري. وكنت خلال تلك الأيام دائم التردد على «العم أبو بكر» بائع الفول السوداني، والفشار «الساكت» كما يسمونه في عدن، واللب «الزعقة»، وبعد سنوات، بعد أن صرت مسؤولاً أول في الدولة، قررت أن أمرَّ به وأرى حاله، ومن خلاله أحوال الناس، وقد وجدته في مكانه المعتاد خلف عربته الصغيرة يبيع اللب والفول السوداني. كان وجهه معفَّراً بتراب الشيخ عثمان أو (الغوبة) كما يسمونها في عدن، وقد كسا شعره الشيب، لكن التراب الذي كان يغطي وجهه وشعره الآن أضفى على قسماته وملامحه قسوة فوق ما فعله الزمن به.

ومن حديثه معي اكتشفت أنه لا يشاهد التلفاز أو يستمع إلى الإذاعة وحدوده بالعالم بستان الكمسري ووطنه وثروته هذه العربة الصغيرة.

سألني: فين كنت؟

أجبته: سافرت إلى الخارج وقد عدت.

نظر نحوي بتمعن وأشار بيده أن أرحل!

قلت له مستغرباً: لماذا؟

أجاب: سلام الله على أحمد السركال (يقصد الإنكليز) معاد شي سامان في البلاد يا ابني.

قلت له: بايجي خير إن شاء الله.

سأل: متى؟!

لم أجبه، بل اشتريت منه بعض الفول السوداني ودفعت له مبلغاً من المال لم يكن يتوقعه وانصرفت.

نبهني كلام هذا الرجل البسيط إلى حقيقة ربما غفلنا عنها طويلاً، أن الاقتصاد، والاهتمام بحياة الإنسان المعيشية وأمنه هما ما يجب إيلاء العناية بهما قبل كل شيء، فسمحنا باستيراد كثير من السلع وأغرقنا السوق بأهم المتطلبات التي كان المواطنون في عدن يحصلون عليها أيام أحمد السركال، وأقمنا أربعة مجمعات استهلاكية وأنشأنا في بستان الكمسري مدينة ملاهٍ للأطفال، وقد اعتبر البعض ذلك بداية الانحراف وانتعاش البرجوازية! ونحن لم نفعل شيئاً لشعبنا الذي عانى كثيراً وتحمل أكثر من أجل الثورة.

في دار المعلمين، الواقعة في منطقة الطويلة بكريتر - عدن التي تقع بالقرب من صهاريج الطويلة التاريخية، تعرفت في تلك الآونة إلى طائفة من المدرسين والطلاب، ووقفت على خريطة المواقف السياسية والفكرية المتصارعة في الشارع. واللافت أن قدراً كبيراً مما كنت أكوّنه من أفكار وملاحظات كان ثمرة تأمل شخصي في ما يجري وما أشاهده وأسمعه وأقرأه. وهذا لا يقلّل من دور أصدقاء وأساتذة لي كان لهم خلال هذه الفترة وبعدها دور في إرشادي إلى مواقف والتزامات محددة. هذه هي الفترة التي تعرفتُ خلالها إلى أستاذ جليل

من السودان اسمه الشيخ أحمد أبو بكر، الذي كان يشرف على القسم الداخلي لمعهدنا. ونظراً لشدة حرارة الجو في عدن الذي يشبه حرارة الجو في الخرطوم، فقد كان ينصحنا عندما نغادر القسم الداخلي المسمى (جرين هاوس) أن نغلق الأبواب والنوافذ حتى تحتفظ الغرف بالبرودة من مساء اليوم السابق. وكان لمشرف القسم الداخلي جناح خاص به يهدر فيه المكيف والمراوح السقفية الكهربائية ليل نهار، وتُسمع أصواتها من بعيد. كذلك تعرفتُ خلال هذه الفترة إلى التربوي القدير الأستاذ حسن فريجون، وإلى عدد من السياسيين والنقابيين، منهم الأستاذ علي أحمد السلَّامي الذي كان رئيساً لنقابة المعلمين، ومن المؤسسين لحركة القوميين العرب في اليمن، والنقابي المشهور السيد عبد الله الأصنج، وهو كان يومها من ألمع نجوم الحركة النقابية في عدن، وكان نجمه السياسي في صعود، وقد تعرفت إليه أول مرة عندما حضرت اجتماعاً لنقابة المعلمين، لا بوصفي عضواً في النقابة، بل كصديق لعلي السلَّامي. يومها ألقى الزعيم النقابي البارز عبد الله الأصنج محاضرة قيّمة في ذلك التجمع، ودار حوار بينه وبين المدرسين. وكان علي السلَّامي من أنشط النقابيين الذين عرفتهم في عدن آنذاك، وتعرفت إليه أكثر عندما أصبحت عضواً في حركة القوميين العرب في بداية الستينيات من القرن الماضي. وكنت قد تعرفت إليه من طريق أخيه فضل السلَّامي[١] الذي كان ضابطاً سياسياً في مودية.

في كل يوم يمرّ، كنت أتعرف إلى عدن أكثر فأكثر، وإلى أبنائها الطيبين، وشعبها العظيم، فهي المدينة الوحيدة في المنطقة إن لم تكن في الجزيرة العربية آنذاك التي تمثل الانفتاح التجاري والثقافي على الدنيا، ففيها يعيش المسلمون إلى جانب الهندوس والزرادشتيين واليهود والمسيحيين وغيرهم من أصحاب الديانات والأجناس الذين تعايشوا مع السكان المسلمين. وكانت كل هذه الفئات تمارس العبادة وطقوسها الدينية بحرية تامة، وكانت المدينة منارة للنشاط النقابي والسياسي والثقافي والإعلامي، وكانت مجالس عدن ومقايلها الثقافية والسياسية تفتح كل حواسي لاستقبال هذه الإشارات المكثفة التي تقول أبعد من منطوقها. وقد حضرت أول مرة مقيلاً للقات في دار الأمير بدار سعد، والمقايل في الشيخ عثمان. وتعلمت أول مرة «التخزين»، أي مضغ القات «والهدرات» كما يقولون في عدن،

(١) فضل السلاَّمي من مواليد ٢٤ ديسمبر ١٩٣٥.

ولم أنم تلك الليلة بسبب تأثير القات الذي لم أتعود تناوله، وسمعت فيها الأغاني والأناشيد الوطنية مثل **(يا شاكي السلاح شوف الفجر لاح حط يدك على المدفع زمان الذل راح)** للشاعر الكبير عبد الله هادي سبيت.

كان صديقي محمد علي هيثم[٢] يقطن في القسم الداخلي لكلية عدن[٣]، ولم تكن مدرستنا الداخلية بعيدة عنه، تقع قريباً من «بستان الكمسري»، وكانت تسمى (جرين هاوس) أي البيت الأخضر، وكنا نلتقي بين وقت وآخر ونعمِّق صلاتنا ببعض وبالآخرين.

وعودة إلى المعهد، عليّ أن أعترف بأن الفضل في التحاقي بدار المعلمين يعود إلى الأستاذ صالح عمر يافعي، مشرف التعليم، وإلى الأستاذ أحمد علي مسعد، ضابط المعارف، اللذين كان لهما الفضل الكبير في تخريج أعداد كبيرة من أبناء ولاية دثينة الذين درسوا في مدارسها وفي الجامعات والمعاهد خارجها. كان الأستاذ التربوي القدير أحمد علي مسعد أول أستاذ في مودية يأتي من خارج المنطقة، وكان مربياً فاضلاً ومثقفاً وسياسياً، وقد حظي بشرف رفع علم جمهورية اليمن الجنوبية في مبنى الأمم المتحدة في جنيف مع المناضل سيف الضالعي أول وزير للخارجية بعد الاستقلال عام ١٩٦٧.



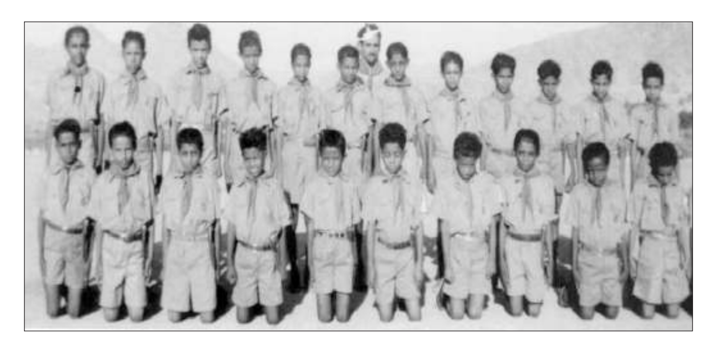
**طلاب عند دخولهم المدرسة عام ١٩٥٥، وخلفهم المدرسون هادي حميضة، أحمد محمد علي شيخ والسيد عبد الله محمد الجنيدي. وتراهم في الصورة بعدما تنظفوا ولبسوا ملابس الفرقة الكشفية لأول مرة في حياتهم، وكان لعدن تأثيرها في المحميات الشرقية والغربية.**

(٢) أصبح أول وزير للداخلية بعد الاستقلال في ١٩٦٧ وثاني رئيس للوزراء عام ١٩٦٩.

(٣) مدرسة ثانوية تقع عند نمرة (٦) بين الشيخ عثمان ودار سعد.



مع المربي القدير مشرف التعليم في مودية سابقاً صالح عمر يافعي



أول فرقة كشفية في جمهورية دثينة – ١٩٥٥
أشرف على هذه المدرسة الأستاذ أحمد علي مسعد وصالح عمر يافعي وسعيد عثمان عشال وهادي حميضة



عرض عسكري بمناسبة عيد الاستقلال، وخلفه مدرسة مودية، أول مدرسة في دثينة

وكان لكل من عبد الله حسن جعفر، وأحمد حسن مظفر، ومحمد فريد العولقي، وأحمد سعيد باعباد، ومحمد أحمد باشراحيل، وعبد الله الشقاع، وحسين البعسي، وسليمان علي السليماني، وحسين منصور، وسعيد محمد عشال، وعبد القادر شائع دور في تطوير الإدارة المحلية في مودية ووضع دستور للولاية ومجلس الدولة والانتخابات القروية وبناء مقر للبرلمان كما كانوا يسمونه، وتطوير الزراعة الحديثة وإقامة التعاونيات والإرشاد الزراعي ونشر الوحدات الصحية، ونشر التعليم للبنين والبنات على حد سواء، حيث شمل مودية وامقليتة وامخديرة، وامجبلة، وامقوز، لكن المنطقة كانت تعاني من ندرة المدرسين. وخلال عشر سنوات فقط، شهدت المنطقة نهوضاً في كافة المجالات في التعليم والصحة والزراعة والثقافة والإنشاء والتعمير، وحُفِرَت الآبار ووُضعَت مئات المضخات والحراثات ودخلت الكهرباء إليها لأول مرة، وانتشرت التعاونيات الزراعية وجمعيات التوفير في المدارس والمطاعم والمقاهي التي لم تكن مما اعتادته المنطقة، ما وفّر خدمة للسكان والمسافرين المارين بها على السواء. وهذا كان نتيجة لحالة الأمن والاستقرار التي شهدتها بعد دخول الإنكليز اليها وإنهاء الحروب القبلية فيها.



**مقر البرلمان سابقاً في مودية**

ويذكّرني الأستاذ عبد الله الجنيدي بأنّ وفداً من وزارة المعارف قام بزيارة مدارس امخديرة ومودية وامقليتة، ولكن الأستاذ أحمد علي مسعد، وهو يومها ضابط المعارف، شعر بالنقص في عدد المدرسين، فكلفه الذهاب إلى مدرسة امخديرة بلباس محلي (عمامة سوداء ورداء أسود وكارة سوداء)، وقد أدى مهمته بنجاح، ولكن المسؤول البريطاني الذي كان على رأس

وفد وزارة المعارف أخذ له صورة تذكارية وهو بتلك الملابس الغريبة، وكان يضع على عمامته أزهار الشقُّر والسواك، واحتفظ بهذه الصورة في ملفه في ما بعد إلى جانب عدة صور أخرى التقطها له خلال الزيارة دون أن يعرف أنه الشخص ذاته!

وعندما ذهب ذلك المسؤول البريطاني إلى مدرسة مودية الابتدائية - المصنع الذي تخرج فيه معظم شبابها - كان السيد الجنيدي قد خلع العمامة والكارة، ولبس البنطال والعقال كما هي عادته، وكان يُلقن تلاميذه الدرس، دون أن يفطن المسؤول الإنكليزي إلى أنه المدرس ذاته الذي رآه في مدرسة الخديرة! ولكنه لم ينس أن يلتقط له صورة تذكارية. وفي اليوم التالي للزيارة تكررت الحادثة، ولكن هذه المرة على هيئة رجل دين بعباءته البيضاء، وعمامته المدورة، وخفّه، وزيادة في التورية، رسم على وجهه علامات ليبدو أنها من آثار الجدري، وعندما دخل الزائر الإنكليزي إلى مدرسة امقليتة في أرض آل حسنة شاهد هذا الشيخ الجليل وهو يلقن التلاميذ درساً في الدين، ولكنه شعر بأنه سمع هذا الصوت من قبل، وشاهد هذه السحنة في مكان ما، وكعادة البريطانيين تقبّل الأمر ببرود، ولم يثره أمام مضيفيه، ولكنه حرص على التقاط صورة له كالعادة. وعندما عاد إلى مودية، للإقامة في دار الضيافة، صارح المسؤول البريطاني الأستاذ أحمد علي مسعد، ضابط المعارف، بشكوكه حول «المدرس» الذي شاهده في امقليتة، وقال إنه يُهيّأ إليه أنه قد شاهده في مودية! ولم يساوره الشك في أنه أيضاً المدرس ذاته الذي رآه في ملابسه البدوية في امخديرة عند بداية جولته التفقدية لمدارس المديرية. واعترف له الأستاذ مسعد بأن السبب في ما رآه يعود إلى النقص في المدرسين. فضحك المسؤول البريطاني من أعماقه من هذه «المسرحية» المتقنة، ولكنه كان يحتفظ للسيد أو الحبيب الجنيدي كما كانوا يسمونه في مودية بثلاث صور في ملفه بوزارة المعارف في عدن. وكلما تذكرت قول أمير الشعراء أحمد شوقي: «قم للمعلم وفه التبجيلا، كاد المعلم أن يكون رسولاً» جاء في خاطري أنه كان يقصد معلماً جليلاً كالسيد المربي الفاضل السيد عبد الله محمد الجنيدي[٤].

كانت عدن في تلك الأيام، تضع «شفرتها الخاصة»، وتحاول تحديد ملامحها الوطنية بعد أن ضاقت ذرعاً بالوجود الاستعماري ومشاريعه السياسية وبالهجرات الاجنبية، فكنا

(٤) توفي عام ٢٠١٢.

نسمع بالانفجارات التي تقع في المدينة، وعن حالة الطوارئ التي يفرضها المحتل. وكانت كلها من الوقائع والمظاهر الجديدة في حياتي، وأسمع بها أول مرة. وتشدني إلى التعمق في الواقع وما فيه من تعقيدات وصعوبات ستؤدي حتماً إلى توهج جذوة الثورة لتغييره إلى الأفضل. تلك هي الفترة التي كان الشبان أمثالنا يتلمسون صيحة الحرية والاستقلال، وخلالها تعرفت عن قرب إلى أحمد عوض علي، العائد من الحبشة، والذي افتتح له في الشيخ عثمان مستودعاً لبيع قطع الغيار، وقد حرص على أن يطلق عليه اسم (مستودع العرب)، وتحول إلى مقر للقاءات و«مقابلات» الوطنيين. وقد فطن الإنكليز إلى نشاطه الوطني، ولكنه لم يعتقل في عدن، بل في مودية عندما كان يطالب مع آخرين برفض انضمام دثينة إلى سلطنتي العواذل أو الفضلي، ووقّع مع عدد كبير من الشخصيات على وثيقة بذلك وُجِّهت إلى المندوب السامي والمعتمد البريطاني. وبعد اعتقاله نُقلَ إلى خميس أمشيط في الصبيحة، ونُقلَ الشاعر (المشطر) ناصر عبد ربه (أبو حمحمة) إلى طور الباحة، وهو القائل:

**«ما أنا سلامي يا حكومتنا**
**وأهل المساني[٥] يا هليبيه»**
**«هو خير لش تسعة من اللجنة[٦]**
**أو خير لش ألفين شعبيه»**



**التقتت الصورة عام ١٩٦٥، ويظهر فيها من اليمين علي ناصر محمد، أحمد عوض علي، محمد علي هيثم ومحمد أحمد الخريبي**

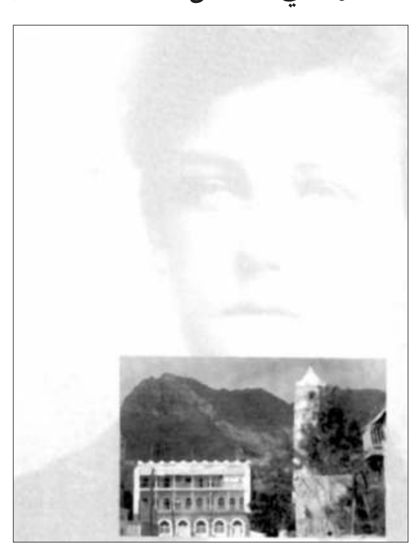
(٥) أهل المساني: أهل البساتين الذين يخرجون الماء من البئر.

(٦) تسعة من اللجنة: أعضاء مجلس الدولة في دثينة.

وكان أسلوب نفي المعارضين، الذي يلجأ إليه الإنكليز أو الحكام المحليون، من منطقة إلى منطقة أقسى عقاب يمكن أن يتعرضوا له. ومع ما في النفي من عذاب نفسي، إلا أنه يظل أهون بكثير من المعتقلات والسجون التي فُتحت بعد ذلك للمعارضين السياسيين والمخالفين في الرأي. وكان أبناء الصبيحة وردفان، مثل عثمان المصفري وثابت قاسم القطيبي وغيرهما، يُنفَون إلى مودية وأحور. وقد نفى الإنكليز الأمير فضل عبد القوي، وهو من الأمراء في لحج، إلى جزر سيشيل، مثلما نفوا الزعيم الوطني المصري سعد زغلول إلى الجزر ذاتها وإلى عدن في بداية القرن العشرين وبقي فيها معتقلاً مدة عام كامل. وعدن نفسها هي التي استقبلت الزعيم الهندي الكبير المهاتما غاندي وأنديرا غاندي ابنة الزعيم نهرو والزعيم الفرنسي شارل ديغول والشاعر الفرنسي آرثر رامبو الذي عاش في مدينة عدن، وقال عنها:

**لا يمكنكم أبداً أن تتصوروا هذا المكان. لا توجد أية شجرة هنا، حتى يابسة، ولا عود قش، ولا قطرة ماء عذبة، ولا ذرة تراب، فعدن قعر بركان ساكن ومطمور بالرمال البحرية.**

وكان البريطانيون يهربون من جحيم عدن في الصيف إلى الضالع والصومال، وفي الثمانينيات سمينا الشاطئ الذي يقع تحت المنزل الذي كنت أسكنه في التواهي بالقرب من منتجع العروسة رامبو تخليداً للشاعر الفرنسي رامبو الذي سكن عدن في نهاية القرن التاسع عشر، ولا أريد الدخول في تفاصيل حياته ورسائله إلى والدته وشعره وتنقلاته بين عدن والحبشة.



**جاء الشاعر الفرنسي المتمرد آرثر رامبو إلى عدن في نهاية القرن التاسع عشر (١٨٧١ ـ ١٨٩٠م) وعاش فيها سنوات مليئة بالعمل والمغامرات في التجارية ـ وربما تجارة السلاح والعبيد، والصورة هنا له في شبابه إضافة إلى صورة المكان الذي عاش فيه قبل أكثر من مئة عام في كويتر / عدن.**

كذلك استقبلت قادة حركة الأحرار الهاربين من المملكة المتوكلية اليمنية، محمد محمود الزبيري وأحمد محمد النعمان والقاضي أحمد الشامي، ومرّ بها في أكتوبر من عام ١٩٥٣ في طريقه إلى تعز المسؤول المصري فتحي الذيب الذي كان مكلفاً ملف اليمن وبعض حركات التحرر العربية والإفريقية والفلسطينية.

هذه عدن ملتقى الحضارات والثقافات، التي كنا ندرس فيها، ونتعلم منها ومن أهلها وشبانها النضال ضد الاستعمار. في هذه المدينة نشأت وانطلقت التنظيمات السياسية والحركات العمالية والنقابية والطلابية، وانتقلت منها إلى المحميات وإلى المملكة المتوكلية اليمنية أيضاً. وهذه الحركات كانت العصب الحساس والضمير المحرك للمجتمع، وهي التي ستحدد عما قريب درجة تطوره الاجتماعي والحضاري. وهذه الشحنة السياسية الكامنة في عدن هي البعد الوطني العميق لليمن شمالاً وجنوباً، وصورة الحياة هذه لم يكن لها علاقة بالصورة التي انطبعت في أذهان آبائنا الريفيين عن هذه المدينة التي كانت تصقل الرجال على طريقتها الخاصة. وكانت بالنسبة إلى هؤلاء الآباء، غولاً يخافون منه على أبنائهم الشباب الريفيين السذج، فكانوا يلقون في روعهم أن هناك عصابة اسمها «الجبرت» تخطف الشبان أول ما يصلون إلى عدن، وتصهر أجسامهم في أفران أو مفارم خاصة، ويحولون دمهم ولحمهم وعظامهم المسحوقة أو المفرومة إلى نقود! مثل هذه الحكايات كانت منتشرة في تلك الأيام، حتى على نطاق عدن نفسها، وقد يكون لها أصل في الواقع في ظل وعينا المحدود، في تلك الأيام، كانت كفيلة بأن تلقي الرعب في قلوبنا لمجرد سماعها!

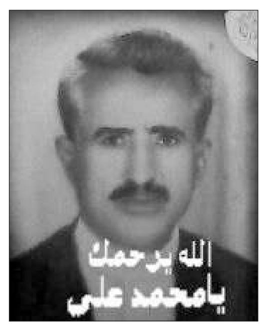
## الانفجارات وإعلان حالة الطوارئ في عدن

بعد تخرجي في دار المعلمين كنت أتردد على عدن بين وقت وآخر، سواء لزيارات عمل أو لزيارات خاصة لقضاء الإجازة فيها أو للقاء مع بعض العناصر الوطنيين لتبادل الآراء حول مستقبل الوطن، وأيضاً لالتقاء أهل منطقتنا الذين يعملون في المصفاة أو الجيش والأمن، وبعض قيادات حركة القوميين العرب، وأبرزهم آنذاك الأستاذ علي أحمد السلّامي الذي كان يتمتع بصفات مميزة، وقد لعب دوراً مهماً في مدّ نشاط حركة القوميين العرب في الريف، وخاصة في أوساط الطلاب والمدرسين. عند عودتي من إحدى تلك الزيارات إلى

عدن حدثت معي أحداث جديرة بأن أرويها في هذه المذكرات، إذ كان قرار حالة الطوارئ ما زال ساري المفعول في مستعمرة عدن والمداخل فيها، بسبب الانفجارات التي حدثت في التواهي وفي أنابيب النفط الواقعة بين المصفاة والميناء، وكان من بين الذين نفذوا العمليات المناضل أحمد خيران امعسل، ولم أتصور أن المسدس الذي كنت أحمله سيسبب في هذه المشكلة التي سأروي أحداثها هنا:

يقع «العلم» في النقطة الفاصلة بين مستعمرة عدن والسلطنة الفضلية، وكلمة علم تعني المعلم البارز أو النقطة الجمركية التي تقع على ساحل أبين، وكان أهم مصدر للدخل في السلطنة الفضلية، الذي تغنّى به الشعراء والعشاق والمسافرون.

أما أنا، فلي حكاية مع العلم والمسدس والبوليس، فما زلت أتذكر الرحلات التي كانت تنطلق من الشيخ عثمان بعد أن تحمل البضائع ويكتمل عدد الركاب على السيارات الكبيرة والصغيرة. انطلقت رحلتي من عدن إلى العلم ظهيرة يوم جمعة ١٩٦٢ بعد قضاء إجازة في عدن الحبيبة في طريقي إلى مقرّ عملي في مودية عاصمة جمهورية ولاية دثينة. كانت الحراسة مشددة في العلم من الحرس الفضلي الذين يلبسون الكاكي والعمائم الحمراء، وشرطة عدن الذين يلبسون الكاكي والطرابيش السوداء، لا هَمَّ لهم إلا مراقبة الداخلين والخارجين، وخاصة بعد الانفجارات التي وقعت في بعض أنابيب النفط بين جولة كالتكس وسينما ريجال والتي كانت تنقل النفط من خزاناته في كالتكس إلى المرفأ بالتواهي، وكذلك الانفجارات الأخرى في التواهي والمعلا وبعض أحياء عدن.



محمد علي الرباش

عندما وصلنا إلى العلم في سيارة اللاندروفر (حبة ونصف) كما كانو يسمونها آنذاك قبل أن تغزو سوق عدن السيارات اليابانية جرى تفتيشنا كغيرنا من الركاب والمسافرين الذين كانوا يُبتزون في هذه النقطة الجمركية، إذ تقدم فيها الرشوة والهدايا إلى المسؤولين لتخفيف الرسوم الجمركية أو تجاوز بعض المخالفات مقابل دفع بعض المبالغ. المهم أننا خضعنا للتفتيش، فتشونا جميعنا، وفتشوا كل شيء كان مع المسافرين: الحقائب الكبيرة والصغيرة، وقد وجدوا معي مسدساً صغيراً أهداه إليّ الصديق المناضل الشجاع محمد علي الرباش القادم من صنعاء من طريق البيضاء.

صاح أحد الضباط: مسدس مسدس، وهو يحمله في يده وكأنه حقق نصراً أمنياً ساحقاً يستحق عليه الترقية فوراً. تجمعت حولنا قوات السلطنة والبوليس والحرس الاتحادي وركاب السيارات وهم يشاهدون المسدس والمدرّس الذي يحمله، وتشاوروا بصورة عاجلة لتحديد مصيري وتقريره في هذه الجريمة من وجهة نظرهم. بعضهم كان يطالب بعودتي إلى عدن وآخرون طالبوا بنقلي إلى معسكر شامبيون لاينز (معسكر النصر حالياً) الذي كان يشرف عليه القائد فضل عبد الله عولقي صديق شقيقي صلاح ناصر محمد، ولكن ضابط الحرس الفضلي طالب بتسليمي للسلطنة. ومن حسن حظي حينها أن يكون أحد التجار من يافع، ويدعى حسين بن هادي، شاهداً على الحادث، فنصح الضابط الفضلي بأن ينقل المتهم (يقصدني) إلى زنجبار، وأنه يجب ألاّ يفرط في هذا الحق السيادي، وأنّ الآخرين هم مساعدون له وليسوا أصحاب القرار الأول والأخير. لكن شرطة عدن طلبت الاتصال بعدن قبل نقلي. وأبرق الحرس الاتحادي إلى فضل عبد الله، والحرس الفضلي أصرّ على ترحيلي. سمعت أحدهم يقول: «شددوا الحراسة عليه حتى لا يقفز أو يهرب؛ لأن المدرسين خطيرون على أمن صاحبة الجلالة اليزابيث»، وسمعت حسين بن هادي يقول: و«أنا سأطلع معكم». ويبدو أنه كوّن صداقة مع الحرس الفضلي من خلال تنقله الدائم بين عدن وزنجبار وجعار. حاولت أن أشرح لهم أن هذا المسدس لا يهدد الأمن والاستقرار، وأنا أستخدمه في تحركاتي بين عدن ودثينة، ولكن السؤال ظل يلاحقني: لماذا أدخلته إلى المستعمرة، ولماذا لم تحمل ترخيصاً، ولماذا ولماذا؟

لم أستطع أن أقنعهم بكل المسوّغات الشخصية والأمنية. وكان عليّ أن أتقبّل أي قرار: العودة إلى عدن أو الذهاب إلى زنجبار، وكان القرار الذي استقروا عليه، نقلي إلى زنجبار. تحركنا بالسيارة اللاندروفر المكشوفة من الخلف التي تنهب الأرض والطريق الجديد غير المعبد بين العلم وزنجبار، مخلّفة وراءها مذنباً طويلاً من التراب الناعم الذي لم ينقطع بسبب الرطوبة وهبوب الرياح في ذلك اليوم، وظلَّ يلاحقنا حتى وصولنا إلى مقر الحرس الفضلي في قلب مدينة زنجبار، حيث كان ينتظرنا قائد الأمن النقيب (أو الرايس كما كانوا يقولون آنذاك) أحمد حويدري[٧]. حين دخلنا عليه كان جالساً على الكرسي بملابسه العسكرية وأمامه

---

(٧) مدير أمن السلطنة الفضلية من آل الجبل في العرقوب وهو من جماعة صالح دحمان، ومعروف عنه أنه كان يرفض الترقية للاحتفاظ بالنجوم الثلاثة المذهبة على كتفيه وعنده عسكري يشرف على تلميعها باستمرار، وهو طويل =

طاولة عليها بعض الأوراق المبعثرة، وشرع الضابط يشرح له ما حدث في نقطة العلم، وهو يبتسم، في إشارة إلى نجاح الأمن الفضلي في كشف المسدس الذي كان بحوزتي، وأخذ يوجه عشرات الأسئلة عن حالة الطوارئ في عدن والانفجارات، وخطورة حمل السلاح غير المرخص وإدخاله إلى المستعمرة. أشار أحد الحرس إلى أن الوقت قد حان لصلاة الجمعة، وكان صوت المؤذن يُسمَع من بعيد، ولكنه لم يهتم بالحديث عن الصلاة، وكأنه كان ينتظر شيئاً أو إشارة مني. كان يلفّ ويدور من أجل إعطائه رشوة مقابل الإفراج عني. لم أفهم قصده لأنني لم أسمع بالرشوة في حياتي، لا في ولايتنا، ولا في قريتنا الصغيرة. وقد تدخل التاجر بن هادي الذي ينتمي إلى يافع وطلب مني أن أخرج معه خارج المكتب بعد أن استأذن الضابط الذي كان يعرفه جيداً، وطلب مني مبلغ ١٠٠ شلن «درهم» لإسكات الضابط من أجل الإفراج عني قبل صلاة الجمعة؛ لأنهم سيذهبون للصلاة وسيتركونني إلى اليوم الثاني، وقد أبقى زمناً طويلاً. قلت له: «ما المطلوب؟ قال: ادفع واخرج»، فقررت على أثرها أن أفتح كمري وأن أدفع كل ما أملك من مال، وهو عشرون شلناً. قال «شوف إذا كان معك ١٠٠ شلن أو أكثر». قلت له: «الكمر فاضي». ونظر إليّ بشفقة وقال: «يالله هات الموجود»، ودخلنا على الضابط في مكتبه وهو يلتفت نحو ساعة يده، وتوجه ابن هادي نحوه وأدخل يده في جيب الضابط، وكنت متأكداً أنه لم يعرف ما في جيبه، ونصحني بألا أكرر حمل السلاح وإدخاله إلى المستعمرة. شكرته وانصرفت، وخرجت إلى شارع زنجبار الوحيد الذي بدأت تظهر على جانبيه بعض المباني الجديدة والمطاعم المقاهي والسرر (القعائد) المصنوعة من الحصير للجلوس عليها بدلاً من الكراسي. التفت نحو صديقي ورفيقي الذي أنقذني من هذه المشكلة وسلمت عليه وشكرته على موقفه الأخوي والإنساني الذي لا أنساه له. التفت نحوي وقال: «مع السلامة، وسلِّم على صلاح». كان أخي صلاح ناصر قد بدأ حياته سائقاً ولاعباً رياضياً ممتازاً في فريق الواي بالشيخ عثمان، ولكن شهرته كانت في معرفته الواسعة بالناس القادمين من عدن وإليها، فهو ينقل الركاب والمسافرين والهدايا والثياب بسيارته.

= القامة ويصبغ شعره وشنبه بالحنة التي كانت رائجة آنذاك (قبل أن تظهر المواد الكيميائية الجديدة والصبغات) ويحب التغزل بالنساء وحين يقول له البعض أنت عجزت ولا تصلح لمثل هذا الغزل والحب، يجيب اعرف ذلك ولكن قلبي يخفق عندما يشاهد النساء اللواتي يمرن وعلى رؤوسهن الماء فتبلل ملابسهن وتظهر مفاتنهن! ويضيف أريد حتى عله (عضة).

## أرض (الحاس) البعوض

المهم الآن، ماذا أفعل وكيف أصل إلى دثينة التي تقع على بعد ١٥٠ كيلومتراً، وأنا لا أملك شيئاً، ولا أعرف أحداً في هذه المدينة الجديدة الفتية التي بدأت تنتعش على حركة السيارات وزراعة القطن والخضار والفواكه؟ العشرون شلناً، دفعتها للضابط كرشوة مقابل الإفراج عني، وثمن التذكرة دفعته لسيارة أخرى تركتها بعد أن أُلقي القبض علي في نقطة العلم. الطريق طويل والبطن فارغ، والجيب مثله... موقف محرج ومؤلم ومحزن. تصور ماذا يمكن أن تفعل لو كنت مكاني، لا تمتلك إلا مسدساً ملعوناً مثل هذا الذي جلب لي المشاكل وسبّب كل ما جرى! شرعت أسير وأسير في طريق واحد ذهاباً وإياباً، وشمس زنجبار ورياحها الحارة تلفح وجهي وجسمي النحيل، أنتظر حلاً قد يأتي ولا يأتي، وكنت أسأل نفسي: ماذا أفعل؟ أأدخل المقهى وأجلس بعيداً عن الشمس حتى يأتي الفرج والحل؟ وإذا دخلت وجلست وسألني صاحب المطعم: «ماذا ستأكل؟» بمّ أردّ عليه؟ لا، سيقول لي: «اخرج! اترك المكان لغيرك». كانت الأسئلة كثيرة، فأنا في زنجبار أو أبين فقير كالتاجر الذي سافر وكوّن ثروة وحملها على الجمال وحطّ الرحال بوادي أبين القريب من زنجبار، وجاءته السيول القادمة من شمال أبين، وفقد بضاعته وماله وجماله ورجاله، وقال هذا التاجر الغني الفقير: «أبين أبين، أرطب وألين، أرض الحاس والحسحاس والكيد والنكد، والظلم الشديد، خيرها إلى الحجلين، وشرها إلى الأذنين، ساكنها معلول، وشاجعها مقتول».

التاجر فقد بضاعته وجماله ورجاله، وأنا فقدت مالي العشرين شلناً، ولا أملك شيئاً إلا مسدسي. وكنت واقفاً أدور حول نفسي، وإذا برجل يسلِّم عليّ ويرحب بي: ( أهلاً بر ناصر محمد)، نظرت نحوه وسلمت عليه، وتذكرت صورته، ولكن الذاكرة لم تسعفني بتذكر اسمه، إنه أحد أبناء دثينة الذين نزحوا إلى أبين وجعار واستوطنوا فيها وعاشوا من قطنها وخيرها. كان الشعراء يتغزلون بمثل هذه الهجرات من الريف ومن وادي زبيد بتهامة، وقد وفد المهاجرون منها للزراعة والعمل مع الفلاحين وهم يغنون (جعار واجعار والناس هبت جعار، والناس تحت الشجر من أجل عبلة وعنتر).

المهم أنني شعرت بأنّ نجدة نزلت من السماء، ولكنني كنت أتساءل: وماذا بعد هذا الكلام والسلام؟ أمسك بيدي وقال: (**ياالله تأخرنا، الغداء بايبرد وعندي ضيوف ولكنك اليوم أحسن**

**ضيف حيا بوي وأهلي**). شكرته ولكنه أصر على أن أذهب إلى منزله القريب من مكان لقائنا. وفي الطريق سألني: «من أين أتيت؟ من عدن أم من دثينة؟ ومع من ركبت؟ سيارة حسين بن عامر، صالح بنجيل، عبد ربه علي، بيرة، شليل مقرع، وكانت تلك السيارات التي ذكرها تتردد بين عدن ودثينة، وقد ذكر لي السلطان أحمد عبد الله الفضلي أنه لم تكن في أبين كلها سوى سيارة واحدة قبل هذا التاريخ، وكان يقودها هو نفسه! «وأين سعفك وأيش أخرك؟ شرحت له أنني كنت في مقر الأمن في زنجبار. قال: «أيش عملت؟» قلت: «هذا الموضوع طويل». قال: «سنتحدث بعد الغداء».

تحركنا إلى منزله ووجدت ضيوفه منتظرين، ورحبوا بنا بحرارة وجلسنا على حصيرة فقيرة، ولكنها كانت أجمل من السجاد العجمي في نظري آنذاك! جلسنا على الأرض ووضعوا بجانب ظهري مخدة. صاح صاحب الدار: «عجلوا بالغداء، الضيوف جياع». قدموا لنا مرقاً ورأسين مذبوحين على طريقة سكان دثينة، فلكل منطقة طريقتها في الذبح والقدح. وبعد الغداء حدثتهم بما حصل لي، ولكنني لم أحدثهم عن الرشوة والفلوس، وقال: «الحمد لله على سلامتك»، وبعضهم نظر إليّ نظرة فيها نوع من الحذر، وبعضهم لزم الصمت، وانتهى الحديث بعد أن شربنا الشاي. شكرتهم وسلمت عليهم وانصرفت وعدت إلى المكان ذاته الذي وجدني فيه.

سلمت أمري لله، وتوجهت إلى الموقع الذي تتجمع فيه السيارات، وكنت أتساءل: «ماذا أفعل الآن؟ جزء من الأزمة حل بالغداء، والجزء الآخر من الرحلة المتعلق بالسفر ينتظر الحل!!».

كنت واقفاً حائراً، وإذا بأحد الأصدقاء يضع يده على كتفي ويسلِّم عليَّ، فالتفت نحوه، وإذا به الصديق أحمد الصاعدي[٨] الذي سلَّم عليَّ باليد قبل اختراع «البوس» العرفاتي في الخد مثنى وثلاث ورباع. قال إنه مسافر إلى دثينة، وطلب مني أن أسافر معه بسيارته العملاقة الجديدة المرسيدس، التي تُعَدّ الأولى من نوعها في هذا الطريق بين عدن ومودية، وقد شبه السيارات الأخرى بأنها كالفراش الذي يسقط على ضوء الفانوس.

---

(٨) استشهد - رحمه الله - في ما بعد في مديرية ثمود عام ١٩٧٥، وهو يعمل مع شركة التنقيب عن النفط اليمنية الجزائرية «سيايكو».

كان أحمد الصاعدي رجلاً مهذباً ولطيفاً ومثقفاً, فقد ولد في الحبشة وتعلم فيها، وقد شعرت بأن أزمتي قد حُلَّت دون أن أشعره بأنني لا أملك مالاً، ولم يكن هدفه إلا مرافقة مدرس يتكلم معه في الرحلة بين زنجبار وممودية، وكان الحديث عن الاحتلال البريطاني لعدن والمحميات وعن الأوضاع في مستعمرة عدن والحركة الوطنية والاستعدادات لمواجهة انتخابات المجلس التشريعي.

## الزحف على المجلس التشريعي

اشتدت أعمال المقاومة ضد سلطات الاحتلال البريطانية في كل مكان من الجنوب، واتخذت في عدن شكلاً جماهيرياً واسعاً. فقد اعتمد العديد من القيادات الوطنية هذه المدينة نقطة للانطلاق والنشاط. كان الكفاح ضد «اتحاد الجنوب العربي» على أشده، ومفتوحاً على احتمالات التطور إلى اندلاع عصيان مدني، وبخاصة بعد أن قرر «الحزب الاتحادي» بزعامة حسن بيومي رئيس وزراء ما يسمى «حكومة عدن» الاندماج في الاتحاد وفق اتفاقية ١٦ آب/ أغسطس ١٩٦٢ التي فرضتها سلطات الاحتلال على جنوب الوطن.



مبنى المجلس التشريعي

ووصل الصراع ذروته في الرابع والعشرين من أيلول/ سبتمبر ١٩٦٢، أي قبل يومين من اندلاع الثورة في صنعاء. تقرر في ذلك اليوم مناقشة مشروع «الاندماج» في جلسة «المجلس التشريعي»، فشهدت عدن تظاهرة كبيرة لا سابق لها، توجهت إلى بناية المجلس المذكور الواقع فوق تلة صغيرة عند مدخل مدينة كريتر، للحيلولة دون وصول أعضائه إلى القاعة، فواجهت طوقاً من رجال الشرطة وجنود الاحتلال المدججين بالسلاح والمكلفين حماية المجلس. ونشبت اشتباكات عنيفة بين الطرفين وأطلق الجنود الرصاص وقنابل الغاز

المسيلة للدموع على المتظاهرين الذين تحدوا الرصاص المنهمر، وتقدموا بمهابة إلى وسط المدينة بمشاركة ٢٥ ألفاً من العمال والطلبة والنساء والموظفين ومختلف فئات المجتمع.

كان لهذه المعركة - التي سبقتها حملة إرهاب واسعة - دور كبير في تعميق الفرز السياسي بين معسكر الاستعمار وعملائه ومعسكر الشعب وقواه الوطنية. وحين اندلعت ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ قال الشاعر الوطني الكبير محمد محمود الزبيري:

**يوم من الدهر لم تصنع أشعته**
**شمس الضحى بل صنعناه بأيدينا**

كانت جماهير عدن وسائر الجنوب المحتل حاضرة، وكأنها كانت تتنبأ بما سيحدث فجر ذلك اليوم الذي لا ينسى، والذي سيدخل التاريخ. غير أن ثورة ٢٦ سبتمبر لم تأت هكذا فجأة من غير مقدمات، بل كانت ثمرة نضال طويل.

# الفصل الخامس

## «قيام ثورة ٢٦ سبتمبر...
## وتأثيرها في ثورة ١٤ أكتوبر»

## سبتمبر يلهب المشاعر جنوباً

لم تمرّ أيام قليلة على انتصار ثورة سبتمبر، حتى كان دينيس هيلي، رئيس كتلة حزب العمال البريطاني في البرلمان، يعلن «أن أغلبية سكان عدن يريدون الوحدة مع اليمن، وأن الشيء الوحيد الذي منعهم في الماضي من الدعوة إلى هذا الاتحاد هو نظام الإمامة، وقد ألغي هذا النظام الذي كان أكثر الأنظمة إرهاباً وبربرية في كل الشرق الأوسط»[1].

غير أن بريطانيا كانت تراقب بعين القلق تأثيرات سبتمبر وانعكاساتها اليومية على مستوى تنامي التمرد الشعبي في الريف والمدن، خاصة في المحميات الغربية التي حمل كثير من أبنائها السلاح، وتوجهوا شمالاً للدفاع عن الثورة والجمهورية منذ الأيام الأولى لانتصارها، ولقد تزايدت تلك الحماسة ووتيرة الانخراط في أعمال الدفاع عن الثورة لدى أبناء القبائل كلما تزايدت أعمال التآمر والعدوان على الجمهورية الفتية، حتى أصبح واضحاً أن عمليات التطوع لمطاردة الملكية كانت، بالنسبة إلى هؤلاء المقاتلين، تجربة مضيئة وبمثابة «تمرين حيّ» لإعلان انطلاقة الثورة المسلحة في الجنوب المحتل، في ما بعد.

وسجل الشهر الأول الذي تلا ثورة سبتمبر تطوع آلاف الجنوبيين من مختلف الفئات الاجتماعية، وكانت قوافل السيارات والشاحنات تنقل من عدن والمناطق الأخرى الآلاف من المتطوعين، فيتحول مرور الشاحنات والعربات المكشوفة في شوارع المدينة إلى أعراس شعبية يعبّر فيها أبناء الجنوب عن تحديهم للاحتلال.

كانوا يهتفون: «شعب واحد يمن واحد».

---

(١) فالكوفا: السياسة الاستعمارية في جنوب اليمن، ص ٥٩.

كان هذا قبل ثلاثين عاماً من إعلان قيام الوحدة، وسأتحدث عن ذلك في كتاب الوحدة وكيف أساءت القيادة إلى الوحدة وإلى الشعب الذي كان يطالب بتحقيقها.

على الطريق من عدن إلى لحج إلى تعز فالبيضاء، كان المواطنون المتطوعون وأبناء المدن والقرى يشكلون من المناسبة مسيرات وتظاهرات تتمحور شعاراتها حول الوحدة العربية بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر وإنهاء الاحتلال البريطاني والدفاع عن ثورة سبتمبر.

وفي صنعاء كان ثمة مبنى صغير يقع بالقرب من «قصر البشائر» يتابع أوضاع النازحين من أبناء الجنوب، وكان قد افتُتِح قبل الثورة بصفة رسمية لتسهيل تقديم المساعدات إلى النازحين، ولكنه كان في الواقع بؤرة سرية لحركة القوميين العرب تتولى منه تنظيم المواطنين وتعبئتهم في النضال الوطني والقومي، وهناك كان ملتقى قحطان الشعبي وناصر السقاف وعبد الله مجعلي، وأصبح هذا المكان بعد ثورة سبتمبر مكتباً لتوجيه المواطنين وتسليحهم وتهيئة مشاركتهم في معارك الدفاع عن الثورة.

يتذكر المناضل محمد ناصر الجعري الذي انضم إلى هذا «الكشك» بعد الثورة تلك الأيام، فيقول: «أفواج من أبناء المنطقة الوسطى مرت من بين يدي إلى جبهات القتال، وكنت قبل هذا قد جمعت أبنائي وإخوتي وأبناء قبيلتي وأبناء دثينة والعواذل المقيمين في مدينة البيضاء، وانطلقت بهم إلى صنعاء ومنها إلى جبهة خولان».

وعلى غرار هذه المبادرة الثورية، كان كثيرون من أبناء الشعب في الجنوب يبادرون إلى تحدي السلطات المحلية والمحتلين، بصيغ مختلفة من بينها كتابة المنشورات وتوزيعها بتواقيع عشوائية، ولكنها تخلق جواً سياسياً ملتهباً تسارع السلطات إلى تطويقه وكبحه، كما حصل في دثينة حين وُزِّعَ واحد من تلك المنشورات بعد نحو شهرين من ثورة سبتمبر، عن أبناء دثينة «وهو يهيب بالمواطنين ليثوروا على الظلم»، فاهتزت السلطات المحلية وعجزت عن معرفة الأشخاص الذين كتبوا هذا المنشور، حتى فاجأها منشور آخر بتوقيع «المنظمة السرية لتحرير الجنوب اليمني المحتل»، وذلك في أواسط ديسمبر ١٩٦٢ يتضمن الدعوة إلى طرد الاحتلال البريطاني «لأن الوقت قد حان» و«أن العهد البائد في اليمن كان العامل الأساسي الذي يعوقهم عن مطاليبهم فبادر نائب مودية حال وقوع أحد المنشورات بين يديه بالإبراق إلى «وزير الأمن الداخلي» السلطان صالح بن حسين العودلي حول وجود

منشورات في المدينة تدعو أبناء المناطق الاتحادية جميعها وما سموه الجنوب اليمني المحتل للتضامن والتكاتف والنضال لتحرير الجنوب من الاستعمار».

ولم تكتف السلطات المحلية في دثينة بجو الإرهاب الذي أشاعته في مودية لمواجهة تنامي النضال الوطني، بل لجأت إلى إصدار بيان وقعته باسم «أبناء دثينة الصادقون» يتضمن تحذيراً من نشاطات «الذين لا يتورعون عن بيع أوطانهم وجنوبنا العزيز الغالي مقابل دراهم معدودة». ويتساءل البيان بنوع من الغباء (ونورد العبارات بأخطائها اللغوية): «ولكن هل نحن يمانيون؟ وهل الجنوب ملكاً لليمن؟ وهل الجنوب ملكاً للسلال الزيدي؟»، ثم: «هل نخسر كل ما جنيناه من مكاسب، لنعود القهقرى.. أمرا ألوية إرضاء لأسيادنا في القاهرة؟».

وبلغ الغليان الشعبي مستوى عالياً في عدن، حيث شهد العام الدراسي الجديد سلسلة من أعمال التظاهر التضامنية مع ثورة سبتمبر. ففي شباط/ فبراير ١٩٦٣ أقدمت سلطات الاحتلال على إغلاق كلية بلقيس، في الشيخ عثمان، فنظم الطلبة تظاهرة كبرى حملوا خلالها صور الرئيس السلال والرئيس جمال عبد الناصر، وهتفوا للوحدة اليمنية والعربية، فردت السلطات باعتقال نحو مئتي متظاهر.

واندلعت بعد شهرين الإضرابات والتظاهرات في كلية عدن، وفي أيار/ مايو ١٩٦٣ شهدت شوارع مدينة عدن تظاهرة ضخمة تطالب بالوحدة مع الجمهورية العربية اليمنية، واستخدم البوليس قنابل الغاز المسيلة للدموع لتفريقها واعتقل ٤٨ مواطناً.

ومن داخل سجن عدن البريطاني وجه المعتقلون الوطنيون برقية باسم «المؤتمر العمالي للنقابات» تحيي ثورة سبتمبر وتقول: «يقف المؤتمر العمالي بعدن إلى جانب ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ويضع كافة إمكاناته المادية والبشرية والأدبية لدعم وحماية الشعب اليمني وثورة السادس والعشرين من سبتمبر».

وتبنى المعتقلون الدعوة إلى إرسال فرق من العمال المتطوعين إلى صنعاء للقتال إلى جانب الثورة، وانخرط في تلك الفرق النقابيون الذين أُفرج عنهم، بل وشاركوا في الوحدات العسكرية التي تلقت تدريبها في مصر لتعزيز قوات الجمهورية في مواجهة أعمال التدخل الخارجي.

وفي آذار/ مارس ١٩٦٣ شهدت دلتا أبين أضخم إضراب في محلج القطن ومشروع الإصلاح، وقد تضامن مع المضربين طلاب المدارس الفضلية، وتساءل السلطان: «كيف يجري هذا؟! كيف تحدث مثل هذه الأعمال التي هي ضرب من الشيوعية؟!».

كان المضربون يطالبون بتحسين ظروف المعيشة وبوقف الفصل التعسفي للعمال، غير أن سمعة الإضراب وأعمال التضامن معه وبروز شعارات ضد الاحتلال البريطاني أفقدت السلطة صوابها، فردّت بقسوة وقامت بـ«جلد» العديد من المشاركين في الإضراب وسجنهم، وخلق جو من الإرهاب والقمع، وفُصلَت أعداد كثيرة من العمل. غير أنها تراجعت عن بعض سياستها حين وجدت أن الأمر يتفاقم، وأن ردود الأفعال يمكن أن تؤدي إلى انتفاضة شعبية، فأصدر السلطان منشوراً يعد فيه بالتجاوب مع مطالب المضربين والسماح «بإصدار جريدة» في السلطنة، وإعادة العاملين المفصولين إلى أعمالهم.

وفي المعارك التي جرت على هامش الإضراب تعرّض عامل المحلج النشيط علي بن عقيل لـ«الجلد»، واعتقل وسجن كل من ناصر صدّح وإبراهيم عمر، ونفي «حسين عبد الله ناجي» ومحمد هشوش وعبد الله الدويلة إلى خارج السلطنة الفضلية، فيما انتقلت «عدوى» التحدي إلى مزارعي دثينة، فرفضوا دفع الضرائب العينية، وكانت خمسة دنانير على كل من يملك مضخة، وخاضوا معركة واسعة ضد السلطات، فردّت باعتقال العديد من المزارعين واستنجدت بقوات بريطانية لقمع الحركة.

عندها أصدرنا بياناً وقّعناه باسم «حركة القوميين العرب – جنوب اليمن» في ١٨ أيار/ مايو ١٩٦٣ استنكرنا فيه «أعمال الظلم والتعسف» وطالبنا «جميع الأهالي في دثينة وجميع الهيئات في عدن بأن يساندوا إخوانهم المزارعين حتى تتحقق مطالبهم العادلة».

والحقيقة أن حزب الشعب الاشتراكي كان قد سبقنا إلى تبني قضية المزارعين. وفضح الإجراء الذي اتخذه المحتلون بإقامة قاعدة عسكرية في امصره شرق زنجبار لإرهاب المواطنين ومواجهة تحركات المزارعين وتمرداتهم، وأصدر الحزب بياناً في ١٣ أيار/ مايو بهذا الصدد يقول فيه «إن نحو ألف جندي وضابط بريطاني يتمركزون في منطقة دثينة (...)».

وبعد ثورة سبتمبر بأيام أصدر «الضباط الأحرار» بياناً يلتهب بالحماسة وبالإصرار على إجلاء المحتل، بعنوان «إلى الاستعمار وأذنابه»، جاء فيه: «إن مصيركم هو مصير كل ظالم.

تذكروا نوري السعيد وأسرة حميد الدين في صنعاء... وتظنون أننا سنوجّه سلاحنا ضد إخواننا في الجمهورية العربية اليمنية؟ نتحداكم لأن زمان الذلّ ولّى إلى غير رجعة».

## الطلاب في مودية

كانت مودية، عاصمة ولاية دثينة، في ذروة نشاطها الوطني والقومي. وكان بعض سكانها قد انتقلوا إلى عدن في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، واختلطوا مع أهلها وعلّموا أبناءهم وبناتهم في مدارسها، وأقام بعضهم علاقات مع المستشرقين البريطانيين والسويديين وغيرهم، وسافر بعضهم إلى أوروبا أكثر من مرة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. كان لهذا الاختلاط والارتباط بعدن وأوروبا تأثيره في ما بعد في النشاط السياسي لسكان مودية وبقية قرى ولاية دثينة، فقد كان أبناؤها سباقين في إقامة المدارس للبنين والبنات في نهاية الأربعينيات، وذهب المتخرجون منهم إلى مدارس زنجبار وعدن وأوروبا والاتحاد السوفياتي، وتأثر هؤلاء الطلاب بالحركات القومية والماركسية، وأثروا بدورهم في الحركة الطلابية والمواطنين في الولاية.

وبعد قيام الثورة في صنعاء، نظّم الطلاب سلسلة من التظاهرات في مودية وخارجها، وتعرضت القوافل البريطانية المتجهة من عدن إلى بيحان لقذف الحجارة والأتربة في وجوه الجنود البريطانيين، وسبّبت هذه المواقف إحراجاً للحكام المحليين العاجزين عن السيطرة على هذه الظاهرة التي أخذت تزداد باستمرار عند مرور أية سيارات عسكرية، وسبّبت كذلك إزعاجاً للضباط البريطانيين المقيمين في مودية ولودر، ولكن التظاهرات والهتافات بلغت ذروتها عند افتتاح وزير الداخلية الاتحادي. مطار مودية.

## تظاهرات ضد شريف بيحان في دثينة

كان شريف بيحان حسين الهبيلي، واحداً من الذين حاربوا الجمهورية ووقفوا ضدها بقوة، بإيعاز ودعم من البريطانيين منذ اليوم الأول لقيامها. لأنهم رأوا أن قيام الثورة في صنعاء ستكون له آثار سلبية وخطرة على مستقبل الإمارة وأمن اتحاد الجنوب العربي واستقراره. وقد أثار ذلك مشاعر المواطنين في الجنوب واحتجاجهم، وقد كانوا يتعاطفون مع ثورة سبتمبر ويؤيدونها من كل قلوبهم.

وقرر شريف بيحان، وهو آنذاك وزير داخلية حكومة اتحاد الجنوب العربي، القيام بزيارة لدثينة لافتتاح مطار الولاية.



**مطار السبت في ولاية دثينة**

أخذ المواطنون من كل أنحاء الولاية يتوجهون إلى مطار السبت، الذي كان في الماضي سوقاً يسمى (سوق السبت) يلتقي فيه المواطنون ويسوّقون فيه منتجاتهم الزراعية والحيوانية، ويعودون إلى قراهم محمَّلين باحتياجاتهم من الدقيق والأرزّ والسكر والمواشي والتنباك (التبغ) وغيره من طريق المقايضة. ومثل هذه الأسواق منتشرة في المنطقة، وتسمى بأسماء أيام الأسبوع مثل (سوق الخميس)، (سوق الأحد)، سوق الربوع (الأربعاء)، (سوق الجمعة) وسوق الثلوث (الثلاثاء).

أما (سوق السبت) الذي كان أكبر هذه الأسواق، فقد كان الاتفاق في الولاية على أن يصبح مطاراً ترابياً للولاية، ولم تشيد فيه أية منشآت تدلّ على أنه مطار، فلا مبنى، ولا برج، ولا موظفين، ولا سيارات، ولا إضاءة، ولا إشارات، وحتى لا ماء. وكانوا في يوم هبوط الطائرة، يحرسونه من الجمال والحمير كي لا تصطدم هذه الحيوانات بطائرة «الداكوتا سي ٣» الأميركية التي صُنعت في الحرب العالمية الثانية، ولكنها تتمتع بسمعة جيدة. فهي قليلة الحوادث، كثيرة الفائدة، وتستطيع الهبوط في مهابط قصيرة وترابية مثل مطار ولاية دثينة أو (مطار السبت) الذي بدأ يستعد في هذا اليوم من شهر ديسمبر ١٩٦٢ لاستقبال وزير الداخلية شريف بيحان «حسين الهبيلي»، وهو في الأصل من منطقة الجوف الشمالية ومن أشرافها. وكان على رأس مستقبليه حاكم ولاية دثينة وأعضاء مجلس الدولة والمسؤولون

في الولاية والمواطنون. وترحيباً بمقدمه هو ومرافقيه، أخذوا يطلقون الأعيرة النارية في الهواء بدلاً من المدفعية التي تُطلق عادة إحدى وعشرين طلقة تحية للضيوف الكبار.

بعد نزول الشريف من الطائرة، تلقى التحية من حرس الشرف، حيث توجه ومرافقيه وكبار مستقبليه إلى ساحة الاحتفال وسط آلاف من المواطنين الذين حضروا بدوافع مختلفة. بعضهم جاء لاستقبال شريف بيحان، وآخرون لرؤية الإمام المخلوع محمد البدر، حيث أشعْنا في أوساط الطلاب والمواطنين أنّ الشريف لن يأتي بمفرده، بل سيصطحب معه الإمام البدر لتجنيد مواطني دثينة ضد ثورة سبتمبر التي اندلعت قبل ثلاثة أشهر في صنعاء، وقد كان من بين المواطنين أحمد خيران العسل[٢] الذي هدد بقتل الإمام البدر إن هو حضر مع شريف بيحان.

بدأ الحفل بآية من الذكر الحكيم، وردد الطلاب نشيد حماة الحمى: حماة الحمى يا حماة الحمى نموت نموت ويحيا الوطن وها هو علم الاتحاد يرفرف على المنصة، ولكنه يسقط فجأة على الأرض، ويهرع بعض المسؤولين والضباط لإعادته إلى مكانه، وهم في حالة ارتباك. وفجأةً بلا مقدمات ولا توقع، انطلقت الهتافات من كل مكان في المهرجان صائحة ومندّدة:

«يا بيحان ثوري ثوري خلي الشريف يلحق نوري»[٣]

و...«عاش السلال يا عروبة».

احتقن وجه شريف بيحان ووجوه مرافقيه والمسؤولين الذين فوجئوا بما حدث. كانت مشاعر الجماهير الغاضبة تعبِّر عن نفسها.

ارتبك المهرجان كله، وانتقل النائب حسين منصور إلى المنصة في محاولة لإنقاذ الموقف، ولتهدئة المواطنين الغاضبين قبل أن يلقي كلمته الترحيبية، لكن صوته ضاع وسط هتافات وهدير الجماهير التي كانت لا تزال تهتف: «خلي الشريف يلحق نوري» في إشارة واضحة لا تحتاج إلى تفسير، إلى أن عليه أن يرحل كما رحل نوري السعيد الذي أطاحته ثورة تموز

(٢) هو نفسه الذي اعتقل عام ١٩٥٨ بتهمة تفجير القنابل في التواهي.

(٣) إشارة إلى نوري السعيد في العراق.

في العراق بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم. وكان هذا يعني أن مشاعر الجماهير هي مع ثورة ٢٦ سبتمبر، وتعارض كل من يقف ضدها أو يتآمر عليها كما كان يفعل شريف بيحان الذي تقع إمارته على حدود الجمهورية العربية اليمنية، وقد أرادت أن تسمعه صوتها ورأيها فيه مباشرة بتلك الهتافات المدوية التي كانت ترددها بلا توقف.

ولم تُجْدِ كل المحاولات للسيطرة على الموقف. كان الأمر محرجاً جداً للنائب حسين منصور ولمجلس دولة الولاية, وبدأت الفوضى تدبّ في المكان كله، فلم يتمكنوا من استكمال برنامج الحفل، ولا إلقاء الكلمات والقصائد الشعرية التي استعدوا بها للمناسبة، وخوفاً على حياة الشريف، أحاط به بعضهم، لحمايته من طلقة طائشة أو حتى متعمدة تنطلق وسط هذا الزحام والمشاعر المعادية التي كانت تهتف ضده والتي كان يرددها معظم الحاضرين، وكنت قد نصحت أحمد العسل الذي تربطني به صداقة وعلاقة بعدم الإقدام على خطوة كهذه بعد أن هدد بقتل البدر إن هو حضر الحفل، وقلت له إن ذلك سيؤدي إلى حصول مجزرة بين الحضور.

أمسك النائب حسين منصور بيد الشريف وطلب إليه التحرك فوراً وركوب السيارة قبل أن يحدث ما لا يحمد عقباه، وقد التفّ حول الشريف عدد من الضباط والجنود لحمايته وشكّلوا حوله طوقاً أمنياً. وكان شريف بيحان يشبه البحارة بوجهه وشنبه وشعر ذقنه ونظارته السوداء، لولا تلك العمامة الحرير التي يضعها على رأسه، وقد سقطت العمامة وسط الزحام، ولا أحد يدري إن كان بفعل يد امتدت إلى رأس الشريف وألقتها أرضاً، أو بسبب المصادفة والعجلة والزحمة، وقد استعادها أحد الحراس فأعادها الشريف إلى رأسه. وصاح النائب حسين منصور الذي كان يشعر بإحراج شديد بسبب الإهانات المتتالية التي يتعرض لها ضيفه: «**عملتوها يا عيال... وأنا قلت لكم من الصبح أن الشريف بايفتح المطار!**».

كان النائب قد التقى الطلاب في مدرسة مودية قبل التوجه إلى المطار، وتحدث إليهم عن مجيء الشريف، وحذّرهم من «الصياح والزنقلة» والهتافات عندما يمرّ موكب الضيوف في مودية، وكان طلاب هذه المدرسة مشهورين بأنهم كلما رأوا أية سيارة عسكرية في طريقها إلى العوالق، أو إلى العواذل، أو الفضلي، أو عدن، كانوا يخرجون وراءها يهتفون، ضد الاستعمار والسلاطين. وقد حالت السلطات دون اقتراب هذه التظاهرات من قصر الضيافة في مودية حتى لا يزعجوا الشريف مرة أخرى.

ثم استدعوني أنا والأخ سعيد عثمان عشال، مشرف التعليم، إلى مقر النائب، حيث وُجِّه التهديد إلينا واعتُبرنا مسؤولين عمّا حدث. وقال النائب إن الحساب والعقاب سيكون بعد سفر الشريف والوفد المرافق له! لكنه بعد التهديد والوعيد، عاد ورجانا أن نتدخل حتى لا يتعرض موكب الشريف للإهانة عند مغادرته إلى المطار بعد الغداء الأخير له في مودية، عاصمة ما كان يسمى جمهورية دثينة وولاية دثينة. وكان النائب حسين منصور يهتم بالتعليم والزراعة والإدارة، وفي عهده دخلت الكهرباء إلى مودية ووضع دستوراً للولاية، وهي المرة الثانية التي يحدث مثل هذا الأمر في المحميات، إذ حصل قبل ذلك أن وضع دستوراً لسلطنة لحج وتأسس مجلس تشريعي هو الأول على مستوى الجزيرة.

وكانت إذاعات صنعاء وصوت العرب والقاهرة، تبثّ عبر الأثير هتافات الجماهير في الجنوب ضد الاستعمار والسلاطين وضد شريف بيحان الذي فتح الإمارة للملكيين الهاربين من الجمهورية العربية اليمنية والقادمين من عدن في طريقهم إلى الجمهورية العربية اليمنية لمحاربة ثورة السلال وقوات عبد الناصر والشيوعية التي تهدد الإسلام والمسلمين والمقدسات حسبما كانت تردد أجهزة الإعلام المعادية.

كان الإعلام والإعلام المضاد قد بلغ كلٌّ منهما ذروته، والمعارك في كل الجبهات تزداد ضراوة، والدولارات والجنيهات من الذهب والورق تشترك في هذه المعركة، تملأ جيوب تجار الحروب. أما المقاتلون من الجنوب، فقد كانوا يتوجهون من عدن للالتحاق بالحرس الوطني لمحاربة فلول الملكيين. وقد بلغت الحماسة أوجها في عدن والمحميات وفي (جمهورية) دثينة، أو ولاية دثينة، التي عُين لحكمها في وقت من الأوقات ضابط اسمه عبد الله حسين جعفر، قُتل في ما بعد في مديرية ثمود خلال التنقيب عن النفط في الستينيات، كذلك عُين لها ضابط آخر اسمه أحمد حسن مظفر، بالإضافة إلى آخرين مثل حسين ناصر البعسي، محمد أحمد باشراحيل، عبد الله الشقاع، ومحمد فريد. واستقر الرأي في الأخير على تنصيب الشيخ حسين منصور حاكماً للولاية، وسُمي في ما بعد نائباً لولاية دثينة. واستمر حاكماً لها حتى ١٩٦٦/٩/١ عندما فصله مجلس الدولة برئاسة الشيخ محمد حسين المجعلي وسحب الاعتراف به وفقاً لدستور الولاية وقرار حكومة الاتحاد، وذلك بسبب نشاطه السياسي ضد حكومة اتحاد الجنوب العربي وتعاطفه مع الثوار، وقد أرسل

مندوباً عنه إلى القيادة المصرية في تعز وإلى رئاسة الجمهورية في القاهرة وإلى الجامعة العربية يؤكد عدم اعترافه بحكومة الاتحاد العربي لأنها حكومة غير شرعية، وطالب بانضمام حكومة دثينة إلى جامعة الدول العربية.

## لجنة تصفية الاستعمار(٤)

بعد أحداث مطار مودية المشهورة، جرت تظاهرات أخرى عمّت كل ولاية دثينة، احتجاجاً على عدم السماح للجنة تصفية الاستعمار بزيارة الجنوب المحتل.

كانت أخبار لجنة تصفية الاستعمار التي تشكلت برئاسة مندوب كمبوديا وعضوية كل من مندوبي العراق ومدغشقر وفنزويلا ويوغسلافيا، تغطي مساحات واسعة في الصحف المحلية والعربية والدولية، وتسهم في تصعيد صراع القوى الوطنية ضد الاستعمار البريطاني في جنوب اليمن، وتنقل الصراع إلى الأمم المتحدة.

كانت هذه أول لجنة دولية تُوفَد إلى اليمن ومصر والعراق والسعودية للقاء القوى الوطنية والشخصيات الاجتماعية والمشايخ ورجال القبائل وممثلي النقابات والطلاب والأندية في القاهرة وصنعاء وتعز وجدة والعراق، ومنعت من دخول عدن والجنوب بسبب رفض السلطات الاستعمارية، ولكنها تمكنت من إجراء سلسلة من اللقاءات المهمة في هذه البلدان، وقدمت تقريرها إلى اللجنة الخاصة بتصفية الاستعمار طالبت فيه بالتصفية الفورية للاستعمار في الجنوب، وحل الاتحاد الفيدرالي وإجراء الانتخابات تحت إشراف الأمم المتحدة، وحل القاعدة العسكرية البريطانية في عدن وغيرها من الثكنات، وتوحيد المنطقة، أي توحيد الجنوب الذي كان يتكون من ٢٢ مشيخة وسلطنة وإمارة، والامتناع عن الإجراءات القمعية، ومنع الهجرة، ورفض التعسف والفصل للموظفين المحليين وإعطائهم الأولوية في التوظيف، وتقديم المساعدة للاجئين الجنوبيين في مناطق هجرتهم. وقد استُقبلت اللجنة بتظاهرات ومسيرات في مدن صنعاء وتعز وغيرهما من المدن التي كانت تندّد بالاحتلال البريطاني. أما في جنوب اليمن الذي كان يرزح تحت قوات الاحتلال فقد

(٤) كان محمد علي لقمان أول شخص يتحدث إلى اللجنة التابعة للأمم المتحدة حول قضية الجنوب (المصدر محمد سالم باسندوة).

خرجت مسيرة احتجاج على رفض السلطات الاستعمارية دخول اللجنة إلى عدن، ومنها ولاية دثينة، حيث نظمت مسيرات في مودية وبعض المناطق الأخرى من الولاية، شارك فيها الطلاب والمدرسون والآباء صباح ٣/ ٦/ ١٩٦٣.

في مودية كنا نتابع تلك التطورات ونعمل على خلق أجواء من التفاعل مع الأحداث والبيانات وتوجيه ذلك نحو تحدي الإنكليز والسلطات المحلية ودعم ثورة سبتمبر. وفي ظل هذا المزاج الثوري نجح تنظيم حركة القوميين العرب في إقامة التظاهرات الشعبية تحت شعارات سياسية ملتهبة، وقد ارتبكت السلطات فشنّت حملة من الإرهاب بإشراف المستر هنشكلف، مستشار الولاية، وانتهت باعتقالي مع مجموعة من زملائي في التدريس وفي عضوية الحركة. وقد أكد محضر الجلسة «الطارئة» لمجلس الولاية التي عُقدت في اليوم التالي للتظاهرات مخاوف السلاطين والحكام وممثلي الاحتلال من نتائج هذا النشاط، وقال المستشار البريطاني بالحرف: «لدي أوامر قد اضطر إلى استعمالها متى رأيت ذلك ضرورياً!»[٥].

ولجأت السلطة إلى كذبة تسوّغ فيها اعتقالي من جهة، وإظهار هيبتها وقوتها لإرهاب المواطنين وكسر روح التحدي لديهم من جهة ثانية، فأعلنت العثور على رسالة زعمت أنني بعثت بها إلى رفيقي حسين الجابري تتضمن توجيهاً بتنظيم تظاهرة في المدينة، هذا نصها:

**الأخ حسين الجابري المحترم،**

«عليكم تنفيذ ما تم الاتفاق عليه مساء الأمس وأمر الطلاب بالخروج في مسيرات ضد السلطة في تمام الساعة الثامنة حسب الاتفاق. مزّق الرسالة بعد قراءتها».

**«أخوك علي ناصر - ١/ ٦/ ١٩٦٣»**.

ومع أن خط الرسالة المزورة مكتوب بعناية وحذق ليطابق خطي، وأن المزوّر برع في تقليد توقيعي (عرفت بعد سنوات الرجل الذي زوّر الرسالة والتوقيع)، فقد كان من السهولة من الناحية النظرية والعملية تفنيد اللعبة وكشف مراميها، وأن اللغة المستخدمة في الرسالة ليست بالتحديد لغتنا الرفاقية التي نتخاطب بها في العادة، وكنا في الغالب نتجنب التراسل في قضايا كهذه. ولم نكن في حاجة إلى تحرير الرسائل، اذ كانت القرية صغيرة ونلتقي بصفة

---

(٥) نص المحضر تحت رقم (١) «أ، ب».

يومية، إلا أن السلطات أصرت على اعتقالي. كان الهدف من مجمل هذه العملية ردّ الاعتبار للمسؤولين عن السلطة، وفرض هيبتهم على المواطنين وتخويف المتظاهرين ولجم نشاطنا الحركي. وقد علمت من النقيب محمد عبد الله العلبيه بأنهم قد اتخذوا قراراً بسجني.

حين استدعوني إلى دار الشرطة أخذت معي غطاء النوم والوسادة. فقد قدّرت أنهم سيزجون بي في السجن أياً كانت التهمة.

أدخلوني على النائب فيما كان يتحدث مع أحد المتعاونين معه.

قلت له: «أريدك على انفراد».

ودون أن يتأمل في «معنى» طلبي قال: «اجلس، ماذا تريد؟».

كررت عليه الطلب، بإخراج الشخص الموجود في مكتبه لأنني أريد أن أتحدث «بأمر خاص». فلاحظت عليه الاقتناع بأهمية الأمر، إذ أشار إلى جليسه بالخروج, وما إن غادر هذا المكان وأغلق الباب، حتى بادرته قبل أن يطالبني بالجلوس. تحدثت معه بكلمات واضحة، قائلاً: «إنكم قد أمرتم باعتقالي بتهمة علاقاتي بحركة القوميين العرب والتظاهرات التي خرجت يوم ٣/ ٦، ونحن لسنا ضعفاء. ونحذر من نتائج ما تقوم به ضد الشباب، وهذا ليس لمصلحتكم».

احمرّ وجهه، وبدا عليه الغضب، ثم صرخ: «أتهددنا؟!».

قلت: « لا، إنما أنبهك».

استردّ النائب توازنه بعد هذا الكلام في مكتبه، قال: «اسمع، نحن نعرف أنكم قوميون عرب، وعليك أن تفهم أنكم لا تستطيعون أن تهزوا مودية بمنشوراتكم».

ثم أمر بإرسالي إلى السجن، فامتثلت وأنا أشعر بنوع من الارتياح للأثر الذي تركته كلماتي في النائب وأنا في طريقي إلى السجن، وبعد ثلاث سنوات اتخذ النائب حسين منصور مواقف وطنية، فأصدر عدداً من البيانات النارية(٦) ضد الاستعمار البريطاني، طالب فيها بحلّ الاتحاد وانسحاب بريطانيا من الجنوب والاستفتاء على الاستقلال وفقاً لقرارات الأمم المتحدة.

---

(٦) حاكم ولاية دثينة.

التقيت في السجن عدداً من رفاقي وأصدقائي من ضحايا حملة الاعتقالات، منهم: حسين الجابري، هيثم بنقح، حسين سعيد، صالح الجابري محمد الحمزة وآخرين. فتبادلنا الأحاديث في الأوضاع السياسية، ثم ناقشنا الحال التي نحن فيها والمستجدات وأوضاع المدينة، وقررنا اللجوء إلى الإضراب عن الطعام، والإفادة من الحالة المتوترة في المدينة، حيث يسهل استقطابها وإحراج السلطات المحلية.

## من الإضراب إلى التظاهر

كان أول إضراب تعرفه المدينة والمنطقة كلها، وما كان لها أن تتحمله في الظروف الاعتيادية، غير أن مزاج المواطنين العام كان يستجيب لنشاطات «الحركة» بفعل تأثيرات ثورة سبتمبر، والوجود الاستعماري الاستفزازي في المنطقة والجنوب كله. وأتذكر هنا أن مودية خرجت في تظاهرة كبيرة منذ أن أعلنت إذاعة صنعاء قيام الجمهورية وإسقاط الحكم الملكي الإمامي. وكانت حركة القوميين العرب تقود الجماهير وتنظمها. كنا، رفاقي وأنا، قد تشاورنا سريعاً قبل أن نتخذ قرار التظاهر، ولم نجد أي خلاف بهذا الشأن (لأن المواطنين كانوا سيتظاهرون) من تلقاء أنفسهم لو لم نبادر نحن.

لا أبالغ إذا قلت إننا كنا على ثقة تامة في قدرتنا على ضمان نجاح الإضراب عن الطعام، انطلاقاً من رصيدنا الشعبي وسمعة الحركة بين المواطنين، وثانياً، بما نملكه من علاقات سياسية وتنظيمية خارج السجن وخارج ولاية دثينة. هذا كله جعل من الإضراب أمراً ممكنا لنا «وإحراجاً» للسلطات المحلية، وكان النائب حسين منصور منزعجاً من ذلك، وقد أبلغه المسؤول عن السجن بالإضراب عن الطعام قائلاً: «إنهم لا يأكلون يا سيدي».

فردّ عليه:

- لماذا؟ ألم تحضروا لهم الطعام؟
- بلى سيدي، أحضرناه.
- إذن قدموه لهم.
- قدمناه سيدي، ولم يأكلوا.
- ربما لم يعجبهم.

- عفواً يا سيدي، إنه أفضل من طعامنا.

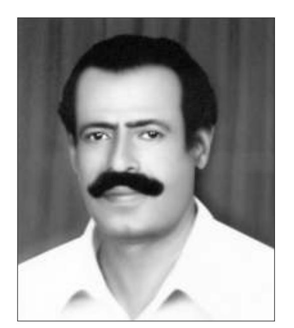
- رفضوه؟

- نعم رفضوه.

- حسنٌ، قل لهم: «يأكلوا حجار» إذا لم يعجبهم طعامنا!

ولكن النائب، بذكائه المعروف، قدّر نتائج هذا الإضراب، فاستدعاني من بين زملائي المضربين وراح يشرح لي، بودٍّ مبطَّن، أن لا جدوى من هذا الإضراب، لأن أحداً لا يتفهمه، وأن مواطني المدينة سيسخرون منه. وأعرب عن خوف شخصي من أن يؤدي الإضراب عن الطعام إلى موتنا جوعاً وعطشاً دونما طائل.

ولكنني أبلغته، أننا سنواصل الإضراب عن الطعام حتى إطلاق سراحنا، وأن المواطنين معنا، ولتتحمل السلطات المحلية النتائج، وكان الصديق سالم محمد الحنكي الذي يعمل كاتباً بالمحكمة قد جاء ومعه عبد الله سالم قردع إلى السجن لزيارتي، ومعهما جدي صغير (محنود) وخبز مخلم من الذرة البيضاء، وطلبا مني أن أكل بطريقة سرية، ولكنني رفضت، وحلف قردع وأقسم برأس أبيه ووالدي ورأس الولي عمر بن سعيد، ورفضت أيضاً، وكان هذا الشخص ودوداً وكريماً!


سالم أحمد عتيقي

وأتذكر أنه زار مركز الشرطة بالقليتة النقيب سالم أحمد عتيقي وطلبت من قائد الشرطة مقابلته أو تسليمه رسالة أطالبه فيها بفتح نافذة في غرفة السجن ووضعها في جيبه، وغادر دون أن يقابلني، و في الطريق فتح الرسالة وعاد من جديد إلى مركز الشرطة وطلب منا أن ندخل إلى السجن لأن الحرس كانوا متعاونين يسمحون لنا بالخروج من السجن والجلوس معهم حتى يشاهدوا أي ضيف أو أي سيارة قادمة إلى المركز مخلفة خلفها غباراً من الرمال. وبعد أن وصل، طلب أن يلتقي معي، وسلم عليّ وقال: ما هي طلباتك؟ فقلت له: فتح نافذة في هذه الغرفة التي لا نشاهد فيها النور إلا عبر الفانوس، فأمر على الفور بفتح نافذة ولم يغادر حتى فتحوا جزءاً من الجدار، وكان هذا الموقف الوطني عربون لصداقة قادمة معه ومع أولاده في الإمارات بعد أن أصبحت رئيساً لليمن الديموقراطية.

وبالفعل، تحول الإضراب إلى حدث بارز في المنطقة، وقد أضرب بعض السجناء عن الطعام تضامناً معنا، ما اضطرّ محكمة الولاية إلى أن تقرر براءتنا من تهم التحريض على التظاهر. إلا أن السلطات ماطلت في تنفيذ قرار المحكمة، واستمر هذا بين أخذ ورد، غير أنها عادت وأطلقت سراح الجميع، لكنها استبقتني أنا في السجن، هذا مع العلم بأنها كانت قد برأتني من تهمة مراسلة حسين الجابري حول التظاهرات، إذ ثبت لها بطلان الرسالة وزورها. وأتذكر أنه عندما علم مدير معارف دثينة الشيخ عبد الله منصور بسجني والإضراب عن الطعام، قال لهم: قدموا له الطعام والماء، فردّوا عليه أنه رفض ما لم يُفرَج عنه: «فقال لهم: حاولوا معه مرة ثانية، فأكدوا أنه رفض أيضاً، فقال الشيخ عبد الله منصور ما قصرت معه اعطوا له حجار»، وكان يبدو أنه لأول مرة يسمع عن الإضراب عن الطعام، وكان الشيخ عبد الله يثق بي كثيراً ويأتمنني على ختمه الذي يوّقع به رسائله كمدير للمعارف ويحفظه في جيبه أو كمره ولا يخرج إلا بحضوري، وخاصة في ما يتعلق بالمراسلات الخاصة بالمعارف، وكان مكتبه يقع بين مكتبي ومكتب مشرف التعليم في ولاية دثينة الصديق سعيد عثمان عشال، وكان بينه وبين والد سعيد خلافات قديمة، ولهذا كان يرفض أن يمسك ختمه سعيد عثمان حتى لا يختم به رسالة أخرى، وكان يمسك بيدي ويده عندما نضع الختم على الرسالة وهو يقول ويردد دائماً: «انتبه عليه يا الحسني لأني أخاف من بن عثمان»، وكان سعيد يضحك عندما يسمع مثل هذا الكلام، وكان يقول له: «معك الله يا عم عبد الله».



**عبد الله منصور وبجانبه القاضي محمد جعفر السقاف في جلسة محاكمة أمام القاضي على الطريقة المحلية**

وقد قرأت مذكرات نوبار باشا وختم محمد علي باشا الذي كان يحفظه في جيبه ليلاً ونهاراً، وكان مكتوباً عليه «أنا محمد علي باشا الكبير»، وكان يختم به على أهم الأحداث التي شهدتها مصر من حروب وسلام واتفاقيات وبناء وتعمير. وشهدت مصر في عهده نهضة كبرى، وامتدّ حدود حكمه إلى السودان والحبشة وجزيرة العرب وبلاد الشام وتركيا، حيث وصلت قوات ابنه القائد إبراهيم إلى مشارف إسطنبول قبل أن يضع الغرب حداً لطموحاته ويعود نفوذه إلى حدود مصر

وقصورها، وكان لا يقرأ ولا يكتب كعمّنا عبد الله الذي لا يقرأ ولا يكتب ولا يبصر، ولكن لا مجال للمقارنة بين هاتين الشخصيتين وختميهما.

بقيت ستة أشهر في السجن أتنقل بين سجن مودية وسجن القليتة الذي يقع في مركز الشرطة الذي بُني عام ١٩٤٨، ضمن ملابسات وردود فعل ما زلت أذكرها وأحتفظ بوثائقها، وهي قد طرحت قضيتين «تهمتين» إضافيتين بحقي، على «مجلس الولاية»، فقرر في ٢٨/ ٨/ ١٩٦٣ تغريمي بخمسمئة شلن فضلاً عن الغرامات التي سبق أن غُرّم بها كل المعتقلين.



**بُني هذا المركز في القليتة عام ١٩٤٨ كما نشاهد في هذه الصورة**

في الواقع لم أكن أتشبث كثيراً - من جانبي - بموضوع الإفراج عني من السجن. كل ما كان يشغلني وألحّ عليه، أن أفضح مزوري الرسالة المشار إليها، حتى إنني رفضت مغادرة السجن قبل أن يكشف رسمياً عن حقيقة الرسالة ويلقى المسؤولون عنها جزاءهم. وبمرور الأيام تحولت قضيتي من قضية رسالة مزورة إلى قضية سياسية تتفاعل وتأخذ مداها، فيما كانت هذه المحطة النضالية هي المناسبة لبروز التنظيم على الملأ. وللمرة الأولى أيضاً، ظهرت أسماؤنا على نطاق واسع، وكانت المرة الأولى التي أسمع فيها اسمي من إذاعة صنعاء وصوت العرب، وأصبحنا محطّ الأنظار، ما يُلقي على كاهلنا أعباءً كبيرة، ولا نعرف ما إذا سنكون في مستوى التحدي.

وهكذا فقد أعلن زملائي المدرسون تضامنهم معي، وبعثوا بمذكرات عدة، وعلى فترات

متعاقبة، بينها التي رفعها «مدرسو معارف ولاية دثينة» إلى نائب الولاية يطالبون فيها «بإطلاق سراحي بأسرع ما يمكن والتحقيق في أسباب سجني» بينما أطلق الطلاب التظاهرات التي تطالب بالإفراج عني، وهددوا بالإضراب عن الدراسة حتى يُفرَج عني.

## إلى وزير المعارف

كانت رسائلي إلى وزير المعارف بمثابة مناشير حرصت على أن يصل ما فيها من معلومات إلى زملائي المدرسين والمواطنين، وكنت أطالبه بأن يأمر السلطات المحلية بـ«إرسال الدعوى والإجابة والحكم والورقة المزورة لترى نوع المهزلة التي صنعت ضدي»، أو التأكيد أن المحكمة المدنية قضت ببراءتي يوم ٢١/ ٧/ ١٩٦٣ بعد أن عجزت عن إثبات دعواه الكاذبة والملفقة، أو الإصرار على أن «كل ما أريد من سيادة الوزير هو التحقيق في الورقة المزورة والمؤرخة في ١/ ٦/ ١٩٦٣ «لأن براءتي من التهمة هي شرف عظيم للوزارة وموظفيها».

وكان آخر كتاب وجهته إلى وزير المعارف في ٤/ ١٠/ ١٩٦٣، حيث بلغ الضغط على السلطات أقصاه تضامناً معي، فوافقت أخيراً على إطلاق سراحي، ولكن بـ«شروط»، فأشعرت الوزير بأنني تسلمت رسالة استفزازية من السلطات، «إذا لم أخرج من السجن حسب شروط نائب ولاية دثينة في رسالته، فإنه سوف يفصلني من العمل»، وأنا أؤكد لك أنه لا يهمني هذا النوع من التهديد.

هذه الرسالة وجّهها إليّ مدير أمن ولاية دثينة محمد عبد الله القفعي بتاريخ ١/ ١٠/ ١٩٦٣، وكانت السلطات قد استولت على جميع الوثائق التي بحوزتي، ثم أعيدت إليّ بعد الإفراج عني، وطلب مني تقديم ضمانة حسن سلوك من أجل بقائي مديراً لمدرسة مودية، وقد رفضت ذلك وغادرت إلى عدن، وبعدها قررت وزارة المعارف نقلي إلى سلطنة لحج كمدرس في المدرسة المحسنية في الحوطة.

## الخروج من السجن

أطلق سراحي من السجن قبل يومين فقط من اندلاع الثورة المسلحة من جبال ردفان عام ١٩٦٣، وقد كان للصديق سعيد عشال، وكان يومها مشرفاً للتعليم في ولاية دثينة، دور طيب لا يمكن أن أنساه، رغم تراكم الأحداث والمسالك المختلفة التي باعدتنا.

حين اندلعت الثورة قدرت أن المرحلة المقبلة هي مرحلة الجد حقاً، سواء على الصعيد الشخصي أو الوطني، وهذا يتطلب مزيداً من المتابعة والجهد والتأمل. مرة أخرى سألت نفسي في نوع من «المشاكسة» عمّا إذا كنت حقاً مقتنعاً بهذا الطريق الوعر الذي أسلكه، أو مستعداً لتحمل مشاقه وتبعاته، أو جديراً بالانتساب إليه، فأمهل نفسي الجواب، وأحذر أن أرد على أسئلة النفس بعاطفة أو عجالة، فأجدني في نهاية الأمر عند نقطة اللاعودة عمّا مضيت إليه، وكأنني كنت أجدد عقلي وعاطفتي معاً، دون أن يرد في ذهني، ولو للحظة، أني أبحث عن مجازاة أو منفعة أو منصب، بل كنت أضع الموت والشهادة في سبيل قضية شعبي ووطني في مقدمة ما أتوقع مواجهته، وما كنت أعد نفسي له مع باقي المناضلين.

انتقل مجال عملي إلى السلطنة اللحجية بالحوطة، وأدى دوراً في هذا القرار والاختيار الأستاذ محمد هادي عوض الذي كان يشغل منصباً كبيراً في وزارة المعارف الاتحادية، وكان وثيق الصلة بحركة القوميين العرب التي كلفتني تحمل مهامات العمل التنظيمي في لحج.

**يقول المناضل محمد سعيد مصعبين في ذكرياته عن تلك الأيام:**

كان على فيصل الشعبي العودة إلى القاهرة لاستكمال دراسته، لكن قبل سفره إلى مصر نقل صلاحياته في الحركة – فرع لحج إلى الأخ علي ناصر محمد، وقال إن الأخ علي ناصر محمد سيكون مسؤولاً عن فرع الحركة في لحج، وسيكون صلة الوصل مع قيادة الحركة في عدن، وقد رتب فيصل لقاءً جمعنا مع علي ناصر وتعارفنا، وكان ذلك في نهاية ديسمبر عام ١٩٦٣، وبعدها وجدنا في الأخ علي ناصر شاباً ثائراً متحمساً للقومية العربية اشد الحماسة، وقضى في لحج ما يقارب العام، حيث كان مدرساً في المدرسة المحسنية وقتها قبل أن ينتقل إلى تعز للالتحاق بجبهات القتال، وخلال فترة تولي الأخ علي ناصر محمد (عتيق) مسؤولية


المناضل علي عبد العليم

الخلية القيادية الأولى في لحج دُمجت مع الخلية الثانية مؤقتاً[٧]، وكانت الخلية الأولى تتكون من علي عبد العليم ومحمد سعيد مصعبين وأحمد صالح السلَّامي، والخلية الثانية تتكون من عوض ناصر صدقة ومحمد عُباد الحسيني ومنصور علي مثنى ومحمد صالح بغازي وعايش عوض سعيد، وكان لدينا حينها أكثر من مكان سري للاجتماعات على طول لحج وعرضها، منها منزل القيادي البارز علي عبد العليم، وكثير من المساكن السرية التي كانت تجري فيها اللقاءات.

وتحدث المناضل محمد سعيد مصعبين في مذكراته عن مشروع «السنت» حيث قال: لقد تقدمت السلطات اللحجية بمشروع (السنت الواحد للتعليم الاهلي)[٨] وقد نجح هذا المشروع وفتحت عدة مدارس في مختلف أنحاء لحج والصبيحة. وآخر مدرسة ثانوية أُنشئت في عهد الثورة كانت في طور الباحة، عندما كان علي ناصر محافظاً للمحافظة الثانية (ما تسمى اليوم بلحج) وكنت حينها محاسباً عاماً للمحافظة. وكان هذا العمل من أروع الأعمال الوطنية التي استفاد منها المواطنون في الصبيحة.

## لحج... ساحة أخرى للنضال

حوطة لحج هي عاصمة السلطنة العبدلية، و«العبادل» ينسبون إلى الشيخ فضل بن علي العبدلي مؤسس السلطنة العبدلية (١١٤٥هـ)، وأطلق لقب (عبادل) على جميع آل سلطنته من يومئذ، وهي البلاد اللحجية جميعها من أرض الحواشب شمالاً إلى عدن جنوباً، ومن معادن غرباً إلى حدود أبين شرقاً.

---

(٧) تنظيم الجبهة القومية في لحج كان يقوده الإخوة عوض ناصر صدقة والسيد أحمد خميس وعبده صالح الزيدي ومنصورعلي مثنى محمد عُباد وأحمد عُباد وعبد الواحد عبدالله عُباد وعبد القادرعلي ناصر ومحمد صالح علي بغازي (رمضان) ومحمود الشريف وأحمد محمد غالب الصوفي ومنصور أحمد هادي امهوب وعيدروس علي عيدروس وكثيرون جداً مثل البشم.

(٨) مشروع السنت الواحد: فرضت السلطات اللحجية مبالغ مالية كرسوم (سنت واحد على كل ١ كغ قطن) استفادت منه في دعم مشاريع التعليم من بناء مدارس وإيفاد الطلبة للدراسة في الخارج، وقد طبقت السلطنة الفضلية في أبين مشروع السنت لدعم مشاريع التعليم.






**منظر من حوطة لحج عام ١٩٣٦**

وقد استقل العبادل بسلطتهم عن الحكومة المركزية في صنعاء أيام حكم الأئمة، وهذه الأسرة من العبادل أنجبت عدداً لا بأس به من السلاطين الشجعان والمثقفين والشعراء، أبرزهم الشاعر والفنان الأمير أحمد فضل العبدلي(٩)، الشهير بالقومندان، والذي وضع عدداً من المؤلفات، من أبرزها كتابه «هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن»، وكُتَيِّب «فصل الخطاب في إباحة العود والرباب» وديوانه الشهير «المصدر المفيد في غناء لحج الجديد»، وتقديراً لدوره شاعراً وفناناً وأميراً، فقد كلفت الجهات المختصة إعادة طباعة الكتابين الأول والأخير في بيروت وعدن عام ١٩٨٢ و١٩٨٣، وقد واجهت نقداً من بعض العناصر المتطرفين الذين كانوا يعدونه من العهد البائد، ولكنني لم أتفق مع هذا الرأي، فقد خلّد نفسه ووطنه وشعبه بأجمل وأروع الأشعار والأغاني والألحان التي لم يجُد الزمن بمثلها حتى الآن، فقد كان الأمير فلتة من فلتات الزمن في عصره. وهما من الكتب النادرة التي يصعب العثور عليها في المكتبة اليمنية أو العربية آنذاك.

ويُعَد الأمير أحمد فضل بن علي بن محسن العبدلي (القومندان) أبرز المجددين للأغنية اللحجية، وهو يتغنى في العديد من الأغاني في ديوانه المشار إليه بلحج، بالطبيعة الجميلة والخلابة فيها، وهو العارف بأسرار الأرض ومواسم الزرع والحصد.

---

(٩) ولد في مدينة الحوطة عاصمة سلطنة لحج عام ١٣٠٢ هـ - ١٨٨٤، وتوفي عام ١٩٤٣.

## عذوبة اللسان

عند وصولنا إلى الحوطة[١٠] حدثنا الشيخ محمد علي العقربي[١١] فقال: «إنك تتعلم من سكانها روح البساطة ومن شبابها خفة الدم ومن رجالها روح النكتة، ومن أناسها عذوبة اللسان، ومن سادتها شغف المعرفة ومن عاميتها حب الطرب والغناء، وممن تبقى فيها أسرار الحكمة ومن أمرائها أناقة الملبس ولذة العيش وأرستقراطية الحديث». كذلك حدثنا عن سلسلة من الصراعات والتطورات التي شهدتها لحج بعد وفاة السلطان عبد الكريم فضل عام ١٩٤٧، حيث انتخب آنذاك فضل عبد الكريم[١٢] سلطاناً على لحج وبلاد الصبّيحة، وجرت محاولات لاغتياله من قبل بعض الأمراء، ومنها محاولة الاغتيال التي قام بها علي محمد سعد الذي أصابه في عينه ورجله، وأفقده توازنه وثقته بمن حوله من الذين كانوا ينادون بالإصلاحات في السلطنة، كإصدار دستور وقيام مجلسين تشريعي وتنفيذي، وكان هذا الأول من نوعه في الجزيرة والخليج، وقد كُلِّفَ الشيخ محمد علي العقربي مع عدد من الشخصيات إعداد الدستور، وافتتح لأول مرة مجلساً تشريعياً[١٣] يوم ٣١/ ٥/ ١٩٥١. وبسبب الصراع على السلطة، اتهم السلطان بأنه عطَّل الدستور، ونَفَى أخاه الأمير علي عبد الكريم إلى عدن وآخرين إلى جزر سيشل، وطالب بإدخال لحج إلى الجامعة العربية دون علم السلطات البريطانية، وقد رُفِضَ طلبه لأنه غير واقعي، واتُّهِمَ بجلد عدد من المواطنين والزواج بأكثر من ٣٠ امرأة، وقَتْلِ الأميرين حسن بن علي وأحمد مهدي، ما أدى إلى اتفاق الأسرة والمندوب السامي على عزله، وعندما علم بنية المندوب السامي البريطاني تجاهه غادر لحج يوم ٢٠ أبريل ١٩٥٢ عند الساعة العاشرة مساءً إلى المملكة المتوكلية، وبغيابه

---

(١٠) أول من اتخذ الحوطة عاصمة لحج عمال الإمام المتوكل والإمام المنصور، وكان لهم فيها دار حمادي ودار عبد الله المعروفين بموضعيهما هنالك إلى الآن، ولما استقل بالبلاد الشيخ فضل بن علي العبدلي سنة ١١٤٥هـ أقرها عاصمة لملكه ونقل عائلته من المجحفة إليها.

(١١) والد صديقي الأستاذ حسن العقربي الذي كان مدرساً معنا في المدرسة المحسنية بالحوطة حتى عام ١٩٦٤.

(١٢) ولد عام ١٩٠١.

(١٣) ضم كلاً من محمد علي الجفري – السيد حسن جعفر السقاف – الأمير محسن بن عبد الرحمن – صالح عبد الله بامعافى – عبد المنتصر – أحمد عبد الرب العزيبي – فضل منصور البان – سيف أحمد السلَّامي – الأمير عبد الله محمد – الشيخ محمد العقربي – الأمير علي أحمد منصر.

كُلِّفَ الشيخ محمد علي العقربي مدير الأمن ورئيس المجلس التشريعي إدارة السلطنة، وبعد ذلك شكل مجلس وصاية[١٤] انتُخب فيه علي عبد الكريم سلطاناً للحج في ٥/ ٦/ ١٩٥٢. وبعد سنوات من حكمه وبسبب مواقفه الوطنية وعلاقته بالرابطة وملاحقة سلطات الاحتلال له، هرب إلى مصر، فانتخب فضل بن علي سلطاناً على لحج حتى عام ١٩٥٧.

أنجبت لحج الخضيرة أيضاً العديد من قادة الثورة والجبهة القومية من أمثال: قحطان محمد الشعبي، الأمين العام للجبهة وأول رئيس للجمهورية بعد الاستقلال في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧، وفيصل عبد اللطيف الشعبي عضو اللجنة التنفيذية للجبهة ورئيس الوزراء في ثاني حكومة تتشكل بعد الاستقلال، وسالم زين محمد، وعلي أحمد سلامي، وعلي عبد العليم، وسيف العزيبي، ومحمد سعيد مصعبين، وأحمد سالم عبيد، ومحمد عيدروس يحيى، وعوض محمد جعفر، وعلي جاحص، ومحمد عُباد الحسيني، وعوض ناصر صدقة، وأحمد خميس، ومنصور علي مثنى، وأحمد فضل اليماني، وعايش، وعبد القادر علي ناصر، وعبد الرحمن أنور، وعبد الله عيدروس وغيرهم من الشخصيات التي لها انتماءات سياسية أخرى، كخالد فضل منصور وحسن السلَّامي وفضل عاطف وأحمد عُبَاد الحسيني وسالم حجيري وعلي عبد العليم بانافع وعبد الواحد عبد الله عُباد ومنصور مثنى وأحمد صالح السلَّامي وأحمد خميس وفضل كليب وعلي سالم هيثم ومحمد صالح العزيبي وعبد الكريم هيثم وعبد القادر علي ناصر وعبد الله حسين مساوى وعبد الله عبد السلام وعبد الرحمن أنور وفضل جابر اليماني ووالي جابر اليماني ويحيى محمد شايف اليماني وعلي محسن النينو.

ومن الشخصيات التي برزت في لحج، قادة رابطة أبناء الجنوب العربي، السلطان علي عبد الكريم، والأساتذة محمد علي الجفري، وعبد الله علي الجفري، وعثمان الأصفري، ومحمد علي الدغم، وعلي بن علي شكري.

غير أن لحجاً أنجبت واحداً من أشهر الشعراء العرب، هو المخزومي عمر بن أبي ربيعة الذي تنتمي والدته إلى هذه المنطقة. وفي العصر الحديث أنجبت شعراء يشار إليهم بالبنان، من أمثال: الأمير أحمد فضل القومندان، وهو بحق أمير شعراء عصره، وقد خلّده المغنون

(١٤) من الأمير فضل بن أحمد بن فضل - الأمير علي بن عبد الكريم - السيد حسن بن جعفر (قاضي لحج) - الشيخ درويش بن أحمد عمر.

بترداده‍م أشعاره وألحانه. وعبد الله هادي سبيت، وصالح نصيب(١٥)، وحمود نعمان، ومسرور مبروك، وأحمد سيف ثابت، ومهدي علي حمدون، وأحمد صالح عيسى، وسالم زين عدس، ومحمود علي السلّامي، وصالح مهدي وغيرهم.






وقد أدى الشعراء والفنانون في عدن والمحميات دوراً مهماً في النضال ضد الاستعمار البريطاني، حيث دعوا شعراً ونثراً وغناءً إلى حمل السلاح وإلى رفض قيام الاتحاد الفيدرالي. وأتذكر عندما كنت مدرساً في لحج عام ١٩٦٣-١٩٦٤ أنني التقيت بعدد من الشعراء والفنانين وحدثوني عن الشاعر عبد الله هادي سبيت وقصيدته «يا شاكي السلاح» وصالح فقيه حول قصيدته ضد الاتحاد الفيدرالي.

كنا نمرّ في شارع الحوطة الوحيد ودار عبد الله ودار سعد ونحن نسمع عبر مكبرات الصوت في المطاعم والمقاهي ومقايل القات هذه الأناشيد والأغاني الحماسية دون خوف من السلطات، وكذا الأغاني العاطفية مثل «يا باهي الجبين»(١٦)، وهي من كلمات هادي سبيت وغناء محمد صالح حمدون، وغيرها من الأغنيات التي تتغزل بلحج والحسيني.

---

(١٥) من مواليد عام ١٩٣٦.

(١٦) يا باهي الجبين يا باهي الجبين... كم مرت سنين؟... وانا في انين !... ليلي من بحين... قالوا مستحيل... تحظى بالقليل... خذ غيره بديل... قلت لهم منين؟.... من غيرك منى قلبي يطَفي لوعتي... من ذا يشبهك؟... يا ذي انته بأشجاني تسيل دمعتي... هب عمري معك.. واالأنه تطول... والاه كم تقول... بس ياهل الفضول... حبيته وباه... مابالقى كماه... دور له منين؟ وقد اختتمها الشاعر بالمقطع الآتي: ما نسمع كلام... ما نعرف ملام... نحيى في هيام... ليت الوصل دام... ليت الدهر نام يا باهي الجبين، وكانت هذه الاغنية من اشهر الاغاني العاطفية في فترة الخمسينيات من القرن العشرين المنصرم.

ومن فناني لحج المشهورين، إضافة إلى القومندان: فضل محمد اللحجي، وحمودي عطيري، وحسن عطا، وأحمد يوسف الزبيدي، وفيصل علوي، ومحمد صالح حمدون، ومحمد سعد الصنعاني، وعبد الكريم توفيق، ومهدي درويش، وسعودي أحمد صالح، وفضل كريدي، وأحمد تكرير وغيرهم من فناني الغناء في لحج واليمن.

وقد تعرفت إلى الأستاذ والفنان الكبير حسن عطا في المدرسة المحسنية بالحوطة التي كان يديرها عبد الله باسويد ويشرف عليها التربوي عبد الجواد البنداري من مصر، وكان الفنان حسن عطا قد تحدث معي عن ذكرياته وأغانيه وألحانه وأنه خرج من منزله في إحدى الليالي، وكان يسير في شارع الحوطة ذهاباً وإياباً وهو يفكر في لحن لكلمات الشاعر حسين عبد الباري ويدندن بصوته ويضرب بعصاه الأرض ومن الدندنة ودقات العصا التي كان يستخدمها طلع له لحن جميل (ثلاث دقات دقتين ثلاث دقات) لأغنية «منقب صدفة لاقيته وكيف يا قلب حبيته ومن بين الخضيرة عبر جاني عبيره ويتدلع بسيره ويسبح في حريره» وعاد إلى المنزل فوراً ومسك العود وغنى ولحن أغنيته العاطفية الجميلة والمشهورة في الستينيات:





الفنان حسن عطا

**منقب صدفة لاقيته**

**وكيف يا قلب حبيته**

**عجب مسرع تلقيته**

**وغيره ما تلقيت**

**ومن بين الخضيرة**

**عبر جاني عبيره**

**ويدلع بسيره**

**ويسبح في حريره**

***

لحج الفن والفُل والكاذي، الروضة الغنَّاء بالألحان الشجية التي تَّغنى بها القومندان كثيراً في أشعاره وأغانيه حيث يقول في إحداها: «واقتسمنا المحبة قسم وافي عبدلي ما دخل فينا عزيبي ولا بان».

لحج البخور والعطور والفل والكاذي وبستان الحسيني، جنة القومندان، والذي تولاه بالرعاية والعناية ثم أخذ ينظم فيه الشعر ويصوغ منه أعذب الألحان(١٧) فقال:

«في الحسيني جناين والرمادة زراعة»

كان الأمير القومندان يعتني به وبأشجاره وثماره التي جمعها من كل أنحاء العالم، فكان يسمح للجميع بقطف ثماره الناضجة أو التي تقع على الارض، أما الثمار غير الناضجة، فلا يسمح بذلك، حتى إنه في أحد الأيام شاهد رجلاً يقطف ثمرة غير ناضجة فسجنه، وجاء السلطان عبد الكريم فضل وطالب بالإفراج عنه فقال له الأمير أحمد: أنا لا آخذ من مال السلطنة ولا أتدخل في أموركم، فأنا أعمل مع الفلاحين، والذي يقطع الشجرة أو الثمرة فكأنه يجرحني شخصياً.

وقد ارتبطت بصداقة وعلاقة مع أسرة عُباد الحسيني، وفي مقدمتهم أحمد ومحمد وعبد الله الذين أصروا على أن أعيش معهم في منزلهم أو خلوتهم كما يسمونها، وهي تقع في قلب دار عبد الله الذي يسكنه بعض أمراء لحج.


محمد عُباد الحسيني

وكان هذا المنزل يبعد أمتاراً عن منزل العائلة التي اعتبرتني أحد افرادها ورفضوا أن أدفع مالاً إيجاراً للغرفة أو ثمناً للأكل، ولكن كنت أصرّ على ذلك، وهم للأمانة لم يأخذوا مني أكثر مما يجب أو يلزم، وكانت الحياة بسيطة وجميلة، ونحن نفترش الأرض عند النوم في سطح المنزل ونشمّ رائحة الفل والكاذي من البيوت المجاورة، ونقتسم الرغيف (الكدر) ونتناول الأرزّ. وأتذكر أننا كنا نأكله مع القطيب (الحقين) الذي

(١٧) الذي سمي بالحسيني لوقوعه في وادي حسان.

لم نتعود عليه في دثينة، ولم أنسَ طوال حياتي هذه الذكرى الجميلة لهذه الأسرة التي كنت أتردد على زيارتها بعد أن أصبحت رئيساً للبلاد، وهذا ما ذكره المرحوم الأستاذ عبد الواحد عبد الله عباد(١٨) في شذرات من كتابه:

## شهادة أعتزّ بها

«علمنا التاريخ أن من الرجال من يؤثّرون فيه، ويكون لأدوارهم فعل يغير ويبدل مجرى التاريخ رغم هياج سيله الجارف.. والاعتقاد أن من يقف أمام الأمواج المتلاطمة لا محالة تلقي بمن يقف أمامها حياً.. إما ميتاً تجرفه ذروة الأمواج إلى الشاطئ، أو جريحاً على أقل تقدير؛ وهذا نادر جداً».

وهنا أنظر إلى شخصية تاريخية فذة وعظيمة وقفت دون هوادة، تتحدى التاريخ بكل أمواجه وأعاصيره ورياحه وأمواجه الهادرة الهائجة، لتقهر التاريخ ولتحدد له موقفاً تجبره على أن يقف فيه؛ فتبطل بذلك كبرياءه وعنجهيته، وتقول له: قف أيها التاريخ، ودعني أحدد لك معالم الطريق الذي يجب أن تسير فيه. وتردد هذه الشخصية قولها الموجه للتاريخ: إن كانت كبرياؤك ونحن على غفلة منك، وفرضت موقفاً معيناً ووضعاً معيناً، إلا أنك لا تستطيع معي أن تكرر مآسيك، فقد قرأناك كما نقرأ كتاباً من غلافه الأول إلى الغلاف الأخير منك.

- هكذا أرى علي ناصر محمد الحسني يتجسد هذه الشخصية التي تحاور وتجادل التاريخ.
- عام ١٩٦٤، شهر يناير، أول مرة أعرفه؛ وحينها كان عمري لا يتجاوز الثامنة عشرة. أخبرني عمومتي أنه من قيادات حركة القوميين العرب، والآن هو قيادي في الجبهة القومية، وهو قائد المنطقة الوسطى في جنوب اليمن حينها، في إطار الحركة الوطنية التي اتخذت من أسلوب الكفاح المسلح طريقاً للخلاص من نير الاستعمار البريطاني والكيانات السلاطينية الموالية له.

---

(١٨) تقلد الكثير من المناصب التربوية، وكان آخرها نائباً لوزير التربية والتعليم في جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية.

- كنت أصغر سناً منه، رغم أني قد انخرطت في صفوف الجبهة القومية، مؤمناً بالكفاح المسلح طريقاً وحيداً لتحرير جنوب اليمن من الاستعمار والسلاطين. كنت أنظر إليه بإعجاب شديد في نشاطه وفي ثباته، في مشيته وحركته في الصباح وهو ذاهب إلى المدرسة المحسنية العبدلية بالحوطة المحروسة بالله. ولم يكن لي الحظ الكبير في الجلوس معه عندما يكون مع عمومتي، إذ تمنعني سني من ذلك، كما تمنعني سرية العمل الوطني.

- أصدقائي ورفاقي في العمل، الذين هم في المستوى العمري والتنظيمي لي، يقولون: هذا علي ناصر الحسني صديق عمومتي، وكل هؤلاء معجب بحيوية هذا الشخص ونشاطه وتوثبه الدائم وحسن هندامه ووسامته.

- هو من المنطقة الوسطى (مودية). الاستغراب يعتري الكل. كيف لهذا الذي أتى من بلاد البدو أن يكون بهذه الوسامة والخفة والنشاط والتوثب في مشيته وأنه متمرس بالرياضة البدنية والعقلية؟

- عندما التقينا به مرة، وكان يتحدث في بيتنا (الخلوة)، وهو ملك أمي، ويأخذ غذاءه من منزل الأسرة (أسرة عُباد الحسيني) ويجري التعامل معه كأنه أحد أفراد الأسرة. ولكني أذكر أنه كان يدفع مقابل ذلك، ولكن أسرة عُباد بن علي بن طالب الحسيني لن تأخذ منه أكثر مما يجب ويلزم. هذا اعتقادي، والله أعلم في ذلك.

- في عام ١٩٦٧ - في الثلاثين من نوفمبر - انتصرت الثورة، وكان علي ناصر محمد أحد قادتها، ولم يلبث أن تدرَّج في مناصب عدة، رئيساً للوزراء، ثم أميناً عاماً ورئيساً للدولة ورئيساً للوزراء.

- عام ١٩٧٩ - ١٩٨٥ شهدت اليمن الديموقراطية بقيادة الرئيس الأمين رئيس الوزراء عهداً مزدهراً. كل من يتحدث عن هذه الفترة يعرفها بهذه الرفاهية والتطور وانفتاح مجتمع اليمن الديمقراطي واستقراره.

- كل شعب اليمن الديموقراطية (جنوب اليمن سابقاً) يعرفون هذه الفترة التاريخية بأنها فترة الازدهار والاستقرار والأمن والأمان حتى الآن، وعلى من يشك في ذلك أن يتأكد.


عبد الجواد البنداري

بعد شهادة عبد الواحد عباد، أحد تلاميذ المدرسة المحسنية، أعود للحديث عن مدينة الحوطة التي اخترتها مكاناً ألقن فيه تلاميذي الجدد الدروس بعد تجربة السجن والنفي التي تعرضت لها في دثينة، وقد أشرف على تأسيس هذه المدرسة البعثة التعليمية المصرية التي عملت في مدينة لحج في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي بناءً على اتفاقية التعاون التربوي والتعليمي بين الحكومة المصرية وسلطنة لحج، وعمل الأستاذ عبد الجواد البنداري مستشاراً لإدارة المعارف ونائباً للتعليم في لحج.

والحوطة ثاني أكبر مدينة بعد عدن في المحميات الغربية. وأهلها يحبون الفن، ويميلون إلى السخرية وإلقاء النكات ونقد كل ما لا يرضيهم. فهم أكثر ذكاءً وثقافة وعمقاً من سكان المناطق المجاورة لها، باستثناء الوهط التي يسكنها معظم السادة الذين ينتمون بنسبهم إلى بيت النبي (ص) وهم الذين يتولون تنصيب السلاطين العبادل لكي يصبحوا حُكاماً على السلطنة العبدلية. وقد أنجبت الوهط في هذا القرن عمر الجاوي، أبو بكر السقاف، سالم زين ومحمد جعفر زين، وعدداً من المثقفين المعُارضين، وكأن الله خلقهم ليعارضوا الإنكليز والسلاطين وحكام الجنوب والشمال قبل إعلان الوحدة وبعدها. فهم لا يقبلون الضيم ولا يرضون بالظلم. تكمن قوتهم في وضوح وقوة أفكارهم، وجرأة أقلامهم وألسنتهم. وينسب إلى أحد السلاطين الذين ضاق ذرعاً بمعارضتهم قوله: «لأجعلنّ من جلودهم أحذية!!».

## فردوس لحج

كانت لحج بالنسبة إليّ فردوساً، ومجتمعاً مدنياً مسالماً، أنا القادم من منطقة أو قرية تطحنها الحروب القبلية، وأحياناً لا تكون هذه الحروب بين قبائل متنافسة، بل بين أفراد القبيلة الواحدة، والأسرة الواحدة، وغالباً ما يكون سبب الصراع وما يعقبه من حروب طاحنة خلافاً على الأرض، أو المراعي، أو النساء، أو الحدود الفاصلة بين أراضي قبيلتين متجاورتين أو حتى جارين. وقد ألحقت هذه الحروب القبلية والأسرية أضراراً بالغة بالزراعة والاستقرار والسكان، وهم أهم ثروة.

والجهل هو الآخر، سبب مباشر في كل هذه المتاعب. حيث لم يتكون بعد بصورة نهائية الحسّ الوطني والشخصية الوطنية الواحدة. فالناس يعتبرون أن الأرض التي يملكونها هي آخر حدودهم ومنتهاها، والقرية التي يسكنونها، والمنطقة أو القبيلة التي ينتمون إليها ومراعي الابل والغنم التي يعرفون حدودها. ولهذا فالإنسان هنا يموت لأتفه سبب، وأحياناً بلا سبب واضح يستوجب ذلك. وقد يكون ذلك بسبب كلمة، أو تحريك حجر بين أرضين زراعيتين متجاورتين، إذ يعد ذلك تعدياً على حدود الجار. وفي كل الحالات، فإن القتال والسلاح يكونان حاضرين قبل الحوار والتفاهم والحلول السلمية.

أتذكر أول مرة شاهدت فيها بعضاً من أفراد قبيلتنا يقتتلون، وكان السبب في ذلك خلافاً على قطعة أرض، لا ماء فيها ولا كلأ. وكان كل واحد منهم يتهم الآخر بأنه نقل الحدّ (عبارة عن حجر) من موقعه إلى موقع آخر. وقد خرجوا بعد ظهر ذلك اليوم إلى موقع الأرض، وكان كل واحد يتهم الآخر بأنه اقتطع جزءاً من الأرض. ارتفعت المشادة من الكلام إلى السباب والشتائم، وتطورت إلى الخناجر التي خرجت من أغمادها لتستقر في أجسام هؤلاء الجياع، العراة وانبثقت منها الدماء مثل النوافير. وكانوا يفعلون ذلك بقسوة، ووحشية شديدتين متناسين رابطة الدم والأخوة. وقد سقط الجميع على الأرض مخضَّبين بدمائهم حتى صاروا عاجزين عن القتال أو حتى عن إنقاذ أنفسهم، فتقدمت إليهم أقدم يد المساعدة، وتمكنت من نقلهم إلى مستشفى مودية لإنقاذ حياتهم، وقد فارق أحدهم الحياة متأثراً بجروحه، ومات آخر بعد سنوات من هذه الحادثة بسبب الجرح الغائر الذي سببه خنجر اخترق موقعاً حساساً من جسمه. وكان بين المقاتلين رجل طعن عمه (والد زوجته) فرد هذا بطعنة موجهها إلى صدر زوج ابنته.

كان النساء والأولاد يصيحون، ويبكون ويندبون حظهم على فقد الرجال من أجل هذه الأرض العاقر التي لا تُسقى إلا مرة في السنة، وأحياناً بعد ثلاث سنوات. وأحياناً كثيرة يخرج الناس لصلاة الاستسقاء طلباً للغيث خلف الشيخ حسين درامة، وكان رجلاً وسيماً، ذكياً، يضع على رأسه عمامة بيضاء جميلة، وهو الوحيد الذي درس الفقه والشريعة في مدينة تريم بحضرموت. وبسبب مكانته الدينية المعنوية هذه، فقد كان مقبولاً للحكم بين القبائل المتخاصمة. وكان صديقاً للشيخ علي هادي، الرجل الذكي والداهية. وكان الشيخ حسين درامة بمثابة مستشار لشيخ قبيلة آل منصور، وكان عندما يغضب يقول إن الخير بيده اليمنى

والشر بيده اليُسرى. وهو الذي كان يصلي بالناس في صلاة الاستسقاء عندما تشحّ الأمطار السنوية، بعكس لحج الخضيرة التي تأتيها الأمطار والسيول من جبال شمال اليمن سنوياً، فتسقي هذه الأرض الخصبة التي تمتلئ بالبساتين مثل بستان الحسيني والرمادة وغيرهما من الأودية والأراضي الخضراء. هذه هي محطتي الجديدة التي سينطلق منها نشاطي السياسي، ومنها إلى تعز بعد ذلك.

## تحت الرقابة

في لحج التي انتقلت إليها كنت تحت رقابة السلطات، شأني شأن رفاقي في الحركة، أمثال علي عبد العليم، ومحمد سعيد مصعبين، وعوض ناصر صدقة، ومحمد عُباد الحسيني، وأحمد خميس، ومنصور علي مثنى، وهمام عائش وسواهم، على أن تلك الرقابة «أفادتنا» في توخي الحذر الشديد وإتقان العمل السري والعثور على أساليب متنوعة لنشاطنا وعدم الاقتصار على شكل واحد، وساعدتنا في ذلك ضوابط العمل التنظيمي في الحركة، تلك الضوابط الخاصة بالصلات «الحزبية» وضرورات التمويه على الشرطة لحماية التنظيم من الاختراق أو التصفية.

لم تكن مشكلتنا كتنظيم لحركة القوميين العرب في لحج تتمثل فقط في مراقبة السلطات لنا وتشديدها علينا، بل كانت مشكلتنا الكبرى في طبيعة حكام لحج. ولا بد أن ينعكس هذا الواقع سلباً في عدم توسع نشاط الحركة، وعلى التلاميذ الذين ندرّسهم، وقد كانوا نهباً لسوء التغذية والأمراض، تنطق وجوه بعض تلاميذ الحوطة بالإعياء والشقاء. وذات يوم سقط أحد التلاميذ مغشياً عليه، وغاب عن الوعي، فنقلناه إلى الطبيب، وهناك عرفنا أنه لم يتناول الفطور، لأن أهله لم يكونوا يملكون فلساً واحداً! وهذا لا يعني أن الوضع عندنا في دثينة وغيرها من المحميات أفضل من سكان الحوطة وسلطنة لحج.

هذا الحادث أثّر فيّ تأثيراً عميقاً، وصرف ذاكرتي إلى الظروف التي مرت بها عائلتي يوم كانت صعوبات المعيشة تلقي علينا، صغاراً وكباراً، ظلالها الصعبة، وهكذا رحت أتلمّس معاني اجتماعية لكراهيتي العميقة للاستعمار وللظلم الاجتماعي، فأربط في ما بينها جميعاً لأكوِّن صورة عن عدالة النضال الذي أنا منخرط فيه ومشروعيته.

ولكن هذا لا ينفي عن سلاطين لحج أنهم كانوا أول من أدخل نظام الري الحديث إليها[١٩]، ونظام الإدارة الحديثة، وأول من أرسل البعثات التعليمية إلى مصر وبعض البلدان الأخرى، وأول من استقبل بعثة مصرية للتدريس في مدارس لحج، شأنها في ذلك شأن سلطنتي القعيطي والكثيري في حضرموت، اللتين أدخل إليهما السلطان صالح بن عوض القعيطي إصلاحات إدارية وتعليمية كثيرة. وكانت فيهما بعثات تدريسية من السودان، وبعثات طلابية إلى السودان، وشجع الفن والفنانين الذين كانوا يشدون بأصواتهم الأناشيد الوطنية والعاطفية.

وركّز شباب الحركة الوطنية، «في ما بعد شباب حركة القوميين العرب»، نشاطهم على الجوانب الثقافية والاجتماعية والرياضية، وأوجدوا بمرور الأيام مناخاً سياسياً متقدماً، معارضاً للاحتلال وللتخلف وللسلطات المحلية. واستطاعوا أن يؤسسوا النوادي وأن يكونوا على رأسها. وتعيدني الذاكرة إلى ذلك النشاط الواسع في السلطنة الفضلية، ودور سالم ربيع علي الرائد فيه. ففي أوائل الستينيات، وبخاصة بعد قيام ثورة سبتمبر، تطوّر العمل الشبابي الوطني في هذا الميدان، فأصبح سالم ربيع رئيساً لنادي «الاتحاد» الفضلي، وقبل هذا انتُخب رئيساً للجنة الرياضية الفضلية اليافعية التي تضمّ ستة نوادٍ في السلطنة، ولم يكن ذلك الموقع الذي احتله من قبيل «التعيين» أو «التنصيب» أو ضمن «صفقة»، بل فاز به في انتخابات مباشرة أجراها الأعضاء دونما تدخّل بالنظر لسمعته الوطنية بين أوساط الشباب، وحماسته للعمل والمتابعة وتحقيق إنجازات للنشاط الرياضي والاجتماعي.

كان نادي الاتحاد في الواقع مقراً لمنظمة حركة القوميين العرب، وقد قام بدور بارز في توجيه تحركات موظفي السلطنة في ذلك الوقت، وكان هذا أمراً غريباً لا يمكن أن تقبله السلطة والضابط السياسي البريطاني، فلجأ إلى اقتحام النادي ومنزل ناصر صدح، وقد نشرت جريدة «الثورة» الصادرة في تعز في منتصف نيسان/ أبريل ١٩٦٣ أخباراً إضافية عن الإضراب والحملة الإرهابية التي طاولت نادي الاتحاد وبيوت أعضاء الحركة في أبين.

(١٩) تقدر مساحة الأرض الزراعية والصالحة للزراعة بـ٣٠ ألف فدان.

# الفصل السادس

## خيار الكفاح المسلح

إلى تعز وصنعاء والبيضاء وغيرها من المدن تتدفق مجاميع كبيرة من المتطوعين من أبناء الجنوب المحتل للدفاع عن ثورة ٢٦ سبتمبر. بالرجال وبالمال لإنشاء البنك اليمني للإنشاء والتعمير.

مزارعون، مثقفون، جنود، عمال، طلاب، مهاجرون من العاملين في بلدان الخليج وغيرها، كلهم يتقدمون للقيام بالواجب الوطني، بنخوة عروبية أصيلة.

لن أتحدث عن النزعة العفوية، الأصيلة، للدفاع عن ثورة سبتمبر، فها هي ذي المؤشرات الجنينية الأولى للكفاح المسلح ضد الاحتلال البريطاني في الجنوب، والنجاحات الأولى للمدافعين عن الحكم الجمهوري.

إلا أن أهم ما في هذا السياق هو الاستعداد للكفاح المسلح ضد الإنكليز، حيث التقطت حركة القوميين العرب هذا المزاج وطرحته فوراً على مائدة البحث والمناقشة دون الاستغراق طويلاً في البحث النظري عن مستلزماته، أو القفز على الواقع وصعوباته. كان قحطان الشعبي يطرح فكرة الكفاح المسلح في الجنوب منذ مارس ١٩٥٩ على قيادة حركة القوميين العرب، كان ذلك أول مرة بحضور كل من فيصل عبد اللطيف، وسالم زين محمد، وطه أحمد مقبل، وسيف الضالعي، وعلي أحمد السلّامي. وقد اخبرني بذلك شخصياً في لقاء لي بدمشق بتاريخ ٣١/ ١٠/ ١٩٩٠ السيد جهاد ضاحي، أحد قادة الحركة ووزير المواصلات في حكومة الوحدة المصرية السورية. وكانت قيادة الحركة، ممثلة بجورج حبش وهاني الهندي وجهاد ضاحي، تؤيد فكرة الكفاح المسلح، على نقيض محسن إبراهيم

الذي كان يرفض الفكرة ويسخر منها، ما دعا قحطان الشعبي إلى الاستشاطة غضباً من سخرية محسن إبراهيم الذي كان من مؤيدي النضال السلمي، وقال له: «إن الجماهير والقبائل اليمنية ترى أننا، المثقفين (المبنطلين)، لا نستطيع أن نكافح الاستعمار، وأننا نصلح فقط للكلام و(الهدرة) والهندمة»! فضحك كل الحاضرين.

وقد ذكر لي هذه الواقعة الأستاذ هاني الهندي، وابتسم وهو يرويها، وظهرت على وجهه علائم السرور، إذ تذكر هذا التاريخ المجيد بعد الصراعات والهزائم التي مُنيت بها الأمة العربية، وكان يحمل بعض آثار الجراح من العملية التي دبرها «الموساد» ضده في قبرص. أما المحامي جهاد ضاحي، الذي يتسم بالشجاعة والصراحة في الرأي، فقد تذكر أن لقاء قحطان مع قيادة الحركة حصل في مكتب للحركة فُتح في دمشق في عام ١٩٥٩ باسم الخليج والجنوب العربي، وأن المكتب ظل مفتوحاً إلى يوم الانفصال وجرى إغلاقه ومصادرة وثائقه. ونظر نحو هاني الهندي وقال له: «أليس كذلك أخي أبا محمود؟!».

في المقابل، كان حزب الشعب الاشتراكي، وهو الواجهة السياسية للحركة الوطنية في الجنوب، يواصل نهج التأني والتريث وإدارة المواقف السياسية بنوع من اللين والمرونة، ما شكّل أول محطة للافتراق عن قاعدته الشعبية التي كسبها في ظل شرعية العمل السياسي، حتى إنه طرح برنامج الحل التفاوضي وإجلاء البريطانيين بالأساليب السياسية التقليدية وحدها، التي فقدت ما بقي من فاعليتها في ما بعد مع دخول القوات البريطانية طرفاً في الصراع إلى جانب الملكيين في مواجهة الجمهوريين.

### أفول سياسة التفاوض

تبلورت شعارات، الكفاح المسلح - مقابل أفول سياسة التفاوض - وتطورت وقائع الصراع بين جمهورية سبتمبر والقوى الملكية وحلفائها، وحدث أيضاً نوع من الفرز السياسي في الجنوب: إذ تشبثت بعض القيادات بحزب الشعب، وتعاملت معه كممثل للحركة الوطنية الجنوبية دون أدنى اعتبار لحقيقة أن فرع حركة القوميين العرب في الجنوب لا يتولى فقط تعبئة الشعب حول شعارات ثورة سبتمبر ومواجهة سياسة المحتلين وتحركاتهم لمصلحة الملكيين، بل ينظّم حملات التطوع ويقود الكثير من المجموعات

المسلحة للدفاع عن الثورة. في هذا الوقت، راح كل من الحزب والحركة يندفعان باتجاه سياسي يعاكس الآخر. وقد أورد فيصل عبد اللطيف الذي أصبح ثاني رئيس وزراء لحكومة اليمن الجنوبية بعد الاستقلال في «أضواء على الثورة في الجنوب اليمني» حقائق لافتة بشأن هذه المسألة وسواها[1]، ومنها الفكرة التي أرى أنها لا تزال تحتفظ بأهميتها الراهنة، إذ يقول:

«بقيام الثورة في صنعاء، كان لا بد لكل تنظيم ثوري في الجنوب، أن يتساءل ما هو دوره في تحرير الجنوب، فكما وضح من الاستعراض السريع لكل العوامل الداخلية منها والعربية والدولية، كلها كانت مواتية للثورة، وكان يدفع لضرورة المبادرة الثورية لكون الاستعمار أخذ يشدد ويكثف مساندته للملكيين، كما أخذ يعدّ العدة ليضع حلمه في إقامة دولة الجنوب العربي التابعة له موضع التنفيذ، ولم يكن ينقص التحرك الثوري إلا توافر الأداة الثورية التي تتحمل مسؤولية تفجير الثورة والسير بها. كانت الأحزاب السياسية والمنظمات موزعة على الشكل الآتي:

**أولاً**: أحزاب سياسية علنية:

١ - أحزاب مرتبطة بمخططات الاستعمار بشأن مستقبل عدن والجنوب.

٢ - أحزاب ترى أن وضع عدن المتقدم يحتم انفصالها ويميزها عن الإمارات الأخرى.

٣ - أحزاب جنوبية على مستوى الجنوب، مرتبطة بطموحات بعض السلاطين وتلتقيهم في إقامة «دولة الجنوب العربي كتابعة لبريطانيا».

٤ - حزب الشعب الذي كان ينادي بوحدة إقليم اليمن، ويحظى بتأييد شعبي، وإن كان محصوراً تنظيمياً داخل عدن نفسها، ويحظى بتأييد عربي وسمعة دولية طيبة.

**ثانياً**: منظمات سرية:

١ - مرتبطة بتنظيمات قومية تعدّ امتداداً لها في عدن، واستطاع بعضها أن يصل في تنظيماته إلى المحميات.

٢ - محلية متفرقة في مستوى المحميات وبعضها في عدن، تؤمن بالخط العربي التحرري.

وكان واضحاً أن حزب الشعب هو الوحيد من بين الأحزاب السياسية العلنية المهيأ لأن

(١) فيصل عبد اللطيف: أضواء على الثورة في الجنوب اليمني، ص٢٤-٢٥.

يستفيد من كل الظروف المواتية للثورة، ذلك أن ما عداه من الأحزاب العلنية كان الشعب قد أدانها لعمالتها أو لانفصاليتها». انتهى كلام فيصل عبد اللطيف.

## الإعداد للكفاح المسلح في الجنوب

في الأشهر الأولى التي أعقبت ثورة سبتمبر عُقدت لقاءات عديدة بين الشخصيات والهيئات الوطنية الجنوبية في صنعاء، وقد ساهم ممثلو حزب الشعب في تلك اللقاءات التي تمحورت حول البحث عن صيغة مناسبة للعمل الوطني المشترك، ورسم المهمات التي تواجه اليمن في تلك الظروف. ومضت تلك اللقاءات بوتيرة متسارعة على إيقاع اندفاع الحرب الأهلية في الشمال ووصول القوات المصرية المتزايدة للقتال إلى جانب الجمهورية، غير أن الإجراءات البريطانية المحمومة لدمج عدن في الكيان الاتحادي، وإقامة «اتحاد الجنوب العربي» قد أعطت تلك اللقاءات بُعداً معيناً حين طُرح الموقف العملي من الوجود الاستعماري وأفضل الأساليب المتاحة لمواجهته وإجلائه. فقد تبيّن بمرور الأيام أن ثمة اختلافات في الصف الوطني بهذا الصدد مرشحة للتعمق والتداعي والصراع، وبخاصة بعد أن افتتح مجلس الاتحاد الجديد في ١٦/ ١/ ١٩٦٣ حيث أصرت قيادة حزب الشعب على استبعاد العنف لإجلاء البريطانيين والتمسك بأساليب المفاوضات العقيمة، في وقت دخل فيه التحالف بين البريطانيين ومجموعة السلاطين والساسة العدنيين المحافظين مرحلة من الانشقاقات، بتأثير نتائج ثورة سبتمبر وتنامي التعاطف الشعبي معها.

## المؤتمر الشعبي بدار السعادة

وكان من الطبيعي أن تؤدي تلك اللقاءات الجانبية إلى إطار أو أفكار أو تصور لما ينبغي عمله. وهكذا تبلورت فكرة عقد مؤتمر شعبي تحضره الشخصيات والهيئات الوطنية المعنية لوضع صيغة التحرك والإطار السياسي. في ٢٤ شباط/ فبراير ١٩٦٣ انعقد المؤتمر الشعبي بدار السعادة في صنعاء، وحضره عدد كبير من القيادات السياسية والعسكريين ورجال القبائل المقاومة ضد الاستعمار وممثلون للطلاب والمهاجرين والعمال. وكان واضحاً أن ثقل حركة القوميين العرب في المؤتمر كان مميزاً وحيوياً، ما ساعد في نجاح المؤتمر بالوصول إلى إقامة تنظيم وطني باسم «جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل» وتشكيل لجنة تحضيرية له من أحد

عشر عضواً، مهمتها مواصلة العمل في إعداد وثائق العمل السياسي وقيادة النشاط الوطني الراهن، وتشكلت اللجنة من قحطان الشعبي[٢]، ناصر السقاف، وعبد الله المجعلي[٣].

ولا يمكنني هنا أن أتجاهل الدور المرموق الذي كان للسيد ناصر السقاف في الإعداد للمؤتمر وتعبئة المندوبين واختيارهم، فقد كان، بحق، كتلة من النشاط والحركة، وكان اسمه على كل لسان، وبقي إلى سنوات طويلة أحد أبرز رموز الكفاح الوطني ضد الاحتلال.

وعلى مدى أثني عشر يوماً كانت اللجنة التحضيرية للجبهة في اجتماعات متواصلة مضنية انتهت في أوائل آذار/ مارس، إلى وضع صياغة نهائية لـ«الميثاق القومي» ويتضمن إعلاناً سياسياً وبرنامجاً. وكان من النتائج المباشرة أن أبعد من اللجنة التحضيرية كل من عبد الله المجعلي وعيدروس قاضي ممثل حزب الشعب الاشتراكي الذي رفض فكرة الكفاح المسلح ضد الوجود البريطاني.

وفي مضمون رسالة اللجنة التحضيرية إلى الرئيس عبد الله السلال، ثمة كثير من الدلالات السياسية، حيث تمنت رعاية الجبهة ودعمها والسماح لها بفتح مكتب في تعز وإتاحة إمكانات العمل الإعلامي أمامها، ومساعدتها مالياً لتواصل نشاطها ودعمها النظام الجمهوري. وعلى هامش هذه المسألة قدمت مذكرة إلى الرئيس السلال تضمنت مطالب القبائل الوطنية الجنوبية، وقد وقعها العديد من ممثلي تلك القبائل، وهي تعرض واقع حال النشاط الوطني لتلك القبائل والصعوبات التي تواجهها، والتي تصل إلى حد التضييق.

أما قيادة حزب الشعب الاشتراكي، فلم تقتنع بفكرة الكفاح المسلح، وقد أخفقت الجهود التي بذلتها قيادات حركة القوميين العرب في تليين مواقفها ودفعها إلى حمل السلاح في وجه المستعمر البريطاني، وكان أقصى ما عبرت عنه بهذا الصدد أنها «تمنّت النجاح» لمن يبدأ خطوة الكفاح المسلح، غير أن دعاءها بالنجاح «لم يكن مخلصاً بقدر ما كان يحمل توقعاً بأن المعركة ستقضي على من سيبادر إلى تفجيرها» كما قال فيصل عبد اللطيف.

(٢) عين مستشاراً لرئيس الجمهورية العربية اليمنية المشير عبد الله السلال بدرجة وزير عند تشكيل ثاني حكومة للثورة، وبعد إنشاء مكتب لشؤون الجنوب تستلم المناضل قحطان الشعبي رئاسة هذا المكتب.

(٣) وكل من: محمد علي الصماتي، ثابت علي المنصوري، محمد أحمد الدقم، بخيت مليط، أحمد عبد الله العولقي، عيدروس حسين قاضي، علي محمد الكازمي، وعبد الله محمد الصلاحي.

ومن المناسب أن نتذكر أن قيادة حزب الشعب الاشتراكي لم تكن موحدة تماماً في قرار معارضة أسلوب الكفاح المسلح. فثمة قيادات تتعاطف معه، وثمة كثير من الأطر والقواعد والأنصار يقفون مع ضرورة الثورة المسلحة لإجلاء البريطانيين، وقد انخرطت أعداد منهم في تشكيلات الثورة المسلحة في وقت لاحق، فيما دفع الحزب ضريبة موقفه المعارض.

وقد كان الإعلان السياسي الذي أصدره اجتماع مارس للجنة التحضيرية قد انطلق من أرضية صحيحة حين طالب «الهيئات العاملة بجد في الحقل الوطني في الجنوب بأن تنهض بواجب إحداث تعديل في واقعها التنظيمي وأسلوب نضالها وطريقة تعاملها بعضها مع بعض». كذلك استشرف الإعلان الاحتمالات القائمة في ظل الصراع الملتهب، فأشار إلى أنه «من المنتظر أن يعمد الاستعمار البريطاني إلى منح الاستقلال الشكلي لهذه الدويلة مستقبلاً، في سبيل تعميق تجزئة الإقليم اليمني والوحدة العربية الاشتراكية، بعد أن يتيح الفرصة لدعاة الانفصالية والتجزئة العربية ليأتوا إلى الحكم».

## الميثاق القومي (فبراير ١٩٦٣)

لامس «الميثاق القومي» أكثر القضايا السياسية أهمية، من بين ما تواجهه حركة التحرر في الجنوب، وكان يمكن أن يتعمق هذا الخط، في رأيي، لولا الاعتبارات ذات الصلة بعلاقة فرع حركة القوميين العرب بالمركز، إذ فرض هذا الاعتبار إدخال بعض الصيغ والمفاهيم على ديباجة الميثاق، ما يعارض الواقع: ليس من منظور الواقع الراهن في الجنوب فحسب، بل من منظور المرحلة السياسية القائمة في ذلك الوقت بالذات. ولا أجد مناصاً من الاستدراك والقول إن اعتبارات العلاقة والتبعية للمركز ليست وحدها التي أساءت إلى حركة النضال التحرري وفرضت عليها مساراً معقداً، بل إن دور الرموز القيادية (المركزية) لحركة القوميين العرب كان له، هو الآخر، الأثر السيّئ في هذا السياق، رغم التفاوت بين هذا «الرمز» أو ذاك في تجاهل الخصائص الذاتية والمحلية و«المزاجية» الفكرية والواقعية لحركة التحرر في الجنوب. وأفترض أنني أشير هنا إلى أدوار كل من نايف حواتمة وجورج حبش وهاني الهندي ومحسن إبراهيم، دون أن تقلل هذه الملاحظة من شأن علاقتي بهم، أو من إبداء إعجابي بنشاطهم القومي المبكر الذي انتهى بتدمير حركة القوميين العرب على

أيديهم بسبب حالة التطرف والمزايدات التي شهدتها الحركة منذ نهاية الستينيات وبداية السبعينيات، وانتقال الحركة إلى مواقع اليسار المتطرف، متنكرة بذلك لتاريخها ومبادئها القومية، وناقلة بلا تبصر تجارب الآخرين في بعض دول المعسكر الاشتراكي من غير مراعاة الخصائص وواقع المجتمع العربي، ما أدى إلى انتهاء فروع الحركة في مختلف أنحاء الوطن العربي.

لقد أدخلت هذه الاعتبارات أحكاماً قاسية على فكر النضال الوطني المعادي للاحتلال البريطاني، وأثقلت «الميثاق القومي» بالتزامات لا معقولة، مثل تحقيق «الوحدة العربية الاشتراكية» أو «القضاء على أوكار الرجعية في الجزيرة العربية، وعلى المصالح الاستعمارية في الخليج»، وحماية الثورة في الشمال من «الرجعية والاستعمار والانتهازية والشيوعية المحلية»، والدعوة إلى «فتح النار على هذه الفئات وسحقها وتقويضها نهائياً».

لكن الميثاق القومي - مقابل ذلك - عبّر عن هموم النضال الوطني للجنوب اليمني وموجباته لأجل التحرير، واضعاً تحرير الجنوب (بما فيه جزر كوريا موريا وكمران وميون والجزر المقابلة لساحل اليمن) بصفته «مطلباً حيوياً تستدعيه متطلبات المعركة العربية، فضلاً عن كونها مطلباً شعبياً»، ومؤكداً أهمية «تعبئة الجماهير وإعدادها ثورياً» وإبقاء الباب مفتوحاً أمام الهيئات والقوى الوطنية و«توحيد القوى العاملة ضمن الخط القومي العربي الاشتراكي»، إذ إن «مما يؤسف له أنه في الوقت الذي تقف فيه القوى المعادية لشعبنا هذا الموقف المستميت للقضاء على ثورته، تقف أطراف القضية الوطنية متباعدة متنافرة في عملها».

إلا أن هذا الميثاق يستدرك فيشير إلى أن تحقيق أهداف الشعب وحماية ثورة سبتمبر لا يقوم «إلا بإقامة جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل، وإننا لنأمل أن تلتقي كل الهيئات والقبائل المؤمنة بوحدة اليمن والوحدة العربية الاشتراكية في جبهة تحرير الجنوب حتى تحقق هذه الأهداف».

ويبدو أن هذا التناقض بين الدعوة إلى وحدة عمل الهيئات الوطنية والدعوة إلى ضمها إلى «جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل»، أي إلحاقها أو تذويبها بالجبهة، جاء في الإطار الذي

يرفض الحزبية، أو التعددية، وذلك ينسجم مع كل مَن نهج السياسة المصرية آنذاك في الموقف من الأحزاب والحزبية، ونهج السلطة الثورية في صنعاء بهذا الصدد. ولكن قيادة الجبهة لم تكن، حتى ذلك الوقت، قد عزمت على الاستئثار بالعمل السياسي، ولم تكن مجموعة القوميين العرب في قوام القيادة قد طرحت، ولو نظرياً، فكرة إزاحة حلفائها في الجبهة، بل كانت ترى أن الجبهة نفسها يمكن أن تكون إطاراً لاستيعاب الفعاليات السياسية الثورية العاملة.

## الجبهة القومية

في ١٩ أغسطس ١٩٦٣ عقدت اللجنة التحضيرية اجتماعاً مهماً وحاسماً قضى بتغيير اسم التنظيم إلى «**الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل**»، لينسجم الاسم بذلك مع مضامين الوثائق السياسية، وقد شكل الاجتماع هيئة قيادية للجبهة من اثني عشر عضواً، مناصفة بين حركة القوميين العرب وقطاع القبائل. وسارعت حركة القوميين العرب (المركز) إلى تأييد انبثاق الجبهة وخطها السياسي، فيما استقبلت الجماهير هذا الإعلان بالارتياح والتعاطف.

ومنذ الأيام الأولى راحت تتشكل قاعدة الجبهة الاجتماعية، كما المواقف السياسية والفكرية بتأثير مصدرين «مباشرين»، أولهما حركة القوميين العرب وفرعها في اليمن، بشعاراتها وسياساتها وأفكارها، وثانيهما التشكيلات الثورية المحلية التي اتحدت في إطار الجبهة.

تكونت الجبهة القومية في بادئ الأمر من اتحاد سبعة تنظيمات محلية هي: فرع حركة القوميين العرب، الجبهة الناصرية[٤]، المنظمة الثورية لجنوب اليمن المحتل، الجبهة الوطنية، التشكيل السري للضباط والجنود الأحرار، جبهة الإصلاح اليافعية، وتشكيل القبائل. وفي وقت لاحق انضمت إلى الجبهة ثلاثة تنظيمات محلية هي: التنظيم العدني للطليعة الثورية، ومنظمة شباب المهرة والمنظمة الثورية لشباب جنوب اليمن المحتل. وليس سراً أن الكثير من هذه التنظيمات كانت إما بقيادة أعضاء في حركة القوميين العرب، أو

---

(٤) أبو بكر علي شفيق، سعيد عمر العكبري، احمد هبة الله علي، محمد علي حيدرة، محمد احمد باشماخ، عبد الرحمن فارع، خالد عبد الله قاسم (خالد هندي)، علي الشيخ سعيد العراقي، علي صالح علي بيضاني، محمد عبد الله طيطي، عبد الله أحمد الحمزي، صلاح الدين عبد الرحمن دبعي، أسعد بن أسعد طاهر، حسين شيخ العزيبي، عبد الله بن عبد الله حسين، عبده شعبي، خالد محمد سعيد المفلحي. المصدر: أبو بكر شفيق.

هي واجهات للحركة في مجالات معينة، أو هي فروع «حزبية» للحركة مثل تنظيم «الضباط والجنود الأحرار» و«المنظمة الثورية» أو من الأصدقاء والأنصار للحركة.

لكن التأثير الذاتي الأكثر ثقلاً على طابع الجبهة كان يأتي من قاعدتها الاجتماعية التي يغلب عليها المنشأ الريفي وجمهرة المثقفين والطلاب وعمال المدن والفلاحين والجنود. وقد ساعد هذا الامتداد الاجتماعي على عزل كبار المشايخ والشرائح والشخصيات والزعامات الغنية والمحافظة، عن قيادة الجبهة، والتأثير في تطورها الفكري والسياسي اللاحق. كان هناك حاجة، بلا شك، لوجود تلك الشخصيات والفرقاء في قوام الجبهة، حرصاً على تشكيل أرضية واسعة ضد الاحتلال. وكان لا بد من استمرار مشاركتها في العمل السياسي لفترة أطول، غير أن جزءاً كبيراً من مسؤولية انكفائها إلى خارج إطار الثورة إنما يقع على عاتقها هي بالذات. ولم يكن بعضهم مقتنعاً، وبعضهم التحق بالثورة تحت ضغط الحركة الشعبية والمتغيرات من حولها وبالنضال ضد الوجود الاستعماري، ولقد سعت لتحويل الثورة إلى سُلم يتيح لها ارتقاء المراكز، وإلى سياج يحمي مصالحها الضيقة، وورقة تفرض عبرها سلطتها وامتيازاتها.

في وقت لاحق من إعلان قيام الجبهة القومية(٥)، أذاع راديو صنعاء النبأ، وأذاع أيضاً البيان التأسيسي، وكان لهذا دلالات سياسية وصدى كبير في وقت كانت قيادات معينة في النظام الجمهوري تعارض فكرة الكفاح المسلح ضد الإنكليز. وكانت بذلك تقترب أو «تتطابق» في رؤيتها مع حزب الشعب الاشتراكي. ويبدو أن موقف قيادة الجمهورية الرسمي هذا، وكذلك الموافقة المبدئية على فتح مكتب للجبهة في تعز - رغم أنه لم يفتح عملياً - كان من نتائج زيارة الرئيس جمال عبد الناصر لصنعاء.

## بيان التأسيس

أعلن بيان التأسيس «أن تطلعاتنا في اليمن الجنوبي المحتل دخلت الآن مرحلة تتطلب تغييرات أساسية في وسائل النضال من أجل تحقيق الاستقلال الناجز والتغلب على الإمبريالية، ونقطة الضعف الأساسية هي فقدان التنسيق في نضالات اليمن الجنوبي ككل،

---

(٥) ويقول الأستاذ علي السلاَّمي: ان الذي أطلق اسم الجبهة القومية هو المناضل عوض حامد.

والسبب الرئيسي لذلك هو فقدان القيادة المشتركة للعمل الوطني في عدن والإمارات، وثمة سبب آخر، هو أن معظم المنظمات السياسية تقصر نشاطها على عدن، وأنها تجتمع معاً لمجرد المعارضة المشتركة».

واتخذ البيان موقفاً مناهضاً للشيوعية بوضعها في صف واحد مع أعداء حركة التحرر اليمنية، انعكاساً لمرحلة الصراع بين الحركة القومية والحركة الشيوعية في ذلك الوقت. ولكن البيان استبعد أن تكون الجبهة إطاراً حزبياً ضيقاً، حتى إنه أكد أنها ليست تنظيماً سياسياً، ولا تقودها أية قوة سياسية كانت، وأنها مفتوحة أمام كل وطني يؤمن بالكفاح المسلح وأمام أي تنظيم يود المشاركة فيها، بشرط واحد هو أن يقبل الانصهار داخل الجبهة القومية.

ولم يكن هذا التأكيد من غير معنى. فقد أخذ بالاعتبار ازدراء الشعب الأطر «الحزبية» التي ابتذلت في مواقفها. وكانت، في الوقت عينه، محاولة لمجاراة النزعة المعادية لفكرة الأحزاب في كل من القاهرة وصنعاء إزاء حركة القوميين العرب. وبكلمة أخرى، فقد كان البيان حذراً ومرناً ومسؤولاً، خلافاً لتلك الانتقادات المجانية التي راحت تنتشر عن «اليمين» و«اليسار» في مراحل لاحقة.

لا بد لمن يقرأ وثائق الجبهة المبكرة أن يلاحظ التراجع المتواتر عن انتقاد «الشيوعية» أو «الماركسية». ويبدو أن عملية التراجع كانت تحصل ضمن ضغط مستويين من التطورات: المستوى الأول يتمثل في ما يجري على صعيد حركة القوميين العرب مركزياً من صراع ينتهي دائماً إلى إعادة النظر في الموقف من الفكر الاشتراكي «العلمي» وأحزابه ومنابره. المستوى الثاني ينبع من عملية الفرز الداخلي على صعيد الثورة على الوجود البريطاني من جهة، ومن دراما الحرب الأهلية في اليمن من جهة أخرى، حيث ألحقت الهزيمة بالأفكار الوسطية أو اللاثورية، فضلاً عن كومة الانتقاد للفكر الشيوعي أو الاشتراكي «العلمي». ومن الواضح أن التطورات اللاحقة تكفلت بإزاحة آخر هوامش الانتقادات للحركة الشيوعية، بل وفتحت الطريق لتحالف وطيد بين حركة القوميين العرب والحركة الشيوعية العربية، وكذلك بين الجبهة القومية والفصائل الشيوعية والماركسية المحلية بقيادة عبد الله باذيب.

ولا بد لي في هذا الاستدراك أن أعيد إلى الذاكرة الدور البارز لعبد الله باذيب مؤسس «الاتحاد

الشعبي الديمقراطي» في الجنوب اليمني بصدد إنضاج فكرة التحالف وعوامله ثم الاندماج في تنظيم موحد بين فصائل العمل الوطني، لكن هذا لم يحصل إلا بعد نيل الاستقلال بسنوات، إلا أن قيام الجبهة القومية لم يكن ليحقق رضى بعض أطراف الحركة السياسية في الجنوب أو ارتياحها، وواجه معارضة خفية وصريحة من جانب بعض الزعامات السياسية في النظام الجمهوري في صنعاء، وبعض القيادات السياسية الجنوبية، بسبب الخلافات التي انتقلت إلى الساحة اليمنية بين الأحزاب القومية في الوطن العربي: البعثية والقومية والناصرية.

## إشكالات مع حكومة الجمهورية العربية اليمنية

كان الموضوع الأول الذي أثار غباراً في الجو السياسي والعلاقة بين الجبهة القومية وحكومة الجمهورية العربية اليمنية يتعلق بفتح مكتب للجبهة في تعز. إذ كان الرئيس السلال قد أبلغ قحطان الشعبي - بحضور ناصر السقاف - بالموافقة المبدئية على فتح المكتب، غير أن رئيس الوزراء حسن العمري أوقف الإجراءات الخاصة بذلك، فأثار حفيظة قحطان الشعبي الذي أوقف موكب العمري في أحد الشوارع في صنعاء ليسأله عن سبب إيقاف الإجراءات، فردّ عليه العمري متسائلاً: «ولماذا لا تأتيني إلى مكتبي؟ إنك «قبيلي مبنطل»! كما روى لي ناصر السقاف.

وليس هذا فحسب، فقد كلفت صحيفة محلية كتابة مقالات تهاجم قحطان الشعبي الذي عُيِّن مستشاراً لرئاسة الجمهورية لشؤون الجنوب المحتل. ووسعت الحملة لتشمل رجال الجبهة القومية الآخرين، واصفة إياهم بـ«لصوص الوطنية». وترافق ذلك مع حملة من التضييق والاعتقالات بحق عناصر الجبهة القومية في مدينة البيضاء، في نطاق الانحياز إلى حزب الشعب الاشتراكي الذي رخصت له حكومة العمري بفتح مكتب في تعز.

أثار هذا الوضع كثيراً من البلبلة السياسية والمخاوف المسوغة إزاء مستقبل النضال الوطني، فبعث عدد من المشايخ الوطنيين والشخصيات والقيادات العسكرية والسياسية(٦)،

---

(٦) بيان إلى الشعب العربي في جنوب اليمن المحتل: شيوخ وأمراء القبائل الثوار وضباط وصف ضباط الجيش الذين رفضوا التعاون مع الاستعمار وعملائه ولبوا نداء الواجب القومي:

عن قطاع القبائل المناضلة: =

برسالة إلى الرئيس جمال عبد الناصر تعرض أوضاع الجنوب المحتل في ظل الاحتلال البريطاني، وتشير إلى الآمال التي فجرها قيام ثورة سبتمبر «حيث أربكت الاستعمار البريطاني في الجنوب وأزعجته كثيراً، ولا سيما أنه رأى ولمس الشعور الثوري الفياض في أبناء الجنوب قاطبة والتأييد المطلق لوحدة التراب اليمني شمالاً وجنوباً والوحدة العربية مع الجمهورية العربية المتحدة». وذكرت الرسالة أن الجبهة القومية حظيت بتأييد «كل القوى في الجنوب ومنها حركة القوميين العرب»، وأن «الأحزاب الوحيدة التي لم تؤيد الجبهة حتى الآن هي حزب البعث الاشتراكي في عدن، وحزب رابطة أبناء الجنوب والأحزاب الإقليمية الأخرى»، وقد «قررنا أن نبدأ المعركة المسلحة ضد الاستعمار البريطاني وعملائه وأعوانه في الجنوب. ونطلب منكم المساعدة المادية والمعنوية، وتوضيح خطنا هذا لدى المسؤولين في الجمهورية العربية اليمنية».

وتضمنت الرسالة طائفة من الشكوك حول سلامة مواقف البعثيين والشيوعيين و«الحزبيين»، وهو ما يتجاوب مع النزعة المصرية السياسية آنذاك.

## رسالة إلى السلال

ووجه أبناء الجنوب المحتل في مدينة قعطبة رسالة إلى الرئيس السلال جاء فيها: «نطالب بسرعة فتح المكتب السياسي لهذه الجبهة التي نعتبرها المنقذ الحقيقي لقضيتنا». وذكرت

= ١- الأمير محمد صالح الحوشبي، ٢- الشيخ منصور محمد عواس، ٣- الشيخ ناصر علوي السقاف، ٤- الشيخ حسن صالح المحرابي، ٥- الشيخ عبد الله محمد ناصر المجعلي، ٦- الشيخ احمد بن نمير العولقي، ٧- الشيخ ناصر محمد السعيدي، ٨- الشيخ علي احمد فضلي، ٩- الشيخ عبد الله الجعري، ١٠- الشيخ سيف مقبل خزام، ١١- الشيخ عبد الله سالم عولقي، ١٢- الشيخ عبد الحميد ناجي محلاوي، ١٣- الشيخ راجح غالب قطيبي، ١٤- الشيخ احمد سالم.

عن قطاع الجيش:

١- الرائد/ محمد احمد الدقم، ٢- الرئيس/ علي محمد حجلع، ٣- ملازم اول/ محمد علي الصامتي، ٤- ملازم اول/ بخيت مليط الحميدي، ٥- ملازم اول/ ثابت علي منصوري، ٦- ملازم اول/ سالم حسين عولقي، ٧- وكيل ضابط/ حسين علي قارص، ٨- رقيب/ ثابت احمد ناشر، ٩- رقيب/ محمد حسين شعوري، ١٠- عريف/ علي محمد شعوري، ١١- عريف/ عبد الله عمر ضلاعي، ١٢- عريف/ صالح قاسم عوذلي، ١٣- عريف/ محمد علي شعوري.

المرجع: وثائق ندوة الثورة اليمنية: الانطلاق التطور آفاق المستقبل، الجزء الثاني ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣(صفحة ٦١١)، صادر عن دائرة التوجيه المعنوي شعبة البحوث والدراسات ٢٠٠٤.

الرسالة في معرض دفاعها عن قحطان الشعبي أنه «الرجل المخلص الثائر من أجل وحدة اليمن، والشخص الذي يستطيع أن يعمل لقضية الجنوب».

وبالمعنى نفسه، وجهت قطاعات الجبهة رسالة أخرى إلى الرئيس السلال.

ووجهت قيادات من قطاع القبائل والجيش رسالة بهذا المعنى أيضاً إلى نائب رئيس الجمهورية، «تطالب بفتح مكتب لجبهة تحرير جنوب اليمن المحتل حسب أمر السيد رئيس الجمهورية»، و«نحن لا نعترف بالأحزاب ولا بمكاتبها أن تمثلنا غير الجبهة القومية»، و«بخصوص إخواننا في البيضاء، لهم سبعة أشهر لم يستلموا معاشاتهم التي قررت لهم من قبل السيد رئيس الجمهورية»... و«نحتج لسجن إخواننا المناضلين في البيضاء» و«إن الأحرار المناضلين من جيش الاتحاد المزيف الذين يتدفقون دوماً للالتحاق بجيش الجمهورية العربية اليمنية يلاقون العراقيل والمتاعب»، وقدم تسعة وعشرون من المشايخ والأمراء الوطنيين تأييدهم لمذكرات أنصار الجبهة القومية.

## دور بارز لناصر السقاف

كان ناصر علوي السقاف وراء هذه الحملة التي خلقت انعطافاً سياسياً مؤثراً لمصلحة الجبهة القومية، وقد أرسل بنفسه مذكرة إلى لجنة الشؤون العربية التابعة لمجلس الرئاسة العربي، عرض خلالها تطورات الوضع في الجنوب اليمني المحتل ووقائع الصراع بين القبائل العربية والاحتلال البريطاني، وتوقفت عند الدور الذي تمارسه «رابطة أبناء الجنوب» في تفتيت وحدة الشعب وإثارة النعرات القبلية «حتى قامت ثورة ٢٦ سبتمبر المباركة، وأحيت آمال الجماهير، ولا سيما بعد أن وضح الاتجاه الذي تسير فيه الثورة».

وعرضت المذكرة الصراع بين حركة القوميين العرب وحزب الشعب الاشتراكي منذ بدايته حتى الأشهر الأولى لقيام الجمهورية في صنعاء، والسياسات الخاطئة لقيادة الحزب بشأن النضال المسلح والتعبئة الشعبية، وأعادت تأكيد المطالب الشعبية التي تتمثل بالمساعدة في ترسيخ الوحدة الوطنية وعدم «تفتيت تجمع القبائل من طريق توزيع الأموال» و«تطلب السماح لنا بفتح مكتب في القاهرة يكون حلقة وصل بين قبائلنا المناضلة و«ج ع م» (الجمهورية العربية المتحدة) بالإضافة إلى المساعدات بالمال والسلاح».

واستغلت الحركات السياسية وصول لجنة تقصي الحقائق المنبثقة من لجنة تصفية الاستعمار والمنبثقة بدورها من الأمم المتحدة إلى صنعاء (رفض الإنكليز استقبالها في عدن) لبحث شؤون الجنوب اليمني المحتل، وذلك في أواخر أيار/ مايو ١٩٦٣، لتتقدم بمذكرات عديدة إلى اللجنة. غير أن ممثلي القبائل الوطنية حاولوا تجنب الاحتكاكات السياسية، فقرروا إعداد مذكرة مستقلة بعيدة عن حركة القوميين العرب أو حزب الشعب الاشتراكي، وقد وقعها ١٤٠ من مشايخ وعقّال تلك القبائل[٧]، وحمل وفد منهم نسخة عنها إلى «السفارة العربية»، كذلك نظموا تظاهرة كبيرة توجهت إلى «دار البشائر» مقر إقامة اللجنة الدولية، وأنابت عنها وفداً قوامه ٢٤ شخصاً من المشايخ والضباط لتقديم المذكرة إلى ممثلي اللجنة. كذلك قدم في الإطار نفسه أبناء الجنوب اليمني في البيضاء من مشايخ وعقّال وأفراد «مذكرة تعرض وضع الشعب اليمني في الجنوب في ظل الاحتلال، وتبدي مخاوف إزاء سفر اللجنة إلى الخارج».

## مذكرة حركة القوميين العرب

أما حركة القوميين العرب، فقد وجهت مذكرة باسم فرعها في الجنوب، عرضت فيها للجنة أوضاع الشعب ومعاناته في ظل الاحتلال، وحذرت في مستهلها من مخططات إقامة «دولة الجنوب العربي»، ثم تناولت الأوضاع القائمة: «إن المخطط الاستعماري في مجال التعليم يستهدف فقط خلق جهاز من الموظفين في الإدارات والشركات الأجنبية»، وفي المجال الصحي «تكفي الإشارة إلى انتشار الأمراض الوبائية بشكل مروع» و«الاستعمار يستغل كل الإيرادات الضخمة التي يدرها ميناء عدن. كذلك يحتكر في القطاع الزراعي كل منتَجات القطن». أما الحريات فلا وجود لها «بالنسبة إلى عدن لا حرية للصحافة، ولا حرية للاجتماعات والإضرابات، ولا حرية للتنظيمات السياسية الحرة». وقد أصدرت الحركة بياناً سياسياً بمناسبة وصول اللجنة الدولية وأشارت فيه إلى مذكراتها السابقة بهذا الصدد.

ومن سجن عدن صدرت مذكرة باسم «منظمة الشباب التقدمي الاشتراكي» حملها ممثل للمنظمة إلى صنعاء، حيث قدمها إلى اللجنة الدولية، وتتضمن دراسة مستفيضة ومعمقة

(٧) ويقال إن سيف مقبل عبد الله القطيبي كان المتحدث أمام لجنة تصفية الاستعمار. المصدر سالم علي ناجي حلبوب في الجزء الرابع من كتاب ندوة الثورة اليمنية.

للأوضاع القائمة في الجنوب، وجاء في مقدمتها: «إن شعبنا في الجنوب اليمني المحتل قد قرر أخذ مصيره بنفسه، وعلى بريطانيا سحب قواتها العسكرية من بلادنا، وفي حالة مماطلة بريطانيا، فإن شعبنا على استعداد لحمل السلاح لتقرير مصيره بتحرير الجنوب اليمني المحتل». وجدير بالذكر أن رئيس اللجنة كان كمبودياً، ويتولى ترجمة المذكرات له الدبلوماسي العراقي عدنان الباجه جي، وقد استحسن مذكرة المنظمة الشبابية طبقاً لما ذكره عبد الله علي مرشد في كتابه «نشوء الحركة النقابية والعمالية في اليمن»، حيث قال رئيس اللجنة عنها: «This is a real document» (إنها وثيقة حقاً).

وإذ أعرض هذه الوقائع، وبالوثائق، فإن ما أتوخاه هو إعادة تشكيل الصورة السياسية التي قضت بأن تتبوأ الجبهة القومية موقع القيادة الجماهيرية. وتقتضي الأمانة هنا أن أقول إن الرئيس عبد الناصر – وربما وحده – كان يقدّر بعمق، الدور الذي ستضطلع به الجبهة القومية مستقبلاً، ولهذا فقد كان صبوراً إزاءها، وأعني إزاء أولئك الذين لم يتبصروا الظروف التي كانت تمرّ بها مصر ويمر بها عبد الناصر، فظلموه بملاحظاتهم وقسوتهم، حيث كان يستحق منهم الإنصاف والعرفان.

لقد تأسست «الجبهة القومية» برئاسة المناضل قحطان الشعبي، إذاً، ودقت أجراس الساعة منذرة بقرب حرب التحرير على الإنكليز ووجودهم الطويل في عدن وبقية المحميات الجنوبية.

# الفصل السابع

## على أبواب الثورة المسلحة

# ردفان الشرارة الأولى

كان يسكن تلك البلدة المغروسة في حضن سلسلة جبلية وعرة، وقراها المتناثرة على السفح والوادي، بضع عشرات الألوف من أبناء ردفان من قبائل القطيبي والعبدلي والمحلائي والداعري والحجيلي والبكري والضنبري، ويحيط بها من كل الجهات طوق من حواضر يافع، الحواشب، الضالع وحالمين.

والردفاني في دفاعه عن نفسه التي تغدو رمزاً للكرامة والبيت والوطن والشرف، لا يتشبث كثيراً بالحياة. فهو مات أو عاش، لا يخسر شيئاً يأسف عليه. ففي الحالتين يكون قد صان سمعته وكرامته. الردفاني صادق بلا حدود، وفيٌّ من غير كلفة، أبيّ بلا أدنى أنانية.

لأجيال عديدة كانت ردفان، بشراً وجبلاً، موضوع أطماع الأجانب وغزواتهم، أو على وجه الدقة كانت مسكونة بالكراهية للغزاة الأجانب. في عام ١٩٠٥ قادهم البطل الوطني «المجنون» إلى قتال البريطانيين. كذلك شهدت السنوات ما بين ١٩٤٠ و١٩٤٨ تمردات قبلية على سلطات الاستعمار والسلاطين الموالين لها. وإن كان قد غلب عليها الطابع القبلي، إلا أنه لم يكن مقطوعاً عن الأسباب والأبعاد والأوضاع السياسية الناشئة عن الاحتلال نفسه. فنذكر على سبيل المثال معركة الحمراء ١٩٤٠، عندما عرف أبناء ردفان بوجود مركز عسكري فيها، تداعوا واتفقوا على عقد اجتماع في (سوق الثلوث) بوادي مسك، واتخذوا قراراً يقضي بالهجوم على المركز في ٢٢ أكتوبر ١٩٤٠، وقد استشهد في هذه المعركة اثنا عشر شهيداً، وقتل من جانب العدو عدد كبير من الجنود، وهرب الآخرون إلى عدن. ويمكن أن نشير هنا إلى إجراءات بريطانيا القمعية في بداية الخمسينيات حين

أقدمت على «نفي» سيف حسن القطيبي، شيخ مشايخ آل قطيب، وقد عزل بعد ذلك بتهمة الصلة مع حكومة أجنبية وعدم تنفيذ أوامر وزير الأمن الداخلي الاتحادي وقطع الطريق بين الضالع وعدن وتشجيع طلبة المدرسة على التظاهر ضد الحكومة الاتحادية، وعينت محله أخاه محمود حسن شيخاً لآل قطيب[١] لفترة وجيزة، وما لبثت أن عملت على إبعاده ونفيه من المنطقة إلى منطقة أحور. وأعقب ذلك القيام بحملة اعتقالات واسعة شملت مجموعة كبيرة من مشايخ وعقّال آل قطيب، لمعارضتهم الانضمام إلى إمارة الضالع ورفض تقديم الرهائن. ومن جانب آخر، نُفي الشيخان عثمان المصفري ومحمد شاهر، وهما من مشايخ الصبيحة، إلى دثينة ولودر والوضيع، كذلك نُفي من دثينة إلى الشط ببلاد الصبيحة أحمد عوض علي، أحد أقاربي، بتهمة التحريض ضد السلطات الاستعمارية، ومحمد ناصر عوض والد عبد الله محمد المجعلي، وصالح حيدرة صالحي وآخرون.

في منتصف الخمسينيات عاد الردفانيون، ومنهم المنفيون، إلى مقاتلة البريطانيين، وفيما راحت تبرز، أكثر فأكثر، الشعارات السياسية الوطنية في مطالبهم وأفكارهم، وقد «دوّخوا» المحتلين واستبسلوا في مقاتلتهم، نقل «جوليان باغيت» انطباع الغزاة عن الردفانيين بـ«أنهم في العادة رماة جيدون بالفطرة، ويتمتعون بقوة ملاحظة»[٢].

## الذئاب الحُمر

وفي سجل أبناء ردفان شهادات لا حصر لها عن روح البطولة المتأصلة فيهم، حيث أقر بها الأعداء قبل الأصدقاء. وليست بعيدة عنا تلك الصفة التي أطلقها العسكريون البريطانيون على مقاتلي الجبهة القومية في تلك الشعاب، وهي «ذئاب ردفان الحمر». جاء في تلغراف أرسله جهاز المخابرات البريطانية في عدن إلى وزارة المستعمرات بعد أسابيع من اندلاع شرارة ردفان في ١٤ أكتوبر ١٩٦٣، إشارة بالغة الدلالة على واقع حال أولئك المقاتلين:

«إن شجاعة رجال القبائل وقدرتهم على مقاومة الأسلحة الحديثة قد ظهرتا بشكل مثير

---

(١) رسالة وزير الأمن الداخلي السلطان صالح بن حسين العوذلي بتاريخ ٢٢ يونيو ١٩٦٣، استناداً إلى المادة ٨٧ من مرسوم حالة الطوارئ لعام ١٩٦٣.

(٢) الفريد هوليداي، المرجع المذكور آنفاً، ص١٤٣.

للإعجاب في هذه المعركة. فقد شنت طائرات «الهنتر» سلسلة من الضربات على مواقع الثوار مستخدمة الصواريخ وقذائف ٨٠ ملم، ولكنها أخفقت تماماً في أن توقف الثوار عن إطلاق النيران إلا لبضع دقائق محدودة. والواقع أنه في إحدى المرات عندما دمرت إحدى الغارات الجوية حصناً إلى قاعه، فإن نيران البنادق لم تتوقف البتة من حصن مجاور آخر لا يبعد أكثر من خمسين ياردة، وفي الوقت نفسه فإن المنشقين سلكوا مسلك الفدائيين الحقيقيين، بمعنى أنهم حاربوا ببسالة كلما كانت المبادأة بأيديهم»[٣].

ولكن...

كيف أشعل أبناء ردفان الأبطال شرارة تلك الثورة ضد الاحتلال البريطاني، وكيف ارتبطت تلك الشرارة الأولى باسم ابنهم الشجاع راجح بن غالب لبوزة؟



**الشهيد راجح بن غالب لبوزة**
**أول شهيد في ثورة أكتوبر عام ١٩٦٣**

وكيف عجز الإنكليز عن نزع فتيل العاصفة وبأيديهم ذلك السلاح كله، وتلك الجيوش الجرارة؟

أستطيع أن أستعيد سرد ذكرياتنا داخل الحركة عن ذلك، فألخصها في ضوء أحاديث ابن الشهيد راجح لبوزة مع ناصر السقاف شاهدها الحيّ بما يأتي: كان الشيخ راجح بن غالب لبوزة أحد الذين انطلقوا مثل الآلاف من أبناء الجنوب للدفاع عن ثورة ٢٦ سبتمبر، وخاض

(٣) سلطان ناجي: التاريخ العسكري لليمن ١٨٣٩-١٩٦٧، دار العودة بيروت ١٩٨٥، ص٢٨٤.

معارك الدفاع عن الجمهورية في المحابشة بقيادة أحمد الكبسي[٤] قائد الحملة العسكرية، ومحمد مطهر، وبعد عودتهم من المعركة في المحابشة والمصراح التقوا المناضل قحطان محمد الشعبي، مستشار شؤون الجنوب، والسيد ناصر السقاف ومحمد علي الصماتي وسيف مقبل وثابت علي المنصوري وعبد الله المجعلي، واتفقوا على العودة إلى الجنوب وإشعال الثورة في الجنوب لتخفيف الضغط العسكري على ثورة ٢٦ سبتمر، وقد عاد راجح بن غالب لبوزة يوم ٢٠/ ٩/ ١٩٦٣ ومعه عدد من الثوار من أبناء القطيبي والعبدلي والبكري والضمبري والمحلاي والداعري والذيباني وقبيلة بني الشيخ وغيرهم بعد أن أكد لهم قحطان محمد الشعبي أنه سيعمل على توفير السلاح والمال لهم في حالة تعرضهم لأي موقف أو مواجهة مع قوات الاحتلال في ردفان.

بعد عودتهم إلى ردفان، وجه الضابط السياسي البريطاني ميلن بالحبيلين إنذاراً لهم بتسليم السلاح وبعدم العودة إلى الجمهورية العربية اليمنية التي تعد من وجهة نظره دولة معادية يجب عدم التعامل معها، وبدفع خمسمئة شلن، أي خمسة وعشرين ديناراً جنوبياً (٧٥ دولاراً). وصادف هذا الإنذار مرور عام على قيام ثورة ٢٦ سبتمبر، وكانت هذه فرصة لدعوة العائدين والتشاور بشأن الإنذار البريطاني والاحتفال معهم بثورة ٢٦ سبتمبر. عُقد الاجتماع في وادي عقيبة، وبعد مشاورات بين العائدين وغيرهم كان ردهم للسلطات البريطانية أن الجمهورية العربية اليمنية ليست دولة أجنبية، وأنكم أنتم الأجانب ونحن لا نعترف بكم وبحكومة اتحاد الجنوب العربي، وطالبوا أيضاً في رسالتهم للضابط السياسي البريطاني ميلن بألاّ تتقدم القوات البريطانية إلى الجبهة، وهي منطقة واقعة بين حبيل جبر والحبيلين، وأنهم لن يسمحوا لهم بدخول هذه المنطقة، كما أكد لي ذلك بالليل بن راجح لبوزة.

بعد تسلم الرسالة، طلب الضابط البريطاني «مستر ميلن» من بعض المشايخ والأعيان في ردفان إحضار راجح بن غالب لبوزة وأصحابه، ولكن هذه المساعي والاتصالات والحوار بين الطرفين لم تُجدِ، وقد علم أن بعض العائدين موجودون في وادي المصراح، فاتخذ قراراً بالتوجه نحوهم يوم ١٣ أكتوبر ١٩٦٣ وأُلقي القبض على أحدهم، وعندما علم راجح

(٤) وكان الاخ علي السعيدي وعلي الحيمي وغيرهما من الذين وقفوا إلى جانب جبهات القتال في الجنوب.

بن غالب بالاعتقال أرسل رسائل إلى العائدين وإلى قبائل ردفان بالتوجه إلى جبل البدوي بعد أن علم من قاسم شايف أن البريطانيين وبعض القوات من الجيش العربي سيتقدمون إلى وادي المصراح لصدّ الهجوم بدلاً من الهجوم على الحبيلين، وكان ذلك بمثابة الشرارة الأولى لانطلاق الثورة[٥].



**الضابط السياسي جد فري ميلن المعروف بـ(ميلن) في طريقه إلى ردفان عام ١٩٦٣**

## الشهيد الأول للثورة راجح بن غالب لبوزة

في الساعة ٩ صباحاً من يوم ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ بدأت المعركة بين القوات البريطانية وراجح بن غالب لبوزة ومن معه في منطقة البيضاء التي تحولت إلى ساحة حمراء في معركة غير متكافئة، حيث استخدمت كل أنواع الأسلحة، بما فيها المدفعية الثقيلة التي أصابت إحدى

---

(٥) وبعد خمسين عاماً على الاستقلال، نظمت إذاعة صوت العرب ندوة بمناسبة خمسين عاماً على إستقلال الجنوب في مبنى الاذاعة في مصر، شاركت فيها مع كل من مكرم محمد أحمد الذي عاصر ثورة أكتوبر واللواء فتحي أبو طالب والسيد عوض العرشاني والفنان محمد محسن عطروش الذي غنى «برع برع يا استعمار... من أرض الأحرار» وإدارت الندوة السيدة لميا محمود مديرة إذاعة صوت العرب، وقد تحث المستر ميلن من لندن وأدلى بشهادته حول هذه المناسبة وقال إنه كان قد بدأ حياته كخبيراً زراعياً في أبين والضالع عام ١٩٦١ وأشرف على الزراعة فيها وإصلاح المطار وحفر الآبار في الضالع وردفان ولكنه كلف بعد ذلك مهمة أمنية وعسكرية قبل وبعد اندلاع الثورة في ردفان وطالب الثوار الذين عادوا من صنعاء بتسليم سلاحهم وعلى رأسهم راجح بن غالب لبوزة ولكنهم رفضوا، ما أدى إلى تقدم القوات البريطانية والاتحادية بقيادة المستر ميلن والضباط العرب وعلى رأسهم حيدر الهبيلي وعبد القادر شايع وقال انه يحمل تعاطفاً كبيراً للرئيس جمال عبد الناصر واعتقد أن سياسة بريطانيا مع الرؤساء التقليديين هي الافضل.

شظاياها المناضل راجح بن غالب لبوزة، أول شهيد في الثورة المسلحة التي انطلقت من جبال ردفان الشماء، وكانت هذه الطلقة الأولى والشرارة الأولى التي ألهبت الثورة في كل مكان في ردفان وبقية أنحاء عدن والإمارات والجنوب[٦].



**القائد حيدر بن صالح الهبيلي وبجانبه مساعد الضابط السياسي عبد القادر بن شائع في ردفان عام ١٩٦٣**

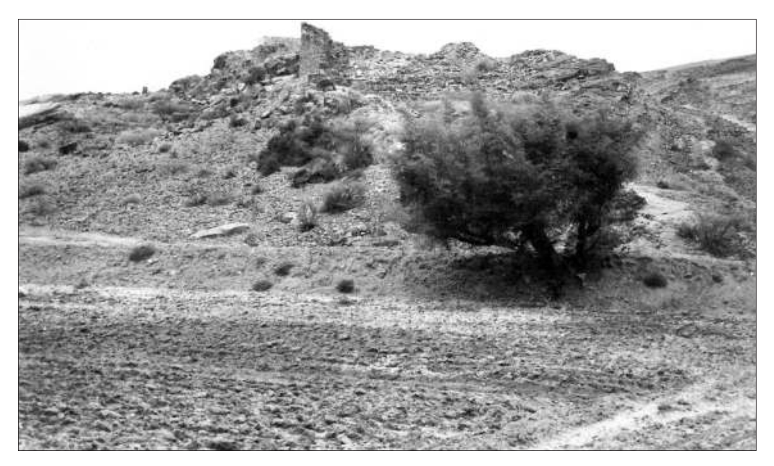
ويروي لنا ابن الشهيد بالليل بن راجح أنه لم يعرف باستشهاد والده قبل ظهر ذلك اليوم، حيث وصل الشيخ طالب الذي أخبره بأن والده استشهد، ومن ثم انتقلوا مع بعض الثوار إلى الجبل لإلقاء النظرة الأخيرة عليه ودفنه في وادي دبسان، وبسبب صعوبة الطريق في جبل عقله اتُّفق على دفنه في عقيبة[٧]، بالقرب من دبسان. بعد دفن البطل الشهيد راجح بن غالب لبوزه شُكِّلَت فرق من الثوار لمهاجمة قوات الاحتلال في ردفان، والهجوم على القوات والقوافل التي كانت تمرّ في سيلة بله وحردبه، وقد أُشعر المناضل قحطان الشعبي باستشهاد راجح بن غالب، وزار ابنه بالليل بن راجح بعد ذلك بزيارة قحطان الشعبي لطلب

(٦) وهناك رواية أخرى تقول بإن المعركة المشار إليها وقعت في يوم ١٣ أكتوبر وهو يوم استشهاد راجح لبوزة، غير أن الجبهة القومية في بيان لاحق لها اعتبرت يوم ١٤ أكتوبر يوماً للاعلان الرسمي لانطلاق الثورة.

(٧) كانت وصية الشهيد راجح بن غالب لبوزة إذا استشهد أن يدفن بجوار منصر محمد مقبل وشايف محمد مقبل في منطقة عقيبة.

الدعم للمعركة وللثورة والثوار في جبل ردفان، حيث اشتركت معظم القبائل من أبناء هذه المنطقة التي رفضت الولاء لإمارة الضالع ولقوات الاحتلال. وكان أبرز الذين شاركوا في المعركة والثورة:

السيد محمد عبيد، بالليل بن راجح لبوزة، محمد غالب لبوزة، أحمد سعد، عبد السلام سيف، محمد حيدرة المغربي، نصر بن سيف، سعيد صالح سالم، محمود عبد الكريم، دعره بنت سعيد، صالح محسن، السيد زين، سالم جابر، عبد الحميد بن ناجي المحلائي، عبد القوي بن ناجي المحلائي، محمود ناصر الداعري، فضل عبد الكريم الداعري، سيف مقبل عبد الله القطيبي، محمد صالح الضمبري لخرم، محمد صالح علي، محمد جابر، أحمد جودت، حنش ثابت، محمد ثابت، محمد ناشر، ناصر صائل، محمد شبر، قائد علي الغزالي، عمر حسن، عبد الكريم الذيباني، قاسم الزومحي، محمد مقبل مانع، ثابت الحقبي، قاسم شايف، صائل خالد، فضل محمد، ثابت البعلية، بالليل بن جيوب، صالح سريع، السفنه، أحمد ثابت العبدلي، والشيخ عثمان صالح الحجيلي. وهؤلاء الذين ذُكرت أسماؤهم أعلاه ما هم إلا بعض من رموز الثوار في منطقة ردفان التي انتفض سكانها رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخاً ضد قوات الاحتلال والعملاء الذين صوّروا انطلاقة الثورة بأنها تمرد قبلي لا بد أن تقمعه قوات الاحتلال البريطاني والبريغادير «لنت» الذي قاد الحملة ومنحه الأمير شعفل وساماً على هيئة سيف حفرت عليه عبارة (إلى بطل ردفان).



قرية شعب أبو سالم في ردفان التي دمرتها القوات البريطانية

## بدء الكفاح المسلح

أما وزارة الإرشاد القومي «لاتحاد الجنوب العربي»، فقد أصدرت بياناً زعمت فيه «أن فرقة من الجيش والحرس الاتحادي تعرضت لنيران فريقين من رجال «العصابات» كانا يطلقان النار في مراكز تقع في الجانب الجبلي ويتألفان من ثمانية وثلاثين رجلاً على التوالي، وكان هؤلاء بقيادة رجل العصابات الرجعي والمندس راجح غالب لبوزة من جبل ردفان الذي عاد أخيراً من اليمن يحمل أسلحة وقنابل يدوية وألغاماً ليحاول بها إشاعة الإرهاب في المنطقة».

غير أن الجبهة القومية كشفت في بيانها الذي أصدرته في ٢٣/ ١٠/ ١٩٦٣ وقائع العملية البطولية، وأعلن قحطان الشعبي وناصر السقاف في مؤتمر صحافي عقداه في صنعاء بدء الكفاح المسلح ضد الوجود البريطاني في الجنوب اليمني حال سماعهما نبأ استشهاد لبوزة من إذاعة عدن، وأعلنا فيه أن الثورة بدأت في ١٤ أكتوبر، ووزعا في ذلك المؤتمر بيان الجبهة القومية بهذا الصدد.

جاء في البيان: «يا شعبنا البطل، بالأمس القريب استشهد قائد من قادتك وبطل من أبطالك الأحرار في معركة الحرية والشرف والفداء ضد الاستعمار، ذلك هو الشيخ المناضل راجح بن غالب شيخ جبل ردفان الباسل الصامد في وجه الاستعمار وعملائه إثر معركة فدائية انتحارية مع قوات الاحتلال البريطاني واتحادها القذر المزيف العميل. بطل آخر من قادة معركة التحرير يهب نفسه في بطولة نادرة ثمناً لحريتك وعزتك أيها الشعب المكافح». ثم يفنّد البيان ما أذاعته السلطات البريطانية من صورة مسيئة إلى هذا الشهيد ورفاقه، معتبراً ذلك أمراً معتاداً في وصف المستعمر لمناضلي شعبنا في أحداث سابقة. ويؤكد البيان أن الردّ على الاستعمار وعملائه لن يكون بأسلوبه الكلامي المغلوط، بل سيكون بنفس أسلوب الأبطال الشهداء الذين وصفهم الاستعمار بأنهم قادة عصابات ومفسدين. ردّ باللغة التي يفهمها الاستعمار، بلغة راجح لبوزة والربيزي والدماني والمجعلي والجعري وابن شاهر وابن عواس وسالم محمد باقيس ومحمد عوض شقفة وصالح عيدروس المارمي وبن قنان والصالحي وغيرهم من رواد الحركة الوطنية. سيكون هذا الرد في كل أجزاء الوطن، وهي نفس لغة الشعوب التي كافحت من أجل حريتها واستقلالها ووحدتها ونهضتها، ويطالب البيان الشعب بتوحيد صفوفه ضد الاستعمار ومجاراة الحركة الوطنية في السير على طريق

النضال، ثم يختتم البيان بالتعهد لله والوطن وللشهيد راجح لبوزة[٨] وكافة الشهداء بخوض المعركة حتى النصر مهما كانت التضحيات ومهما كانت العوامل، انطلاقاً من الثقة بالنفس وقوة الإرادة.

## تعزيزات عسكرية

في صباح يوم ١٤ أكتوبر كان عدد الثوار قد تزايد ليبلغ أكثر من ٧٠ مقاتلاً، كان الضابط السياسي (ميلن)[٩] على إثر صدام يوم ١٣ أكتوبر قد أرسل برقية إلى قيادة الجيش الاتحادي في عدن يطلب فيها الدعم بوحدات إضافية للقيام بعملية عسكرية تحقق أهدافه، فأرسلت قيادة الجيش الاتحادي بدورها برقية إلى قيادة المنطقة العسكرية العربية التي كان يقودها حينها المقدم أحمد محمد عرب، ومنها أرسلت برقية إلى الكتيبة المتمركزة في الضالع التي كان يقودها ضابط انكليزي اسمه (ليتل توم، وينوبه المقدم علي عبد الله ميسري) وتأمرها بالتحرك ليلاً من الضالع إلى ردفان، وبالفعل وصلت الكتيبة إلى ردفان بعد منتصف الليل.

في الساعة السادسة صباحاً تحركت الكتيبة البريطانية من الحبيلين بعد أن حددت مهمات وحداتها، فكانت الساعة الثامنة على مشارف وادي المصراح، وفي تلك اللحظات شاهد الثوار أشعة الشمس تلمع على زجاج السيارات البريطانية على بعد ثمانية كيلومترات، فقالوا جميعاً إنّ هذا هو يوم تهديم الأشعة الزائفة، وعلى الفور اتخذ لبوزة قراراً بخطته للمعركة، فقسّم الثوار إلى أربع مجموعات:

**المجموعة الأولى**: بقيادة ابنه بالليل راجح لبوزة ومهمتها النزول من رأس جبل البدوي

(٨) وقد أذيع البيان من عدة وسائل إعلامية عربية مثل إذاعة «صوت العرب» وإذاعة دمشق وإذاعة بغداد، وأذيع البيان أيضاً من إذاعة صنعاء يوم ٢٦/ ١٠/ ١٩٦٣ الساعة الثانية بعد الظهر وفقاً لما جاء في وكالة أنباء اتحاد الجنوب العربي حينه. في الواقع، ثمة تفاصيل كثيرة وروايات عدة لمجريات المعركة التي خاضها لبوزة ضد القوات البريطانية، لست بصدد الخوض في شعابها، لأنها - كما أرى - لا تضيف إلى المأثرة البطولية، لانطلاقة الثورة المسلحة، أية قيمة تاريخية فوق قيمتها العظيمة، ولا حتى تستوجب الخلاف، بما فيها تلك الآراء والتقديرات حول تاريخ استشهاد البطل لبوزة في ٢٥ جمادي الأولى ١٣٨٣هـ الموافق ١٣ أكتوبر ١٩٦٣.

(٩) وثائق ندوة الثورة اليمنية: الانطلاق التطور أفاق المستقبل - الجزء الثاني، ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ (صفحة ٢٦٢، ٢٦٨) - صادر عن دائرة التوجيه المعنوي، شعبة البحوث والدراسات ٢٠٠٤.

والتمركز في قرية البيضاء الواقعة وسط وادي المصراح، وهي الفصل الصدامي الأول مع العدو.

**المجموعة الثانية**: بقيادة محسن مثنى الغزالي، ومهمتها النزول من جبل بدوي والتمركز في قرية الصرفة، وتكون خلف المجموعة الأولى للدفاع عن المجموعة الأولى.

**المجموعة الثالثة**: بقيادة لبوزة نفسه، ومهمتها النزول إلى ثلث الجبل لتطويق العدو وعدم السماح له بالانسحاب.

**المجموعة الرابعة**: ومهمتها البقاء في رأس الجبل ومراقبة الوضع، وهي قوة احتياطية للمجموعتين الأولى والثالثة. وفي الساعة التاسعة صباحاً حلقت طائرتا استطلاع فوق المنطقة لأكثر من مرة. وفي الساعة العاشرة، بينما كانت مجاميع الثوار قد تمركزت في مواقعها المحددة، ظهر فجأة شخص اسمه فضل مقبل عبد الله راكباً على حصانه في قرية القرة أمام موقع المجموعة الثانية التي أطلقت عليه النار لأنه شخص غير مرغوب فيه من الثوار، ولم يصب بأذى لكونها طلقات تحذيرية. في هذا الوقت كانت مقدمة القوات البريطانية على بعد ٤٠٠ متر من قرية البيضاء التي تتمركز على يمينها المجموعة الأولى، فسمعت إطلاق النار من المجموعة الثانية، وعلى أثر ذلك انتشرت القوات البريطانية، ومن أجل عدم السماح لها بالانتشار أطلقت عليها النار بكل قوة، فلم تستطع القوات البريطانية تجاوز قرية البيضاء.



**جماعة من مناضلي حرب التحرير تجتاز وادي بنا**

وبعد تلك المعركة بثت إذاعة صنعاء بيان الجبهة القومية باندلاع الثورة المسلحة، وأذاعته أيضاً وكالة الأنباء العراقية التي حضر مراسلها المؤتمر الصحفي الذي عقده قحطان الشعبي في أحد فنادق المدينة. وأثار البيان أول مشكلة سياسية لدى الحكومة في صنعاء، حيث أذيع دون إذن من رئيس الوزراء حسن العمري المعروف بمعارضته للجبهة القومية، كذلك كان الرئيس السلال غائباً عن البلاد، ما أضاف تعقيداً جديداً إلى القضية بغياب الشخصية القادرة على تسوية الأمر. ونقلت آنذاك عن لسان حسن العمري تهديدات للجبهة القومية ولشخص قحطان الشعبي الذي اضطر إلى مغادرة صنعاء إلى تعز كما روى لي ذلك ناصر السقاف.

## هوشي منه!


محمد عبد الله المجعلي (هوشي منه)

كان الاختبار الأول الذي واجهته الجبهة القومية، وهي تعمل على ترسيخ المقاومة في ردفان وتوسيع رقعتها، يتمثل في مشكلة من يخلف لبوزة في قيادة المقاتلين المنتمين إلى قبائل وأفخاذ عدة. وتكمن الصعوبة في إرث الحساسيات القبلية التي تحول دون القبول بقيادة هذا أو ذاك ممن حُسب على هذه القبيلة أو تلك، وسموّه فوق الاعتبارات القبلية. ولم يكن أمام الجبهة إلا أن تقرر تعيين قائد لجبهة ردفان من خارج المنطقة. وهكذا عُيِّن محمد عبد الله المجعلي خلفاً له.

كان أبناء الجبهة القومية وأبناء الجنوب يطلقون على المجعلي لقب «هوشي منه» بسبب لحيته التي تذكرهم بلحية القائد الفيتنامي، وكذلك وجهه، وربما هذا من العوامل الذاتية التي ساعدت على أن يتقبله أبناء ردفان، حيث «اعترفت قبائل ردفان بممثل الجبهة القومية قائداً لها، فكان ذلك ظاهرة جديدة: التخلي عن التقاليد القبلية إكراماً لثورة التحرر» كما يقول المؤلف ناؤومكين[١٠]. وقد شجع ذلك في وقت لاحق على أن ينتقل أبناء ردفان، ومنهم قائد علي الغزالي إلى دثينة، العواذل، الفضلي والجبهة الوسطى

(١٠) فيتالي ناؤومكين: الجبهة القومية في الكفاح من أجل استقلال اليمن الجنوبية أو الديموقراطية الوطنية، ص٩٠.

عام ١٩٦٤ للقتال مع إخوانهم بمواجهة الوجود البريطاني، ما يؤكد أن المعركة واحدة، ولا فوارق بين أبناء الجنوب.

أما الردّ فكان هستيرياً، رغم الإيحاء بأن المحتلين لا يعبؤون بما يحدث، فقد شنوا حملة إرهابية خارج ردفان تركزت في دثينة ولحج والحواشب، وقد تطرق إلى ذلك بيان حركة القوميين العرب في أواخر تشرين الثاني/ نوفمبر.

## المشير عامر والسقاف!

ويذكر ناصر السقاف أنه قابل المشير عبد الحكيم عامر الذي كان قد وصل إلى صنعاء بعد أيام من اندلاع شرارة الثورة في ردفان، ليطرح أمامه صورة الوضع في الجنوب وحقائق الثورة المسلحة ضد الإنكليز، وحاجتها إلى السلاح والدعم المصريين ضماناً لاستمرارها في المقاومة، وتعبئة الجماهير بمواجهة المحتلين والكيانات السلاطينية، فردّ عليه المشير قائلاً: «ودي عملة تعملوها يا أولاد؟».

ولكن أمام إصرار السقاف والملاحظات الإيجابية المنصفة التي قدمها بعض الضباط المصريين الذين حضروا اللقاء بشأن بسالة المقاتلين الردفانيين يوم قاتلوا إلى جانب الجيش المصري، تراجع المشير عامر ليسأل في نهاية اللقاء: «ما هي طلباتكم؟».

فأجاب السقاف: «السلاح والذخيرة».

وانتهى اللقاء بأن وعد عبد الحكيم عامر بأن يتصل بالرئيس عبد الناصر ليعرض عليه الأمر ويستمع إلى توجيهاته، وأكد المشير عامر أن من مهمات الجيش المصري تقديم المساعدة لتحرير الجنوب من الاستعمار البريطاني.

بعد أيام جاءت الموافقة من القاهرة على تقديم مساعدات عاجلة إلى مقاتلي ردفان والجبهة القومية، فتسلمت القيادة أول دفعة من السلاح المصري، وتتضمن - كما يؤكد السقاف - نحو مئتي ألف طلقة، صندوق قنابل، وعشرة أو خمسة عشر مدفعاً متوسطاً، نُقلت بالطائرة إلى تعز[١١].

(١١) تؤكد رسالة السيد ناصر السقاف وعبد الله المجعلي وآخرين إلى المشير السلال بتاريخ ١٩٦٣/٢/٢١، أنه =

ويضيف السقاف: «ومن هناك نقلت إلى الجنوب على ظهور الجمال والحمير، بعد أن تبرع لنا عدد من التجار بمبالغ لتوفير تكاليف النقل، وعندما علم المشير عامر بذلك أمر بصرف التكاليف، فضلاً عن خمسة آلاف ريال كتبرع للمقاتلين»، وهو يساوي في تلك الأيام نحو خمسة آلاف دولار أميركي.

## تجميد الثأرات

بعد يومين من اندلاع الثورة المسلحة في ردفان، رفعت المخابرات البريطانية تقريراً إلى لندن يحمل الآتي: «١٦ أكتوبر: بلغنا أن زعماء المنشقين يطالبون بإلحاح في تعز بالحصول على الأسلحة لكي يستخدموها ضد دورياتنا في وادي المصراح. ويقوم الكبسي (محافظ تعز) بدعمهم بقوة[١٢]».

وفي ٦ تشرين الثاني/ نوفمبر بعثت بتقرير آخر يقول «إن عدداً من المنشقين قد عادوا إلى محمية عدن الغربية بهدف تجنيد ٣ آلاف مقاتل للخدمة في الجمهورية في اليمن، وقد أحضروا معهم ٥ صناديق من الذخيرة و٢٥ قنبلة يدوية. وقد استمرت هذه الحملة خلال شهري نوفمبر وديسمبر وكانت ناجحة للغاية»[١٣].

أما التقرير الذي رفع في الأول من كانون الأول/ ديسمبر، فهو يتابع الانعطافة الجديدة في عمل الثورة المسلحة، فيؤكد أن «بلغنا أنّ بعض المنشقين كانوا يقومون بمفاوضات مع القبائل بهدف تجميد الثأرات القبلية، وذلك لكي يتمكنوا من تجنيد المقاتلين للخدمة في اليمن الجمهوري، وكذلك توحيد القبائل للقيام بنشاط تمردي عندما يحين الوقت، وقد استطاعوا عقد اتفاقيات بين القبائل الآتية: العبدلي مع القطيبي، الداعري مع المحلائي، آل شيخ مع حالمين، البطري مع القطيبي، الضنبري مع القطيبي»[١٤].

---

= استجاب لطلبهم بإقناع القيادة المصرية بدعم االثوار في الجنوب, وأنه قد كلف المشير عامر هذا الموضوع، والضابط فخري عامر الذي قام ومعه المناضل قحطان الشعبي وعبد الله المجعلي وناصر السقاف بنقل الأسلحة إلى قعطبة. المصدر «ناصر السقاف بشير الثورة وعنوان لمآثرها» ص٤٦.

(١٢) سلطان ناجي: مصدر سبق ذكره، ص٢٧٤.

(١٣) المصدر نفسه، ص٢٧٤.

(١٤) المصدر نفسه، ص٢٧٤.

وقال الشاعر الكبير عبد الله البردوني:

**ردفـــــان نـــــادى أن أذود**
**وأن أحـــيــل الــصــعــب ســهــلاً**
**فـحـمـلـت رأســـــي فـــي يـــدي**
**كـــي لا تـصـيـر الــكــفّ رجــلاً**

ويذكر سلطان ناجي في مؤلفه القيِّم «التاريخ العسكري لليمن» طائفة من الوثائق البريطانية تؤكد أخبار أعمال التمرد وانتشار السلاح في المنطقة. فقد أوردت برقية المخابرات في ٤/ ١٢/ ١٩٦٣ أن ٨٠ مقاتلاً وصلوا إلى قعطبة مع أسلحتهم. وفي ١٢/٩ ورد أن أحد «زعماء المنشقين» حمل ٢٥ صندوق ذخيرة من الجمهورية العربية اليمنية. وفي ١٦/ ١٢ إشارة إلى زرع الألغام على طريق الضالع-عدن، وتعرض مركز الثمير والحبيلين لنيران الثوار البالغ عددهم ٥٠ شخصاً، وفي ١٨/ ١٢ برقية تؤكد إطلاق النار على دورية من الجيش الاتحادي وهي في طريقها إلى الثمير، وفي ٢١/ ١٢ برقية «مذعورة» تجسّد الشعور العام تعلن أنه ما لم تبادر الحكومة الاتحادية إلى اتخاذ إجراءات سريعة ضد المنشقين بالقوة، فإن القبائل المحايدة ستنضم إلى جانبهم، «وفي البرقية نفسها إشارات إلى أن عمليات الثوار دقيقة ومنظمة، حيث تهاجم مجموعة المراكز الحكومية وتتولى الثانية ضبط طرق المواصلات، وأن عدد المسجلين من الرجال في ردفان لدى الثورة المسلحة «يبلغ ألف شخص».

حتى ذلك الوقت، لم يقتنع المحتلون بأن ما يحدث في ردفان، وفي سائر أرياف الجنوب من غليان، هو أكبر من تمردات قبلية محدودة، وأكبر من أن تخضعه القوة أو استعراض القوة، فقد انهالوا على قرى ردفان بكل الأسلحة في الحوشبي والصبيحة، شاركت فيها ٥٠ دبابة و٥٠ مصفحة مزودة بمدافع ثقيلة ومدافع رشاشة تساندها خمس طائرات. وفي منتصف نوفمبر هاجمت قوات الاحتلال والجيش الاتحادي مناطق الحواشب من ست جبهات، في محاولة لتطويق الثورة في ردفان ومنعها من الامتداد والتوسع[١٥].

---

(١٥) كان الضابط السياسي البريطاني ميلن يريد حصر المشكلة في العناصر التي ذهبت إلى الشمال، ولكن مهدي عشيش الذي كان مسؤولاً عن ردفان، وبإيعاز من حسين الجابري، هو الذي أصر على تطويق المنطقة كلها بهدف دفع القبائل كلها إلى المقاومة. كما رواه حسين الجابري للمناضل «محمد حيدر مسدوس» وقال إن ذلك تم إقراره في اجتماع في عدن وأن مهدي عشيش كان عضواً في الجبهة القومية حينها.

أصدرت الأمم المتحدة بعد نحو شهرين من اندلاع الثورة قرارات تقضي بالاعتراف بحق تقرير المصير لعدن وإمارات الجنوب. وأعفت تلك القرارات بريطانيا من أية التزامات محددة بالانسحاب، فاختلفت الأطراف السياسية في الموقف منها. وطبيعي أن تقف الجبهة القومية التي سلكت طريق الكفاح المسلح منذ وقت قريب مع تلك القرارات.

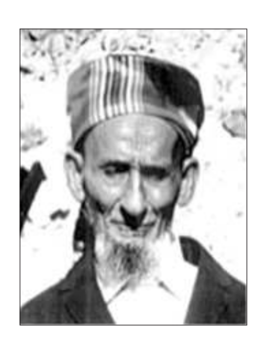
## طائرة مصرية في العواذل!

تاهت طائرة من طراز إليوشن ١٤ روسية الصنع[١٦]، في الفضاء واخترقت السحاب بين مطار درب «ذي ناعم» بلواء البيضاء ومطار «لودر»، وأخيراً هبطت في الساعة ٧,٤٥ من صباح يوم الاثنين ٢ ديسمبر ١٩٦٣ في مطار لودر الترابي في السلطنة العوذلية دون إشعار مسبق لأنه لا توجد محطة أرضية للتواصل مع الطائرات. وتحرك العسكريون البريطانيون من معسكراتهم نحو الطائرة التي تحمل علم الجمهورية العربية اليمنية. وبدأ المسؤولون في سلطنة العواذل، وعلى رأسهم السلطان محمد جعبل والنائب ناصر محمد جعبل، حاكم لودر، وغيرهما تحركهم نحو الطائرة وسط حالة من الارتباك لفّت هذا الحدث والحادث الهام.



**الطائرة المصرية إليوشن التي هبطت في لودر ٢ ديسمبر ١٩٦٣. وقد نقلت من لودر إلى عدن**

(١٦) كان على متن الطائرة عدد من الضباط المصريين، وهم: بهاء الدين منيب «رائد طيار»، قائد الفرقة عبد العزيز محمد، جلال محمد، محمد فهيم محمد، مصطفى حمودة، عوض محمد صالح (ضباط بوليس خبراء في شؤون الشرطة)، سعد حنا، يوسف عفيف، مصطفى هنداوي، ومساعدون ميكانيكيون: عزيز سليمان ملاح، مصطفى محمد، يحيى عبد المقصود (عامل لاسلكي).



**السلطان محمد جعبل بن قاسم الذي استقبل الطائرة المصرية عام ١٩٦٣ في مطار لودر ورفض تسليمها للانجليز في عدن، ولم يُفرَج عن الطيارين الا بعد أن ضمن مغادرتهم إلى مصر**

طلب الضباط المصريون التحرك بطائرتهم بعد أن تأكدوا أنهم أخطأوا في الطريق الجوي إلى مطار درب «ذي ناعم» الذي لا يختلف عن مطار لودر من حيث طبيعة المنطقة والجبال والحصون التي تنتصب في هذه المنطقة.

تحولت قضية الطائرة إلى قضية سياسية هامة تتجاوز هذا الخطأ الفني والملاحي بالهبوط في هذا المطار الذي ليس له أهمية عسكرية، وتحوّل موضوعها إلى خلاف بين السلطات الاستعمارية والسلطات المحلية بالعواذل، خاصة بعد أن طرح أمر احتجازهم ونقلهم إلى عدن، وقد رفض السماح لهم بالعودة إلى صنعاء كبير القوم في هذه السلطنة، السلطان محمد جعبل الذي كان يجلس، بل يحتبي بجانب طائرة جمال عبد الناصر و«عيال» عبد الناصر. وكان من عادة سكان هذه المنطقة أن يستبدلوا كلمة «ابن» بكلمة «بِرْ» مثل ناصر بر حسين وجعبل بر حسين. المهم أن السلطان أمر بنقلهم إلى قصره وقصر ابنه ناصر محمد جعبل، نائب السلطنة في لودر، وتحركت الجماهير من سلطنة العواذل وسلطنة الفضلي وعدن وولاية دثينة إلى الطائرة التي تربض على أرض المطار تحت الحماية البريطانية والجيش المحلي.

راح آلاف الناس يطوفون حول الطائرة، فهي طائرة عبد الناصر وعيال عبد الناصر، وقد شاهدتُ أحد المواطنين وهو يقترب منها ويندفع نحوها لتقبيلها، وتتصدى له قوة من الحراسة وتمنعه من الاقتراب منها، وقد اشتبك معهم وهو يصيح بأعلى صوته: «اشتي حُبها اشتي حبها» أي أشتهي أن أقبّلها وأشمّ رائحة مصر فيها. لم أصدق هذه الحماسة

والاندفاع والحب لهذا القائد العربي وأنا أشاهد الآلاف الذين لا يخشون البريطانيين ولا يخافون السلاطين، وبعضهم يصيحون: عاش جمال عبد الناصر، ويهتفون بحياة عبد الناصر والقومية العربية، وتحولت الطائرة إلى مشكلة للسلطنة والسلطات التي يجب في الأخير أن تخضع للإرادة والإدارة البريطانية بسحبها ونقل الطيارين والضباط أيضاً إلى عدن لاتخاذ القرار بشأنهم من قبل المندوب السامي البريطاني في عدن صاحب القرار الأول والأخير.

كان حماسنا لا نظير له فقد طفنا بالطائرة كالآخرين، وانتقلنا إلى قصر الضيافة ووجه السيد عبد الله الخضر السياري رسالة إلى السلطان محمد جعبل يطلب منه مقابلته (وفد آل حسنة والمياسر ضيوف السلطنة)، وكنا ننظر باهتمام إلى هذا الحصن المبني بالحجر والمطرز بالنورة بين كل حجر وحجر أعطاه لوناً متميزاً والذي كان أبناء وادي النيل في داخله ونحن ننتظر الرد بالموافقة على دخولنا للتحية والسلام على رسل المحبة والسلام الذين يضع عليهم البعض ألف علامة استفهام!

جاء الرد سريعاً بالموافقة، دخلنا بسرعة البرق ودون انتظام أو ترتيب مقر ضيوف السلطنة، وبدأ السياري يقبّلهم واحداً واحداً ونحن خلفه، البعض يسلم باليد، والبعض يشمّ بالأنف، وآخرون يلثمون أيديهم على طريقة المنطقة، وكان هذا أول لقاء في حياتي مع أبناء النيل.

بعد ذلك غادروا إلى عدن، ثم إلى مصر التي أعلن رئيسها جمال عبد الناصر في خطاب جماهيري في بورسعيد أن السلاطين في الجنوب أحرار وتقدميون ومناهضون للاستعمار، ولم يتوقف هذا عند الحديث عن السلاطين، بل جرى اختراق سياسي لأهم شخصية في السلطنة، هي جعبل بن حسين، حاكم مكيراس الحدودية مع البيضاء الذي أعلن التحاقه بالثورة، بعد أن أعلن السلطان أحمد بن عبد الله الفضلي رفضه المؤتمر الدستوري في لندن وانتقاله إلى القاهرة عبر روما. وعدّت القاهرة ذلك انتصاراً لمصر وللثورة في الجنوب ولضباط المخابرات في اليمن.

نجح ضابط المخابرات المصري مصطفى حمودة الذي تعرفت إليه في البيضاء في شهر أغسطس عام ١٩٦٤ في إقناع جعبل بن حسين بالانسحاب من السلطنة والسلطة في

مكيراس واللحاق بالثورة، وكان اسم هذا الرجل وأفعاله وتأثيره يثير الرعب في المناطق الحدودية مع سلطنة العواذل. وهكذا في ٨ نوفمبر ١٩٦٥ عبر الحدود إلى البيضاء للانضمام إلى الثورة حيث كان في انتظاره مصطفى حمودة الذي كانت تربطه علاقات واسعة بقبائل البيضاء ومشايخها وأعيانها وفي مقدمتهم الحميقاني والرَّصَّاص والرَّمَّاح والثريا ومطلوب عاطف وغيرهم.

وقد كان لانسحاب جعبل أثر كبير في معنويات السلطات الاستعمارية والمحلية في الفترة الحرجة من زيارة جرينود «وزير المستعمرات» لعدن.

## طاقم الطائرة الروسية في مأرب وبيحان

قبل هذه الحادثة بعام تقريباً وقعت حادثة مماثلة، ولكن هذه المرة مع طاقم طائرة روسية ضربت طائرتهم في مأرب، لكنهم نقلوا إلى بيحان وعدن وأبين قبل أن يتفق الروس والبريطانيون على إعادتهم إلى موسكو عبر لندن.

وروى أوليغ بيريسيبكين (السفير في وزارة الخارجية) في كتابه «اليمن واليمنيون» هذه الواقعة على النحو الآتي[١٧]: «ساعدت السلطات البريطانية في عدن على تحرير طيارينا، وكانوا متعاونين جداً معهم وساعدوهم على الوصول إلى موسكو. بهذه المناسبة، وجه ألكسي شيبورين، رئيس قسم دول الشرق الأوسط في وزارة الخارجية السوفياتية، وفلاديمير لافروف، باعتباره شخصاً على علاقة مباشرة باليمن في ٢٤ أكتوبر ١٩٦٢ تقريراً ملحقاً إلى نائب وزير الخارجية سيرغي لابين، المسؤول عن دائرة الشرق الأوسط في قسم السياسة الخارجية السوفياتية، أشار فيها إلى أن التعامل الحسن من جانب البريطانيين مع خبرائنا الذين وصلوا إلى بيحان وعدن، إذ قدموا لهم المساعدة من خلال توفير المأكل والملبس لهم، ولم يطرحوا عليهم أي أسئلة استفزازية. في هذا السياق اقترح شكر البريطانيين على المساعدة في نقل ٤ من الخبراء السوفيات إلى الاتحاد السوفياتي. قرر لابين القيام بذلك، وهذا ما حصل في حواره الدوري في وزارة الخارجية السوفياتية مع سفير بريطانيا في موسكو».

---

(١٧) مصدر ذُكِر سابقاً، الصفحة ١٧٨ - ١٨٠

والسؤال الذي يطرح نفسه بعد كل تلك السنين: هل كان هبوط الطائرة المصرية في لودر بطاقمها المصري، وضرب الطائرة الروسية في مأرب ونقل طاقمها إلى عدن صدفة؟ أم كان ذلك مدخلاً لحوار يبدأ في ما بعد بين الدول المتورطة في اليمن، أي المصريين والروس والبريطانيين ودول أخرى؟

## ردفان هدفاً للهجوم

حين حلّ عام ١٩٦٤، كانت ردفان هدفاً لهجوم واسع شنّته القوات البريطانية للقضاء على هذه «البؤرة» التي أصبح القضاء عليها ضرورة لا يمكن تأجيلها بالنسبة إلى المحتلين الإنكليز، سعياً إلى ردّ الاعتبار للهيبة الاستعمارية والحكام المحليين، وإلى إخافة الثوار وتعزيز الشعور بلا جدوى الكفاح المسلح لدى الشعب، مما يصبّ في مصلحة التيارات «المعتدلة» والمترددة والمعارضة للكفاح المسلح.

بُحث الأمر باهتمام في لندن، وبعد تدقيق وتمحيص، أرسلت وزارة المستعمرات موافقتها على أن تنفّذ السلطة العسكرية البريطانية في عدن «عملية حربية كبيرة ضد من سمّتهم المتمردين»، ثم حدد الزعيم «لنت» قائد جيش الاتحاد ما ينبغي تنفيذه على الأرض ترجمة لتوجيهات لندن بما يأتي:

«القيام باستعراض قوة في منطقة ردفان بهدف إرغام الاثني عشر منشقاً ومجاميعهم على الانسحاب من المنطقة. وحتى يفهم رجال القبائل أن الحكومة لديها المقدرة والإرادة لدخول ردفان متى أرادت»[١٨].

## عملية تأديبية

وفيما أشاع لنت وأجهزة الإعلام البريطانية أن العملية «التأديبية» لن تكون أكثر من «نزهة» خارج عدن، وأياماً معدودة في جبال ردفان الشاهقة وشعابها، جاءت الأيام اللاحقة لتثبت ما تشهده هذه النزهة من معارك طاحنة، وإلى أي مدى كان البريطانيون يجهلون الأمور... وإلى أي مدى كانت كاذبة ومضللة تلك الدعاوى التي أضفت على الإنكليز صفات البطولة

---

(١٨) سلطان ناجي، مصدر سبق ذكره/ ص٢٧٩.

الخارقة، وعلى جيوشهم ألقاب الجيوش «التي لا تقهر» وعلى طباعهم وأعمالهم ملامح التحضّر والمدنية والإنسانية.

لقد مسحت قوات الاحتلال قرى بكاملها، وطاردت السكان من نساء وشيوخ وشباب وأطفال من وادٍ إلى وادٍ بالطائرات والمدفعية، فقتلت وهجّرت الآلاف، وضربت حصاراً اقتصادياً تجويعياً على المنطقة، وأشاعت جواً من الإرهاب والقمع والهلع في كل مكان، وجرت فوق ذلك حملة عسكرية وحشية استمرت سبعة أشهر، استخدمت فيها أحدث الأسلحة في ذلك الوقت ومختلف صنوفها، وآخر مبتكرات التخطيط والإدارة في التعبئة والهجوم.

تضمنت الحملة العسكرية خمس مراحل: الأولى من ٤ إلى ٣١ يناير ١٩٦٤، والثانية من أوائل فبراير حتى ١٣ أبريل، والثالثة من ١٤ أبريل حتى ١١ مايو، والرابعة من ١١ إلى ٢٣ مايو والخامسة انتهت في ٢٣ أغسطس ١٩٦٤ وشارك في هذه العمليات ثلاث كتائب من الجيش الاتحادي وسرية آلية وفرقة مظلات بريطانية وفصيلة خيالة على دبابات «سنتوريون» وبطارية مدفعية الحراسة الملكية البريطانية، وفصيلتان من السرية الميدانية للمهندسين. وبلغ عدد جنود الحملة لتصفية الثورة في مهدها أكثر من ثلاثة آلاف جندي وضابط، بالإضافة إلى سرب من الطائرات وضعته القوات الجوية تحت تصرف القيادة الميدانية، فأغارت ١٧٠٠ مرة على رقعة لا تزيد على بضع عشرات من الكيلومترات المربعة! حينها كنت مدرساً في المدرسة المحسنية بحوطة لحج، والمسؤول التنظيمي لحركة القوميين العرب فيها، وكنا نشاهد تلك الأرتال العسكرية وهي متجهة صوب ردفان، فكانت الجماهير في الحوطة تتصدى لها بالهتاف للثورة المسلحة، وتهتف ضد قوات الاحتلال في لحج وغيرها من المحميات. كذلك كنا نشرف على مهمة إرسال الفدائيين من عدن وبقية المحميات إلى تعز لتلقي التدريب العسكري على أيدي القوات المصرية.

وفي كل مرة كانت تعجز فيها القوات الاستعمارية عن تحقيق هدفها، كان قادة الحملة يرسلون مجموعة من التعليلات والمعطيات إلى لندن تتضمن اعترافاً اضطرارياً ببعض الحقائق. فقد ذكر المندوب السامي البريطاني بعد إخفاق المرحلة الثانية ما يأتي: «إن ما لم يكن عادياً هو أن الألغام بدأت تستخدم، وبدأت تبلغنا التقارير عن وجود ثوار في ميدان

المعركة، وهم بأزيائهم المميزة يسمون أنفسهم مقاتلي «الجبهة القومية»، وكان هذا أول تهديد خطير للأمن خارج عدن نقابله»[١٩].

## خيبة أمل ومرارة

كتب أحد أركان الحكم المحلي في عدن، الموالي لبريطانيا، وهو محمد حسن عوبلي الذي شغل منصب وزير المعارف ثم رئيس ما يُسمى «الدولة الاتحادية»، عن تلك الحملة بمرارة وخيبة أمل، إذ يقول: «كان المندوب السامي البريطاني السير كينيدي ترافسكس يغذي حكومته في لندن بمعلومات خاطئة، ما حدا بحكومة لندن إلى نقل بعض القوات من حلف شمال الأطلسي إلى ردفان»[٢٠].

كنا نتابع معارك ردفان بحماسة لا حدود لها، ونتشوق للمشاركة فيها، وقد أعرب الشعب في الجنوب بمختلف انتماءاته عن التعاطف مع الثورة والمقاومة البطولية. وهذا ما عبّرت عنه حملات التضامن معها والتنديد بأعمال المستعمرين، كذلك تجسد هذا التعاطف في الروائع الشعرية، الزجلية المحلية والفصحى. وكانت قصيدة الشاعر الوطني محمد سعيد جرادة في الثورة المسلحة تجري على كل لسان في أنحاء الجنوب، ويقول في بعض أبياتها التي حفظناها آنذاك، وكنا نرددها في معاركنا مع المحتل:

**أفلاذ أكباد الجنوب تجمّعوا**
**فرقاً كأسراب النسور الحوّم**
**فوق الجبال وفي الكهوف وحيث لا**
**ترقى إليهم عين وغد مجرم**
**سكتوا وأعلنت البنادق منطقاً**
**هو فوق سحر بلاغةِ المتكلم**

وبلغت الحماسة ذروتها ضد قوات الاحتلال البريطاني، وكانت الجماهير تهتف بحياة جمال عبد الناصر وثورة يوليو التي قدمت كل أشكال الدعم لثورة ٢٦ سبتمبر وللثوار في الجنوب،

---

(١٩) المصدر نفسه، ص٢٧٨.

(٢٠) محمد حسن عوبلي: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب اليمني العربي، منشورات العصر الحديث – ص١٣٥.


الشاعر الكبير
محمد سعيد جرادة

واتذكر أن الجماهير أخذت تهتف في لودر عند هبوط إحدى الطائرات المصرية وعليها علم الجمهورية العربية اليمنية بحياة عبد الناصر.

## قنبلة المطار تفجر مؤتمر لندن

فجرت قنبلة المطار المؤتمر الدستوري الذي كان البريطانيون يعدّون لعقده في لندن، وتعطّلت أعماله وتأجّلت بعد أن فجّر المناضل خليفة عبد الله حسن خليفة قنبلته في المندوب السامي البريطاني ونائبه وشريف بيحان والسلطان أحمد عبد الله الفضلي وغيرهم من المشاركين والمسافرين للمشاركة في مؤتمر لندن. يعترف المندوب السامي البريطاني السير كينيدي ترافسكس بأنه كان قلقاً ومتشائماً، ولهذا فقد اتصل صباح يوم الانفجار بالزعيم عبد الله الأصنج للمساعدة في تهدئة التوتر الذي كان سائداً آنذاك، وأشار الأصنج في روايته إلى أنه في صباح ذلك اليوم اتصل المندوب السامي كينيدي ترافسكس بمنزل الاصنج وردّت عليه والدته، حيث سأل عن عبد الله الأصنج بلكنه عربية مكسّرة، وسأل إن كان موجوداً، فردّت عليه بأنّ ولدها لا يزال نائماً، فقال لها: يبدو أنه يسهر في الليل كثيراً. ويضيف الأصنج أن المندوب السامي كان لديه إحساس بأنهم كانوا يعدّون تظاهرة قرب مطار عدن ضد سفر الوفد الذي سيشارك في المؤتمر، وبعد الرد اطمئن المندوب السامي إلى أن الأصنج في منزله وأن الأمور هادئة. وقال الأصنج إنهم لم يُشعروا أي أحد بالعملية، ولكنه نصح مدير المطار محمد عبده بأن يتأخر قليلاً قبل الذهاب إلى المطار حيث انفجرت القنبلة صباح ذلك اليوم. وقد كان المندوب السامي مرتبكاً ومضطرباً، وتوجه إلى المطار بعد هذه المكالمة وسط حراسات مشددة في المطار وحول المطار. كان كل شيء هادئاً، ومعظم المسافرين والمودعين من السلاطين والصحافيين في باحة المطار، وكان خليفة عبد الله حسن خليفة يراقب من غرفته عملية الطيران، وإلى جانبه أحمد ناصر القشبري. تقدم خليفة نحو النافذة مُخْفِياً القنبلة تحت قبعته التي وضعها على حافة النافذة، وبعد لحظات شوهد شيء ما يسقط من النافذة تبعه مباشرةً صوت انفجار صمّ الآذان، واهتزّ المطار وصالته من هذا الانفجار الذي أخطأ هدفه، وهو المندوب السامي البريطاني السير كينيدي ترافسكس وشريف بيحان حسين الهبيلي، ولكن القنبلة حققت هدفها السياسي في تفجير مؤتمر لندن من على أرض مطار عدن، ودوّى هذا

الانفجار في كل أنحاء العالم ووصل إلى حكومة صاحبة الجلالة في لندن، ولم يعد الاهتمام بالمؤتمر والسفر إلى لندن مهمة عاجلة، فالمندوب البريطاني كان مشغولاً بنائبه الذي حماه وفَداه بنفسه (توفي نائب المندوب السامي متأثراً بجراحه في مستشفى الملكة بخور مكسر)، وبشريف بيحان حسين الهبيلي الذي كان آنذاك وزيراً للداخلية وأُصيب في الانفجار. أما السلطان الفضلي، الذي أُصيب هو الآخر فقد هاجم الجميع، وطالب بأن تكون بعض من أراضي المستعمرة تحت حماية سلطنته لأنها جزء من أراضيه، وهو القادر على حمايتها. وقد وصلت شظايا هذه القنبلة إلى كل عملاء حكومة صاحبة الجلالة وإلى وزارة المستعمرات في لندن، وكان عليهم أن يؤجلوا عقد المؤتمر ويعدّوا لمؤتمر آخر في عام ١٩٦٤. بعد ذلك اعتُقل خليفة عبد الله حسن خليفة وأحمد ناصر القشبري وعبد الله الأصنج ومحمد سالم باسندوة[٢١](*) ومحمد سالم علي عبده ومحمد عبد المجيد وعلي حسين القاضي، وعلي عبد الرحمن الأسودي، وعبد الله علي عبيد، وخالد عبده علي، وعبده خليل سليمان، وأحمد محمد حيدر، ومحمد سعيد باشرين، ومحمد عبد الله الدهب، وعبد القادر الفروي من الذين اتهموا بأنهم خططوا للعملية على ساحل أبين خلف مستشفى الملكة. وكان باسندوة هو الذي سلّم القنبلة لخليفة بعد هذا اللقاء الذي حضره أعضاء من قيادة حزب الشعب الذين اعتُقلوا. لكن الأستاذ محمد سالم باسندوة نفى علاقته بهذا الحادث وبقنبلة المطار، فقد كان حينها في نيويورك بالأمم المتحدة، كما يذكر ذلك في كتابه «قضية الجنوب في الأمم المتحدة».



**المناضل خليفة عبد الله حسن خليفة الذي سجن بعد قنبلة مطار عدن في ١٠ ديسمبر / كانون الأول عام ١٩٦٣**



**التقطت هذه الصور في منزله بالشارقة بتاريخ ٢٠٠٥/١/٢٤، ويظهر في الصورة على يميني بركان عبد الله خليفة، وعلى يساره، ابني جمال الذي رافقني في هذه الزيارة**

(٢١) بعد قيام الثورة اعتقل في ١٦ فبراير ١٩٦٦، وجرى ترحيله من عدن على متن خطوط عدن الجوية المتجهة إلى أسمرة، ومنها إلى القاهرة.

(*) قنبلة المطار ١٩٦٣.

## روايات متضارية

أخبرني الأخ أحمد ناصر القشبري أن السلاح المستخدم في العملية كان عبارة عن ثلاث قنابل ورشاش، وصلت عبر مطار عدن مع وفد برئاسة عصمت عبد المجيد الموظف بوزارة الخارجية المصرية الذي كان متجهاً إلى مقديشو لحضور احتفالات استقلال الصومال في ذلك الحين، وقد تسلّم أحمد القشبري السلاح في مطار عدن، لأنه لا شبهات عليه بحكم عمله مديراً للتشريفات في المطار وضابط أمن مع مستر كون واي مدير الأمن السياسي الإنكليزي في عدن، وذلك بعد أن أبلغه الأصنج بوصول السلاح مع الوفد المصري، وأنه تسلمه مباشرة. وبعد ثلاثة أيام حصلت حادثة قنبلة المطار، لكن الأخ عبد الله عبد المجيد الأصنج (الذي كان يشغل محاسباً في مطار عدن ورئيس نقابة عمال الطيران المدني) له رواية مختلفة لموضوع إدخال السلاح عبر مطار عدن، حيث يشير إلى أن السلاح سلم لخليفة ومحمد المي في القاهرة، بعد أن تدرب عليه وسلَّمه إياه عبد المجيد فريد الذي يعمل في رئاسة الجمهورية المصرية، وقد أُحضر على طيران ADEN AIRWAYS وأُدخل إلى المطار بفضل تعاون رجال الأمن الوطنيين العاملين في المطار.

وقبل الحادثة في المساء جاء والد أحمد القشبري وعبد الرحيم قاسم إلى المطار، وطلبا منه أن يبقى في المطار إلى الصباح لحراسة خليفة عبد الله حسن خليفة، وسلّموه مسدساً، وعند مغادرة الوفد الذي كان يستعد للسفر إلى حضور مؤتمر لندن، رُميت القنبلة عليه.

اعتُقل خليفة عبد الله حسن خليفة وأحمد القشبري والبقية بعد ٢٤ ساعة من الحادث، وأُودعوا سجن كريتر لمدة ثلاثة أشهر، ومن ثم قدموا للمحاكمة، وفي أثناء المحاكمة رمى المحامي البريطاني فونزيه على منضدة القاضي بفتيرنه[٢٢]، وأحدثت تلك الفعلة ضجة في المحكمة، ولم يعرف القاضي مصدر الرمية على المنصة، وعندما سأله المحامي: هل عرفتم يا سيدي القاضي من رماكم؟ قال: لا، لا نعلم من أين مصدر هذه الرمية، فرد المحامي على القاضي: وهكذا يا سيدي في قضية القنبلة، فليس لدينا ما يؤكد أن خليفة هو الذي رماها!

هرّب الضابط محمد علي إسماعيل أحمد القشبري من قاعة المحكمة، أثناء الجلسة الرابعة وسلمه لإبراهيم الزوقري ومحمد على طالب، وبدورهما هرّباه إلى تعز وسُلِّم لمدير الأمن

(٢٢) كرات زجاجية صغيرة يلعب بها الأطفال.

في تعز محمد علي الأكوع، ومن ثم لقيادة القوات المصرية في تعز التي ارسلته إلى مصر حيث بقي هناك لمدة ٤ سنوات وعاد إلى عدن بعد الاستقلال.

## شهادة خليفة

وفي شهادة خليفة عبد الله حسن خليفة عن حادث قنبلة المطار خلال حديثه معي في منزله بإمارة الشارقة بتاريخ ٢٤ يناير ٢٠٠٥ بحضور نجليه بركان وأرسلان وابنته نيران (وهنا نرى إلى أي حد أثر المزاج الثوري والحماسة الوطنية حتى في أسماء الأبناء نيران وبركان)، يشير خليفة إلى أنه كان مديراً لفرع الخطوط الجوية اليمنية التابعة للجمهورية العربية اليمنية «مكتب عدن»، ويقول إنه أخذ دورة عسكرية لمدة أسبوع في القاهرة للتدرب على السلاح ورمي القنابل، وإنه أحضر معه قنبلتين ومسدساً من القاهرة بعد أن سلّمه إياها عبد المجيد فريد، وكان ذلك في فبراير ١٩٦٣، وكان اسمه السري خلال التدريب «صالح». ويوضح أن اسم المحامي الذي ترافع عنه كان اسمه فرنش (فروونزيه)، كلفه الدفاع عنه المؤتمر العمالي في لندن بطلب من المؤتمر العمالي في عدن.

## محامٍ بريطاني

وفي تحليله للحادث، كتب المحامي البريطاني آرثر غرينوود أن خليفة قدم للمحاكمة بتهمة إلقاء القنبلة والقتل الجماعي مع سبق الإصرار، وكان المؤتمر العمالي البريطاني بطلب من المؤتمر العمالي في عدن قد أرسل على حسابه الخاص محامياً من أشهر المحامين البريطانيين للدفاع عن السيد خليفة، وقد أجاب خليفة أمام المحكمة بأنه غير مذنب عندما واجهته المحكمة بالتهمة.

وخلال المحاكمة، قال رئيس المحكمة إنه في قضية تتعلق بحياة شخص تطلب العدالة دليلاً قاطعاً، والدليل القاطع في هذه الحالة شاهد عيان، وكان أحمد ناصر القشبري وعبد الله ناصر المجعلي (المعروف بالمئة) شاهدي عيان، قد غادرا عدن كما أذاعت محطة صنعاء، فأجاب النائب العام بأن القشبري شاهد عيان قد أدلى بشهادته أمام قاضي التحقيق، ولكنه غادر عدن إلى صنعاء مع المئة، ولكن رئيس المحكمة أجاب بأنه يريد استجوابه وملاحظة طريقة كلامه وسلوكه، وهو يدلي بشهادته، فاعتذر النائب العام باستحالة حضوره.

وهنا أوقف رئيس المحكمة العليا القضية واعتبرها مغلقة وأمر بالإفراج عن خليفة لعدم توافر الإثبات.

كانت الوزارة العدنية تعلم أن القشبري هو مفتاح القضية، وبذهابه من عدن ستنهار قضية النائب العام، لذلك جرى أمر غريب، فقد أفرج عن القشبري قبل يومين من نظر محكمة الجنايات العليا لكي يغادر عدن إلى اليمن، ولم يستطع أحد إثبات مخالفة أو تهاون على أي ضابط في الأمن العام، ولا تزال الطريقة التي أُفرج بها عنه وسفره لغزاً حتى الآن.

## إعادة اعتقال خليفة

على الرغم من أن محكمة الجنايات العليا أمرت بالإفراج عن السيد خليفة، إلا أنه ما كاد يغادر ساحة المحكمة حتى ألقت قوات أمن مستعمرة عدن القبض عليه تحت قانون الطوارئ، لا بتهمة القتل.

لقد كان إجراء إعادة اعتقال شخص أفرجت عنه المحكمة العليا بعد مرور دقائق من صدور أمر رئيس القضاء بالإفراج عنه من الأمور التي لا يمكن أن تمرّ بسلام، فهاجمت الصحافة العدنية تصرفات المندوب السامي وأظهرته بمظهر رجل سلطة حاقد وغير مسؤول. وأثار هذا التصرف من المندوب السامي الرأي العام ورجال القانون وغضب السلطات القضائية التي شعرت بأن الهدف من إعلان حالة الطوارئ هو التحايل على القانون والاستخفاف بمكانة القضاء.



صورة نادرة لمجموعة من قضاة عدن في ساحة محكمة عدن في كريتر

كان على المندوب السامي أن يتصل بوزارة الخارجية البريطانية لطلب الموافقة على رأيه في استمرار حجز السيد خليفة، ولكنه فوجئ بأوامر وزارة الخارجية بإطلاق سراح السيد خليفة وتجنب أي إشكال معه أو مع المجلس التشريعي العدني. وهنا أمر المندوب السامي بالإفراج عن السيد خليفة الذي أخذ مقعده في المجلس التشريعي، مستعيداً بذلك حريته الكاملة بتأييد شعبي كبير.

## استقالة المندوب السامي

جرى البروتوكول بأن يستقبل المندوب السامي أعضاء المجلس التشريعي في دار الانتداب، وهذا يعني مصافحة الجميع ورفض السير كينيدي ترافسكس القيام بذلك الاستقبال لأنه لا يريد وضع يده بيد السيد خليفة، على الرغم من طلب السيد زين باهارون، كبير وزراء عدن. هنا أبرق رئيس الوزارة العدنية باهارون إلى لندن يشكو تصرف المندوب السامي، فوجهت وزارة الخارجية أمراً إلى السيد كينيدي ترافسكس بأن يتصرف كرجل سياسي ولا يترك مجالاً للجوانب الشخصية، وأن يستقبل خليفة بكل احترام أو أن يستقيل من منصبه.

بناءً عليه، استقال السير كينيدي ترافسكس كمندوب سامٍ لولاية عدن والحكومة الاتحادية، ولم يستمر انتدابه أكثر من تسعة أشهر، كان خلالها الصّديق الحميم الوفي والأب الروحي للحكومة الاتحادية وحكام الولايات التقليديين الذين لا تزال لبعضهم به علاقة مالية وطيدة.

## الأولى في الجزيرة العربية

ولتسليط المزيد من الأضواء على الكيفية التي جرت فيها انتخابات المجلس التشريعي والمناورات السياسية التي كانت تُجرى خلال تشكيل حكومة عدن، وإن كانت تجربة شكلية محدودة الحجم والتأثير والأبعاد والصلاحيات، إلا إن من المفيد تسليط الأضواء عليها بوصفها أول تجربة انتخابية تشهدها شبه الجزيرة العربية، وباعتبارها أيضاً جزءاً من تاريخ عدن والجنوب. وهنا سأستفيد من الأرشيف الشخصي للشخصية الوطنية المعروفة خليفة عبد الله حسن خليفة، بطل العملية المشهورة بعملية قنبلة مطار عدن، فمنذ أن قرر أن يترشح في انتخابات المجلس التشريعي لولاية عدن، انهال عليه الدعم من كافة قطاعات المجتمع وكافة الدوائر الانتخابية، نظراً لأنه لم يكن شخصية عدنية بارزة فحسب، بل كان نجماً لامعاً

في ميادين كرة القدم، فضلاً عن أنه كان مسؤولاً عن تكوين لجنة لتقصي الحقائق حول اتهامات باشتراك أعضاء المجلس البلدي وموظفي البلدية في ممارسات قاصرة.

وقد أدى اعتقال السيد خليفة وحبسه منذ ١٠/ ١٢/ ١٩٦٣ تحت قانون الطوارئ إلى اعتبار المواطنين له بطلاً حرمته سلطات الاحتلال حريته ظلماً وعدواناً. كان السيد خليفة داخل السجن عندما تقدم بترشيح نفسه، وعندما ظهر اسمه في قائمة شملت ١٤ مرشحاً لدائرة كريتر الشمالية الانتخابية، تطوع المئات من الناس لدعمه وتأييد حملته الانتخابية، كذلك قام عدد من الأشخاص الذين يكنون الحب والاحترام لإخلاصه وشجاعته بتدبير مبلغ لم يتجاوز ٣٥ جنيهاً لتوفير القرطاسية والطباعة والصور فقط، ولم يدفع أي مال لأحد لشراء صوته أو للتأثير في قادة المجموعات الانتخابية من أجل مساندته.

وفي دوائر عدن الانتخابية الأخرى ترشح (١٠) أشخاص لدائرة كريتر الجنوبية و(٥) لدائرة المعاد/ خورمكسر و(٥) لدائرة التواهي و(٩) لدائرة الشيخ عثمان و(٤) لدائرة البريقة/ عدن الصغرى.

## من السجن إلى البرلمان

وجه السيد خليفة من سجنه رسالة إلى الناخبين، جاء فيها: «أكتب إليكم هذا بينما أنا معتقل في سجن عدن، أود أن التقي بكم شخصياً لأطلب دعمكم حتى أتمكن من تمثيلكم في المجلس التشريعي، ولكن قانون الطوارئ يحول دون ذلك، وأوجه إليكم رسالتي هذه وكلي أمل في أنكم لن تحرموني أصواتكم التي ستمكنني من خدمتكم ورعاية مصالحكم. أدرك تماماً ما نواجهه من صعوبات وآلام لأنني عانيت من جميع أنواع الصعوبات، وقد أصبح واجباً علينا أن نقف دون خوف في وجه الاضطهاد والعدوان والاستعمار.

لا يستطيع أحد رعاية مصالح العدنيين سوى أعضاء المجلس الشجعان والشرفاء الذين لا يخافون قول الحق والذين يؤمنون بالله وبحق الناس في الحرية والشرف والعدل الاجتماعي والمساواة دون عصبية وتمييز.

وأناشدكم تقديم الدعم لي بوضع العلامة «X» أمام صورتي في قائمة المرشحين، وأسأل الله أن يعينكم على اختيار المرشح الأمين والمخلص لتمثيلكم في المجلس».

واستجابة للضغوط الشعبية حُدِّد يوم ١٦/ ١٠/ ١٩٦٤ لانتخاب (١٦) مرشحاً عدنياً لعضوية المجلس التشريعي، وتقدم خليفة من دائرة كريتر الشمالية الانتخابية.

بدأ الاقتراع في تمام الساعة الثامنة صباحاً من يوم ١٦/ ١٠/ ١٩٦٤، وكانت عدن في حالة من الهدوء والنظام، وذهب العدنيون إلى مكاتب الاقتراع المحددة في مراكزهم للإدلاء بأصواتهم. وعلى الرغم من أن بعض المرشحين أنفقوا الكثير من المال في تلك الدائرة الانتخابية، إلا أن خليفة لم يتبوأ قمة الفائزين في دائرته فحسب، بل في كل الدوائر الانتخابية في عدن. وقد قوبل فوزه في الانتخابات بالابتهاج والفرحة من كل الشعب.

وعقب انتهاء الانتخابات ومعرفة النتائج، أرسل جميع أعضاء المجلس التشريعي المنتخب البرقية الآتية إلى المندوب السامي:

«نحن الأعضاء المنتخبين لعضوية المجلس الاستشاري الجديد في عدن، نطالب بشدة على الفور بإطلاق سراح زميلنا الموقر خليفة عبد الله حسن خليفة، الذي لا يزال معتقلاً تحت قانون الطوارئ، إذا استمر اعتقاله فلن يقبل أي واحد من الموقعين أدناه أي تعيين وزاري في حكومة عدن».

وقد تخلف السيد عبد الله سالم باسندوة وحده عن توقيع البرقية، وقال في ما بعد إنّه كان نائماً في منزله عندما أرسلت البرقية ليضع توقيعه عليها.

وقد كتب خليفة رداً على رسالة المندوب السامي ما يأتي:

«أشكركم على رسالتكم رقم ٩١/ ٠٨١ م س بتاريخ ٢١/ ١٠ التي استلمتها في سجن عدن حيث يجري اعتقالي، بتاريخ ٢٤/ ١٠، وقد أبلغت السادة الأعضاء بمحتوياتها، الذين أبرقوني بموضوع الترشيح الواجب تقديمه إلى المجلس التشريعي لعدن. وإنني على علم بأحكام الفصل ٣٣ من دستور عدن، ولكنني مع ذلك أشعر وأعتقد أن صلاحياتكم كسلطة دستورية يجب ممارستها بمعية ومشورة وموافقة العضو الذي نال تأييد أغلبية أعضاء المجلس. وقد أبلغتكم في برقيتي من قبل أنني ذلك الشخص الذي نال ذلك التأييد».

## باهارون يشكل الحكومة

في يوم الأحد ٢٥/ ١٠/ ١٩٦٤ دعا المندوب السامي السيد زين عبده باهارون إلى تشكيل

الحكومة، ثم أعلن عندئذ أن المجلس الأعلى لاتحاد الجنوب العربي قد وافق على إطلاق سراح خليفة.

وقد أرسل أعضاء المجلس العشرة المنتخبون برقية احتجاج إلى السيد غرينوود وزير المستعمرات، نصها: «نحن أغلبية أعضاء المجلس التشريعي المنتخب نرفض بشدة إقدام المندوب السامي منفرداً ودون التفات لاقتراحنا بتعيين السيد خليفة رئيساً للوزارة على تعيينه السيد باهارون رئيساً للوزراء، متحدياً بذلك رأي (١٠) من (١٦) عضواً منتخباً.

نحن على ثقة من أنكم ستتخذون إجراءات كفيلة بتحقيق طلب الموقعين أدناه الذين يمثلون الشعب»:

| | |
|---|---|
| **١- سعيد محمد حسن** | **٢- عبد الله سالم باسندوة** |
| **٣- علي محمد نعمان** | **٤- عبده حسين الأهدل** |
| **٥- خليفة عبد الله خليفة** | **٦- عبد الرحمن حسين** |
| **٧- سالم أحمد نايقة** | **٨- هاشم عمر إسماعيل** |
| **٩- علي علوان ملهي** | **١٠- عبد القوي مكاوي** |

وفي الساعة الثانية من مساء يوم الاثنين ٢٦/ ١٠/ ١٩٦٤ أطلق سراح خليفة، وأخذ الشعب لعدة أيام ينادي مبتهجاً «عاش خليفة»، وفي عددها رقم ٦٠٩ الصادر في ٢٩/ ١٠/ ١٩٦٤ وصفت صحيفة (عدن كرونيكال) الوضع بمقالة، نصها:

«عندما أطلق سراح السيد خليفة استقبله عند مدخل السجن جمع غفير من مئات الشعب شمل أعضاء المجلس التشريعي ووزراء سابقين. وأحاط مئات الأطفال بخليفة وهم يرددون «عاش خليفة» ورافقوه حتى منزله».

بعد هذا الشرح المطول للأحداث والتطورات حول قنبلة المطار وتداعياتها، وحول المجلس التشريعي الذي أعقبها، أتساءل: مَنْ هي الجهة السياسية التي وقفت وراء «قنبلة المطار»؟

لم تكن قطعاً، الجبهة القومية، وإلا أعلنت مسؤوليتها عنها، فهي تتبنى علناً الكفاح المسلح. ولم يكن حزب الشعب الاشتراكي، لأنه كان غير مؤمن بالكفاح المسلح، بل رفض حتى ذلك الوقت تأييد الثورة المسلحة، معتبراً أنها محض هدر للدماء ومضيعة للجهود والوقت.

وفيما أنكر الحزب علاقته بالحادث أول الأمر، عاد بعد سنوات -على لسان بعض قادته- إلى الزعم أنه من تخطيطه. ولم يكن ذلك الإعلان مقنعاً لأحد.

ولم يكن الحادث من صنع وتدبير رئيس حكومة عدن، زين باهارون، كما ذهب محمد حسن العوبلي في كتابه «اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي» الذي سبق أن أشرت إليه. فليس ثمة ما يوحي أن يصل الصراع بين الإنكليز وحكام عدن إلى هذا الحد، وما من سبب يدعو باهارون للعودة إلى عدن بعد يومين من الحادث وقد ألقي القبض على المتهم. ولا يعقل أن يكون البريطانيون قد أقدموا على تفجير قنبلة في ركب يتصدره مندوبهم ورجاله وكل السلاطين في المجلس الاتحادي تقريباً، وبما يخلق حالة من الاضطراب قد تؤذيهم قبل أن تسيء إلى سواهم.

ولم يكن الحادث عابراً، بمعنى أنه لم يأتِ خطأً أو عفواً، لأن الهدف الذي أصابه ليس نائب المندوب السامي وحسب، بل مؤتمر لندن نفسه الذي كانت الأضواء مسلطة عليه. ولأن المناضل خليفة عبد الله حسن خليفة خرج من السجن ليس فقط بريئاً، بل أصبح شخصية سياسية وطنية دخلت حلبة الانتخابات والصراعات السياسية غيابياً وهو في السجن، وسرعان ما فاز بحصانة برلمانية تمنع حبسه لكونه حصد أكثر أصوات الناخبين وفاز بمقعد مهم في المجلس التشريعي.

## مؤتمر لندن... قرار غامض

هل يعقل أن تكون المخابرات المصرية هي التي خططت لقنبلة المطار، وثمة ما يؤيد هذه النظرية، خاصة أن السلاح المستخدم في العملية جاء من مصر، كذلك فإن بطلها خليفة تلقى تدريباً قبلها بأيام في مصر.

حتى الآن لا يزال الأمر لغزاً لم يكشف عنه!!

وحتى وصول السلاح المستخدم في العملية وادخاله إلى عدن، يطرح أسئلة كثيرة، فلماذا جاء السلاح مباشرة من مصر، مع أنه كان بالإمكان إدخاله عبر الشمال حيث توجد القوات المصرية، والطرق البرية مفتوحة وسالكة إلى عدن. ورغم كل هذه التساؤلات عن دخول السلاح والجهة التي تقف خلفه أيّاً كانت، أو التي خططت لها، فإن البطل الحقيقي لهذه

العملية هو خليفة عبد الله خليفة الذي حدثني شخصياً بهذه التفاصيل خلال لقائي به في منزله في الشارقة، كذلك لا ننكر دور ناصر القشبري، زميله في هذه العملية.

في حزيران/ يونيو ١٩٦٤ عقد مؤتمر لندن الذي أرجأته «قنبلة المطار» قبل أكثر من ستة أشهر، مسبوقاً بحملة تنديد واسعة وبيانات عديدة للقوى والهيئات الوطنية، ومعارضة عربية ودولية واسعة، تصدرتها القاهرة.

استغرقت أعمال المؤتمر أكثر من ثلاثة أسابيع، في ظروف اتسمت باشتداد الكفاح المسلح، والتضييق على الوجود العسكري البريطاني في عدن والمحميات الجنوبية. وصدر عنه قرار غامض حول تحقيق الاستقلال «بعد أربع سنوات»، مشروطاً ببقاء القاعدة البريطانية «من أجل حماية الدولة الجديدة المستقلة» وقرار بإجراء تعديلات على الدستور وقيام «مجلس وطني» بديل من المجلس التشريعي يجري انتخاب أعضائه «ما أمكن ذلك».

وسبق قنبلة المطار في عدن قنبلة (جوشي)[٢٣]، حيث هوجم المجتمعون في أحد اجتماعاتهم برئاسة وزير الاشغال الهندوكي جوشي في منزله على شاطئ صيرة بقنبلة يدوية محلية الصنع ومسدس عيار ٩ مم بهجوم شنته مجموعة من الناصريين، وكان المنفذ أبو بكر شفيق وبمشاركة كل من أحمد هبة الله علي وعبد الرحمن فارع ومحمد علي حيدر وعلي بن الشيخ سعيد العراقي[٢٤].

ويؤكد الأخ أبو بكر شفيق أنهم نفذوا ثلاث عمليات: الأولى سُميت «فلفل على الجرح»، والثانية نُفذت ضد ميناء الإنزال العسكري البحري المقابل لجبل حديد، والثالثة على معسكر العزاب الذي يضمّ أيضاً صيانة المعدات العسكرية والأسلحة الثقيلة.

(٢٣) نشرت صحيفة «فتاة الجزيرة» لصاحبها محمد علي لقمان، خبر الحادث تحت عنوان «قنبلة جوشي واحد من مليون» أي نسبة النجاح هي واحد من كل مليون. المصدر: أبو بكر شفيق.

(٢٤) كان أبرز المؤسسين لمنظمة الشباب العربي الأخ سعيد عمر العكبري، أحمد هبة الله علي، محمد علي، محمد أحمد باشماخ، وعبد الرحمن فارع، وكان من عناصرنا الفاعلة الشهيد خالد عبد الله قاسم (خالد هندي) وممن كانوا على مقربة منا وكانوا رديفاً مناصراً وفاعلاً في بعض المهمات الفقيد علي الشيخ سعيد العراقي، علي صالح علي بيضاني، محمد عبد الله طيطى، عبد الله أحمد الحمزي، صلاح الدين عبد الرحمن دبعي، أسعد بن أسعد طاهر، حسين شيخ عزيبي، عبد الله بن عبد الله حسين، عبده شعبي، خالد محمد سعيد المفلحي.

## السلطان الفضلي ينسحب من المؤتمر الدستوري عام ١٩٦٤

كانت قرارات مؤتمر لندن مصدر استفزاز لمشاعر شعبنا وتحدياً له ولثورته المسلحة وطموحاته المشروعة، ومحاولة تستهدف تجزئة الجنوب إلى جزأين. كان بيان الجبهة القومية الذي عقّب على نتائج المؤتمر قد حذر من خطر تنفيذها، داعياً إلى مواجهتها وهي تتعارض، فضلاً عن ذلك، مع قرارات الأمم المتحدة، وبخاصة القرار الصادر في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٣ والذي نص - رغم ضعف عباراته - على تصفية القاعدة البريطانية في عدن.

وقد أعلن السلطان أحمد عبد الله الفضلي، سلطان الفضلي و«رئيس المجلس الاتحادي» في آخر دوراته، انسحابه من المؤتمر، وأخذ طريقه إلى القاهرة للانضمام إلى المعارضة، معلناً أن مؤتمر لندن لا يلبي الاستقلال الفوري، وأن بريطانيا تعمل على «عقد اتفاق جديد تحتفظ بمقتضاه بقاعدتها في عدن، وتمهِّد من خلاله لاستمرار وجود عملائها». وقد التقى بالرئيس جمال عبد الناصر الذي قال عنه بعد ذلك في خطاب رسمي في ٢٢ يوليو ١٩٦٤ بمناسبة عيد الثورة إنه أقوى من رئيس وزراء بريطانيا وأقوى من وزير مستعمراتها وأقوى من جيوشها في الجنوب العربي، وظل فخوراً بهذه الشهادة من الرئيس جمال عبد الناصر.

## مهراجات لا سلاطين

في الـ٣٠ من نوفمبر من عام ٢٠١٣ جمعني بالسلطان أحمد عبد الله الفضلي لقاء في منزلي بالقاهرة، تحدث خلاله بطريقته الساخرة عن أبين أرض الحاس والحسحاس والكيد والنكد والظلم الشديد، وعن تجربته في السلطنة وجهوده في النهضة الزراعية بعد عام ١٩٤٧ التي شهدتها دلتا أبين بزراعة القطن والخضار والفواكه وإقامة محلج (الكود) وعن نظام الري والسدود التحويلية في هذه الدلتا المشهورة بتربتها الخصبة، وقال:

إن مرتبه كان ١٥٠ جنيهاً إسترلينياً فقط، وإن ميزانية السلطنة لم تكن تزيد على ٣٠ ألف جنيه إسترليني سنوياً، وإن الاستعمار لم يُولِ أي اهتمام إلا بزراعة القطن الذي يُصدَّر إلى بريطانيا والفواكة والخُضر التي تُصدَّر إلى مستعمرة عدن، وتحدث أيضاً عن إصابته بشظية في مطار عدن خلال حادث القنبلة التي أُلقيت على الحاكم البريطاني لعدن وذكّرني ما قاله للرئيس جمال عبد الناصر في منزله عندما التقاه بعد مغادرته مؤتمر لندن عن تلك الحادثة:

«لقد كنت من قبلها مصاباً بشظية من شظايا القنبلة التي أُلقيت على الحاكم البريطاني لعدن بينما كان يتجه إلى ركوب الطائرة قاصداً لندن، وكنا، سلاطين الجنوب جميعاً في وداعه - والله يا أخي - ما آسف الآن على شيء إلا على أن التصويب لم يكن محكماً!».

تحدث كذلك عن مشاركته في مؤتمر الأمم المتحدة ضمن وفد من الجبهة القومية وجبهة التحرير، وقال إن زعيم الجبهة القومية قحطان الشعبي تحدث خلاله عن حق شعب الجنوب في تقرير مصيره بالاستقلال عن الاستعمار البريطاني والحكم السلاطيني، فسأله مندوب الهند الذي كان حاضراً: هل السلاطين يمتلكون السلطة والقرار في إماراتهم؟
فردّ قحطان: لا.

وسأله: هل لهم ممثل في الجامعة العربية؟
فردّ: لا.

هل لهم ممثلون في الأمم المتحدة؟
فردّ أيضاً: لا.

هل يصدرون جوازات لمواطنيهم للسفر إلى الخارج؟
فردّ عليه: لا.

فعلّق المندوب الهندي: إنهم ليسوا سوى مهراجات، وعندنا في الهند المئات منهم، بل الآلاف!

حينها انتهز السلطان أحمد عبد الله الفضلي الفرصة، وخاطب قحطان الشعبي بطريقته الساخرة: لقد أفحمك مندوب الهند، وما عليك سوى الحديث عن الاستعمار، واترك الكلام عن السلاطين وعمائمهم!!

## ساندز يفاوض ساندز

وروى لي السلطان الفضلي كيف رفض التوقيع على وثيقة قدمها له وزير المستعمرات البريطاني على طاولة المفاوضات في لندن بوصفه رئيساً لمجلس اتحاد الجنوب العربي، وقد أورد الحادثة الكاتب محمد حسنين هيكل في مقال له بـ«الأهرام» المصرية بعنوان

«٧ دروس في مغامرة السلطان»، وذلك بعد أن غادر السلطان أحمد عبد الله الفضلي مؤتمر لندن ولجأ إلى القاهرة على النحو الآتي:

«في لندن أخيراً على طاولة المفاوضات دخل دنكان ساندز، وزير المستعمرات البريطاني، يقدم إلى وفد الجنوب العربي الذي كان يرأسه السلطان الفضلي بوصفه رئيساً لمجلس الاتحاد وثيقة طلب توقيعها».

أمسك السلطان بالوثيقة، فإذا ببيان يقول فيه سلاطين الاتحاد – إنهم يتمسكون ببقاء بريطانيا في قاعدة عدن لضرورات الدفاع عن اتحاد الجنوب العربي وعن العالم الحر!

وتساءل السلطان:

هذا البيان تطلبون أن نوقعه... تريدونه صادراً عنا؟ كيف ذلك؟

نفهم أن تبقوا في القاعدة بالقوة، ولكن أن تعتدوا على طلب منا نحن، فكيف يجوز؟ ثم من الذي وكلنا أن نطلب بقاءكم باسم العالم الحر كما تسمونه؟

نظر دنكان ساندز إلى السلطان بغضب، وقال له: تريد أن تتكلم كالمصريين؟!

سكت السلطان، لكن الكلام استمر بين دنكان ساندز وزير المستعمرات البريطاني الذي يرأس وفد بريطانيا في محادثات الجنوب العربي، وبين السير كينيدي ترافسكس حاكم عدن البريطاني بوصفه عضواً ومستشاراً لوفد اتحاد الجنوب العربي.

وقد علق السلطان أحمد الفضلي على ذلك بطريقته الساخرة:

«كان دنكان ساندز يفاوض دنكان ساندز» وهذا أشبه بالقول المأثور عن الزعيم سعد زغلول، «جورج الخامس بفاوض جورج الخامس في لندن».

في ذلك الوقت التحق بعض السلاطين بالقوى الوطنية وشعاراتها التحررية، ونددوا بالوجود البريطاني وأساليب القمع التي تمارسها سلطات الاحتلال. ومن أبرز تلك الشخصيات، النائب جعبل بن حسين الذي انتقل إلى الجمهورية العربية اليمنية، واضعاً نفسه تحت تصرف القوات المصرية والقوى الوطنية، والتحق بعد ذلك بمنظمة التحرير ثم جبهة التحرير عام ١٩٦٦.

كذلك أعلن وزير العدل سعيد محمد عشال، استقالته من حكومة الاتحاد، وأبدى استعداده للالتحاق بالثورة. أما حسين منصور باجابر، فقد أصدر عدداً من البيانات النارية[٢٥] ضد الاستعمار البريطاني، طالب فيها بحل الاتحاد وانسحاب بريطانيا من الجنوب والاستفتاء على الاستقلال وفقاً لقرارات الأمم المتحدة. وقد شدد على وحدة الجنوب العربي في دولة مركزية ديموقراطية واحدة، كما سماها، وندد بالمشروع الانفصالي البريطاني الخاص بحضرموت والمهرة، الذي كان يستهدف تجزئة الجنوب إلى أكثر من كيان، وقرر إرسال وفد إلى الجامعة العربية والأمم المتحدة. وطالب بانضمام جمهورية دثينة إلى جامعة الدول العربية. وأمام ضغط السلطات الاستعمارية بوقف ميزانية الولاية وميزانية الحاكم الخاصة، قدم استقالته وحلّ محله النائب عبد القادر شائع.

## الثورة تعمّ الريف

كان على الجبهة القومية أن تعمل لتخفيف الضغط عن المقاومة في ردفان، من طريق إشغال القوات البريطانية بمعارك في مناطق أخرى، وقد بحثت قيادة الجبهة هذا الأمر في تعز، وجرت الموافقة على فتح ثلاث جبهات أخرى تحقق هذا الهدف الآني، وتوسع دائرة الثورة المسلحة لإجبار العدو على ترك الجنوب في نهاية الأمر. كانت الجبهات الثلاث في الواقع مهيّأة، وهي الجبهة الوسطى وجبهة الضالع وجبهة الحوشبي.

والحقيقة أنه منذ أول حملة عسكرية بريطانية على ردفان، كان هذا هاجس تنظيمات الجبهة القومية. أتذكر تماماً حين عُرِض الوضع السياسي في الاجتماع الذي عُقد في بيت نور الدين قاسم بالمنصورة[٢٦]، وترأسه فيصل عبد اللطيف، الذي قدم عرضاً حياً وعميقاً لاتجاه الأحداث والدعوة إلى الإعلان الرسمي للكفاح المسلح بقيادة الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل، وعندما أبدى البعض ملاحظات على الثورة المسلحة في عدن والمحميات وخشيته من فشل الثورة وأن الوضع في عدن والتحصينات والبوابات

(٢٥) حاكم ولاية دثينة.

(٢٦) أطلق اسم المنصورة على هذا الحي بعد أن اكتمل بناؤه بقرار صادر عن المجلس التشريعي العدني سنة ١٩٦٢. وقد شيد هذا الحي في المساحة المعروفة سابقاً بمعسكر حاشد بعد اكتمال الخرائط الهندسية وإيصال كافة الخدمات. وقد اكتمل بناؤه في بداية الستينيات.

والأسوار والأسلاك قد تمنع دخول الأسلحة إلى المستعمرة، وأتذكر مقولته: إننا إذا انهزمنا في هذه المعركة فسيسجل التاريخ أننا قد حاولنا، وإذا انتصرنا فهو نصر لشعبنا وللأجيال القادمة. وحديث المناضل فيصل عبد اللطيف عن نجاح الثورة المسلحة في الجنوب عام ١٩٦٣ وفشلها يذكرنا بخطاب جمال عبد الناصر يوم ٢٢ يوليو ١٩٦٢ بمرور عشر سنوات على الثورة، عندما حاول البعض ثنيهم عن تنفيذ الخطة بسبب اكتشافها في اللحظة الأخيرة من قبل الملك وتحرك قادة الجيش لاعتقال الضباط الأحرار، ولكن عبد الناصر رفض التراجع عن تنفيذ هذه الخطة، فالعجلة قد دارت ولن يستطيع أحد إيقافها وإذا لم يكتب لها النجاح في القضاء على النظام الملكي، فليس أقل من أن نضحي ونثبت للأجيال القادمة أن الجيل الذي عاش عام ١٩٥٢ لم يستكن لهذا الظلم والاستبداد، بل قام وقاتل واستشهد من أجل الثورة والتغيير في مصر لتواصل الأجيال القادمة ما عجزنا عنه، ولكن الحظ كان حليفنا عندما تحرك الضابط يوسف صديق بقواته الساعة ١٢ قبل موعد قيام الثورة بساعة، وليلتها التقى عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بهذه القوة التي كانت جاهزة للانطلاق، وتحركت لاعتقال القيادة العسكرية التي كانت مجتمعة لمواجهة الضباط الأحرار، وكان هذا هو سبب انتصار الثورة. وأكد عبد الناصر حينها، ان عدد الضباط الأحرار الذين حركوا القوات ليلتها لا يزيدون على ٩٠ ضابطاً، ولكن الجيش المصري جيش وطني عبر التاريخ، أما عند قيام الثورة في الجنوب، فكان أعضاء الحركة لا يزيدون على ٦٠ عضواً، ولكنهم كانوا مؤثرين في أوساط الجماهير، إضافة إلى بعض خلايا الحركة في شمال اليمن وتنظيم قطاع القبائل المناضلة.

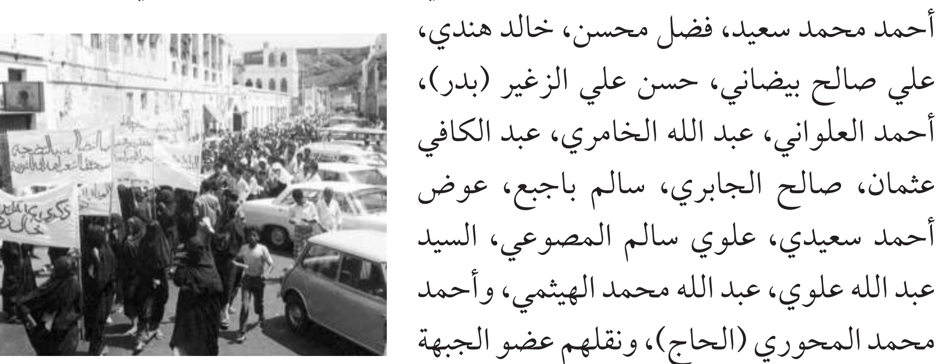


**المناضل فيصل عبد اللطيف مع الزعيم الرئيس جمال عبد الناصر**

حضرت الاجتماع بصفتي مسؤولاً عن تنظيم الحركة في لحج. وكنت من المتحمسين لفتح جبهات جديدة لحرب التحرير. وتوصل الاجتماع في نهاية الأمر إلى أهمية وضرورة

البدء بالعمليات الفدائية في عدن لإرباك السلطة الاستعمارية، وفتح جبهات جديدة لمنع البريطانيين من الاستفراد بجبهة واحدة أو منطقة واحدة. وهذا القرار من أهم القرارات التي اتخذت في تاريخ الثورة والكفاح ضد الاستعمار البريطاني وأخطرها، إذ نقل معركتنا إلى قلب القاعدة البريطانية في عدن، وكانت جبهة عدن هي الحاسمة في معركتنا مع العدو. ومما له دلالته، أن الثوار استطاعوا أن يخوضوا حرب عصابات منظمة وناجحة في مدينة صغيرة محاصرة بين الجبال والبحر، وقليلة المنافذ، ومحاطة بالأسلاك الشائكة[٢٧] وبمعسكرات القوات البريطانية والجواسيس، والقيام بالنشاط العسكري في المدن والريف، «واستطاعوا أن ينتصروا في هذه المعركة التي تُوِّجت بالنصر النهائي في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧». وعلى هذا الطريق مضينا لإعداد خطط تمدُّد الثورة، بانتظار قرار القيادة النهائي[٢٨].

في لحج لم نكن نكتفي بإعداد أنفسنا ورفاقنا للكفاح المسلح، بل قمنا بأعمال أخرى تهمّ التنظيم كله. فقد كلفتني الحركة ذات مرة بتأمين مرور فريق من المناضلين الحركيين عبر لحج إلى تعز للتدريب الفدائي، وكانوا محسوبين على تنظيم عدن، وتقرر تأهيلهم لفتح الجبهة في قلب مستعمرة عدن، بعد أن قررت القيادة ذلك، وتوافرت الإرادة. وكان ذلك - كما أتذكر - في رَبِيْع عام ١٩٦٤، وقد أنجزت المهمة بإتقان ودقة، فوصلت المجموعة بأمان إلى الموقع المطلوب، وكان من أعضائها عبد الرب علي (مصطفى)، مهيوب علي غالب (عبود)، أحمد محمد سعيد، فضل محسن، خالد هندي، علي صالح بيضاني، حسن علي الزغير (بدر)، أحمد العلواني، عبد الله الخامري، عبد الكافي عثمان، صالح الجابري، سالم باجبع، عوض أحمد سعيدي، علوي سالم المصوعي، السيد عبد الله علوي، عبد الله محمد الهيثمي، وأحمد محمد المحوري (الحاج)، ونقلهم عضو الجبهة



(٢٧) وضعت هذه الأسلاك الشائكة في أكتوبر من عام ١٩٦٥.

(٢٨) حضر الاجتماع علي السلاّمي وفيصل عبد اللطيف، سيف الضالعي، علي عبد العليم، سالم ربيع علي، ناصر صدح، حسين الجابري، محمد علي هيثم، نور الدين قاسم، عبد الرزاق شايف، عبد العزيز سلام، بالإضافة إلى كاتب هذه المذكرات.

القومية محمد علي طالب بسيارته، وقد سهّل مهمة سفرهم سالم الحجيري، الضابط في شرطة لحج والمتعاطف مع الجبهة القومية.

## اعتقال العميل زكي فريج

كان زكي فريج يعمل في إحدى الشركات بمدينة عدن[٢٩] وقد وصلها بتكليف من الحركة، وتمتع بوضع خاص في تنظيم الحركة بعدن، وقد نصح علي أحمد السلَّامي حركة القوميين العرب بالتعامل معه بعد تسليمه العمل الحزبي، وجرت اللقاءات في المعلا والتواهي وكريتر بينه وبين سعيد عبد الوارث وعبد الرزاق شايف وعبد الملك إسماعيل. في تلك الأثناء كان أرشيف الجبهة القومية من وثائق وتعليمات ومخططات وأسماء... إلخ عبارة عن حقيبة سفر تُنقَل باستمرار من موضع إلى آخر، ومن عهدة مناضل إلى آخر، تجنباً لوقوعها في أيدي المخابرات، وكان آخر مطاف لها أن وُضعت بعهدة محمد عوض عولقي[٣٠] في منتصف ١٩٦٤، وبعد ذلك سُلمت الحقيبة لزكي فريج في سبتمبر ١٩٦٤، على اعتبار أن وضعها لديه هو المكان الأنسب لحفظها وعدم تعريضها للوقوع في أيدي الاستخبارات، لذلك لن تكون هناك حاجة بعد الآن لنقلها من مكان إلى آخر. وكان زكي فريج قد تسلم العمل الحزبي والفدائي في عدن من عبد الملك إسماعيل الذي كان يُعدّ نفسه للرحيل إلى القاهرة والعمل في مكتب الجبهة القومية هناك مع قحطان محمد الشعبي. وقد شكلت شعبة لعدن بقيادة زكي فريج مكونة من عبد الرزاق شايف وسعيد عبد الوارث «أمين» وأحمد عبده وأحمد محمد قعطبي ومحمد عوض عولقي كي تنسّق بين عدن والقيادة في تعز، وبناءً على ذلك أعطى عبد الرزاق شايف أسماء الخلايا القيادية وعناصرها لزكي فريج، لكن عبد الوارث، بحسّه الأمني والسياسي، اعترض على إعطاء الأسماء، وطلب وقف أي معلومات عن ذلك، وكذلك طه أحمد غانم وكل المجموعة التي رفضت إعطاء الأسماء والأسماء الحركية له، باستثناء فضل محسن الذي وافق على ذلك، وقد اعتقل كل الذين وردت أسماؤهم في الكشف إلا فضل محسن.

---

(٢٩) شركة باسكو التابعة لزين باهارون.

(٣٠) كان مسؤولًا عن أمن الثورة وشكل جهازاً، هو نواة لجهاز أمن الثورة، مكوّن من ناصر عمر الشيخ، علي مقبل مرش،د عبد الله السالم مخزوم، ومحمد ناجي يافعي، وسالم الناخبي.

بعد أسبوعين اعتُقل زكي فريج بالتنسيق مع المخابرات البريطانية، حيث دُبّر ذلك بالاتفاق مع ضابط البوليس فضل أحمد خليل، من طريق عملية صدام بالسيارات، إذ تعمّد زكي فريج اصطدام سيارته بسيارة فضل خليل، فترتب عن ذلك قيام الشرطة بالإجراءات المتبعة في هذه الحالات من تحديد المخاطر الناجمة والجهة المخطئة وغيرها من الإجراءات، ثم استولى الضابط فضل خليل على الحقيبة وفي ضوء ما وُجد فيها اعتُقل زكي فريج.

وبهذه الطريقة قدم زكي فريج إلى المخابرات أكبر خدمة آنذاك، كان من نتيجتها توجيه ضربة قوية إلى الجبهة القومية باعتقال أبرز قياداتها في عدن بتاريخ ١٣/ ١٠/ ٦٤ وما بعده.

بعد ثلاثة أيام من اعتقال زكي، اعتُقل الأستاذ عبد الرزاق شايف من مدرسته في المعلا، وأحمد عبده راجح الذي كان موظفاً في شركة ألبس. أما سعيد عبد الوارث، فقد توارى عن الانظار واختفى، لكنه استمر يمارس عمله التنظيمي سراً.

وكان عبد الملك إسماعيل قد غادر عدن إلى الخارج، وعند عودته اعتُقل وأُدِعَ معتقل رأس مربط، وجرت مواجهة بين زكي فريج وعبد الرزاق شايف الذي أنكر صلته بالجبهة القومية والقائمة، وقد صدّق عبد الملك على اعترافات زكي فريج، وحاول عبد الرزاق إيهام المحققين وزكي وعبد الملك بأنه لم يكن ذلك الشخص المطلوب، بل هو عبد الرحمن غالب الذي كان خارج عدن.



**الصورة من عام ١٨٨٠.**
**بُنيَ حصن رأس مربط لحماية التواهي من أي هجوم بحري،**
**وهو من عهد الأتراك أو أقدم من ذلك، وقد حوّله البريطانيون إلى سجن سُمي «راس مربط»**

واستخدم الإنكليز بعض «الملثمين» في نقاط التفتيش المنتشرة في مستعمرة عدن لكشف الفدائيين أو المنتمين إلى الجبهة، وكانوا يوهمون بعض الذين اعتُقلوا باعتقال زوجاتهم

وإطلاق أصوات نسائية بالقرب من المعتقلين كجزء من الحرب النفسية لانتزاع مزيد من الاعترافات، وبعد ذلك يجري تحويلهم إلى سجن المنصورة ويُطرَد البعض إلى المحميات والشمال.

اعتُقل أكثر من (٢٠) قيادياً وبعد التحقيق الوحشي والضغوط النفسية انهار البعض منهم، فاعتقل أكثر من (٥٠) مناضلاً في رأس مربط منهم:

طه أحمد غانم، محمد عوض سالم، علي أحمد الهمامي، أحمد عمر عبد الله (الريال)، ناصر عمر شيخ، أبو بكر شفيق، صلاح الدين عبد الرحمن، خالد هندي، عبد الرحمن فارع، عبد الله محمد الهيثمي، أحمد عبده راجح، محمد عبده راجح، أحمد علي هيثم، عبد العزيز محمد سيف، علي مصطفى عيسى، محمد عبده عقيل، صالح عبد الكريم، محمد عبده طاهر، محمود حزام.

ثم توالت الاعتقالات لتشمل: علي شيخ عمر، حسين الجابري، عبد الملك إسماعيل، نور الدين قاسم، فارس سالم وغيرهم.

## من رأس مربط إلى سجن المنصورة

يقع سجن مربط على إحدى التلال السوداء بالتواهي التي تطل على البحر، وقد سُلمت المباني إلى إدارة ميناء عدن بعد الاستقلال، وهو مركز للاعتقال والتعذيب منذ الحرب العالمية الثانية، وقد اختير هذا المكان سجناً لبُعده عن المدينة وعن أعين السكان في عدن، وأصبح اسمه يثير الرعب لدى السكان والفدائيين، في هذا المكان كانت تُنتزَع أخطر المعلومات من السجناء الفدائيين من قبل محققين متخصصين بريطانيين وعرب ومحليين، كانوا لا يتركون فريستهم حتى يمتصوا كل ما عنده من أسرار، لكن بعضهم يصمد ويرفض إعطاء المعلومات حتى ولو كلفه ذلك المنع من النوم والضرب والإهانة والمواجهة بينه وبين رفاقه الذين يسقطون من جراء التعذيب.

حدثني علي شيخ عمر بعد خروجه من السجن ونفيه إلى ولايته دثينة أنهم كانوا يحرمونه الأكل والماء والنوم والراحة لساعات ولأيام، وأنه اضطر إلى أن يأكل قطن الفراش الذي ينام عليه، وبعد أن يئسوا منه شتمه أحدهم بعد أن راجع الماء والقطن على محققه. وتأكيداً لما

سمعته منه، فقد اطلعت على مذكرة مهمة من المعتقلين السياسيين في سجن المنصورة إلى مبعوث وزير الخارجية البريطاني[٣١]، بعد أن اكتظت سجون المستعمر البريطاني وحكام الجنوب ومعتقلاتهم بالمئات من الثوار والمناضلين الشرفاء الذين تعرضوا لصنوف بشعة من التعذيب والإرهاب الجسدي والنفسي، في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تزايد باسم الحرية وحقوق الإنسان.



**من أهم معالم المنصورة المعمارية السجن الذي شيدتة حكومة مستعمرة عدن ما بين ١٩٦٢-١٩٦٣، وهو سجن سياسي بناه الإنكليز عند بدء الكفاح المسلح لاعتقال مناضلي جيش التحرير وفدائيي الثورة المسلحة، حالياً السجن تابع لوزارة الداخلية.**

ولأن العالم بات قرية صغيرة، فإن جرائم الإنكليز ومخالفتهم أبسط الحقوق الإنسانية في معاملة المعتقلين قد فاحت روائحها الكريهة حتى وصلت إلى جهات العالم الأربع، ونددت بها المنظمات الإنسانية، وعلى رأسها منظمة الصليب الأحمر الدولية، ما استدعى أن تُرسل الحكومة البريطانية مبعوثاً من قبل وزير الخارجية لذرّ الرماد في العيون، تحت زعم التحقيق في إجراءات الاعتقال وطرق معاملة المعتقلين السياسيين، وقد رفع المعتقلون السياسيون في سجن المنصورة بعدن مذكرة إلى (رودريك باون) مبعوث وزير الخارجية، الذي وصل إلى عدن في نوفمبر ١٩٦٦، ووقّع المذكرة جميع المعتقلين، وكان عددهم (١٠٩). وتُعَد هذه المذكرة وثيقة تاريخية مهمة تشرح بالتفصيل الجرائم التي ارتكبها المحتل البريطاني منذ اندلاع المقاومة الشعبية ضده، ومما جاء فيها فرض السلطات الاستعمارية حالة الطوارئ على

(٣١) نشرت المذكرة في صحيفة الأمل، العدد ٧٣، بتاريخ ١٣/ ١١/ ١٩٦٦.

كل أنحاء الجنوب منذ ديسمبر ١٩٦٣، والقيام بحملات إبادة جماعية في ردفان والضالع ويافع والشعيب بقنابل النابالم والمدافع الرشاشة، وتشريد الآلاف من السكان ودفعهم إلى اللجوء إلى الجمهورية العربية اليمنية، وإقامة نقاط تفتيش بكثافة ومداهمة المنازل والأندية والمساجد، وإقامة سور من الأسلاك الشائكة حول مستعمرة عدن!

وتطرقت المذكرة إلى حملات الاعتقال الجماعية الاعتباطية، وأساليب الإرهاب المتبعة في الاعتقال، مثل اقتحام المنازل من السطوح، وكسر الأبواب بالقوة، وترويع النساء والأطفال بالاعتداء على ذويهم أمامهم بالركل والصفع والضرب بأعقاب البنادق والمسدسات. وعدّدت المذكرة أكثر من (٣٦) وسيلة تعذيب مستخدمة في معتقل (رأس مربط) الرهيب لانتزاع الاعترافات بالإكراه، وأشارت إلى المعتقلات الأخرى التي يجري فيها تعذيب المعتقلين بصورة أشدّ نكالاً، وهي: سجن مصوع في سلطنة لحج، سجن زارة وسجن جبل الكور وسجن موحش (عبارة عن كهف) وسجن مروحة وحصن صوفة ومرتعة في العواذل، وسجن مودية في دثينة، وسجن زنجبار في السلطنة الفضلية، وسجن جعار في سلطنة يافع السفلى، وسجن الضالع في إمارة الضالع، وسجن الواحدي في إمارة الواحدي، وسجن المكلا في سلطنة القعيطي، وسجن أحور في العوالق السفلى، وسجن المسيمير في سلطنة الحواشب، وسجن الشعيب في مشيخة الشعيب، وسجن بيحان في بيحان.

وكان الذين ينتهي التحقيق معهم في سجن مربط وغيره من مقارّ التحقيق والتعذيب يُنقَلون إلى سجن عدن المركزي، وذلك قبل الانتهاء من بناء سجن المنصورة الذي نُقل إليه بعد ذلك المعتقلون السياسيون من الجبهة القومية وجبهة التحرير[٣٢].

(٣٢) وهم: أحمد سالم عولقي، مروان محمد رضوان، جميل محفوظ خليفة، زكي محمد حسن خليفة، عوض ناصر فضلي، محسن فضل هادي، فؤاد محمد علي، هشام حامد خليفة، عبد الرحمان فارع سالم، عادل محفوظ خليفة، أبو بكر علي شفيق، جواد قايد عبده، محمد محسن الأبي، عبد المجيد مقبل صبري، خالد محمد صالح مرفدي، خالد عبد الله قاسم، محمود علي عبده، محمد صالح عولقي، علي عبد العليم، محمد منصور فضلي، علي سعيد الزعبلي، عبد الرب علي عبده، سالم عوض محمد حسني، عبده ردمان، عبد العزيز مقطرى، حسن الفلسطيني، أحمد حسين باحبيب، حسين محمد الجابري، حسين سعيد سالم، محمد علي طالب، محمد طاهر مقبل، محمد عوض مذرار، أحمد نعمان علي، علي سالم، محمد أحمد جازم، سالم محمد عوذلي، فارس سالم أحمد، عايش عوض سعيد، أمعبد ناصر، أحمد محمد ناصر، ناصر عوض، صالح محمد، ناصر علي فرحان، سالم باصهيب، ناصر عبد الله، علي =

ولكن معظم الفدائيين كانوا من قيادات الجبهة القومية وقواعدها وقد تحولوا بعد ذلك إلى مشكلة سياسية في سجن المنصورة عندما نظموا أنفسهم ووضعوا خطة للتحرك من داخل المعتقل، فوجهوا من سجنهم في المنصورة عشرات البيانات والبرقيات والمذكرات إلى المنظمات العربية والدولية ولجان تصفية الاستعمار ولجان حقوق الإنسان، وإلى مستر جاون بيل الذي وصل إلى عدن لتقصي الحقائق والوضع السياسي والأمني المتدهور ومعالجة الأوضاع السياسية الخطيرة التي تمرّ بها مستعمرة عدن ومحمياتها. كان الوضع في سجن عدن المركزي يسمح للمعتقلين السياسيين بزيارة أسرهم بين الساعة الثامنة صباحاً والسادسة مساءً والعودة إلى السجن بمرافقة جنود الأمن، ولكن هذه الزيارات توقفت بعد هروب محمود محمد جعفر من منزله إلى تعز عندما كان حارسه يشتري قات وقت الظهيرة، وبعضهم كان يعتقد أنه كان متواطئاً معه وسهّل هروبه خارج المستعمرة. أدّى هؤلاء المعتقلون دوراً سياسياً مهماً لا يقلّ عن أية جبهة من جبهات القتال في المدن والأرياف، وخاصة أن المعتقلين كانوا من أبرز أبناء عدن والمحميات، وكان من بين هؤلاء صالح عبد الرزاق الذي حكم عليه في نهاية الخمسينيات بالسجن لأكثر من عشر سنوات بتهمة تفجير القنابل في بعض أحياء مدينة عدن، وكان المفروض أن يطلق سراحه حيث حلق ولبس ملابس جديدة وهو في قمة الفرح، وفيما كان يُعدّ نفسه للخروج من سجن عدن المركزي بكريتر شعر بأنه سيعتقل تحت قانون حالة الطوارئ، وفعلاً أُعيد إلى السجن وانتقل مع فدائيي الجبهة القومية إلى سجن المنصورة.

---

= عمر شيخ، محمد القيسي، عبد الله محمد الهيثمي، أحمد علي حسين، علي عوض أحمد، عبد الله صالح محمد، السيد عبد الله حسين مسلوي، محمد حامد عبد القادر، حمود أحمد نعمان، عبده فارع سعيد، أحمد حميد ملهى، علي صالح أحمد، عبد الرحمن صالح، سالم سهيم سالم، عُباد عوض، منصور عبد الله مطلاه، سلطان سعيد عون، أحمد شيخ علي، سعيد ناجي، محمد حسن علي، أحمد ناجي أحمد، عبد الكافي محمد عثمان، صالح عبد الرزاق شعيبي، محمد أحمد باشماخ، عبد العزيز عبد الولي، محمد سعيد عيسى، علي سلام فوز، سليمان ناصر محمد، أحمد ناجي راشد، علي صالح علي، عادل إبراهيم حداد، عوض حسين عبد الكريم، فايز أحمد بايوسف، توفيق عوبلي، راشد محمد ثابت، عبد الله حسن غانم، أحمد عبده راجح، محمد صالح لبتر، أحمد محمد سعيد، محمد عبده عبد الله، إسماعيل علوان شيباني، محمد عبد الله التيس، عبد الله محمد سبولة، مرشد الطاهري، علي أحمد شراي، غازي محمد عبده فطيره، محمد عوض وهطي، محمد أحمد قباطي، سالم عبد الله سالم، خالد هندي، علي صالح بيضاني، ناصر عمر الشيخ، علي الهمامي، محمد عوض عولقي، عبد الكريم سلام، محمود محمد جعفر، نور الدين قاسم، عبد الله عبده إسماعيل، سعيد عثمان عشال، محمد أحمد خزام، شكيب محمد اسماعيل، عبد الملك إسماعيل، عبد الرزاق شايف.

كانت حملة الاعتقالات هذه أكبر ضربة يتعرض لها العمل التنظيمي في بداية تأسيسه بعد التحول التنظيمي من الحركة إلى الجبهة القومية.

## إعدام زكي فريج

كان زكي يبدو في وضع مريح ونظيف وهو يطلب من عبد الرزاق شايف أن يوضح لهم كثيراً من الأسرار حول وضع الجبهة القومية في عدن، وقد بقي عبد الرزاق معتقلاً أكثر من عام، بينما هرَّبَ البريطانيون زكي فريج إلى الأردن حيث تابعته الحركة وحاكمته ونفذت فيه حكم الإعدام. وبهذا جُمِّدَ العمل الحزبي أثناء هذه الفترة بسبب المداهمات المستمرة، وبسبب إحراق صحيفتي اليقظة والكفاح[٣٣]. وقد بدأت الاعتقالات في نهاية عام ١٩٦٤ تحديداً من ١٤ أكتوبر ١٩٦٤، وحتى بداية عام ١٩٦٥. أما عبد الملك إسماعيل، فقد اعتُقل قبل مغادرته عدن، ونُقل إلى رأس مربط لمدة أسبوع فقط، ثم إلى شقة سرية في خورمكسر حيث جرت مواجهة بينه وبين عبد الرزاق شايف، وطلب منه بأن يعترف لأن زكي قدم لهم كل المعلومات، وكان زكي حاضراً بعض هذه اللقاءات.

وقد غادر عبد الملك عدن إلى القاهرة للعمل في مكتب الجبهة هناك بعد شهر من الاعتقال، بينما بقي عبد الرزاق شايف وبقية القياديين في السجون لمدة ستة أشهر، وأبرزهم أحمد عبده راجح، عبد العزيز عبد الله سلَّام.

---

(٣٣) عبد الرحمن جرجرة – حسين علي بيومي.

# الفصل الثامن

## تأسيس التعليم الحكومي والخاص
## ودور الطلاب في العمل الوطني

# دور الطلبة في الحركة النضالية

بدأ التعليم الحكومي مبكراً في عدن، ولكنه كان يقتصر على أبناء عدن وأبناء الجاليات الذين ينتمون إلى المستعمرات البريطانية والحاصلين على مخلقة(*) المواطنة الكاملة في عدن، ما اضطر باقي فئات السكان إلى النضال ضد البريطانيين والوقوف بوجههم بسبب حرمان أبنائهم الالتحاق بالتعليم الحكومي. فلجأت تلك الفئات إلى تأسيس مدارس أهلية في كريتر والتواهي والشيخ عثمان، فأنشأ آل بازرعة في كريتر مدرسة بازرعة، وأنشأ العلامة القاضي محمد سالم البيحاني خريج الأزهر المعهد العلمي الإسلامي، وأنشأت أسرة راجمنا المعهد التجاري الذي يخرج الكتبة وموظفي السكرتارية الذين كانوا تخرجون في مدرسة البارون في كريتر ومدرسة البارون في التواهي. وأسّس بعض الأهالي في المعلا والتواهي المدرسة الأهلية في التواهي، وآخرون فتحوا مدرسة في الشيخ عثمان باسم مدرسة النهضة وعدداً من المدارس والمعاهد الأخرى، وكان ذلك أفضل ردّ على الشعار الذي طرح عدن للعدنيين في العمل والتعليم والطبابة والدراسة في الخارج. ولكن المشكلة كانت تكمن في مواصلة التعليم بعد المرحلة الابتدائية والمرحلة المتوسطة، فأسّس بعض المواطنين ورجال الأعمال المقيمين في عدن كلية بلقيس التي التحق بها طلاب مختلف مراحل التعليم العام، الابتدائي، المتوسط والثانوي لحل مشكلة الطلاب الذين لا تنطبق عليهم شروط الالتحاق بالمدارس الحكومية، كشرط التولد في عدن والسنّ القانونية للالتحاق، وقد انتسب إلى هذه الكلية عدد كبير من الطلاب من أبناء المحميات والشمال الذين أسهموا أثناء دراستهم في النضال ضد

* شهادة الميلاد.

الاستعمار. ثم تحولت هذه الكلية والمعهد العلمي الإسلامي وغيرهما إلى مدارس ومصانع للرجال، إضافة إلى كلية الاتحاد[١] التي تأسست لأبناء اتحاد الجنوب العربي، والتحق بها عدد من الطلاب الذين أدوا دوراً في الحركة الوطنية والنضال من أجل التحرر والاستقلال.

كان لهؤلاء الطلاب وغيرهم دور بارز في التظاهرات الطلابية والمسيرات والأعمال الفدائية، والتحق بعض طلبة هذه المدارس الأهلية بحركة القوميين العرب وحزب البعث العربي الاشتراكي والتيار الماركسي، إضافة إلى التحاق بعض المدرسين بالحركة والجبهة القومية وبالبعث وحزب الشعب وأحزاب أخرى، وجمع هؤلاء النضال المشترك ضد الاستعمار بصرف النظر عن خلافاتهم وانتماءاتهم الحزبية. وقد تعرفت لأول مرة بالأستاذ محسن العيني الذي كان يدرس في المعهد العلمي الإسلامي، وهو صديق صديقي محمد باب الله، المطرود من مودية بعد حادثة القصر، وقد عُيِّن محسن العيني وزيراً للخارجية بعد الثورة في الجمهورية العربية اليمنية ورئيساً للوزراء بعد ذلك. والأستاذ قاسم غالب الذي أصبح وزيراً للتربية والتعليم، وأحمد المروني الذي عُيِّن وزيراً للإعلام، ومحمد أحمد غالب وحسين الحبيشي مستشار رئيس الجمهورية بعد الثورة, والأستاذ القدير عبد العزيز عبد الغني الذي أصبح رئيساً للبنك اليمني، وبعد ذلك رئيساً للوزراء.

ومن الذين برزوا في الساحة الطلابية والسياسية عدد من طلاب كلية عدن.

وبرز أيضاً من طلاب الكليات (الاتحاد وبلقيس وعدن) عدد من الطلاب، أمثال حسن علي عليوة وصالح حليس ومحمد صالح القطيش وحسين الجابري وغيرهم من الطلاب. لم تكن عدن للعدنيين، كما كان يريد لها الاستعمار، فقد كانت عدن للجميع وأصبحت تشكل، بل تعكس الوحدة والتنوع بكل معانيهما، فلا توجد مدينة في الجنوب منذ بداية القرن احتضنت الأحرار من شمال اليمن ومن المحميات ومن أحرار المستعمرات كعدن، فهي الحضن الدافئ لكل الثوار والزعماء، منها انطلقت الحركة الوطنية شمالاً وجنوباً، ومنها انطلقت الصحافة، وفيها تخرج آلاف من العاملين في الأجهزة اليمنية كلها، وفيها تخرج المدرسون للالتحاق بالمدارس في اليمن، ومنها تحركت المسيرات تطالب برحيل الاستعمار وإسقاط

(١) كلية الشعب بعد ذلك.

الإمامة وقيام الوحدة اليمنية، وفيها وقف العمال والمواطنون ضد العدوان الثلاثي على مصر ومع ثورة الجزائر وكل الثورات في العالم.

هذه هي عدن روح الوطن وقلب الثورة وشريان الحياة ومصدر الإشعاع في هذه المنطقة وجوهرة الجزيرة العربية التي سأنطلق منها إلى تعز.

## من عدن... إلى فحمان

فتحت «الجبهة الوسطى» في يونيو ١٩٦٤ وفقاً لقرار القيادة في اجتماعها المنعقد في عدن، وكانت قيادتها ومقاتلوها من أعضاء الحركة الأوائل وأبناء القبائل والعسكريين، وتركزت في أحضان جبل فحمان الشاهق الذي يقع إلى الشمال من ولاية دثينة ويرتبط بسلسلة جبلية تمتد صعوداً إلى السلطنة العوذلية.

وعلى هامش الذكريات، تعرفت في عام ١٩٦٤ - خلال عملي في لحج مدرساً - إلى أحد أبناء أسرة الوزير، هو حسين الوزير - وكان قد فرّ من المملكة المتوكلية اليمنية إثر حركة ١٩٤٨، وعمل ضابطاً سياسياً في لودر، وبعدها اشتغل في السلطنة العبدلية مستشاراً مع إدارة المعتمد البريطاني. وقد تعرفت إليه في لحج، إذ كان ولداه إبراهيم وعبد الرحمن من تلاميذي. ودعاني في إحدى المناسبات إلى منزله، وقال لي: «إن الأولاد يحبونك ويحترمونك، وأنا أكنّ لك الاحترام». ثم بعد حديث طويل لخّص فكرة كانت وراء الدعوة، كما اتضح لي، ومفادها أن البلاد تتعرض للفوضى والعبث نتيجة الأعمال التخريبية التي يقوم بها من سمّاهم «المرتزقة» والمتأثرين بعبد الناصر وإذاعة «صوت العرب»، وكان يقصد الثورة التي اندلعت ضد الاستعمار البريطاني في الجنوب، ثورة ١٤ أكتوبر، ثم أضاف:

- سمعت أنك ذاهب في إجازة.

قلت له: نعم.

قال: إلى أين؟

قلت: إلى أسمرة (الحبشة).

قال: معك فلوس.

قلت: ما يسمح به المرتب (المعاش).

قال: عندي لك مصدر سهل وسريع، لا يتطلب منك سوى مجهود خمس دقائق، وأكفل لك بعده رحلة شهرين إلى إيطاليا أو أي بلد أوروبي يروقك، وقال ساخراً: «بدلاً من أسمرة بلد القات والبنات».

قلت: ما هو؟

قال: بيان صغير تعلنه من الإذاعة تدين فيه التحركات التخريبية، وتسمي هذه التحركات أعمال مرتزقة ومخربين، فالذين بدأوا في دثينة مجموعة من المرتزقة على رأسهم ناصر السقاف ومحمد ناصر الجعري.

قلت: إذا كان كما تقول، فهم متأثرون بعبد الناصر وإذاعة صوت العرب، وفي هذه الحالة أيش باياثر بياني؟! (أي: بماذا سيؤثر؟).

وقد تحاشيت التوسع في التفاصيل، ورفضت عرضه لأنني كنت على نقيض ما قلته له، ذاهباً إلى تعز وليس إلى أسمرة. وبعد سنة من هذا اللقاء معه علمت أنه قتل في عدن على يد الجبهة القومية.

(٣،٢)

برقية /فوري

من مدير المعارف الاتحاد

الى مشرف التعليم / المدية

الموضوع: علي ناصر حسني

التاريخ :١٩٦٣/٦/١١

صادر : ME/٩/٢/٤١٩

بالاشارة الى كتاب الاستاذ علي ناصر حسني وطلبه قضاء اجازته في الصيفية في الحبشة والصومال الفرنسي، يسرني ان اوافق على ذهابه في هذه الرحلة وطلبنا من ادارة مالية الولاية بدفع NAT بناء على طلبه.

مدير مكتب المقيم (الريفي)

برقية من مدير المعارف الاتحادي إلى مشرف التعليم من أجل سفري إلى الحبشة والصومال الفرنسية

## «نفّذ ثم ناقش»

كان هذا هو شعار الحركة. وفي ظروف العمل السري لا مكان للديموقراطية، لا مجال للنقاش، أو لسماع الرأي الآخر. على الجميع أن يسمعوا وينفذوا ويناقشوا بعد ذلك، إذا كان ثمة ما يمكن مناقشته بعد أن يكون التنفيذ قد تم وقضي الأمر.

تلقيت أمر القيادة بالتوجه إلى تعز للالتحاق بدورة تدريب عسكري على أيدي ضباط مصريين. وكانت قيادة الجبهة القومية قد اتخذت قراراً بفتح جبهات عمل عسكري جديدة ضد قوات الاحتلال لتخفيف الضغط عن جبهة ردفان التي كانت تتعرض لحملات عسكرية مستمرة وضاغطة لتصفية بؤرة الثورة في مهدها. ووقع الاختيار عليّ وعلى عدد من المنتمين إلى الجبهة للقيام بهذه المهمة. وكانت الدورة العسكرية جزءاً من إعدادنا لهذه المهمة التاريخية. واستعداداً لذلك، أخذنا نتجمع من كل أنحاء المحميات الشرقية والغربية عند النقطة المحددة.

## تعز... خضرة أبدية

من المنصورة، عند الساعة الخامسة بعد الظهر من يوم ٢٢ يوليو ١٩٦٤ انطلقت بنا سيارة «لاند روفر» خاصة بالمقاول عبد الجليل إسماعيل، وهو أخ شقيق لعبد الفتاح إسماعيل، يقودها أحد أقربائه ويدعى منصور. كان والدي وإخواني يعرفون أنني مسافر، لكن «إلى أين؟»، فلم أتحدث معهم بالتفصيل، وكانت التوجيهات والسرية تقتضي ذلك: «نفذ ثم ناقش»، وقد بدأت طريقاً طويلاً وصعباً لا أعرف نهايته ولم يدر في خلدي أنني سأصل عبره إلى دار الرئاسة يوماً ما.

هذه هي المرة الأولى التي أغادر فيها الجنوب وأذهب إلى تعز، لكنني تصورتها في الأحلام وسمعت عنها من بعض الأصدقاء الذين زاروها والذين شوّقوني لرؤيتها ورؤية جبل صبر. الطريق إليها يمرّ بدار سعد، الحوطة، جول مدرم، عقان، كرش، والراهدة. طريق صعب، وديان وهضاب وشعاب عميقة، وتعز نفسها قابعة في إطار من جبال عالية متوجة بالخضرة. في الراهدة، توقفت بنا السيارة عند منتصف الليل، فتنفسنا الصعداء، ونفضنا عنا غبار التعب والسفر. كان الأمر على شيء من الرهبة والفرحة، وقدماي تطآن لأول مرة محافظة تعز بعد

قيام ثورة المشير عبد الله السلال والمنطلق إلى حياة جديدة بعد الخروج من قمقم التخلف الرهيب. خيم عليّ شعور من الانفعال المرح، ولا بد أن هذا كان شعور كل من كان يرافقني في تلك الرحلة، والأرض نفسها ربما كانت تحسّ هذا الإحساس الجديد الذي نتذوق طعمه لأول مرة.

كان شيئاً طيباً أن نأكل ونشرب، ونخلد إلى النوم والراحة بعد رحلة مُضنية استمرت عدة ساعات. لكن صديقنا السائق منصور طار النوم من عينيه ورفض أن ينام. شدّ قامته واشترى حزمة «قات» وأخذ «يُخَزِّن»، واكتسى وجهه بالحنين إلى قريته حيفان (قرية عبد الفتاح إسماعيل الجوفي وعبد العزيز عبد الغني) وقد ابتسم وأدار رأسه إلى الوراء كيما يتمكن من رؤية أو تذكر كل التفاصيل الصغيرة لطفولته التي ربما اختفت عن مسرح الرؤية منذ زمن بعيد. أما أنا فقد كنت منهكاً، ولهذا نمت حتى الصباح في منزل أحد أصدقاء منصور في الراهدة، المعبر الحدودي الجمركي بين عدن وتعز.

إنه الصباح، وعبير الأزهار والأشجار يهبّ من الجبال الخضراء رخياً وعذباً، والشمس نهضت من نومها قبل لحظات، وقطرات الندى تتألق على أوراق الأشجار والعشب الأخضر. السحب البيض الرمادية تتلبد فوق الجبال وتتهادى في السماء، والطقس المنعش الجميل يبعث نسماته على وجهي فيلقي في روحي انتعاشاً وسكينة. كان جواً خيالياً يختلف عن جو عدن الحار أبداً والمُحرق كأنه قطعة من نار... عدن التي تستحم في أشعة الشمس الملتهبة المتكسرة على أمواج البحر، ولكن لها حب وسحر خاص، فجحيم عدن ولا جنّات العالم!

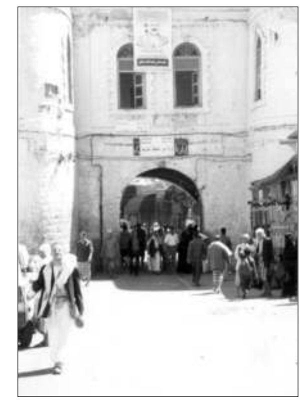
لكن تعز كانت تنادينا، والسيارة التي ألقت في جوفها عدداً كبيراً من المسافرين وتراكموا فوق مقدمتها، وعلى مؤخرتها، وجنباتها، وعلى سطحها كانت في انتظارنا. كان عدد المسافرين عليها إلى تعز يفوق طاقتها وفوق استيعابها، فقد كان عدد السيارات محدوداً، ولهذا تأجل السفر إلى المساء. وهكذا انطلقت بنا في الساعة السادسة مساءً، وسمعنا زمجرتها الغامضة وهي تقطع بنا الأودية الخُضْر، وتتسلق الجبال والهضاب، وصدى محركها يتردد مثل قهقهة أو أنين رجل مجنون. بينما كان الحشد المحشور داخل السيارة يرسل زفراته وصرخاته ويستولي علينا الإعياء جميعاً، فبدت وجوهنا أكثر جهامة من التراب المنطلق من الصخور، والحجارة التي تقرعها السيارة بعجلاتها، وأضواء بِيض خافتة تبدو من البيوت المتناثرة فوق الجبال

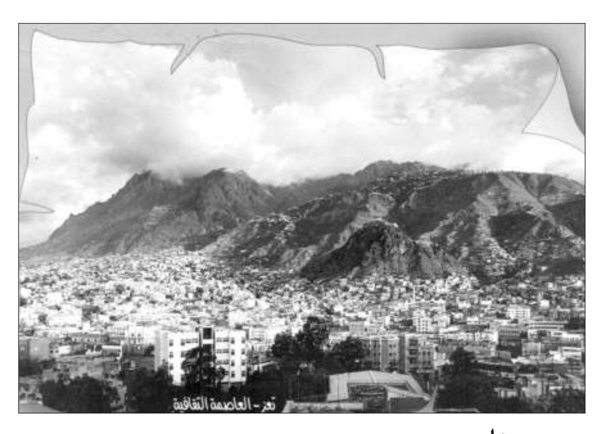
والمنحدرة حتى حافة الوديان. وكان علينا أن نألف ونتكيف مع هذا الوضع المتعب والشاق، لكن عيوننا هتفت بالفرحة عندما اقتربنا من قصر (صالة) الذي كان واحداً من قصور الإمام. ارتفع من الجمع صوت ارتياح هامس، حيث توقفت السيارة وسكن هدير محركها، فتقافزنا منها في عجلة، وعلت وجوهنا ابتسامة راضية بعد أن كان التعب قد نال منا. وكان القليل من الشاي الذي احتسيناه كفيلاً بردّ الروح إلينا، واستلقينا هناك وأغلقنا عيوننا حتى الصباح.

كان منظراً غريباً أن أشاهد بعض الجنود يمضغون القات قبل الظهيرة وهم واقفون، والبعض كان جالساً، وهم يتبادلون الحديث في أصوات عالية، بملابسهم الكاكية وعلى ظهورهم وبين أيديهم رشاشات قديمة يقال إنها من بقايا صفقة السلاح التي اشتراها الإمام البدر من تشيكوسلوفاكيا، مغبرين متعبين، كانت وجوههم حزينة، لكن عيونهم تلمع تألقاً. على تلك الوجوه كنت تستطيع أن تتخيل الضائقة الخانقة التي كانوا يمرون بها هم وأطفالهم أنصاف العراة الذين يتضورون جوعاً إلى حد الإنهاك والمرض ويموتون قبل الأوان.

وتنتشر ظاهرة الرشوة في مثل هذه المعابر لتمرير بعض المخالفات من قبل رجال الجمارك وعساكرهم، ولكنها أشياء زهيدة وقد تكفي لـ(تخزينة).

في صالة، تذكرت الحلم الذي رأيته في المنام منذ سنوات... شاهدت المناظر ذاتها التي مررت بها من صالة إلى تعز، وكأنني قد عشت هذه الحياة من قبل. كان كل شيء كما رأيته في الحلم.






باب موسى

## توقيفي في تعز

على مشارف مدينة تعز، في ٢٣ تموز/ يوليو ١٩٦٤، اعتقلتني قوة عسكرية بزعم أنّ عناصرها اشتبهوا في هويتي، وقد تطلب بقائي يوماً كاملاً في الحجز قبل أن يطلق سراحي بكفالة سلطان أحمد عمر(٢).

كنت أحمل رسالة، في حينه، من فيصل عبد اللطيف، مسؤول تنظيم الداخل، إلى القيادة في تعز، وعلى رأسهما سالم زين وطه مقبل وعلي السلَّامي، تتناول موضوع استعداد سعيد محمد عشال للانخراط في الكفاح المسلح، واستعداد كل من حسين عثمان عشال والصّديق أحمد (الجفة) للانسحاب من الجيش والالتحاق بالثورة. وكانا قائدين بارزين في «الحرس الأول» الاتحادي، وقد اشترطا لذلك نقل عائلتيهما إلى الجمهورية العربية اليمنية بعيداً عن المضايقات التي قد تتعرضان لها، وطلبا أيضاً تزويدهما بالسلاح والعتاد وأجهزة اللاسلكي لتنظيم عمليات عسكرية ضد قوات الاحتلال. وكان يصعب في حينه تلبية هذه الشروط التي كانت فوق طاقة الجبهة القومية أو الإمكانات التي توفرها القيادة المصرية للثورة.

كان الأمر ينطوي على نوع من المخاطرة والرهبة، وقد شعرت بهما عندما أبلغوني أن علينا أن نخضع للتفتيش في إحدى النقاط. هناك سألوني عن سبب قدومي إلى تعز. ولما كنت واثقاً من أنني في مأمن، وفي أرض الثورة والجمهورية، أجبت الضابط الذي سألني بكل صراحة بأنني جئت للالتحاق بثورة الجنوب، وأنني أنتمي إلى الجبهة القومية التي تقود الكفاح ضد الاحتلال البريطاني، ومن أنصار قحطان الشعبي الذي كان اسمه هو البارز، بوصفه قائد ثورة الرابع عشر من أكتوبر المجيدة. كنت أحمل في قلبي شوقاً وحباً لا حدود له لثورة السلال التي دكّت عرش الإمامة وملأت أخبار انتصاراتها الآفاق ورددتها إذاعات العالم، ولهذا فقد تصورت أن الأمر سيكون سهلاً عندما أعلن للضابط انتمائي والغرض من قدومي إلى تعز. لكن يبدو أن ردّي لم يعجب الضابط، فقرر تفتيش الحقيبة التي كنت أحملها، ووجد بداخلها منشورين صادرين عن جبهة عدن، لكنه لم يعثر على الرسالة التي كنت أحملها من قيادة الداخل إلى قيادة الجبهة في تعز، وحمدت الله على ذلك.

(٢) أحد القادة المؤسسين لحركة القوميين العرب في اليمن.

كان ثمة احتفال في تعز بالذكرى السنوية لثورة ٢٣ يوليو المصرية. وأبلغني الضابط أن عليّ الانتظار لساعات، لأنهم مشغولون بالعرض العسكري الذي يقام لهذه المناسبة المجيدة، لكن ذلك لم يكن سوى عذر لجأ إليه الضابط لاستبقائي قدر ما يستطيع. لم أدرك، إلا بعد ذلك، أن هذا الضابط كان ينتمي إلى حزب البعث، وأنه من المعادين للثورة التي تقودها حركة القوميين العرب. وعرفت بالأمر من سلطان أحمد عمر الذي جاء لإطلاق سراحي.

وبينما كنت أنتظر الخروج، سمعت أحد الضباط الخطباء يردد بعض أبيات الشعر للشاعر عبد الله البردوني:

**من جمالٍ ومن يسامي جمالا**
**معجزات من الهدى تتوالى**
**وشموخاً يسمو على كل فكر**
**وعلى كل قمة يتعالى**
**يا لصوص العروش عيبوا جمالا**
**واخجلوا إنكم قصرتم وطالا**

فصفّق البعض لعبد الناصر قائد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، التي يحتفلون بها اليوم، وتوجهتُ نحو الضابط لمحاولة إقناعه بالذهاب معي إلى الضابط المسؤول، وكان يبدو ناعم الشكل، لأنني مضطر إلى تناول الطعام وشرب الشاي، وأنني أزور تعز للمرة الأولى، ولكنه رفض طلبي بإصرار. وتطوع أحد صف الضباط فأبدى استعداده لإخراجي على أن أبقي الحقيبة في المخفر حتى يأتي الضابط المسؤول. فتوجهت معه إلى أحد المطاعم، ومن ثم إلى استوديو أحمد عمر العبسي، حيث سلمت سلطان أحمد عمر الرسالة التي حملتها من فيصل عبد اللطيف، وقد ذهب معي إلى المخفر وطلب منهم إطلاق سراحي بضمانته، لكنهم رفضوا، وعرض عليهم ضمانة والده، لكنهم رفضوا أيضاً، واحتدّ النقاش بين الاثنين، وهدّد سلطان أحمد عمر بأنه في هذه الحالة سيضطر إلى الاتصال بالقيادة المصرية في تعز لضمان إخراجي، لكن الضابط لم يأبه للأمر كثيراً، ولم يُقم اعتباراً للمصريين القادمين من أرض الكنانة لمساعدة الثورة في جبال صعدة وحجة وصرواح ومأرب حيث سالت دماؤهم الزكية، وزهقت أرواحهم الطاهرة جنباً إلى جنب مع إخوانهم ثوار اليمن

في إيمان عظيم بالقومية العربية والنصر. بينما أعمى هذا الضابطَ الخلافُ بين البعث وعبد الناصر وحركة القوميين العرب، ذلك الخلاف الذي انتقل من ميشيل عفلق وصلاح البيطار وأكرم الحوراني في بلاد الشام إلى أمثال هؤلاء الضباط الذين يعتبرون أنفسهم في معركة مع الزعيم العربي الذي اتهمهم في يوم من الأيام بالعمالة والانفصال وخيانة أعزّ أماني الأمة العربية.

## يغردون خارج السرب

بدت لي هذه البداية مقلقة وغير مريحة وغير متوقعة. فبينما كان يخفق في قلبي حب عبد الناصر والسلال، وثورة سبتمبر وثورة أكتوبر، اللتين يتربص بهما الأعداء من كل مكان، كان يحزّ في نفسي أن يوظف هؤلاء خلافهم وينفثوا أمراضهم الحزبية الضيقة في ساحة لا تصلح للملاكمة. وتألمت كثيراً لذلك، فنحن نخوض أخطر المعارك وأقدسها للدفاع عن الثورة والجمهورية والنضال من أجل إخراج الاحتلال البريطاني من عدن، بينما هؤلاء يغردون خارج السرب، ويستعيدون خلافات زعماء بلاد الشام بين القوميين والبعثيين، متأثرين بهذا الجدل السياسي الذي شغل الأمة عن الالتفات إلى ما هو جدّي وأهم.

## المال والسلاح

تذكرت وأنا في مقرّ الأمن بتعز ما حدث للأستاذ ناصر سعيد هيثم الذي كان مدرساً في مودية وغادر دثينة وعدن في طريقه إلى تعز للالتحاق بالثورة والدفاع عنها مع أبناء الكنانة، وعند وصوله إلى تعز كان يسأل عن معسكرات المصريين واليمنيين من أجل الالتحاق بهم، وكان يهمّه أن يشاهد أي جندي مصري ليحارب إلى جانبه في خندق الدفاع عن الثورة، وكانت أمنيته أن يقاتل ويموت إلى جانب الجنود المصريين. والمهم أن هذا الإنسان الطيب قد وقع في قبضة الأمن وسجن لفترة طويلة عاد بعدها يلعن اليوم الذي وصل فيه إلى هذه المدينة. أما أنا فلم أنزعج، وكان علي أن أحمل حقيبتي إلى مكتب الجبهة القومية في تعز، وهناك التقيت سالم زين وطه أحمد مقبل وعلي السلّامي وبعض المقاتلين الذين وصل بعضهم من جبهات القتال، وكان الحديث حول ذكريات المعارك والانتصارات ومستقبل الثورة قائماً على قدم وساق، ولم يكن بعيداً عن الاحتمال أن بعضهم جاء من أجل المال والسلاح أو

طمعاً فيهما. كان الآلاف يتدفقون على تعز من كل أنحاء اليمن للالتحاق بالثورة، وكانت المدينة تعجّ بالقبائل والضباط والحزبيين ومخبري السلطات الاستعمارية في عدن والعديد من استخبارات العالم، وكلهم، أو جلهم، يتحدثون عن الثورة، فـ«كل الشعب قومية»، كما يرددون، ما دامت الجبهة القومية تملك المال والسلاح والإعلام ولا يضارعها أحد في وقوف عبد الناصر إلى جانبها.

ناقشت القيادة في تعز[٣] الرسالة التي حملتها معي من عدن، وعرضت الفكرة على القيادة العسكرية المصرية، وكان الرأي النهائي أن الثورة ليست محتاجة إلى جيش نظامي، بل إلى مجموعات صغيرة (فدائية) تتحرك في إطار حرب عصابات. وفي ضوء ذلك، وأخذاً في الاعتبار حقيقة الإمكانات المحدودة التي تملكها الجبهة من جهة، والحاجة إلى فتح جبهة عدن ونقل الثورة إلى قلب العاصمة وداخل مؤسسات الاحتلال - بما يتطلبه من وجود ركائز ليست مكشوفة في تلك المؤسسات - من جهة ثانية، اتخذت القيادة قراراً بإبقاء الأخوين عشال وصديق في موقعيهما، على أن تستثمر تلك المواقع في عمليات محدودة أو في الحصول على المعلومات ورصد التحركات المعادية.

كان قراراً صائباً، حقاً، وينمّ عن رؤية عميقة ومسؤولة لمتطلبات انتصار الثورة بعيداً عن الارتجال والعاطفية.

وأذكر أن جهوداً عديدة قد بُذلت في وقت سابق مع العقيد حسين عثمان عشال والعقيد الصّديق أحمد الجفة لإقناعهما بالانضمام إلى الجبهة القومية، أولاً من قبل التنظيمات السرية في الجيش، وثانياً من طريق العلاقات الاجتماعية والقرابة، وكنت من جانبي أبذل مع سعيد محمد عشال الذي سبقهما في التقرب إلى الجبهة محاولات لإقناع حسين عشال بالتحول إلى الثورة، وتحدثنا معاً في هذا الأمر.

وكان بقاؤهما قراراً صائباً، فقد أدّيا في وقت لاحق دوراً مهماً في صفوف الجيش وانحياز معظمه إلى صف الجبهة القومية في نوفمبر من عام ١٩٦٧، عام انتصار الجبهة القومية.

---

(٣) قيادة الجبهة القومية: فيصل عبد اللطيف الشعبي، قحطان محمد الشعبي، علي السلاَّمي، طه أحمد مقبل، سالم زين محمد، سيف أحمد الضالعي، جعفر علي عوض، عبد الباري قاسم، علي محمد سالم الشعبي.

## مكتب الجبهة القومية في تعز

كان قحطان الشعبي خارج اليمن، وفيصل عبد اللطيف في عدن، وتحولت تعز إلى مكتب للإعلام والمال والسلاح، وأيضاً لاستقطاب المقاتلين الجدد الملتحقين بالثورة، وكان «القات» يجمع شمل الناس جميعاً، فتراهم يخزنون، ويسهرون و«يفسخون» ثم ينامون. وتتكرر هذه الدورة كل الأيام. وترك هذا انطباعاً سلبياً تجاه القيادة وعدم شعورها بالمسؤولية الملقاة على عاتقها. وعندما بدأت أسأل: لماذا تفعلون ذلك؟ قال أحدهم: خزّن!

وكأنه يريد أن يقول: بلا مزايدة. لم يكن الأمر كذلك قطعاً، ولكنني وأنا القادم من عدن، والمتأثر بسلوك الثورة اليومي وبتربية حركة القوميين العرب وقواعدها الصارمة في الاختيار، والأخلاق، والإخلاص، والمثل العليا والعمل السري، كان مستهجناً بالنسبة إليّ أن أجد القيادة التي يعلق عليها الشعب الآمال في التحرر والخلاص على هذه الحال، بينما كنا في دثينة ولحج وأبين نتبع قواعد صارمة في سلوكنا اليومي: لا دخان، لا نساء، لا مشروبات روحية، ولا تخزين.

وصل (سالمين) سالم ربيع علي إلى تعز، وتذمر هو الآخر من هذا السلوك، وأخذ يوجه نقده إلى القيادة وإلى سلوكها. وكان كثيرون من القادمين من داخل الجنوب يشعرون الشعور ذاته مع إدراكنا أنهم بشر وكل إنسان له نقطة ضعف. كان بعض القياديين من عدن قد ولدوا وعاشوا فيها، واختلطوا بمختلف التيارات السياسية ومجالس القات التي تتحول إلى ندوات وحلقات نقاش خاصة يناقش فيها كل شيء من الأدب إلى السياسة. وكانت السرّية حاجزاً بيننا وبين سلوك القيادة، وكانت السرية وعدم التواصل بين سكان المحميات هي السبب في عدم معرفة بعضنا بعضاً. ولهذا كنا نحترم قيادة الحركة، وننفذ توجيهاتها بلا نقاش، ولكن ليس من غير تفكير. ولعل هذا هو سر نجاح الحركة في اليمن، وسر نجاح الجبهة القومية والثورة المسلحة التي قادتها في الجنوب اليمني.

## تعز سحر الطبيعة... ومقر الانطلاق

بعض المدن تحبها وتقع في هواها دون أن تدري. تعز واحدة من هذه المدن التي يعشقها المرء، ويسعى وراءها كأنها مخلوق حبيب. ولست أدري أين يكمن سر سحر هذه المدينة أيكمن في

جبل صبر الذي يحتضنها، والجبال الأخرى المحيطة بها وكلها جميلة خضراء وساحرة؟ أم في مدرجاتها التي تتماوج فيها الأشجار وتنحدر منها البيوت حتى الأسفل، وكأنها من الجبل تحدق فيه ويحدق فيها؟ أم في هوائها العليل الذي يهبّ من الجبال رخياً عذباً مع رذاذ الأمطار؟ أم في سحر نسائها المتألقات بحواشٍ من الأثواب المزركشة تتماوج في ثنيات مترفة ناعمة؟ أم في أهلها الذين هم أقرب في طباعهم وملامحهم إلى الناس في عدن وتأثروا بها وتأثرت بهم؟ كانت مدينة تعز وما زالت منذ مولدها متعددة الألوان، شأنها في ذلك شأن مدينة عدن الحبيبة، فهما المدينتان اللتان تجسدان الوحدة اليمنية[٤] من وجهة نظري قبل الاستقلال.

كنا مبهورين بالطبيعة، بالنساء القادمات من أعالي جبل صبر وهن يحملن على رؤوسهن وظهورهن الرمان والخوخ والبلس والقات، ومعهن سحرهن الخاص، ينبوع الحياة الذي لا ينضب له معين. وقد تغزل بهن الشاعر الغنائي عبد الله عبد الوهاب نعمان «الفضول»[٥] بقوله:

**طاب البلس طاب واعذارى طاب هيا صبحونا بلس**
**والفرسك أخضر وحالي فراسكك.. واصبر ما تسبب ضرس**
**ما أحلى بنات الجبل حما يطفن المدينة بالثياب الدمس[٦]**
**خدود مثل الورود ضو الفجر أرواها وأعطاها المشاقر حرس**
**محوطات الوجوه البيض بالكاذي المسقى في برود الغلس**
**يسقيك محلى ورودك وغرسك واصبر يرحم أبوه من غرس**

## ساحرات نجيب محفوظ

وكما سحرتنا تعز، فقد سحرت الأديب الكبير نجيب محفوظ الذي قال عنها في لقاء معي بعد ذلك في القاهرة في التسعينيات إنه أحبها وأحب بناتها وعيون بناتها، وضحك ذلك

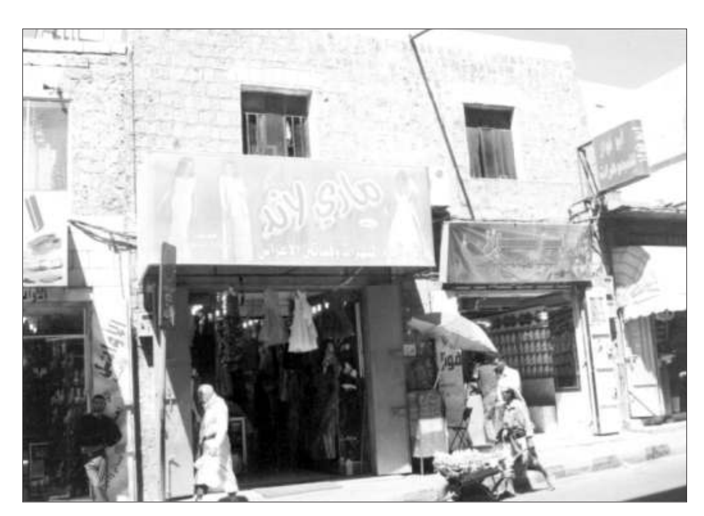
(٤) ١- إنهما يمثلان معاً الجامعة الوطنية للنضال، ٢- يمثلان المدرسة الوطنية، ٣- يمثلان مركز الإشعاع والنضال لثبات الثورة والنضال الوطني، ٤- يمثلان الملجأ والامان للاحرار الوطنيين من مختلف مشاربهم الفكرية، (يحيى الشامي - وثائق ندوة الثورة اليمنية الجزء الرابع).

(٥) عبد الله عبد الوهاب الفضول، الذي أصبح مشهوراً باسم جريدته الفضول التي كانت تصدر في عدن في الخمسينيات.

(٦) الدمس: ثياب تلمع كالحرير الدمشقي (المعروف عالمياً دميسكو).

العجوز المرح وهو يتذكر عيون الصبايا في جبل صبر. ولقد أحببت كلامه عن ذكرياته في اليمن التي زارها مدفوعاً بحسه القومي لمؤازرة ثورة ٢٦ سبتمبر، التي قدم لها الرئيس جمال عبد الناصر كل أشكال الدعم والتضحيات من أجل الدفاع عن الجمهورية، وقد استفاض محفوظ في انطباعاته الجميلة عن مدينة تعز وجبل صبر وجمال طبيعتهما.

كل شيء جميل ونظيف وصافٍ، صفاء الطبيعة وصفاء النفوس والقلوب والجيوب، لا يعكّر صفونا إلا عندما يحين وقت الغداء، فأحياناً لا نجد ما ننفقه على هذه الوجبات، ولهذا فنحن نقتسم المحبة والرغيف بحق، فالمال الخاص عام، فنحن «نصرف ما في الجيب ويأتينا ما في الغيب»، وعلى رفاقنا سالم ربيع علي ومحمد علي هيثم وحسين عبد الله (ناجي) أن يكونوا مستعدين لمثل هذه الطوارئ عندما نلتقي في شارع ٢٦ سبتمبر، وهو الشارع الرئيسي الوحيد في الستينيات في تعز.



**الغرفة التي كنا نسكن فيها وتقع في شارع ٢٦ سبتمبر**
**فوق المحل التابع لغيلان قاسم الدبعي للخياطة**

يقول أحدنا للآخر: افتح جيبك واستعد للتفتيش، ونقتسم المال على اثنين أو ثلاثة أو أربعة. وإذا كان صاحب المال قد تغدّى فعلينا إخلاء جيبه من الريالات والبغش والزلط[٧]، وكنا نلجأ أحياناً إلى الصديق العزيز محمد حسين العطاب صاحب صيدلية العطاب الذي

(٧) الزلط: الفلوس بلهجة أهل الشمال.

كان يقدم لنا كل أشكال الدعم المعنوي والمالي، حيث كانت صيدليته ملتقى الثوار بكافة انتماءاتهم السياسية.



**محمد حسين العطاب مع سالم علي ناجي بن حلبوب**

بعضنا يركض إلى المطاعم والمخابز، وآخرون يركضون لشراء القات من بنات صبر، وبعض الجواسيس والمخبرين يركضون لكتابة التقارير عن السياسيين ومناضلي حرب التحرير القادمين من جبهات القتال للالتحاق بمعسكرات التدريب في مدينة تعز حيث التحقنا بدورة عسكرية.

## فدو (نذر) ابن علوان

واتذكر أن السيدة «خزانة» والدة المناضل سالمين قد جاءت إلى تعز وهي تحمل رسالة ذات معلومات مهمة من بعض القياديين في عدن وأبين عن بعض العملاء الذين يتآمرون على الثورة والثوار في الجنوب، وقد قابلتها صدفة وتعرفت إليها، وكانت تسأل عن ابنها سالم ربيع علي وأخذتها إلى المنزل الذي كنا نسكن فيه وسألتها عن أخبارها وأخبار البلد وما الذي جاء بها؟ أجابت بأن لديها معلومات، ولكني قلت للمسؤولين إنني سأسافر إلى تعز لزيارة ابني، وقالت: لا أخفي عليك أنني كلما وضعت ولداً مات، ونذرت لأحمد بن علوان أنه إذا عاش «سالم» فسأنذر له بزيارة من أجل أن ربي يحفظ ابني.



**سالم ربيع علي مع والدته**

كان سالمين قد تأخر، وسألت عنه، وقيل لي إنه دخل سينما شعبية في تعز، فذهبنا إليها وتوجهت نحو الموظفين الذين يشرفون على آلة عرض السينما، وطلبت منهم أن يوجهوا نداءً إلى سالم ربيع علي أن يخرج فوراً، وبالفعل قطع عرض الفيلم وخرج وكنا وجهاً لوجه عند باب السينما، وكان منزعجاً، وسألني عمّا جرى، فقلت له: خير يا ابن خزانة، ويا نذر ابن علوان، فضحك وقال: أمي وصلت. وانتقلنا إليها وقال لها مازحاً: فضحتني، فقالت: شو فضحتك؟ لولا هذا النذر ما عشت وخلينا نتحرك لزيارة أحمد بن علوان، ونشتري كبش أسود وديك أسود وهدية للمناصيب الذين يشرفون على رعاية الولي وزواره. وفي اليوم الثاني توجهوا إلى ضريح الشيخ أحمد بن علوان الذي يقع خارج تعز، وقدموا «النذر»، وقد أصرت الوالدة على أن تضع تراباً على رأسه من قبر الشيخ أحمد بن علوان ليحفظه من أي شر! والناس يتباركون به وينذرون له إما بحضرة مجلس ذكر وطعام أو بمولد النبي وإطعام الفقراء أو بترميم المسجد أو القبة أو بزيارته كما فعلت والدة المناضل سالمين. والشيخ أحمد بن علوان[٨] عاش في فترة الحاكم الرسولي عمر بن علي الرسولي، وكان قريباً من

(٨) أحمد بن علوان: هو القطب صفي الدين أبو العباس: أحمد بن علوان بن عطاف بن يوسف بن علي بن عبد الله بن مطاعن بن عبد الكريم عيسى بن إدريس بن عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب (عليه السلام). (وذلك حسب ما ذكره كثير من مؤرخي اليمن).إمام الصوفية وفيلسوفهم في عصر الدولة الرسولية في اليمن، نشأ في أحضان الرئاسة والعلم، وكان والده في خدمة السلطان ومن كتابه، وكاد الشيخ أن ينتهج طريق والده في خدمة السلطان، الإ انه تحول إلى طريق التصوف تحت تأثير خارق، ولزم =

الفقراء والمحتاجين، وقد حدثني سالم ربيع علي أن الشيخ أحمد بن علوان كتب أبيات شعر منها:

**عـــارك عليك عــمـــارات مشيدة**
**ولـلـــرعــيــة دورٌ كــلــهــا دمــن**
**هـــذه تــهــامــة لا ديــنــار عندهم**
**ولحــج أبيــن بــل صنعــاء بــل عــدن**
**فاستبق عــدلاً يقول القائلون به**
**نعــم المليــك ونعــم البلــدة اليمــن**

انتقل سالم ربيع علي[٩] من قبر أحمد إلى قصر أحمد بصالة الذي كان يسكنه الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين الذي تحول إلى مركز للتدريب وسكن للمناضلين.

## قصر الإمام في صالة لتدريب الفدائيين

قصر صالة عبارة عن قلعة عسكرية محكمة، فيه عدد من الغرف الصغيرة والممرات الضيقة للوصول إلى غرفة الإمام أحمد، وفتحات صغيرة للبنادق والمدافعين عن القصر وساكنه. لكن قوة الإمام الفعلية لم تكن في هذه القلعة، بل في هيبته التي فرض بها حكمه وحكم المملكة المتوكلية اليمنية من خلالها، رغم أنه كان عليلاً في السنوات الأخيرة من عمره بسبب إصابته في محاولة الاغتيال التي تعرض لها في الحديدة، وكان الإمام أحمد يتسم بالشجاعة، وهي أحد شروط (حكم الإمام) في المذهب الزيدي، لكن الشروط الـ(١٤) التي يتولى بموجبها الحكم لم تكن تنطبق كلها عليه، لكنه بعد وفاة والده الإمام يحيى استولى على الحكم دون أن ينتظر أن تنصّبه هيئة ما، رغم أنه لم يكن يمتلك طائرات حربية، ولا مدفعية، ولا صواريخ، ولا

= الخلود والعبادة، واشتهر بحب الوعظ، فقد كان يسلك في وعظه طريقة ابن الجوزي حتى لقب بجوزي اليمن، وله رسائل كثيرة ومؤلفات جمعت في مجلدات منها كتاب الفتوح المصونة والأسرار المخزونة، فضلاً عن ديوانه الشعري الذي جاء أغلبه في التصوف، وبعد أن توفي صار لضريحه مكانة مقدسة وتقام زيارة سنوية له في منتصف شهر ربيع الأول من كل عام، سمتها المصادر التاريخية باسم(يوم الجمع المبارك).

(٩) وبعد أربع سنوات انتقل إلى قصر الرئاسة بعدن رئيساً لليمن الديموقراطية.

نفطاً ولا موارد كبيرة، وكأنه أراد القول إن الحكم لا يحتاج إلى كل هذه الأشياء، بل إلى قوة شخصية وهيبة. كذلك لم يفرط بالسيادة الوطنية، ولم يوقّع على اتفاقية تنازل عن الأراضي التي خسرها في حربه مع آل سعود، وفي هذا القصر تدربنا. وكان عددنا نحو ستين مقاتلاً من مختلف جبهات القتال: من ردفان، حالمين، لحج، الحواشب، عدن، ودثينة. نتلقى التدريب النظري في قصر الإمام بصالة، والعملي في شعاب جبال تعز. وكانت التدريبات تشمل التفجير بالديناميت، وإلقاء القنابل اليدوية (٣٦ ميلز)، واستخدام مدافع الهاون.




**قصر الامام في صالة - تعز (وتظهر الغرف والعنابر التي يتدرب فيها ثوار الجنوب على أيدي ضباط مصريين)**

كان من أبرز رفاقي في الدورة:

عبد الله مطلق (حالمين)، عبد الكريم الذيباني (ردفان)، بخيت مليط (الصبيحة)، أحمد مهدي المنتصر (لحج)، الأمير محمد صالح الحوشبي (الحواشب)، الأمير علي صالح الحوشبي (الحواشب) وهؤلاء الذين ذُكرت أسماؤهم كانوا من القادة.

اتسمت الدورة بالتمارين والتدريبات العنيفة، وقد أفادتنا كثيراً في أداء مهماتنا العسكرية المستقبلية. كنت المسؤول عن الدورة أمام المصريين. وهذه كانت المرة الأولى التي ألتقي فيها وجهاً لوجه بأبناء النيل، أو أبناء عبد الناصر، كما كان يحلو لنا أن نطلق عليهم في تلك الأيام. كان عبد الناصر الزعيم والقائد يمثل لنا الرمز والقدوة، واكتسب المصريون مكانة رفيعة في اليمن والوطن العربي كله نظراً لما قدمته ثورة يوليو من دعم ملموس للثورة اليمنية وللنضال الوطني العربي التحرري للشعب العربي في مُختلف الأقطار، وفي المقدمة قضية فلسطين، ولحركة التحرر في بلدان آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية. وقد فرض علينا هذا احترام مُدربينا المصريين. فكنا نستمع إليهم باهتمام، ونظهر نحوهم الاحترام والطاعة الواجبين، لا

بوصفنا جنوداً متدربين، بل بوصفهم رسل القائد العربي الكبير جمال عبد الناصر، والأمناء على تنفيذ توجيهات قادة «عملية صلاح الدين»، وهو الاسم السري الذي أطلقوه في ذلك الوقت على عملية تحرير الجنوب اليمني المحتل من الاستعمار البريطاني(١٠).



## دفن الأسرار

حاولت في أثناء زياراتي لمصر بعد مرور ثلاثين عاماً أن أطلع على بعض الوثائق الخاصة بعملية صلاح الدين في تعز، ولكن تعذرت الموافقة على الإذن بالبحث في قلب أرشيف المخابرات التي تحوي وثائق مهمة عن الثورة الجزائرية والليبية وعمان وعدن. وقد غدت هذه الوثائق على ذمة التاريخ بعد مرور أكثر من أربعين عاماً، ويبدو أن المسؤولين في المخابرات، وعلى رأسهم الوزير عمر سليمان، ونبيل سعيد ورجالهما ورجائي فارس ومحمود عطية(*) وغيرهم... لا يريدون أن يفتحوا شقاً في العلاقات المصرية اليمنية الخليجية البريطانية الفرنسية الجزائرية وغيرها من حركات التحرر العربية والأفريقية، ويجب أن يختفي ذلك التاريخ وينتهي ويدفن ذلك السر بانتهاء الفترة الناصرية التي يحاولون

---

(*) كان أول من أشرف على عملية صلاح الدين في تعز محمود سليمان، ورجائي فارس ونبيل سعيد وعلي ياسين وطارق والرائد عبد العزيز منتصر، وبعد ذلك محمود عطية وحسن العجيزي ومسعد حسن وفتحي أبو طالب وعصام حنفي والقنصل بتعز أحمد عطية المصري ومصطفى حمودة وابو النصر صلاح مشالي وغيرهم، وكان هؤلاء الضباط ينفذون توجيهات المخابرات المصرية بمصر الجديدة تحت قيادة عزت سليمان وفخري عامر ابن عم المشير عبد الحكيم عامر وغيرهما.

(١٠) سنوات وأيام مع جمال عبد الناصر شهادة سامي شرف، صفحة ٥٩٧، أُنشئت المخابرات العامة المصرية عام ١٩٥٢ برئاسة زكريا محيى الدين وكلف السيد فتحي الديب زيارة اليمن في أكتوبر ١٩٥٣ وخلق علاقات واتصالات شخصية مع الشخصيات الوطنية في الداخل والخارج، وفي مقدمتهم القاضي محمد محمود الزبيري والعقيد أحمد الثلايا ومحمد قائد سيف وغيرهم، وكان هذا العمل هو البداية لجهاز المخابرات المصرية في اليمن.

طمسها. مع أن الحكومة البريطانية تسمح بفتح مثل هذه الملفات بعد مرور ٣٠ عاماً على حدوثها لتكون متاحة أمام الباحثين.

بعد مرور ٤٧ عاماً على الحروب والصراع بين المخابرات المصرية والبريطانية ورجال هذه الأجهزة في أداء واجباتهم للدفاع عن حلفائهم ودعمهم في مواجهة عسكرية وسياسية واستخبارية في الشمال والجنوب بعد قيام ثورة ١٤ أكتوبر في الجنوب ودعم عبد الناصر لها من مدينة تعز في ما سُمي حينها (عملية صلاح الدين)، فقد كانت المواجهة بين هذا الجهاز وعناصره وحلفائه في الجنوب وبين السلطات المحلية والاستعمارية في الجنوب، وكانت العمليات العسكرية في ذروتها بين الطرفين، وكان السيد جود فري مينل يشرف على العمليات العسكرية ضد الثوار في ردفان، وبالمقابل كان الضابط المصري اللواء رجائي فارس يقدم كل أشكال الدعم للثوار في الجنوب آنذاك، الذي امتدّ من ردفان إلى أكثر من جبهة في الجنوب، وصولاً إلى مدينة عدن حتى تحقق النصر في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧، وبعد مرور ٤٧ عاماً جرى التواصل لأول مرة بين أعداء الأمس، فلا عداوة دائمة ولا صداقة دائمة، بل هناك مصالح دائمة. وكان السيد مينل قد أجرى اتصالاً هاتفياً بصديقه اللواء سالم حلبوب من لندن، وشاءت الصدف أن نكون موجودين حينها في نادي الشمس بمصر الجديدة في يوم ٨ أبريل ٢٠١٤ نستعد لتناول الغداء، وقد تحدث مع اللواء رجائي فارس عن ذكرياتهم التي أصبحت جزءاً من التاريخ، وتحدث أيضاً مع السلطان أحمد عبد الله فضلي وكاتب هذه المذكرات الذي شكره السيد مينل على كتابه «عدن التاريخ والحضارة» وتابع هذا الحديث كل من اللواء فتحي أبو طالب واللواء محمد سمير السيد موسى وشيخ رسامي الكاريكتير الأستاذ أحمد طوقان الذين كانوا يعملون في جهاز المخابرات (عملية صلاح الدين)، وكان الرسام طوقان من أنصار الثورة في الجنوب.

### ملحق -٨١ شهادة حلبوب

حاولت أن أجد بعض الوثائق في أرشيف مركز المعلومات بالأهرام[١١] الذي يحتوي

(١١) جريدة الأهرام: تأسست الأهرام في ٢٧ ديسمبر ١٨٧٥، وقد أسّسها اثنان من الأشقاء اللبنانيين، بشارة وسليم تقلا، كانا يعيشان في ذلك الوقت في الإسكندرية، صدر العدد الأول في ٥ أغسطس ١٨٧٦، في المنشية بالإسكندرية، بدأت تصدر أسبوعياً كل يوم سبت، ولكن بعد شهرين من تأسيس الصحيفة، حولها الأخوة إلى صحيفة يومية.

على بعض الوثائق عن الثورة في الجنوب، ولكن المسؤولين طلبوا مبالغ كبيرة لم تكن في مقدوري. وفي أثناء زيارتي المركز وجدت طلباً جزائرياً بالحصول على وثائق عن تاريخ الثورة، وطلب المركز مبلغاً مقابل تصوير بعض الوثائق، لكن هذه الوثائق ليست ذات أهمية كوثائق المخابرات، فهي في معظمها مواد إعلامية صدرت في بعض الصحف المصرية. وشاءت الصدف أن ألتقي ضابط الصاعقة حسن العجيزي الذي لم يبخل بتقديم بعض الصور والمعلومات عن تدريب الفدائيين ومناضلي حرب التحرير في مدينة تعز وأنشاص.

## بطل من هذا الزمان

كان صوت هذا الضابط يثير الرعب في معسكرات التدريب. كان ضابطاً صارماً ومدرباً ناجحاً وقائداً محترماً وذا لياقة بدنية يصعب وصفها، ورغم مرور ٣٠ عاماً على آخر لقاء بيننا، إلا أنه لا يزال يتمتع بالقوة والحيوية واللياقة البدنية. وأتذكر أنه كان يشارك في مشروع تدريب بمدرسة الصاعقة في أنشاص، بحضور الرئيس جمال عبد الناصر وهواري بو مدين، وكان الضباط والمتدربون يقفزون إلى الترعة من الطائرات العمودية على ارتفاع خمسين متراً بلا مظلة، وعندما جاء دوره بالنزول من الطائرة عبر سلّم صغير يقفز منه، تحركت الطائرة من على الترعة إلى اليابسة وهو معلق بين السماء والأرض، وحركة الطائرة والرياح تؤرجحه يميناً ويساراً وهو يمسك بشدة بسلّم الطائرة بقبضة يده دون خوف، ولو انهارت عضلاته لسقط على الأرض ومات، ولكنه تمسك بالحياة وبالطائرة، وتملك الجميع الخوف على حياته وأعطيت أكثر من إشارة، إلا أن الضابط حسن العجيزي لم يقفز إلى الترعة. وكان على الطائرة أن تعود فوراً إلى المكان الذي انطلقت منه أمام منصة الرئيسين اللذين كان قلبهما على ذلك الضابط الشجاع.

عادت الطائرة إلى موقعها السابق أمام المنصة في مشهد خطير ومثير، وسط ذهول المسؤولين والمدربين والمشاهدين والطيارين وخوفهم، وأعطيت له إشارة بالقفز إلى مياه النيل من هذا الارتفاع العالي، فقفز دون مظلة، وقام بحركة يصعب على أيِّ إنسان مهما كانت لياقته البدنية أن يقوم بها. بعد ما جرى له، كان له شرف أن يؤدي التحية أمام المنصة للرئيس عبد الناصر وهواري بو مدين ويغوص في أعماق الترعة ويخرج منها وسط تصفيق المشاهدين وإعجابهم بهذا الضابط الشجاع. وكان للعجيزي صولات وجولات في التدريب وفي

حروب اليمن وحرب الـ١٩٦٧ مع رفاقه في الصاعقة قبل أن يصبح لاحقاً عاجزاً ومصاباً بالشلل (بعد لقاء الرئيس معه بحوالي ٥ سنوات).

وقد أكد لي أنهم دربوا في تعز أكثر من ٣٥ فرقة على حرب العصابات في المدن والأرياف من مناضلي حرب التحرير وجيش التحرير من الجبهة القومية، وكان لهؤلاء الشبان والمناضلين في ما بعد دور بارز في تحرير الجنوب.

وأذكر أننا أدينا المهمة بسرعة، وبدا المدربون المصريون راضين عن جهودنا. وكان هذا النجاح باعثاً على السرور في نفوسنا، وفي الوقت نفسه كان علينا أن نغادر تعز بأسرع ما يمكن، بعد انتهاء الدورة، توجهنا بالطائرة إلى مطار «درب ذي ناعم» بلواء البيضاء. وكان من المفترض أن نلتقي هناك المناضل الشيخ محمد ناصر الجعري والمناضل عبد الله العبيدي والمناضل عوض الحامد الذي كان مسؤولاً عن فرع حركة القوميين العرب ومديراً لمركز الثقافة في البيضاء.

لم تطل إقامتنا في البيضاء إلا لساعات قليلة. وكان السبب الأهم لمغادرتنا بأسرع وقت ممكن يعود إلى أن حياتنا فيها كانت مهددة، فعيون الأمير جعبل بن حسين حاكم مكيراس[١٢] كانت مزروعة في كل زاوية، كل شارع، وزقاق، وحانوت، وبيت، ترصد كل حركة، وكل قادم جديد. كان اسمه يثير الرعب في البيضاء. ماله يسيل اللعاب، وسلاحه جاهز للإجهاز على كل من يرتاب فيه مجرد الارتياب. وبالمال والسلاح يشتري الرجال. أما يده، فتصل إلى كل مكان في لواء البيضاء، وقبل وصولنا بقليل نسف عملاؤه بالديناميت مقرّ الجبهة القومية التي ننتمي إليها، وكان بداخله عدد من القيادات، في مقدمتهم الأستاذ المناضل علي أحمد السلّامي وعوض الحامد اللذان نجوا من الحادث.

## من البيضاء إلى الجبهة الوسطى

اختفينا في منزل المُناضل محمد ناصر الجعري بمدينة البيضاء، الذي جمعتنا به الثورة والجبهة القومية لأول مرة عام ١٩٦٤، وكانت أسماء الجعري وآل المجعلي وآل شقفة وآل قنان

(١٢) حكم مكيراس وغريب قبله النائب السلطان عبد الله بن أحمد بن صالح العوذلي وأخوه حسين بن أحمد بن صالح.

وآل فضل علي وآل ربيز وابن عبدات وابن شاهر وبن عواس والدماني والمظفري وسيف حسن القطيبي قد ارتبطت بذاكرتنا في منطقتنا ونحن صغار عندما كنا نسمع أنهم يحاربون الإنكليز والسلطات المحلية وأنهم شيوعيون متمردون، ولم نكن نعرف عن الشيوعية شيئاً إلا بعد وقوف الاتحاد السوفياتي إلى جانب مصر في الخمسينيات. كان الجعري يدخل ويخرج من الغرفة التي نحن فيها ويقدم الماء والقهوة، والمرق واللحم والأكل بعد ذلك، وهو يرحب بنا ويرفع يده اليمنى على رأسه تكريماً لضيوفه من دثينة والعواذل والفضلي ومصر، وكان ينفرد ببعضنا بين حين وآخر، أي يتشاور معنا عن السفر والممرات والطرقات والدخول إلى الجنوب عبر مرتفعات مكيراس التي كانت تشكل حزاماً أمنياً للسلطنتين العوذلية والفضلية وولاية دثينة. وكان يصعب اختراق مرتفعات مكيراس والكمائن فيها إلا لرجل كبير وخبير كمحمد ناصر الجعري الذي انطلق بنا عندما بدأ الليل يسدل ستاره على مدينة البيضاء التي كانت تكتوي بنار الصراعات والحروب والضغوط من قبل الطرفين كغيرها من المدن الحدودية. وكان علينا أن نمرّ قبل ذلك بمنزل ضابط المخابرات المصري مصطفى حمودة الذي زودنا بالسلاح والذخيرة والقنابل والألغام من أحد المستودعات، وطلب منا أن يرافقنا في مهمتنا الصحافي مكرم محمد أحمد[١٣] رئيس «دار الهلال» ورئيس تحرير «المصور» في ما بعد الذي كان مراسلاً لجريدة الأهرام المصرية التي كانت تغطي أخبار الثورة في الجنوب والجمهورية العربية اليمنية، وقد انضمّ مكرم[١٤] إلى رفاقنا محمد علي هيثم وعبد الله العبيدي وناصر محمد ومحمد هميش «الشيوعي» وعبد الله شيخ الرباش وفضل عبد الله الرباش وعلي محمد الصالحي. وكان الجعري يقودنا وسط ظلام دامس والرذاذ يبلل ملابسنا، نتوقف على صوته وهمساته، ونتحرك على إشاراته وحركاته وتوجهاته بنا إلى المجهول، نسير ولا

---

(١٣) مكرم محمد أحمد: صحفي مصري من مواليد محافظة المنوفية في دلتا مصر، حاصل على ليسانس الآداب قسم الفلسفة، بدأ العمل الصحفي محرراً بصحيفة «الأخبار» ثم عمل مراسلاً حربياً باليمن عام ١٩٦٧ ورئيس قسم التحقيقات الصحافية في «الأهرام» وتدرج بالمناصب مساعد رئيس التحرير ثم مديراً لتحرير «الأهرام»، وبعدها تسلم منصب رئيس تحرير مجلة «المصور» و«دار الهلال»، وكان نقيباً للصحفيين المصريين من عام ١٩٨٩ إلى عام ١٩٩٣.

(١٤) وكان قد سبقه إلى جبهة ردفان الصحفي جمال حمدي الذي كان يطلق عليه الانكليز (كولونيل) وساهم في نقل السلاح مع بالليل بن راجح وعبد الله محمد المجعلي وعبد الله صالح المجعلي وأحمد عوض شقفة. وتابع أخبار الثورة كل من الصحفي المصري مصطفى نبيل، ومراسل مجلة القوات المسلحة المصرية محمد حسين شعبان.

نعرف نهاية للطريق. كذلك لا نعرف ما مصيرنا، ولا نعرف أين نتوقف، ولا أين ننام. لا مكان للجلوس. لا مكان للراحة. وفي مثل هذه الحالة لا مكان للتفكير في الجوع أو الأكل! الظلام يلّفنا وهو سيد المكان. لكن ثمة نجوم تتلألأ فوقنا، ولكنها بعيدة بعيدة جداً، وتأخذ بالاختفاء تدريجاً في اتجاه الغرب خلف الغيوم، والجبال العالية، والفضاء اللامتناهي.

لم يكن أحد منّا يعرف نهاية طريقنا، ولا يعرف مآل ثورتنا. كل ما كنا نعرفه، أننا نحمل أرواحنا على أكفنا، في هذا العالم المجهول، ولا ندري في أي ساعة تأتي المنية. وفي نهاية هذا المشوار الصعب كنا نعرف أن الهدف الذي نسعى وراءه هو طرد الاستعمار البريطاني من جنوبنا الحبيب. لم يكن يهمنا من يحكم غداً عدن والمحميات، سواء كنا نحن أو غيرنا. المهم أن يرحل المحتلون، كما عبّر عن ذلك الرئيس جمال عبد الناصر، ويبقى الإنسان حراً والأرض حرة. ولكن هذا الطريق كان بداية الوصول إلى السلطة والرئاسة ١٩٦٧ - ١٩٨٦.

عندما أصبحنا بالقرب من رأس جبل ضلاعة، قال الشيخ العجوز المجرب محمد الجعري: علينا أن نرتاح الآن. كان يعرف مداخل هذا الجبل ومخارجه جيداً. وبخبرته هذه ودرايته، أدرك أننا قد تجاوزنا مرحلة الخطر، الماثلة في الكمائن التي ينصبها رجال الأمير جعبل للثوار، ولذلك لم يترك لنا الشيخ فرصة، ولو قليلة، للراحة طوال الطريق، سواءٌ بالتوقف أو لالتقاط الأنفاس، إلا عند النقطة التي اطمأن فيها إلى زوال كل خطر عنَّا، ليس خوفاً من الوقوع في أحد تلك الكمائن فحسب، بل خشية أن ترصدنا عيون الأمير جعبل المدسوسة[١٥] في كل مكان قبل أن نصل إلى هدفنا.

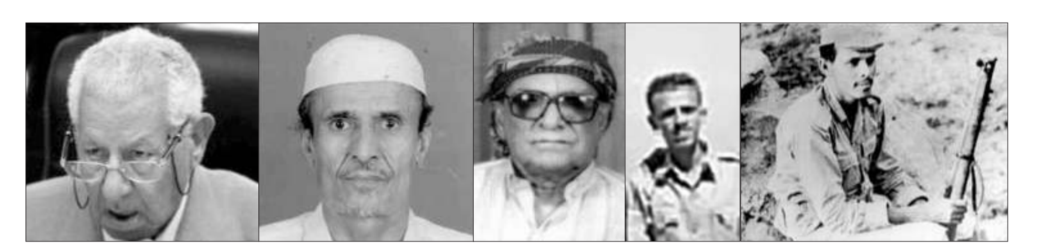
وكنت أردّد ونحن نسير في الطريق بيت الشعر القائل:

**مشيناها خطىً كتبت علينا**
**ومن كتبت عليه خطى مشاها**

حسناً، استقللنا زمناً. كم من الوقت دام؟ لا ندري! كل ما ندريه أن أشعة الفجر مزقت فجأة ظلام الليل الحالك، وصار بوسعنا أن نكون رفقاء هدف ومسيرة لأول مرة نتعارف منذ أن غادرنا البيضاء في طريقنا إلى الجبهة الوسطى.

---

(١٥) بعد قيام الوحدة لقب بالشيخ بدلًا من الأمير كغيره من السلاطين والأمراء.



**في الوسط المناضل محمد ناصر الجعري وعلى يساره علي محمد فضل الصالحي والصحافي الكبير مكرم محمد أحمد وإلى اليمين المناضل محمد علي هيثم وعلي ناصر محمد**

## رفاق الدرب

سأحدثكم الآن عن رفاق مهتمنا النبيلة.

- **محمد علي هيثم**: أصبح في ما بعد وزيراً للداخلية، ثم رئيساً للوزراء. سافر إلى موسكو للدراسة والإقامة المؤقتة، ولكنه استطاع أن يهرب منها إلى القاهرة بعد أن شعر بالخطر يتهدد حياته. وهناك انضم إلى المعارضة الجنوبية للنظام في عدن وأصبح أحد قادتها، لكنه كان متّزناً في معارضتها. وقد تعرض للاغتيال مرتين وهو في القاهرة، وأصابه في إحداهما عناصر مخابرات أجهزة أمن الدولة في عدن. وبعد إعلان قيام الوحدة انتقل للعيش في صنعاء، وأصبح وزيراً في حكومة الوحدة، ثم مات بالسكتة القلبية في ظروف غامضة، كما قيل.

- **محمد ناصر الجعري**: قادنا في رحلتنا هذه بحكم خبرته الطويلة في تجاوز هذه الجبال والأودية منذ أن كان هارباً من الإنكليز والسلاطين في الخمسينيات. كان من أوائل المجاهدين الذين أطلق عليهم الإنكليز «الشيوعيين»، وقد قتل أحد الضباط البريطانيين في جعار في جبل خنفر بناءً على طلب حاكم البيضاء صالح بن ناجي الرويشان، لإثبات حسن نيته، حيث وصل إلى البيضاء هارباً من دثينة، وتحول إلى «شيوعي» كما كان يطلق على الثوار في الخمسينيات، بعد أن سرّب جعبل بن حسين للسلطات الإمامية أنه مخبر للسلطات البريطانية. وعند قيام ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ التحق بها المناضل الجعري وقاتل في صفوفها حتى النصر. وجرح أثناء الحرب الأهلية في عام ١٩٦٧ حيث أصيب في عموده الفقري، وظل مقعداً منذ ذلك التاريخ وحتى وفاته عام ٢٠٠٤. عندما وصلنا إلى جبل وجر حدثني

المناضل محمد ناصر الجعري عن الخطوات الأولى لاندلاع الثورة المسلحة على جبال فحمان، وهي التي شكلت جبهة التحرير الوسطى.

يقول الجعري: «نحو مطلع يونيو ١٩٦٤ كانت مجاميعي من المقاتلين الذين شاركوا في تثبيت النظام الجمهوري في صنعاء قد تجمعوا في مدينة البيضاء استعداداً للتوجه إلى المنطقة بقصد افتتاح جبهة (فحمان). وكان مجلس قيادة الجبهة قد تشكل من سعيد عثمان عشال، محمد عبد الله المجعلي، أحمد محمد أم فقيرية، عمر سالم الدماني ومحمد ناصر الجعري.

استُدعيت من البيضاء إلى تعز، حيث كانت القيادة قد تسلمت دفعة من السلاح والذخائر من القوة العسكرية المصرية في تعز، واستأجرت السيارات لنقلها، وكانت الدفعة كبيرة ومتنوعة: بنادق، رشاشات برين ومدافع هاون وألغام وشتى أنواع المتفجرات. غير أن قسماً من هذه الدفعة يعود إلى جبهة ردفان، حيث أوكلت إلينا مهمة إيصالها إلى هناك.

كان عدد أفراد المجموعة الأولى يصل إلى نحو سبعين رجلاً، أما وسيلة النقل المناسبة فهي الجمال. الرحلة كانت مضنية وشاقة، ليس بسبب وعورة الطريق فقط، بل أيضاً بفعل الحذر والحيطة اللذين نتعامل بهما مع كل ما يحيط بنا. كان علينا أن نمضي ليلاً ونختفي نهاراً، وطائرات العدو تحوم فوقنا. أوصلنا السلاح إلى حدود ردفان، فتسلمه مقاتلو الثورة، وعدنا نشق الطريق إلى فحمان الشاهق، لكننا فوجئنا بأن السلطات المحلية والقوات البريطانية أدركت تحركاتنا ونصبت الكمائن للإيقاع بنا، فعقدنا اجتماعاً طارئاً وخرجنا بالقرارات الآتية:

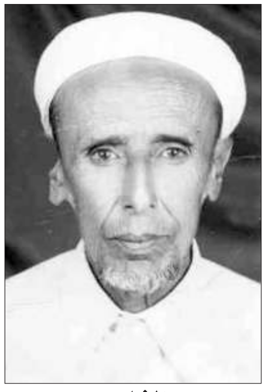
- اشتعال الجبهة يجب أن يكون في ميعاده: السادس والعشرين من يوليو ١٩٦٤.

- إعداد خطة محكمة للتمويه على العدو توهمه أننا أعدنا النظر في فتح الجبهة وتراجعنا عن خطة التحرك.

وهكذا قمت أنا ومجموعتي بنقل أهم الأسلحة وأثقلها على ظهورنا، وما بقي أعدناه إلى الخطوط الخلفية. ومن على قمة جبل فحمان تطلعنا إلى مسالك مودية ولودر وأحور والمحفد ووادي وجر. هناك بدأنا نرسم الخطط حيث اعتبرنا المعسكر البريطاني في

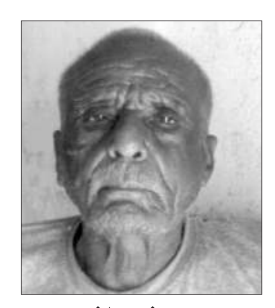
مكيراس الهدف الأول لطلقاتنا الأولى، ثم تأتي بقية الأهداف: برلمان مودية[١٦]، مركز القليته، مركز الخديرة، محاكم السلطات المحلية، منازل الحكام، دور الضباط السياسيين. الدوائر الرسمية، خطوط المواصلات والإمداد، والجواسيس والأذناب...

وفي الليلة المحددة لتفجير الموقف، ليلة ٢٦ يوليو انطلقت قذائف المجموعة في وقت واحد على مركز القليته، لتبدأ مرحلة المعارك البطولية ضد الاحتلال على طول الجبهة الوسطى لحرب التحرير الشعبية».


الشاعر
محمد علي فضل الصالحي

- **علي محمد الصالحي**: شاب، وسيم، طويل، معتدل البنية، أجرد من اللحوم والشحوم الزائدة، ممتلئ نشاطاً وحيوية. يتسم بالشجاعة وبقوة تجعله يقفز في الطرقات كالظبي. هذا الشاب الشجاع هرب مع والده من ولاية دثينة (مودية)، وقد عارض انضمام دثينة إلى سلطنتي الفضلي والعوذلي والتحق بالمجاهدين في الخمسينيات، واستوطن مع والده في البيضاء، ووالده هو المناضل والشاعر محمد علي فضل الصالحي.


عبد الله شيخ الرباش


محمد هميش «الشيوعي»


المناضل فضل عبد الله
فضل الرباش

- **المناضل البحار عبد الله شيخ الرباش**: جرح في أحد الكمائن مع سعيد عثمان عشال بين

(١٦) قال الشاعر المشطر:

البرلمان اصبح على ضرب الرصاص رصاص جمهورية دي جاء للحكومة خاص

ويقصد أن الرصاص قد جاء من مصر لضرب البرلمان.

مكيراس والبيضاء في عام ٦٤م، وأثر فيه ذلك إلى درجة أنه كان أحياناً يستيقظ من نومه وهو يصيح: «قتلونا! تآمروا علينا»، وقد عمل في عدن بعد الاستقلال بوزارة الأسماك، واستشهد في أحداث يناير ١٩٨٦.

- **فضل عبد الله الرباش**: كان يعمل عسكرياً في شرطة عدن، وأصبح بعد الاستقلال ضابطاً في الأمن.

- **محمد هميش**: كان الصحفي مكرم محمد أحمد يسميه هميش الشيوعي. مقاتل شجاع عرف الجبال والهضاب والشعاب وعركته المعارك.

- **مكرم محمد أحمد**: كان حينها مراسلاً صحفياً لصحيفة «الأهرام» في اليمن خلال الحرب ضد الملكيين والكفاح ضد الاستعمار البريطاني. زار جبهات القتال في الضالع ودثينة، وحاول الدخول إلى زنجبار لمقابلة زوجة السلطان أحمد عبد الله الفضلي بعد أن هرب زوجها إلى مصر. وقد ألف كتاباً عن هذه الرحلة سمّاه: «الثورة... جنوب الجزيرة»، وكنت أسأله طوال الرحلة: هل ستواصلون دعمكم للثورة حتى النصر أم ستستخدموننا للضغط على البريطانيين لتخفيف الضغط الغربي على صنعاء والوجود المصري؟ وكان يردّ عليَّ: إنني لا أملك جواباً على أسئلتك!

وكان معي في الرحلة آخرون، لكن الذين ذكرتهم الآن كانوا أبرز الوجوه فيها، ولم تسعفني الذاكرة بتذكر كل من كانوا معي، لكني أُجلّ وأقدِّر مواقفهم، يكفي أنهم آمنوا بالثورة وبالقضية التي كنا نقاتل من أجلها، وكانوا على استعداد للموت في سبيلها في كل لحظة، فإليهم كل المحبة والتقدير، من كان منهم على قيد الحياة، ومن لقي جوار ربه فله الرحمة ورضوان الله.

تعرَّفنا إلى معالم جبل ضلاعة بسرعة. لم يكن لدينا وقت كثير لنرى كل شيء فيه. الوقت القليل الذي أُتيح لنا استهلكناه في تناول فطور متواضع لم يزد على قطع الخبز، حبات من الزبيب، وشرب قليل من الماء، ثم شددنا الرحال مرة أخرى.

انحدرنا في طريق حاد، متعرج، إلى قلب ذلك الوادي السحيق، هبوطاً من جبل ضلاعة، وفي أسفله قابلتنا امرأة تحمل حطباً على ظهرها، وكانت أول كلمة بادرتنا بها المرأة:

- إنتو شيوعيين؟!

وأجاب هميش في زهو: نعم!

ولفت هذا الكلام نظر الصحافي المصري مكرم محمد الذي يسمعه للمرة الأولى. كان الإنكليز يطلقون على الثوار كلمة «الشيوعيين» لتنفير الناس منهم لكن الشعب الأقوى والأذكى لم تنطلِ عليه مثل هذه الحيل الاستعمارية.

كانت المرأة، على ما يبدو، قد عرفت «محمد هميش الشيوعي»، وأخذت تتبادل معه الحديث، ومكرم يلتقط لهما الصور ويسجل حديثهما. وحاول محمد علي هيثم أن يشرح لها الفرق بين الشيوعيين والثوار، وما أظن أن تلك المرأة القروية البسيطة فهمت شيئاً، أو كان يهمها ذلك.

انطلقنا جنوب الوادي، وإذا بطائرة مروحية صغيرة استطلاعية تحلِّق فوقنا، فلجأنا إلى بعض الصخور نختفي خلفها حتى لا تكشفنا الطائرة البريطانية. لا نعرف ما إذا كان خبرنا قد تسرب إلى السلطات البريطانية. كان خوفنا الأكثر على الصحافي المصري مكرم محمد، وهو أول صحافي مصري يدخل المنطقة الوسطى منذ قيام الثورة في ١٩٦٣. وكنوع من التمويه، ألبسناه معوز[١٧] «كاكي» وعمامة «كاكي». وكان يعلق الكاميرا على كتفه، وعلى خصره الزمزمية التي أخذ الماء النظيف النقي الذي جلبناه من البيضاء ينفد منها تدريجاً.

كانت قلَّة الماء والطعام والنوم تزيد من وضعنا صعوبة، لكن كان علينا أن نظهر كل طاقة وقدرتنا على الصبر والتحمل، مع ما في ذلك من صعوبة. كان يجب ألا نتوقف حتى نصل إلى أرض آل شنين وحميد (الصغير) وكنا قد مررنا لتوِّنا بسلطنة الشقي، أصغر سلطنة في العالم، كما سمّاها مكرم محمد أحمد في كتابه الذي أشرت إليه! ولا يزيد سكانها على ١٥٠ شخصاً.

## ابن جمال عبد الناصر

عند المغيب اتجهنا نحو شرقي السيلة البيضاء. كان الدخان الذي شاهدناه أول ما اجتذبنا.

---

(١٧) معوز: إزار.

سرعان ما لاحت لأبصارنا الجِمال المحمّلة بالحطب، والحمير بالقصب، والنساء محمّلات بالقِرَب[١٨]، وقطعان من الماعز في طريق عودتها وخلفها بعض الرعاة، وحركة أشخاص يتحركون حركة طبيعية لا تثير الريبة. كانوا جماعة من البدو، وقد استقبلونا بالحفاوة، ورحبوا بنا على طريقتهم. فرشوا لنا «السلق» (الحصير) على أرض ذلك الوادي. في مطرح آل شنين، كنا نستطيع أن نرى ونحسّ بهم وهم يتشاورون خلفنا وحولنا، وكان ذلك مدعاة لخوف وذعر الصحافي المصري مكرم الذي كانت في ذهنه قصص تعرض بعض المصريين في اليمن للقتل غيلة أثناء ولائم يقيمها لهم بعض الملكيين المتظاهرين بالتعاطف مع الجمهورية.

أخذ مكرم يسألني: ماذا يقولون؟!

قلت له: لا أدري!

سأل: هل تعتقد أنهم سيغدرون بنا كما غدر بعض مشايخ اليمن بالضابطين المصريين، سند ونبيل الوقاد، أول شهيد مصري في اليمن، الذي استشهد في ٢٦/ ١٠/ ١٩٦٢ مع علي عبد الغني أحد قادة ثورة ٢٦ سبتمبر؟

أما رائد الصاعقة عبد المنعم سند، فكان له دور مشهود في حرب اليمن، وكان محبوباً من اليمنيين إلى درجة أنه كان صديقاً للشيخ الغادر زعيم قبائل وجيش منطقة أرحب، ووصلت شهرته إلى السعودية، فما كان من الإمام البدر وأعوانه إلا أن رصدوا مليون ريال يمني لمن يقتل الرائد سند، فقام عملاء الإمام بإرسال سيارة الشيخ الغادر إليه، كما كان معتاداً وقتلوه.

قلت: لا أدري، ولكنني أشك في أن يتعرضوا لنا بسوء!

كانوا يسألون من نحن، ومن نكون، وما اسماؤنا، وإلى أي القبائل ننتمي؟! لكن أكثر شخص كانوا يسألون عنه هو ذلك الشخص السمين، البدين، الأبيض، الذي لم يكن سوى مكرم محمد أحمد.

ويبدو أن الجعري أخبرهم عنا، ومن نكون، ولكنه حرص على ألّا يكشف لهم عن شخصية مكرم.

---

(١٨) القرب: مصنوعة من جلد الماعز الذي يستخدم لجلب الماء.

ومثلما هي عادة هؤلاء البدو في الكرم، فقد ذبحوا لنا الذبائح، وأخذوا يقدمونها لنا وهم يقولون:

- هذا الرأس للمياسر... محمد علي هيثم، وأشاروا إليه.

- وهذا الرأس لآل حسنة - لعلي ناصر. وأشاروا نحوي.

- وهذا الرأس للجعري.

لكن المفاجأة المُذهلة لنا جميعاً، وأكثرنا مكرم طبعاً، حين قالوا وهم يشيرون إلى مكرم محمد أحمد:

- وهذا الرأس لابن جمال عبد الناصر!

هؤلاء البدو، بقدر ما هم بسطاء وكرماء، هم أذكياء بالفطرة. لم تُجدِ معهم كل محاولاتنا، وقولنا لهم إنه شخص من سلطنة الفضلي، ولد في الحبشة، حسبما اتفقنا أن نقول منذ بدء الرحلة، اكتشفوا بذكائهم الفطري الحاد أننا لا نقول لهم الحقيقة، لذلك أصروا على أن يخصّوه بذبيحة زيادة في تكريمه، ولم يذبحوه كما كان يتوقع!!

أجل، إن مواطني الأرياف، البدو منهم والحضر، يفرحون كثيراً بالضيوف، ويبدؤون بالترحيب بهم عند قدومهم وذهابهم. ونحن مفعمون بالحماسة، لم نجد غضاضة في أن نتحدث إلى مُضيفينا عن الثورة، وعن أهدافها، وعن الاستعمار في الجنوب، وضرورة محاربته وإجلائه، وعن حلمنا بالحرية والوطن والمستقبل. لم نكن ندري إن كنا مُصيبين في حديثنا إليهم عن هذه الأمور، وإن كانوا سيدركونها، ولكن الواجب والقضية التي نحن بصددها لم يتركا لنا مساحة للتفكير أو للاختيار. وربما لم يكونوا مهتمين بما كنا نقوله لهم عن الثورة والحرية، بقدر ما كانوا مهتمين بنا كقبائل تنتمي إلى دثينة وليس كثوار، ولكن فيما بعد فقط استطاعت الثورة أن تحشد خلفها كل القبائل في الجنوب، والذين أمدوا الجبهة القومية والثورة بالعديد من مقاتليها وقادتها الشجعان ممن شكلوا قوة وجيش تحرير ضارباً ضد القوات المحتلة. كذلك أمدوها بمعظم حكامها القادمين، وهم الذين لم يكونوا يتوقعون يوماً أن يصبحوا حكاماً للجنوب، وقد قمنا بتكريم هؤلاء الذين استضافونا في ما بعد، عندما صرت رئيساً لليمن الديموقراطية.

## عرقوب الرجل!

بعد صلاة الفجر، انطلقنا في رحلتنا في الاتجاه ذاته، في قلب الوادي الذي أخذ يتسع أكثر فأكثر. وامتدت أمامنا لأول مرة الأراضي الزراعية، وخرير المياه المرح، وحفيف قصب الدخن يتموج مع الرياح، وأوراقه الصفراء تضطرب هنا وهناك أشبه ما تكون بحقل من سلاسل الذهب. كانت رائحة الأرض والدخن تنعش الروح. استلقينا وسط حقول القصب، تحت ظلال شجرة علب كبيرة، وحلَّقنا بعيوننا بعيداً، وهاجت في نفوسنا ذكريات طفولتنا ويفاعتنا، والأحلام التي لا تزال بعيدة، ولكنها ممكنة، والتي نركض خلفها. كنا نراها الآن قريبة وممكنة التحقق.

بعد فترة راحة قصيرة، شربنا خلالها الماء العذب، مأخوذين بمشهد رقعة الأرض الخضراء، الممتدة، المتشحة بلون ذهبي برّاق، أخذنا نتسلق ذلك الجبل الذي يسمونه عرقوب الرجل! لا أحد يعرف سبباً لهذه التسمية على وجه الاطلاق. ولكن يبدو لي أن أحد أسباب هذه التسمية يكمن في صعوبة تسلقه. وقد أصبت بضربة شمس، ولكنني لم أتوقف خلالها عن السير، حتى لا أتخلف عن بقية القافلة والرفاق، ولم أذق خلالها طعم الأكل، أو الشراب، أو حتى النوم. في الصباح شربت قليلاً من الماء والعسل، وأكلت قطعة خبز عند بدو يسمون آل الكاملي. هذه هي المرة الأولى منذ سنين أمشي فيها هذه المسافات الطويلة في هذه الطرق والوهاد والجبال الوعرة. لقد احترق الشحم واللحم، وظهرت خلفهما صلابة أعوادنا. إن السير على الأقدام لعدة أيام وأشهر وندرة الطعام والماء قد صهرانا، فغدونا رجالاً أقوياء أشداء، نستطيع تحمُّل الصعاب والشدائد وتسلق الجبال، والصبر على الجوع والعطش، وغير ذلك، وهو ما كان يلزمنا فعلاً في مسيرتنا القادمة التي بالكاد بدأت.

## الأشتر النخعي

الطريق من آل الكاملي إلى أمقوز[١٩]، حيث يقع منزل دهمس[٢٠]، لم يكن طويلاً، ولا

---

(١٩) قوز النخعين في بلاد الفضلي. ومثل هذا الاسم في مراد ودبي وموديه.

(٢٠) بعد ١٥ عاماً من زيارتنا لدهمس أصبحت رئيساً، واعتقل أحد افراد أسرة دهمس مع ١٥ شخص جاؤوا من السعودية للقيام بأعمال التخريب في عدن، وجرت محاكمتهم، وقد اشتهر دهمس في المحاكمة وصار الناس يتغزلون بدهمس وشجاعته وجماله وجرأته، وسميت بعض الملابس «دهمس - وعيون دهمس»، كما هي عادة =

صعباً، فقد وصلنا إليه عند المساء. وليس أروع ولا ألذ من ماء وغذاء ولحم وعصيد مع المرق، وقهوة تقدم إلى مسافرين متعبين في مثل حالتنا تلك. لم نطعم في حياتنا طعاماً ألذّ ولا أشهى من ذلك الطعام الذي تذوقناه بعد ثلاثة أيام من العناء والتعب والجوع وقلة النوم. وحتى الآن، عندما ألتقي بالصحافي المصري مكرم، يكون عصيد دهمس حاضراً في الحديث بيننا في رحلة طويلة استمرت أكثر من شهر سيراً على الأقدام، مليئة بالكثير من الأحداث والذكريات.

وقد تساءل مكرم عن صرة النخعين وأرض النخعين، وعمّا إن كانت لها علاقة بالصحابي مالك بن الحارث الملقب «بالأشتر النخعي»، وهو قائد ميمنة علي بن أبي طالب، الذي قتل بالسم وهو في طريقه إلى مصر، وقد قتل معاوية مالك الأشتر النخعي (رضوان الله عليه) بدسّ السم في العسل، ثمّ لما سمع خبر استشهاده وهو في دمشق، سجد الله شاكراً! وقال: إن لله جنوداً من عسل.

أجبناه بأن هذا صحيح، وهناك أيضاً في هذه المنطقة عدد من النخعيين وغيرهم، أبرزهم إبراهيم النخعي الذي دفن في الكوفة، فعلّق بأن هذه المنطقة القاحلة لا تدلّ على أنها أنجبت مثل هذه الأسماء الكبيرة اللامعة في التاريخ الإسلامي. وكان ردّنا أن هذه المنطقة وغيرها في هضبة دثينة كانت مزدهرة قبل الإسلام، وهناك معالم تاريخية لا تزال شاهدة على ذلك.

ما إن وصلنا، أجرينا اتصالات برفاقنا في المنطقة من الثوار، نبلغهم فيها بوصولنا إلى خلف منطقة تسمى أمصره. وكان علينا هذه المرة أن نستقل جراراً من نوع «ماسي فريجسون» ليقلّنا إلى مكان اللقاء. كان الجرار، في نظرنا، أفضل من أي سيارة نقل أخرى، فقد اختصر لنا المسافة التي اجتزناها عبر طريق مفتوح ليس فيه جبال، بين أمقوز النخعين، وموقع رفاقنا الثوار بالقرب من وادي عران.

كان عبد النبي عبد الله الجعري في انتظارنا. إنه يشبه الهنود الحمر، ويلبس الكاكي. له شاربان طويلان، ووجه عريض. وهو أخٌ شقيق للشهيد الخضر الجعري، الذي استشهد في

---

= اليمنيين الذين يطلقون تسميات على المحلات والسيارات والملابس بأسماء الفنانين والفنانات كسيارات اللاندكروزر التي أطلقوا عليها اسم ليلى علوي وغيرها.


عبد النبي عبد الله الجعري

«المشهد» في كمين نصب له في المنطقة على مداخل جبل وجر المنيع في منطقة آل حسنة. وكان رحمه الله من الشباب الطيبين، الهادئين الواعدين.

لم يكن وادي عران، إلا أحد الأودية الصغيرة الفقيرة، لا شجر فيه ولا بشر ولا ماشية، وكل ما رأيناه شجرة يتيمة، وبالقرب منها بقايا مياه آسنة خلّفتها أمطار لا تهطل إلا كل عدة سنين... وتسمى (الكرفان) وهي تكثر في المناطق التي لا تهطل فيها الأمطار كثيرة كشبوة وأبين وحضرموت.

## مع المناضل ناصر السقاف

في هذا الوادي، التقيت لأول مرة بالمناضل السيد ناصر السقاف[٢١]. الذي وصل من أرض المراقشة بسلطنة الفضلي برفقة علي مقفع، راكباً على جمل. كانت سمعة السيد السقاف قد سبقته إلينا، فقد كنا نسمع عنه أو عن (المنصب) كما كان يطلق عليه منذ هرب إلى صنعاء. كان نحيفاً، رشيقاً، مكتحل العينين، معمَّماً، وعلى كتفه حبية ملونة، وخلف ظهره بندقية من نوع (أم السباع)، وكانت حينها تُعَدّ من أفضل البنادق الإنكليزية ٣٠٣، ويتمنطق خنجراً، ويشعّ من عينيه الذكاء. ولولا مرض الجدري الذي ترك آثاره على وجهه النحيل، لكان أشبه بممثلي السينما، إن لم يكن يضاهيهم وسامة. وكانت هناك بعض آثار «المشالي»[٢٢] الصغيرة في خديه. ويبدو أن كبار السن يعالجون بعض الأمراض بالكيّ و«المشلى» على الوجه، ولكن كل ذلك لم يؤثر في وجه السيد السقاف[٢٣] الذي كان فوق ذلك متحدثاً لبقاً ورجلًا متوازناً.

(٢١) من مواليد ١٩٢٩ في قرية الحافة منطقة دثينة محافظة أبين، وقد أصبح منصب آل دثينة خلفاً لوالده، وشغل عضواً في مجلس الدولة في ما كان يسمى حينها بجمهورية دثينة، وتمرد على السلطات الاستعمارية في نوفمبر ١٩٥٩ وانتقل إلى شمال اليمن. وفي ١٩٥٨ انضم إلى حركة القوميين العرب وشارك في تأسيس الجبهة القومية ضد قوات الاحتلال البريطاني في أكتوبر عام ١٩٦٣ حتى تحقق النصر في عام ١٩٦٧, وتقلد بعض المناصب في دولة الجنوب. توفي في ١٠/ ٩/ ١٩٩٩.

(٢٢) المشالي: ندوب على الوجه من آثار العملية.

(٢٣) عاش السقاف فقيراً، وعانى كثيراً في حياته، ولم تنصفه الثورة إلا بعد أن عاد من تعز إلى عدن عام ١٩٦٩، وقد =

روى لنا ناصر السقاف قصة نقل أول دفعة سلاح[٢٤] في عام ١٩٦٤ من البيضاء إلى الجبهة الوسطى عبر مرتفعات مكيراس وقبائل المحمدين، حيث اعترضوا الجمال والحمير التي كانت تحمل السلاح وعددها (٦٠) وأضاف: وأطلقوا النار علينا، وقام بعض من أصحاب الحمير والجمال بنهب السلاح والذخائر، وخضنا معركة أدت إلى استعادة السلاح وإلى تعطيل إدخاله بهذه الواسطة، حيث اتخذنا قراراً بنقله على ظهور المقاتلين إلى الجبهة. وقال لنا إنه لا فرق بينهم وبين أعداء الثورة، وعلينا الاعتماد على الرجال المخلصين للثورة الذين سيضحون بأرواحهم حتى النصر.

وقد تعرّض خط الإمداد الذي يربط الجبهة الوسطى بلواء البيضاء للهجوم أكثر من مرة، فيما كان المحتلون يشددون قبضتهم العسكرية ويعتمدون أسلوب الأرض المحروقة. ويبدو أن لندن يئست من أساليب المناورة، وهي تواجه تصاعد الكفاح المسلح الذي تقوده الجبهة القومية، فراحت تجرب حظها في أسلوب المدافع والطائرات وحملات الاعتقال والإرهاب. في هذا الوقت أصدرت الجبهة القومية بياناً عرضت فيه وقائع التصعيد الإرهابي لسلطات الاحتلال التي أخذت تتصرف بمنتهى الطيش والوحشية وتجنّد كل قواتها وعملائها المأجورين للتنكيل بالعناصر الثورية كما في لحج وأبين ودثينة والضالع وبيحان، حيث أوعزت إلى عملائها في هذه المناطق بالتنكيل بالمناضلين الأبطال وزجّهم في المعتقلات الرهيبة، وناشدت الجبهة الرأي العام العربي والعالمي والهيئات الشعبية والرسمية والمنظمات الحرة أن تقف إلى جانب شعبنا المناضل.

وروى لنا السيد السقاف، عند اجتماعنا به، بعض الجوانب الأخرى لمعركة الجبهة الوسطى، فقال: «كانت حركة القوميين العرب قد توغلت في الأوساط الجماهيرية. وبعد اندلاع جبهة فحمان، وبينما كنت في بستان آل عشال مع بعض الرفاق، وصلنا خبر مفاده أن عدداً من

= عين قائماً بالأعمال في سفارة اليمن الديموقراطية في ليبيا. ولكنه أخذ يعُاني نوبات قلق، وتساوره الشكوك في كل من حوله فذكاؤه الحاد، ودهاؤه يتحولان في أحيان إلى نوع من الوسواس الذي يسلمه إلى مثل هذه الهواجس والانفعالات التي لا صحة لها ولا وجود. فبعد ما حدث له في تعز، أخذ يشك في كل الناس. وهو محق في ذلك(!)

(٢٤) كان معه محمد ناصر الجعري والشيخ عمر سالم الدماني وأحمد محمد وعدد من المناضلين من آل دمان ولقفاع وآل فضل دثينة.

الضباط يمثلون جيش الاتحاد والحرس الاتحادي والشرطة أبدوا استعدادهم للتعاون مع الجبهة للقبض على جميع المتعاونين مع الاحتلال، والاستيلاء على كل الأسلحة الموجودة لديهم وتسليمها للجبهة، والانخراط في ما بعد في صفوفهم مقابل الحصول على نصف راتب شهري لكل منهم لضمان حياة عوائلهم ضمن الحد الأدنى للمعيشة، وقد نقلنا هذا المقترح للمصريين فوافقوا عليه، وأصدر عبد الناصر تعليماته لعبد الحكيم عامر بتنفيذه، غير أن قيادة الجبهة، وبخاصة فيصل عبد اللطيف عرقلت المقترح باعتبار أن الأشقاء المصريين ليسوا خلفية ثابتة للجبهة».

## كريف التنيبي

الطريق من عران إلى امحردوب[٢٥] بالقرب من مركز الوضيع بالسلطنة الفضلية، استغرقت أكثر من ٢٤ ساعة كاملة لم نتذوق خلالها طعم الأكل أو الماء تقريباً. كان أقرب موقع للماء (كريف التنيبي)، وهو موقع يتجمع فيه الماء كل عام بعد الأمطار، ويشرب منه البشر والحمير والبقر معاً، فيستحيل ماؤه قذراً آسناً تسبح فيه اليرقات والديدان المائية التي يسمونها عندنا «الطعاميس»! ويقال إن الماء لا لون له ولا طعم ولا رائحة، ولكن هذا لا ينطبق على ماء التنيبي، فلونه أصفر ورائحته وطعمه فيهما مخلفات الحيوانات وبولها. وقد أُنشئ التنيبي منذ عدة قرون، ويرجَّح أن الهلاليين استخدموه للشرب وسقي الماشية نظراً لعمق الآبار وندرة المياه الجوفية وشحّ الأمطار الموسمية.

ربما كان مكرم محمد أكثرنا إحساساً ومعاناة بالجوع والعطش. وكان أظهر جلداً وبطولة في السير كل تلك المسافات الطويلة، عبر مسالك وجبال وعرة شديدة القسوة، متحملاً الجوع والظمأ والحرّ الشديد. لكنه، وهو الصحافي الذي مهنته البحث عن المتاعب، كان يسعى نحو المغامرة ويريد أن يسجل بقلمه وعدسته تلك اللحظة التاريخية النادرة من التحول التي سجلها في ما بعد في كتابه: «الثورة.. جنوب الجزيرة».

قدمنا الجلجل «السمسم» المحمص، إلى مكرم، وقلنا له إنه يساعد على تخفيف العطش

(٢٥) الذي يعيش فيه جزء من آل عوين (وينتمون إلى قبيلة بني عون بن رقبة بن أأي ربيعة الهلالية الهوازنية) جنب إلى جنب مع فرع من عشيرة آل حنش وتدعى (المحنش)، ويقع بالقرب منها منهل كبير (كريف) لجمع مياه الامطار وحفظها ويستمر الشرب منه لمدة عام كامل.

لأنه يحتوي على زيت السمسم. بعد ذلك وصل الفرج على ظهور الدواب والنساء. قدموا إلينا الماء المجلوب إلى الحردوب، لكن الديدان كانت تتحرك فيه بحرية ووضوح. ورفض مكرم أن يشرب أو يتناول شيئاً من الطعام، ولكنه بعد أن صارع الجوع والعطش طويلاً، اضطر مكرهاً إلى أن يضع الماء في الزمزمية التي يحملها حتى لا يشاهد الديدان الكريهة وهي تسبح في الإناء أمام عينيه، ووضع قطعة قماش نظيفة، أو منديلاً على فم الزمزمية، وتناول حبة من الدواء المضاد زيادة في الاحتياط والوقاية، ثم أخذ يشرب حتى تجشأ.



**كريف التنيبي، وهي أشبه بالواحة التي تمتلئ بالمياه بعد هطول الأمطار**

عند المغيب، انتقلنا إلى التنيبي للشرب مرة أخرى وأداء صلاة المغرب والاغتسال. بعدها، تحركنا باتجاه الوضيع، إلى قرية آل أمزنو، ونزلنا ضيوفاً على «علي أمزنو» الذي قدم إلينا الماء والقهوة والعصيد واللحم والحساء، ولم يعجب العصيد صديقنا مكرم، فطلب أن يعصدوا له عصيداً كعصيد دهمس!!

قلت له: «إن هذا العصيد مثل عصيد دهمس، إن لم يكن أفضل»، ولكنه رفض أن يتناوله وشرب الحساء وأكل اللحم. وكما يقول والدي إن أحلى شيء هو ضرس الجائع! ويبدو أنه أُصيب بالإمساك منذ خمسة أيام، كما قال، وكنا لاحظنا ذلك، فلا سرّ بيننا، فكل شيء مكشوف، والكل يقضي حاجته في الخلاء أو يعمل «زي الناس» كما يقول أخوتنا المصريون!

الطريق من آل أمزنو[٢٦] يمرّ عبر الوضيع، وفي الطريق إلى كبران عبر قرية صديقنا باحله، بدأ إطلاق النار من كل الاتجاهات على قرية الوضيع وحولها. ومكرم، الذي كان يركب الجمل هذه المرة، وقع على الأرض بعد أن سمع أصوات الرصاص المنهمر من كل مكان،

(٢٦) حتى الآن لا أعرف لماذا يسمَّون آل أمزنو.

وانكفأ على وجهه، وقد خشينا أن يكون قد أصابه مكروه، لكن حظه كان من السماء، لأن الجمل برك بمجرد سماعه إطلاق النار، وكأنه مدرب على ذلك كحمير التهريب على الحدود بين الشمال والجنوب. لم يهرب، أو يجفل، أو يركض كيفما اتفق. وكان هذا من حسن حظ مكرم وإلا كانت إصابته بالغة. وقد سألته: حصل خير؟! فقال: ما فيش خير الآن!

كان انطباعنا الأول أننا وقعنا في كمين نصب لنا، لكن في ما بعد اتضح لنا أن إطلاق النار على هذا المركز وعلى بقية المراكز هو من تدبير المسؤولين في الوضيع ومودية وأمصره لاقتسام الذخيرة. فالشخص الذي يطلق ثلاث طلقات من الرصاص يسرق خمسين طلقة، ويدعي أنه كان يطارد الأعداء الشيوعيين! ولم يكن الناس في دثينة والعواذل والفضلي وسواها قد ألفوا بعد كلمة الثورة والثوار، وارتبطت المقاومة منذ الخمسينيات بكلمة (شيوعي)، فكل من هرب من أجل أرض، أو اختلف مع أسرة زوجته يقال عنه إنه «تشوّع» أي صار (شيوعياً) وهي هنا تعني (مجاهداً)، ولا علاقة لها بالشيوعية. كانوا يطلقون كلمة «شيوعي» على كل هارب من الجنوب إلى مدينة البيضاء، وعلى كل من اختلف مع جاره على قطعة أرض أو على امرأة. وكل من سرق بندقية وهرب بها إلى الجبال فهو شيوعي. وكل من حمل السلاح ضد السلاطين فهو شيوعي. وكل من حمل السلاح وحارب به الاستعمار يعدونه أيضاً شيوعياً. باختصار، إن صفة الشيوعي هي رديف للتمرد والرفض لوضع ما هو غير مرغوب فيه.

وأتذكر أن أحد الأصدقاء، اختلف مع حماه بسبب زوجته التي هربت منه والتجأت إلى أبيها، رافضة العودة إليه. وبعد خيبة الوساطات العديدة بينهما أعلن أنه سيتحول إلى شيوعي، ونفذ وعيده وهرب إلى الجبال. وكان يطلق عليهم النار في الليل، ملقياً الرعب في قلوبهم. واستمرت الحال على هذا المنوال حتى تمت المصالحة بينهم، فعاد الشيوعي «السابق» إلى زوجته وبيته وأولاده.

ومما لا شك فيه، أن المستعمرين الإنكليز عمّقوا هذا الفهم السطحي عند المواطن العادي عن الثوار، وعن الشيوعيين، لكي لا يتقبلوا مستقبلاً أية أخبار عن النظام الشيوعي في موسكو. فهم لا يعرفون عن موسكو وعن ستالين وخروتشوف قبل أن تدخل الإذاعة والصحف والمدارس إلى هذه الجمهورية (دثينة) التي أنهكتها الحروب، فحدودها جبل فحمان وكبران ومران وعران وعزان وحلبان.

وكان الناس الأشقياء الذين سحقتهم التعاسة وقسوة الظروف وصعوبة العيش، وأجهزت عليهم ظروف العمل المضني، لا يهمهم في كثير أو قليل مثل هذه التسميات، لكنهم كانوا مثل كل الذين لديهم أمل، يتطلعون حولهم وإلى كل شيء يحيط بهم، نحو أمل ما يبدل ببؤسهم حياة أفضل من حياتهم تلك.

بعد أن هدأت أصوات الرصاص، واصلنا سيرنا في اتجاه مليحة - الركبة لكنا كنا لا نزال نشاهد بين حين وآخر السماء مضيئة بالطلقات المشتعلة بالألوان الحمراء والبيضاء.

## لقاء ركبة الجبل وقراراته

طريقنا هذه المرة كان يخلو من الجبال والرمال، ولكننا كنا نصادف قُرى متناثرة، في هزيع الليل، وأهلها نائمون، كانت تبدو لنا مثل قرى ميتة لا حياة فيها لولا نباح الكلاب لعدم وجود كهرباء كغيرها من المناطق. وفي ظلمة الليل السوداء، كنا نستطيع بصعوبة أن نميّز الأراضي الزراعية وسط سهل منبسط ووديان فتحتها السيول الجارفة التي تنحدر بقوة شديدة بعد هطل الأمطار.

كان وادي مليحة واحداً من تلك الأودية التي اخترقناها ونحن نسير هذه المرة نحو الشمال الغربي من مودية، من الوادي بدأنا في الصعود إلى قلب ذلك الجبل الأشمّ الذي يؤوي النمور والذئاب والوبران والأرانب والثعالب، ولا مكان فيه لنا أو لأي إنسان في هذا الليل الحالك!

أخذ الفجر يرسل أشعته منذراً بالرحيل السريع من محطتنا المؤقتة في قلب هذا الجبل الذي استضافنا، وعقدنا فيه لثلاثة أيام سلسلة من اللقاءات مع شخصيات قادمة من الداخل، من منطقة مودية والسعيدي، ومن مناطق أخرى قريبة. تشاورنا في الحاضر، وجرى حديث عن المستقبل، وانهمكنا في حديث عن الطرق والأساليب المناسبة لتنسيق نشاطاتنا في الداخل والخارج... وأكدنا «السرية» حرصاً على أرواح هؤلاء الشباب المقاتلين المناضلين الذين أمدونا بكل المعلومات، وقدموا لنا كل مساعدة ممكنة، وسُمِّي حينها قرارات (ركبة الجبل)[٢٧].

(٢٧) حضر الاجتماع ناصر السقاف، محمد ناصر الجعري، الخضر عبد الله الجعري، محمد علي هيثم، سعيد عثمان عشال، سعيد عبد الله منصور، فضل سالم الفقيرية، محمد أحمد، علي مقفع، عبد الله العبيدي، ناصر محمد السعيدي، هميش الشيوعي، وكاتب هذه المذكرات.

وفي إطار قرارات «ركبة الجبل» نفذنا عدداً من العمليات العسكرية الجريئة في شعاب فحمان وحلبان. وقد استخدم مقاتلو الجبهة الوسطى أسلحة بسيطة مثل «البندقية ٣٠٣»، غير أن الأساليب التي استُخدمت كانت في منتهى الدقة والإتقان والحنكة، حيث نجحنا في إسقاط طائرتي «هوكر هنتر» بريطانيتين، وهما طائرتان نفاثتان تتمتعان بمرونة في المناورة القتالية في الجبال والأودية العميقة، وساعدنا في ذلك تحليقهما المنخفض ووجودنا على قمم جبال عالية.

## الرادار والعمامة

وأتذكُر أن المقاتل الشجاع عبد الله العبيدي كان يذكي فينا روح الحماسة والقتال والبسالة، ولم يكن ليبالي بالطائرات والقصف المركّز. كان يوجه بندقيته البسيطة وهو واقف نحو مواقع العدو دون أن يهاب الموت، وبجانبه كان المقاتل الباسل فضل سالم الفقيرية الذي كنا نطلق عليه لقب «الرادار»، فقد كان يلتقط من بعيد صوت الطائرات فيطلق رصاصة الإشارة، أو يلوّح لنا بعمامته في إشارة إلى مجيء الطائرات البريطانية.

وكان فضل سالم رجلاً يتمتع بروح طيبة مرحة، ولكنه كان مصاباً بداء «المشي أثناء النوم» الذي اكتشفناه فيه خلال رحلتنا تلك، وخوفاً عليه من السقوط من فوق جرف من تلك (الجروف) أو كهف من الكهوف العالية التي كنا نبيت فيها ليالينا، فقد كنا نربطه إلى رجل أحد المناضلين من بين رفاق الرحلة ليحسّ به عندما يقوم ويمارس مشيه المعتاد خلال الليل وهو نائم لا يشعر بشيء، فإذا ضحك وقال: أنا صاحٍ فكّ رباطه.

وقد علمنا بعد ذلك أن داء المشي في أثناء النوم قديم لديه، منذ أن كان يعمل سائقاً في إحدى شركات النفط في حضرموت، كان ينهض وهو نائم ويضع بطانيته على السيارة ويدير المحرك وينطلق بها بسرعة، ولا يكتشف ذلك إلا إذا اصطدم بشيء أو وقعت السيارة بحفرة من الحفر. وكان أصدقاؤه الذين يعرفون عنه مرضه هذا يلحقون به لإعادته حتى لا يتعرض لحادث خطير وهو نائم لا يشعر بما يفعل. وقد عايشت الكثير من المواقف والحوادث التي كان يتعرض لها في دثينة والبيضاء وتعز. التقيت به آخر مرة في صنعاء عام ١٩٨٦، وقد توفي عام ١٩٩٠ في الحديدة التي كان يسكنها مع أسرته. رحم الله (الفقيرية) فهو اسم على مسمى، فقد عاش فقيراً ومات فقيراً، ولكنه كان رجلاً نظيفاً وشريفاً.

## عين القاهرة


قاذف البلاندسيد المحمول على الأكتاف

كان مكرم يراقب، يسمع، ويكتب له وللآخرين. ويبدو أنه كان عين المخابرات المصرية التي كانت تقود عملية (صلاح الدين) إضافة إلى مهماته الصحافية. كانت المخابرات تريد معرفة الحقيقة حول جبهات القتال. ولهذا أرسلته معنا إلى دثينة والعواذل والفضلي، وأرسلت جمال حمدي إلى ردفان في مارس من عام ١٩٦٤ لتغطية عمليات الذئاب الحمر فيها، ومعه خمسون طناً من السلاح والذخيرة والألغام، ويرافقه ٣٠٠ رجل على رأسهم بالليل بن راجح لبوزة. وكان المصريون قد أرسلوا أسلحة بريطانية من مخلفات قاعدة السويس بعد أن انتقلت إلى عدن. ومعروف أن الجيش والأمن في الجنوب والمواطنين أيضاً يتسلحون بأسلحة بريطانية كالبندقية «٣٠٣ أنفيلد» والألغام المضادة للدبابات رقم ٧ ومدافع بلاندسيد(*) المضادة للدروع.

وهي أسلحة متخلفة مقارنة بالسلاح الأوتوماتيكي الحديث، لأن المصريين كانوا لا يريدون أي دليل مادي على تورطهم في هذه الحرب، بل ما كان يستخدمه الثوار هو سلاح بريطاني يُغنَم في المعارك أو يُشترى من المواطنين، فيما كان سلاح الجيش المصري روسي الصنع، من طائرات ودبابات ومدافع وصواريخ وبنادق الكلاشينكوف الأتوماتيكية الحديثة التي اشتهرت وانتشرت في ما بعد في كل الحروب في العالم لخفتها ودقتها وفعاليتها في القتال. وكُلف عادل رضا الذهاب إلى الحواشب وبعض جبهات القتال الأُخرى، كذلك كُلف الصحافي محمد حسين شعبان من مجلة القوات المسلحة الذهاب إلى عدن. وقد شكّ البعض في أنه دخل عدن آنذاك، ويقال إنه اكتفى بإجراء بعض المقابلات مع عدد من القيادات العسكرية والسياسية في تعز ولكنه كان صديقاً وفياً للثورة وقد التقيت معه في مكتب الجبهة القومية في القاهرة لاحقاً.

(*) قاذف صاروخي بلجيكي مضاد للدروع يُحملَ على الكتف، استبدل به في ما بعد قاذف البازوكا ومدفع الهاون ومداه نحو كيلومتر ونصف.


مع المذيع أحمد سعيد - القاهرة - أبريل ٢٠١١

كانت إذاعة (صوت العرب)[٢٨]، قد خلقت هيجاناً، وساعدت على إذكاء الثورة ضد الاستعمار البريطاني بعد أن أمتد تأثير ثورة يوليو إلى كل مكان في محيطها العربي. وكان تأثيرها (الإذاعة) كبيراً وخطيراً. وكان مركز هذا التأثير يتمثل في مديرها ومذيعها الأشهر أحمد سعيد! فالناس لا يعرفون عن مصر إلَّا جمال عبد الناصر وصوت العرب وأحمد سعيد وأم كلثوم. وأحد الرفاق أخبر الصحافي مكرم محمد أن المواطن في عدن لا يشتري الراديو إلا إذا سمع صوت أحمد سعيد من صوت العرب، وإذا لم يستطع البائع أن يلتقط له إذاعة صوت العرب، فمعنى هذا أن المذياع الذي يبيعه عاطل، أو لا ينفع، فينصرف عن شرائه.

بعد انتهاء لقاءاتنا، انتقلنا، من مليحة وكبران ومران إلى جبل فحمان، ومررنا بقرية الحسكة التي يسكنها الصديق محمد علي هيثم حيث تناولنا العشاء في منزله. وقد كلفنا البعض استطلاع المنطقة والطريق. وكان قرارنا أن نتحرك في وقت متأخر من الليل حتى ندخل منطقة الكمائن بعد طلوع الفجر لأن الكمائن – حسب علمنا – في مداخل جبل وجر قد انسحبت منها.

إنه الصعود من جبل إلى جبل. كان علينا أن نصل إلى قلب وجر، وتحديداً إلى موقع استراتيجي مهم اسمه أمحجر «الحجر»، وهو عبارة عن حجر كبير جداً يقع في وسط هذا الجبل الكبير الساكن في إطار من الجبال العالية.

قال أحدهم إن هذا الجبل الشامخ الكبير يضم نحو ٣٦٠ من الشعاب التي تصّب كلها أو معظمها في وادي وجر بن ناصر عندما تهطل الأمطار الموسمية فوق أعالي أمفراعين وجبل

(٢٨) إذاعة صوت العرب هي إذاعة مصرية تبث من القاهرة أُنشئت في ٤ يوليوعام ١٩٥٣. وكانت من أول وأشهر الاذاعات المصرية التي بثت إلى جميع أقطار العالم العربي باللغة العربية.
كان صوت العرب صوت مجاهدي الجزائر والمغرب وتونس، وكان يذيع رسائل مشفرة لجبهة تحرير الجزائر والمقاومة الفلسطينية وكذلك جبهات التحرير بأفريقيا.

فحمان. وفي الوقت الذي تكون فيه الأمطار مصدراً وافراً للخير والسعادة، فإنها تجلب معها أيضاً بعض الأضرار والكوارث، خاصة إذا كانت السيول التي تعقبها جارفة. وأتذكر أن الناس في قريتنا عندما يحسّون بهطل الأمطار يتحركون بقلق مشوب بالفرح من أعلى الوادي إلى أسفله نحو الأرض، لسقايتها من ناحية، وتوفير الحماية الكافية لها من ناحية أخرى، حتى لا تجرفها السيول.

لعدة أيام مكثنا في هذه المحطة، وقد تسرب خبر وصولنا من بعض أفراد القبائل الذين يعيشون على نقل الأخبار مقابل أتفه المبالغ والمساعدات التي تقدم لهم دون أن يفكروا بعواقب ذلك.

## جبل وجر: نصر عسكري وصحافي

نحن الآن نقف في قلب هذا الجبل الأشمّ (جبل وجر) وأحياناً فوق قمته العالية «الفراعين». ما زال مكرم محمد أحمد مراسل «الأهرام» يلتقط الصور لطائرة «هوكر هنتر»[٢٩] التي تحمل الرقم ٠٤٠ ٢٢٢٢ أسقطها الثوار، وهي تقوم بقصف جوي على مواقعها في فحمان في بداية سبتمبر عام ١٩٦٤. أسقطها ثوارنا بمدفع «البرن» وبندقية ٣٠٣ من مخلفات الجيش البريطاني في حرب السويس، وقد استولى عليها المصريون وهم يشهرونها اليوم بأيدينا في وجه جيش حكومة صاحبة الجلالة في آخر مستعمراتها شرقي السويس، أي عدن والجنوب.

حرص مكرم على أن يلتقط لنا صوراً تذكارية حول حطام الطائرة لنشرها في «الأهرام» بعد عودته، لإثبات أنه دخل الجنوب المشتعل بالثورة، وحضر المعارك، والتقطت له الصور مع الفدائيين والمقاتلين الذين كانوا يومها يحتلون صدارة الأخبار، ما كان يُعَدّ نصراً شخصياً، وسبقاً صحافياً، لذلك المراسل الشجاع، المغامر، الذي كان لا يزال يشق أولى خطواته في عالم الصحافة المليء بالمتاعب والإثارة مراسلاً حربياً... ليصبح بعدها بسنوات رئيس تحرير واحدة من أكبر المجلات العربية وأشهرها: (المصور)، ونقيباً للصحافيين المصريين.

كانت انتصاراتنا تتوالى على قوات الاحتلال... وقد أبلغنا أن طائرة أخرى أُسقطت عندما كانت تغير على الفدائيين في «حلبان» في أغسطس ١٩٦٤ في أسفل المنطقة التي كنا فيها،

(٢٩) بعد قيام الثورتين في اليمن، عزز البريطانيون قاعدتهم الجوية في عدن بنقل سرب رقم ٤٣ من طائرات ال«هوكر هنتر» من قبرص إلى عدن.

وادي وجر. لكن الظروف وبعد المسافة حالا دون ذهاب مكرم لالتقاط الصور للطائرة المحطمة، بينما كان رفيق كفاحي محمد علي هيثم، يسجل ملاحظاته، ويلتقط لنا بعض الصور التي ما زلت أحتفظ بها حتى اليوم.

## الأمل بالغد

أجرينا عدة لقاءات مع بعض المواطنين ومسؤولي التنظيم في «الحجر»، كما كنا نطلق عليه. ونشأت بيننا وبينهم بسرعة أواصر المحبة والألفة الحميمة. وكانوا يتطلعون إلينا ونحن نشق طريقنا وسط تلك الجبال الوعرة، وسط قصف الطائرات والقنابل والغبار والدخان المتصاعد منها. ينظرون نحونا بخوف وقلق على حياتنا، ويدعون لنا بالنصر على الأعداء، إذ كنا نمثل لهم الآن الأمل بالغد، وبالمُستقبل الواعد الذي تبشر به الثورة.

ودّعنا مكرم محمد أحمد، برفقة بعض المقاتلين إلى مدينة البيضاء، لينطلق بعدها وينشر ما رآه وسمعه وسجلته عدسته وقلمه إلى العالم كله في جريدة الأهرام عن بطولات الفدائيين ومعاركهم في المنطقة الوسطى. أما نحن، فقد انطلقنا إلى مناطق مختلفة من الولاية للقاء الأعضاء والأنصار الذين كانوا لا يبخلون علينا بشيء من أجل القضية النبيلة التي كنا نؤمن بها جميعاً، فكانوا يمدوننا بالمال والسلاح والماء والطعام والمعلبات في فترة الانقطاع بين المنطقة الوسطى وتعز، قاعدة الثورة الخلفية.

قسّمنا أنفسنا إلى مجموعات صغيرة، وحددنا المواقع والمراكز للقيام ببعض العمليات العسكرية. وتركزت أهدافنا على المراكز الحكومية، البرلمان ومقر النائب حسين منصور. وأتذكر أن الصديق الرفيق أحمد محمد الفقيرية كان يردّد وهو يطلق قذيفة البلاندسيد:

- الله أكبر، عاش السلال يا عروبة!

فكنا نردد ذلك بعده والرصاص يلعلع في كل مكان من الطرفين، ودويّ المدافع والرشاشات تهزّ المنطقة بأسرها. والنساء يزغردن على أصوات الرصاص، كأنه يوم عرس، وهنّ يدعون لنا بالنصر والنجاة من هذه السماء المشتعلة بأعيرة النار الحمراء المنطلقة، والتي تضيء المكان، ومن الرصاص المنهمر علينا من كل مكان الذي كان يختلط صوته مع صوت احتراق قصب الذرة التي يمزقها ويحصدها.

حاولت القوات الحكومية اختراق صفوفنا والتقدم نحو المداخل التي مررنا بها والتي سنعود منها خاصة مدخل اسمه المشهد- بوابة وجر حيث استشهد المناضل الخضر الجعري في ما بعد في ٢٤/ ٣/ ١٩٦٥.

كُنا قد وضعنا قوة في هذا المدخل لحمايته، واتفقنا على «كلمة السر» حتى لا يقتل أحدنا أحداً من رفاقه بالخطأ. بعد المعركة، عدنا إلى مواقعنا سالمين. كانت أشعة الشمس الأولى تبدّد الظلام. أخذنا نتبادل الأسئلة عن الجرحى والقتلى، واكتشفنا أن أحدنا قد قُتل، وأصيب البعض الآخر بجراح، لكنها كانت طفيفة.

## شُحّ... ووفر

ولما كنا نعاني من شحّ في الذخيرة، والتموين، فقد كنا نحاسب أنفسنا عقب كل عملية عسكرية، على عدد الطلقات والذخيرة التي استخدمها كل واحد منا خلال المعركة. البعض كان صادقاً ومؤمناً بالثورة عن قناعة. والبعض، من الذين قد التحقوا بنا، من أجل المال والسلاح، كانوا يخفون الحقيقة، ويحتفظون ببعض الذخيرة لأنفسهم ويطالبون بالحصول على المزيد!

كنا نحرص على الدوام، على مهاجمة المواقع العسكرية في مودية والقليتة، الخديرة أمصره، البرلمان، وغيرها من التجمعات المستهدفة ليلاً، حيث يتيح لنا الظلام ساتراً كافياً من المباغتة والانسحاب بسلام. لهذا كانت أغلب عملياتنا العسكرية تُنفَّذ في الليل. وفي الوقت الذي كنا فيه حرصاء على عدم الإسراف في استخدام ذخيرتنا، نظراً لشحّها، كان الضباط والجنود في المراكز الحكومية يدخلون ويأكلون ويتبادلون إطلاق الرصاص بكثافة لاقتسام الذخائر في ما بينهم وصرف الملايين منها وإيهام المواطنين والقيادة بأنّ الثوار يقومون بذلك حتى إن البعض عندما كانوا يدخلون ويأكلون في المطاعم[٣٠] كانوا يدفعون ذخائر بدل النقود. وكان

(٣٠) أشهر المطاعم في مودية كان مطعم الطامي الذي اشتهر بتقديم أفضل الوجبات من اللحم والخبز المخلم المشهور في دثينة، وأيضاً تقديم ما يسمى الملوّح، وكان البعض يأكل حتى يشبع وينسى بنادقه. وأتذكر أن أحد الأشخاص نسي بندقيته وعاد إلى منزله وسألته زوجته: أين البندقية؟ فارتبك وحكّ رأسه بيده اليمنى وتذكر أنه نسيها عند الطامي، فقال لزوجته: ليت الطامي زوجتي لأنه يقدم طعاماً أفضل من طعامك، فاختلف مع زوجته وعاد إليه ليحضر البندقية. وقد جرى تداول مثل هذه الحادثة الطريفة، فالرجل دفع ذخيرة مقابل الأكل ونسي بندقيته.

تجار الحروب وحدهم المستفيدين من هذه الحالة كما هي العادة دائماً في كل الحروب، حتى العادلة منها. ومما أتذكره أنّ المناضل (فضل سالم) حاول الاتفاق مع بعض المراكز العسكرية على أن يطلقوا النار باتجاههم ليلاً مقابل اقتسام الذخائر مناصفة في ما بينهم! وأشترط عليهم ضرب المركز بقذيفة وليس بطلقة رصاص، لأن المسؤولين اكتشفوا سرّ إطلاق النار بين المراكز!! فما كان من فضل سالم إلا توجيه مدفعه البلاندسيد نحو مركز أمصره لتخترق القذيفة المنطلقة منه الطابق العلوي خطأً، وخلافاً لما تم الاتفاق عليه بسبب الظلام، فأصيب البعض بالشظايا وأحرقت ملابسهم. وكان ردّ فعلهم عنيفاً على ذلك، إذ أمطرونا بمختلف الأسلحة: القنابل والرشاشات، ومعها اللعنات على فضل سالم الذي أخلّ باتفاقه معهم القاضي بضرب الجزء الأسفل من المركز وليس العُلوي حيث ينامون!!

أتذكر حواراً رفاقياً وإنسانياً ونحن في طريقنا إلى قمة جبل فحمان تخلّله الحديث عن أم كلثوم وأبي فراس الحمداني.

## سهرة مع أم كلثوم على جبل فحمان

كان صوت أم كلثوم يتردد صداه في جبل فحمان[٣١]، وهي تغني «أراك عصي الدمع شيمتك الصبر»، وكان السيد ناصر السقاف يردد معها هذه الكلمات التي تنطلق من المذياع الترانزستور المعلق على كتفه. كان هادئاً وفرحاً، وعيناه العاشقتان تشعان بالفرح والسرور. شعرت بأنه يعيش لحظات سعيدة وذكريات جميلة. نظر نحوي وهو يبتسم، وظهرت سنّه الذهبية على الجانب الأيسر من فكه، وكاد أن يسقط، وأمسكته من كتفه اليمنى وعاد إلى وضعه الطبيعي، وفهمت من حركته كأنه يريد أن يقول شيئاً غير آبه لهذه الجبال والصخور، وسألني: أتحب أم كلثوم؟ قلت له: نعم أحبها وأحب أغانيها، قال: ما أجمل صوتها، وما أحلى كلمات هذه الأغنية الرائعة! شعرت بأنّ لهذه الكلمات ذكريات خاصة في قلب هذا العاشق الثائر الذي يحلّق معها الآن على قمة هذا الجبل الأشمّ، وهي تردد «ولكن مثلي لا يذاع له سر». الكل كان يسير ولا يهتم بما يجري بيننا إلا صديقنا وشريكنا في النضال محمد علي هيثم، الذي قال للسيد ناصر: «يبدو أن لهذه الأغنية مكاناً خاصاً في قلبك»، لكن السقاف لم يردّ.

---

(٣١) يبلغ ارتفاع جبل فحمان ٣٠٠٠ قدم، وهو يطل على ولاية دثينة وعاصمتها مودية.



**في جبهة القتال بالمنطقة الوسطى عام ١٩٦٤ (جبل فحمان)**

كررتُ ما قاله له هيثم: إن كلمات أبي فراس الحمداني لها وقع خاص وذكريات خاصة عندما كُنتَ في مصر، أليس كذلك؟ نظر نحونا، شعر كأننا نستجوبه، وابتسم ولم يعلّق، ولكنه قال إنه سمعها لأول مرة على ضفاف نهر النيل. ولم يفصح لنا بأكثر من ذلك وسط هؤلاء الثوار الذين لم يسمع بعضهم أو معظمهم بهذه الكلمات وباسم الشاعر، بل حتى أم كلثوم التي كان الكون المتحضّر يسمع عنها، والبعض كان يذهب بالطائرات لحضور حفلاتها والعودة إلى وطنه بمجرد انتهاء حفلها. كان محمد علي هيثم ينظر نحو قمة جبل الفراعين ويقول إن الوصول إليها صعب وعسير، وقال للسقاف مداعباً: «أراك عسير السير في جبل وجر»، كان يحاول أن ينقلنا إلى الحديث عن الطريق الوعر والصعب الذي كنا نسير فيه وسط الصخور والأشجار ونحن نشقّ طريقنا إلى قمة هذا الجبل، محطتنا الأخيرة التي كان الوصول إليها ما زال بعيداً وصعباً، والشمس قد بدأت بالمغيب، حاول هيثم أن يفسد على السقاف جوَّه الجميل بالحديث عن الطريق الصعب في هذا الجبل، ولكن السقاف ظل متمسكاً بموقفه وانحيازه إلى صوت أم كلثوم، رغم كل الصعوبات، طلب أن نرتاح ونحطّ الرحال على الجبال ونسمع ما بقي من هذه الأغنية الرائعة وهي تُردد ويردد معها:

**وفيت وفي بعض الوفاء مذلة**
**لفاتنة في الحيّ شيمتها الغدر**

كما سمعته وهو يدندن:

**فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى**
**قتيلك قالت: أيهم فهم كثر**

وسمعته وهو يقول: «ما عندهن وفاء»، ولم أعلق على كلمته.

**فقالت: لقد أزرى بك الدهر بعدنا**
**فقلتُ: معاذ الله! بل أنت لا الدهر**

وكررت ورددت بعض الأبيات في نهاية هذه الأغنية، والحبيب السقاف يردِّد معها:

**أراك عصيَّ الدمع شيمتك الصبر**
**أمـا للهوى نهي عليك ولا أمر**
**نعم أنـا مشتاق وعـنـدي لوعة**
**نعم أنـا مشتاق وعـنـدي لوعة**

ورددت أم كلثوم: آه آه

وسمعته يقول: آه... ثم آه... يا ست!

ولكنها قاطعته، وواصلت والجبل يردد صدى هذه الأغنية الخالدة الرائعة:

**ولكن مثلي لا يذاع له سرٌّ**، واختتمتها:

**معللتي بالوصل والـمـوت دونـه**
**إذا مـتّ ظمآنا فـلا نـزل القطر**

كان التعب قد أضنانا والعطش قد أنهكنا حتى تشققت شفاهنا وأبيضّت، شاهدت أحذية بعضنا وقد تمزقت على صخور هذه الجبال، وقد بدؤوا في إصلاحها، وبعضهم حفاة لا يلبسون الأحذية إلا نادراً، ما شكّل عندهم طبقة جلدية قوية كالنعال تشبه أخفاف الجمال المفلطحة التي لا تؤثر فيها الصخور ولا الرمال. وضع البعض الدقيق والرز والشاي والرصاص والقنابل والمدافع على الأرض وأخذ يفتح الأكياس والقرع لإخراج الدقيق والسكر والشاي والتنباك وزيت السمسم استعداداً للعشاء.

انتشرنا حول الصخور، وكان المناضل عبد الله العبيدي كالصقر يحوم حولنا ويلعن ويشتم، ويقول: «ما لنا في هذه «المغاني»؟ حقكم خلوكم رجال وبطلوا من هذه الأغاني وخلوها لأهل مصر وعدن»، فردّ عليه ناصر السقاف: «يا عبد الله لو فهمتها وعرفتها وسمعتها ما

قلت هذا الكلام، دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر، يعني الإنسان بعدما يصوم ويصلي لازم يستريح ويغني»، وردّ العبيدي عليه قائلاً: «أنا لم أفهم شي يا ناصر». فأجابه السقاف: «لا، أنته تفهم القتال بالسلاح بس، ولكنك لا تفهم القتال بالأغاني والأناشيد والفن، فهي لا تقلّ عن الحرب والقتال مع العدو. هل سمعت الشاعر عبد الله هادي سبيت وهو يردّد:

**يا شاكي السلاح شوف الفجر لاح**

**حط يدك على المدفع زمان الذل راح**

والفنان فرسان خليفة وهو ينشد:

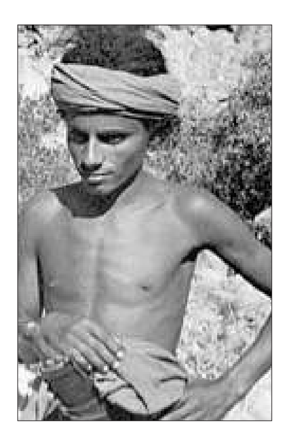
**جبهة التحرير دكي بأياديك القوية**

وغيرها من الأغاني والأناشيد حول ثورة الجزائر واليمن والعراق وغيرها من الثورات؟

قال المناضل العبيدي: «والله ما سمعت أغنية من هذه الأغاني التي تحرّض الشعب على الثورة، كما تقول يا ناصر، وأحسن تفتح لنا على صوت العرب وأحمد سعيد ومحمد حسنين هيكل»، وشعر السقاف بأنه لم يقتنع بجدوى هذه الأغاني والأناشيد.

## من قلّت رجاله...!

قال العبيدي: «ضاع الوقت وإحنا نتكلم عن الأغاني ويجب أن نستعد للعشاء، وصاح بأعلى صوته بالمناضلين فضل عبد الله الرباش وعبد الله شيخ الرباش ومحمد هميش وعلي محمد أمفضل: جيبوا حطب، عجلوا الشمس غابت»، وانتشروا لجمع الحطب، وما هي إلا لحظات حتى كان الحطب والأعشاب الصغيرة بالقرب من العبيدي الذي بدأ أولاً في وضع ثلاثة أحجار على شكل مثلث كانت تستخدم لوضع الكتلي (إبريق الشاي) عليها وتجهيز الشاي والقهوة اليافعية. كان الشيخ المناضل محمد ناصر الجعري الخبير بهذه الجبال والصخور والأشجار والأحجار قد أحضر أحجاراً ملساء ناعمة مكورة استعداداً لطهي الخبز القرم حيث توضع في قلب العجين، وآخرون بدؤوا بإعداد العجين وتقطيعه في شكل كروي مدَّور لا تزيد الواحدة على نصف كيلو من الدقيق، وبدأ الشيخ العبيدي بفتح هذه القطع المدورة وإدخال الحجر الأملس وإغلاقها. كانت النار مشتعلة والحطب يحترق، ونحن ملتفون حولها، وبدأ الظلام يسدل أستاره بعد أن تيممنا وأدينا صلاة المغرب جماعة،


مسعود العرولي

وقد رفض أحد المقاتلين التيَمم، وهو مسعود العرولي، وقال: «والله ما مرّ التراب على وجهي». قاطعه أحمد محمد امفقيريه: «على وجهك غبرة»، ولكنه رفض وقال: «إن الله غفور رحيم، فنحن في معركة مع الكفار ولسنا ضعفاء، وكما يقول المثل: من قلّت رجاله صلّى[٣٢]، نحن أقوياء بالله وبهذه الجبال المنيعة وبالرجال أيضاً». سمعت صوت المناضل أحمد محمد امفقيريه مرة أخرى وهو يقول: «حرام عليك تقول إن من قلَّت رجاله صلى، وإحنا قبائل مثلكم ولكننا مؤمنون بالله ونؤدي الفرائض كلها وفي أوقاتها سواء بالماء أو بالتيمم». قال: «نحن نختلف عنكم. لا عندنا ماء ولا مساجد ولا علماء، وإحنا ما عندنا إلا هذه الجبال الشمخ العالية».

شاهدت هذا الرجل الذي يتحدث وهو محتبٍ عاري الجسم إلا من قطعة صغيرة وفخذاه عاريتان يشدّ طرف قطعة القماش نحو الخلف حفاظاً وستراً لعورته، وهذه القطعة لا تصلح للصلاة ولا لستر عورته، وهو لا يغتسل إلا كل ثلاثة أشهر، كما قال. كان شكله كالصقر، وهو رسولنا إلى المدينة وحامل الأخبار والأسرار عن تحركات السلطة ضدنا. كانت النيران قد التهمت الحطب وتحول إلى جمر أحمر ملتهب، وكنا ملتفين حولها ووضع عليها خبز القرم، وبدأت بعض الأحجار التي وضعت عليها تتفجر وتتطاير نحونا وتُحدث ثُغَراً في النار والرماد، وكان يُعَدّ الشاي والسليط والزيت لتناولها مع الأكل. ورغم هذا الحديث والنقاش، فإن صوت أم كلثوم لم يختفِ إلا وقت صلاة المغرب. كان السقاف لا يزال مستلقياً على صخرة تطل على منظر النار والمداعة وهو يستمع إلى الأغنية. وشاهدته منسجماً وهو ينظر نحو السماء وجبال الفراعين ممسكاً بسيجارته الروثمان بين أصابعه، حتى لسعته نارها فانتفض ورماها من يده، ونفض عن ثيابه وعمامته الخضراء الحريرية ما علق بها من تراب الصخرة، والتحق بنا وهو يردد آخر كلمات الأغنية، واكتملت الحلقة حول النار وبدأ العبيدي في إخراج القرم[٣٣] والأحجار الملساء التي تركت أثراً أسود في قلبها. كانت العيون تنظر

(٣٢) كانت بعض القبائل تعتبر أن الذي يصلي ويمد ملابسه إلى ما تحت الركبة ضعيف، وليس لديه قبيلة تحميه، ولهذا يلجأ إلى الله، وأستغفر الله العظيم لأنها طبعاً كانت على خطأ.

(٣٣) قرم.

إليها والبطون خاوية جائعة في شغف لها، وسمعت صوت السقاف وهو يطالب العبيدي بإحضار السليط الذي شاهدته قبل وصولنا معلقاً في كرعة[٣٤] على كتف أحد المناضلين.

قفز العبيدي وأحضر السليط، وعندما فتح الكرعة سال بعض منه على وجه المقاتل هميش وأذابه بفتح لسانه وشدّه نحو فمه، وسمعت محمد علي هيثم وهو يصيح به ويقول: أمسح السليط (الزيت) عن وجهك، عيب، وتعلم آداب الأكل. وكرر: تعلموا آداب الأكل.

قال هميش محتجاً: نحن مؤدبون من بيوتنا قبل الثورة، وكنا شيوعية قبلكم، نحن وابن المجعلي ومحمد ناصر الجعري وفضل قنان ومحمد علي أمفضل والسقاف. رد محمد علي هيثم، وقال: عيب عليك، أنا ما قلت إنك بلا أدب قلت لك كيف تتعلم طريقة الأكل، هذا شيء والشيء الآخر أنتم لستم شيوعيين، أنتم مناضلون، والإنكليز هم الذين أطلقوا عليكم اسم الشيوعية والإلحاد، كما يطلقون اليوم هذه التسمية على الزعيمين جمال عبد الناصر والسلال. قال السقاف: ما رأيكم لو نتعشى وبعدها نواصل الحديث في هذا الموضوع وغيره من الموضوعات؟

بعد العشاء قال محمد عبد الله المجعلي الذي لقبته الصحافة المصرية واليمنية بهوشي منه[٣٥]: «إن الذي أطلق علينا اسم الشيوعية هو الشيخ علي هادي»، من كبار مشايخ آل حسنه، وهو معادٍ لنا وأصبح في مجلس ولاية دثينة. ونحن لا يخيفنا هذا الكلام عن الشيوعية، فنحن لها وشيوعيون إلى يوم القيامة». أي إنهم مناضلون وسيقاتلون الاستعمار حتى تحرير الجنوب المحتل.

قال محمد علي هيثم للمجعلي: يجب عليك أن تفهم اليوم أنك عضو في الجبهة القومية ولست متمرداً أو مرتزقاً أو شيوعياً كما يتهمكم الإنكليز بعدما ثرتم عليهم في الخمسينيات، فنحن الآن في الستينيات، وعندنا ثورة وجبهة ودعم يمني ومصري وعربي ودولي مثل ثورة الجزائر التي ساعدها المصريون والعرب حتى انتصرت على فرنسا.

سكت «هوشي منه» ونطق رفيقه في النضال أحمد عوض شقفة، وقال: «لا والله إننا شيوعيون

---

(٣٤) عبارة عن جلد ماعز يحفظ فيه زيت السمسم ويحملونه في السفر.

(٣٥) الزعيم الروحي الفيتنامي.

والشيوعية لا عيب فيها. نحن رجال مقاتلون من بداية الخمسينيات من أيام الإمام أحمد وعامل البيضاء أحمد الشامي وصالح بن ناجي الرويشان»، وعلَّق عبد الله صالح المجعلي الذي كان رفيق نضال أحمد عوض شقفة[٣٦]، ومحمد عبد الله المجعلي وصالح عبد الله المجعلي على هيثم قائلين: «كلام محمد علي هيثم صحيح، والشيوعية راح زمانها ولا ترددوا مثل هذا الكلام، فنحن إخوان ومسلمون ومؤمنون بالله ورسوله»، وقاطعه صوت قائد علي غزالي، من أبناء ردفان وهو يقول: «قل بعد الله ورسوله والجبهة القومية قائدة النضال التي انطلقت من جبال ردفان الشماء».






المناضل أحمد عوض الشقفة - الشهيد عبد الله العبيدي

تدخل محمد علي هيثم وقال: «إن الثورة قد بدأت بقيادة الجبهة القومية وزعيمها قحطان الشعبي، وإننا سننتصر مهما طال الزمن وكلف الثمن، فالنصر قريب بعد تضحياتكم من الخمسينيات وحتى اليوم».

ارتفعت بعض الأصوات تشيد بجمال عبد الناصر والمشير السلال وقحطان الشعبي. كان الكل يشربون الشاي بحليب العلب اللذيذ، وكان ناصر السقاف كبير القوم في هذا الجبل يراقب الحديث عن الثورة والشيوعية، وكان يُعَدّ شيوعياً من وجهة نظر السلطات

(٣٦) تشبه ملامحه بعض الشخصيات الأسطورية في أفلام «الفايكينغ». قصير القامة متجعد الوجه، وعلى جبينه إشارات إلى أنه أمضى نحو أكثر من مئة سنة وفي زنديه نقوش قديمة وخنجر من النوع الفارسي القديم ذي النقوش الشبيهة بالحروف الهيروغليفية.

الاستعمارية متمرداً عليها، وقد غادر الجنوب وتنقل بين صنعاء وتعز والبيضاء والقاهرة وبيروت وبغداد، وأصبح عضواً في حركة القوميين العرب وأحد القادة المؤسسين للجبهة القومية وقائد الجبهة الوسطى[٣٧]، وقد وجه سؤالًا إلى الشيخ أحمد عوض شقفة، وكأنه كان يريد أن ينقلنا من الحديث عن الشيوعية إلى موضوع المعارك التي دارت في هذا الجبل المنيع بين الثوار والسلطات المحلية، فقال: تمردنا على الإنكليز وسافرنا إلى اليمن عام ١٩٥٣ (يقصد المملكة المتوكلية اليمنية) أنا وشقيقي محمد عوض وحسين عبد الله المجعلي، وقدموا لنا السلاح لمقاتلة الإنكليز، وهاجمنا مراكز حكومة (جمهورية) دثينة وردّ الإنكليز بتدمير منازلنا بالدبابات ومصفحات الفيرت وأصبحنا بلا مأوى وقد صادروا أرضنا ومنعوا أقاربنا من زراعتها، ولاحقونا في الجبال ولم يتمكنوا منّا إلا بعد أن خاننا بعض العملاء الذين أعطوا معلومات للإنكليز ولحكام دثينة، وقد هاجمتنا بعض القبائل في هذا الوادي (وكان يشير بيده نحو الوادي)، وواصل حديثه قائلاً: لم يدرك أخي أننا قبل منتصف الليل، حيث تقدموا نحونا في أكثر من محور عند طلوع الفجر ونحن نستعد لصلاة الصبح واستمرت المعركة معهم طوال اليوم وخسرنا محمد عوض شقفة[٣٨] وتنهد وقال: (واغبني عليه يا ناصر شفه قطب قلبي) لأنه من لحمي ودمي، وكان رحمه الله طويلاً وقوياً وشجاعاً، وأنا لا أمدحه باعتباره أخي، ولكن هذه الجبال تشهد على شجاعته.

وبعد مقتله وصل خبر استشهاده إلى الشاعر سالم صالح الفطحاني الذي وجه رسالة إلى الشيخ علي هادي قال فيها:

---

(٣٧) إلى جانب بعض المناضلين: ناصر علوي السقاف ومحمد علي هيثم وعبد الله صالح غرامه وعلي ناصر محمد وعبد الله المجعلي، صالح عبد الله المجعلي، ومحمد عبدالله المجعلي وغيرهم كثير. المرجع كتاب «الجعري في رحاب الخالدين».

(٣٨) أيام الشيوعية / بداية الخمسينيات من القرن العشرين الماضي.
الشهيد محمد عوض شقفه استشهد في فحمان بعد أن فرضت قوات السلطات البريطانية عليهم الحصار واستمرت المعركة يوماً كاملاً من الصباح حتى منتصف النهار بعد أن وشى بهم أحدهم، وقال لهم: مش مقبول يزقرونا باخرج عليهم وافك لكم الطريق، فخرج عليهم وأطلق عليهم النار واتجهت القوة نحوه بينما خرج زملاؤه من موقع آخر، وانتقلوا إلى موقع مرتفع، وعادوا حيث انتشلوا جثة الشهيد ودفنوه، وكان معه أحمد عوض شقفه، حسين عبدالله العاقل، محمد عبد الله؟ عبدالله صالح وآخرون.

**جبتوا المزيد(٣٩) لابن شقفه يقتله**
**خذ له مرجب(٤٠) من شوامخ جيدنا**
**يا خال يا محفوظ بيت(٤١) اتخبرك**
**وامجول(٤٢) واهله كيف سويتوا بنا**
**عقلتوا الــوادي قفا ابــن المجعلي**
**والعاقل المعلوم جالس عندنا(٤٣)**

## معركتنا واحدة

وأضاف: تصوروا أن القبائل في المنطقة اشتركوا في المعركة لأن الإنكليز حذروهم من أن الذي سيتأخر هو خائن للحكومة وسيعاقب، ولكن الضرب أكثر كان من معسكر شبر(٤٤) وجيش الليوي جيش محمية عدن، وقال: الإنكليز جندوا بعض القبائل والمخبرين ضدنا، وهذا عيب في شرع القبائل، قاتلناهم وقاتلونا نحن وآل المجعلي، واليوم الناس كلهم إخوة، فنحن الموجودين الآن، من قبائل آل حسنة والمياسر والسعيدي وقبائل ردفان. سألت عبد الله صالح المجعلي: كيف تعرفتم إلى القائد علي الغزالي ورفيقه نصر؟ قال: كلفنا قحطان الشعبي والمصريين دعم الثورة في ردفان ومساعدتهم في معاركهم ضد الإنكليز، وكنا نقاتل جنباً إلى جنب، أنا وعبد الله محمد المجعلي، ومحمد عبد الله المجعلي، وقال: إننا قاتلنا معهم في ردفان ويقاتلون معنا اليوم في فحمان، ومعركتنا واحدة، وحيث ما وجدنا «نصارى» قاتلناهم(٤٥).

---

(٣٩) المزيد: هو ناصر المزيد أحد أرباء القتيل بن شقفه، وقد قتل أحد أقاربه قبل ذلك، واتهموا آل شقفه بقتله، وتم تلفيق التهمة بالمزيد، وحقيقة الأمر أن الذين قتلوه هم السلطات المحلية والبريطانية باعتباره ثائراً على الاحتلال البريطاني.

(٤٠) مرجب: وتعني الوعل.

(٤١) بي: وتعني هنا أريد حسب اللهجة المحلية.

(٤٢) امجول: وهي تعني المكان الذي بنيت فيه قرية امقليته.

(٤٣) عندنا: وهنا تعني أنكم استبدلتم مواطناً في القرية اسمه الوادي بالعاقل الحسني، أي شيخ المنطقة والقبيلة.

(٤٤) أصبح في ما بعد الحرس الاتحادي وجيش محمية عدن.

(٤٥) يقصد بالنصارى، الإنكليز.



**المناضل عبدالله محمد المجعلي**

نظر محمد علي هيثم نحو (هوشي منه) الذي تبدو شعرات ذقنه البيضاء المتناثرة تتدلى على رأس حنجرته وهو محتب وقال: ما قصرتوا، ولكن عندي نصيحة أن تتجنبوا ضرب سيارات وجرارات المواطنين، فهم أهلنا وإخواننا وقوة لنا. قال المجعلي: نحن أيام الشيوعية كلما شفنا سراج ضوء سيارة في الليل ضربناه يا طارف. قال محمد علي هيثم: هذا كان زمان، أما اليوم فهم قوة لنا في الداخل، وهم يساعدوننا بالمال والرصاص والأكل، وأهم شيء المعلومات عن دوريات وتحركات القوات البريطانية والمحلية، وأنصح بألّا تزرعوا بعد الآن ألغاماً في الطرقات العامة. سأل المجعلي: والمطارات كمطار السبت ولودر ومكيراس؟

قلت: هذه المطارات مدنية والطائرات تحمل ركاباً مدنيين كل أسبوع مرة واحدة وأي انفجار في الطائرة سيضرّ بالمواطنين، سواء في الأرواح أو في سير الرحلات إلى هذه المطارات البعيدة عن عدن، وسيتحول هذا العمل ضدنا وضد أهلنا وإخواننا في الداخل، والمستفيد هو الإنكليز والسلطات المحلية. قال: وإذا تأكدنا أن المعتمد البريطاني أو المندوب السامي وضباط السياسة البريطانيين والعرب ينزلون في المطار؟

قلت له: هذا موضوع آخر، والمهم أن علينا أن نتأكد ١٠٠٪ أو على الأقل ٩٥٪ من ذلك وسنتخذ قراراً سريعاً وعاجلاً بذلك في ضوء المعلومات. قال: لا تدخلوا في قلوبكم الرحمة

(خلونا نحطمهم أي نضع لهم الألغام زي ما حطمناهم أول) وأصررت أنت وابن امهندي[٤٦] على إخراج الألغام من المطار، وسمعنا أن النائب حسين منصور وضباطاً بريطانيين كانوا معه ونزلوا وسلموا لأننا نزعناها.

قال السقاف الذي كان يتابع الحديث: علينا ألّا نفرط بنفر واحد من المواطنين، سواء في المطارات أو السيارات والحراثات التي تسير ليلاً، فنحن لا نستطيع أن نميّز بين سيارات المواطنين والعدو، وأعطى أمثلة على ثورة الجزائر وكوبا والتعاون بين الداخل والخارج، وشعرت بأنهم لم يفهموا ما قاله عن تجارب هذه الثورات وقادتها، فحدودهم فحمان وولاية دثينة والعواذل.

قال الشيخ محمد ناصر الجعري: اسمعوا، اسمعوا، سكت الكل. قال: هل تسمعون أصوات الرصاص ومدافع الهاون من المراكز العسكرية من مودية وأمقليتة؟

الكل يتابعون المعارك الملتهبة ونحن نتحدث عن الشيوعية والثورة وأم كلثوم.

قال محمد عبد الله المجعلي: من يحارب نيابة عنا؟

ردّ محمد علي هيثم: الشعب وتنظيم الجبهة القومية في الداخل، لسنا وحدنا من يحارب!

وعلّق السيد ناصر السقاف: أظن أنهم العسكر. هم الذين يضربون ويردون على أنفسهم ويسرقون ذخائر الحكومة، وهذه ليست المرة الأولى التي نسمع فيها عن هذه العمليات والمعارك الوهمية وإطلاق النار ونحن بعيدون عنها.

لكن محمد علي هيثم أكد أن قوى الثورة في الداخل هي التي تقوم بالعمليات.

قال أحمد محمد الفقيرية: صدق الشاعر ناصر عبد ربه مكرش (أبو حمحمة) الذي قال قبل شهر:

**طيبي يا مكاريب البلا وأتوهجمي من**
**أمجحيلة إلى جنوب القفل للحطميه[٤٧]**

---

(٤٦) لقب عائلة محمد علي هيثم.

(٤٧) أسماء جبال وحصن.

**بوحمحمه ما الليله امبارد حمى**
**وامبير حامي وامناهل كلها حاميه**
**ذي كان يرمي الناس ما الليلة رمي**
**جاءت له الثوار بالبازوكه با ترميه**
**يا صاحب الناظور ناظورك عمي من**
**صيدلية مصر جابو له عمى يعميه**

وقال الشاعر أبو حمحمة:

**فحمان يحلف والحكومة تعتزي**
**سوت على باب الخطر من حارسين**
**لا أمــن يمنعكم ولا دولــة لكم**
**جــرا جريبه يــا النمار اتفارسين**

وقال أيضاً:

**ولا يغرينك طايير السماء لا حوسين**

وكان أبو حمحمة يشير بيده إلى فحمان الذي يوجد فيه الثوار أمام النائب حسين منصور في يوم عيد الأضحى عندما جاؤوا للسلام عليه بهذه المناسبة وهم يغنون ويرتجزون ويفتخرون بالثورة والثوار، أي إن المعارك والعمليات الفدائية مستمرة.



الشاعر ناصر عبد ربه أبو حمحمة

قلت لهم: يا جماعة، ليس المهم من يضرب ويقاتل، المهم ألّا تهدأ المعارك ضد قوات الاحتلال والمتعاونين معهم. الضرب مستمر والوضع ملتهب والشعب يقف مع الثوار في الداخل والخارج ويقدم كل الإمكانات لانتصار الثورة.

ساد الهدوء بعد الأكل و«الشاهي» والحديث الطويل عن أم كلثوم وأحمد سعيد وصوت العرب وهيكل، وعن الداخل والخارج، إضافة إلى المسير الطويل والتعب من طول السفر وتسلق الجبال، ولم يبقَ إلا قرقرة المداعة ورائحة التنباك وضوء خفيف على رأس المداعة من بقايا النار والجمر تحت الرماد، وكان العبيدي ينفخها أحياناً بالملقاط ليزيل الرماد عنها فيتوهج الجمر من جديد ليحرق بقايا التنباك الحُمومي الذي يحرص على جرّه نحو صدره من قصبة المداعة حتى آخر نفس، فينفث الدخان من فمه وأحياناً من أنفه وكأنه يتذوقه. وقد شاهدته قبل العشاء وهو يضع التنباك في يده ويرشّ عليه ماءً ويفركه بيده عدة مرات ويعصره حتى يتحول إلى قطعة متماسكة، ويضعها على رأس «البوري» وعيناه تخترقان عشيقته ومحبوبته[٤٨] من أعلاها إلى أسفلها، ويختبر الماء وصوته، ويختار الجمر ونوعيته وخاصة الذي لا ينطفئ سريعاً، ويساعده في الاحتراق الأوكسجين والرياح التي تهبّ بين الحين والآخر من مختلف الاتجاهات حسب اتجاه الرياح، هذا إذا لم يكن الغطاء موجوداً أو محكماً حول رأس البوري.

## وكر النسر

انتهت السهرة على آخر صوت للمداعة، وصوت قائد علي الغزالي الردفاني وهو يصيح على رفيقه: أين الكيس يا بن...(وشتمه)، أي الغطاء والدفاء، فهم يدخلون داخله ليحميهم من البرد والبعوض والحشرات. انتشرنا حول الصخور وتحتها وفوقها تحت ضوء القمر الرائع الذي أضاف إلى حديثنا الأخوي بهاءً وجمالاً، ولكنه لم يمكنّا من أن نسير ونصعد إلى قمة جبل الفراعين، ولهذا كان علينا أن ننام حتى الصباح ونصحو مع الطيور والنسور في قمم هذه الجبال العالية. وأنا أكتب هذة الذكريات تذكرت قصيدة الأستاذ مُطهَّرْ الإِرياني:

**فوق الجبل[٤٩] حيث وكر النسر فوق الجبل**

**واقف بطل محتزم للنصر واقف بطل**

**يزرع قبَل في صميم الصخر يزرع قبَل**

**يحرس أمل شعب فوق القمة العالية**

(٤٨) المداعة (أو الرشبة في العامية) وهي النرجيلة.

(٤٩) غنّاها الفنان علي عبد الله السمة.

## البدوي عقله في بندقيته

وكأنه كان يصف حالنا تلك ونحن فوق قمم الجبال نخوض معركة الحرية، عند الفجر قام الكل من تحت الصخور والأحجار، وخرج بعضهم من الأكياس التي تحميهم من الحشرات، وتوجهنا للصلاة جماعة، وبعد ذلك بدأنا نستعد لإعداد الشاي والقهوة وأكل ما بقي من الخبز الذي طبخ في المساء، وسمعت أحدهم وهو يصيح: «سس هس» وأسنانه تصطك من البرد وهو يتدفأ ويضع يديه على النار. وما هي إلا لحظات حتى انطلق صوت الرصاص من قمة الجبل، ومن حسن حظنا أنه لم يصب سوى النار التي تطاير الشرر منها. وتوزعنا وتمترسنا خلف الصخور في انتظار معرفة المكان الذي انطلقت منه النيران، وسمعت الجعري وهو يصيح: إنهم يضربون من قمة جبل الفراعين، ورددنا عليهم وسمعنا صدى إطلاق النار في الجبال حولنا، وكأننا مئات المقاتلين، وما هي إلا لحظات حتى توقف إطلاق النار، ويبدو أنهم انسحبوا سريعاً حتى لا نكشفهم ونلاحقهم والنهار في بدايته، وكان عليهم أن يختفوا بعد أن نفذوا هذه المهمة التي كلفهم إياها حكام مودية. ليست هذه المرة الأولى التي يطلقون فيها علينا النار، فقد جندوا بعض القبائل لمحاربتنا، ولكسب بعض القبائل ضدنا ونقل المعلومات عن تحركاتنا. البعض منا طالب بملاحقتهم، ولكن الطريق كان وعراً ويصعب الوصول إليهم، ولا شك أنهم قد هربوا.

سمعت أحمد محمد امفقيريه يقول: «هؤلاء من أهل عرول أو أهل حاتم»، ولكنه لم يكن متأكداً من ذلك، وقد اجتهد من عنده، لأن بعض أبناء هذه القبائل جاؤوا من شهر وطلبوا ذخائر وسلاحاً ومالاً، وعندما أجابهم أحمد محمد امفقيريه بأن عليهم أن يذهبوا إلى تعز للتدريب والالتحاق بالثوار، ردوا عليه بلهجتهم: يا بر امفقيريه شي معكلَّ[٥٠] وإلا إحكلَّ[٥١] وبا نروح عند النائب حسين منصور حاكم ولاية دثينة.

قال لهم: لا تهددونا بالنائب حسين منصور، وإلا با تندموا، فالثورة لمصلحتكم في المستقبل.

قال أحدهم: الثورة لكم، والسلاح لكم، وإحنا توكلنا على الله. كان انسحابهم وردهم علينا بمثابة إنذار بأننا سنذهب إلى حكومة دثينة التي جندتهم للقيام بمثل هذه العملية.

---

(٥٠) معكم لنا سلاح.

(٥١) احكوا لنا وكلمونا صراحة أنكم لن تعطونا السلاح.

قال السيد ناصر السقاف: أعتقد أن كلام أحمد محمد صحيح، ولا بد من تأديبهم.

قال محمد ناصر الجعري: لا تلوموهم، «فالقبيلي» عقله في بندقيته وبطنه.

وكان لسان حالهم يقول:

**بولاد لانا قبيلي حد ولا حد دولتي**
**ما دولتي إلا من ملا كفي قروش**

بعد أن اصطبحنا (تناولنا الإفطار) توجهنا نحو جبل أمفراعين، قلعتنا الحصينة، وفيه عدد من الينابيع التي لا تنضب، وهو أعلى جبل في دثينة.

هؤلاء الثوار جمعتهم الثورة في هذا الجبل، معظمهم من الخمسينيات ممن يطلقون عليهم «الشيوعيين»، وآخرون كانوا مدرسين وطلبة وجنوداً هربوا من قوات الاحتلال، وانضموا إلى الثورة والثوار والمنصَّب السيد السقاف الذي كان عضواً في مجلس حكومة ولاية دثينة وتمرد عليها. فهؤلاء من أجيال وأفكار مختلفة لم يجمعهم إلا الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل، فكل الشعب قومية، كما كان يردّد الفنان أحمد قاسم والفنان محمد محسن عطروش في أغنية مذاعة له، وقد أُقف بثُها فيما بعد.

المهم، أنّ العمليات العسكرية التي كنا نقوم بها في المنطقة قد خلقت تعاطفاً واسعاً من المواطنين مع الثورة، وكذلك من الجنود الذين كانوا جزءاً من أبناء الشعب، ويرون مصلحتهم مع الثورة وليس مع الإنكليز أو السلاطين، ولهذا فقد كانوا يمدّوننا بالمال والسلاح والذخيرة والمعلومات، وكانوا مصدراً مهماً من مصادر قوة استمرار الثورة وانتصارها في ٣٠ نوفمبر عام ١٩٦٧.

لم يعد للعمليات العسكرية ضد المراكز العربية أي معنى أو هدف غير الاستنزاف، فاتخذنا قرارنا بالتوجه إلى البيضاء[٥٢] والتسلل منها إلى مكيراس لضرب القاعدة العسكرية البريطانية هناك.

وأسجل هنا بعض العمليات التي قمنا بها في تلك الأيام، في الفترة بين عامي ١٩٦٤-١٩٦٥:

---

(٥٢) مدينة البيضاء عاصمة محافظة يمنية وتسمى البيضاء كذلك.

أغسطس ٦٤: هجوم على مركز مودية.

أغسطس ٦٤: هجوم على مركز الحرس المحلي في أمعين.

أغسطس ٦٤: إسقاط طائرة (هوكر هنتر) إثر قصف جوي على موقع حلبان.

سبتمبر ٦٤: إسقاط طائرة (هوكر هنتر) إثر قصف جوي على موقع فحمان.

١٤/ ٦/ ٦٥: مقتل ضابط وجندي بريطاني.

٢٨/ ٧/ ٦٥: انفجار قنبلتين في مودية وجرح ٥ جنود.

١٥/ ٩/ ٦٥: نسف محكمة الخديره بالبلاندسيد.

٩/ ١٠/ ٦٥: هجوم على مركز الحرس المحلي في أمصره وقتل اثنين.

٢٥/ ١٠/ ٦٥: نسف سكرتارية الحكومة في الوضيع.

٢٠/ ١٢/ ٦٥: هجوم على مركز الحرس القبلي في أمقليته.

## إلى جبال الكور

أعددنا أنفسنا للانطلاق من جبال الفراعين إلى العليهين وإلى أرض آل لقفاع. كان علينا أن نجتاز جبالاً شاهقة ونهبط أودية سحيقة. وكانت إمكاناتنا من الماء والطعام محدودة، والاتصالات صعبة، حتى جهاز الاتصال الوحيد الذي كان بحوزتنا لم يكن ليفيد بشيء، وفوق هذا فإن الكمائن كانت منتشرة داخل هذه الجبال بكثرة، ويمكن أن تعترضنا في أية لحظة.

استغرقت رحلتنا ثلاثة أيام كاملة من جبال وجر إلى جبال الكور وعقبة الشريعة. انتشرنا في قلب الجبل، وتوزعنا إلى مجموعات صغيرة خوفاً من الوقوع في واحد من تلك الكمائن المنتشرة هنا. وكنا نحرص على أن تكون رحلتنا في الليل، وأن نختبئ وننام النهار في الكهوف حتى لا يرصد حركتنا أحد. كانت أجهزة الاتصال الووكي توكي تنقطع وتعمل حسب طبيعة المناطق التي كنا نمرّ بها.

الضباب يخيّم على جبل الكور من قمته إلى أسفله، لكن الرؤية واضحة في المرتفعات والجبال التي يزيد ارتفاعها على ألفي متر. اخترقنا جبل ساحة ووادي بها دون أن نتناول شيئاً من الطعام أو الشراب. كان عددنا كبيراً، وكنا نتضور جوعاً، ويمكنكم أن تتصوروا فرحتنا

عندما تراءت لنا فجأة أرض زراعية تتدلى منها أكواز الذرة وشجيرات الدُجر (اللوبيا)، ولم نستطع منع هجوم المقاتلين عليها وأكلها نيئة، إذ كانوا في منتهى الجوع والإعياء.

وكان من بين المُقاتلين شخص من «الدرجاج» اسمه عبد الله مفتاح، وشخص آخر قصير بدين اسمه مكيش، أذكر أنه جاء معه. وكان التعب والجوع قد نالا منه، ما جعله يصيح:

- إيش جابني معكم؟ من حكّ[٥٣]... قال عاش السلال، ودَّفنا معكم (أي تورطنا معكم)!

كان علينا أن نواصل سيرنا ونخترق الحدود بين مكيراس والبيضاء عند الفجر لنصل عند الصباح إلى قرية الصومعة. لا نوم، ولا طعام، ولم نجد مكاناً نأوي إليه. أهل القرية فتحوا أبوابهم ليشاهدونا معفّرين مغبرين منهكين، لكنهم لم يرحبوا بنا أو يستضيفونا كما هي عادة العرب، خوفاً من الأمير جعبل. أرسلنا بعض رفاقنا ليسألوا عن بعض البيوت التي يمكن أن يقبل أصحابها بأن يطهوا لنا الطعام، وتغلبنا على هذه المشكلة بصعوبة. كان سكان القرى الحدودية يخشون من السلطات في سلطنة العواذل ومن الأمير جعبل بن حسين، حاكم مكيراس، الذي كان اسمه يثير الرعب في لواء البيضاء الجمهوري.

من جديد، انطلقنا سيراً على الأقدام نحو البيضاء ودرب ذي ناعم، وهناك وجدنا بعض مقاتلينا في الجبهة القومية مطرودين من البيضاء إلى هذا الدرب والزاهر التابع للرصاصي وآل حميقان، وعلمنا منهم أن الطرد حصل بضغط من النائب جعبل على حكام البيضاء، والمشايخ الذين طالبوا بطردنا وعدم دخول البيضاء أو السماح لنا بضرب معسكرات الإنكليز في مكيراس.

وكانت مدينة البيضاء قد شكلت في مرحلة حرب التحرير الوطنية مركز تجمع ومحطة انطلاق وحدات جيش التحرير التي كانت ترابط في جبهة فحمان القتالية في مودية التي حققت انتصارات كبيرة على قوات الاحتلال، أرَّخ لها الشاعر الشعبي ناصر عبد ربه مكرش المعروف بـ (أبو حمحمة) في شعره حيث يقول:

**«حطت على البيضاء حجار الواقعة**

**حطت بقوتها وشدة باسها**

(٥٣) من حكّ: حقاً.

**عـبـت مـدافـعـهـا ودبـابـاتـهـا**
**سـرب بـسـرب ضـد بـانـواسـهـا**
**واهـتـزت أبـواب المحاكم كلها**
**واتحطمت مـن رأسـهـا لا راسها**
**مـن لحج لبين لا دثينة لا عدن**
**لا محكمة بيحان لمكيراسها»**

بدأت الخلافات تدبّ في المعسكرات بين المقاتلين، بين من مع العودة إلى جبهات القتال، ومن مع الذهاب إلى البيضاء. لكن الخلاف حُسم في الأخير بأن يعود الجميع إلى جبل وجر بولاية دثينة. ومن جديد برزت مشكلة التموين، الحاجة إلى الطعام والماء والسلاح، فقررنا تشكيل لجنة للذهاب إلى تعز لمقابلة القيادة هناك وتوفير حاجة المقاتلين من التموين والسلاح، وتكونت اللجنة مني ومن محمد علي هيثم وعبد الله غرامة وسالم ربيع وناصر السقاف.

## وجهاً لوجه

وفي تعز، التقينا أعضاء القيادة وجهاً لوجه لأول مرة، إذ كنا لا نعرف بعضنا بسبب «السرية» التي كنا نتبعها. وقد جرى توزيع القيادة على المكاتب العسكرية، المالية، السياسية، الإعلامية، والأمنية. وكان أبرزهم فيصل عبد اللطيف، سالم زين، طه مقبل، علي الشعبي، جعفر علي عوض، وعلي السلّامي. أما قحطان محمد الشعبي الذي كان القائد الأبرز، فقد كان يتنقل حسب ظروف العمل السياسي بين القاهرة وصنعاء ودمشق، وكان سباقاً إلى الإسراع في الذهاب إلى القاهرة كلما نشبت أزمة خلاف مع المصريين الذين كانوا يشرفون على عملية (صلاح الدين)[٥٤]، وهو الاسم السري الذي أطلق على عمليات نقل السلاح إلى الجنوب لدعم ثورة ١٤ أكتوبر وتحرير الجنوب العربي المحتل. وقد وضعوه تحت الإقامة الجبرية أكثر من مرة هناك بعد يناير ١٩٦٤.

---

(٥٤) عملية صلاح الدين: أُطلق على شحنة الأسلحة التي أتت من مصر إلى ميناء الحديدة، ومنها إلى درب ذي ناعم، ولكنه جرى بعد ذلك تسليمها لقيادة الجبهة القومية ووصلت إلى الثوار في ردفان عبر يافع، وكان برفقة تلك الشحنة الصحفي جمال حمدي الذي رافق بالليل بن راجح وآخرين.

وقد جرى حوار واسع لحل بوادر الأزمة التي بدأت تظهر في تلك الأيام بين القيادات في جبهات القتال والقيادة السياسية في تعز. وكان منشأ الأزمة اختلاف وجهة نظر كل منهما في أسلوب العمل، ولكن يبدو أن ذلك كان له علاقة بالمستوى القيادي وطبيعة العمل السري والقواعد التي كانت متبعة في التنظيم، حيث بدأ نوع من التمرد على تلك القواعد، خاصة مبدأ «نفذ ثم ناقش!»، إذ كان لدى القواعد رأيها الخاص بشأن بعض الأمور، بحكم أنها موجودة في الداخل أو أقرب إلى الواقع من القيادة السياسية البعيدة عن ساحة المعركة.

## ٢٥ ألف ريال فقط! ما يساوي ٢٥ ألف دولار بأسعار ذلك الوقت

جرت لقاءات عديدة ونقاشات، وقُدمت مُذكرات عن وضع الجبهة الوسطى، وخلال ذلك قررت القيادة أن يذهب محمد علي هيثم إلى الحواشب، واختارت سالم ربيع علي ليكون مسؤولاً مالياً، بينما تقرر أن يعود السقاف وكاتب هذه المذكرات وفضل سالم مرة أخرى إلى الجبهة الوسطى مزودين بخمسة آلاف ريال، هي مخصصات الجبهة لعدة أشهر. كانت مرتبات الجبهة القومية كلها تبلغ خمسة وعشرين ألف ريال لكل جبهات القتال، ولم تكن ميزانية جبهة عدن تزيد على خمسة آلاف ريال يمني، وبهذه الميزانية المتواضعة كانت الجبهة القومية تقاتل الإنكليز وقاعدتهم في عدن التي كانت أكبر قاعدة للبريطانيين في شرقي السويس!

كانت مرتبات المقاتلين تراوح بين عشرة ريالات وخمسة وعشرين ريالاً، وللقيادة خمسين ريالاً، وكان أعلى مرتب لا يتجاوز مئة وخمسين ريالاً، وميزانية الجبهة القومية لا تزيد على ٢٥ ألف ريال (١ دولار = ٣ ريالات)، وكانت تعتمد الجبهة في دعمها المالي على اشتراكات أعضائها والتبرعات من الأصدقاء والأشقاء، وخاصة من فروع حركة القوميين العرب في البلدان العربية، وبدرجة أساسية من فرعها في الكويت وقيادة الحركة في بيروت التي كانت مقراً لقيادة الحركة.

## من تعز إلى الجبهة الوسطى

هذه المرة عدت بمفردي ومعي علي محمد القفيش الذي كان مرافقاً للمندوب السامي

وسلطان العواذل، والذي هرب من السلطنة وهو يحمل بندقية جديدة حديثة جميلة نُقش عليها إهداء: «من المندوب السامي إلى سلطان العواذل». التحق علي محمد القفيش بصفوف الثوار، وهو رجل وسيم يتدفق حماسة وحيوية، شجاع وجريء، صادق ومتواضع وكريم، وهو ابن الشجاع محمد حسن القفيش الذي قتل بين لودر وأمنجده في كمين نصب له في طريق عودته إلى منزله في (أمشعه) بتحريض من السلطنة.



**مع المناضل علي محمد القفيش**
**هذه الصورة التقطت عام ٢٠١٧ بعد ٥١ عاماً**

انطلقنا بالطائرة من تعز إلى مطار درب ذي ناعم الذي هو ناعم التراب وخالٍ من وسيلة اتصال ملاحي أو أي مبنى أو استراحة للركاب، فقاع أهل مظفر، فحدود الجنوب خوفاً من تسرب خبر خروجنا من تعز والبيضاء إلى عيون «جعبل» وآذانه الذي كان يرصد كل شاردة وواردة، ويثير الرعب في أوساط المعارضين للسلطنة في البيضاء، ويصرف المال والسلاح من غير حدود لشراء الرجال في لواء البيضاء، مسؤولين ومواطنين، ويستخدم الترهيب حيث لا يجدي الترغيب، ويلجأ إلى الترغيب حين لا ينفع الترهيب.

## جعبل بن حسين يعلن تمرده على السلطات الاستعمارية

وجعبل بن حسين هذا، هو نائب السلطان صالح بن حسن وشقيقه ورجله القوي ويده اليمنى[٥٥] في مكيراس، وعينه في البيضاء وصنعاء... نحيف، قصير القامة، يلبس عمامة

(٥٥) يؤكد المحامي محمد علي لقمان في كتيبه الظاهر بتاريخ ٢٠/ نوفمبر ١٩٤٥ أن آل جعبل ينحدرون من الأمير=

من الحرير كغيره من أبناء العواذل والبيضاء ودثينة. وقد نقل بندقيته بعد ذلك من الكتف البريطانية إلى الكتف المصرية بعد حادثة نزول الطائرة «اليوشن» في مطار لودر عام ١٩٦٣، التي تحولت إلى مزار للمواطنين من كل أنحاء دثينة والعواذل والفضلي، ونقلت بعد ذلك إلى عدن حيث بقيت هناك بينما نقل طياروها والضباط الذين كانوا يستقلونها إلى مصر. وقد أشاد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بسلاطين العواذل، وكذلك بسلطان الفضلي، أحمد عبد الله الفضلي، في خطاب جماهيري له.

من قاع آل مظفر انتقلنا مع رفاق الطريق إلى الجبهة الوسطى مجدداً، وهم مجموعة من الرجال الشجعان، أذكر منهم علي محمد القفيش، وعبد ربه جحلان، وعلي هيثم، ومحمد حسين، والخضر حسين، وعلي قاسم، وقاسم لزلم وثواراً آخرين أبلوا جميعاً بلاءً حسناً في معارك حرب التحرير، سواء في الجبهة الوسطى أو في غيرها من جبهات القتال. فمنهم من قضى نحبه ومنهم من لا يزال على قيد الحياة.



تناولنا وجبة من «العصيد» بين الغداء والعشاء في بيت محمد صالح المظفري عند مغيب الشمس، ولم أنسَ طعمه حتى اليوم، مثلما لم ينسَ الصحافي المصري مكرم محمد أحمد «عصيد دهمس» خلال رحلتنا الأولى!

ومن الحدود انطلقنا عند المغيب حتى نتفادى الوقوع في أي كمين من تلك الكمائن المنصوبة في الجبال، التي عادة ما تُنصَب بعد حلول الظلام خوفاً من أن يبلغ المواطنون عنها إلى الثوار. اخترقنا الحدود إلى داخل الجنوب وسط الظلام الدامس نتعثر بين الصخور والجبال والحفر والوديان والطرق الصخرية، حتى وصلنا إلى منزل العاقل عبد الله من آل منصور. وقد تولى طرق الباب قاسم لزلم، وظهرت من خلف الباب امرأة عجوز، قصيرة، نحيفة، شاهدت خلفها ضوء مصباح غاز يتصاعد منه الدخان وتفوح منه رائحة المازوت.

كاد المنزل يكون مهجوراً، لكن المرأة العجوز استضافتنا، وقدمت لنا الطعام، والماء،

---

= اليمني عامر عبد الوهاب الذي دخل صنعاء وغزا وصاب ورداع ويافع، ووصل إلى دثينة، وتزوج منها عام ٩٠٨ هجرية،وحاصر حصن الحافة ودمره وأسر جعفر الطولقي.

والقهوة بسخاء. كانت، على ما يبدو، تعرف قاسم لزلم الهارب من الدولة والسجن ومن بعض أقاربه أيضاً بسبب قضية ثأر قبلي، ومع ذلك فقد أبدت ترحيباً حاراً وهي تستقبله وتستضيفه في بيتها هو وأصدقاءه، وراحت تتحدث إليه بود وحميمية.

وفي بادرة طيبة مني حاولت أن أقدم لها مبلغاً من المال تستعين به على حياتها، ولكنها رفضته بكل إباء، ولم تقبله إلاّ بعد إلحاح مني، وقد رأيت فيها في تلك اللحظات صورة من أمي التي كانت بعيدة عني، فقّبلت رأسها وشممت رائحة الطعام والدخان والغاز في ثنايا الوشاح الذي كانت تضعه، ولم أنسَ تلك الرائحة رغم مرور السنين.

الطريق صعب، والبرد قارس جداً في شتاء مكيراس. الظلام شديد ودامس إلى درجة أننا لم نكن نستطيع تمييز مواقع أقدامنا، ولا مشاهدة بعضنا لبعض.

## السرية خلقت هالة بطولية

لم يقف البريطانيون متفرجين أمام هذه التطورات وتنامي بأس الثورة المسلحة، فقد ردّوا بإطلاق يد المندوب السامي في تشديد القمع والإرهاب وشنّ حملات التأديب والإبادة والتهجير، ومنحوه صلاحيات استثنائية ضمن قانون جديد يذكر الجبهة بالاسم ويعتبرها «منظمة إرهابية» ويهدد كل من ينتمي إليها أو يتعاطف معها بالسجن عشر سنوات. وفي هذه الأثناء «شكل الاستعمار البريطاني تحت إشراف دوائر المخابرات البريطانية عصابة للاغتيالات السياسية».

السرية ساعدتنا كثيراً، إذ لم تعرف السلطات بشأن وجودنا وتحركاتنا سوى الشائعات، بينما كنا على بعد كيلومترات قليلة من المركز الرئيس في مودية حيث يتمركز الضابط البريطاني وبعض الضباط العرب، وأفراد من الحرس القبلي والاتحادي. وهذه السرية هي التي خلقت حول الثوار هالة من البطولة الأسطورية. كان موقف الشعب رائعاً، بل رائعاً جداً. الناس يتحدثون عن الثوار، وعن المدافع، والأسلحة التي قدمها لنا عبد الناصر، عن غذاء سري هو عبارة عن قطعة صغيرة كالشوكولا نأكلها فلا نحتاج بعدها إلى أكل ولا إلى ماء!! وكعادة الذاكرة الشعبية التي تنسج قصص الخيال، وتضخم الأحداث والوقائع، كان البعض يتحدث عن أنهم شاهدوا آثار خيول وأقدام بعض البشر، وأنهم مصريون! وطبعاً كل ذلك كان ينسج من الخيال الشعبي. وكان كثير من الناس يصدقون هذه القصص والمعلومات التي تقال

في مجالسهم الليلية. على سبيل المثال، كانوا يتحدثون عن امتلاك الثوار سلاحاً يدخل من النافذة ويحرق المنزل والخشب والنبات. وقد قال أحدهم إنه صدق هذه الشائعة والتحق بالثورة! ولم يكن ذلك المدفع «البلاندسيد» المصري أكثر فاعلية من أي سلاح آخر مشابه لـ«-ب-١-أر بي جي ٧»، ولكن الخيال الشعبي حوَّله إلى سلاح قاهر لا يقهر.

كان لسماع صوت الرصاص يلعلع في كل موقع عسكري في دثينة ونحن موجودون في قلب الجبل نشرب الشاي ونحتسي القهوة حول النار أو «المكريب» وقعه ومغزاه العسكري والسياسي. وكان الصحافي المصري مكرم محمد أحمد مبهوراً من كل هذه العمليات المنفَّذة في ليلة واحدة. قال له أحدهم: إن الشعب يقاتل الآن السلطات الاستعمارية والمحلية.

## منزل قاسم لزلم المثير للخوف

كان المناضل عبد ربه جحلان يتقدمنا بوصفه الخبير بشعاب وجبال ومرتفعات وهضاب الكور ومكيراس. كنا نسير خلفه - أو بالأصح على وقع أقدامه - نسقط حيناً، نتعثر حيناً، وننهض عقب كل كبوة لنواصل السير حتى وصلنا هدفنا الثاني، وهو منزل «قاسم لزلم» المطلوب من الجميع!

كان الكل يأخذ حذره من الدخول إلى هذا المنزل، خوفاً من نصب كمين له بداخله، لكن «قاسم لزلم» الذي لم يدخل منزله منذ سنوات، ولم يلتقِ زوجته المسكينة منذ أن سجن وهرب إلى اليمن، أصرَّ على استضافتنا في منزله المثير للخوف.

كنوعٍ من الحيطة والحذر، نصح جحلان «لزلم» بأن يتوجه إلى منزله بمفرده في البداية، وحين يطمئن إلى أن المكان آمن يدعونا إليه. بعد قليل دعانا قاسم لزلم، هامساً، إلى الدخول. كان منزله صغيراً ومتواضعاً لا يزيد على غرفة واحدة ومطبخ صغير. وكان يدخل ويخرج بين المطبخ وضيوفه، يقدّم طعام العشاء والقهوة المُرة، وأصرّ على أن يدهن أقدامنا وسيقاننا بالزيت السليط ليخفف عنا ألم السير الطويل، وكان هذا موقفاً إنسانياً لا يمكن نسيانه. وهذه الطريقة جزء من العادات والتقاليد في المنطقة كنوع من التكريم والتقدير والاحترام لضيف المنزل، وهو أشبه بالتدليك الذي يستخدم اليوم.

بعد أن تناولنا العشاء، طلب منا جحلان أن نغادر المنزل، على أن يلتحق بنا لزلم في ما بعد، حتى يتمكن من وداع زوجته التي غاب عنها طويلاً، وقد لا يشاهدها مرة أخرى على المدى القريب، لكن قاسم لزلم أبى ذلك وأخذ يحلف بالطلاق، ولم يقتنع إلا بعد إلحاح شديد منا.

خرجنا من منزله، بعد أن حملنا معنا ما نحتاج إليه من زاد (الدقيق، السكر، الشاي، القهوة، الزيت) مما يلزم الثوار مثلنا، وكنا قد اشتريناها من قاع آل مظفر قبل أن ننطلق من محافظة البيضاء إلى الجنوب، إضافة إلى أننا كنا نحمل معنا مرتبات الثوار في الجبهة الوسطى بقيادة المناضل سعيد عثمان عشال والمناضل عوض أحمد. وبعد فترة لحق بنا قاسم لزلم، فانطلقنا نحو الشرق في سباق مع الشمس، ومع التباشير الأولى لضوء الفجر بعد أن تأكدنا أن الكمائن قد انسحبت من الجبل في جنح الظلام، لندخل نحن على أثرهم إلى عقبة المخبزة، كما يسمونها، وهي طريقنا الصعب الذي سنسلكه إلى جبل الكور.

## شمس ومطر في قلب جبل الكور

فيما كنا على قمة الجبل الذي يبلغ ارتفاعه أكثر من ألفي متر، لفح أجسامنا هواء بارد جداً. كان الطريق منحدراً، ونحن نهبطه تدريجاً وبهدوء حتى لا ينزلق أحدنا. وكان الضباب الشديد الذي يلفّ الجبل بغلالة بيضاء يوفر لنا ساتراً نختفي داخله من المارة والكمائن. كنا نسمع أحياناً أصوات المارة وحوافر الحمير التي تصعد جبل الكور بصعوبة، فنسارع إلى الاختفاء حتى نتأكد من ابتعادهم، فنعود إلى الطريق الصعب وسط رذاذ المطر الذي يهطل بين وقت وآخر. وفي إحدى المرات تبللت ملابسنا، ووخزنا الجوع، وخارت قوانا لطول ما مشينا، ولم نكن قد قطعنا سوى نصف المسافة، فأوينا إلى كهف صغير. أخذنا نجمع الحطب من الأشجار والأعشاب التي بللها المطر[٥٦]، واستطعنا إيقادها بصعوبة، وأعددنا بعض الشاي الذي احتسيناه مع الأكل الذي جلبناه معنا من منزل قاسم لزلم.

خرجنا من قلب الجبل وأخذنا نهبط إلى السفح قبل أن يحل الظلام، وعند مدخل القرية شاهدنا بعض الجنود في مركز الشرطة الذي يُطلَق عليه «حصن عنتر»، سلمنا عليهم وردوا

(٥٦) شاهدت في الجبل وسفحه أنواعاً كثيرة من الأشجار التي تزرع في منطقتنا كالصر والصرح والصلب والمضاض والأثل والضبيان والسمر والسلع والألفق وغيرها من الأشجار البرية.

بالتحية ولم يعترضوا طريقنا أو يسألونا من نحن، ومن أين قدمنا، وإلى أين نحن ذاهبون، وكانوا متعاونين كغيرهم من الجنود والضباط الوطنيين في الحرس الاتحادي وجيش الجنوب العربي. توجهنا نحو منزل علي قاسم القفيش (ابن عم علي محمد حسن القفيش). لم نجد في المنزل إلا امرأة وحيدة شجاعة اسمها شمس، وهي أم علي قاسم وشقيقه أحمد عوض علي أحد أقاربي. وكان علي محمد حسن القفيش يناديني: «يا خال علي» طوال الطريق.

## شجاعة نساء في إيواء الثوار ودعم الثورة

هذه المرأة، شمس بنت عوض، كانت الثالثة التي تستضيفنا منذ بداية مهمتنا هذه المحفوفة بالمخاطر، فقد ذبحت وأكرمت وقدمت لنا اللحم والمرق والعصيد. كانت وجبة شهية بعد عناء السفر والمطر والجوع. لن أنسى كرم أولئك النساء وشجاعتهن، وحبهن للثوار أو «الشيوعيين»، كما كان يطلق علينا الإنكليز. بعد أن تناولنا عشاءنا انطلقنا وسط جو هو مزيج من رياح وغبار وبرق ورعد وأمطار، لكننا بعد قليل، تحت ضغط هذا الجو العاصف، اضطررنا إلى اللجوء إلى منزل يسكنه بعض المدرسين، منهم عبد الله حسين العروس، ابن مودية الذي يتولى التدريس في مدرسة النجدة والذي استشهد في نهاية عام ١٩٦٧.

وكان القفيش أول من طرق الباب، وعندما فُتح، إذا بعبد الله العروس أمامنا وجهاً لوجه. لم يكن بمفرده، بل كان معه بعض المدرسين الذين يسكنون معه، وقد اعترى الخوف البعض منهم من وجود ثوار معهم بِلا موعد ولا توقع، لكنهم بدؤوا يتقبلون الأمر تدريجاً.

كان هناك خوف مزدوج، الخوف على أنفسنا من أن يداهمنا جنود السلطة فجأة، والخوف على هؤلاء المدرسين الطيبين الذين استضافونا، حتى لا يتعرضوا لأذى السلطات بسببنا، خاصة إذا عرفوا هويتنا ومن نكون.

## استشهاد عوض أحمد وجرح وأسر سعيد عثمان عشال

لكن المفاجأة التي نزلت علينا كالصاعقة فعلاً، كانت سماع ما أبلغونا به من أن قواتنا قد وقعت في كمين في جبل ضلاعه على الحدود بين البيضاء ومكيراس في أرض آل بركان،

أي يوم دخولنا إلى الجنوب وهم في طريقهم إلى البيضاء في تاريخ ٢٢/ ١٢/ ١٩٦٤[٥٧]، وقد استشهد فيه المناضل عوض أحمد، رحمه الله، وأصيب وأسر المناضل سعيد عثمان عشال، وعلمنا أنه نقل إلى مستشفى (الملكة) في عدن، بينما غادر الثوار الآخرون البيضاء، ولكنه هرب بعد ذلك والتحق بنا بعد أشهر.

بعد سماع هذا الخبر المؤسف الذي ملأ قلوبنا بالحزن على رفاق لنا، طار الخوف والقلق والتوتر، وحتى البرد، وبقي السؤال الذي صعد فجأة إلى الواجهة: ماذا نعمل؟ أنعود أدراجنا من حيث أتينا؟ أم نواصل سيرنا، إلى دثينة، أياً كانت النتائج؟! أم ننتظر في منطقة النجدة، حتى نتبين الأمر، ونتأكد من مصير الآخرين؟!

ولكن قراري الذي اتخذته مع الآخرين كان أن نواصل طريقنا إلى دثينة لمعرفة ماذا جرى. كان الوقت لا يزال ليلاً. ليل، وأمطار، وزوابع، ورعد وبرق يمزق قشرة السماء، فتتلألأ بالأضواء الكاشفة، وكان هذا الضوء يتيح لنا أن نسير ونحن نعرف مواقع أقدامنا، وأن يرى بعضنا بعضاً، حتى ارتفعنا إلى جبل النجدة، لنستقر على قمة الجبل حتى الصباح. ومن شدة الإعياء نمنا بثيابنا المبللة على الأرض وبين الصخور وبقينا حتى الظهر. ثم واصلنا سيرنا بعد ذلك نهاراً حتى مشارف وادي كبران. كان الوقت يقترب من المغيب، فإذا بنا وجهاً لوجه أمام عدد من النمور التي نشاهدها لأول مرة في هذه المنطقة. وقفت تنظر إلينا في تحدٍّ، ووقفنا أمامها في حالة هي مزيج من الارتباك والذعر والحيرة. حاول البعض أن يطلق عليها الرصاص، ولكنني منعتهم من ذلك خوفاً من أن يلفت ذلك انتباه المواطنين فيكتشفوا وجودنا، وقد يبلغ ذلك السلطات بطريقة ما فتجهز قوة لملاحقتنا وحصارنا وفرض معركة لسنا مستعدين لها ولم نخترها. بعد لحظات قررت النمور الانصراف واختفت في جوف الجبل وظلام الليل، وأخذنا نحن طريقنا إلى أرض المياسر، فآل حسنة، فقريتي (أمقوز وأمفرعة) حيث التقينا أهلي وأخوتي، وفي المقدمة والدي ناصر محمد، وأخوتي هادي،

(٥٧) كان من بين الذين شاركوا في نصب الكمين الشيخ عمر المجهز الذي شعر بالانتصار على الثوار، وقال بيتين من الشعر:

سلامي من بنادقنا ذي من شليب البرد تدفينا
يا فرحة الليلة حكومتنا لاقد سقط من دمنا فينا

محمد، وصديقي محمد سليمان ناصر ووالده. وأخبرني الأهل بأن السلطات العوذلية بعثت ببرقية للنائب حسين منصور، حاكم ولاية دثينة بأننا موجودون في دثينة، وكما أخبروني أن الثوار قد رحلوا جميعاً إلى البيضاء بعد الكمين الذي تعرضوا له، فقررنا عدم المبيت في بيت الأهل حتى لا تداهمنا السلطات ونسبب أذى للأهل والقرية بعد أن عرفوا بوجودنا في دثينة.

قررنا أن نبيت ليلتنا على قمة جبل الحمام الذي يطل على قريتنا، وأن نراقب الأحداث من فوقه، واتفقنا على كلمة «السر» التي سنتبادلها إذا شعرنا بتحرك أي قوات معادية نحونا... وتبادلنا «المناوبة» حتى الظهر.

وفجأة مزقت السكون طلقة، كلمة السر، فخرجنا نستطلع الأمر من فوق قمة الجبل، وشاهدنا قافلة من السيارات الحكومية في طريقها إلى قريتي «أمقوز وأمفرعة». كانت تشق طريقها وتطلق خلفها زوبعة من الغبار نحو الفضاء، تظهر وتختفي فيه. في أول الأمر اعتقدنا أنهم علموا بوجودنا، فجهزوا هذه الحملة لمطاردتنا والقبض علينا، لكن بعد قليل توجهت القافلة شرقاً نحو المحفد.

جاء أخي هادي ناصر ليطمئننا إلى أن الطلقة التي سمعناها أطلقها أحد المواطنين على بعض القرود التي هاجمت مزرعته، وأن مرور دورية السيارات الحكومية جاء بمحض المصادفة إثر هذه الطلقة، وليس هناك ما يدعو للقلق أو الخوف، وقد أحضر لنا وجبة غداء، ونصح بأن ننتقل من جبل الحمام الذي يطل على قريتنا إلى مكان آمن، هو شونة قصب، من الصعب اكتشافنا فيها، بدلاً من طلوعه ونزوله إلى الجبل لتقديم الغداء لنا، وشونة القصب هذه تقع داخل أرض تابعة لنا.

بقينا ثلاثة أيام، استطلعنا خلالها المنطقة، وتأكدنا من عدم وجود أي أثر للثوار في دثينة. كنا نتحرك وسط أجواء من القلق والتوتر بعد الكمين الذي وقع فيه رفاقنا، وبعد أن تسرب خبر وصولنا إلى السلطات في المنطقة.

كان نصب مزيد من الكمائن للإيقاع بالثوار أمراً متوقعاً في المداخل والمخارج التي نمرّ عبرها في جبل الكور، وهي معروفة، ومن الصعب إيجاد بديل لها نظراً لوعورة المسالك فيه وصعوبتها.



ملجأ شونة قصب

قررنا هذه المرة أن ننتقل بسيارة إلى أسفل الجبل والمرور بعقبة (ساحة)، لأن الوصول يتطلب أن نمشي على أقدامنا يوماً كاملاً مليئاً بالمصاعب، والمخاطر، والقلق، والإرهاق والتعب. علينا أن نصعد هذا الجبل لكي نصل إلى الهدف الذي نذرنا أنفسنا له مهما طال السفر وغلت التضحيات. سريعاً، سريعاً صعدنا الجبل وسط ضباب كثيف يوفر لنا الساتر والحماية بعد عناية الله طبعاً. لم نخرج من قمة الجبل إلا قبل الغروب وكان الضباب لا يزال مخيماً، لكنه فجأة انقشع وقرر ونحن فوق القمة العالية أن يتركنا بلا غطاء. كان معظمنا معروفين في الكور والظاهر، فيضطر بعضنا إلى وضع اللثام على وجهه عندما يمرّ بنا بعض المارة أو البعض من الذين يعرفوننا. لم يكن أمامنا سوى مواصلة السير في مرتفعات مكيراس حتى وصلنا إلى منزل أحد المواطنين، واسمه «عبد ربه الحيك».

منزله دافئ ونظيف، والرجل كريم ومضياف، ولم يخف من استضافتنا في منزله. رحب بنا، وكعادة العرب والناس في هذه المناطق، ذبح لنا ذبيحة، وقدّم لنا اللحم والحساء بيديه و«المعصوبة»، وجرى حديث مشوّق عن الثورة في الجنوب والجمهورية العربية اليمنية. وكانت النرجيلة (المداعة) رفيقة هذه السهرة قرقرة ودخاناً كثيفاً، في ظل نقص الأوكسجين في هذا الموقع الذي يبلغ ارتفاعه نحو ألفي ومئتي متر، وكدنا نختنق لكثافة الدخان والبخور.

## الممسوخون في مرتفعات مكيراس

لم نكن في مأمن بعد، فقررنا مغادرة منزل الحيك بعد أن شكرنا له ضيافته، وانطلقنا إلى حدود محافظة البيضاء، وسط مخاطر حقيقية أخرى. لكن الأرض هنا كانت واسعة ومفتوحة، وبوسعنا أن نجد فرصة للحركة والمناورة، بعكس جبل الكور الذي تضيق فيه المداخل والمخارج، وكلها معروفة للسلطات، ويصعب اختيار طرق جديدة أو النفاذ من الكمائن فيه بسهولة. مرة أخرى كان الظلام رفيقنا، فقررنا السير ليلاً وسط برد ديسمبر القارس، وهدفنا هذه المرة الوصول إلى مدينة البيضاء بأمان بفضل الحماية التي وفرها لنا المواطنون الأوفياء في هذه الجولة وغيرها في كل المحميات، وحماية الله والليل الذي كنا نسير فيه حتى الصباح.

وبينما نحن كذلك، إذا برفيقنا عبد ربه جحلان يقول:

- هؤلاء الممسوخون!

وأشار بيده إلى مجموعة أحجار منصوبة فوق الأرض، وكأنها نبتت هناك مثلما تنبت الأشجار والنباتات. وأخذ يقرأ «الفاتحة» على أرواح «الممسوخين»، الذين يعتقد، بل ويؤمن جحلان وبعض ممن كانوا معنا، بأنهم كانوا بشراً مثلنا قبل أن يمسخهم الله سبحانه وتعالى القادر على كل شيء ويحولهم إلى حجارة صماء، لان جمالهم كانت تسير على ارضا مفروشة بالخبز والطعام، فانتقم الله منهم بعد ذلك، كما تقول الروايات المتداولة في مرتفعات مكيراس.





**مرسل هذه الصور هو عبد الله سالم السمنة، المدير العام لمديرية مكيراس وعلّق عليها قائلاً:**
**على هذا ما بقي من أطلالها بعد تدميرها وتكسيرها واستخدامها في البناء،**
**لأن الآثار لم تجد من يحميها، بل الوطن لم يجد من يحميه ٢٠١٧.**

بعد قراءة الفاتحة رفعنا أيدينا إلى وجوهنا ونحن نتمتم بكلمات غير مفهومة من شدة البرد، وكانت أعيننا على عوين والبيضاء.

بعد وصولنا سافرنا بالطائرة إلى تعز، ولأول مرة نحسّ بطعم الراحة بعد تلك الرحلة والمهمة الطويلة المضنية لنبدأ مرحلة أخرى من النضال... متعبة في مدينة تعز التي تعجّ بكل التيارات السياسية، وبكل أنواع المخابرات المتصارعة. مع الأسف أن البعض قد احترف الارتزاق وكتابة التقارير، إن أخطر شيء على أي حركة هو الفراغ وغياب الرؤية ونقص التمويل، وطبعاً البعد عن ساحة النضال.

لكن هذه قصة أخرى.

## تعز... خلافات ومذكرات

بعد رجوعنا تجمّعنا في تعز لمناقشة القيادة في الأوضاع على الجبهة الوسطى وأوضاع جبهات القتال عموماً، وقد جرى لقاء عاصف بين قادة الجبهة الوسطى، وهم: سالم ربيع علي، محمد علي هيثم، علي ناصر محمد، ناصر السقاف، أحمد محمد امفقيريه، عبد الله صالح غرامة، وقيادة الجبهة القومية، خاصة فيصل عبد اللطيف الذي انتقد أسلوب المذكرات التي تقدمت بها القيادة العسكرية والمذكرات الأخرى التي تقدم بها محمد علي هيثم وناصر السقاف. وقال: إننا لن نقبل بقيام تكتلات جديدة أو أجنحة داخل قيادة الجبهة القومية، كما حدث في ثورة الجزائر عندما حاول جناح محمد شعباني[٥٨] إثارة الخلافات في أوساط المقاتلين. وقد كان فيصل عبد اللطيف محقاً في رأيه، ولكن سلوك القيادة في تعز هو الذي دفعنا إلى اتخاذ هذا الموقف.

(٥٨) محمد شعباني: ولد في ٤ سبتمبر ١٩٣٤ في أوماش، سكري، ومجاهد أثناء الثورة الجزائرية برتبة عقيد. بعد التعليم الابتدائي في بسكرة، انتقل إلى القسطنطينية عام ١٩٥٢ للدراسة في معهد الشيخ بن باديس. وهناك اكتشف الالتزام السياسي وأهمية الكفاح المسلح من خلال صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. شارك في أولى العمليات عند اندلاع الثورة ترقى إلى رتبة ملازم، وفي أفريل ١٩٥٨ أصبح ضابط أول سياسي، وسنة ١٩٥٩ عين على رأس المنطقة الثالثة من الولاية السادسة. بعد استشهاد العقيد سي الحواس خلفه على رأس الولاية السادسة. اشتهر بكونه أصغر عقيد في العالم. كان له دور في توسيع العمليات العسكرية في الجنوب الكبير، خاصة بعد اكتشاف البترول وسعي فرنسا إلى سياسة فصل الصحراء. في يوم ٣ سبتمبر ١٩٦٤ أُعدم محمد شعباني بأمر من الرئيس السابق أحمد بن بلة بتهمة محاولة التمرد على السلطة وزرع الفتنة في صفوف الجيش الجزائري.

وقال إنه عبر الحوار يمكن أن نختلف وأن نتفق. كانت هذه المرة الأولى التي يجري فيها مثل هذا الحوار، لأن المعروف أن على القواعد أن تنفذ توجيهات القيادة بدون اعتراض استناداً إلى مبدأ (نفذ ثم ناقش) الذي تربينا عليه في حركة القوميين العرب، وخاصة في ظل العمل السري.

في ١٩/ ١٠/ ١٩٦٤ تقدمت قيادة الجبهة الوسطى بمذكرة إلى القيادة المركزية عن مجريات وضع الجبهة، تضمنت الكثير مما لم تتعود القيادة أن تقرأه عن أوضاع الجبهات.

وأدناه ملخص لما جاء في المذكرة التي تقدمنا بها إلى القيادة المركزية في تعز، وجاء فيها أنه لم يجرِ الإعداد للثورة في الجبهة الوسطى كغيرها من الجبهات، كتدريب الفدائيين والمناضلين في جبهات القتال، وتخزين السلاح قبل انطلاق الثورة، وكان الاعتماد على القبائل في تعز والبيضاء اعتماداً خاطئاً، فالبعض منهم كانوا يرون أن التحاقهم بالثورة مصدر رزق لهم بحكم تعودهم في فترتي الحكم الملكي والجمهوري على الحصول على المال والسلاح من النظام في صنعاء لإعالة أسرهم نتيجة ظروفهم المالية الصعبة مقابل القيام بعمليات في الجنوب أو المشاركة في الدفاع عن النظام الجمهوري في صنعاء، وقد كان البعض منهم متأثرين بالمسؤولين في المناطق التي يعيشون فيها والتي لا تؤيد الثورة في الجنوب. كذلك فإن السلطات المحلية والاستعمارية في الجنوب كانت تقدم الأموال والسلاح لكل من يتصدى للثورة والثوار في الجنوب. وكان في المذكرة تمنيات أكثر من الواقع المعيش حينها، والدعم المحدود المالي والعسكري الذي يقدم للجبهة القومية في جبهات القتال وعدن ومكتب تعز لم يكن يزيد على ٢٥ ألف ريال يمني شهرياً، وهو ما كان يساوي حينها ٢٥ ألف دولار، أما اليوم فلا يكفي هذا المبلغ لوجبة وتخزينة قات بعد انهيار سعر صرف العملة، وقد توقف الدعم المالي والعسكري بعد ذلك بسبب الخلاف بين الجبهة القومية وجبهة التحرير وعملية صلاح الدين في تعز، ولكن الجبهة القومية اعتمدت على الشعب وعلى لجان مناصرة الثورة في الخارج حتى تحقق النصر في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧.

وكان السيد ناصر السقاف، عضو قيادة الجبهة القومية، أحد الذين اختلفوا مع قيادة الجبهة في تعز بعد عودتنا من الجبهة الوسطى، بسبب إهمال المقاتلين في الجبهة الوسطى وبعض الجبهات الأخرى. وأبدى استياءه من سلوك القيادة في أوساط بعض المقاتلين، في جبهات

القتال، وأيضاً بين بعض قيادات حركة القوميين العرب التي كان ينتسب إليها قبل قيام الثورة وقبل إعلان قيام الجبهة القومية.

وقد وقفت القيادة أمام بعض (المذكرات) التي تقدم بها، وأمام ملاحظاته، وأمام بعض الشائعات التي طُرحت حول فقدان بعض الأسلحة والذخائر، والتي كان يجب ألا تسبب هذه الأزمة، أو تؤدي إلى الشك في نزاهة السيد السقاف الذي يعدّ نفسه لا يقلّ عن بقية قيادات الجبهة القومية دوراً وتأثيراً، واتخذ قرار بفصل السقاف من الجبهة. وقد أحدث قرار فصله استياءً في أوساط بعض المقاتلين في الجبهة الوسطى وبعض جبهات القتال وبعض المشايخ. وعبّر المناضل الخضر عبد الله الجعري في رسالة إلى القيادة عن استيائه من قرارها بفصل السيد ناصر السقاف.

وخلال الإعداد للمؤتمر الأول للجبهة القومية يونيو ١٩٦٥، فجّر محمد علي هيثم الوضع التنظيمي بتقديم مذكرة صاخبة تضمنت - في الواقع - بعض المظاهر والممارسات القائمة، ولكنه صاغها بطريقة انفعالية، وأضاف إلى الوقائع وقائع أخرى، كان الهدف منها الضغط على قيادة الجبهة.

استُهلّت مذكرة هيثم بالتشكيك في حقيقة ثورة ١٤ أكتوبر وإلقاء الظلال على الأرضية الشعبية والتاريخية للثورة. يقول: «... في هذا الجو الارتزاقي وعدم وجود الشعور الوطني، ومن هذه النوعيات تكونت الجبهة القومية»، وإن الثورة التي قامت في ردفان انطلقت من «أسباب قبلية وليست ثورية». و»إن غالبية العناصر الذين اعتُمد عليهم في بدء المعركة لا يعرفون لماذا يحملون السلاح ومن أجل من يحملون السلاح». «ولقد بلغ عدد من سُلحوا ما لا يقل عن ٣٠٠ مسلح، وأصبح الآن لا يزيد على عشرة». وخاطب قيادة الجبهة بالقول: «إن كل الروابط التي تربطكم ليست روابط ثورية بقدر ما هي روابط عائلية وحزبية رجعية قديمة»، «ونتيجة لوضعكم هذا لم تستطيعوا أن تنفتحوا على القطاع القبلي».

كانت رسالة محمد علي هيثم بمثابة تقديم استقالة، بل جاءت في ضوء خروجه من القيادة ومن الجبهة ومغادرته إلى القاهرة للإقامة هناك، وكان ينوي منذ تقديم استقالته العيش بعيداً عن السياسة، وفي مصر التقيت به وأقنعته بضرورة العودة إلى الجبهة القومية مهما كانت التباينات في وجهة النظر وليس له مكان آخر إلا في إطار الجبهة القومية التي كان أحد

مؤسسيها، ثم عاد إلى تعز. وقد أفلحت هذه الجهود بإبقائه قريباً من الجبهة حتى إعادته إليها في ضوء قرارات مؤتمر الجبهة الثاني، وارتقائه مجدداً إلى القيادة. لقد كان الأخ محمد علي هيثم - بلا شك - من أبرز قادة الكفاح الوطني.

## جبهات تشتعل

في صيف عام ١٩٦٤، وبالتحديد ابتداءً من تموز/ يوليو، كانت جبهات القتال قد اشتعلت وتكاملت، فكانت تركيبتها وأبرز قياداتها كما يأتي:

١ - جبهة ردفان: كان من أبرز قادتها: بالليل بن راجح، بالليل بن جيوب، محمود عبد الكريم، سعيد صالح، قاسم الزومحي، عبد الكريم الذبياني، عبد الله محمد المجعلي، عبد الله صالح المجعلي، محمد عبد الله المجعلي، أحمد عوض شقفه، دعرة بنت سعيد.

٢ - جبهة الضالع[٥٩]: محمد أحمد البيشي، علي عنتر، علي شايع، صالح أحمد مقبل، علي بن علي هادي، قائد صالح، محمد صالح الأزرقي، عبد الرحمن المنصوب، محسن ناجي، علي عامر، محمد صالح المحرابي، وعلي عبد الله الضالعي[٦٠].

٣ - جبهة الشعيب[٦١]: صالح مصلح قاسم، صالح حسين قاسم.

٤ - الجبهة الوسطى[٦٢]: السيد ناصر السقاف، محمد علي هيثم، سالم ربيع علي، سعيد عثمان عشال، عبد الله صالح المجعلي، عبد الله صالح غرامة، محمد ناصر الجعري، محمد عبد الله المجعلي، صالح عبد الله المجعلي، الخضر عبد الله الجعري، عبد النبي الجعري، عبد الله العبيدي وكاتب هذه المذكرات.

٥ - جبهة يافع: علي محضار، فضل هرهرة، محمد ناصر جابر، سالم عبد الله، محمد علي القيرحي، صالح عبادي عبد الكريم.

---

(٥٩) بدأت في صباح ٢٤ يوليو عام ١٩٦٤.

(٦٠) وكان من بين المؤسسين لحركة القوميين العرب في الضالع عبد الواحد عبد الله، وهو متزوج شقيقة الأمير شعفل، وبنفس الوقت ابن خاله، وقد انضم إلى الحركة في آن واحد مع السيد شعفل عمر علي بعد الرسالة التي وجهها أحمد محمد البيشي إلى فيصل عبد اللطيف الشعبي، مؤسس حركة القوميين العرب في عدن.

(٦١) بدأت في أكتوبر ١٩٦٤.

(٦٢) بدأت في ٢٦/ ٧/ ١٩٦٤.

٦ - جبهة الصبيحة[٦٣]: محمد علي الصماتي، بخيت مليط، عبد الصفي هادي.
٧ - جبهة الحواشب[٦٤]: محمد صالح حوشبي، علي صالح حوشبي، السيد محمد عبيد سفيان، وعبد السلام سيف.
٨ - جبهة حالمين[٦٥]: عبد الله مطلق، حيدرة مطلق.
٩ - جبهة بيحان[٦٦]: علي محمد فضيل، عبد ربه ناصر الرقابي، علي عبد الله العريفي.
١٠ - جبهة الواحدي[٦٧]: عمر صلفوح، عبد الله يسلم المشنق وعبد الهادي باعوضة.
١١ - جبهة حضرموت: علي ناصر الكربي، محمد صالح الكور (كان الأساس في الجبهة هو تنظيمات الداخل).
١٢ - قيادة لحج: علي عبد العليم، عوض ناصر صدقة، محمد عُباد الحسيني، عائش عوض سعيد، سيف العزيبي[٦٨]، ناصر عمر فرتوت, منصور علي مثنى، وهم يمثلون قيادة الداخل.

كانت المعارك التي خاضها مقاتلو الجبهة القومية قد أذهلت البريطانيين بسبب دقتها وسريتها وما تنمّ عنه من تخطيط محكم، فضلاً عن مضامينها السياسية، إذ غالباً ما كانت تنتهي بإصدار بيان سياسي يضع المعركة في السياق العام لنضال الشعب في الجنوب المحتل من أجل التحرر ووحدته.

كانت المجابهات متنوعة بحسب طبيعة المعركة وأرضها وأهدافها. وقد كتب المستشرق «ألفرد هاليداي» عن نمط المعارك التي تخوضها الجبهة القومية بقوله: «حرب الغوار المدينية التي شنتها الجبهة القومية في آب/ أغسطس ١٩٦٤ كانت مغايرة تماماً للحوادث العسكرية السابقة في المدينة. فقد شكلت جزءاً من النضال في كل من المدينة والريف، ونظرت الجبهة إلى حرب الغوار المدينية في إطار استراتيجية سياسية - عسكرية أوسع، وقد كانت مهاجمة القوات البريطانية ومؤسساتها واغتيال المسؤولين البريطانيين وعملائهم

---

(٦٣) بدأت في ١٠ أكتوبر ١٩٦٤.
(٦٤) بدأت في سبتمبر ١٩٦٤.
(٦٥) بدأت في ١٢ أكتوبر ١٩٦٤.
(٦٦) بدأت في مارس ١٩٦٤.
(٦٧) بدأت في أبريل ١٩٥٤.
(٦٨) من مواليد ١٩٣٧، كان له دور بارز في قيادة الجبهة القومية وجبهة التحرير والتنظيم الشعبي حتى عام ١٩٦٧.

اليمنيين الجنوبيين الوسائل العسكرية لإنضاج هذه الاستراتيجية. أما ردّ الفعل البريطاني على الكفاح المسلح، فكان متشنجاً وقصير النظر إلى أبعد الحدود. فالبريطانيون لم يعرفوا شيئاً عن عدوّهم، ولم يستطيعوا أن يعرفوا شيئاً، وحاولوا في كل مرحلة أن ينقذوا ما يمكن إنقاذه». والأمر الذي اهتم به الصحافي البريطاني، هو تأثُّر الجندي البريطاني بالأحداث ومدى احتفاظه بتوازنه وقيمه، فينقل على لسان العديد من جنود القوة الإنكليزية وقائع الخراب والانهيار الداخلي وفقدان الأمل الذي يعانونه. يقول أحد أولئك الجنود: «في كل ليلة تقريباً بعد إعلان حالة الطوارئ وفي أعقاب اعتقال أعداد كبيرة من الأشخاص، تعودت أن أسمع مزيجاً رهيباً من الصراخ والأنين، كما لو أن شخصاً يتعرض للأذى (...) ويأتي هذا الصراخ من مركز التحقيقات. وقد تعودنا نحن أن نضحك ونتبادل النكات حول ذلك. وفي الصباح كنا نتأكد بالفعل أن هناك من كان يتعرض للتعذيب، وأستطيع أن أتذكر شاباً معيناً من فرقتنا كان مدرباً على الملاكمة، إذ كان هذا الشاب يتوجه نحونا كل صباح ويقول: «أوه، لقد ضربنا هذا الخنزير حتى جعلناه يصرخ حقيقة»».

## العملية الأولى في الضالع

كانت أولى العمليات الفدائية ضد القوات البريطانية خارج ردفان (قبل فتح مختلف الجبهات) قد نفذت في ٢٤ شباط/ فبراير ١٩٦٤ في الضالع حين هاجمت مجموعة من المقاتلين دورية من الكتيبة الثانية من الجيش الاتحادي، فقتل قائد الدورية وجرح نائبه وجرت معركة غير متكافئة استشهد خلالها اثنان من مقاتلي الجبهة. وبعدها فجّر فدائيو الجبهة قرب مكيراس سيارة لاندروفر قرب مهبط الطائرات، وأخرى في بيحان وثلاث سيارات حمولة للجيش البريطاني في ردفان. ولكن التحوّل الحقيقي حدث في تموز/ يوليو ١٩٦٤ بما وفرته الجبهة القومية من مقارّ ومخابئ وخطوط اتصال وتموين وتغطية. ففي أوائل تشرين الأول/ أكتوبر شهدت الشعيب والعواذل والضالع ومكيراس معارك بطولية استطاع فيها مقاتلو الجبهة تطبيق فنون المواجهة التي تلقوها في دورات التدريب في تعز، واستطاعوا أيضاً أن ينشروا الذعر في أوساط المحتلين والتفكك في القوات المحلية التي شكلوها.

## ١٣٧٢ عملية عام ١٩٦٥

ومنذ أوائل عام ١٩٦٥ اشتدت ضراوة المعارك في الأرياف، حيث بلغ عدد العمليات ١٣٧٢ عملية. فيما استشرت حملات الانتقام البريطانية لتطاول سكان الريف على نطاق واسع، واستخدمت الطائرات (الهوكر هنتر) في دكّ عشرات القرى والبلدات الصغيرة دون أن تنجح في تخويف الشعب أو تحجيم الثورة أو تقوية حكم السلاطين والأمراء. ولم تجد سلطات الاحتلال بداً من أن تسحب بعض قواعدها من أعماق الريف إلى المدن، وشهدت الأشهر الأخيرة من السنة انحسار الوجود العسكري البريطاني في أضيق المجالات، مخلياً الطريق أمام سيطرة الجبهة القومية وتحكمها الفعلي في المناطق، كذلك أُتيح للجبهة القومية نقل العمل العسكري إلى عدن. وفي غضون ذلك حدث ما كان الإنكليز يخشونه، وهو انضمام كثير من المجندين في الجيش الاتحادي وعدد من ضباطه إلى الثورة، فانعكس ذلك في تفكك المؤسسة العسكرية المحلية، بل تحوّلها إلى مصدر خوف وحذر للمحتلين، كذلك انعكس - وهذا أمر مهم - في قلة عدد العمليات ضد وحدات الجيش الاتحادي، وكانت الجبهة القومية قد أقامت تنظيماً سرياً لها في الجيش والحرس الاتحادي في عدن والمحميات، وأصبح عين الجبهة القومية في هذه المؤسسات العسكرية والأمنية.

## عدن ساحة الحسم

أصبحت عدن هدف الجبهة القومية ومحطّ اهتمامها، في وقت راحت تتواتر فيه وتتنامى رقعة الصراع بينها وبين جبهة التحرير. فقد أصبح واضحاً أن عدن، بما تحتله من موقع وتأثير، ستكون ساحة لحسم الصراع واختبار القوة. وإذ نقلت الجبهة القومية ثقل عملياتها العسكرية إلى عدن، فإنها كانت تطمح أيضاً إلى كسر الطوق الإعلامي والوصول إلى مراكز الأخبار والاتصال الدولية التي كانت عدن تزخر بها نظراً لموقعها التجاري والسياحي. ولم يكن في وسع المخابرات البريطانية في عدن إلا أن تعترف بكفاءة مقاتلي الجبهة القومية، فقد أورد تقريرها السري لشهر تموز/ يوليو ١٩٦٥ ما يأتي: «مما لا شك فيه أن «مرتزقة» ما تسمى الجبهة القومية قد عملوا ما في وسعهم، وأظهروا في الأسابيع الأخيرة أنهم أصبحوا

أفضل تدريباً». وجاء في تقرير آخر: «مخابرات المنشقين أظهرت أنها ذات مستوىً عالٍ، فمثلاً عندما تحركت سرية من الكتيبة الأولى من فرقة «ذي برنس أوف ويلز ون» من عدن إلى مكيراس في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٥، تسلّم قائدها في خلال أربع وعشرين ساعة من وصولهم رسالة من زعيم المنشقين المحليين يقول فيها: «نرحب بالكابتن (نفيل) وسريته في مكيراس، نتمنى له زيارة سعيدة. ويؤسفنا أن نبلغه بأننا سنقلق بعض لياليه بنيران المورتر». لكن القلق الأكبر والموجع للإنكليز كان نقل العمل المسلح إلى قلب مستعمرتهم في عدن.

# الفصل التاسع

## عدن... الجبهة القومية سيدة الموقف

## على الاستعمار أن يحمل عصاه ويرحل عن عدن

شكل نقل الثورة المسلحة إلى قلب المستعمرة البريطانية في عدن عام ١٩٦٤م وبدء العمل الفدائي فيها انعطافة تاريخية في مسار ثورة الرابع عشر من أكتوبر، وانتقلت إلى طور جديد غير مسبوق، بعد أن كانت المعارك تدور في مناطق بعيدة عن القاعدة البريطانية في عدن، وهي الأكبر في شرق السويس عقب إجلاء قواتها عن مصر بعد ثورة ٢٣ يوليو بقيادة جمال عبد الناصر.

كان هذا القرار والقرارات الأخرى التي اتُخذت في ذلك الوقت من أهم القرارات التي اتخذتها الثورة وأخطرها، وقد غيرت مسار الأحداث، لأن كل ما جرى بعد ذلك يعود الفضل فيه إلى تلك القرارات وإلى الأعمال البطولية التي اجترحها الفدائيون والثوار في عدن وجبهات القتال. كان معظمنا شباباً في مُقتبل العمر، لكن كنا على موعد مع القدر، وقد حددت تلك القرارات مصير عدن والجنوب بأكمله في ما بعد. وقد كان لزيارة الرئيس جمال عبد الناصر لتعز في ٢٤-٢٨ أبريل ١٩٦٤م وخطابه الشهير الذي قال فيه إنّ «على الاستعمار البريطاني أن يحمل عصاه ويرحل عن عدن»، ودعمه السياسي والعسكري والمالي للثورة أكبر الأثر على مسيرة النضال الوطني في مستعمرة عدن والمحميات.

كانت أسلحة الفدائيين الخفيفة من القنابل اليدوية ومدافع البازوكا تدخل الهلع في قلوب المحتلين وصنائعهم. وكانت زيارة وزير المستعمرات البريطاني، أنتوني غرينوود، لعدن مناسبة لإسماع العالم كله صوت إرادة شعبنا الطامح إلى الاستقلال. وقد قام مقاتلو الجبهة القومية بأكثر من عشر عمليات عسكرية قُتل فيها اثنان من البريطانيين وأُصيب ٣٤ آخرون، ومن بينها الهجوم على بيوت الضباط الإنكليز وتصفية بعض عملائهم، ولم يمضِ وقت طويل

حتى استطاع الفدائيين تصفية رئيس جهاز المخابرات البريطاني مستر بيري، وضَرْب رجال المخابرات المحليين ليكونوا عبرة لكل من يتعامل مع البريطانيين، ولا سيما أولئك الذين يعملون في أجهزة المخابرات، ومنهم فضل خليل الذي قتله رجال الجبهة وسط سوق كريتر. وكانت بعض العمليات التي يقوم بها الفدائيون تُنفَّذ بواسطة سيارات تحمل أرقاماً مزورة كلما اقتضى العمل الفدائي ذلك. وكان هذا يعني تعطيل العصب الرئيسي الذي يعتمد عليه البريطانيون في جمع المعلومات عن الفدائيين ورصد حركتهم، ما أصابها في حالة «شبه عمى».

وفيما كان غرينوود يحضر احتفالاً أقامه له المندوب السامي في عدن، دوّت انفجارات في كل مكان من المدينة تقريباً، إذ انفجرت عدة سيارات وحصل إطلاق نار على بار يرتاده جنود الاحتلال. وقد بلغت العمليات منذ إعلان بدء زيارة الوزير البريطاني لعدن إحدى عشرة عملية على مواقع الاحتلال وعملائه.

أخذت الثورة تمسك بزمام المبادرة حين أسقط البريطانيون نهائياً وَهْمَ الاحتفاظ بوجودهم في عدن والمحميات، لكنهم كانوا حتى ذلك الوقت يعتقدون أن ثمة أملاً في أن يحلَّ الحكام المحليون محلهم، أو - على الأقل - أن يفسح المجال أمام بدائل معتدلة يمكن التفاهم معها. ولكن يقول فيصل عبد اللطيف: «إن الاستعمار لم يدرك ما يدور في المنطقة من تحوّل ثوري واتجاه نحو تنظيم الشعب وإعداده لمواصلة الثورة»[1].

في غضون ذلك العام استشهد ثلاثة من المقاتلين: الأول محمد علي (الحبيشي)، وهو أول شهيد يسقط في جبهة عدن عام ١٩٦٦م بانفجار قنبلة كان يحملها لغرض تفجيرها بأحد الأهداف المرسومة.

والثاني منصور عبد الهادي، في شقته بالخساف في كريتر، والثالث علي محمد الدلالي الذي استشهد في يونيو[2] في مقصف الضباط البريطانيين في طارشين - منطقة التواهي، حين انفجرت قنبلة كان يهمُّ بوضعها تحت إحدى الموائد.

---

(١) فيصل عبد اللطيف، مصدر سابق، ص٣٣.

(٢) واستشهد أحمد سالم طيحل (عباس) عام ١٩٦٧ وعبد النبي مدرم، ومهيوب علي غالب االشرعبي (عبود) في(٢٢ يونيو ١٩٦٧م) وغيرهم في معارك آخرى.

وتخليداً لذكراهم وبطولاتهم اطلقت أسماء هؤلاء الشهداء على عدد من المدارس والمستشفيات والملاعب في عدن لاحقاً.

وفي ٢٠/ ٢١ أغسطس، ١٩٦٦م، أطلق المجند مبارك السليماني[٣]، النار على الكولونيل البريطاني جراي، خرَّ على إثرها قتيلاً وامتشقت زوجته مسدسه في محاولة للردّ على مبارك الذي كان أسرع منها وأطلق عليها رصاصة واحدة، وكان هدفه شلَّ حركة يدها، ونُقل الزوجان إلى المستشفى (نُقل جثمان القائد البريطاني إلى بلاده وعولجت أرملته).

قطعت إذاعة عدن برامجها الاعتيادية في ذلك المساء لتعلن نبأ اغتيال الكولونيل جراي، قائد جيش البادية الحضرمية، على يد الجندي مبارك علي السليماني، وأُعلنت جائزة قدرها عشرة آلاف دينار وعشر بندقيات (قصاب) وعشرون حقيبة رصاص لمن يسلمه حياً أو ميتاً.

بالمقابل، كانت إذاعة تعز تبث أخبار المعارك والعمليات الفدائية في عدن والمحميات، وتذكر أعداد القتلى والجرحى من جانب العدو، إضافة إلى إذاعة صنعاء، وإذاعة (صوت العرب)، ما كان يلهب حماسة الثوار والجماهير. وكان مكتب الجبهة القومية في تعز يزود هذه الأجهزة بآخر تطورات معارك حرب التحرير.

كانت دائرة إعلام الجبهة القومية في مكتبها بتعز حين يتأخر وصول الأخبار عن المعارك بسبب صعوبة الاتصال ووصول المعلومات إلى تعز، تؤلف أحياناً بعض الأخبار عن عمليات جرى تنفيذها، وعن سقوط عدد من الضباط البريطانيين صرعى أو جرحى، وقال أحد الأخوة مازحاً لعبد الباري قاسم الذي كان يشرف على الإعلام:

«إذا هذه الأعداد من الضباط الكبار تسقط من الجيش البريطاني كل يوم، فمعنى هذا أنه لم يبقَ أحد منهم... والناس لن يصدقوا مثل هذه المبالغات»، فأجابه عبد الباري قاسم: «الناس لا يهتمون بالماضي، أو يُحصون من قُتل أو جُرح، لكن يهتمون بما تقوله لهم الآن... وفي الصراعات والحروب يكثر الحديث عن عدد القتلى والجرحى والانتصارات وإسقاط الطائرات بهدف رفع معنوية الجنود ومناصريهم ومن أجل إرباك العدو، ويبدو أنه كان نوعاً من الحرب النفسية التي تبيحها الحروب.

(٣) نجيب محمد يابلي، رجال في ذاكرة التاريخ، صحيفة الأيام - الأحد ٢٧ أغسطس ٢٠٠٦.

## المخبأ المتجول والسلاح المكشوف!

أما الأسلحة والذخائر فقد كانت تدخل في سيارات الخُضَر والفواكه عبر طريق كرش، وكذلك من طريق أبين من البيضاء ومن طريق الصبيحة. وكان المواطنون العاديون يقومون بدور كبير في تسهيل مرور السيارات من نقاط التفتيش. أتذكر مواطناً اسمه زين البصري كان يؤمِّن مرور الأسلحة والذخيرة عبر نقطة تفتيش كرش، وفي إحدى المرّات ساعدنا في أن نجتاز، أحمد الشاعر وأنا، هذه النقطة دون أي تفتيش. وهناك الكثير من الجنود المجهولين الذين احتضنوا الثورة وقدموا لها كل الدعم، رغم الأخطار التي كانت ستلحق بهم.

ويمكن القول إن بعض مصادر السلاح لم تكن سوى معسكرات الجيش والبوليس، حيث تقوم خلايا الجبهة القومية وأصدقاؤها العاملون في هذه المرافق بتسريبه إلى يد الثوار.

وقد حدثني السيد عبد الملك إسماعيل عن حادثة طريفة تتعلق بقنوات تخزين السلاح. فقد وصلت ذات مرة كمية من السلاح بصناديقها إلى عدن، وأُودِعَت في أحد البيوت ضمن «بلوك٢١» في حيّ المنصورة، وكانت الصناديق تحمل علامات تشير إلى ما تحويه من السلاح. وفيما كانت بعض القيادات مجتمعة في المنزل نفسه، وصلت معلومات عاجلة تؤكد أنّ المخابرات البريطانية ستقوم بتمشيط البلوك بعد أن وصلتها أخبار عن وجود الأسلحة. فُضَّ الاجتماع على الفور، وكان لا بد من إخراج السلاح بسرعة قبل أن تصل القوة المعادية.

كُلف عبد الملك إسماعيل، واسمه الحركي (مصطفى)، أن يتولى عملية نقل الصناديق إلى مكان آخر، واتفق مع عمه الذي يسكن في الشيخ عثمان على نقلها إلى منزله المؤلَّف من غرفة واحدة، ويقع في حارة شعبية مكتظة، وكان نصيراً للجبهة القومية متّقد الحماسة. وقد روى لي مصطفى أنه تحرك بسيارة لاندروفر تتقدم ببطء بصناديق السلاح المكشوفة. كان واضحاً أن أمر الصناديق يمكن أن يفتضح، وستلحظ كثرة من أبناء الحارة هذا «المخبأ المتجول»... ويشاع الخبر!

أما المفاجأة الكبرى، فهي التي تنتظر رفيقنا «مصطفى» بعد لحظات. وبالفعل، ما إن وصل إلى المكان المقصود، ببضاعته المحمولة وأسراره المكشوفة وأعصابه المشدودة، حتى

فوجئ بتراجع عمه عن الاتفاق المسبق، بسبب خوفه من نتائج افتضاح السلاح، فقد كان يعتقد أن «الشحنة» لا تتعدى عدداً من القطع القليلة التي يسهل إدخالها إلى المنزل. عندها اضطر «مصطفى» إلى أن يتحرك بعيداً عن المنزل، لكنه لم يهتدِ إلى مكان يضع فيه الصناديق، فبقي هكذا يدور طوال الليل في كافة شوارع المنطقة، وكاد – في ساعة ما – أن يرتكب غلطة بفتح النار على شاحنة كان يعتقد أنها تتعقبه، ويهرب بجلده، ولكنه قبل أن يقدم على ذلك تبيّن له أن الشاحنة كانت تابعة لإدارة البلدية، وكانت تقوم بخدمتها العادية في جمع القمامة.

# الفصل العاشر

## في الطريق إلى القاهرة

في تعز، أبلغتنا القيادة بالاستعداد للسفر إلى القاهرة للمشاركة في اجتماعات القُوى الوطنية في الجنوب التي ستعقد برعاية جامعة الدول العربية مارس ١٩٦٥م.

اختير وفد «الذئاب الحمر» كما كانوا يطلقون على الثوار في تلك الأيام من مختلف جبهات القتال: ردفان، الضالع، المنطقة الوسطى، الحواشب، الصبيحة، يافع، بيحان، حالمين، العوالق، وعدن. وأذكر أنه حينما انطلقت الشرارة الأولى من جبال ردفان الشماء في أكتوبر ١٩٦٣ أطلقت الصحافة العالمية والاستعمار على أوائل الثوار لقب (الذئاب الحمر)، بقصد التقليل من شأنهم وشأن قضيتهم والإساءة إليهم، وأطلقوا على أوائل المناضلين لقب «الشيوعية» بهدف الإساءة إليهم في مجتمعهم، وقد تحول لقب «الذئاب الحمر» في ما بعد إلى صفة إيجابية لهؤلاء المناضلين، لأنه يوحي بالشجاعة وشدة المقاومة ورفض الخضوع والاستسلام، وهو ما دفع الشاعر الكبير عبد العزيز المقالح إلى كتابة قصيدته (نشيد الذئاب الحمر) التي يصور فيها عدالة قضيتهم التي آمنوا بها، ويقول فيها:

**«ذئاب نحن فوق جبالنا المشدودة القامهْ**<br>
**نصيد الفجر، ننسج للضحى لنهارنا هامهْ**<br>
**وننقش في جبين الشمس موكبه وأعلامهْ**<br>
**ونحفر للدخيل القبر نسحقه وأصنامه»**

كانت وجهتنا هذه المرة صنعاء التي سنستقل منها الطائرة إلى القاهرة. كان السفر براً بالسيارة: عبر إب، سُماره، يريم، قاع جهران، نقيل يسلح فصنعاء.

طريق «النقطة الرابعة» بين تعز وسُماره كان عرضة لجرف السيول والأمطار على الدوام، والعمل فيه لا يتوقف، لأن قرار تعبيده لم تصدره الإدارة الأميركية، لهذا ظل الطريق زمناً طويلاً دون تعبيد، ما اضطرنا إلى السير في طريق ترابية. وكانت رائحة التراب والغبار المتصاعد من سيارتنا والسيارات الأخرى تزكم أنوفنا في ذلك السهل المنبسط المسمى «قاع جهران». ثم رحنا نتسلق بصعوبة «نقيل يسلح» لنصل صنعاء بعد رحلة طويلة شاقة لم نرتح منها إلّا في دار الضيافة حتى اليوم التالي.

- كان علي الهلالي، وهو ضابط من أبناء شبوة، من بني هلال، قد نصحنا بالاستحمام في واحد من الحمّامات التركية المنتشرة في صنعاء حتى نستعيد حيويتنا بعد تلك الرحلة والأيام المضنية التي قضيناها في جبهات القتال. هذه هي المرة الأولى التي أدخل فيها حماماً تركياً، الأمر الذي خلق لنا مشكلة مع المسؤول الأول عن الجبهة القومية السيد قحطان الشعبي الذي كان حريصاً أشد الحرص على أمن الوفد الذي اختاره للمشاركة في مؤتمر القاهرة، وخائفاً من مرض نصاب به خلال هذا الحمام، بل كان خوفه الأكبر من أن تخترق الوفد قوى أخرى ونحن على وشك السفر إلى القاهرة في اليوم التالي، وهو ما لم يكن ليتهاون فيه، بعد الحمّام التزمنا الدار والصمت وانشغلنا بالاستعدادات للسفر إلى أرض الكنانة التي كانت حلمنا الذي طالما راودنا سنين طويلة، منذ أن أصبحت مصر عبد الناصر قبلة الثوار والأحرار في الوطن العربي والعالم الثالث كله.

لم نسأل أحداً متى نسافر، ولا مع من سنسافر، ولا على أي طائرة سنسافر... المُهم، أن نسافر إلى مصر عبد الناصر، قلعة العروبة الصامدة.

أدينا صلاة الفجر، ثم تناولنا طعام الإفطار، الخبز والطحينة المصرية التي نأكلها لأول مرة، وانتقلنا إلى المطار حيث كانت في انتظارنا طائرة «أنتينوف ١٢» عملاقة ذات أربعة محركات يقودها طيارون سوفيات، دخلت الخدمة في آوخر عام ١٩٥٧م، وقد صممها العالم الروسي أُوليغ أنتونوف[١] وصمم قبلها وبعدها أربعين طائرة مختلفة الاستخدام كالشحن والنقل والطائرات الشراعية.

(١) أوليغ أنتونوف: ولد في ٧ فبراير ١٩٠٦ بإحدى أحياء موسكو وتوفي في ٤ أبريل بمدينة كييف، وهو مصمم=






**أوليغ أنتونوف صانع الطائرة**

البعض، ممن كانت له خبرة سابقة بركوب هذا النوع من الطائرات تطوع ناصحاً أن نستعد للرحلة كما ينبغي، لأنها ستكون طويلة وشاقة حيث لا يوجد في الطائرة مقاعد مريحة أو حمّام! ولم يكن في المطار مبنى ترحيلات أو تشريفات ولا حمامات أيضاً، ما اضطر البعض أن «يعملوا مثل الناس كما يقول المصريون» على أرض المطار وهم واقفون!

أذكر أن المشير عبد الله السلال أول رئيس للجمهورية العربية اليمنية حدثني ذات مرة – في ما بعد طبعاً – أنه ركب واحدة من هذه الطائرات، ولكنها بعد إقلاعها بقليل أصابها عطب ما، فعادت به إلى المطار. وفوجئ السلال بأن موظفي المطار وعماله غادروا المكان لتناول الغداء وتعاطي القات، ولم يجد سلماً ينزل عليه، فبقي لبعض الوقت منتظراً ومعلقاً هناك حتى استدعوا سيارة وقفت تحت باب الطائرة فقفز إليها المشير السلال، وعلّق ساخراً: كيف لهذه الدولة التي غزت الفضاء لم تصنع حماماً لركاب هذه الطائرات؟ أو كما سماها الرئيس الجنوبي سالمين «زولي»، وهي كلمة دارجة في عدن.

= طائرات سوفياتي ورسام. أسس شركة أنتونوف لصناعة الطائرات، وهي شركة مشهورة عالمياً، وقبل وفاته صمم أكبر طائرة شحن في العالم حينها سميت «انتونوف ١٢٤»، وأنتجت شركة انتونوف بعد ذلك طائرة انتونوف ان – ٢٢٥ عام ١٩٨٨م وهي اكبر طائرة في العالم ولقد استأجرتها عدد من الدول كليبيا والسعودية والامم المتحدة واندونيسيا وغيرها من الدول حيث يبلغ اجار الرحلة الواحدة مليون دولار ولم يصنع منها الا طائرة اخرى عام ٢٠٠٨م.

## من صنعاء إلى القاهرة

لم يكن في المطار في ذلك الوقت مبنى للترحيل، فحملتنا السيارات حتى باب الطائرة التي دخلنا في جوفها العملاق، حيث جلسنا في صفوف متقابلة. قبل إغلاق باب الطائرة سمعت أحد الضباط المصريين يقول: «سلموا لنا على مصر أم الدنيا»، وشاهدت في عينيه الحنين إلى مصر وإلى شعب مصر. وبعد قليل هدرت محركاتها الأربعة وحلقت الطائرة العملاقة في سماء صنعاء باتجاه مدينة الحديدة، سالكة طريق البحر الأحمر، وكانت كلما ارتفعت وابتعدت كثيراً عن الأرض والجبال ازداد اهتزازها. وفي مرحلة ما من الرحلة نقصت كمية الأوكسجين في الطائرة، فطلبوا إلينا أن نضع الكمامات على أنوفنا، وأرونا كيف نفعل ذلك. كان منظرنا ونحن نضع هذه الكمامات يثير الضحك، وكُنا نتبادل النظرات دون أن نتكلم. وفي داخل كل منا ضحكة يخفيها.

كان سالم ربيع علي يرفع كمامته أحياناً ويعلِّق بصوت عالٍ حتى نسمعه: «كبَاش! كباش وأحيانا يقول: أنتم مثل نعاج أمي لأن البعض يضع العلف في كيس ويربطه ويعلقه بفم الكبش أو النعجه ليأكل منه! ويضحك، ويعيد الكمامة إلى موقعها على أنفه وفمه.

حلّقت الطائرة فوق البحر الأحمر ووادي النيل الذي كنا نشاهده لأول مرة، ومن شدة الفرح شعرت بأنني أنا الذي أحلّق فوقه، واتجهنا بأنظارنا نحوه، بينما كانت الطائرة تهبط تدريجاً وتقترب منه.

كان النيل يظهر ويختفي تحت غلالة من السحاب، أزرق، ممتداً، يتعرّج وعلى جانبيه تنبسط القاهرة. كانت الطائرة تقترب تدريجاً من مطار الماظة العسكري القديم، وقبل هبوطها طلب منا أن نرفع الكمامات، ونمسك أنوفنا بأيدينا وننفخ الهواء من صدورنا حتى تتفتح آذاننا. ها نحن نهبط على أرض المطار، ونسمع تحتنا زمجرة وأصوات المحركات والعجلات، وهي تتدحرج نحو محطة الوقوف، وصوتاً يقول: «الحمد لله على السلامة». كُنا الآن قد وصلنا، فتنفسنا الصعداء بعد أن توقفنا لفترة طويلة عن الكلام وشرب الماء وعن دخول الحمّام والحركة تحت رحمة الكمامات ونقص الأوكسجين.

ها نحن في القاهرة، قاهرة المعز لدين الله الفاطمي، في مصر عبد الناصر، وأرض الكنانة،

والنيل الذي «يروي قلب كل عربي»، كما قال بحق شاعرنا الكبير لُطفي جعفر أمان في قصيدته الجميلة التي غناها فنان الشعب محمد مرشد ناجي.

عندما فُتح باب الطائرة وهبطنا منها، كان في استقبالنا الرائد فخري عامر، ابن عم المشير عبد الحكيم عامر وصديق عبد الله المجعلي.

## السنترال بعد ٤٠ عاماً

انتقلنا في حافلة كانت تنتظرنا إلى فندق «السنترال» المتواضع بالعتبة حيث مقر إقامة وفدنا ووفود الحكومات من حركات التحرر العربية والإفريقية.






**فندق سنترال بعد أربعين عاماً من زيارته أول مرة**

ولقد حرصت على زيارة الفندق بعد أربعين عاماً من نزولنا فيه، وكم دهشت للتغيير الذي طرأ على المنطقة، فقد كان حينها جميلاً وكبيراً وأمامه مساحات فسيحة، شاهدنا من خلالها حديقة الأوزبكية[٢]، ويقع بالقرب منها دار الأوبرا التي بُنيت بمناسبة افتتاح قناة

(٢) حديقة الأزبكية: كانت الأزبكية حديقة كبيرة في القاهرة أصلها بحيرة قديمة جرى تجفيفها وحمايتها من مياه الفيضان، وكانت تصطف على جانبيها الأشجار الرائعة التي زرعها محمد علي الكبير، وفي ما بعد تحول سور الحديقة إلى مكان يزدحم بأكشاك بيع الكتب القديمة أو المستعملة التي تخلص منها الورثة، أما اليوم فقد نقلت الكتب إلى مكان يبعد ٣٠٠ متر معزول ومهجور وغير لائق بهذا التراث الذي يحتوي على كنوز من التاريخ، وقد قمت بزيارة هذا المكان وأشتريت بعض الصحف والمجلات والكتب المهمة عن اليمن.

السويس عام ١٨٦٩م في عهد الخديوي إسماعيل(٣). أما اليوم، فقد أضحى صغيراً بين المباني العالية التي تحيط به، ولم أتعرف إليه إلا من خلال اللافتة الكبيرة التي تحمل اسمه، وبدا مدخله صغيراً، ويبدو أن المحلات التجارية التي تقع تحته قد امتدت لتلتهم أجزاءً كبيرة من صالاته ومطاعمه، ولم يبقَ سوى مكان صغير للاستعلامات وكراسيّ قليلة يجلس عليها بعض السودانيين الذين كانوا يدخنون في مدخله، وقد طلبت أن أزور بعض غرفه الواقعة في الدور الثاني، ومنها الغرفة رقم ٣٠٦ التي نزلت فيها آنذاك، وأخرى نزل فيها القائد الليبي معمر القذافي قبل ثورة الفاتح، ثم بعد أن أصبح قائداً للثورة، وتحدثت حينها الصحف العربية والمصرية عن زيارته المفاجئة تلك، التي لم يعلم بها القادة المصريون، حيث غادر المطار بتاكسي إلى العتبة ونزل في هذا الفندق الصغير، وكان مرافقنا يتحدث باعتزاز عن تلك الزيارة، معتقداً أننا ليبيون. أما وضع الغرف، فقد أصبح سيئاً، وأصبحت أجرة الغرف تراوح بين ٢٥-٦٠ جنيهاً، فقد هجره السياح ولم يعد ينزل به إلا فقراء هذه الأمة، ولم يدخله التكييف العادي أو المركزي، فالمراوح لا تزال معلقة في السقف كما هي منذ زيارتنا الأولى له. وكان الهدف من زيارتي التقاط صور تذكارية بعد مرور كل تلك العقود من نزولي فيه عام ١٩٦٥م. تذكرت وأنا أدخله ورفاق السلاح، وعلى رأسهم سالم ربيع، عندما نزلنا معاً في غرفة واحدة ودخل الحمام وهو محشور كما كان يردّد ولم يجد فيه ورق تواليت أو طبطوب (إناء) للماء، كما قال، وخرج وسأل الجرسون: أين الطبطوب؟ وهو يحرّك يده اليمنى، لكن الجرسون لم يفهم طلبه وقلت له إنه يريد (طبلة)، فضحك ربيع وأمسك الجرسون من يده وأدخله الحمام، وأشار إلى التواليت، وسأله كيف يعمل وجلس الجرسون وأشار إلى أنبوب صغير يخرج منه الماء وجرب ربيع الأنبوب وطار الماء في وجه ربيع وقفز تاركاً الماء يطير في الحمام ونحن نضحك. وبعد أن استحممنا وتغدينا قررنا أن نخرج إلى شارع فؤاد (٢٦ يوليو)، ولكننا كنا نخشى أن نتوه ونضيِّع الفندق،

---

(٣) الخديوي إسماعيل: لقب الخديوي هو أحد ألقاب شاه إيران، وقد عزل الخديوي إسماعيل يوم ٢٤ يونيو ١٨٧٩م وحلّ محله ابنه توفيق وغادر الإسكندرية على اليخت الملكي «المحروسة» متجهاً إلى نابولي حيث وضع قصر Favorite تحت تصرفه وكان حينها يملك مليون ومئتي فدان من الأراضي الزراعية، وهي تمثل ربع مساحة مصر الزراعية، وهذا يذكرنا بما حصل للملك فاروق بعد ٧٤ سنة. حيث غادر مصر على نفس اليخت إلى منفاه في ٢٦ يوليو ١٩٥٢م بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو.

وشاهدنا على باب الفندق اسم السنترال بالنيون، وانطلقنا مبهورين بحركة آلاف من الناس والباصات ووسائل النقل التي نشاهدها لأول مرة والمحلات التجارية وعمر أفندي والمطاعم وغيرها، وبعد أن تعبنا من السير والحركة، اتجهنا إلى أحد المطاعم، واسمه الشيمي، وكان معنا عبد الله صالح غرامة، الخبير بالحياة في مصر، وفي المطعم علمنا كيف نستخدم الشوكة والسكين والملعقة والفوطة واختيار نوعية الأكل وكان هذا أول درس لنا تعلمناه وواظبنا عليه لاحقاً. وانصرف غرامة، وبعد ذلك عدنا إلى الفندق ولكننا لم نجده، فأخذنا نبحث عنه حتى تعبنا وقررنا أن نركب تاكسي ودار بنا لمدة نصف ساعة، ثم أعادنا من حيث أخذنا ورفضنا أن ننزل لأننا لم نشاهد كلمة السنترال بالنيون وأصرّ سائق التاكسي على أن هذا هو الفندق، ونزلت وبقي ربيع في التاكسي وتأكدت أنه هو وأن النيون كان مطفأ وأكلنا أول مقلب لأننا طلعنا من نفس المكان ودخلنا من حيث خرجنا وضحكنا ولم نخسر إلا بعض القروش آنذاك، وقال ربيع بطريقته الساخرة: عيب عليه أن يكذب ويضحك علينا ونحن ضيوف عندهم، وسكت ولم أعلِّق عليه لأنّ مثل هذا يحدث مع بعض الناس مثلنا وأمثالنا من الصعايدة الذين بيع لأحدهم الترام وآخر العتبة الخضراء.

الفرحة لا تسعني، فقد بهرتنا المدينة وحركة السيارات والقطارات التي كنا نشاهدها لأول مرة، ونشاهد نيلها الخالد وبرجها العالي[٤] برج القاهرة أو كما سمّاه الغرب «**شوكة عبد الناصر**»، حيث تقول الرواية: إن أميركا منحت مصر معونة تقدر بستة ملايين جنيه لكي تتخلى عن مساندة الشعب الجزائري الشقيق ضد الاستعمار الفرنسي، لكن الزعيم أخذ المعونة وبنى بها أكبر «**لا**» في التاريخ لتكون شاهدة على مؤامرات الغرب واستمر في تقديم الدعم للجزائر حتى استقلالها وتحريرها من الاحتلال.

---

(٤) برج القاهرة ويُطلق عليه أحياناً برج الجزيرة، بُني بين عامي ١٩٥٦ و١٩٦١ من تصميم المهندس نعوم شبيب، ويقع في قلب القاهرة على جزيرة الزمالك بنهر النيل. يصل ارتفاعه إلى ١٨٧ متراً، وهو أعلى من الهرم الأكبر بالجيزة بنحو ٤٣ متراً. يوجد على قمة برج القاهرة مطعم سياحي على منصة دوارة تدور برواد المطعم ليروا معالم القاهرة من كل الجوانب.
بنى المصريون برج القاهرة على شكل زهرة اللوتس الفرعونية الأصل رمزاً لحضارتهم التي هي محط أنظار سائحي العالم. وهو يتكون من ١٦ طبقة ويقف على قاعدة من أحجار الجرانيت الأسواني التي سبق أن استخدمها المصريون القدماء في بناء معابدهم ومقابرهم.



**برج القاهرة عام ١٩٦٥م، ويبدو في الصورة من اليمين:**
**سالم ربيع علي، عبد الله صالح غرامة، علي ناصر محمد، وعوض الحامد**

كنا نتلفت يميناً ويساراً ونحن لا نصدق أننا في قلب هذه المدينة قبلة الثوار والأحرار والزوار. ها هو حلم المجيء إلى القاهرة يتحقق، فقد زرنا أهرامات الجيزة ومصانع الحديد والصلب في حلوان ومسرح البالون وأهم المعالم التاريخية في مصر. كانت المدينة الخالدة التي شغلت الدنيا خلال السنوات الأخيرة تنبسط على ضفتي النيل. كانت تنبض بالحياة، والحركة، والثورة، والبناء والتعمير. كلمة تنطلق من هنا، من إذاعة صوت العرب، أو في خطاب للزعيم عبد الناصر، كانت كفيلة بهزّ العروش آنذاك، وانطلاق التظاهرات وحركات الاحتجاج في أرجاء الوطن العربي الذي كان العديد من أقطاره وشعوبه تناضل في تلك السنوات من أجل الحرية والاستقلال والانعتاق من الذلّ والعبودية. وكانت مصر سخية في كرمها وعطائها لأن تمارس دورها التاريخي الرائد الذي هو قدرها بوصفها قلب العروبة النابض والشريان الذي يضخ الدم إلى بقية أنحاء وأجزاء الجسم العربي الذي كان في أوج صحوته ومجده وعنفوانه وثورته آنذك لأن نهضة مصر هي نهضة للأمة العربية من المحيط إلى الخليج.

القاهرة، أو مصر عبد الناصر، كانت في الخمسينيات والستينيات في مواجهة مع العالم

الغربي، أو أن ذلك العالم الذي لم يكن راضياً عن دورها كان في مواجهة معها. لكنها كانت تمثّل أمة بأسرها في كفاحها من أجل الحرية والاستقلال والحياة الكريمة، فكانت المواجهة قوية وعنيفة. كانت القاهرة مشغولة بقضايا الأمة العربية بأسرها من المحيط إلى الخليج، ولهذا فقد كبرت بها، وكانت تتحمل عبء النضال العربي التحرري، وتمدّ يدها إلى كل حركة تجهر بمعاداة الاستعمار والإمبريالية والصهيونية ومحاربة القواعد العسكرية.

وها نحن ندخل مصر آمنين، وندخل القاهرة، وندخل جامعة الدول العربية بوفدنا برئاسة الرئيس التنفيذي للجبهة القومية قحطان الشعبي، وعضوية عبد الله الخامري، عبد الملك إسماعيل، محمد أحمد البيشي، سالم ربيع علي، عبد الله مطلق، عبد الكريم الذيباني، عبد الله المجعلي، بالليل بن راجح لبوزة، الشيخ محمد صالح الأزرقي، الشيخ علي عبد الله العريفي، الشيخ فضل محمد هرهرة، بخيت مليط، قاسم الزومحي، الشيخ المحرابي، محمد سالم عكوش، سالم علي الكندي، هاشم عمر إسماعيل وعلي الهلالي وآخرين وكاتب هذه المذكرات. ولولا الثورة في عدن وبقية المحميات لما فتحت لنا أبواب الجامعة العربية التي ندخلها لأول مرة ممثلين للثورة، وقد دخلناها ونحن بملابسنا الشعبية والعسكرية.

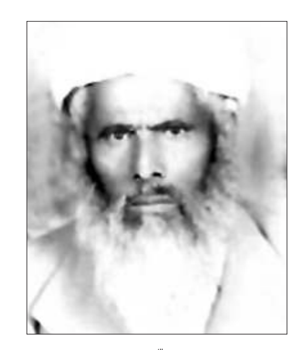
**بعض قادة جبهات القتال في ردفان والضالع وحالمين ويافع - القاهرة مارس ١٩٦٥**



**بالليل بن راجح لبوزة، محمد أحمد البيشي، عبد الكريم الذيباني، سالم ربيع علي**



عبد الله مطلق، علي ناصر محمد، عبد الله المجعلي، فضل هرهرة



الشيخ المجاهد علي عبد الله العريفي (جبهة بيحان)

## جامعة الدول العربية والجنوب

استطاعت الثورة، خلال زمن قياسي قصير، أن تستقطب الاهتمام العربي والدولي، بعد أن هزت أسس الاستقرار الداخلي الهشّ، الذي حاول الاستعمار البريطاني الحفاظ عليه في عدن والمحميات الغربية والشرقية طوال سنوات سيطرته على جنوب اليمن، التي باتت الآن مهددة. لقد بدأت مرحلة جديدة لا نظير لها، مرحلة من التحول تحمل الانهيار للسيطرة الاستعمارية الممتدة أكثر من قرن وربع القرن، وبزوغاً للجديد، وتحمل في الوقت نفسه قلقاً وحيرة، وصراعاً فكرياً وسياسياً وعسكرياً. وتجمعت ظروف وعوامل خارجية ألتقت مع مشاكل ومصاعب وصراعات داخلية مثيرة للجدل.

كانت مصر في ذلك الوقت زعيمة المشروع القومي العربي، وقائدة التضامن العربي. وكان لها دور رائد في نصرة الثورة في اليمن، سواء ٢٦ سبتمبر، أو ثورة ١٤ أكتوبر. والحقيقة، أن ثورة أكتوبر في الجنوب واجهت خطراً من بعض الأحزاب والتنظيمات والشخصيات السياسية التي رفضت فكرة الثورة المسلّحة ووقفت ضدها بذريعة أن لا جدوى منها وأن استقلال الجنوب سيُنجَز عبر المفاوضات والمؤتمرات وبالطرق السلمية.

لم يكن هناك بيت أفضل من الجامعة العربية (بيت العرب) يمكن مناقشة الموقف فيه، وما تتعرض له الثورة من مخاطر، واتخاذ الموقف الصحيح الذي يفتح الطريق لاستمرارها. وهكذا، كان علينا جميعاً أن نستعد لحضور اجتماع جامعة الدول العربية بأوراقنا، ووثائقنا، وأفكارنا، ومواقفنا في مارس من عام ١٩٦٥م، مؤيَّدين بدعم الثورة المسلحة وجماهير الشعب، وكان لافتاً أننا أيضاً حضرنا بملابسنا الكاكية وبأزيائنا الوطنية للمناطق التي ننتمي إليها: بيحان والضالع وعدن ودثينة ويافع وجبهات القتال المختلفة: الفُوَط، المآزر، العمائم والمعاوز، والخناجر. ولم ينسَ بعضنا أن يحمل معه النشوق والشمة بالإضافة إلى السجائر. بل إن أحد أعضاء الوفد، بعد أن شعر بأن جلسة الجامعة طالت أكثر من احتماله، أخرج علبة «النشوق» من تحت عمامته ووضع قليلاً من محتوياتها داخل أنفه واستنشقه بقوة، محدثاً صوتاً بالقرب من المجاور له!

لم نكن نعرف شيئاً عن «البروتوكول»، فنحن ندخل مبنى الجامعة لأول مرة، ومعظمنا إن لم يكن كلنا يدخل مصر للمرة الأولى. ولأول مرة، نلتقي السلاطين، وقيادات الرابطة وبقية الأحزاب وجهاً لوجه ومن سبقونا منذ الخمسينيات وأوائل الستينيات. وكان قد سبقنا إلى القاهرة السلطان علي عبد الكريم والسلطان أحمد الفضلي وبعض زعماء حزب الرابطة وآل فريد.

ولأول مرة أيضاً، كانوا يلتقطون لنا الصور، وتظهر صورنا في الصحف وعلى شاشة التلفاز. كان البعض يضحك غير مصدق. والبعض «يبهرر»[٥] أمام الكاميرات. البعض يحكّ أذنه، أو يدخل أصابعه داخل لحيته الكثة. وأحدهم يحاول أن يحكّ شعره، وكان قريباً مني،

(٥) يحدق بقوة.

فأمسكت بيده حتى ينتهي التصوير، لكن الشيء الجدير بالذكر أن كل شخصية من هذه الشخصيات كانت مخلصة لنفسها ولوطنها وثورتها، ومنسجمة مع ذاتها وتكوينها، ولم تحاول أن تصطنع شخصية أخرى لا تنتمي إليها.

على العكس، فإن الوفود الأخرى جاءت بكامل أناقتها وهندامها من البذلات الإفرنجية وربطات العنق، بينما جاء الثوار من جبهات القتال بملابسهم العسكرية والشعبية.

أما السيد محمد علي الجفري والشيخ محمد بن أبو بكر بن فريد والسلطان أحمد عبدالله الفضلي والسلطان علي عبد الكريم، فلا يمثلون إلا ماضيهم حينها، بعد أن تجاوزتهم الثورة المسلحة بقيادة الجبهة القومية. صحيح أن كلاً منهم كان له دور نضالي، مشهود في حينه، واتخذ موقفاً شجاعاً من بعض الأحداث، وترك الوطن نتيجة له، لكن إقامتهم الطويلة في القاهرة، بعيداً عن أرض الوطن، وساحات المعارك الحقيقية، جعلتهم في حالة أبعد عن الكفاح المسلح الذي تسانده مصر. وقد انعكس الرفض المتبادل نفسه على هذه الحالة. فبالمقابل، لم تعجبهم أشكالنا ولا هيئتنا، ولا تمثيلنا للمناطق ولا ظهورنا بهذه الملابس في قاعة الاجتماعات بجامعة الدول العربية. لكن أكثر ما أثارهم هو كيف يقف جمال عبد الناصر إلى جانبنا؟! إلى جانب هؤلاء الثوار؟! أو ثورة الدراويش! كما عبّر عن ذلك السيد عبد الله الأصنج، رئيس حزب الشعب الاشتراكي.



مارس 1965 جامعة الدول العربيسة
يظهر في الصورة لجنة الجنوب المحتل أثناء اجتماعها بممثلي الأحزاب



أحمد عبد الله الفضلي ثم عبد أحمد الحاملي

لقد خطفنا منهم الأضواء. وسلطت الكاميرات عدساتها وأضواءها الساطعة علينا نحن الجالسين في الصفوف الخلفية، بعمائمنا الكاكية، ومشادّنا الملونة، وذقون بعضنا الكثة الطويلة والعيون المكحلة، والخناجر المعقوفة. وخلف الخناجر كانت السكاكين وملاقط صغيرة لنتف شعر الذقن أو الشارب. باختصار، كنا نمثّل حالة غريبة بالنسبة إلى المصريين.

وكانت المآزر أو الفوط أو المعاوز التي نأتزرها تظهر سيقاننا، وكان شعر بعضنا كثيفاً، ونعالنا عريضة مفتوحة بدائية. وقد علّق أحد المصورين المصريين على أحدنا، وهو شيخ «قبلي» قائلاً: «شكله نصف ست ونصف راجل». ولحسن حظه لم يسمعه شيخنا الكبير، وإلا كان تلقى منه طعنة قاتلة!

كان الشيخ علي العريفي جالساً في قاعة الاجتماع بعمامته ولحيته وهيبته، وعلى كتفه شال، ويتمنطق خنجره، ويعلق «حبيته» على صدره، وكان بمعوزه القصير ومظهره هذا يبدو وكأنه جالس في مجلسه في بيحان، لا في قاعة اجتماعات جامعة الدول العربية المخصصة لرؤساء الدول والوزراء.

وفضل هرهرة، وهو من سلاطين يافع العليا، يَعْتَمُّ بعمامته الحرير، ويلبس معوزاً من الحرير المصنوع في لحج وقميصاً نظيفاً، ويبدو في هيئته هذه وكأنه في منطقته وبين أهله أمير من أمراء السلطنة اليافعية.

والشيخ محمد صالح الأزرقي معمم بعمامة حرير ملونة، ويضع خنجراً عند الخصر يلفّه قماش ملون، وفي فمه كانت تلمع سنّ ذهبية.

هذه نماذج من الذين كانوا يمثلون الطرف الآخر من وفدنا، أما نحن فقد كنا حالة أخرى، وكان الكاكي أبرز تعبير عن الحالة التي كنا نمثلها، وكأننا نسير في شوارع عدن أو تعز، لا في قاعة اجتماعات الجامعة العربية! وقد حرص المناضل قحطان الشعبي الذي كان يرأس وفد الجبهة القومية على أن نأتي بهذه الملابس التي تمثل الشعب في الجنوب من المهرة إلى عدن.

بدأ الاجتماع، ورأس الجلسة الأمين العام للجامعة السيد عبد الخالق حسونة(*)، وكان يجلس إلى جانبه سيد نوفل، الأمين العام المساعد، وعزت سليمان، رجل المخابرات المصرية الذي كان اسمه يثير الرعب في كل أنحاء الوطن العربي. كان عين عبد الناصر في

(*) عبد الخالق حسونة: دبلوماسي عربي وأمين عام سابق لجامعة الدول العربية، ولد عام ١٨٩٨م. خلف عبد الرحمن عزام في منصب الأمين العام لجامعة الدول العربية في عام ١٩٥٢م، أعيد انتخابه لهذا المنصب مرتين في ١٩٥٧م، ١٩٦٧م. وخلفه محمود رياض في ١٩٧٢م.

المنطقة العربية، والمشرف على ثورات الجزائر واليمن وظفار وليبيا وعمليات سرّية أخرى لا أحد يعرف عنها شيئاً.

## بن فريد والحبارى والصقور

كان الحديث عن الثورة في الجنوب وضرورة توحيد القوى الوطنية في جبهة واحدة تقاوم الاستعمار له الأولوية في الاجتماع. وبدأ وفد رابطة أبناء الجنوب العربي (محمد علي الجفري ومحمد بن فريد العولقي) الحديث، ولم يخفيا انزعاجهما من الثورة، ومن الجبهة القومية التي تقود الكفاح المسلح، وطبعاً من الحاضرين القادمين من جبهات القتال. قال أحدهم: نحن الذين حاربنا الاستعمار... ونحن الذين ضحينا وتشردنا وأنتم تحتضنون هؤلاء! في إشارة إلى احتضان القاهرة وعبد الناصر ثوار الجبهة القومية! ولما لم يجد تعليقاً من رئاسة الجامعة، علّق محمد أبو بكر بن فريد وقال:

- يا سيد نوفل: بلاد بها عمار لا بلها الحياء شبعت حباريها وجاعت صقورها!

وقصد بذلك أن «الرابطة» هي الصقور، «ونحن» في الجبهة القومية الحبارى، وهي ليست من الجوارح.

فتصدى له قاسم الزومحي(*)، فوقف من غير أن يطلب إذن الأمين العام للجامعة أو حتى موافقة رئيس وفدنا السيد قحطان الشعبي وقال: نحن الصقور، ونحن الذئاب الحمر الذين دوخنا الاستعمار في عدن وردفان والضالع والشعيب ودثينة وبيحان والصبيحة والحواشب و...

حاولوا إسكات قاسم الزومحي، ولكنهم عجزوا عن ذلك وصاح قائلاً: يا سيد نوفل هربنا من المشايخ والسلاطين في الجنوب، ووجدناهم أمامنا في الجامعة العربية!

فهدد السلطان علي عبد الكريم بالانسحاب من الاجتماع، وكذلك فعل الجفري وبن فريد إذ اعتبروا كلام الزومحي إهانة لهم، ولكنهم نسوا أنهم هم الذين بدؤوا بتوجيه الإهانة إلى وفد الجبهة القومية وإلى الثورة.

---

(*) أحد قادة حرب التحرير في ردفان.

أما السلطان الثائر الساخر أحمد عبد الله الفضلي، فقد كان يضحك من الجميع وعلى الجميع. ويقول بصوت خافت: «ودَّفنا معهم عيال!»، يقصد تورطنا مع الجميع.

وهدد قحطان الشعبي الجميع بصوت عال:

- ليس هناك طريق غير طريق الثورة المسلحة. فمن هو مع الثورة نحن معه. ومن هو ضدها فنحن في طلاق معه!

كان عزت سليمان يريد أن ينتزع من الاجتماع قراراً واعترافاً من الجامعة العربية بدعم الثورة المسلحة وإدانة نهج الرابطة أمام الرأي العام. وهذا ما حدث فعلاً في نهاية الاجتماع الذي انفضّ بعد الوصول إلى هذه النتيجة المهمة.

كان عدد كبير من الصحافيين والمصورين ينتظرون على باب القاعة النتائج التي سيخرج بها الاجتماع.

وقد كان موقف الأمين العام المساعد للجامعة العربية سيد نوفل، إيجابياً نزيهاً في إدارته للاجتماعات، حتى إنه أبدى تعاطفاً مع طروحات الجبهة القومية بشأن أولوية الكفاح المسلّح وضرورة اعتماد صياغة واضحة، ومارس ضغطاً على الأطراف الأخرى بهذا الصدد، غير أنه اصطدم بجدار السلاطين المؤثرين في وفد «منظمة التحرير في جنوب اليمن» والذين لم يتزحزحوا عن موقفهم المعارض للثورة المسلّحة. ولقد طرح سيد نوفل مشروعاً مقبولاً من حيث هو قاسم مشترك للآراء والبرامج ويناسب - بالحد الأدنى - ظروف الصراع مع الاستعمار البريطاني. وتضمن المشروع ثلاثة مستويات من الالتزامات، إذ أقرّت لجنة الجنوب المحتل المنبثقة من مجلس جامعة الدول العربية في تاريخ ١١ مارس عام ١٩٦٥م مبادئ ثلاثة يلتزمها أبناء الجنوب:

**أولاً**: الوقوف صفاً واحداً ضد الاستعمار البريطاني وأعماله العدوانية ومناوراته الخادعة والنضال المسلح المقدس ضده حتى يتم التخلص من جميع آثاره.

**ثانياً**: عدم الاستجابة لأية مؤثرات تدعو إليها الحكومة البريطانية إلا بعد اعترافها مقدماً بالمبادئ الآتية:

١- جلاء الجنود البريطانيين عن الجنوب المحتل وإزالة القاعدة البريطانية وتصفية جميع مظاهر الوجود الاستعماري.

٢- تنفيذ قرارات الأمم المتحدة والمبادئ الأساسية التي تضمنتها.

٣- أن يقرر الشعب مصيره في جوّ الحرية التامة وبإشراف الأمم المتحدة، سواء لنظام الحكم الذي يختاره أو الوحدة التي يرتضيها في النطاق العربي.

**ثالثاً**: عدم الاعتراف بأي اتفاق تجريه السلطات البريطانية مع غير الممثلين الشرعيين للبلاد.

لكن الشخصيات غير المشاركة في الثورة المسلحة لم توافقها هذه القرارات التي تؤكد الكفاح المسلح أسلوباً لتحقيق الحرية الحقيقية، وترفض المفاوضات التي لا يسلِّم الاستعمار فيها مقدماً بحق الشعب وباستعداده لتصفية القاعدة الاستعمارية.

وكان السيد قحطان محمد الشعبي قد طالب بما يأتي:

**أولاً**: أن يقر مجلس الجامعة العربية ميزانية محددة لمعركة التحرير المسلّحة في الجنوب.

**ثانياً**: أن تساعد الدول العربية معركة التحرير عسكرياً بالمشاركة في تسليح جيش التحرير بالأسلحة الضرورية في قتاله للعدو.

**ثالثاً**: تقديم الدعم للمشردين والمنكوبين في ردفان والضالع والحواشب وكذلك لأسر الشهداء.

**رابعاً**: أن تتبنى أجهزة الإعلام في الدول العربية قضية الجنوب على حقيقتها ومن واقع المعركة ذاتها.

**خامساً**: أن تتبنى الدول العربية قضية الجنوب على الصعيد الدولي.

**سادساً**: أن تعتمد الدول العربية، الجبهة القومية لتحرير الجنوب المحتل الممثلة الحقيقية لنضال الشعب العربي في الجنوب تماشياً مع إرادة الشعب في الجنوب ومع الواقع الذي يطرح نفسه بكل وضوح على الساحة نفسها.

وقد اعتبر الاجتماع ونتائجه، انتصاراً كبيراً للثورة المسلحة، وللجبهة القومية وللسيد قحطان الشعبي شخصياً الذي خرج من قاعة الاجتماع منُتشياً بالنصر، والصحفيون والمصورون يسيرون حوله وخلفه، وهو يتحدث إليهم بثقة.

كان أنيقاً، رشيقاً بملابسه الجميلة: البذلة وربطة العنق الحمراء. وكان من الطبيعي أن يكون الآن منتشياً وواثقاً من النصر، فقد ضمن تأييد الجامعة العربية للثورة المسلّحة التي يقودها ودعم هذه الثورة. وكانت الثورة في الجنوب تحتاج فعلاً إلى هذا الثقل العربي لتواصل مسيرتها الظافرة ضد الاستعمار البريطاني لإجلائه عن جنوب جزيرة العرب.

لم تكن هذه المرة الأولى التي تناقش فيها جامعة الدول العربية قضية الجنوب المحتل، بل كان الاجتماع امتداداً لمواقفها من قضية الجنوب. ويمكن أن أعرض هنا أهم القرارات التي اتخذتها.

## الجامعة العربية تدعم قضايانا

**موقف جامعة الدول العربية من قضية تحرير اليمن الجنوبي:**

كانت الإمبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس، قد استعمرت مدينة عدن في عهد الملكة فيكتوريا عام ١٨٣٩، واعتبرتها الجوهرة الثانية في التاج البريطاني بعد الهند، وكان السياسيون الإنكليز يراهنون على بقاء عدن تحت سيطرتهم لمئات السنين، ولتحقيق هذا الغرض أقام المستعمر سياجاً من (المحميات) حول عدن لتكون خط الدفاع الأول عن وجوده غير المشروع، وعزلها بل سلخها عن محيطها الطبيعي الممتد لآلاف السنين.

لكن هذه الأحلام الوردية تبخرت في زمن قصير نسبياً، وذلك حين لاحت في الأفق شرارة الثورة، وكان موقف الجامعة إلى جانب الثورة في الجنوب بقيادة الجبهة القومية امتداداً لمواقف الجامعة العربية.

كانت الجامعة العربية قد تأسست في الإسكندرية في ٧ أكتوبر ١٩٤٤، وحضر السيد حسين الكبسي مندوباً مستمعاً عن الإمام يحيى، وقدمت جامعة الدول العربية منذ بدايات تأسيسها دعمها السياسي المباشر لقضية تحرير الجنوب من الاحتلال البريطاني، وساهمت قرارات الجامعة في لفت الأنظار، وتسليط الأضواء عليها.

ولا يغيب عن البال أن أبناء الجنوب النائي من جزيرة العرب كانوا يفتقرون إلى المنابر السياسية والإعلامية التي تشرح قضيتهم وتدعم نضالهم المشروع ضد الاحتلال البريطاني، فشكل ظهور جامعة الدول العربية مكسباً كبيراً لحركة التحرر في الجنوب المحتل، حيث كانت الأصوات المنددة بالاستعمار والسلاطين المتعاونين معه تُسمع بوضوح في قرارات

الجامعة، وهو ما وفّر غطاءً سياسياً مهماً للمقاومة والعمل العسكري المسلح، تُوِّج في النهاية بخروج المستعمر مهاناً خائباً، وإعلان الاستقلال في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧.

يتضح مما سبق الدور الإيجابي الذي مارسته جامعة الدول العربية في قضية تحرير الجنوب، وقد حصلت على هذه القرارات بعد جهد كبير من أرشيف الجامعة العربية بهدف توثيق دور الشعب في الجنوب منذ الأربعينيات وحتى الاستقلال.

وبهذا العرض الموجز لدور الجامعة العربية، نعود إلى حال الذين شاركوا في المؤتمر بعد انتهاء أعماله حيث استعد موكب الثوار القادم من مختلف جبهات القتال للعودة إلى اليمن. أما أنا وبعض رفاقي، فقد كان علينا الاستعداد للذهاب إلى معسكر الحرس الوطني في مصر الجديدة، فحلمية الزيتون فمدرسة الصاعقة. وللصاعقة قصة تستحق أن تُروى.

قبل الالتحاق بمدرسة الصاعقة اجتمعنا مع قحطان محمد الشعبي في مكتب الجبهة القومية بعمارة الإيموبيليا[٦] التي تقع في قلب القاهرة الكبرى والتي كانت تُعَدّ في الأربعينيات والخمسينيات والستينيات من أجمل المباني التي شُيِّدت في مصر عند نقطة شارعي الشريف وقصر النيل، وعلمت حينها أنها سكن كبار الفنانين في مصر، وأيضاً فُتحت فيها مكاتب لأم كلثوم وعبد الحليم حافظ ونجيب الريحاني.



عمارة الإيموبيليا عام ١٩٦٥م





أمام عمارة الإيموبيليا عام ٢٠١٧م

---

(٦) عمارة الإيموبيليا: عمارة سكنية مشهورة تعتبر أضخم عمارة فى القاهرة الكبرى، وكانت السكن المفضل لمشاهير المجتمع من السياسيين والفنانين والرياضيين فى الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي. أشهر سكان العمارة: نجيب الريحانى - أنور وجدي - ليلى مراد - محمود المليجي - محمد عبد الوهاب - أسمهان - توفيق الحكيم - وغيرهم كثير.

وكان افتتاح المكتب عام ١٩٦٤م في هذا المبنى نقلة نوعية في العلاقات بين الجبهة القومية ومصر عبد الناصر. وكان يرتاد المكتب عدد من المثقفين والصحفيين وأعضاء من الأحزاب القومية والعربية التي كانت تتعاطف مع الثورة المسلحة في جنوب اليمن. واختيار المكتب في هذا المبنى يدلّ على اهتمام مصر بالجبهة القومية آنذاك. وافتتح السيد قحطان محمد الشعبي المكتب، وعمل معه عبد الملك إسماعيل ثم عبد الله الخامري وغيرهما من الشخصيات حتى أُغلق بعد الخلاف بين الجبهة القومية وجبهة التحرير وعملية صلاح الدين في تعز، وحينها انحازت مصر إلى جانب جبهة التحرير بقيادة عبد القوي مكاوي وأغلق حنفية المال والإعلام عن الجبهة القومية التي انشق عنها عدد من القيادات العسكرية والسياسية لمصلحة جبهة التحرير ومصلحة مصر عبد الناصر، واختارت الجبهة القومية حينها طريقاً آخر، هو الاعتماد على الشعب في معاركها السياسية والعسكرية والجماهيرية ضد الاستعمار والسلاطين حتى تحقق النصر في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م.

# الفصل الحادي عشر

## الصاعقة عام ١٩٦٥م...

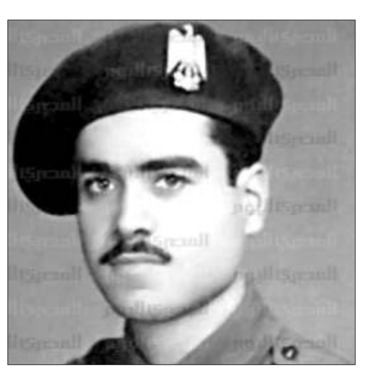
## مصنع الرجال

## تأهيل نفسي... وتدريب شاقّ

الطريق إلى مدرسة الصاعقة بأنشاص لا بد أن يمرّ بدورات للمستجدين أمثالنا قبل الدخول إليها. ومنذ لحظة الدخول، أحسسنا بأننا دخلنا إلى غابة من الأسود الكاسرة، كل من فيها يزأر بصرامة قاسية:

- لا دخان ولا نسوان... رجال الغابة والوديان... صاعقة... صاعقة. تضحية، فدا. مجد!

كانت هذه العبارات، التي تخرج من أفواههم، يتردد صداها في كل مكان، وتلخّص فلسفة رجال الصاعقة، ومفهومهم للحياة العسكرية، الشدة والصرامة، لا مكان للمريض والمدخنين، والضعيف، وكبار السن والكسالى، وأبناء الذوات في عالم الصاعقة الخاص القاسي والشديد.



**الفريق جلال الهريدي**
**الذي أسّس مدرسة الصاعقة ١٩٥٥م**

الدورات التي يتلقونها قبل الالتحاق بالصاعقة تعصرهم كما يعصر الإنسان حبّة الليمون، وما بقي بعد هذه الدورات العنيفة والمكثفة من اللحوم والشحوم الزائدة تتكفل به مدرسة الصاعقة، وقادتها ومدربوها، وفي مقدمتهم قائد مدرسة الصاعقة جلال الهريدي (الذي انحاز إلى عبد الحكيم عامر عام ١٩٦٧ وعُزل وسُجن بعد ذلك، كما حدثني في ذلك عند لقائي معه في منزلي عام ٢٠١٦)، والمقدم سعيد عثمان، و«الوحش»،

المقدم حسن العجيزي، وكان عسكرياً صارماً جداً لا يشفع ولا يرحم، ولا يسلم من رفساته وعنفه وشتائمه أحد في هذه الغابة المدرسة التي تُسمى «الصاعقة».

في مدرسة الرجال والأبطال هذه، تظهر القُوى الخارقة للإنسان التي لا تبرز إلا في الأوقات الصعبة، ولكنها تأتي نتيجة إعداد وتدريب بدني ونفسي طويلين، حتى يكون رجل الصاعقة مستعداً لمواجهة كل الظروف والاحتمالات الصعبة، ويتعامل بكفاية وبداهة، بما في ذلك أكل كل شيء يشاهدونه يدبّ على الأرض، وفي المقدمة الأفاعي والثعابين والضفادع والسحليات. ولا ينجو منه هنا إلا روح الإنسان وهيكله المكسوّ بما بقي من اللحوم بعد هذه الدورات العنيفة التي تصقله لكي يكون مستعداً ومؤهلاً للانتساب أو لشرف الانتساب إلى عالم الصاعقة التي شعارها «**العرق في التدريب يوفّر الدماء في المعارك**».

دورة الحرس الوطني في مصر الجديدة التي التحقنا بها أولاً، كانت نوعاً من الترويض استعداداً للدخول إلى عالم الصاعقة الذي لا نعرف عنه شيئاً حتى الآن. كل ما كنا نعرفه عن الصاعقة هو مشاهد قصيرة في الأفلام التي كنا نشاهدها في دور السينما في عدن، وتحديداً في (الجريدة العربية) الأخبارية المصورة، التي تسبق عرض أي فيلم من الأفلام.



**سينما شيناز - بلقيس لاحقاً**

كان الناس يحرصون على مشاهدة هذه الجريدة المصورة، ويصفقون بفرح شديد كلما ظهرت صورة عبد الناصر في خبر من أخبارها. وكانوا أيضاً يصفقون بإعجاب منقطع النظير لأبطال مصر عبد الناصر من رجال الصاعقة. من هنا، ربما، وُلد حلم أن نخوض هذه التجربة، فنأكل الثعابين والسحالي، ونعبر الموانع والمستنقعات والأسلاك الشائكة، ونخترق ألسنة اللهب والنيران، ونصعد السلالم والأبنية العالية بالحبال، ونقفز منها إلى الأرض، أو إلى

الترع، ونتسلق جبال عتاقة ومستنقعات أبو رواش ونعبر قناة السويس بالزوارق وغير ذلك. أخذنا الحلم وكنا نظنه بعيداً ومستحيلاً، فإذا به يتحقق في عام ١٩٦٥ عندما أشعرتنا قيادتنا في القاهرة برئاسة السيد قحطان الشعبي «الأمين العام للجبهة القومية» أن القيادة المصرية وافقت على إلحاق عدد منا بالصاعقة، ونزل الخبر على بعضنا كالصاعقة!

## أفراد الدورة

كان عدد الذين اختيروا للالتحاق بدورة الصاعقة تسعة فقط، وكنا جميعاً قادمين من جبهات القتال، إلا طالباً واحداً كان يدرس في المعهد العالي بشبرا، هو السيد علي سالم البيض.

كان الشيخ المناضل عبد الله المجعلي، أكبرنا سناً، وأكثرنا تجربة وخبرة في العلاقة مع المصريين. وكان عضواً قيادياً في الجبهة القومية، وصديقاً للقيادة المصرية في مدينة تعز، وقد اختير للدورة باعتباره من آل المجعلي، الذين اختلفوا مع السلطات المحلية في دثينة على زعامة قبيلة آل منصور وآل حسنة. فقد كان الشيخ علي هادي، منافسه، يعدّ نفسه أكثر ذكاءً ودهاءً من الشيخ والعاقل المجعلي الذي كان يعدّه قليل الخبرة والكفاءة، وبالتالي فهو أحقّ منه بالمشيخة. وبسبب هذا الخلاف وغيره لجأ المجعلي إلى البيضاء للاستعانة بالأئمة الزيود، وأصبح معارضاً للسلطات البريطانية، بل أصبح شيوعياً، أي متمرداً بمفهوم تلك الأيام حسبما كان يسميهم الحكّام البريطانيون في عدن والمحميات.

والسبب الآخر لترشيحه للدورة أنه عضو قيادي في الجبهة القومية التي تقود الكفاح المسلح. والأهم من كل ذلك، أنه صديق فخري عامر (قريب المشير عبد الحكيم عامر). وقد أصبح المجعلي بعد ذلك قائداً لقوات الحوبان، أو قوات جبهة التحرير التي شكلها المصريون بعد خلافهم مع الجبهة القومية. ومات بعد ذلك في حادث سيارة، في ظروف غامضة، وهو في طريقه إلى أبين. كان ذلك قبيل الاستقلال، وقد سقط في بداية الدورة وانكسر ضلعه ورسب في نهاية الدورة.

الشخص الثاني في الدورة هو هاشم عمر إسماعيل. وهو من أبناء مدينة عدن، وصديق علي محمد الشعبي. هرب من عدن بعد أن انسحب من انتخابات المجلس التشريعي وفضح مخططاته. وتحول إلى معارض للسلطات البريطانية. وكان عضواً في الجبهة القومية،


هاشم عمر إسماعيل

وشخصية اجتماعية معروفة في مدينة الشيخ عثمان. وكان أكثرنا خبرة وثقافة، وأناقة، ولباقة، وحركة، فكان الكل يحترمه. لكن البعض كان يثير حوله الشكوك - دون دليل طبعاً - بأنه مندسّ من المخابرات البريطانية، وذلك بحكم قرابته من ضابط البوليس محمد علي إسماعيل (ابن عمه). وبعد أن تعارفنا تحول في نظري إلى أخ وصديق عزيز. جمعتنا المصادفة، والثورة، والدورة فأصبحنا ثنائياً، نأكل ونقرأ، ونتحدث، ونناقش، ونتندر، وننتقد ونخزن معاً بعد عودتنا إلى تعز، ونسهر ونذهب إلى دور السينما وبعض المحلات العامة خلال العطل الرسمية في مصر. كان كبير السن، يدخن مثله مثل الشيخ المجعلي، والتدخين لم يمنعهما من الاشتراك في الدورة، لكنه لم يمكنهما من الاستمرار فيها حتى النهاية. وقد استشهد هاشم عمر إسماعيل في أثناء اشتراكه في فك الحصار عن صنعاء في نهاية عام ١٩٦٧م، وتحديداً في نقيل يسلح[١] على مشارف صنعاء.

وثالثنا، كان محمد أحمد البيشي. وهو من الضالع، ولكنه ولد في الحبشة. قصير، سمين، أسمر اللون، أنيق في مظهره، قليل الكلام، عميق، كتوم، أصلح ما يكون رجل أمن. ولهذا ربما رشحه رئيس الجمهورية السيد قحطان الشعبي بعد الاستقلال لجهاز الأمن، وهو ابن عم علي أحمد ناصر عنتر. وكان البيشي مقرباً من القيادة، وتحديداً من السيد قحطان الشعبي. وكان القائد الفعلي لجبهة الضالع، الكل يأتي تحت إمرته ويخضع لقيادته، بما في ذلك علي عنتر نفسه. وقد أصبح عضواً في المجلس العسكري للجبهة القومية. وآخر

---

(١) استشهد معه القائد سالم يسلم الهارش عولقي، قائد فرقة النجدة للتنظيم الشعبي، والشهيد القائد نصر بن سيف القطيبي أحد قادة ردفان في جبهة التحرير، والشهيد القائد اليافعي أحد قادة فرقة صلاح الدين، والقائد علي بن علي شكري، قائد فرقة الفتح وجبهة الصبيحة للتنظيم الشعبي، وجرح في هذه العملية عبد الله منصور الوليدي وأنقذه صالح حسن شايع، وكان معهم في هذه المعركة قادة بارزون أمثال بالليل بن راجح لبوزه، محمد أحمد محسن، علي عبد الله حسين، هادي محمد عامر، محمد مثنى عمر، فضل ناصر امذيب، مقبل سلام، محمد عبادي حسن، وأحمد سالم الزجر.

منصب تولاه هو قائم بأعمال السفارة في أديس أبابا، وذلك قبل أن يلقى حتفه في حادث طائرة الدبلوماسيين عام ١٩٧٣م.

ورابعنا، عبد الله مطلق. الشيخ والنقابي في مصافي عدن. تولى قبل ذلك القيادة العسكرية لجبهة حالمين في عام ١٩٦٤م. كانت قوته تكمن في أنه جاء من جبل القضاة بحالمين، وكان قائد الجبهة فيها. ولكن شهرته تأتي من أنه كان نقابياً مشهوراً أيضاً في مصفاة عدن، ومن مقارعته عبد الله الأصنج وعبد الله عبيد وشمشير وغيرهم من قادة المؤتمر العمالي ونقابة عمال المصفاة، ولهذا فُصل من عمله وجُمِّد، وعاد وقد أصبح عضواً في حركة القوميين العرب قبل التحاقه بالثورة. يمتاز بالبساطة والصراحة والشجاعة. وكان ناحل الجسم، طويل القامة، ما أهله لهذه الدورة في عام١٩٦٥م. اختلف مع الجبهة القومية في عام ١٩٦٦م، وانضم إلى جبهة التحرير. وحياته مليئة بالمتاعب والمصاعب حتى اليوم، ولكنه مشهور بالشجاعة والوفاء لأصدقائه.

وخامسنا، كان عبد الكريم الذيباني، القادم من ردفان، أولئك المقاتلون الأشاوس بالفطرة الذين انتقلت شهرة شجاعتهم إلى العالم كله عبر الثورة عندما أُطلق عليهم «الذئاب الحمر». قصير وبدين. وكان مثالاً للأخلاق وكرم النفس. اختير للالتحاق بالدورة لكي يمثل ردفان التي انطلقت منها الرصاصات الأولى للثورة. أصبح صديقي في الدورة، وظللنا أصدقاء حتى وفاته في أحداث يناير ١٩٨٦م، ولكنه بسبب بدانته التي لم يستطع التخلص منها واجه مصاعب خلال الدورة.

وسادسنا هو بخيت مليط، وهو من منطقة كرش - الصبيحة[٢]. كان ضابطاً في الجيش اليمني، التحق به بعد قيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢م. ذكي، مناور، لا يستقر على رأي، أو كلمة يقطعها على نفسه. ودوماً تجده يضحك ويتندر ويسخر، وأهم صفاته المزاح، ولكنه بشكل عام لطيف المعشر. وهو وأسرته وقبيلته من البداة المغيرين على الدروب وسالكيها في بلاد الصبيحة، كما هي حال قبيلة باكازم في أبين، وذلك معروف في اليمن بسبب الفقر والجوع في هاتين المنطقتين. وهم معروفون بالشجاعة.

(٢) وتعود جذور بخيط مليط إلى قرية عدن حمادة في مديرية الأزارق بالضالع.

وسابعنا في الدورة، كان عبد الرحمن راشد اليافعي. جاء إلى الدورة من جبهة يافع العُليا. وهو قليل الكلام. اشترك معنا في الدورة، وكان له إسهامه في الثورة. وقد انقطعت أخباره بعد ذلك.

وثامننا، السيد علي سالم البيض. ينتمي إلى سادة حضرموت، وُلد في قرية تسمى ريدة عبد الودود، شرقي السلطنة القعيطية بالقرب من المهرة، وكان الطالب الوحيد بيننا الذي كان عند التحاقه بالدورة لا يزال يدرس في المعهد العالي بشبرا، ولكنه قطع دراسته بعد ذلك وتفرغ للعمل النضالي داخل صفوف الجبهة القومية. طويل، نحيف، عَيَّنَه قحطان الشعبي مسؤولاً عن الدورة، وعُرف بطبع مزاجي، شديد العناد، وقد اختلف مع كل أفراد الدورة تقريباً. وكان عناده إحدى سمات شخصيته. ومن عناده أنه رفض أن يحلق شعره الأسود الفاحم الناعم الذي كانت خصلات كبيرة منه تتدلى على جبينه، ويخصّه بعناية خاصة. وكان يحركها بيده إلى أعلى في حركات تبدو غير إرادية، ولكنها مقصودة، وكان المرحوم صالح مصلح، وهو أصلع بعض الشيء، من المعجبين بشعر البيض، فكان يقول له مازحاً، وأحياناً ساخراً:

- ما رأيك يا بيض لو نتبادل الشعر؟!

فيقول: مُستعد، لكن رأس برأس!

فيردّ صالح مصلح:

- رأسك لك، وعقلك لك، فقط أشتي شعرك!

المهم أن مقصّ الحلاق كان لا بد من أن يمرَّ على كل رأس من أفراد الدورة، كما تقتضي الحياة العسكرية. وكان المقصّ يطير بالشعر بطريقة أزعجت البعض، والبيض أشدهم انزعاجاً. لكن شاباً فلسطينياً من غزة، وكان أحد الملتحقين الجدد بدورة الصاعقة في توقيت التحاقنا بها، أخذ يبكي بحرقة، عندما جزّ الحلاق له شعره، وأخذ يرميه إلى الأرض أمام عينيه. وكان له شعر أشقر جميل وكان وسيماً وجميلاً. ويبدو أنه كان خاطباً أو عاشقاً، وقد رفض أن يحلقوا له شعره، فما كان منهم إلا أن ضربوه ضرباً مبرحاً، ولكنه لم يبكِ إلا عندما قصوا له شعره الأشقر. حينها بكى بحرقة كمن فقد عزيزاً عليه، وأخذ يشتم المصريين، الفراعنة، وفلسطين على هذه الفعلة التي لا تغتفر في نظره. يبدو أنه كان أهون عليه لو فقد حياته ولم يفقد شعره! وقال إن فلسطين لن تتحرر بموسى الحلاقة.

أما التاسع، فكاتب هذه المذكرات[٣].

دخلنا إلى العنابر، كان علينا أن نصل إلى سررنا عبر الصعود إليها بالسلالم، لأن السرير يتكون من عدة طبقات. ثم توجهنا إلى الحمامات لنغسل وجوهنا، ولكن هذه الحمامات فوق ما تتصور، قذرة، ومظلمة، ورائحة العفونة فيها لا تطاق. ومن الصعب أن يمكث المرء فيها ثانية واحدة، ربما بسبب عدد طلاب الدورة الكبير والازدحام عليها أو إهمال المتدربين أو الإهمال المتعمد، مع أن الدين يأمرنا بالنظافة، فهربنا إلى الصحراء ونحن القادمون منها. طالبنا بالنظافة، ولكنهم أرغمونا على السكوت، فتقبلنا الأمر على مضض وتعوّدناه.

كان عددنا أكثر من خمسمئة في الدورة التي حملت الرقم ٨٠، وكنا ننتمي إلى عدة بلدان، منها الجنوب اليمني وفلسطين ومصر ومن أفريقيا السوداء، وكانت المدرسة تعجّ بكل الجنسيات العربية والأفريقية، وفي المقدمة قوات عين جالوت التي كانت تُعَدّ نواة لجيش التحرير الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية وزعيمها أحمد الشقيري رئيس اللجنة التنفيذية[٤] آنذاك.

الشباب الفلسطينيون في ذروة شبابهم ونشاطهم وحماستهم لقضيتهم ولشعبهم الفلسطيني الذي يقف إلى جانبه عبد الناصر، وكان الزعيم الشقيري بوعده بأنه سيقتسم معهم الرغيف وعبد الناصر يعني ما يقول باسمه وباسم شعبه وجيشه الذي يقاتل آنذاك في الجمهورية العربية اليمنية، فمنظمة التحرير الفلسطينية التي اعترف بها مؤتمر القمة العربي عام ١٩٦٤م تحظى بدعم عسكري كبير.

ولأول مرة يجري الاعتراف بالكيان الفلسطيني والجيش الفلسطيني بقيادة قائد الجيش اللواء وجيه المدني، وغالباً ما كان يجري حديث مع أفراد دورتنا رقم ٨٠ عن فلسطين واليمن ومصر، وكان الإجماع على أن معركتنا واحدة، ونحن في خندق واحد حتى تتحرر

---

(٣) في شهادة للأستاذ حسين عبدو عبد الله في ندوة الثورة اليمنية: أن مجموعة أرسلت للتدريب قبلنا إلى القاهرة عام ١٩٦١، ومنهم علي سعيد مصواط وعبد الرحمن القرشي وعبد الكريم عبده عبد الله ومجموعة أخرى، والتقى هناك بقادة من قادة الكفاح المسلح في قبرص، ومنهم جريفاس (قائد حرب العصابات) الذي أعطاهم سلاحاً وسرب السلاح إلى عدن على حد علمه واستخدم في عملية قنبلة المطار المشهورة.

(٤) صاحب فكرة اللاءات الثلاث في مؤتمر الخرطوم عام ١٩٦٧.

فلسطين ويتحرر الجنوب المحتل وكل الأراضي العربية المحتلة في وطننا العربي، وفي أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية.

في اليوم الأول للدورة، أيقظونا عند الفجر، وبدأنا التدريبات والتمارين القاسية. كانت لياقتي البدنية تسمح لي بالاشتراك في الدورة بكفاءة. ولم تكن لياقتي البدنية فحسب تؤهلني لذلك، بل كنت قد أتممت قبل ذلك دورة تدريبية عسكرية في تعز. وقد ساعدتني مهمتي الطويلة التي مشيتها سيراً على الأقدام في جبال فحمان وحلبان وكبران وعران في المنطقة الوسطى وسواها والتي استغرقت ثلاثة أشهر في منحي صلابة، كنت الآن في أمسّ الحاجة إليها، فضلاً عن أنني لم أكن في ذلك الوقت من المدخنين. وساعدني كل ذلك، بالإضافة إلى استعدادي النفسي وقوة إرادتي، على خوض تجربة الصاعقة من بدايتها إلى نهايتها، فيما رسب بقية زملائي في الدورة واحداً إثر آخرَ، وهذه حقيقة، وليس الهدف هو الإساءة إليهم. وكان الوحيد الذي أكمل معي الدورة هو محمد أحمد البيشي، في المسير الطويل الذي كان نهاية الدورة.

كان علينا أن نلبس الكاكي، أو «الميري» كما يسميه أخوتنا في مصر ونبدأ يومنا الشاق، وأسبوعاً أكثر مشقة. اليوم في الصاعقة بعام، والأسبوع بدهر. وكان علينا أن نجتاز اختبارات الثقة، القفز إلى البحر، الترعة، اجتياز الموانع المائية. وكان معظمنا لا يعرف السباحة. وكان علينا خلال بعض هذه التمارين أن نندفع من قارب مطاطي إلى تسلّق سلّم متحرك منصوب بين شجرتين عاليتين على ضفتي الترعة ونحن نهتف:

– صاعقة، صاعقة، تضحية. فداء. مجد. في البر، في البحر، في الجو!

مررنا بهذه التمارين القاسية عدة مرات. وفي المرة الأولى تمكن عبد الله المجعلي الذي كان أكبرنا سناً من تسلّق الحبل المشدود، ولكنه سقط في الترعة، وجرفه التيار. وكان لا يجيد السباحة، فاندفع المدربون خلفه كالتماسيح أو الدلافين وتمكنوا من إنقاذه، ولكنه كان قد أصيب بكسر في أحد أضلاعه، فأُسعِفَ وعولِجَ وأُعيد إلى الدورة من جديد، رغم أنفه وأنف الجميع. لم يشفع له ضلعه المكسور، ولا كبر سنه، ولا صيحاته وأنينه، ولا تعاطفنا معه ومع مرضه، فالأوامر هي الأوامر، والعسكرية هي العسكرية.

أما بخيت مليط، فقد تسلّق السلالم المتحركة وأخذ يصيح: صاعقة في البحر، في البحر في البحر...

فصرخ به المدرب من تحت: يا ابن الــ... ما أنا عارف أنك في البحر... قول الباقي!

تسلق سلّمين ووقع على بطنه في الترعة، وغاص وسحبه التيار، ولكن المدربين أنقذوه وأعادوه إلى القارب المطاطي.

وهكذا، لم يكن حظ كثيرين بأفضل منهما. وكنت وعلي البيض وعبد الله مطلق الوحيدين الذين ثبتوا خلال هذه التمارين. وكان بعضنا ينجح في تسلّق السلم وكأنه قرد، أو لاعب في سيرك. وقد علّق أحد المتدربين عندما رآني أتسلق السلالم بخفة بأنني كنت أعمل في السيرك، وطبعاً لم أعرف السيرك في حياتي كلها، ولكنني اتبعت تعليمات المدرب الذي نصحنا بأن ننظر إلى أعلى نهاية السلم ولا ننظر إلى الأسفل، لأن النظر إلى تحت سيصيبنا بالدوار والخوف فتنهار قوانا ونسقط.

على هذه الوتيرة كنا نحيا ونزمجر: صاعقة صاعقة، تضحية، فداء، مجد! ونتعلم في كل يوم شيئاً جديداً، ونحقق تقدماً ما. وفي أحد الأيام عدنا متأخرين إلى مدرسة الصاعقة، نحو الساعة الخامسة بعد العصر. وعقاباً لنا على ذلك، أمرنا الضابط المسؤول بأن نزحف أكثر من كيلومتر على بطوننا وعلى أكواعنا وركبنا. وعندما أنهينا هذه العقوبة القاسية ووصلنا إلى المطعم، طلب منا الضابط أن ننهض ونتقدم لتناول الطعام. وما إن وضع الطعام أمامنا حتى صاح فينا الضابط: اشتغلوا.

أي كلوا. وأخذ يعدّ من واحد إلى عشرة، وصرخ مجدداً: انهض.

فنهضنا قبل أن نتمكن من تناول أي شيء من الطعام سوى الحليب، وانصرفنا نحو الساعة السابعة مساءً لنعود مرة أخرى إلى الغداء أو العشاء، وكان الذباب دائماً ضيفاً ثقيلاً غير مرغوب فيه يحلّق ويحطّ فوق الأطباق والصحون، وكان علينا أن نأكل، ونشرب، ونغسل الصحون، ونمسح ذقوننا من بقايا الأرزّ والشوربة دون أن نتذمر ونرتب سررنا.

هذه هي الحياة العسكرية، وحياة الصاعقة تحديداً، برنامج مكثف من التمارين والتدريبات الشاقة والعنيفة جداً، لا يحتملها إلا من كان عنده لياقة بدنية عالية، وأهم من ذلك، من يتمتع بالصحة والشباب، والإرادة العالية، والطاعة، والانضباط الحديدي. وكان علينا اجتياز هذه الدورة، وقد اجتزتها بنجاح، من مستنقعات أبو رواش بالقرب من القاهرة، وكان من

ضمن دورة الصاعقة أكل الثعابين، والجري ١١ كيلومتراً كل صباح في سباق الضاحية، والصراخ: «صاعقة صاعقة» والقفز من عربة لوري تسير بسرعة ستين كيلومتراً، واجتياز الموانع والأسلاك الكهربائية، والقيام بالتفجيرات. وفي ختام دورة الصاعقة كان علينا أن نكمل المسير الطويل (٩٦ كم) من مدرسة الصاعقة إلى جبال عتاقة وجبال عبد الله وتسلّق الجبال والسير في الرمال وسط طقس يوليو (تموز) الحارّ حتى الوصول إلى الكيلومتر ١٠١ الذي توقفنا فيه للاستراحة وتجميع كل الذين سقطوا في المسير ونقلهم إلى الكيلومتر ١٠١ وحرمانهم استكمال المسير وإرسالهم إلى مدرسة الصاعقة بالسيارات ونقل بعض المرضى إلى المستشفيات، كعلي سالم البيض وغيره من أفراد الدورة. بعد ذلك واصلنا المسير في الطريق إلى قناة السويس[٥] والإبحار فيها بقوارب صغيرة لأكثر من ثلاث ساعات تُوّجت بإنزال لتدمير مدفعية ساحلية على البحر، وكانت هذه المرة الأولى التي أشاهد فيها قناة السويس التي ارتبط اسمها بحرب السويس عام ١٩٥٦م، وكانت تلك العملية ختام المسير الذي استمر لأكثر من ٣٦ ساعة، أنهكنا فيه بالسير والسهر والعطش والجوع والاكتفاء بالأكل الجاف الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، ما أدى إلى سقوط عدد كبير من أفراد الدورة رقم ٨٠، والذين سقطوا في هذا المسير حُرموا الحصول على شهادة مدرسة الصاعقة، وبقي معي في إكمال هذه الدورة السيد محمد أحمد البيشي.

دورات الصاعقة هي من أعنف الدورات العسكرية في مصر وخارجها، وهي مصنع حقيقي لصنع الرجال والأبطال الذين شارك الكثيرون منهم في الحروب ضد إسرائيل، وفي حرب اليمن والكونغو وفلسطين والجزائر والكونغوبرازفيل وفي معظم القارة الأفريقية وسواها.

(٥) قناة السويس: حسب كتاب هيرودوت، كان أول من فكر في وصل البحرين من طريق قناة هو الفرعون نخاو، لكن كاهنة معبد دلفي في اليونان كان ردّها بأن هذا العمل ستكون نتيجته تسليم البلاد للبرابرة فتوقف. وجاءت تسمية السويس نسبة إلى الفرعون المصري بيثومثم سويس وهي قناة طولها ١٦٥كم وعرضها ١٩٠م وعمقها ٥٨ قدم. بُدئ في بنائها عام ١٨٥٩م والانتهاء في عام ١٨٦٩م في عهد الخديوي إسماعيل، عمل في بنائها نحو مليون عامل مات منهم نحوا الـ ١٢٥ ألف عامل، كانت تكاليف بنائها ٣٦٩ مليون فرنك فرنسي ومعظم العمال كانوا عمال سخرة يأتون من كل أنحاء مصر سير على الأقدام وهم يحملون على أكتافهم أكلهم وملابسهم وأكفانهم ودخلت مصر بعد شق القناة مرحلة جديدة تحت النفوذ الغربي ولم تتحرر إلا عام ١٩٥٦ بجلاء القواعد البريطانية وتأميم قناة السويس.

وقد خلفنا ذكريات كثيرة وراءنا لا تزال من مخزون العمر الذي لا يُنسى. ومن ذلك، الرفسة التي تلقاها البيض على وجهه من أحد المدربين في اليوم الأخير للدورة، حيث نُقل بسيارة لإسعافه. وقد تركت هذه الحادثة أثراً سيئاً في نفسه وكراهية للمصريين لازمته ربما طوال حياته، وقد ذكرها لي الرئيس جمال عبد الناصر عندما حذّر علي سالم البيض الليبيين من المصريين بعد قيام ثورة الفاتح. وأُسر بخيت مليط في كمين نُصب لنا خلال التدريبات، وغرق عبد الله مطلق والذيباني في المستنقعات، وتمزّق حذاء هاشم عمر إسماعيل في أحد التدريبات العنيفة جداً في مسير الـ ٩٦ كيلومتراً، وغيره من زملائنا المصريين والفلسطينيين والأفارقة الذين كانوا يرفضون نقلهم إلى معسكراتهم إلاَّ بعد إكمال الدورة.

كل هذا وغيره مما لا يمكن أن تنساه ذاكرتي، لكن هذه المذكرات قد لا تتسع لها جميعاً.

ولكن أهم هذه الذكريات هي الأصوات التي كانت ترتفع بالصراخ والبكاء من قبل البعض، وضربات الشمس التي أسقطت بطل فلسطين بالملاكمة بالقرب من السويس، ومنظر بخيت مليط وهو يصيح في أبو رواش من ضرب المدربين له، حيث أُسرّ واعترف مخالفاً للتوجيهات، ولهذا استحق «ألم» كما يقول المصريون، ومنظر عبد الله مطلق وهو يصيح: «الموت في جبل القضاة بحالمين أفضل من الموت في أرض الفراعنة». لم أسمع وصف المصريين بالفراعنة من زملائي الفلسطينيين واليمنيين إلا في اللحظات الصعبة من تدريب الصاعقة، أما في الأيام العادية التي نقضيها في القاهرة، فمصر هي أم الدنيا وجنة الله على الأرض وقلعة النضال.

## من الصاعقة إلى تعز

صهرتني الصاعقة بتدريباتها العنيفة، وإعدادها العسكري، وأكسبتنا جميعاً خبرة جديدة لم نكن لنحصل عليها في أي مكان آخر. وساعدتنا كثيراً في مهماتنا الجديدة التي كانت تنتظرنا في جبهات القتال مع القوات الاستعمارية.

في نهاية ١٩٦٥م وبداية عام ١٩٦٦م أخذت الثورة من تعز إلى عدن تشهد أوضاعاً مؤثرة، وتعرضت لأجواء مسمومة وبدأت الخلافات تدبّ في جبهات القتال وتهدد وحدة المقاتلين بعد النجاحات الكبيرة التي أخذت تتحقق ضد قوات الاحتلال البريطاني والسلطات المحلية

في أكثر من مكان. وجوهر المشكلة يكمن في الطبخة التي كان يُعَدّ لها بدمج ما يسمى منظمة التحرير في جنوب اليمن مع الجبهة القومية في تنظيم واحد هو «جبهة التحرير».

## مكاوي والأصنج

وضمن هذا السيناريو الذي كانت تطبخه وتُعِدّ له قيادة عملية صلاح الدين، كان يتعين منح القيادة للسيد عبد القوي مكاوي. لكن قبل الإقدام على خطوة كهذه، كان لا بد أولاً من ترويض الجبهة القومية وتدجين مقاتليها الذين كانوا يرفضون دمجاً من هذا النوع، ويحسّون بالأضرار التي سيلحقها بالثورة وبالكفاح المسلح تحديداً. كان لمخاوف المقاتلين منطلقات وأسس يستندون إليها في رفض هذا الدمج. فمنظمة التحرير في جنوب اليمن لم يكن لها وجود أو تأثير في ساحات جبهات القتال، ولم يكن للسيدين عبد القوى مكاوي وعبد الله الأصنج ذلك الوجود المؤثر في جبهات القتال بحيث يتصدران قيادة الثورة. وكان لهما تأثيرهما في عدن في وقت ما، وخاصة عبد الله الأصنج الذي كان نجماً في التجربة العمالية في عدن والتجربة العمالية العربية والعالمية، لكنه لم يكن يصلح زعيماً لثورة مسلّحة.

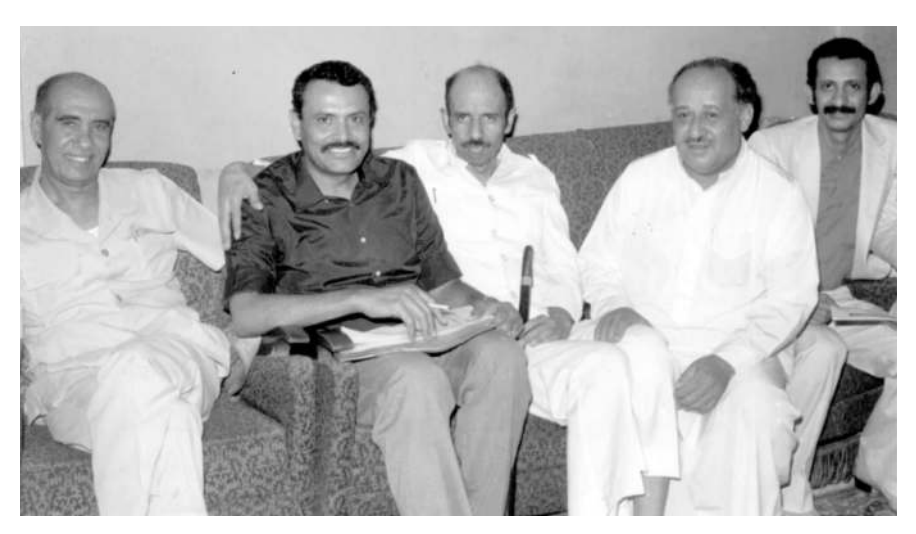
كان عبد القوي مكاوي، المرشح لقيادة (جبهة التحرير) المزمع قيامها بعد توحيد منظمة التحرير بالجبهة القومية، قد استمد بعض السمعة بعد استقالته من حكومة عدن وإصدار بيان يشرح فيه أسباب استقالته. وإضافة إلى ذلك، استمد بعض القوة من علاقته بالقيادة في صنعاء والهالة الدعائية التي أحاطته بها أجهزة الإعلام المصرية ذات التأثير القوي بعد تلك الاستقالة، مصورة إياه بطلاً وطنياً. ونحن لا نشكك في وطنيته، ولكنه ليس له علاقة بالثورة المسلّحة وجبهات القتال في مستعمرة عدن والمحميات، وهذا سرّ قوة قحطان محمد الشعبي.

في تلك الأيام الحاسمة، كنا مشغولين بهذا الحدث الداهم على مستوى القيادات، وكذلك على مستوى القواعد. وفي الوقت الذي كان يرى فيه عدد قليل بعض الفوائد، فإن الغالبية من القيادة والقواعد، وتحديداً المقاتلين في جبهات القتال، كانوا يرون في خطوة كهذه أنها ستلحق خسائر فادحة بالثورة وتضعف معركتنا مع الاستعمار. وصعّد ذلك حرارة الخلاف داخل الجبهة القومية.

كان علينا أولاً أن نواجه الخلافات داخل جبهتنا.

وثانياً أن نواجه مخططات الدمج في جبهة غير قائمة على صعيد الميدان إلا شكلاً واسماً صنعه الإعلام السياسي، ودورها لم يكن قد برز عند بداياتها الأولى.

لكن الشيء الأخطر، أنّ الخلافات في الصف القيادي كانت أعمق مما كنا نظن، حيث تمكّنت القيادة المصرية التي تقود عملية (صلاح الدين) بإقناع البعض من قيادتنا بالتوقيع على بيان الدمج الصادر في ١٣ يناير ١٩٦٦م، متُجاهلة التشاور والحصول على موافقة بقية أعضاء المكتب التنفيذي للجبهة القومية، وهم الأغلبية. وكذلك تجاهلت موافقة السيد قحطان الشعبي، الأمين العام للجبهة الذي كان يرفض هذه الخطوة بشدة. والثلاثة الذين وقّعوا على بيان الدمج هم السادة: علي السلّامي، طه مقبل، وسالم زين محمد.



**من اليسار إلى اليمين قيادات جبهة التحرير: طه أحمد مقبل، سيف محمد فضل، وسالم زين محمد**

كذلك فقد أهمل الموقعون على البيان الأخذ بالاعتبار مواقف قيادات جبهات القتال الذين كانوا ضد هذه الخطوة على طول الخط.

هذه الخلافات خلقت أجواءً من الشك، سرعان ما عكست نفسها على أوضاعنا الداخلية. وكان هذا أخطر ما في الموضوع، أن ننشغل بمواجهة بعضنا لبعض بدلاً من مجابهة العدو الذي لا يزال قوياً ولا يزال يحتل أرضنا الحبيبة في الجنوب.

ويبدو لي أن القيادة كانت تستشعر خطورة ما يجري، فقد استدعانا السيد قحطان الشعبي،

الأمين العام للجبهة القومية، على عجل لاجتماع معه، وطلب منا أن نتوجه من فورنا إلى جبهات القتال مع بعض من أعضاء المكتب التنفيذي. وتنفيذاً لتوجيهات القيادة، تحركنا إلى جبهات القتال، وأُسندت إليّ مسؤولية المنطقة الشرقية هذه المرة.

## من تعز إلى بيحان والعكس

تلقيت أمر القيادة والقائد السيد قحطان الشعبي بالتوجه إلى الجبهة الشرقية وتحمُّل مسؤولية القيادة فيها، وجمعت رفاقي في هذه المهمة وهم الأخوة: علي محمد الشعبي، عبد ربه ناصر الرقابي، أحمد علي عبد الرب (غسان) وآخرون. وجمعت المال والسلاح للمقاتلين في جبهات القتال. كان الوقت شتاءً، وتحديداً نهاية عام ١٩٦٥م، وقد حمّلنا السيارة التويوتا فوق طاقة تحمّلها بالذخائر والأسلحة، والألغام والقنابل والرشاشات، وتحركنا ليلاً من تعز. وكان علينا أن نمرّ بإب، فيريم، فرداع، فالسوادية، فأرض الملاجم فبني وهب. وفي الطريق توقفنا للنوم وتناول الطعام في منزل في يريم، أو لعلها كانت قهوة ومنزلاً لأحد المواطنين فيها. وقد بدد القمل والبقّ الذي هاجم أجسامنا كل أثر للنوم من عيوننا وظللتُ مُستيقظاً ويقظاً حتى سمعت المؤذن يؤذن لصلاة الفجر، فأدينا الصلاة حيث شددنا الرحال بعدها هرباً من هذا المستنقع، ومن هذه القرية التي نبشوا فيها قبر أحد رفاق «نيبور»[٦] كما جاء في ذكرياته التي سجلها في كتابه: «من كوبنهاغن إلى صنعاء». ولم نتوقف إلاّ في مدينة رداع بعد أن قطعنا طرقاً مترية صعبة وقاحلة، واستنشقنا رغماً عنا الأتربة الناعمة التي كانت تخترق أنوفنا، ومنها إلى الرئتين.

الطقس في رداع كان جميلاً، والأكل لذيذاً جداً، وكان القات ألذّ طبعاً بعد هذه الرحلة الصعبة. كان علي الشعبي، وهو عضو لجنة تنفيذية، قد اتخذ له مكاناً في هذا المنزل الذي كان عبارة عن مطعم ومسكن في نفس الوقت كغيره من المدن والقرى تديره نساء كسعيدة في ثغرة وأمهيلة في البيضاء، إذ ليس في مثل هذه المدن الصغيرة فنادق أو لوكندات للمنامة.

---

(٦) نيبور: كارستن نيبور (بالألمانية): Carsten Niebuhr مستكشف ورياضي وعالم خرائط ألماني عمل في خدمة الدولة الدانماركية، عاش في الفترة ما بين ١٧ مارس ١٧٣٣ و٢٦ أبريل ١٨١٥. ولد كارستن نيبور في قرية بشمال غرب ألمانيا في سكسونيا السفلى، عمل فلاحاً في مزرعته أول سنين حياته، ثم أظهر ميلاً لدراسة الرياضيات وتلقى بعض الدروس في علم المساحة والخرائط.

وعلى يمينه اتكأ الرقابي. أما أنا وصديقي «غسان» أحمد علي عبد الرب، ابن رداع، فقد ذهبنا إلى منزل يعود لأحد أقاربه ونمنا عندهم حتى اليوم التالي.

## في ضيافة الشيخ الوهبي

من رداع توجهنا إلى بلاد الملاجم وبني وهب، ونزلنا ضيوفاً على الشيخ صالح حسين الوهبي (خال الرقابي) ونحن بحمولتنا من السلاح والقنابل ومدافع الهاون والألغام والرشاشات. وكان الرجل مضيافاً، وقد استقبلنا بحرارة، برغم أنه كان لا يخفي إعجابه بالبريطانيين وبشريف بيحان أكثر مما يحب النظام الجمهوري الذي هو جزء منه. لكنه كان صادقاً ولم يُخفِ عنا ميوله هذه، كذلك لم يمنعه ذلك من استقبالنا واستضافتنا في منزله، برغم علمه من نحن، وفي مقدمتنا ابن اخته عبد ربه ناصر الرقابي، وأننا نكافح ضد الاستعمار الذي يتعاطف معه!

رحب بنا الرجل، واعتذر لنا قائلاً: إننا وصلنا في وقت هو بين الغداء والعشاء، وما علينا سوى التحلي بالصبر والانتظار حتى يعدوا لنا طعام العشاء، وحتى لا نشعر بالملل فقد دعانا للخروج معه إلى خارج المنزل للنصع (إصابة بعض الأهداف الثابتة بالرصاص قتلاً للوقت)، وقد امتثلنا لأمره دون أن نناقشه في ذلك. كذلك لم نعرف إن كان جاداً أو أنه يمزح فقط.



صالح بن صالح الوهبي

كان الشيخ الوهبي يملك مخزناً خاصاً بالسلاح، وقد ملأه بكافة أنواع الأسلحة، من القنابل إلى الرشاشات إلى المدافع. ولا يخلو بيت من بيوت اليمن من مخزن كهذا، بل إن ظهور الرجال هي عبارة عن ترسانات متنقلة للسلاح، حيث ترى الرجل مدججاً بعدته من السلاح المكون من بندقية أو رشاش، وحزام أو حزامين من الطلقات أو الأعيرة النارية، ومسدس، وبعضهم يضيف بعض القنابل إلى ذلك. طبعاً، بالإضافة إلى السلاح الأبيض «الجنبية» التي من دونها لا يعتبرون الرجل رجلاً.

طلب إلينا الشيخ أن نختار من مخزنه السلاح الذي نريد للنصع (للهدف)، لكننا تصرفنا

على نحو جاد، فلم نأخذ منه شيئاً. فتقدم الشيخ الوهبي واختار بندقية من النوع الذي يسمى «بلجيك» وخرج فخرجنا في أثره، وشرع في تجهيز عدة أهداف من العظام والحجارة البيضاء، وحدد لكل منا هدفاً محدداً، وطلب منا نحن الضيوف أولاً أن نبدأ بإطلاق النار على الأهداف الثابتة، وكان علي الشعبي أول من بدأ إطلاق النار ولكنه أخطأ الهدف ولم يتمكن من إصابته. ورأيت المرافقين للشيخ وهم يتهامسون عليه. وربما كان لسان حالهم يقول: أي ثوار هؤلاء الذين لا يستطيعون إصابة هدف ثابت؟! وتقدم غسان، لكنه أيضاً أخفق في إصابة الهدف الذي حدد له بعد أن أطلق عليه خمس طلقات، وهو العدد الذي حُدِّد لكل واحد منا. وقام ونفض مخزنه كما يقال بيده من الطين. وتعالى الهمس والغمز واللمز من جديد!

## رامٍ ماهر

وجاء دوري، وشعرت بعيون الجميع تتجه نحوي. وربما لتأجيل هذه اللحظة، أو لكسب بعض الوقت ألهمت في التوّ فالتفتُ نحو الشيخ الوهبي وقلت:

- الشيخ أولاً، فهو أكبرنا سناً!

ولكن الشيخ الذي لم يكن غبياً لم تنطل عليه هذه الحيلة، فاعتذر بإصرار وطلب مني أن أتقدم لإصابة الهدف المحدد باعتبارنا ضيوفه والأولوية لنا.

لا أخفي أنني كنت خائفاً من التعرض لهذا الاختبار القاسي الذي تعرض له زملائي من قبلي، وكنت مشفقاً على نفسي من أن أتعرض للهزء والسخرية من جماعة الشيخ إن أنا أخطأت الهدف مثلما حدث لبقية زملائي. وكنت أعرف أن امتلاك السلاح وإتقان استخدامه هي من أولويات اليمني في حياته، وأحياناً يأتي ذلك قبل الطعام والشراب والتعليم. كنت الآن أمام اختبار قاسٍ جداً، ليس لشخصي فحسب، بل إن الثوار والمُقاتلين الذين كنت واحداً منهم كانوا الآن يقفون معي على كفة الميزان. ولم أكن لأقبل أن يتعرضوا لمزيد من الهزء، وإن كانت إصابة هذه الأهداف ليست مقياساً لمعركتنا مع العدو، لكن في نظر الشيخ، ومن معه من أفراد القبيلة الذين كانوا يتسلون بنا ويضحكون علينا، كان الأمر كذلك، ربما!

وهكذا حزمت أمري، ومستجمعاً كل خبرتي في استخدام السلاح خلال التدريبات في تعز ودورة الصاعقة في مصر، صوبت البندقية وأطلقت الطلقة، فأصبت الهدف من الطلقة

الأولى، طار العظم واختفت شظاياه في الهواء، وتعالت صيحات الاستحسان والتصفيق من أصحابي ومن جماعة الشيخ الذي ربما فوجئ لإصابتي للهدف بهذا الإتقان.

ومرة أخرى تقدم مني الشيخ وقال، وكأنه يعرضني لمزيد من الاختبار:

- خلِّص على أهداف أصحابك.

ولكني اعتذرت عن عدم القيام بذلك بإصرار، خشية أن أفسد على نفسي ما حققته من نجاح بإصابة هدفي من الطلقة الأولى. حينها تقدم الشيخ الوهبي وأطلق النار فأصاب جميع الأهداف. كل هدف بطلقة واحدة. والحقيقة أنه أثبت أنه رامٍ ماهر. ولم أستغرب ذلك، فالشيخ وأولاده يتعلمون استخدام السلاح والرماية منذ نعومة أظفارهم، وهم يجمعون السلاح والذخائر من الجمهوريين والملكيين على حد سواء، ومن الإنكليز، ومن شريف بيحان الذي يعتبره الشيخ أفضل حاكم عربي[٧]! وكنا نحن في طريقنا إلى إمارة بيحان، لمهاجمة المراكز الحكومية التابعة لإمارته ودار حديث بيننا وبين الشيخ وأصحابه عن الشيوعية والشيوعيين، وكانوا يعتبرون كل من هو جمهوري شيوعياً، وكل مصري شيوعياً! وكان علينا أن نوضح لهم أن هذه التهم هي التي يريد الاستعمار والقوى الملكية إلصاقها بالثوار والمصريين ولا أساس لها من الصحة، وأنها جزء من حرب دعائية ونفسية لعزل الثوار عن الشعب وعن سندهم القوي مصر لتسهل هزيمة الثورة والجمهورية. كان الرجل يمسك براديو ترانزستور ينتقل من محطة إلى محطة، ومن نشرة إذاعة لندن إلى إذاعة إسرائيل وإلى نشرة أخرى وهكذا. وقال إن إذاعة لندن واليهود تورِدان أخباراً صحيحة، وكأنه كان يشير إلى المبالغة في أخبار صوت العرب!

## قصة عمرها ٢٥٠ سنة

لم نتعرف إلى الكثير من ملامح بني وهب، لقصر بقائنا فيها. كنا في عجلة من أمرنا لإيصال السلاح إلى الثوار في الجنوب، لكني بعد ذلك بفترة عرفت بعض الجوانب المجهولة التي اختزنتها ذاكرة بعض أبنائها، أو حفظتها من شعر شعرائها، والتي تعكس حالة بني وهب في زمن بعيد، وطبيعة العلاقات الاجتماعية والإنسانية والقبلية السائدة فيها.

(٧) ويقال إنه من أشراف الجوف.

روى لي شاعر صديق هو محمد عبد الواسع حميد قصة لا تصدق حدثت قبل ٢٥٠ عاماً تقريباً، حيث من المفترض أن يؤدي الدفاع عن العرض دوراً لا حدود له في العلاقة في المجتمع القبلي كما كانت عليه قبيلة بني وهب وسواها من مناطق اليمن التي ظلت بمنأى عن تيارات العصر ورياحه.

كانت ذاكرتي في أوج يقظتها، ولا أظن أنني سمعت أو قرأت قصة مماثلة في حياتي. والحادثة أو القصة كما رواها لي الشاعر الوزير والسفير محمد عبد الواسع حميد الذي يتمتع بذاكرة حديدية ويحفظ أكثر من ٥٠٠٠ بيت من الشعر - كما يقول - بالرغم من تقدمه في العمر، عاد ورواها لي أحد أحفاد الشاعر عبد ربه العواضي، وهو الشيخ صالح بن صالح الوهبي[٨].

تقول القصة إن أحد الشعراء من بني وهب تناهى إليه أن أحد سكان المنطقة لديه زوجة في غاية الجمال والحُسن، فقرر بينه وبين نفسه أن يراها مهما كلفه الأمر، فنزل ضيفاً على الزوج مع جمع من قومه وأصدقائه، وكما هي حال اليمنيين والعرب عموماً فقد قام الزوج بواجب الضيافة نحو ضيوفه، وحين سألهم إذا كان من بينهم من يجيد الذبح، أشاروا إلى ذلك الشاعر الذي سبق أن اتفق معهم على أنه الوحيد الذي يجيد الذبح، والبعض يقول: «من لا يذبح شاته ويخزم حذاته موته خير له من حياته»، فقام من فوره وذبح الذبيحة وسلخ جلدها وقطع لحمها، ثم أدخله إلى المطبخ... ولم يكن يتوقع ما رآه... امرأة في غاية الجمال كأنها البدر في ليل تمامه، كما يقال، ولم يتمالك نفسه، وبشغف منقطع النظير أقدم على تقبيلها في خدها! وفجأة أمام ذهول المرأة التي لم تكن تتوقع ما حدث وذهول الشاعر المصدوم، دخل زوج المرأة إلى المطبخ في نفس اللحظة التي كان يقبّل فيها زوجته قبلة خاطفة.

الغريب أن الشاعر الولهان فوجئ بما لم يكن يتوقعه، إذ بدلاً من أن يقدم الزوج على ضربه أو تعنيفه، أو حتى قتله انتقاماً لعرضه وشرفه، وهي الحالة الطبيعية في مجتمع قبلي محافظ لمجتمع بني وهب في ذلك الزمن البعيد، قال له: ثنِّ!

---

(٨) الشيخ صالح بن صالح الوهبي، هو أحد أحفاد الشيخ عبد ربه الوهبي الذي دارت حوله قصتنا، وهو صالح بن صالح بن حسين بن عبد أحمد بن ضيف الله بن علي بن أحمد بن عمر بن منصور بن عبد ربه الوهبي الذي حدثت معه هذه الواقعة قبل ٢٥٠ عاماً تقريباً.

أي زدها قُبلة أخرى، ففعل وهو في غاية الارتباك، والمرأة في موقف لا تُحسَد عليه.

عاد الشاعر للجلوس مع بقية الضيوف وهو في غاية الخجل ويسبح في عرقه يضرب أخماساً في أسداس، لكنه لم يقل شيئاً مما فعله مع زوجة مضيفهم في المطبخ، وإلا كانوا هم من سيقتلونه جراء ما جلبه لهم من عار، وكان يدير في رأسه ردّ فعل الزوج اللاحق على عكس موقفه السابق في المطبخ، متوقعاً أسوأ الاحتمالات... وفي أوج التحفز، ووجهه يعكس حالته النفسية بين السعادة المؤقتة التي حققها بالقبلة الخاطفة لخدّ تلك الحسناء البديعة، والقلق والخوف من ردّ فعل زوجها الذي تصرف بلباقة وهدوء مع ضيفه، لكنه قد يضمر السوء له في ما بعد.

## عسل... وبصل

عاد الزوج إلى ضيوفه وكأن شيئاً لم يحدث. تحادث معهم بلطف وود، قدم لهم الطعام والشراب وفناجين القهوة المُرة كما هي العادة، وخصّ غريمه الشاعر بفنجان وآخر قائلاً له: (ثنِّ!) في إشارة إلى ما حدث بينهما في المطبخ، وبعد أن احتساها سأله:

أيهما ألذّ الصيني[٩] الأول أم الثاني؟!

فأجاب الشاعر الذي فطن إلى ما يرمي إليه:

الأول عسل والثاني بصل!

ولم يدرك الجالسون مغزى ما يقوله الرجلان، لكنْ كلاهما كان يعرف إلى ماذا يرميان.

انصرف الضيوف ومعهم الشاعر بعد أن قام الرجل بواجب الضيافة نحوهم على أجمل ما يكون، لكنه ترك بندقيته في بيت المضيف. هل فعل ذلك في نوع من ردِّ الاعتبار له جرّاء ما فعله مع زوجته دون مراعاة لأصول الضيافة؟! أم أراد أن يقول له إنه يرضى بحكمه حتى وإن كان فيه مقتله انتقاماً لعرضه وشرفه، كما هي الحال في بني وهب وغيرها من المجتمعات القبلية التي لا تتسامح في قضايا الشرف.

المدهش والعجيب هو الردّ الذي تلقاه الزوج والذي لم يكن يتوقعه أو يمكن أن يتوقعه أحد.

(٩) الصيني: وتعني الفنجان المصنوع من الفخار، فنجان القهوة.

أعاد إليه بندقيته ملفوفة بخرقة بيضاء، وفي فوهتها زهرة أو (شُقر)، وهي التسمية التي يطلقها أهل اليمن على الريحان، ما يعني أنه قد قبل تحكيمه ويعطيه الأمان.

أنا أيضاً لا أصدق ذلك، لكن ذلك ما حدث فعلاً باتفاق روايات كثيرة عن الحادثة التي استمعت إليها من أهل ذلك العاشق وأقربائه والتي يستحضرها الناس كمثال على قيم التسامح قبل أن تتجمد وتقسو قلوبهم، وتثقل بأعباء الحياة وقسوة الظروف وتفشي الحقد والكراهية.

ما زال الناس في بني وهب يحفظون عن ظهر قلب قصيدة الشاعر الشيخ عبد ربه محمد الوهبي الذي يقال إنه بطل تلك الحادثة التي قبّل فيها زوجة الرجل في مطبخ منزلها، وهي قصيدة جميلة سواء في وصفه للمرأة وجمالها، حيث يقول:

**صيد المشيرف[١٠] اتن من يم واحنا يم**
**مُحجَّلات السواعد بيض لقدامي**
**واحد رماني بخد أبيض وطرف أحوم**
**يسبق فعاله مقص البندق اليامي**
**خيرت بنات أمنا حوا وأبونا آدم**
**وخيرت اليوم بدَّاعن وختَّامي**

أو في وصفه للخيل في قوله:

**ذا قيل ذي له من السبق حصان أنجم**
**مُحجَّل أربع طويل الباع مهمامي**
**يسبق؟ ويلحق؟ ويتقفى؟ ويتقدّم**
**وهو كرَّيان ذي ما هو مع يامي**
**قرّت له الخيل ربّ أبيض وربّ أدهم**
**وكم من أحمر شرس مزعال مقدامي**

انظر كيف وصف الخيل بأنه: يسبق، ويلحق، وينقض، ويتقدم، ما يجعله يكاد يتفوق على امرئ القيس في وصفه للخيل بأنه مكر، مفر، مدبر. فخيل شاعرنا عبد ربه الوهبي تسبق

(١٠) المشيرف: قرية في منطقة قيفة، وتشتهر هذه المنطقة بجمال نسائها.

وتلحق، وتتقدم، ولا تدبر كخيل امرئ القيس، وإن كان الأخير قد قال قصيدته بالفصحى، فإن الوهبي استطاع بعاميته أن يقدم وصفاً للحصان لا يقلّ روعة عنه.

ونجد في القصيدة نفسها أبياتاً يؤكد فيها اعتزازه ببني عمومته، وكيف هم درعه وسيفه، ويحذِّر فيها من الاختلاف، ويؤكد أهمية توحدهم في وجه الخصوم الذين سيفرحون لمثل تلك الخصومة.

## قبائل معزولة

استعد موكبنا لمواصلة الرحلة مرة أخرى في اليوم الثاني بعد أن تمتعنا بضيافة الشيخ الوهبي. وهذه المرة، كان علينا أن ننقل السلاح الذي جلبناه معنا من تعز على ظهور الحمير بدلاً من السيارة. وقال الرقابي إنه لن يستطيع نقل كل السلاح، وإنه سيكلف آخرين إحضاره في ما بعد. لكننا لم نعثر للسلاح الباقي على أي أثر بعد ذلك... ولم ندرِ بمصيره.



**التقطت هذه الصورة بجانب منزل عبد ربه ناصر الرقابي**

أخذنا نسير يومين كاملين، سيراً على الأقدام عبر طرقات صعبة ووعرة، وطقس شديد الحرارة نهاراً والبرودة ليلاً، وشمس قاسية لا ترحم. وكان الحمار الذي يحمل فوق طاقته من السلاح والذخيرة، ينوء بحمله، ويضطر إلى التوقف (ويبرك) من التعب أحياناً كثيرة. وفوق هذا كان علي محمد الشعبي يركب على حمار آخر ويطلق خلف الحمار أصواتاً أشبه بالصفير لدفع الحمار إلى العدو، وهذه اللغة هي التي تفهمها الحمير! حتى وصلنا إلى جملية آل عريف وآل رقاب. ونزلنا في منزل صغير يعود إلى عبد ربه ناصر الرقابي، وكان المنزل يطلّ على تل تقع تحته أراضٍ زراعية صغيرة وفقيرة.

كنا نحمل رواتب للمقاتلين في هذه المنطقة. وحسب السجلات فإن عددهم كان يبلغ نحو ستين مقاتلاً. لكننا لم نجد أثراً لهم عند وصولنا إلى هذه المنطقة، ولا محطة تدلّ على وجودهم. وبرر الرقابي ذلك بأنهم في إجازة! وحاول أن يجمع بعض أفراد القبائل كيفما اتفق على اعتبار أنهم من ضمن «الستين» الذين أحضرنا لهم الرواتب التي تأتي متقطعة، ولذا فهم غير ملزمين بنا! وعاملونا بكرم، وأغرقونا بالضيافات والطعام من أرض آل الرقاب إلى

أرض آل سودان. هذه الأراضي عبارة عن كهوف طبيعية محفورة في الجبال، وفيها غرف نوم واسعة يسمونها «الخدر»، وهي منيعة إلى درجة يصعب اختراقها وتدميرها حتى بواسطة الطائرات. لم أشاهد في حياتي كهوفاً منتشرة بهذه الكثرة في أي مكان آخر، فهي لا تتطلب إلا بناءً صغيراً من الحجارة لتضييق فتحة الباب إذا كان مدخلها واسعاً. والقبائل التي تسكن هذه المنطقة معزولة، وليس لها أي علاقة أو اتصال بالسلطة في إمارة بيحان. وأبناؤها يعتمدون في معيشتهم على الزراعة، وعلى المُساعدات التي يحصلون عليها من أبنائهم المجندين في الجيش اليمني والحرس القبلي في بيحان، أو العمل الاستخباري للطرفين، مستفيدين من موقعهم على الحدود. وهم يشبهون في ذلك غيرهم من سكان المناطق الحدودية في اليمن وفي أي مكان في العالم من حيث الذكاء الشديد والاستفادة من موقعهم على الحدود للاشتغال في أعمال التهريب والعمل الاستخباري. وككل القبائل، فقد كانوا كرماء إلى حدِّ أنهم كانوا يذبحون لنا الذبائح عند كل وجبة.

## هجمات على مراكز حكومية

إننا وقد بلغنا حدود إمارة بيحان، فقد تحدثنا إلى هؤلاء القبائل عن الثورة وعن عبد الناصر، وطبعاً لم يكن يهمهم كثيراً حديثنا إليهم عن الثورة في الجنوب وعن دعم جمال عبد الناصر لها، وللعديد من الثورات في العالم، بقدر ما كانوا مهتمين بمقدار ما نملك من سلاح ومال. وقد تجمعوا حولنا لطلب مرتباتهم، ولكن القائد الرقابي كان مسيطراً على كل شيء وتفاهم معهم وأرضاهم بطريقته.

وخلال وجودنا هُناك، الذي استغرق نحو شهر تقريباً، عقدنا العديد من اللقاءات، ونظمنا عدة هجمات على مراكز حكومية تابعة لإمارة بيحان. وفي إحدى المرات ذهب عشرة من هؤلاء، وعادوا زاعمين أنهم هاجموا أحد المواقع وأنهم قتلوا بعض الجنود وجرحوا آخرين، وأخذوا يطالبون بالذخيرة وبدفع رواتب لهم. ويبدو أن بعض هؤلاء كانوا معتادين هذا النوع من الأعمال حباً بالمال والسلاح، مثلهم مثل غيرهم في المناطق الفقيرة، لا إيماناً بما كنا نقوم به.

لكن المهم، أننا أثبتنا أن للثورة وجوداً هناك في المنطقة الشرقية (بيحان) وأن ألسنة لهبها قد امتدت إلى كل مكان من أرض الجنوب. وكان خبر وجودنا قد انتشر عقب هذه العمليات

العسكرية في بيحان وبقية المناطق، مع المبالغة في حجم قوتنا وإمكاناتنا، وقد اتفقنا على العودة إلى تعز، وكان اختيارنا أن نصلها عبر السوادية.

قبل مغادرتنا التقينا مع السيد محمد الدباش والسلطان صالح بن علي الرَصَاص اللذين جاءا لزيارتنا من مركز ناطع الذي يقع في منطقة آل عريف تحت إدارة السلطان صالح بن علي بن حسين الرصَاص، وقد رفض هؤلاء حكم شريف بيحان واستمروا بولائهم للأئمة حتى قيام الثورة في الشمال عام ١٩٦٢م، وبعد ذلك أصبحت جزءاً من جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية، لأن المركز جزء من جملية آل عريف، ومساحة هذا المركز لا تتجاوز ٥٠٠ متر مربع، ويسكنه مئة شخص تقريباً، وحينها أكدنا لهما أهمية دعم الثوار وتسهيل أمورهم وعبورهم، وعندما حاولنا التقاط صور لهما رفضا ذلك.

## أكل الثعابين

كانت الشمس قد بدأت بالمغيب، ونحن لا نزال في الطريق بين السوادية وآل الرقاب، فقررنا أن نمضي ليلتنا في إحدى القُرى. وتوجهنا إلى منزل محدد يسكنه أحد أصدقاء الرقابي. وقد تجمع الناس حول البيوت وفوق أسطح المنازل ليتفرجوا علينا(!) وكانت ملابسنا الكاكي هي التي لفتت أنظارهم إلينا كما يبدو. لكن أكثر ما لفت انتباههم هو أنني كنت الوحيد الذي يلبس بنطالاً وجاكيت من الكاكي. ويبدو أنهم لم يشاهدوا في حياتهم أحداً بمثل ملابسي تلك، فاعتقدوا أنني واحد من المصريين. وقد رفض صاحب المنزل أن يستقبلني في منزله، لولا أن صديقنا الرقابي أقنعه بأنني من الجنوب، وأنني رجل مسلم ليس له علاقة بالمصريين والشيوعية! وكان هذا دليلاً على مدى ما استطاعت الدعاية المضادة أن تحدثه من تأثير في نفوس الناس، ولم يصدق الرجل أننا مسلمون إلا بعد أن رآنا نصلي صلاة المغرب! وكان يدخل ويخرج بين حين وآخر، يسأل كثيراً عن الجمهورية أو عن المصريين، وعن شريف بيحان، وعن الجنوب، وعن القبائل. ودار حديث عن الثورة وعن الدعم المصري لها، وعن عدن. وبلغ الحديث الدورة التي تلقيتها في الصاعقة.

قال لهم علي الشعبي مشيراً نحوي: إن هذا الرجل يأكل الثعابين.

فصاحوا بتقزز واستهجان: سمّ يسمه!

وأردف أحدهم: أعطوه عشاه... وحده!

في هذا المنزل التقينا لأول مرة بالشيخ علوي العواضي الذي أصبح في ما بعد من أفضل الأصدقاء وأوفاهم، وكان متحدثاً لبقاً وعلى رأسه عمامة من الحرير وبيده سلاح جديد وجميل يسمى بلجيكي، وكان معتزاً بهذا السلاح الجديد.

هؤلاء السكان تابعون للجمهورية العربية اليمنية اسماً على الأقل، ولكن ولاءهم هو لشريف بيحان وللملكيين الذين يحاربون الثورة والنظام الجمهوري - الشيوعي، حسب اعتقادهم. ولم يتعمق الولاء الوطني في نفوسهم بعد كما ينبغي، فهم يستمعون إلى إذاعة إسرائيل ويصدقون كل ما تقوله، وقد قال لنا الشيوخ: إن إذاعة اليهود ولندن لا تقول إلا الحق والصدق ولا تكذب مثل صنعاء وصوت العرب. وهم على عكس إخوانهم في الجنوب الذين يصدقون كل ما يسمعونه من صوت العرب، وصوت العرب بالنسبة إليهم يعني أحمد سعيد، ومحمد حسنين هيكل، وجمال عبد الناصر، لكن لا يفوتهم أيضاً الاستماع إلى النشرات الإخبارية لإذاعة لندن التي تتسم أخبارها بالموضوعية إلى حد كبير للحفاظ على صدقيتها ومستمعيها. ووضع هؤلاء السكان لا يختلف عن وضع سكان الحدود في البيضاء وقعطبة وغيرهما من مناطق الحدود، فهم يكتوون بنار الصراعات والحروب.

## ملابس الكفار

خلال السهر مع هؤلاء القوم تشعب بنا الحديث، وكالعادة تطرق حديثنا إلى الصاعقة والتهام الثعابين والزواحف الأخرى من سحالي وفئران، وقد رفض البعض أن يتناول الطعام معنا عندما سمع هذه القصص، ولكنهم عادوا وأكملوا السهرة معنا، وأدينا صلاة الفجر في المنزل بملابسنا الكاكي. وأفتى البعض - عن جهل طبعاً - بأن صلاتنا لا تجوز لأننا نلبس ملابس الكفار والإفرنج! وأنا أعذرهم.

عند مغادرتنا للقرية، تجمع سكانها، وكان ذلك وقت طلوع الشمس، فوق أسطح المنازل وتزاحموا على الأبواب ليتفرجوا علينا، وكأننا قادمون من كوكب آخر، واخترق صوت أحدهم سمعنا وهو يصيح: أمير العيد[١١]!

---

(١١) من التراث الحميري اليمني في مناطق بعدان والشعر والعود والسده والرضمه، هو رجل يلبس صوف الغنم في فترة الأعياد.

وردّدوا بعده الصراخ: أمير العيد!

وظلت أصواتهم تلاحقنا حتى ابتعدنا عن القرية واختفوا عن أنظارنا. وقد سألت أحد رفاق الرحلة ماذا كانوا يعنون بكلمة «أمير العيد» التي كانوا يهتفون بها خلفنا، فقال إنّ ذلك يعود إلى تقاليد قديمة في المنطقة حيث يلبس شخص ما ملابس غريبة تختلف عن ملابس بقية السكان أيام الأعياد ويسمونه أمير العيد. ولما كنت ألبس البنطال والجاكيت، وكنت الوحيد طبعاً، فقد كنت أنا المقصود بأمير العيد.

لم يعنِ لي ذلك التفسير كثيراً، فقد كنت مهتماً بما بقي من طريق لا يزال طويلاً وبعيداً من السوادية. كانت الشمس ترتفع في كبد السماء، وترتفع معها درجة الحرارة وتشتدّ. وكنا نبذل جهدنا في السير وسط أرض جبلية صخرية وأودية وشعاب وهضاب مليئة بالحجارة السوداء. وكان علي الشعبي يمتطي الحمار ويطلق النكات وهو يضحك ويدخن بسعادة، ويحثنا على الجدّ في السير.

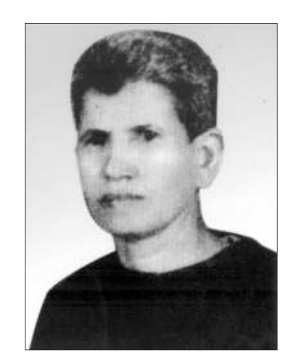
وعلق الرقابي: هذي شدة لحجي!

وهذا القول مثل شعبي دارج.

المهم أننا شددنا الرحال، وواصلنا السير برغم ما كنا نشعر به من تعب حتى وصلنا السوادية عند المساء، ونزلنا ضيوفاً على شيخها الخضر السوادي، وهو رجل كريم ومضياف، وأكثر الناس يقصدون منزله حيث لا توجد دور ضيافة أو مطاعم في مثل هذه المناطق، لكن توجد في بعض الأماكن مثل البيضاء ورداع وذمار ويريم وباجل وسمارة وتعز، بيوت تديرها نساء يقدمن الطعام والمأوى للمسافرين، إضافة إلى بعض المطاعم الصغيرة التي لا تقدم المأوى مثل بيوت النساء الخاصة. ويوجد مثل هذه المطاعم في شقرة ولودر وزارة ومودية.

وبعد عشرين سنة من هذه الذكريات عن السوادية وعن شيخها، انتقل الآلاف من العسكريين والمدنيين التابعين للشرعية أو ما يسمونهم جماعة علي ناصر أو الزمرة، في تجمع كبير ضم الآلاف من الناس للإقامة المؤقتة فيها كما هو الحال في تعز ومآرب آنذاك. وهذا المعسكر كان تحت إشراف الضابط أحمد صالح عليوه، وبعد قيام الوحدة أُعيد تشكيل القوات وتوزيعها على أكثر من منطقة في اليمن.

ولم تكن السوادية إلا محطة عبور وراحة، عدنا بعدها إلى مدينة تعز مقرّ قيادة الجبهة القومية، حيث ننتظر انعقاد المؤتمر الثاني للجبهة. وقد التقيت لأول مرة في تعز بالمناضلة دعرة.



الملازم أول دعرة بنت سعيد
في القاهرة عام ١٩٦٦



المناضلة دعرة بنت سعيد
قبل وفاتها في ٢٠٠٢/٨/١٥

وفي هذا الموقف لا بد أن تستعيد الذاكرة تلك المرأة الشجاعة التي أصبح اسمها مرتبطاً بالثورة في ردفان، وبرفيقها في الكفاح الشهيد راجح بن غالب لبوزة، لأنه صار على كل لسان. إنها «دعرة بنت سعيد ثابت»، عضو قيادة جيش التحرير التابع للجبهة القومية في ردفان. وقد كتب الصحافي المصري عادل رضا سطوراً عن مأثرتها، أجد من المناسب إيرادها هنا، ليس باعتبار أن صاحبتها أسطورة استثنائية منعزلة، بل بوصفها إحدى الأساطير التي أنجبها شعبنا في سلسلة مجيدة من النساء الباسلات اللواتي يُعدَدْنَ أنموذجاً للمرأة ودورها في الثورة في الجنوب، إذ يقول:

من جبال ردفان نقدم قصة المناضلة البطلة الفدائية دعرة بنت سعيد ثابت، إحدى المناضلات البارزات، عضو قيادة جيش التحرير في منطقة ردفان. اشتركت في معارك صرواح الشهيرة، ومكثت تشارك ببسالة وشجاعة في كل المعارك التي خاضها الرجال البواسل فوق جبال اليمن دفاعاً عن الجمهورية والثورة اليمنية.

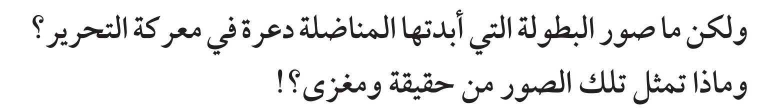
امرأة قصيرة، نحيفة، صلبة. ذات وجه صارم أقرب منه إلى وجوه الرجال. ترتدي الملابس الكاكي وتتمنطق بالخنجر وتحمل البندقية والمسدس والقنبلة. جريئة صريحة لا مكان لديها للمجاملة، شأن أبناء ردفان الشجعان. وقد وهبت حياتها للثورة والوطن.

دهش الكثيرون وهم يجدون بجانبهم فتاة من الجنوب تناضل نضال الأبطال، وحازت بطلتنا المناضلة تقدير المقاتلين جميعاً. ولما قُضي على التسلل الرجعي الاستعماري نقلت المناضلة البطلة إلى منطقة «المحابشة»، وبقيت هناك ستة أشهر متوالية ترتدي ملابس الرجال وتخوض أعنف المعارك. وقد سجلت هناك بطولات خارقة ظلت حتى الآن حديثاً يتردد على لسان كل عربي عرف المناضلة الجنوبية البطلة دعرة بنت سعيد ثابت أو سمع بها. وعندما اشتعلت الثورة فوق جبال ردفان، كانت المناضلة تقف في الصفوف الأولى جنباً إلى جنب مع الشهيد البطل راجح بن غالب لبوزة، المسؤول عن منطقة ردفان، وأول شهيد يسقط على طريق الحرية والكرامة. اشتركت المناضلة البطلة في أكثر المعارك التي دارت بين القوات البريطانية وقوات جيش التحرير. كانت تضع الألغام في طريق السيارات البريطانية وتتربص بالدوريات وتنقضّ عليها بالرصاص والقنابل اليدوية. وكانت المناضلة البطلة مفخرة المرأة العربية في الجنوب، فشجعت كثيرات منهن على الانخراط في صفوف المناضلين ليحاربن الاستعمار جنباً إلى جنب مع الرجل المقاتل في الجنوب الذي وهب حياته من أجل المبادئ والأهداف الكبيرة الشاملة.

أبدت كثيرات منهن بطولات خارقة، واستشهدت منهن في المعركة المناضلة «هند بنت أحمد»، وهي أول شهيدة تسقط في معركة التحرير الشاملة، ولحقتها في الاستشهاد المناضلة البطلة «بنت الحاج عبد الكريم»، والمناضلة صالحة العوبل من منطقة الشعيب بالضالع، ورصدت قيادة الشرق الأوسط البريطانية مئة ألف شلن لمن يقبض على المناضلة الفدائية «دعرة بنت سعيد ثابت»، لماذا؟ لأنها أصبحت في نظرهم أخطر إرهابية، لأنها أيضاً قد أصبحت أسطورة بطولية تناقلتها الألسنة فوق أرض الجنوب، حتى المعسكرات البريطانية نفسها بدأ جنودها وضباطها يرددون قصص بطولاتها وشجاعتها النادرة، كما كان يردد الجزائريون اسم جميلة بوحيرد.



**المناضلة صالحة من مواليد مدينة العوابل بمديرية الشعيب محافظة الضالع، نالت وسام الثورة والاستقلال ووسام الإخلاص والشجاعة وميدالية حرب التحرير**



**ولكن ما صور البطولة التي أبدتها المناضلة دعرة في معركة التحرير؟ وماذا تمثل تلك الصور من حقيقة ومغزى؟!**

«في إحدى الليالي خرجت مع مجموعة من الفدائيين ليقوموا بهجوم مفاجئ على مقر القيادة البريطانية (الثمير)، ودامت المعركة أكثر من ساعتين قتل خلالها كثير من الجنود البريطانيين، واشتعلت النيران في مخازن الذخيرة وأحرقت البطلة مصفحتين، وأثناء تأهب الفدائيين للانسحاب أصيبت في ساقها، واستمرت في الانسحاب، لكنها أصيبت مرة أخرى في ساقها فسقطت البطلة على الأرض ولم تقوَ على الحركة، ثم واصلت وهي جريحة راقدة خلف صخرة، إطلاق النار على الإنكليز لتحمي انسحاب الفدائيين، ولما نفد رصاصها حطمت بندقيتها فوق الصخرة حتى لا يأخذها الإنكليز سليمة وتم أسرها، ونقلت إلى سجن عدن وبعدها أذاع راديو لندن وعدن أكثر من مرة نبأ القبض على الإرهابية دعرة. وألصقت منشورات داخل المعسكرات تزفّ هذا النبأ إلى الجنود والضباط الإنكليز. واستجوبها الإنكليز وحاول ضابط المخابرات البريطانية معرفة الطريقة التي يتسلح بها جيش التحرير، ومستوى التدريب على حرب العصابات الذي حصلوا عليه، والجهة التي تقوم بمساعدة المناضلين، ولكن البطلة أصرت على الصمت ومرت أيام وبعدها عثرت السلطات على خمسة من حراس السجن مذبوحين وزنزانة البطلة خالية منها، وعادت البطلة المناضلة إلى جبهة القتال في ردفان توزع الموت على جنود الاستعمار وعلى أعوانه»[١٢].

وحين أقدمت بعض قيادات الجبهة على حلّ تنظيم الجبهة القومية ودمجه بـ «منظمة تحرير جنوب اليمن المحتل» انتفضت قيادات الداخل وتمرد المقاتلون على القرار. وكانت دعرة في المستشفى فكتبت إلى قحطان الشعبي رسالة مفعمة بالغضب: «يؤسفنا أن نسمع ذلك، وأن تخلق هناك قيادات أو جبهات أخرى وأنتم صامتون».

## دور المرأة في عدن

وفي مدينة عدن، برزت بطولات نسائية لعبت صاحباتها دوراً في التوعية والتثقيف والنضال في سبيل الحرية والاستقلال، وقد أوردت أسماء عدد منهن. وأذكر أن المناضلة نجوى مكاوي نقلتنا بسيارتها ذات مرة، أنا والرفيق أحمد صالح الشاعر من الشيخ عثمان إلى كريتر عبر نقاط التفتيش الإنكليزية المنتشرة بكثرة في كل مكان. وكنا قادمين من مدينة تعز في

(١٢) عادل رضا، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٣-١٢٤.

مهمة سرية بتكليف من قيادة الجبهة القومية هناك، وكنا نتنقل بسيارة الأخ المناضل محمد عوض عولقي الذي تعرّفنا إليه في اجتماع حزبي أثناء قراءة تعميم على قيادة عدن في مكان يسمى عمارة الملكيين بالشيخ عثمان.

كان تطور العمل وسط المنظمات الجماهيرية يجد صداه في المطبوعات والنشرات السرية الداخلية الصادرة في جبهة عدن وجبهات القتال الأخرى[١٣]، وكان للنساء دور مشرف في الثورة، إذ كنّ يحملن السلاح ويقدن التظاهرات، ويشاركن في الإضرابات وتنظيم المهرجانات والخطابات فيها، ويوزعن المنشورات، ويقمن بإيصال الرسائل المحررة والشفوية إلى الأعضاء، ويتولين مسؤولية إخفاء المناضلين المطلوبين وإطعامهم، واللقاء بالوفود العربية والدولية لشرح قضية الجنوب أمام لجنة تقصي الحقائق التابعة للجنة تصفية الاستعمار، وفي المقدمة رضية إحسان[١٤] ونجيبة محمد، ونجوى مكاوي، وفوزية جعفر، وفطوم الدالي، وعائدة علي سعيد، وزهرة هبة الله ونسيمة عبد الخالق وثريا منقوش وأنيسة الصائغ ورجاء محمد سعيد... وكان بعضهن مضرب المثل في الإقدام والتضحية والثبات في مناسبات عدة[١٥] أمثال نجوى مكاوي، عائدة على سعيد، فوزية محمد جعفر، فتحية باسنيد، أنيسة الصائغ، زهرة هبة الله، إلى جانب القطاع النسائي لجبهة التحرير ومن الهيئة الإدارية لجمعية المرأة العربية برئاسة الفقيدة ليلى جبلي، رضية إحسان الله، صافيناز خليفة، نعمة سلام، أنيسة أحمد هادي، بهجة السوقي، زينب ذو الفقار، خورشيد محمود خان وأخريات، وهنّ رموز نسائية تحملن سفر النضال الطويل بنكران الذات.

## تصعيد الكفاح المسلح

في نطاق تصعيد الكفاح الوطني وترجمة عملية الجمع بين مختلف أشكال الكفاح ترجمة خلاقة

(١٣) نشرة التحرير التي تصدر في تعز والقاهرة – التلال الملتهبة في كريتر – الشرارة في حضرموت – المقاومة الشعبية في المعلا – المجاهد في الضالع – لسان الكادح في لحج – الكادح في أبين – الحارس في التواهي.

(١٤) قادت مسيرة صامتة يوم ١٩ ديسمبر ١٩٦٣م. استنكاراً للاعتقالات التي قامت بها السلطات الاستعمارية ضد بعض القيادات الوطنية بتهمة علاقتهم أو الاشتباه بهم أثر عملية قنبلة المطار الشهيرة.

(١٥) في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات ظهر عدد من النساء في عدن، كالسيدة ماهية نجيب، صاحبة أول مجلة للمرأة «فتاة شمسان» والسيدة صافيناز خليفة والسيدة رضية إحسان الله وغيرهن من النساء اللواتي كن يدعون إلى المطالبة بحقوق المرأة و منحها المزيد من الحريات.

إلى واقع حيّ، شهدت شهور عام ١٩٦٥م نشاطات لا حصر لها أثبتت قدرة الجبهة القومية على أن تتصدر النضال وتتحكم في دفته. ففي عدن أطلق مقاتلو الجبهة النار على مدير سجن عدن محمود شودري، وفجرت سيارات البريطانيين في أكثر من موقع، وأطلق الرصاص على كبير مفتشي الشرطة البريجادير بروموفتنارو، واندلعت في كل مكان أعمال المقاومة المسلحة، فقتل رئيس المجلس التشريعي المدعو «تشارلس» في أيلول/ سبتمبر ١٩٦٥م. وحوّل مقاتلو الجبهة كريتر وعدن الصغرى والمعلا والشيخ عثمان إلى ميادين للانفجارات والمواجهات اليومية. وتعرضت دوريات الجيش البريطاني خارج عدن للهجوم في حيّ القاهرة الشعبي بالشيخ عثمان في ٣ آذار/ مارس، وبعدها دوّت الانفجارات في معسكر «فاليس»، وفي مركز شرطة الشيخ عثمان، وفي خطوط الأنابيب الممتدة على جانبي الطريق بين الحسوة ومدينة الاتحاد، وفي مبنى يسكنه جنود الاحتلال في مدرج البلدية، في البريقة، وأعلن ناطق باسم «قيادة الشرق الأوسط» في ١٧ مارس ١٩٦٥م «أن ثلاثة جنود بريطانيين قتلوا، وجرح أربعة آخرون في اشتباك وقع أمس الأول مع قبائل ثائرة في الضالع». وقال الناطق:

«إنهم ضربوا القوات البريطانية بمدافع الهاون، وقد أصيب موقعان بريطانيان إصابات مباشرة وقتل ثلاثة جنود بريطانيين وجرح حارس وضابط من المدفعية الملكية بشظايا القنابل»[١٦].

فضلاً عن ذلك، جرت معارك طاحنة في بيحان والمسيمير. ونشرت الصحافة المحلية وقائع يومية - ولو مخففة - عن النشاط العسكري لمقاتلي الجبهة القومية، حتى إن صحيفة «التايمز اللندنية» ذكرت «أن عمليات الإرهاب التي تقوم بها الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل أجّلت الوصول إلى أي اتفاق مع بريطانيا. إنها ذات فعالية متناهية».

وأدلى وزير المستعمرات البريطاني ببيان في مجلس العموم قال فيه:

«إن هذه الحوادث، حوادث العنف المسلح التي تقوم بها الجبهة القومية لم تخفّ حدتها... ووقعت ٢٤ حادثة هجوم بعدن، نجم عنها وفاة ثلاثة أشخاص من العرب وجندي بريطاني، وأصيب ١٥ شخصاً بجراح مختلفة»[١٧]. وفي وقت لاحق دوّى انفجار في مركز شرطة المعلاّ وآخر في مولدات الماء في معسكر «فاليس»، بعدن الصغرى.

(١٦) محمد سعيد عبد الله، «عدن...»، مصدر سابق ص ٢٨٢.

(١٧) محمد سعيد عبد الله، مصدر سابق، ص ٢٨٣.

وفي نيسان/ أبريل ١٩٦٥م بلغت أعمال المقاومة المسلحة حداً لم يتمكن البريطانيون من ضبطه أو تجاهله. فقد تعرض مطار خور مكسر لصواريخ (بلاندسيد) ونفذ العملية الشهيد عوض أحمد وحسن علي الزغير (بدر) وصلاح الدين عبد الرحمن زلعي، وقاد السيارة علي صالح علي، وكان التصويب على عنابر الطائرات والطائرات الرابضة بجانبها، وكانت العملية مشهداً مثيراً وعلى الطبيعة وليست مشهداً سينمائياً، حيث خرج رواد سينما شيناز الواقعة قرب المطار يتابعون أصوات الصواريخ وهديرها في الجو وانفجارها، وانطلقت على إثر ذلك طائرات مقاتلة وعمودية وهي تطلق قذائف أو بالونات الإضاءة، وغطى الطيران مناطق طريق الجسر والمملاح والدرين وأجزاء من المنصورة. وبعد هذه العملية جرت محاولة ثانية وثالثة لضرب مطار عدن من موقع ميدان سباق الخيول سابقاً في ما كان يسمى المجراد – خورمكسر من قِبَل أبو بكر شفيق وخالد هندي وعلي صالح بيضاني وأحمد الطاهري، وكان من العناصر المكلفة هذه العملية عبد الله محمد الهيثمي وعبد العزيز سلّام وفضل محسن وعلي عوض. وتلاحقت العمليات الفدائية ضد المطار الحربي، وكان أضخمها تلك التي تُطلق فيها قذائف الهاون عبر مواسير صناعية وتفجير زمني وعبر شبكة أساسية من الفتايل والأسلاك المرتبطة بها، وقد نفذت عمليات أخرى على نادي ضباط الطيران بخور مكسر حيث كان النادي يحفل بالضباط والموسيقى الصاخبة، وقد رمى عليه قنبلتين يدويتين الفدائيون أحمد هبة الله علي ومحمد أحمد باشماخ وعبد الله الخامري، ونُفذت عمليات أخرى على مبنى المجلس التشريعي بعدن، قام بها عبد الرب علي مصطفى، عبد الرحمن فارع وفاروق مكاوي[١٨]، وامتدت أيدي الفدائيين إلى عملاء السلطة الاستعمارية لتقتصّ منهم جزاء خيانتهم للوطن وخدمتهم لأعدائه، ثم فرض المحتلون منع التجوال على المدينة في الثاني والعشرين من الشهر نفسه، استمرّ ستة أيام إثر مقتل مفتش البوليس (علي ورسمه) على أيدي مقاتلي الجبهة القومية.

ألهبت هذه العمليات الواسعة الحماسة في أوساط الشعب، وبخاصة بين صفوف العمال وسكان الأحياء الفقيرة، وانعكست تلك الحماسة في اندلاع الإضرابات العمالية، ففي آب/ أغسطس ١٩٦٥م نفذت مدينة عدن إضراباً شاملاً احتجاجاً على الاعتقالات وسياسة

(١٨) المصدر: أبو بكر شفيق.

الإرهاب والبطش الاستعماريين. وفي تشرين الأول/ أكتوبر عادت المدينة إلى الإضراب لمدة يوم واحد تنديداً بإعلان حالة الطوارئ، شنت سلطات الاحتلال خلاله حملة اعتقالات طاولت سبعمئة مواطن من مختلف أحياء المدينة. وفي اليوم التالي أضرب ثلاثة آلاف عامل في مصفاة النفط احتجاجاً على اعتقال النقابي محمد صالح عولقي، وبعد أقل من أسبوع قام إضراب آخر في منشآت النفط أدى إلى وقف العمل تماماً في المصفاة ومحطات التعبئة.

لقد كان عاماً سيسجله التاريخ بأحرف من نور، عاماً للنهوض الشعبي والتعبئة القتالية والعمليات المتصاعدة في المدينة والريف، عاماً لإضرابات الحركة العمالية التي فرضت ثقلها وتركت دلالاتها وتأثيراتها على الأحداث اللاحقة للثورة. لكن قبل ذلك لا بد من التمهيد بعرض الأحداث التي شهدها عام ١٩٦٤م.

# الفصل الثاني عشر

## حرب التحرير... وصراع الإرادات في عدن

# حرب عصابات في مدينة صغيرة

استهل فدائيو الجبهة القومية بداية العام الجديد ١٩٦٥م بهجوم شنوه على دورية عسكرية بريطانية في مدينة الشيخ عثمان الباسلة في الأول من يناير. وأوقع الهجوم عدداً كبيراً من الجنود البريطانيين بين قتيل وجريح. وبعده بيومين فقط أُعلن وصول وزير الحرب البريطاني إلى عدن بعد تعاظم مدّ الثورة، وإخفاق بريطانيا في إخمادها، وفي محاولة من الوزير لرفع معنويات جنوده أعلن أن حكومته لا تعتزم التخلي عن القاعدة العسكرية البريطانية في عدن. وفي الرابع عشر من فبراير أُعلن أن وفداً برلمانياً بريطانياً سيصل إلى عدن في محاولة أخرى لتعزيز اتحاد الجنوب العربي ودعم حكم السلاطين الموالي للاستعمار. وفي الأول من مارس أُعلن في عدن أن تمثيل الولايات المتحدة الأميركية فيها ارتفع إلى مستوى القنصلية بعد أن أعربت واشنطن عن اهتمامها الجدي بالمنطقة، وخاصة بمصير القاعدة البريطانية في عدن. واعتقلت قوات الجيش البريطاني ٢٤ مواطناً عقب عملية تفتيش كبرى شملت منطقة الشيخ عثمان بحثاً عن فدائيي الجبهة القومية. وزرع ثوار الجبهة شحنة ناسفة في معسكر «فاليس» البريطاني في منطقة البريقة، أدى انفجارها إلى إصابة عدد من جنود قوات الاحتلال بين قتيل وجريح. وذكر مصدر بريطاني في عدن أن مركز بوليس «الشيخ عثمان» تعرض لهجوم شنه ثوار الجبهة بقذائف البازوكا، وفي شهر مارس جرى عدد من العمليات، منها:

- في ٥/ ٣: نسف أنابيب البترول التابعة لشركة البترول البريطانية.
- في ٦/ ٣: انفجار قنبلتين، إحداهما في الجسر الواقع على طريق الشيخ عثمان وعدن

الصغرى، والثانية في الجسر الواقع على الطريق المرتفع، انفجار قنبلة في المعسكر البريطاني في عدن الصغرى، وقد أدى الانفجار الأول إلى مقتل ٣ جنود بريطانيين وأربعة جرحى.

- في ١٢/ ٣: انفجار قنبلة بدورية بريطانية بالقرب من كاراج أثاناس بمدينة كريتر، وقد أدى إلى مقتل جندي بريطاني وإصابة آخرين بجراح.
- في الثاني عشر من مارس، حصل إطلاق نار من مدفع بازوكا على القسم العلوي من مركز شرطة الشيخ عثمان، ما أدى إلى مقتل خمسة من الجنود البريطانيين وإصابة عشرة بجراح خطرة.
- في ١٣/ ٣: إطلاق قذيفة بازوكا على بناية (برمان برون) بالقرب من عمارة البس بالمعلا سبّب قتل وإصابة عدد منهم إصابات مختلفة، وإلقاء قنبلة على دورية بريطانية في شارع السبلانيد بمدينة كريتر.
- في ١٤/ ٣: أُلقيت قنبلة على دورية بريطانية خلف إدارة البريد في مدينة كريتر، وأُلقيت قنبلة على إحدى بنايات الجنود البريطانيين في كريتر، وتفجير قنبلتين وإطلاق قذيفة بازوكا على مستودع للبنزين في المعسكر نفسه، وقد نتج من هذه الانفجارات قتل جنديين بريطانيين وإصابة سبعة آخرين بجروح.
- في ١٧/ ٣: انفجار لغم في عدن بأنابيب الزيت في الخط الواقع على الطريق بين الحسوة ومدينة الاتحاد، وقد أدى إلى تدميرها وإلحاق أضرار بالغة فيها.
- في ٢٧/ ٣: إلقاء قنبلة يدوية في ميناء التواهي على دورية بريطانية، كذلك وُضعت كمية من المواد المتفجرة تحت محول الكهرباء التابع لسلاح الطيران الملكي بخورمكسر، وأُطلقت أيضاً قذيفة مدفع بازوكا على دورية بريطانية في الشارع الرئيسي بالمعلا، فنتج من ذلك قتل خمسة من الجنود البريطانيين وجرح العديد منهم.
- في ٢٨/ ٣: وضع متفجرات في محطة توليد الكهرباء في معسكر بريطاني بعدن الصغرى، نتجت منه أضرار بالغة بالمحطة، وقد تحطمت مضخة المياه.

- في ٢٩/ ٣: إلقاء قنبلة يدوية على سيارة عسكرية بريطانية في الشارع الرئيسي بالمعلا، ما أدى إلى قتل ثلاثة جنود بريطانيين وجرح آخرين.
- في ٣٠/ ٣: إلقاء قنبلة على دورية بريطانية كانت تستقل سيارة لاندروفر، وقد قُتل أربعة جنود بريطانيين وتحطم جهاز الإرسال التابع لهم، كذلك أُطلقت النار على قومندان السجن (الشوذري).

في الأول من أبريل وُضِعَت قنبلة زمنية في دار للسينما تابعة للجيش البريطاني بعدن الصغرى، أدى انفجارها إلى وقوع أضرار كبيرة في مبنى السينما وإلحاق إصابات خطيرة ببعض الجنود البريطانيين، وأطلق الثوار قذيفة «بازوكا» على شقة كائنة في «المعلا» يسكنها عسكريون بريطانيون، وأدى ذلك إلى إصابة عدد منهم وإلحاق أضرار بالشقة. وفي الرابع من أبريل أطلق الثوار النار من مدفع بازوكا على محطة الإرسال التابعة لإذاعة القوات البريطانية في الحسوة، ما أدى إلى تحطيم جزء كبير من محطة الإرسال. وفي السادس من أبريل حلقت عشر طائرات هيلكوبتر بريطانية في سماء منطقة «الحسوة» بعدن خلال عملية تفتيش وتمشيط كبيرة أجرتها القوات البريطانية بحثاً عن ثوار الجبهة القومية عقب مهاجمة الثوار منشآت بريطانية، ما ألحق بها أضراراً جسيمة. أما في السابع من الشهر ذاته، فقد أدى إلقاء قنبلة يدوية على منزل يسكنه الجنود البريطانيون إلى جرح أحد الجنود البريطانيين المقيمين في المنزل، كذلك أُلقيت قنبلة أخرى على أحد المنازل التي يقيم فيها الجنود الإنكليز أدت إلى جرح جنديين بريطانيين. وأعلن ناطق رسمي في عدن أن ستة ضباط من الجيش والطيران البريطاني أصيبوا إصابات بالغة نتيجة انفجار قنبلة في مقرّ قيادة الشرق الأوسط في عدن، ألقاها فدائيو الجبهة القومية. وفي الثالث من مايو أطلق الثوار ثلاث قذائف «بازوكا» على منشآت عسكرية بريطانية في منطقة «التواهي»، ورفض الناطق العسكري تحديد حجم الخسائر. كذلك أطلق الثوار قذائف «بازوكا» على مبنى الإذاعة في التواهي. وفي اليوم نفسه، هاجم الثوار معسكر «سنجابور» البريطاني في «خور مكسر»، واعترف الناطق الرسمي بالهجوم. وفي الرابع والعشرين من مايو نُفِّذَت ثلاث عمليات ضد قوات الاحتلال في عدن، وقتل ضابط بريطاني بعد إصابته برصاصة في صدره في «المعلا»، وأُطلق في عدن صاروخ على معسكر للقوات البريطانية، ودمرت دورية بعد تعرضها لهجوم

الثوار. وفي ٢٩ من الشهر نفسه اشتعلت النيران في طائرة من نوع «داكوتا» تابعة لسلاح الطيران الملكي البريطاني في «خور مكسر»، ما أدى إلى تدميرها تدميراً كاملاً، وذلك نتيجة انفجار قنبلة موقوتة وضعها ثوار الجبهة.

بالمصادفة، كاد يقضي حادث على عدد من الخلايا السرية لتنظيم الجبهة القومية. ففي التاسع عشر من يونيو ١٩٦٥م ألقى فدائيان[١] من الجبهة قنبلة على إرسالية البحارة في منطقة «التواهي». وعندما كانا يثبان إلى سيارتهما بعد تنفيذ العملية، رآهما ضابط بريطاني كان يمرّ مصادفة بسيارته العسكرية «اللاندروفر» ومعه جنديان بريطانيان، فتابع سيارتهما دون علمهما إلى «التواهي»، وطلب باللاسلكي أن ترسل قوة إضافية لدعمه. وبعد معركة غير متكافئة في شوارع التواهي الضيقة، أُلقي القبض على الفدائيين وزُجَّ بهما في سجن «رأس مربط» الرهيب حيث تعرضا للتعذيب لانتزاع أسماء أعضاء التنظيم الآخرين. وبعد ذلك أنشأ البريطانيون أقسام مخابرات خاصة لتكون مستعدة للقيام بالهجوم الفجائي في الساعات الأولى من الصباح وإلقاء القبض على الثوار. وفي الأول من أغسطس اعترف متحدث عسكري بريطاني بأن قنبلة زرعها الثوار انفجرت بالقرب من أحد مرابض الطائرات التابع لسلاح الجو الملكي البريطاني. وفي السادس من الشهر هاجم ثوار الجبهة إحدى البنايات في «مدينة الشعب» بالبازوكا والطلقات النارية. وكان المبنى يستخدم لإقامة السلاطين ووزراء الحكومة الاتحادية. وقد أغلق الإنكليز الطرق المؤدية إلى «بئر أحمد» عقب مهاجمة الثوار مقر السلاطين في مدينة الاتحاد. ورفض وزير المستعمرات البريطاني «غرينوود» إلغاء حالة الطوارئ في عدن لضمان ما سمّاه حماية القاعدة العسكرية البريطانية. وفي التاسع والعشرين من الشهر ذاته، قام الفدائيون، في الثامنة صباحاً تقريباً بعملية جريئة، اغتالوا خلالها ضابط المخابرات البريطاني «هاري بيري» وهو يمرّ بسيارته أمام البنك الأهلي في طريقه إلى مقرّ عمله في قسم المخابرات في بناية «البس».

وبعد أيام اغتال الثوار «آرثر شارلس»، رئيس المجلس التشريعي وضابط الخدمة المدنية البريطاني في عدن، وذلك أمام نادي التنس في «حقات» بكريتر (عدن) وهو يهمّ بركوب

(١) يقال إن هذين الفدائيين هما سالم عمر وصالح محمد هيثم.

سيارته، وسبَّب اغتياله هزة عنيفة في كل من عدن وبريطانيا، فقاموا بفرض منع التجوال في مدينة «كريتر» ليلاً طوال شهر سبتمبر. ولكن ثوار الجبهة استمروا في عملياتهم، وجرت محاولة لاغتيال ضابط مخابرات كبير (من أصل هندي)، ولكنه نجا من الموت في آخر لحظة بعد إصابته بجروح.

وفي السادس من سبتمبر طوقت قوات الاحتلال مساكن المواطنين بالقرب من مستشفى الولادة «الشعب حالياً» في «كريتر»، وقامت بحملة تفتيش واسعة النطاق شملت كريتر والشيخ عثمان والمنصورة. ودهم الجنود البريطانيون منازل المواطنين واعتقلوا عدة أشخاص. وفي التاسع عشر من الشهر اعتقلت سلطات الاحتلال ٤٥٠ مواطناً قبل موعد سريان منع التجوال بخمس دقائق، وهم عائدون من زيارة أقربائهم المرضى في «مستشفى الملكة» في خور مكسر. وفي الخامس والعشرين منه اعتقلت سلطات الاحتلال عدداً آخر من الأشخاص بتهمة الانتماء إلى الجبهة القومية على أثر مداهمات تفتيش شنتها القوات البريطانية على عدن. وفي السادس والعشرين من الشهر ذاته فرضت السلطات البريطانية نظام حظر التجوال في عموم مناطق المستعمرة عدن وبدأت حملة تفتيش وتطويق الأحياء للحدّ من عمليات الجبهة القومية.

وشهد عام ١٩٦٥م في مجمله ٢٨٦ عملية أوقعت ٢٣٧ إصابة بين قتيل وجريح.

هذا على صعيد العمليات العسكرية الفدائية التي قامت بها الجبهة القومية في ذلك العام، بالإضافة إلى عمليات نفذها فدائيو التنظيم الشعبي التابع لجبهة التحرير التي قامت أيضاً بعمليات في الريف.

بهذه العمليات أكدت الجبهة القومية تفوقها وقدرتها على شنّ حرب عصابات منظمة، في مدينة صغيرة كعدن محاصرة بين البحر والجبال، وقليلة المنافذ، وتعجّ بالنشاط التجاري وحركة الناس، ومحاطة بالأسلاك الشائكة، ومزروعة بمعسكرات القوات البريطانية والاستخبارات والعملاء من كل نوع.

ويقول المناضل عبد القوي مكاوي عن هذه الفترة: «ها هي النتائج الأولية للثورة، التي لم يكن قد مضى عليها أكثر من عام. ففي أبريل من نفس العام ساد الرعب والفزع في صفوف

القوات البريطانية في عدن، حيث إن أكثر من ٥٠٠ جندي بريطاني رفضوا أوامر قياداتهم بالخروج لأعمال الدورية، فاضطرت القيادة البريطانية إلى اعتقالهم. ويتمدد أثر مسلسل عمل الفدائيين ضد البريطانيين إلى داخل مجلس العموم البريطاني، وذلك عندما وقف وزير الجيش البريطاني فرد ريك مولي أمام المجلس ليعترف وهو في حالة أسى بأن ثوار عدن يستخدمون الصواريخ ونيران الأسلحة الصغيرة في هجماتهم. بل وكشف هذا المسؤول بيأس أن المشكلة الرئيسية التي تواجه بريطانيا تكمن في عدم قدرتها على معرفة ما في أيدي الثوار من سلاح، وهذا يعد اعترافاً ضمنياً من جانب بريطانيا بأنها لم تتمكن من الاستيلاء على ما في أيدي الثوار من سلاح، وكان ذلك في ربيع ١٩٦٥م»[٢].

وهذه شهادة للسيد عبد القوي مكاوي الذي أصبح في ما بعد أميناً عاماً لجبهة التحرير عام ١٩٦٦م، لقد كان عام ١٩٦٥م حافلاً بالعمليات العسكرية في عدن وكافة أنحاء المحميات، وكان للعمل السياسي أيضاً دوره في تعزيز موقع الثورة وإيصال صوتها إلى جامعة الدول العربية والأمم المتحدة في مارس عام ١٩٦٥م. وحظيت الثورة أيضاً بدعم البلدان العربية والمنظمات النقابية والعمالية في العالم.

---

(٢) المصدر محمد عباس الضالعي.

# الفصل الثالث عشر

## نضال نقابي... ودور تضامني فعّال للبلدان العربية والنقابات الدولية

على الصعيد السياسي، شهد عام ١٩٦٥م نشاطاً سياسياً ونقابياً ضاعف من إرباك سلطات الاحتلال البريطاني، وقلّل من فرص المناورة أو مجابهة مدّ الثورة أمامها. فقد أعربت نقابة عمال الميناء في الثالث من يناير عن تضامنها مع عمال النفط في نزاعهم مع شركة المصافي البريطانية. وأعربت الصحف الصادرة في عدن في السابع عشر من يناير عن رفض الشعب التام للجنة الدستورية التي شكلتها بريطانيا، وكل المقررات التي يمكن أن تتخذها تلك اللجنة والتي تستهدف فرض حكومة السلاطين على المحميات الغربية. وفي الحادي عشر من أغسطس أعربت النقابات التونسية، عبر صحافتها، عن التضامن مع شعبنا اليمني في الجنوب في نضاله من أجل الاستقلال الوطني وإغلاق القاعدة البريطانية في عدن.

كذلك تفاقم الخلاف بين الإدارة البريطانية والعمال المضربين في عدن، وخاصة في الميناء الذي خضعت إدارته في ما بعد للمطالب المشروعة للعمال. لكن في الحادي والعشرين من الشهر نفسه احتدم الصراع بين نقابة عمال المصارف وجمعية المصارف في عدن. وتأزم الوضع عندما قررت النقابات الإضراب العام دعماً لمطالب العمال والدفاع عن حقوقهم.

وفي التاسع والعشرين من الشهر رفعت الحركة النقابية في عدن برقية احتجاج إلى رئيس الحكومة البريطانية ووزير المستعمرات والمندوب السامي البريطاني في عدن، عبّرت فيها عن رفض قانون العلاقات الصناعية الذي استهدف خنق الحركة النقابية ومنع اللجوء إلى الإضراب لفرض حقوقهم وانتزاعها من الشركات الاحتكارية وأرباب العمل. وكانت الإدارة البريطانية في عدن قد أصدرت هذا القانون في ١٦ مارس ١٩٦٤م.

في الحادي والعشرين من سبتمبر استجابت جمعية المصارف في عدن لمطالب النقابة، وأحرز عمال المصارف انتصاراً ساحقاً. وانتهى بذلك إضراب استمر لمدة أسبوع، ليبدأ نزاع آخر بين المجلس البلدي ونقابة عمال الحكومة بعد أن اتخذ المجلس قرارات انتقامية من العمال، فقررت النقابة إعلان الإضراب.

وفي الثاني من أكتوبر سجل الإضراب العام، في عدن والريف، الذي دعت إليه الحركة النقابية، ودعمته الجبهة القومية نجاحاً منقطع النظير. وقد نظم الإضراب احتجاجاً على إجراءات بريطانيا الإرهابية والقمعية. واضطر المندوب السامي البريطاني، لأول مرة، إلى أن يطلب من قوات جيش الاتحاد النظامي والحرس الاتحادي مساعدة قواته في المستعمرة عدن لقمع المظاهرات التي قامت في مدينة «كريتر» لتحدي قرار فرض منع التجوال على المدينة منذ مقتل «آرثر شارلس» رئيس المجلس التشريعي في ٢٩ أغسطس ١٩٦٥م.

وقد ألقت القوات الاتحادية التي لبت طلب المندوب السامي القبض على ٧٦٠ شخصاً، ورحّلت السلطات البريطانية بعدها مئات منهم إلى الجمهورية العربية اليمنية.










وفي الثالث من أكتوبر، رفض المندوب السامي البريطاني في عدن إطلاق سراح القادة النقابيين من المعتقلات التي زجوا فيها، بزعم أن إطلاق سراحهم يشكل تهديداً للأمن. وقد هددت نقابة عمال النفط بإعلان الإضراب العام ما لم يُطلق سراح السكرتير العام للنقابة، الذي اعتُقل عقب الإضراب العام الشامل الذي عمّ البلاد في الثاني من أكتوبر.

في الخامس من الشهر، دعت النقابة العامة لعمال النفط في عدن العمال إلى القيام بإضراب عام احتجاجاً على اعتقال السلطات البريطانية سكرتير عام النقابة. وكانت المصفاة قد شهدت في مطلع الستينيات أطول إضراب تشهده المنطقة، حيث استمر ستين يوماً.

وأعلن اتحاد نقابات عمال النفط في سورية أنه سيدعو إلى إضراب لعمال النفط بعد يومين مساندة لعمال بلادنا وللتعبير عن التضامن معهم. وتحرك الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب واتحاد النقابات العالمي في خطوات تضامنية مع العمال في عدن في صراعهم ضد سلطات الاحتلال.

في السادس من أكتوبر، أبرق بعض المواطنين إلى الأمين العام للأمم المتحدة وإلى الجامعة العربية والصليب الأحمر الدولي، مطالبين بالإسراع في فحص حالة المعتقلين السياسيين التي كانت تزداد سوءاً في معتقلات الاحتلال وسجونه.

في اليوم نفسه أضرب عمال قطاع البترول في عدن، وعددهم أربعة آلاف، استجابة لنداء نقابتهم، واحتجاجاً على استمرار اعتقال السكرتير العام للنقابة.

وعبّرت نقابات عمال النفط والكيمياء في الأردن عن تضامن العمال في كل من سورية والأردن مع رفاقهم في عدن.

وذكر في عدن أن إحدى عشرة دولة قدمت شكوى إلى مجلس الأمن الدولي، جاء فيها «أن الوضع في عدن يشكل تهديداً خطيراً للسلام والأمن الدوليين».

نشرت الصحف المحلية نبأً مفاده أن الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب أنذر بريطانيا بأنها إذا لم توقف استفزازاتها واعتداءاتها على الحركة النقابية في عدن والجماهير، فإن العمال العرب سيتخذون إجراءات فعالة ضد مصالح بريطانيا في الشرق الأوسط.

وبدأ في سوريا أسبوع التضامن مع شعبنا في نضاله ضد سلطات الاحتلال البريطاني، نظمه وقاد فعالياته الاتحاد العام للنقابات السورية.

في العاشر من الشهر ذاته، بدأت مناقشة قضية الجنوب المحتل، وأعلن الرئيس الجزائري هواري بومدين أن قضية الجنوب هي قضية مصيرية للجزائر. وكان هذا الموقف متوقعاً من رئيس بلد المليون شهيد الذي خاض شعبه حرب تحرير صعبة ومريرة ضد الاحتلال الفرنسي، واستلهمنا من بطولاته وتضحياته العظيمة القدوة والمثل والدروس. وكان شعبنا في الجنوب وحركته النقابية قد وقفا إلى جانب ثورة الجزائر ونضال الشعب الجزائري من أجل الاستقلال.

وأبرق عمال جمهورية الصين الشعبية آنذاك إلى الحركة النقابية في عدن، معبِّرين عن الثقة بانتصار شعبنا في الجنوب المحتل في نهاية المطاف.

وشهدت عدن في هذا التاريخ تظاهرة طلابية كبرى، هتفت بحياة الثورة، واستخدمت قوات الاحتلال الغاز المسيل للدموع لتفريق المتظاهرين.

كذلك أعلن مندوب الاتحاد السوفياتي أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة تأييد بلاده للشعب في الجنوب في نضاله من أجل نيل حريته واستقلاله.

في الخامس عشر من الشهر، شهدت عدن تظاهرة نظمها ذوو المعتقلين السياسيين في سجون الاحتلال البريطاني وطالبوا بالإفراج عنهم. وأعلنت السلطات البريطانية على أثرها منع التجوال في منطقة «المنصورة» حيث يقع السجن المركزي، لإيقاف مسيرات الجماهير الغاضبة.

في اليوم نفسه أقدمت السلطات على اعتقال عدد آخر من القادة النقابيين بتهمة التحريض على إضرابات دعمتها الجبهة القومية احتجاجاً على ممارسات الاستعمار التعسفية.

في السابع عشر من الشهر ذاته، أمر المندوب السامي البريطاني بإلقاء القبض على عدد من زعماء الحركة النقابية، من بينهم النقابي الكبير محمد صالح عولقي[١]، وذلك بتهمة مساندتهم الجبهة القومية، وبعد ذلك بأيام أمر المندوب السامي بإغلاق صحيفتين كانتا تؤيدان الثورة بقوة.

وتلقت قيادة الحركة العمالية في عدن برقيات تضامن من اتحاد نقابات ألمانيا الديموقراطية والطلبة العرب في الولايات المتحدة الأميركية احتجاجاً على اعتقال السلطات البريطانية لعدد آخر من النقابيين.

---

(١) النقابي محمد صالح عولقي من سلطنة العوالق العليا، درس وتعلم في عدن والتحق بمصفاة عدن، وأصبح واحداً من أبرز القيادات النقابية والصدامية في المصفاة، ومن أبرز العناصر في حركة القوميين العرب في منطقة «البريقة»، وقد مارس دوراً مهماً في تعزيز مكانة الحركة والجبهة القومية. وبعد الإفراج عنه من سجن المنصورة حيث ظل معتقلاً زمناً، عاد إلى المصفاة وإلى الحياة النقابية والسياسية، وأصبح عضواً في القيادة العامة للجبهة القومية، وثاني وزير للدفاع بعد الاستقلال في حكومة الرئيس قحطان الشعبي وعضواً في مجلس الرئاسة في عام ١٩٦٩م ووزيراً للخدمة المدنية، وبعدها وزيراً للخارجية، وتوفي في عام ١٩٧٣م.

وأعلن في مقر الأمم المتحدة أن لجنة الوصاية ستعقد جلستين في يوم واحد لمناقشة الموقف المتفجر في الجنوب بحضور وفد الجبهة القومية.

كذلك رفضت سلطات الاحتلال البريطاني السماح لوفد الهلال الأحمر العربي بدخول عدن لزيارة المناطق التي تعرضت لقصف الطائرات البريطانية في ردفان.

في الرابع والعشرين من أكتوبر، دعت منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية النقابات العربية والأفريقية إلى مساندة نضال الحركة النقابية في عدن.

ومنعت السلطات البريطانية مندوب الصليب الأحمر الدولي للمرة الثانية من زيارة المعتقلين السياسيين في عدن، وحذرته من رفع تقرير عن حالتهم السيئة.

وتظاهر الطلبة اليمنيون في سورية أمام السفارة البريطانية في دمشق احتجاجاً على الإجراءات التي تمارسها السلطات البريطانية ضد المعتقلين السياسيين والمواطنين.

وتقدمت الدول الأفريقية والآسيوية بمشروع قرار إلى الأمم المتحدة، استهدف حمل المنظمة الدولية على تجاهل مقترحات بريطانية رمت إلى تدعيم حكومة الاتحاد الفيدرالي وخلق نظام حكم موالٍ لبريطانيا لا يمثل الشعب في الجنوب.

في الثلاثين من أكتوبر شكت الشركات البريطانية في عدن أن مصالحها التجارية تأثرت إلى حدٍّ بعيد نتيجة الإضرابات العمالية.

في الأول من نوفمبر هددت نقابات العمال العرب بمقاطعة السفن البريطانية التي تستخدم الموانئ العربية، وذلك تضامناً مع عمال بلادنا في نضالهم ضد الاستعمار البريطاني.

وأعلن اتحاد المحامين العرب أنه سيشكل فريقاً من المحامين للدفاع عن المعتقلين السياسيين في سجون الاحتلال البريطاني في عدن.

وحذرت الحركة النقابية سلطات الاحتلال من مغبة استمرار تدخل البوليس القمعي إلى جانب الشركات الاحتكارية أثناء تصعيد إضراب العمال ضد هذه الشركات.

بدأت في الخامس من نوفمبر في الجزائر أعمال المؤتمر الأفريقي – الآسيوي، وكان من بين أهم بنود جدول أعماله قضية نضال الشعب في الجنوب اليمني المحتل.

في التاسع من نوفمبر طردت سلطات ميناء عدن عدداً آخر من العمال بسبب مشاركتهم في إضراب دعت إليه الحركة النقابية.

وتطوع عدد من المحامين العرب للدفاع عن المعتقلين السياسيين في سجون الاحتلال في عدن.

في الخامس عشر من الشهر نفسه، صدرت قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة المؤيدة لنضال الشعب في الجنوب من أجل التحرر والاستقلال، وإنهاء الاحتلال البريطاني وتصفية قواعده ووجوده.

في الثاني والعشرين منه اجتمعت القيادات النقابية باللورد «بيزويك»، فيما نددت الجبهة القومية والنقابات الست بذلك الاجتماع.

وأجرت الولايات المتحدة وبريطانيا اتصالات بينهما بصدد مستقبل القاعدة الحربية البريطانية في عدن بعد أن أعلنت واشنطن اهتمامها بالقاعدة وحرصها على احتفاظ بريطانيا بها.

بدأ في الخامس والعشرين من نوفمبر مؤتمر اتحاد المحامين العرب بحضور مندوب عن الجبهة القومية. وعبّر المحامون العرب عن استعدادهم للدفاع عن المعتقلين النقابيين في سجون الاحتلال.

إزاء المدّ المتعاظم للثورة، والكفاح المسلح، وتنامي العمل السياسي وحركة الإضرابات والتظاهرات، ضاعفت بريطانيا تشديد قبضتها، في محاولة لإجهاض الثورة المتنامية، ووصل لهذا الغرض في السابع عشر من أبريل «البريجادير لنت»، ليتولى قيادة القوات البريطانية بعد الإخفاق الذي سجلته أمام تقدم الثوار. وأعلنت الحكومة البريطانية في ١٧ مايو بعد شهر من وصوله، رفضها القرار الذي تبنته لجنة خاصة تابعة للأمم المتحدة، والذي أكد حق شعبنا في تقرير مصيره بحرية وجلاء الاستعمار عن بلادنا، وإغلاق القاعدة العسكرية البريطانية في عدن.

في ٣ يونيو، نشرت في عدن تصريحات لرئيس وزراء بريطانيا «هارولد ويلسون» أكد فيها أن حكومته متمسكة بقاعدة عدن لحماية ما سمّاه «المصالح البريطانية والغربية في المنطقة». وفي اليوم ذاته أصدرت سلطات الاحتلال قانوناً يمنع الإضراب.

ووصل إلى عدن في السابع عشر من يونيو وزير المستعمرات البريطاني السابق «أنتوني غرينوود»، وذكر رسمياً أن هدف زيارته هو التعرف إلى وضع القوات البريطانية، وإجراء مشاورات مع المندوب السامي البريطاني والقيادة البريطانية في عدن.

في الأول من أغسطس، أعلنت الإدارة البريطانية أنها ستقدم مبالغ مالية لمن يدلي بمعلومات عن ثوار الجبهة القومية. وفي الثالث عشر من أغسطس عاد إلى عدن المندوب السامي البريطاني «ريتشارد ترنبول»، قادماً من لندن، حيث أعلن فور عودته توقيع معاهدة بين حكومته والنظام السلاطيني في إطار اتفاقية الحماية. ورفضت لندن في ١٩ سبتمبر تقرير لجنة تصفية الاستعمار الدولية التابعة للأمم المتحدة التي عقدت جلستها بتاريخ ٩ أبريل سنة ١٩٦٤م، وهو التقرير الذي طالب بريطانيا بما يأتي:

١- رفع حالة الطوارئ وإلغاء القوانين الاستثنائية وإطلاق سراح السجناء والمعتقلين وإعادة تجميع المبعدين.

٢- وقف أعمال القمع وقصف القرى والحملات العسكرية.

٣- إزالة القاعدة العسكرية في عدن.

٤- تأكيد حق تقرير المصير للشعب العربي والمنطقة بواسطة انتخابات حرة عامة تحت إشراف الأمم المتحدة الفعال.

وأنهت اللجنة تقريرها بقولها: لقد قام أوثانت، السكرتير العام للأمم المتحدة بنقل هذا القرار إلى الحكومة البريطانية.

في ٢١ من الشهر نوقشت قضية الجنوب اليمني المحتل أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة استناداً إلى الحقائق التي وردت في تقرير لجنة تصفية الاستعمار الذي رفضته بريطانيا. وفي ٢٥ سبتمبر أصدرت ملكة بريطانيا اليزابيث الثانية مرسوماً بتعليق دستور عدن، وخولت المندوب السامي صلاحيات مطلقة. وأُعفيَ المستوزرون من مناصبهم بعد تدهور الأمن بصورة خطيرة، وإصرار لندن على الاحتفاظ بالقاعدة الحربية في عدن لخدمة مصالحها الاستعمارية.

في السادس والعشرين من الشهر نفسه، علّق الإنكليز دستور المجلس التشريعي وألغوا

حكومة عدن، وبقيت عدن تحكم حكماً مباشراً من المندوب السامي البريطاني حتى الاستقلال في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م.

وقد أعلن المندوب السامي تعيين «ب. ج. أون» قومنداناً لبوليس عدن في ٩/١٨ خلفاً لـ«ديلتشاير»، وجاء تعيينه إشارة إلى تحركات قمعية أشدّ بعد نجاح الجبهة القومية في اغتيال عدد من ضباط المخابرات البريطانية في عدن. وتحركت فرق أخرى من القوات الجوية البريطانية من قبرص إلى عدن لتدعيم محاولات بريطانيا في القضاء على الثورة.

واعترف ممثل بريطانيا لدى الأمم المتحدة، اللورد «كارادون»، أمام الجمعية العامة للمنظمة الدولية، بأن الثورة أحبطت جهود حكومته لتنفيذ مخططاتها في الجنوب.

وهكذا فرضت الثورة منطقها الخاص.

# الفصل الرابع عشر

## ويتواصل الكفاح... وتصمد الثورة

على الرغم من أن الثورة تعرضت في النصف الأول من يناير ١٩٦٦م لانتكاسة خطيرة بسبب عملية «الدمج القسري»، التي حصلت في القاهرة بين منظمة التحرير لجنوب اليمن والجبهة القومية، والتي رفضتها أغلبية القيادة وقواعد الجبهة القومية، وأثر ذلك في جبهات القتال، وفي مستوى العمليات الفدائية في المستعمرة البريطانية في عدن، لكنها استطاعت تنفيذ عدد من العمليات.

ففي السابع عشر من يناير ١٩٦٦م، أي عقب أربعة أيام فقط من إعلان الدمج القسري، انفجر الطرد الذي بعث به ثوار الجبهة القومية إلى مساعد المندوب السامي البريطاني «روبين ثورن» وأدى انفجاره إلى قطع أصابعه. وفي ٢٨ فبراير استطاع أحد الفدائيين المستخدمين في منزل الضابط السياسي «أنتولي انجليدو» في قيادة قوات الشرق الأوسط، تفجير لغم في شكل لعبة في غرفة الاستقبال أثناء حفلة عشاء كان يقيمها لضيوفه، وأدى الانفجار إلى مقتل شخصين وجرح ١١ آخرين. وبعد أسبوع ألقيت قنبلة على ضيوف حفلة عشاء أخرى في أحد المنازل المحروسة في منطقة «خورمكسر»، حين كانوا يحتسون الشراب في شرفة المنزل، وجُرح في هذه العملية خمسة بريطانيين. وكانت الحفلتان تضمان عدداً من كبار الموظفين البريطانيين في الخدمة المدنية والبوليس.

في الأول من مارس أعلن ناطق بريطاني أن ثلاث دوريات بريطانية تعرضت لهجمات بالقنابل في كل من الشيخ عثمان والتواهي، أدت إلى إصابة عدد من جنود الاحتلال بجروح.

في ٢١ مارس فرضت السلطات البريطانية حظر التجوال في كل من «المنصورة» و«الشيخ عثمان» عقب مقتل ضابط بريطاني برصاص فدائيي الجبهة القومية. وأطلق ثوار آخرون النار على ضابط بريطاني آخر كان يقود سيارة عسكرية عند مدخل خطوط «سيداسيرلاين»، فقتل على الفور. وفي الخامس من أبريل تعرضت دوريتان بريطانيتان لهجوم بالقنابل في حيّ المنصورة، أدى إلى إصابة عدد منهم. وفي ١٥ من الشهر أُصيب سلطان لحج بكسر في ساقه عندما اصطدمت سيارته بلغم في الطريق بين «الشيخ عثمان» و«دار سعد»، وفي العاشر من يوليو فجّر ثوار الجبهة القومية مستودع تموين البحرية بالمعلا، الذي يخدم قوات الاحتلال. وكانت السلطات البريطانية، قد فرضت حظر التجوال في المنصورة والشيخ عثمان إثر مهاجمة ثوار الجبهة للعديد من الدوريات البريطانية، نجم عنها خسائر في أرواح الجنود البريطانيين. وفي مدينة «كريتر» هاجم ثوار الجبهة ثلاث دوريات بريطانية بالقنابل والمدافع الرشاشة، وأوقعوا إصابات مباشرة بجنود الاحتلال، ما دفع السلطات إلى إعلان حظر التجوال فوراً. وفي الرابع والعشرين من الشهر ذاته، هاجموا عدداً من نقاط التفتيش الإنكليزية في عدن، ومستودعاً لتموين الجيش البريطاني. وفي ١٩ أغسطس اغتيل في عدن أحد أعضاء ما كان يسمى المجلس الاتحادي الذي كانت العضوية فيه تُمنَح بقرار من المندوب السامي البريطاني. وفي ٢٤ سبتمبر، على أثر هجمات فدائية جريئة نفذها ثوار الجبهة القومية قُتل خلالها عدد كبير من الإنكليز وضباط المخابرات البريطانية وجنود الاحتلال، أصدر المندوب السامي البريطاني في عدن «توماس وتر» أمراً بمنع تجوال البيض في الشوارع. وفي الخامس من ديسمبر، هاجم ثوار الجبهة عدة نقاط تفتيش للقوات البريطانية في عدن، وأصيب عدد من جنود الاحتلال، وذلك بعد فكّ الارتباط مع جبهة التحرير وإعلان الجبهة القومية العمل بصورة مستقلة في ١٤/ ١٠/ ١٩٦٦م.

في المقابل، شهد عام ١٩٦٦م تصعيداً في العمل السياسي والجماهيري، فقد حقق عمال النقابة العامة لعمال البترول نصراً، وبعد إضراب استغرق شهراً كاملاً، استجابت أو خضعت الشركات البريطانية لمطالب النقابة بإعادة ٦٦ عاملاً فُصلوا من العمل، وأقرت بأنها سترفع أجور العمال. وعمّ عدن إضراب شامل دعت إليه النقابات في ٢٦ فبراير، واستخدم جنود الاحتلال القنابل المسيلة للدموع لتفريق المتظاهرين. وفي الأول من مارس شهدت مدينة

الشيخ عثمان تظاهرة طلابية احتجاجاً على اعتقال عدد من الطلبة وتقديم عدد منهم للمحاكمة بتهمة مهاجمة دورية عسكرية بالقنابل. وفي الخامس والعشرين منه تصدت النقابات لقرار شركة عدن للطيران «إيدن إيرويز» بفصل ١٧١ عاملاً من عمالها بصورة تعسفية.

وأغلقت السلطات مدرستين في عدن في ٥ أبريل بعد أن قاطع الطلبة الدراسة احتجاجاً على استمرار الوجود البريطاني. وأغلقت مدرسة أخرى في «الشيخ عثمان» في ١٥ أبريل بعد أن قاطع الطلبة الدراسة احتجاجاً على اعتقال زملاء لهم بتهمة مهاجمة دورية بريطانية.

في الأول من أكتوبر من ذلك العام، استسلمت السلطات البريطانية لمطالب الطلاب، وأعلنت أن المدارس سيعاد فتحها، وأن الطلبة المعتقلين سيطلق سراحهم وسيعود الطلبة الموقوفون للدراسة.

في الثاني عشر من ديسمبر صدّقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على قرار بتعيين بعثة دولية وإرسالها إلى الجنوب المحتل. وقد استقبل ثوار الجبهة اللجنة بتصعيد كبير للكفاح المسلح، وخرجت الجماهير في تظاهرات كبرى لتأكيد أن السلاطين لا يمثلون الشعب.

في الجانب الآخر، فإن بريطانيا التي لم تسلِّم بهزيمتها في عدن كانت تتابع بنوع من الارتياح الصعوبات التي كانت الثورة والجبهة القومية تتعرضان لها بسبب الدمج القسري وما شاب علاقتها بالجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية اليمنية اللتين تقدمان الدعم السياسي المعنوي والمادي للثورة وللجبهة القومية من فتور، واستمرت في مناوراتها السياسية وتعزيز قواتها لعلها تستطيع في مثل هذه الظروف الناشئة وقف مدِّ الثورة وإلحاق الهزيمة بمشروعها الرامي إلى تحقيق الاستقلال وجلاء قوات الاحتلال.

في الثالث عشر من فبراير ١٩٦٦م، أعلنت بريطانيا ما وصفته بمقترحات دستورية لاتحاد الجنوب العربي. واستهدفت تلك المقترحات تفكيك وطننا وتجزئته، وترسيخ سلطة السلاطين والأمراء والمشايخ. ووصل في اليوم نفسه إلى عدن اللورد «بيزويك» السكرتير البرلماني للكومنولث والمستعمرات، في مهمة حددتها الإدارة البريطانية بالقيام بمناورة سياسية استهدفت دعم رغبة بريطانيا في الإبقاء على قاعدتها العسكرية في عدن، ودعم الاتحاد وتطويق الثورة، وهو ما لم يكن مستطاعاً، إذ كشف النقاب في ١٩ فبراير في عدن

أن ٧٠٠ جندي بريطاني حوكموا عسكرياً بتهمة الفرار من ساحة القتال أثناء المواجهات مع المقاومة الشعبية التابعة للجبهة القومية.

في لندن نفسها جرت تظاهرة صاخبة، طالب فيها الشعب البريطاني حكومته بالكفّ عن مقاومة الثورة والانسحاب من عدن وبقية الجنوب. فاضطرت بريطانيا إلى الإعلان رسمياً في الثاني والعشرين من فبراير أنها ستنسحب من عدن وتغلق قاعدتها العسكرية فيها نتيجة الخسائر الجسيمة التي مُنيت بها قواتها على أيدي ثوار الجبهة القومية.

أرسلت الولايات المتحدة الأميركية، التي كانت تتابع بقلق تطورات الموقف في الجنوب، البارجة الحربية «ار. أ. أوون» التابعة لأسطولها الحربي إلى عدن، في مظهر آخر من مظاهر دعم الاحتلال البريطاني والحرص على عدم إغلاق القاعدة العسكرية البريطانية في عدن.

في الخامس من أبريل بدأت في بيروت محادثات بين الحكومة الاتحادية وعناصر من حزب رابطة أبناء الجنوب العربي، استهدفت تعزيز حكومة الاتحاد وتنفيذ خطط بريطانيا الاستعمارية التي أحبطتها الثورة. وفي الخامس والعشرين من الشهر، ناقش مجلس العموم البريطاني في لندن تدهور أوضاع القوات البريطانية الناجم عن تعاظم مدّ الثورة المسلحة والالتفاف الواسع للجماهير حولها.

في السابع والعشرين منه، وفي ضوء اعتراف انتُزع من أحد المعتقلين بأسلوب التعذيب الوحشي الذي مورس عليه في معتقل «رأس مربط» في التواهي، قامت القوات البريطانية بإحدى أكبر مداهماتها الفجائية ضد عدد كبير من أعضاء الجبهة القومية، وأودعتهم المعتقلات، وألحقت هذه العملية خسارة كبيرة بالتنظيم.

في الثامن والعشرين من أبريل أعلن رئيس الحكومة البريطانية وقتذاك «هارولد ويلسون»، أن شؤون جنوب اليمن ستنقل اعتباراً من أول مايو ١٩٦٦م إلى وزارة الخارجية بدلاً من وزارة المستعمرات، وأكد عزم حكومته على الاحتفاظ بما سمّاه «منشآت عسكرية» لها في عدن(!) في ما يبدو نوعاً من التحايل الذكي، على قرارها السابق الذي أعلنته في ٢٨ فبراير ١٩٦٦م بإغلاق قاعدتها العسكرية في عدن.

وقد طوق جنود الاحتلال مدينة «كريتر»، وقاموا بحملة تفتيش ومداهمات من منزل إلى

منزل بحثاً عن ثوار الجبهة القومية دون جدوى. وقد غادر المندوب السامي البريطاني عدن متوجهاً إلى لندن في ١٥ مايو لإجراء مشاورات مع حكومته في أسباب الإخفاق المستمر لقواته أمام النموّ المتصاعد للثورة وعملياتها المسلحة.

في ١٢ يونيو، عُقد اجتماع للسلاطين والمستوزرين، في محاولة من بريطانيا لتنفيذ مناورة سياسية تخرجها من مأزقها واحتواء الثورة، لكن المناورة فشلت.

في اليوم نفسه، وصل إلى عدن وزير الحرب البريطاني وقتذاك «دنيس هيلي»، لإجراء محادثات مع المسؤولين البريطانيين وقيادته العسكرية، تناولت الوضع العسكري المتدهور لقوات الاحتلال، وفي اليوم ذاته جرت في البرلمان البريطاني مناقشة بصدد موافقة حكومة لندن على منح جيش حكومة الاتحاد أسلحة حديثة.

وأبلغت حكومة الاتحاد في العاشر من أغسطس وكالة «رويتر» بقلقها إزاء المناقشات التي كانت تجري وقتذاك في الأمم المتحدة حول مستقبل الجنوب المحتل. وكانت هذه المناقشات تدور انطلاقاً من قرارات الجمعية العامة التي رفضت الاعتراف بالسلاطين.

كذلك وافقت اللجنة الخاصة للجمعية العامة في اليوم نفسه على إرسال بعثة دولية إلى عدن لتقصي الحقائق. وقد ظلت لندن تعارض دخول البعثة إلى عدن نظراً لرفض الأمم المتحدة الاعتراف بالسلاطين.

في السابع والعشرين من أغسطس، أوصى ما كان يسمى «المجلس التشريعي» المندوب السامي البريطاني في عدن بنقل مسؤولية الأمن الداخلي إلى جيش الاتحاد، في محاولة لإنقاذ جنود الاحتلال من الضربات والخسائر التي كان يلحقها بهم الثوار.

أصدرت حكومة الاتحاد، في الأول من سبتمبر، أمراً قضى بحظر تداول الصحف الصادرة في الجمهورية العربية اليمنية.

وفي اليوم نفسه نظّمت قوات الاحتلال حملة تفتيش كبرى شملت عدن كلها، حيث طوقت أحياءً بكاملها واقتحم مئات من الجنود الإنكليز المنازل لإرهاب المواطنين تحت ستار البحث عن الأسلحة ومخابئ الثوار.

وفي السابع من أكتوبر، وجهت منظمة العفو الدولية رسالة إلى الحكومة البريطانية، تضمنت وثيقة تثبت بشاعة التعذيب البريطاني للمعتقلين السياسيين.

وأعلن في اليوم ذاته، رسمياً، أن محادثات جرت في بيروت ضمت ممثلين عن حكومة الاتحاد وعناصر أخرى لتنسيق مواقف المشاركين في المحادثات مع خطط بريطانيا.

وفي الخامس من ديسمبر تولى قيادة جيش الاتحاد الضابط البريطاني «داي»، وجاء هذا التغيير في ظل الهجمات المتتالية التي تعرض لها جيش الاحتلال على أيدي الثوار.

وهكذا فإن صراع الإرادات والقوى كان مستمراً في عام ١٩٦٦م أيضاً بين قوات الاحتلال البريطاني والحكومة البريطانية من جهة، والثورة بقيادة الجبهة القومية وجبهة التحرير من جهة أخرى، بالرغم من الصعوبات «المؤقتة» التي كانت تمرّ بها، كان الزمن يعمل لمصلحة الثورة ومنطقها، إذ كان الزمن زمن تصفية الاستعمار وقواعده من الوطن العربي ومن كل مكان في القارات الثلاث الملتهبة بالثورات والانتفاضات والتمردات على الوجود الأجنبي.

كان ذلك هو منطق العصر، وكان على بريطانيا أن تسلِّم به في النهاية التي لم تكن بعيدة جداً.

# الفصل الخامس عشر

# المؤتمر الأول للجبهة القومية... وتنازع الخيارات

عقدت الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل مؤتمرها الأول في الفترة بين ٢٢-٢٥ يونيو عام ١٩٦٥م، وقد حضر هذا المؤتمر ممثلون عن قيادات الجبهة في تعز وقيادات التنظيمات الشعبية للجبهة في سائر أنحاء الجنوب من باب المندب غرباً حتى المهرة شرقاً، وقد ضمّ المؤتمر المثقفين والطلاب والعمال في المهجر والقبائل. وفيه عرض لمسيرة الثورة منذ قيامها في ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣م ومخططات الاستعمار القديمة منها والجديدة، والدعاية، والناحية المالية والموقف العربي والدولي من القضية.

انتخب قحطان الشعبي أميناً عاماً للجبهة القومية، وخرج المؤتمر بنصر كبير من خلال إقراره الميثاق الوطني الذي كان ثمرة جهود وعقول سهرت ليلاً ونهاراً على إعداده، وشارك في صياغته السيد خالد عبد العزيز الذي انتُخب في المؤتمر بحرف (س)، وحددت فيه واقع المنطقة والجذور التاريخية للثورة، وأشارت إلى المقاومات الشعبية التي خاضها شعبنا ضد المستعمر حتى وصل إلى الثورة، ثم انتهى مشروع الميثاق بتبيان أهداف الثورة - وأكد أنها ثورة عربية تحررية تقدمية.

## المشاركون في المؤتمر الأول للجبهة القومية

قحطان محمد الشعبي، سالم زين محمد، عبد الفتاح إسماعيل، عبد الله الخامري، جعفر علي عوض، علي محمد سالم الشعبي، طه أحمد مقبل، سيف أحمد الضالعي، فيصل عبداللطيف الشعبي، ناصر علي صدح، حسين عبده عبد الله، سالم ربيع علي، عبد الحميد الشعبي، عبد الملك إسماعيل، محمد سعيد مصعبين، عبد الباري قاسم، حيدر أبو بكر العطاس

(ممثل عن الطلبة بالقاهرة)، محمد البخيت، سالم علي الكندي، أحمد صالح الشاعر، عبد الله محفوظ، عبد الكافي محمد علي عثمان، علي أحمد ناصر عنتر، صالح مصلح قاسم، مطهر الخلاقي، قاسم حريز، صالح علي غزالي، محمود عمر سيف، علي صالح عُباد (مقبل)، عبد الله محمد الهيثمي, محمود ناصر، قاسم الزومحي، شيخ بن هيثم، محمد عبد الله المجعلي، علي العامري، الشيخ علي العريفي، السيد محمد عبيد، السيد زين، محمد علي الصماتي، ثابت علي مكسر، عبد الهادي عوض باعوضه، أحمد سالم، محمود محمد جعفر، محمد غالب لبوزة، بالليل بن جيوب، الشيخ حسن المحرابي، الشيخ محمد مطلق وعبد القادر سعيد هادي ممثل حركة القوميين العرب في الشمال[١].

## نتائج المؤتمر

١ - إقرار الميثاق الوطني للجبهه القومية.

٢- إقرار النظام الداخلي للجبهة القومية.

٣- انتخاب قيادة جديدة ومنحها الثقة بالإجماع:

١ - قحطان الشعبي ٢- سيف الضالعي ٣- سالم زين محمد ٤-فيصل عبد اللطيف ٥- طه مقبل ٦- عبد الفتاح إسماعيل ٧ - أحمد صالح الشاعر ٨- علي الشعبي ٩- خالد عبد العزيز ١٠- جعفر علي عوض ١١- نور الدين قاسم ١٢- علي السلّامي.

بعد نقاش مشروع الميثاق الذي أقره المؤتمر، أصبح للثورة دليلها النظري بشقيه الفكري والسياسي الذي تهتدي به والذي تعمل على الوصول إلى تحقيقه. ومن ناحية أخرى أقرّ مؤتمر الجبهة تطوير أوضاع الجبهة التنظيمية، حيث إن الجبهة القومية قد أصبحت فعلاً الممثلة الحقيقية لقضية شعب الجنوب والمتحملة المسؤولية التاريخية للقضية سياسياً وعسكرياً، والتف الشعب حولها بجميع قطاعاته من مثقفين قوميين وعمال ومزارعين وقبائل وطلبة وجنود وضباط أحرار. وجد مؤتمر الجبهة القومية الأول أنه لا بد وأن يصبح

---

(١) وكاتب هذه المذكرات ومعه بعض قادة جبهات القتال لم يشاركوا في المؤتمر بسبب مشاركتهم في دورة مدرسة الصاعقة في انشاص (مصر)، وكان معي: عبد الله محمد المجعلي، محمد أحمد البيشي، وعبد الله مطلق، وعبد الكريم الديباني، وعلي سالم البيض، وهاشم عمر إسماعيل، وبخيت مليط، وراشد.

للجبهة وللثورة وشعب الجنوب ككل سلطة عليا تمثل الشعب، فأقر المؤتمر تكوين مجلس وطني هو السلطة العليا للجبهة وممثل شعب الجنوب ويقرر الأمور المصيرية التي تتعلق بشعبه.

وأقر المؤتمر أيضاً قيام مجلس تنفيذي يتولى إدارة أمور الجبهة القومية خلال فترات انعقاد المجلس الوطني، وقد عُيِّن أمين عام للجبهة القومية[٢] بالإضافة إلى المكاتب السابقة للجبهة.

لقد حقق مؤتمر الجبهة الأول هذا قفزة كبيرة في مجال نضال شعبنا وقيادته نحو النصر، وخرج المؤتمر بقرارات إيجابية لتطوير المعركة عسكرياً وسياسياً وتنظيمياً ومالياً بعد أن ناقش تجربة المعركة، وباتت الجبهة القومية تشعر بأنها بعد هذا التطور الإيجابي أصبحت هي المسؤولة عن حلّ قضية الجنوب وتصفية الوجود البريطاني بكل جوانبه العسكرية والسياسية والاقتصادية، معتمدة على الالتفاف الجماهيري حولها. كانت الجبهة القومية تعيش في قلب الأحداث، وبالأحرى فإنها كانت القوة الرئيسة التي تدير دفّة الأحداث.

في المقابل، كانت الجبهة تتعرض لكثير من التأثيرات والعوامل المتنامية التي تفرزها العملية الثورية وتداخُل الصراع مع الاحتلال، إنها تأثيرات موضوعية بلا شك، فهي ليست مفتعلة ولا مستمدة من خارج لوحة الصراع أو من خارج قضية التحرر وتعقيداتها.

وحينما تُعطي بعض تلك التأثيرات بُعداً موضوعياً، فإننا نعترف بأن كان لها بعض الجوانب السلبية على نشاط الجبهة وأفكارها، وما لبثت تلك السلبيات أن تبلورت وباتت ظاهرة، فقد اختبرناها في جميع مفاصل الثورة وتطوراتها. وحين انعقد مؤتمر الجبهة الأول في حزيران/ يونيو ١٩٦٥م بضغط من المتطلبات الجديدة لدفع الثورة وحمايتها، فإنه وجد نفسه أمام طائفة من «العقَد» والمهمات والتحديات الموضوعية، كان عليه أن يتوقف عندها، ومن أهمها:

- أولاً، تشتّت قيادة الجبهة بين عدن حيث القيادة الميدانية للعمليات الفدائية المسلحة، وبين صنعاء أو تعز أو القاهرة حيث تنفرد القيادة السياسية بصياغة وتقرير المواقف

(٢) قحطان محمد الشعبي.

والسياسات وأشكال التحالفات والعلاقات، بما في هذا التوزع من ظروف موضوعية، وبما له من آثار سلبية.

- ثانياً، تأثيرات التطور الذي شهدته ثورة سبتمبر الذي سلك طريقاً مليئاً بالعثرات والمشاكل بسبب غياب موقف موحَّد للقيادة الجمهورية إزاء حرب التحرير والجبهة القومية في الجنوب. وقد ترك هذا الخلاف ظلّه الكثيف على الأحداث وطرح أسئلة ملحّة، ثقيلة، أمام الجبهة قيادة وأطراً ومقاتلين.
- ثالثاً، انتماء الجبهة القومية الفكري والسياسي والتنظيمي لحركة القوميين العرب، وانتماؤها الروحي والقومي – على وجه الدقة – إلى الناصرية بوصفها حاضنة النضال القومي في أطواره المتصاعدة منذ الخمسينيات، بما في هذين الانتماءين المنسجمين من الناحية النظرية من تناقضٍ على صعيد الواقع الذي آلت إليه التطورات: ذلك الانتماء المزدوج المقبول في مراحل مبكرة والمستحيل في مراحل لاحقة. وقد نتج من هذه القضية نوع من الدوامة المرهقة، فلا يمكن تفكيك العلاقة مع الحركة الأم، ولا يمكن إدارة الظهر للحاضنة القومية (الناصرية).
- رابعاً، التحالفات والعلاقات الوطنية، بما فيها اختيار أسلوب العمل مع أطراف سياسية تقف ضد الاحتلال، وأخرى مترددة، وثالثة مرتبطة سراً وعلانية بالمحتل (السلاطين وغيرهم) وتطمح إلى الحلول محله بعد الاستقلال. أي طريق ينبغي اختياره: طريق الانصهار في تنظيم واحد، أم التنسيق الجبهوي، أم العلاقات الآنية؟ اختيار التفاهم والتعامل مع الضغوط الخارجية، أم رسم مواقف مستقلة لا تقيم اعتباراً لتلك الضغوط؟

## الميثاق الوطني للجبهة القومية

على هذه الخلفية برزت الدعوة إلى عقد مؤتمر للجبهة القومية كما أشرنا آنفاً بعد أكثر من عامين على البيان التأسيسي، وكان يمكن أن يحقق انعطافة كبيرة في مجرى نشاط الجبهة لو توسعت مشاركة المندوبين، التي اقتصرت على دائرة ضيقة من القيادات والأطر. غير أن ثمة نتائج مهمة تمخض عنها المؤتمر كانت موضع جدل وصراع لأشهر عديدة.

إن أبرز هذه النتائج تتمثل في التوجهات الملموسة لتطوير أوضاع الجبهة التنظيمية بإقامة

«مجلس وطني» يكون بمنزلة السلطة العليا التي تبت في القضايا المصيرية، ويتكون من ٤٢ عضواً ممثلين لمختلف مناطق الجنوب وجبهات الثورة، وتشكيل «المكتب التنفيذي» هيئة لقيادة العمل السياسي والعسكري اليومي.

وقد تألف المكتب التنفيذي من: قحطان الشعبي، سيف الضالعي، جعفر علي عوض، سالم زين، طه مقبل، علي السلّامي، علي محمد الشعبي، فيصل عبد اللطيف، عبد الفتاح إسماعيل وأحمد صالح الشاعر، وانتخب قحطان الشعبي أميناً عاماً للجبهة، مع استمرار عمل المكاتب الأربعة التي كانت تزاول نشاطها قبل المؤتمر، وهي: مكتب الشؤون السياسية، الإعلامية، التنظيم الشعبي، المكتب العسكري والمالية.

وقد فُتح مكتب للجبهة القومية في تعز تكوّن على النحو الآتي:

١- المكتب المالي ٢- المكتب العسكري ٣- المكتب الإعلامي ٤- مكتب الأمن القومي ٥- ومكتب تنفيذي يُعَدّ القيادة العليا للثورة.

ويضم المكتب التنفيذي رؤساء المكاتب جميعاً بقيادة قحطان محمد الشعبي، الأمين العام للجبهة، ويترأسه في غيابه سيف الضالعي. أما المكتب المالي، فكان برئاسة علي السلّامي، وخلفه لفترة قصيرة جعفر علي عوض بصفة مسؤول مالي، ومحمد سعيد مصعبين أمين مال، وسالم ربيع علي كبير المحاسبين، وحسين عبد الله (ناجي) محاسباً في المكتب ويعمل طباعاً في مكتب الإعلام، أما مكتب الإعلام، فقد كُلِّفت إدارته لسالم زين محمد وعبد الباري قاسم وعلي المعلم وسعيد عسيري ومحمد عبد الله الحبيشي وقاسم حريز وعبد العزيز مصعبين وناصر صدح وعبد الله مفتاح في قسم الرونيو(ماكينة سحب الورق) والتوزيع لنشرة التحرير. أما المكتب العسكري، فتكوّن من طه مقبل، علي ناصر محمد، علي سالم البيض، عبد الله مطلق، محمد أحمد البيشي، عبد الحميد عبد العزيز الشعبي، منصور أحمد هادي مهيوب. أما مكتب الأمن القومي، فتكّون من علي محمد سالم الشعبي، صالح عبدالله المجعلي وأحمد حاجب. أما مكتب الجبهة القومية في القاهرة، فقد تكوّن من قحطان الشعبي، عبد الله الخامري وعمر بسيس أميناً للمال.

أما في المجال السياسي، فقد أقرّ المؤتمر «الميثاق الوطني» للجبهة القومية بديلاً متطوراً

لـ «الميثاق القومي» الذي أقرته اجتماعات آذار/ مارس ١٩٦٣م، وأوصى بدفع الثورة إلى الأمام واستمرارها وتوسيع دائرتها وإلزام منظمات الجبهة بالعمل بين الجماهير في العاصمة والإمارات والتصدي للقوى المخرّبة.

ويعكس «الميثاق الوطني» بالمعيار النسبي التاريخي تطوراً كبيراً في فكر الجبهة ومستوى نضج أجهزتها ومناضليها، بالرغم من ضعف الجهد الجماعي في استخلاص الأفكار والمنطلقات. «فقد فاضل بين الأولويات المطروحة طارحاً شعار الوحدة العربية»، فأكد «أن الشعب العربي في اليمن شماله وجنوبه جزء من الأمة العربية، وأن إقليم اليمن جزء لا يتجزأ من الوطن العربي وتربطه وحدة تاريخه ونضالية مصيرية مشتركة، لذا فإن وحدة شعبنا العربي في اليمن شماله وجنوبه سيراً نحو وحدة عربية متحررة مطلب شعبي وضرورة تفرضها متطلبات الثورة، ويجب أن تتم على أسس شعبية وسليمة»[٣].

(٣) الجبهة القومية - الميثاق الوطني، إصدار مطابع جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، ص ٧٩.

# الفصل السادس عشر

كان الميثاق في شعاراته وفي مهماته وخططه التفصيلية قد تصدى للقضايا الآنية، الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والتاريخية المتعلقة بقضايا الجنوب وأولوية بناء دولة مستقلة فيه. لكن مسألة الوحدة اليمنية عقب استقلال الجنوب من الاحتلال البريطاني مباشرة لم تكن مطروحة حتى بالنسبة إلى القيادة السياسية في الجمهورية العربية اليمنية التي سرعان ما اعترفت بالدولة الجديدة في الجنوب بعد إعلانها مباشرة في نوفمبر ١٩٦٧م، وأرسلت وفداً برئاسة الدكتور حسن مكي، محمد عبده نعمان وعبده عثمان، للتهنئة بقيام الدولة في الجنوب، وكان لذلك دلالاته التي تعكس حقائق التاريخ المجردة من السياسة والإيديولوجيا.

ولكن علينا أن لا نقلل من شأن الأوضاع السياسية السلبية التي نجمت عن الصراع المستفحل في الجمهورية العربية اليمنية في غمرة التصدي لحرب التدخل وللمجموعات الملكية. ولا نقلل من سلبيات تعامل الأجهزة المصرية العاملة في الجمهورية العربية اليمنية مع الحركة الوطنية المسلحة في الجنوب.

أما «تخفيف» النظرة القومية وصوغ مهمة الوحدة العربية دون الإشارة إلى الوحدة مع مصر، فقد جاءا انعكاساً للمرحلة الحرجة التي كانت تمرّ بها العلاقة بين مصر عبد الناصر وحركة القوميين العرب. إنه موقف معلل إذا ما عدنا إلى تلك الفترة التي شهدت بداية الطلاق السياسي مع الحركة الناصرية لأسباب تتعلق بطائفة كبيرة من التناقضات والاختلافات على عدد لا حصر له من القضايا.

وفي مقابل ذلك كله، حمل «الميثاق الوطني» تصورات متجددة للمجتمع الجديد الذي سيحلّ بعد الاستقلال، وبخاصة حول البنى الاقتصادية البديلة من حيث وجهتها ومضامينها الطبقية، من خلال تحليل طبيعة التلازم بين الاحتلال والرأسمال العالمي من جهة، وبينه وبين الفئات الاجتماعية العليا التي أثرت من الفرص التي أتاحها الوجود العسكري البريطاني في البلاد. غير أن الميثاق إذ نجح في الكشف عن تلك الملامح العمومية، أخفق في الاستدلال إلى الجزئيات المهمة في صورة الوضع الخاص في الجنوب المحتل، حين أورد توصيفات إيديولوجية من الأدب الماركسي الذي صارت حركة القوميين العرب تنهل منه باندفاع، منهلاً عشوائياً ودونما تحسّب للخصوصية المحلية والوطنية، فيتحدث مثلاً عن البرجوازية كطبقة مذمومة بصفة مطلقة دون أن يعي أن هذه الطبقة في بلاد مثل بلادنا تضم مراتب وشرائح اجتماعية واسعة لها مصلحة بالثورة والتغيير الاجتماعي المنشود.

## التجني على الواقع... بسلاح النظرية

وتستطرد الاستعارات الماركسية العشوائية في الميثاق لتؤكد - دون وجه صواب - أن الاقتصاد الوطني لا يمكن أن ينهض بعد التحرر إلا بشرط «أن يحقق سيطرة الشعب على أدوات الإنتاج، وتحويل العمال إلى ملاّك لإنتاجهم بدلاً من كونهم عاملين بالأجر». وكان هذا في الحقيقة تجنياً على الواقع وعلى النظرية الاقتصادية الماركسية معاً. فالنظرية مرشد للتحليل وليست توصيات ملزمة، وما قام به الميثاق، هنا، هو إخضاع الواقع للنظرية، وإدخاله في مقاسات غريبة عليه ولا تستوعبه مثلما هو المثل الصيني «قص القدم لتلائم الحذاء». وقد تكرّر هذا الاعتداء على الواقع بسلاح النظرية أكثر من مرة في هذا الشوط الطويل الذي قطعته الثورة.

ولا أود أن تُفهم ملاحظتي هذه بأنها تنطبق على جميع التحليلات والاستنتاجات التي وردت في «الميثاق الوطني». فهو قد لحظ، مثلاً، من خلال المعاينة السليمة، ضرورة تحرير الرأسمال الوطني من السيطرة الأجنبية ومن النزعة الاستغلالية والاحتكارية حتى يكون للقطاع الخاص دوره في التنمية، رغم أن فكرة تحرير الرأسمال من النزعة الاستغلالية ليست دقيقة، لأن «صفة الاستغلال لا بد أن ترتبط بالرأسمال، وطنياً كان أو أجنبياً»[١].

---

(١) أحمد عطية المصري، مصدر سابق، ص ١٦٢.

وليس من شك في أن الموقف الذي أورده الميثاق من «منظمة تحرير الجنوب المحتل» كان سليماً بمعيار الظرف الملموس الذي انعقد فيه المؤتمر، وبسبب اندفاع المنظمة في طريق معاداة الثورة المسلحة ومحاولاتها للاستحواذ على إنجازاتها إعلامياً وسياسياً، والتشويش الذي مارسته على مواقف الجبهة القومية، غير أن نقل هذه القضية من هامش الظرف الملموس، المتقلب، المفتوح على احتمالات يومية، إلى مستوى برنامجي لم يكن صائباً: أولاً لأن البرامج السياسية تتجنب - في العادة - تحديد المواقف النهائية من قضايا تفصيلية، ويُترَك ذلك للبيانات والتصريحات والفعاليات السياسية الآنية. وثانياً لأن المنظمة ما زالت تتمتع بغطاء من الدعم والإعلام من كل من صنعاء والقاهرة، الأمر الذي يحمل نيات توتير أجواء العلاقة معهما، ما لا يقع في مصلحة الجبهة أو الثورة.

الأسابيع اللاحقة للمؤتمر حملت، بالفعل، مؤشرات جديدة على بدء الحوار مع المنظمة، ما كان يوجب التخلي عن ذلك الموقف المسبق الملزم، ويوجب بداهة تعديل الميثاق. وقد شرعت الجبهة القومية في عقد لقاءات مكثفة مع قيادة المنظمة، وتكلل ذلك بإعلان «الاندماج» معها، وهذا أحد الأسباب الذاتية لإيجاد جو من التمزق والبلبلة في صفوف الجبهة.

في الواقع فإن نتائج المؤتمر حركت بؤر الصراع داخل الجبهة في شتى الاتجاهات التنظيمية والفكرية والعسكرية والسياسية، إيجاباً في موضع، وسلباً في موضع آخر. وكان من إيجابياته إحكام ربط جبهات الثورة المسلحة وتنسيق عملياتها وتوحيد قياداتها.

لقد اتخذ المؤتمر جملة من التوصيات لتحسين الوضع التنظيمي، إلا أنها كانت تفتقر إلى آلية التنفيذ، وبالأحرى إلى القناعة بتلك التوصيات التي ثُبتت في وثيقة «حول تطوير الأوضاع التنظيمية» حيث كان من المفترض أن ينتخب بموجبها مجلس وطني للجبهة من اثنين وأربعين شخصاً من ممثلي مختلف جبهات القتال والمناطق. كذلك انتخب المجلس الوطني من بين أعضائه مجلساً تنفيذياً من تسعة أعضاء لقيادة نشاط الجبهة اليومي. وكان ثمة أربعة مكاتب للشؤون السياسية والإعلامية والمالية وقضايا التنظيم الشعبي.

## مناورة خادعة... باسم القرارات الدولية

وعلى الصعيد السياسي تحركت لندن لاحتواء التعاطف العربي والعالمي مع الثورة المسلحة في الجنوب، فأوعزت إلى أنصارها في «المجلس التشريعي» إثارة ضجة سياسية مطلبية تتلخص، بل وتتحدد، في المطالبة بتحقيق قرارات الأمم المتحدة الصادرة أواخر عام ١٩٦٣م، كما سارعت - في محاولة للإيحاء بالتجاوب مع تلك الحركة - إلى تقديم اقتراح بتشكيل لجنة دولية ترأسها ماليزيا (الحكومة الماليزية كانت موالية للغرب) ويشترك فيها عضو أو عضوان من الأمم المتحدة. وبعد أن تفاعل الاقتراح وصار بالإمكان تنفيذه وتطويره، عادت لندن وتراجعت... ووقفت ضد الاقتراح!

تعقيباً على هذا الموقف، أصدرت الجبهة القومية في ١٩ أيار/ مايو ١٩٦٥م قبيل عقد مؤتمرها المشار إليه بياناً مهماً فضحت فيه مخططات لندن، وجددت رفض قرارات الأمم المتحدة التي صدرت قبل اندلاع الثورة المسلحة، مشيرةً إلى أنه رغم تأكيد القرارات «تصفية القاعدة البريطانية في عدن في أقرب فرصة ممكنة»، إلا أنها لم تشر من قريب أو بعيد إلى القواعد البريطانية الفرعية الموجودة بكثرة في بقية مناطق الجنوب والجزر التابعة لها.

لم يكن الإنكليز هم وحدهم الذين صعّدوا الحملة على الثورة المسلحة والجبهة القومية. فقد نظمت الأحزاب والقوى السياسية المحافظة والموالية للمحتلين حملة من الاستعداء والتضليل بعد المؤتمر الأول للجبهة القومية، في محاولة لوقف الانعطافة الشعبية نحو الجبهة. وانخرط حزب الشعب الاشتراكي بحماسة في الحملة، حيث هيأ لحملته طائفة من البيانات التي اعتبرت «الميثاق الوطني مغالاة في رفع الشعارات المتطرفة»، وقالت عن العمليات الفدائية ضد مواقع المحتلين ومصالحهم إنها «حرب إقلاق»، وقد أفادت هذه الحملة من الآثار السلبية التي نتجت من مضايقات عرقلت تحركات مقاتلي الجبهة من قبل بعض أجهزة الجيش المصري في تعز، وبعض المسؤولين في الجمهورية العربية اليمنية، ووصول تلك المضايقات إلى حدّ تلبّد معه الجو السياسي بالشائعات والتشكيك باستقلالية الجبهة، وبلغت الأمور حداً بات يهدد بدوامة من الصراع والاقتتال.

## الخلافات بين قيادات الداخل والخارج

في الحقيقة، منذ أواخر عام ١٩٦٥م أخذت الخلافات تتعمق في صفوف الجبهة، متمحورة حول قضايا قديمة تعود إلى ما قبل المؤتمر، وقضايا مستجدة أفرزتها نتائج المؤتمر وأخبار المباحثات مع منظمة تحرير الجنوب المحتل. وكان أن اشتدت الصراعات بين قيادة «الداخل» وقيادة «الخارج».

كانت بعض الخلافات قد برزت أثناء المؤتمر الأول للجبهة القومية عام ١٩٦٥، حيث برز موقفان من اتجاهات «الميثاق الوطني»، وانتقلت إلى لجنة إعداد مسوَّدة الميثاق. ولم يمنع التوصل إلى صيغة وسطية قُدمت إلى المؤتمر في نهاية المطاف، من تفجير الخلافات حول النقاط نفسها المختلف عليها سابقاً، وتتمثل في الموقف من منظمة التحرير، وفي التدابير والإجراءات الآلية لتطوير العمل العسكري.

وفي ظل استمرار القيادة الجديدة في التغافل عن سماع الأصوات المطالبة بالإصلاح وتجذير المواقف، وحق الاطلاع على حقائق الاتصالات الجارية لإعادة العمل المشترك مع منظمة التحرير، أقدمت مجموعة من الأطر على التوجه إلى تعز للقاء القيادة، وقد عقدت جملة من الاجتماعات المطولة تمحورت حول البحث عن حلول للضعف المتزايد في أداء المجلس التنفيذي في مهماته ودوره القيادي. وقد عزمت هذه المجموعة على أن تجد جواباً عمّا يشغلها وما يهمّ استمرار الثورة وتصحيح العلاقة بين المجلس التنفيذي وأطر الثورة بالداخل، وصممت على أن لا تغادر تعز إلا بعد الإجابة عن تلك الهواجس، «وكان من بين تلك التساؤلات الكثيرة سؤال يتعلق بمدى استعداد المجلس التنفيذي لعقد المؤتمر الثاني للجبهة»[٢].

## الدمج بين الجبهتين... يناير ١٩٦٦

لم تمضِ أيام معدودة على اختتام أعمال المؤتمر الأول للجبهة القومية، حتى اتخذ المكتب التنفيذي قراراً بالموافقة على إقامة اتصالات سياسية مع قيادة حزب الشعب الاشتراكي

(٢) سلطان أحمد عمر: نظرة في تطور المجتمع، ص ٢٥٤.

وعبد القوي مكاوي وعدد آخر من القيادات السياسية. وكان هذا القرار الذي يتجاوز وثائق مؤتمر الجبهة الأول، بمثابة المفتاح للتداعيات الدرامية اللاحقة التي شهدتها الجبهة والثورة، وكذلك العلاقات مع القاهرة وحكومة الجمهورية العربية اليمنية.

ويجدر أن أوضح أن فكرة إقامة تلك الاتصالات، دون العودة إلى قرارات المؤتمر، ودون تحديد سقف لأبعاد هذه الاتصالات، كان تصرفاً خاطئاً. ولكنني أعتقد - وهذا مهم جداً - أن الاتصالات مع قيادة المنظمة لو بقيت في حدود الحوار والبحث في مشاكل النضال ضد الاستعمار البريطاني وأفضل سبل العلاقة لمواجهة تحديات المستقبل، لما ترتّب عنها من تمزق واستقطابات، ومن انعكاسات سلبية على وتيرة المواجهة مع المحتلين، ومن مواجهة عسكرية بينهما لاحقاً في ما عرف بالحربين الأهليتين الأولى والثانية على محدوديتهما.

وأوضح أيضاً أن قيادة الجبهة القومية لم تكن هي الساعية للاتصالات، ولم تكن منسجمة في الرؤية إزاء تلك الاتصالات وأهدافها البعيدة. وأعني، تحديداً، أن القيادة كانت موضع ضغط هائل. قيل إن الرئيس عبد الناصر نفسه استخدم وزنه في إقناعها بالتخلي عن التحفظ إزاء مبدأ الحوار مع الأطراف الأخرى، فضلاً عن لعبة «الجزرة والعصا» التي كانت المخابرات المصرية تعتمدها في التعامل مع قيادات الجبهة، وشهدت هذه السياسة اندفاعاً مطرداً منذ توقيع اتفاقية جدة في آب/ أغسطس ١٩٦٥م بين الملك فيصل بن عبد العزيز والرئيس جمال عبد الناصر.

كان الموقف المصري مدفوعاً بوجوده في اليمن والصعوبات التي يتعرض لها، وكانت مصر الآن تسعى لتحقيق المصالحة الوطنية للحفاظ على النظام الجمهوري وتوحيد القوى الوطنية في الجنوب لمواجهة الاستعمار تمهيداً لانسحاب القوات المصرية التي أنهكتها الحروب من اليمن. سعت إلى تنظيم لقاء في القاهرة لكل من قحطان الشعبي وسيف الضالعي وعبد القوي مكاوي وخليفة عبد الله خليفة ومحمد سالم باسندوة والسلطان الفضلي تحت رعاية وكيل المخابرات عزت سليمان، من أجل تشكيل وفد إلى الأمم المتحدة لمناقشة قضية الجنوب أمام اللجنة الرابعة أو لجنة الوصاية، واقترح المصريون أن يكون الوفد مشتركاً برئاسة عبد القوي مكاوي، وقد رفض قحطان الشعبي هذا المقترح، وطالب برئاسة الوفد، وقال السيد نوفل: إن الأمم المتحدة ساحة سياسية وليست ساحة للقتال والخلاف، وهدد

عزت سليمان قحطان الشعبي وقال له: «يبدو أنك ترفض نصيحة مصر، ناسياً دورها في تمكين الجبهة القومية من الوقوف على رجليها، وعلى كلٍّ حنشوف. اذهب أنت وسيف الضالعي ونشوف من سينتصر»، وحينها بدأ التفكير في توحيد الجبهة القومية مع منظمة تحرير الجنوب المحتل - لتنبثق عنهما في ما بعد - قسراً - «جبهة التحرير»، وكانت منظمة تحرير الجنوب المحتل تمرّ في أحرج مرحلة بعد الصدمة التي تعرضت لها بانسلاخ رابطة أبناء الجنوب عنها.

غير أن الضغط الكثيف الواقع على قيادة الجبهة لتليين موقفها من اللقاء بقيادة منظمة التحرير، جاء في إطار التفاعلات السياسية للوضع في صنعاء بعد البدء بالحوار بين الجمهوريين والملكيين وما أوجده من «مزاج» جديد يشجع نزعة الحوار و«الوحدة الوطنية» داخل قيادة الجبهة، وبخاصة الفريق الموجود في صنعاء. لقد كان الموقف السلبي من الحوار أمراً صعباً على القيادة، إذا عرفنا أن ثمة مِنْ عناصرها - كما أثبتت الأحداث لاحقاً - مَن هو مستعد لدفع الحوار إلى ذُراه... أي إلى «الدمج».

وثمة تناقض صارخ في منحى الأحداث هذا: فخلافاً لنزوع القيادة العليا للجبهة نحو «اللين والحلول الوسط، فإن قوة الداخل كانت تترسخ في الكفاح الثوري المسلّح، وتخوض معارك هائلة تضع الجبهة القومية على رأس حركة الشعب دون منازع في عدن والضالع والشعيب وحالمين والصبيحة وردفان والواحدي والمناطق الوسطى وبقية مناطق الجنوب.

فقد شنّ مقاتلو الجبهة منذ أوائل كانون الثاني/ يناير ١٩٦٦م هجمات واسعة على طول جبهات حرب التحرير، واستقبلت عدن ذكرى الاحتلال البريطاني (١٩ يناير) بعمليات ومعارك مواجهة واسعة، وقد بلغ عدد الشخصيات الكبيرة التي اغتيلت في هذه الفترة سبعة عشر شخصاً وُزعوا على الوجه الآتي:

«٤ من البوليس والمخابرات و٥ من السياسيين و٢ من العسكريين البريطانيين و٤ آخرون»[٣]. ففي دثينة شهد النصف الأول من الشهر ستّ هجمات كبيرة على مواقع البريطانيين وعملائهم.

---

(٣) سلطان ناجي، مصدر سابق، ص ٢٩١.

## شهر عاصف في جميع الجبهات

لم تكن لقاءات الجبهة المبكرة في الواقع (بعد مؤتمر الجبهة القومية الأول) بينها وبين منظمة التحرير قد أحيطت بسرية تامة. فقد التقطت الصحافة المحلية في عدن بعض مؤشرات تلك اللقاءات، وصارت تكتب عن «الوحدة الوطنية»... حتى إن موعد اللقاءات المقبلة الحاسمة أُعلن في يناير ١٩٦٦م. وفي هذا السياق أوردت جريدة «الأمل» المعبرة عن مواقف الجبهة سلسلة من المقالات عن مضمون «الوحدة الوطنية» والأخطار التي تهددها، والتشويهات اللاحقة بها، خاصة من تلك الأصوات التي ارتفعت بتوحيد المواقف السياسية للخوض في المفاوضات مع بريطانيا في إطار قرارات الأمم المتحدة، والتخلي مسبقاً عن أسلوب العنف.

كتبت «الأمل» في ١٢/ ١٢/ ١٩٦٥م: «إن التصور السليم للموقف هو أولاً، أن قرارات الأمم المتحدة قد صدرت نتيجة ثورة الشعب المسلحة وتعتبر انتصاراً سياسياً تم إحرازه بقوة السلاح. وثانياً، إن المطلوب لتحقيق أماني الشعب هو حل سياسي سليم وليس حلاً وسطياً، والحل السياسي السليم هو أن تسلِّم بريطانيا بمطالب الشعب. وثالثاً، إنه رغم الجهود المشكورة للأمم المتحدة، فإن قراراتها «ستظل عاجزة عن تقديم حل جذري وسليم وعملي للقضية، بالإضافة إلى أن الأمم المتحدة لا تستطيع إجبار الدول على احترام قراراتها. ورابعاً، إن بريطانيا عندما تسلّم بالحل السياسي للقضية فإنما لتعمل على عقد مؤتمرات دستورية تمثل فيها العناصر الرجعية العميلة لها، والشعب لا يقبل التفاوض حول التفاصيل المؤدية إلى تصفية الوجود الاستعماري الرجعي».

## استدراج للقبول بالدمج

في البداية، كانت قيادة الجبهة القومية المقيمة في تعز قد تلقت دعوة لزيارة القاهرة لبحث القضايا التي تتعلق بـ «الوحدة الوطنية». وفعلاً غادر الأمين العام للجبهة قحطان الشعبي، وبصحبته عضو القيادة علي أحمد السلّامي في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٥م. وفي غضون ذلك، كان عبد الله الأصنج وعبد القوي مكاوي ومحمد سالم باسندوه، قادة منظمة التحرير لجنوب اليمن، يعقدون في مصر لقاءات مكثفة مع القيادة السياسية المصرية بشأن موضوع الحوار مع الجبهة القومية ومستقبل الصراع في الجنوب المحتل. وكانت الوقائع تؤكد أن

موقفي الطرفين متطابقان إزاء الخطوات الواجب اتخاذها، رغم أن عبد الناصر لم يكن ليفرِّط في قضية الثورة المسلحة في الجنوب، التي كانت تُعَدّ مصدر قوة لمصر ضد بريطانيا والسعودية، حيث كانت القوات المصرية حينها تخوض معارك عسكرية في كل الجبهات بوجه الملكيين المدعومين من السعوديين والبريطانيين.

وكان موقف قحطان الشعبي راسخاً في رفض فكرة تشكيل منظمة سياسية واحدة من اندماج الجبهة ومنظمة التحرير، وفي رفض المفاوضات مع الإنكليز على قاعدة قرارات الأمم المتحدة، وفي رفض تكييف الثورة المسلحة، أي «تخفيفها» تشجيعاً للمفاوضات الوشيكة. ولم يكن في الجانب الآخر - كما يبدو - من هو مستعد للقبول بأقل من «الدمج»، وبأكثر من البرنامج السياسي التفاوضي مع المحتلين. ولهذا فقد وصل الحوار إلى طريق مسدود لا مفر له من أن يتوقف عند نقطة البداية، دون أن يحقق أية خطوة.

وإذ بقي قحطان الشعبي في القاهرة، عاد علي السلَّامي إلى تعز في حركة لم تكن لتُفَسَّر، في حينه، بغير إخفاق المفاوضات وعودته إلى مهماته في قيادة الجبهة. ولكنها حملت، في سياقات الحوارات اللاحقة، كثيراً من علامات الاستفهام بسبب الدور الذي أَوْكَلَتْهُ القيام به بعض قيادات في الجبهة وأطراف خارجها، ما يعني أن عودته إلى تعز ليست سوى حلقة واحدة في مسلسل عملية الدمج، في وقت احتُجِز فيه قحطان الشعبي في القاهرة (حتى آب/أغسطس ١٩٦٧م) جنباً إلى جنب مع فيصل عبد اللطيف الذي احتُجز هو الآخر بعد ذلك.

وها نحن إذاً في مطلع عام ١٩٦٦م، والفكرة المنتشرة في مختلف أوساط الجبهة القومية أن موضوع «الدمج» هو قيد البحث، وأن إخفاق لقاء القاهرة لم يكن سوى فاصلة طارئة في الجهود المتواصلة والمكثفة، السرية والعلنية، الفردية والجماعية، نحو استدراج الجبهة إلى التخلي عن الموقف الرافض للدمج.

كنا نناقش الأمور بشعور من الغضب والاستياء. الهاجس المسيطر هو أن ثمة حلقات مفقودة في واجبات اندفاع الحوار في هذا الطريق الخطر الذي يؤدي، لا محالة، إلى تخلي الجبهة عن قيادة الثورة، وتهميشها وإبعادها عن التأثير في صورة المستقبل الذي ينتظره شعبنا. ولا يعني ذلك بحال من الأحوال أن الحذر من خطوة الدمج أو التوحيد كان موقفاً معادياً

للوحدة، ولا المتحفظين عليها كانوا دعاة انفصال، ولكن كان هاجسهم ترسيخ هذا الدمج على أسس ومنطلقات سليمة تضمن استمراره ونجاعته حتى تحرير الجنوب.

وإذ أُعيدُ إلى الذاكرة وقائع الأحداث المتداخلة هذه، فإنما أسجل، عن قناعة أكيدة، أن بعض تلك الحلقات المفقودة تتمثل في نجاح البعض في التسلل إلى جسد الجبهة القومية في بعض المستويات، منطلقين من حرصهم على الوحدة الوطنية قبل انسحاب القوات المصرية من اليمن، كما كان البعض منهم يردد ذلك.



**مبنى الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل - تعز**




**صورة لغلاف نشرة التحرير التي كانت تصدرها الجبهة القومية لتحرير الجنوب المحتل في مكتبها في تعز بعد انطلاق الثورة ما بين ١٩٦٤م - ١٩٦٦م بإشراف عبد الباري قاسم وسالم زين وحسين عبد الله ناجي ومحمد هشوش وناصر صدح**

وهكذا فقد صدر في ١٣ كانون الثاني/ يناير ١٩٦٦م، بيان إعلان «الدمج» بين الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل ومنظمة تحرير الجنوب المحتل، وقيام تنظيم سياسي

جديد هو «جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل». وقد وقّع على البيان كل من عبد الله الأصنج (عن المنظمة) وعلي السلّامي (عن الجبهة). حينها أطلق عبد الله الأصنج على الأخ علي السلّامي اسماً تنظيمياً (ميكي ماوس).



**مبنى جبهة تحرير جنوب اليمن - تعز**

في ما يأتي نورد نص البيان الذي تمّ بموجبه هذا الاتفاق بين التنظيمين على الانصهار في تكتل واحد: (نُشر في اليوم التالي في صحيفة الأيام[٤] التي وقفت إلى جانب الثورة المسلّحة، على االرغم من التهديدات التي تعرضت لها وناشرها رئيس تحريرها الأستاذ الجليل محمد علي باشراحيل)

«أمام الوضع الراهن للجنوب والتطورات الأخيرة للقضية تمت لقاءات كثيرة بين الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل من جهة ومنظمة تحرير الجنوب من جهة أخرى... وتدارس الطرفان تطورات القضية وضرورة توحيد الجهود وتكتلها لتصبّ كلها في مجرى واحد؛ وهو تحرير البلاد من الاستعمار ومن كل الأوضاع الفاسدة.

ونتيجة لهذه اللقاءات تعلن الجبهة القومية لتحرير الجنوب المحتل ومنظمة تحرير الجنوب المحتل باسم الله وباسم الشهداء والمعتقلين والمشردين وباسم كل أبناء الجنوب ما يلي:

**أولاً**: لقد تم الاتفاق بين الجبهة القومية لتحرير الجنوب المحتل ومنظمة تحرير الجنوب

(٤) صحيفة الأيام: الجمعة ١٤ يناير ١٩٦٦م – ٢٣ رمضان ١٣٨٥هـ العدد ٤٠٢ – السنة السابعة.

المحتل على أن تندمجا في تنظيم وطني واحد يقود انتفاضة الشعب ضد الاستعمار... ويحقق للشعب العربي في الجنوب حقه الكامل في التحرر والوحدة والتقدم.

**ثانياً**: يطلق على هذا التنظيم الجديد اسم: «جبهة تحرير الجنوب المحتل».

**ثالثاً**: لقد عقد التنظيمان سلسلة من المشاورات واللقاءات واستعرضا الموقف الراهن في البلاد على ضوء الإرادة الشعبية والانتصارات العديدة التي حققها الشعب بكافة فئاته بالرغم من كل الظروف التي تحيط بالشعب والوطن. وأيقن الجميع أن أعداء الشعب من الانتهازيين ظلوا يلعبون دوراً خطيراً ضد الشعب والوطن مستغلين عدم التقاء القادة الوطنيين، عاملين على إبعاد الوطنيين عن بعضهم البعض لمصلحة الاستعمار وسياسته في شبه الجزيرة العربية.

**رابعاً**: لذلك كان من الطبيعي أن يستجيب التنظيمان الوطنيان إلى متطلبات المرحلة القادمة ويجتازا كل الحواجز ويذللا كل الصعاب من أجل أن يضعا نهاية لوجود الاستعمار على أرض الجنوب، بواسطة الاندماج والانصهار الكاملين العاجلين.

**خامساً**: إن اتفاق التنظيمين بالإضافة إلى كونه نتيجة حتمية تقتضيها المرحلة الحاسمة التي تمرّ بها قضية شعبنا وبلادنا جاء أيضاً بتأييد وإلحاح الجماهير التي عبّر عنها ما وصلنا من مناشدات ونداءات أصدرها الأحرار الأوفياء والمجاهدون الأبرار من أبناء الجنوب المحتل في الداخل والخارج من مختلف القطاعات القبلية والعمالية والطلابية والنسوية.

**سادساً**: إن الجبهة والمنظمة إذ تعبران اليوم عن الإرادة الشعبية تناديان أبناء الجنوب بأن يسدلوا ستاراً كثيفاً على خلافاتهم وأن يعودوا لتنظيم أنفسهم ويتأكدوا من أن «جبهة التحرير» سوف تطور تنظيم القطاعات الجماهيرية في الثورة على الأوضاع التي تكبِّل بلادنا بأسرها منذ أكثر من قرن من الزمان وعلى جماهير شعبنا في الداخل والخارج أن يرفعوا شعار المرحلة الراهنة «الحرية أو الموت».

**سابعاً**: إن الوحدة الوطنية ضرورة ملحّة وواجب مقدس، وإن هذا التنظيم الموحد هو ملاذنا الأول والأخير في تحقيق وحدة أرضنا وشعبنا وأمتنا في ظل قيادة وطنية متكاملة متجانسة متفاعلة مع الأحداث الجسام.

**ثامناً**: إن التنظيم الموحد لنضال الشعب ضد الاستعمار القديم والحديث هو الممثل الوحيد القادر على التعبير عن آمال شعبنا وأمانيه التي تتلخص في إنهاء الوجود الاستعماري بكل أشكاله والقضاء على معالم الاستبداد والحكم الفردي وتحقيق الحكم الجماهيري القائم على أساس الحق والعدل والديموقراطية.

**تاسعاً**: إن جبهة تحرير الجنوب المحتل، إذ تؤكد تمسكها بمبدأ النضال حتى النصر، يهمها أن تعلن للرأي العام في الداخل والخارج أن مقررات الأمم المتحدة الصادرة في ٥ نوفمبر ١٩٦٥ تعتبر الأساس الوحيد لإنهاء الاشتباكات بين شعبنا المناضل من أجل استرداد حريته وكرامته وبين الاستعمار.

**عاشراً**: إن جبهة التحرير بهذه المناسبة الخالدة، إذ توجه نداءها إلى جميع الشعوب والحكومات الشقيقة والصديقة بطلب مضاعفة التأييد والمساعدات، تودّ أيضاً أن تحذِّر كل من تسوِّل له نفسه القيام بالتصدي لأهداف الشعب وأمانيه، وذلك بالتعاون المباشر أو غير المباشر في تنفيذ أو الدعوة لتنفيذ المخططات الاستعمارية الهادفة إلى إعلان دستور مزيف لنظام حكم لا يستهدف مصلحة الشعب والوطن. وهؤلاء سينفذ فيهم حكم الشعب بدون تردد.

**الحادي عشر**: إن جبهة التحرير هي من شعب الجنوب المحتل وليست محصورة قيادة أو قاعدة بفئات من الناس دون غيرهم: إنها جبهة الشعب مفتوحة لكل مواطن حر مكافح. والله نسأل أن يسدِّد خطانا على طريق النصر والخير». (انتهى)

في اليوم الثاني أعلن قحطان الشعبي في القاهرة إبطاله قرار الدمج وعدم شرعيته، ولكنه «لم يتمكن من عقد مؤتمر صحفي وذلك لأسباب خارجة عن إرادته، ولم يسمح لبعض المراسلين الاجتماع به، بمن فيهم مراسل مجلة «الحرية» اللبنانية التي كانت تعبِّر عن وجهة نظر حركة القوميين العرب ومراسلا «البرافدا وتاس»، كما ذكرت جريدة «الأمل» في الثالث والعشرين من يناير ١٩٦٦م[٥].

وفي ١٩/ ١/ ١٩٦٦م أصدرت الجبهة القومية بياناً أعلنت فيه أن بيان الدمج قد أعلن «دون

---

(٥) فيتالي ناؤومكين، مصدر سابق، ص ١٤٢.

معرفة المجلس التنفيذي للجبهة القومية». وأعلنت «شجبها للبيان وعدم اعترافها به باعتباره تصرفاً فردياً».

وعادت وأصدرت في ٢٢/ ١/ ١٩٦٦م بياناً أوردت فيه أن علي السلّامي مارس «عملية نقد ذاتي لنفسه أمام المجلس التنفيذي للجبهة بروح طيبة مخلصة».

«لذلك فإن الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل تعلن أنه لا صحة للإشاعات المغرضة التي تحاول ترديدها الإذاعات الاستعمارية بأنه توجد انشقاقات في صفوف الجبهة القومية».

## بيان قحطان الشعبي

غير أن واقع الحال كان يؤكد أن ثمة انشقاقات حقيقية كانت تحدث في صفوف الجبهة. لم يكن «ترحيل» الأمر على الإذاعات الاستعمارية قد غيّر من الواقع شيئاً، حيث إن ردود الفعل اللاحقة أكدت أن تلك الإذاعات لم تكن تلفّق أخباراً لا صحة لها، بل كانت تهوّل و «توجّه» الأخبار لزعزعة ثقة المواطن بالثورة والجبهة القومية.

لقد كشف البيان الصادر عن الدمج جملة من الحقائق والمؤشرات. فقد عُقدت في المرحلة السابقة لقاءات عدة بين التنظيمين «من أجل تجسيد وحدة العمل الثوري»، وأن ثمة عوامل لقيام التنظيم الجديد تتمثل في:

- **أولاً**، التطورات الجديدة للموقف الاستعماري، إذ قامت بريطانيا بتعيين وزير جديد للمستعمرات يخطط لإيجاد دستور للجنوب ينتهي إعداده في شهر شباط/ فبراير ١٩٦٦م، ويهدف إلى الإسراع في إعلان استقلال مزيف وضرب ثورة الشعب.

- **ثانياً**، لأن القوى الوطنية في مواجهة الاستعمار ومخططاته تقف ممزقة ومتصارعة، وكان هذا حالها ولا يزال منذ عام ١٩٥٠م، ولهذا اتفقت الجبهة القومية ومنظمة التحرير على الاندماج في تنظيم ثوري واحد لقيادة الشعب ضد الاستعمار البريطاني من أجل تحقيق أمانيه الوطنية.

أما الأهداف التي تعمل «الجبهة» على تحقيقها، فهي كما أورد البيان:

- «إزالة الوجود الاستعماري بكل صوره العسكرية والسياسية والاقتصادية.

– القضاء على الحكم الفردي المستبد، وإقامة حكم الجماهير وتحقيق شعار التحرر والوحدة والتقدم»، مع تأكيد أن «قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر في ٥/ ١١/ ١٩٦٥م هو الأساس الوحيد للوصول إلى حل للنزاع القائم وإحلال السلام في المنطقة».

وكان بيان قحطان الشعبي واضحاً وجريئاً في تسمية أبعاد هذه الخطوة الاندماجية التي أقدم عليها علي أحمد السلّامي في صفقة مع عبد الله الأصنج.

يقول:
«والجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل، قائدة ثورة التحرير في الجنوب المحتل، والممثلة الحقيقية لقضية الجنوب عسكرياً وسياسياً إذ تكذب هذا الخبر، تأسف في الوقت نفسه للتضليل والبلبلة المفتعلة التي خلقها نشر وإذاعة هذا الخبر المزيف الذي قُصد به التشكيك في الجبهة القومية لتحرير الجنوب، قائدة الثورة الشعبية ومفجرتها منذ أكثر من عامين. وهي التي استطاعت أن تقفز بالثورة في هذا الجزء من الوطن العربي إلى مستوى ثورات التحرر التاريخية».

وناقش بيان قحطان الشعبي بيان الدمج بروح موضوعية وبمساجلة هادئة، ولكنها راسخة. يقول:

– «**أولاً**: إن البيان الذي استندت إليه وكالات الأنباء عند إذاعته كان موقعاً من قبل عضو واحد من الجبهة القومية وهو علي أحمد السلّامي، الذي فرض نفسه في ظروف غامضة للإعلان عن إجراء غير شرعي باسم الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل عن اندماج الجبهة القومية مع ما يسمى بمنظمة تحرير الجنوب المحتل التي لا يتعدى عدداً من يدعون انتسابهم لها عدد أصابع اليد الواحدة، لا يربطهم تنظيم قيادي أو شعبي، ولم تحلّ تناقضات جوهرية بين من أطلقوا على أنفسهم اسم هذه المنظمة.

– **ثانياً**: إن اندماج الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل بأي تنظيم آخر – إذا ما وجد هذا التنظيم – لن يقرره حسب ما ينص عليه الميثاق الوطني للجبهة القومية والنظام الداخلي لها عضو قيادي أو عضو عادي من أعضائها أو مجموعة منها، ولا يقرره حتى مجلسها التنفيذي أو مجلسها الوطني، بل يقرره المؤتمر الوطني للجبهة القومية الذي يضم المجلس التنفيذي والمجلس الوطني، وممثلين لكل قواعد الجبهة العسكرية والشعبية.

- **ثالثاً**: إن هذا البيان الذي صدر عن (علي أحمد السلَّامي) الذي خول لنفسه بطريقة غير شرعية التوقيع باسم الجبهة القومية، وبتوقيع عبد الله الأصنج الذي يعرف الكل مواقفه العدائية السابقة ضد الجبهة القومية وثورة التحرير التي تقودها، إن هذا البيان هو في الحقيقة تزوير عن الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن، وتزوير لإرادة الجماهير العربية الثائرة في الجنوب المحتل، وإن هذا البيان المزيف كان صدر من غير أن يوافق عليه أي عضو من أعضاء المجلس التنفيذي للجبهة القومية. إن عدداً كبيراً من أعضاء المجلس التنفيذي للجبهة القومية هم الآن في خط النار في جبهات القتال ضد الاستعمار البريطاني في الجنوب، وعدداً آخر هم خارج المنطقة في المؤتمرات الدولية مثل مؤتمر القارات الثلاث في كوبا(٦)، أو يقومون باتصالات رسمية وشعبية لشرح قضية الجنوب المحتل وطلب الدعم والعون لها، وإن عدداً صغيراً فقط هم في تعز بالجمهورية العربية اليمنية. والكل لا يعرفون شيئاً عن هذا الاندماج المزعوم وبالتالي لم يوافقوا عليه.

- **رابعاً**: إن الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل إذ تؤكد استمرار وجودها التنظيمي، تثق ثقة تامة باستطاعة قيادتها، وتنظيماتها الشعبية العملاقة، وتنظيمها العسكري المتصاعد، وتنظيم الفدائيين فيها، والتفاف كل جماهير الشعب المناضلة الكادحة حولها من عمال ومزارعين ومثقفين ثوريين وجنود وضباط أحرار وطلبة والاتحاد النسائي في الجنوب أن تستمر في قيادة نضال الشعب البطولي في الجنوب حتى النصر.

- **خامساً**: إن الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل، كان لها شرف المبادرة في الدعوة للوحدة الوطنية التي تحققت فعلاً من خلال انصهار إحدى عشرة منظمة ثورية، وكل قطاعات الشعب في الجبهة القومية، وإن الجبهة القومية قد أعلنت مراراً أن على من تبقى من أفراد أو مجموعات صغيرة خارج نطاق ثورة التحرير التي تقودها الجبهة القومية، إذا ما أرادت أن يكون لها شرف المساهمة في النضال المقدس ضد الاستعمار في الجنوب، إلا أن تلتحق بالثورة والجبهة القومية، وإن باب الجبهة القومية قيادةً وقاعدةً مفتوح لكل مناضل جاد شريف.

---

(٦) عقد المؤتمر في عام ١٩٦٦م وحضره سيف أحمد الضالعي وجعفر علي عوض.

- **سادساً**: إن الجبهة القومية وهي تحيي دماء شهدائها الأبطال والمعتقلين الشرفاء وجيش التحرير والفدائيين، وكل الجماهير المناضلة في الجنوب المحتل التي تخوض معركة المصير، تجدد العهد بأنها ستستمر في نضالها المقدس صلبةً مؤمنة تجسد إرادة جماهير شعبنا العربي المناضلة الكادحة، متحملة الأمانة بكل إخلاص وإيمان، ولن تؤثر فيها أية عوائق مفتعلة، وسوف تواصل مسيرة الثورة حتى تحقيق أهداف شعبنا كاملة في التحرير والوحدة والاشتراكية».

أما رأي علي أحمد السلاَّمي في عملية الدمج، فيمكن تلخيصه بأن كل أعضاء قيادة الجبهة القومية هم أصلاً من حركة القوميين العرب، وأن التنظيمات التي تشكلت منها كانت كلها مؤيدة ومناصرة لها، وأنه بعد مرور نحو عامين على الكفاح المسلح كان لا بد أن ينفتح رجالها على القوى الوطنية في الجنوب لتكوين جبهة واسعة تضم كل القوى السياسية والشخصيات الوطنية في جبهة تحرير جنوب اليمن التي أعلنت في ١٣ يناير ١٩٦٦ حرصاً على الثورة، وخاصة أن القوات المصرية التي كانت تقاتل في الجمهورية العربية اليمنية قد تنسحب مع جهاز عملية صلاح الدين، ولهذا فهو يرى أن على القوى الوطنية أن تجتمع معاً لتواصل الكفاح حتى في غياب الوجود المصري في اليمن، وأن الاستعمار هو المستفيد الوحيد من الانشقاق في الصف الوطني في الجنوب[٧].

## قيادة الصف الثاني تتحرك

وفيما وضع بيان الدمج موضع التطبيق بما يناقض إرادة قطاعات واسعة من تنظيمات الجبهة القومية وقطاعاتها الفدائية، اندفعت حالة التمزق داخل الجبهة إلى مستويات جديدة انعكست على مستوى نشاطها الثوري «بالإضافة إلى أن الموقف العملي لجبهة التحرير في الداخل كان عاملاً مهماً في إقناع القواعد في الجبهة القومية بأن الاستمرار في الدمج جريمة. فقد دأبت جبهة التحرير على تجريد أعضاء الجبهة القومية من السلاح ومنع الإعانات المالية عنهم، وكشف خلاياها بصورة غير مباشرة للعدو، وإغراء بعضهم بالمال والمراكز للميل

(٧) كتاب وثائق ندوة الثورة اليمنية، الجزء الثاني، ورقة العمل الخامسة للأستاذ علي السلاَّمي.

نحوها. وأخيراً بمحاولات الاغتيال لبعض عناصرها القيادية في الداخل كجزء من خطة تستهدف في الأساس إفراغ الثورة من محتواها الاجتماعي»[٨].

وكتب قحطان الشعبي، من جانبه، رسالة عاجلة إلى شبان الجبهة المقيمين في العراق في ٢١ كانون الثاني/ يناير ١٩٦٦م أوضح فيها ظروف إعلان الدمج، ودعاهم إلى النضال ضده والالتفاف حول الجبهة. غير أن مستويات ردود الفعل تفاوتت في ظل الضجة الإعلامية لمصلحة «جبهة التحرير»، التي ألقت بظلالها على قاعدة الجبهة وأنصارها، في وقت بذل فيه علي السلَّامي، وكل من طه مقبل وسالم زين، عضوي القيادة وشريكَيْ السلَّامي في الدمج، جهوداً استثنائية في تعز لتسويق القرار. بل عملا على تخدير وعي الأجهزة والقواعد وامتصاص ردود فعلهما من طريق التلويح بأن الجبهة ستتبوأ قيادة التنظيم الجديد وستحصل على مواقع عديدة مؤثرة فيه.

غير أن أوسع ردود الفعل المعارضة للدمج جاءت من قيادة الصف الثاني العاملة في جبهات حرب التحرير. أتذكّر منهم علي صالح عُباد (مقبل)، عوض الحامد، علي عنتر، صالح مصلح، محمد أحمد البيشي، عبد الملك إسماعيل، أحمد صالح الشاعر، سالم ربيع علي، وكاتب هذه المذكرات. وتوجه بعضنا إلى القيادة للاطلاع على المعطيات والحقائق، وكنت من بين العديد من مسؤولي الجبهات الذين وصلوا إلى تعز للبحث في أسباب قرار الدمج وكيفية معالجة الآثار التي نجمت عنه. وبعد حوارات عديدة وصراعات متشعبة تمخّض الأمر عن تشكيل قيادة سباعية[٩] مؤقتة وتجميد القيادة السابقة. كان على رأس القيادة عبد الفتاح إسماعيل، وحددت مهمة هذه القيادة بالحفاظ على القيادات وصون الأطر، والحفاظ على جبهات القتال، ومواصلة الاتصال بالخارج، والإبقاء على وحدة المقاتلين في تعز والتحضير لمؤتمر جبلة.

## عبد الفتاح إسماعيل ودوره الحقيقي في الدمج

وأودّ، هنا، أن أتحدث عن عبد الفتاح إسماعيل، وكان - حتى إعلان الدمج - في الداخل،

---

(٨) اللجنة التنظيمية للجبهة القومية: كيف نفهم تجربة اليمن الجنوبية الشعبية، دار الطليعة، بيروت ١٩٦٩، ص٧١.

(٩) سيف الضالعي- أحمد صالح الشاعر - علي ناصر محمد - عبد الفتاح إسماعيل- خالد عبد العزيز- علي سالم البيض- عبد الملك إسماعيل.

في عدن، وكان ابتعاده عن تعز، مركز القيادة، سبباً في اختياره على رأس القيادة، علماً أن حقائق عديدة كانت تقطع بأنه يؤيد الدمج رغم محاولاته لإبقاء موقفه بعيداً عن الأضواء. ومن تلك الحقائق أن علي السلّامي كان قد استشار عبد الفتاح قبل أن يوقّع على قرار الدمج، وفيما إذا كان لديه تحفظ بشأن الموضوع، فأبلغه برسالة من عدن حملها سالم ربيع علي تقول بوضوح: «إننا نبارك خطواتكم. سيروا ونحن وراءكم».

وعرض السلّامي هذه الواقعة في أكثر من مساءلة وحوار. ومنها أيضاً ما مارسه عبد الفتاح من دور خلال رئاسته لـ«القيادة السُّباعية»، وأثره في بلورة مواقف وسطية مع قحطان الشعبي الرافض للدمج. وكان هو وراء صياغة الموقف على أساس القبول بالدمج في حدود الأطر الإعلامية والسياسية والعسكرية، وإبقاء الأطر التنظيمية مستقلة لمنع اختراقات الجبهة القومية من قبل جبهة التحرير.

وقد عين علي السلّامي، في إطار ذلك، عضواً في «مجلس قيادة الثورة» الذي سيقود جبهة التحرير في ما بعد.

كان تشكيل «القيادة السباعية» يعني غياب إمكانية عقد المؤتمر الثاني للجبهة القومية في موعده المحدد ٢٣ من (كانون الثاني/ يناير)، لكن مطلب عقد المؤتمر كان قوياً وملحاً بسبب الأوضاع غير الطبيعية التي تمرّ بها الجبهة، فكان ينبغي التحضير للمؤتمر، وقد تتبلور المواقف داخل التنظيم من قضية الدمج وتتخذ شكل التيارات الواضحة.

- **أولاً**: تيار «الدمج»: ويمثله بوضوح علي السلّامي وطه مقبل وسالم زين، الذين تبنوا القرار ودافعوا عنه انطلاقاً من ضرورة تجنب الضغوط التي تتعرض لها الجبهة من القاهرة وصنعاء والقوى العربية - كما قالوا - ومن أجل ضمان استمرار الدعم الذي تتلقاه الجبهة عبر القوات المصرية في اليمن. وكان إلى جانب هذا الرأي بعض قادة جبهات القتال.

- **ثانياً**: تيار «رفض الدمج»: وكان على رأسه قحطان الشعبي وفيصل عبد اللطيف ومعهم قيادات عديدة في جبهات القتال، من بينهم: الحاج صالح باقيس، محمد سعيد محسن، علوي حسين فرحان وكاتب هذه المذكرات وغيرهم من المناضلين في جبهة عدن وجبهات القتال الأخرى. يذهب هذا التيار إلى أن الدمج يعني إنهاء وجود الجبهة القومية

والثورة كلها، وأنه ليس صحيحاً الانحناء أمام الاعتبارات العربية، بل ينبغي مواجهتها وعدم التعامل معها.

- **ثالثاً**: تيار «تكييف الدمج»، وكان على رأسه عبد الفتاح إسماعيل الذي سرعان ما انحاز إلى التيار الأول عندما وجد علائم انتصاره عشية المؤتمر الثاني. وكان تياراً يرفض في الجوهر خطة الدمج كما جاءت بها صيغة الأصنج - السلّامي ويعمل على تحويلها إلى صيغة عملية للوحدة الوطنية تحترم استقلالية الجبهة القومية، وتلفظ العناصر غير المؤمنين بالثورة وذوي العلاقات السرية بالمحتلين.

وكان يمكن التيار الثالث أن يترسخ ويفرض ثقله وأفكاره الواقعية على مسار الأحداث اللاحقة في إرساء أطر سليمة للعمل الوطني تقوم على تركيز النضال ضد الاحتلال، وتنزع فتيل الفتنة والاقتتال اللذين بدآ يبرزان كلما مضت الأيام دون حلّ لهذا الوضع. ويجب أن يحسب المرء هذه النتائج من خلال بعض تأثيرات قيادة حركة القوميين العرب.

وكان هذا الاتفاق انتصاراً للخط المعارض للدمج، وقد دُفعت الضغوطُ التي تواجهنا خطواتٍ إلى الوراء، ولو مؤقتاً، ومما له دلالته على أن فرع حركة القوميين العرب في الجمهورية العربية اليمنية وقف ضد الدمج، لتتكون صورة حقيقية لتآكل الحركة الأم تحت طائل التناقضات التي تعصف بها، وعجزها عن أن تفرض خطاً سياسياً ملزماً لفروعها على الصعيد القومي، الأمر الذي جسّد موضوعياً عوامل الطلاق بين الحركة وفرعها اليمني، وصولاً إلى عوامل تشرذم الحركة وخروجها من الساحة السياسية العربية، كتنظيم موحد، إلى أحزاب وشلل قطرية ذات برامج تراوح بين الناصرية والماركسية والقومية تماماً كما تنفرط حبّات السبحة، وبالذات في العراق وسوريا ولبنان والأردن وبعض الأقطار العربية.

ووزع في وقت لاحق تعميم داخلي في صفوف الجبهة ينمّ عن مسؤولية عالية، ويفنّدُ ظروف الدمج وأسبابه. يقول: (...) ولهذه المرحلة منطقها وإرادتها البشرية، وكذلك أساليبها، على ضوء هذا علينا أن نفهم ونفسر حركة ١٣ يناير موضوعياً. لقد كان قراراً سياسياً قبل كل شيء. قراراً فرضته طبيعة المرحلة الجديدة التي دخلتها المنطقة، مرحلة البحث المتبادل

عن الحلول السياسية ما دام التفوق العسكري الحاسم لا يملكه أي طرف من الأطراف، وعلى ضوء هذا، علينا أن نفهم ونقرّ نهاية مرحلة اللقاء السياسي بين أطراف معسكر الثورة المسلحة. فالجمهورية العربية المتحدة، على ضوء طبيعة الظروف الموضوعية، وصراع القوى، وعلى ضوء حرب ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م ويناير ١٩٦٦م وجدت أن إمكانات الحرب الطويلة وأن هزيمة معسكر الثورة المضادة غير ممكنين لاعتبارات موضوعية تفرض نفسها بحق، مهما كانت الرغبات والطموحات الذاتية المبدئية.

والبديل هو السير على طريق الحلول السياسية بعد لقاء الخرطوم عام ٦٧ بين الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل. وكان بنتيجة ذلك انسحاب الجيش المصري من اليمن في نهاية عام ١٩٦٧ وخروج المشير السلال من الحكم ومجيء القاضي عبد الرحمن الإرياني رئيساً للدولة في صنعاء، ما حفظ بقاء النظام الجمهوري وأدى إلى تحرير الجنوب واستقلاله[١٠]. وقد امتثل الطرفان الملكي والجمهوري عام ١٩٧٠ إلى القبول بالتسوية السياسية بعد اعتراف السعودية بالنظام الجمهوري الذي قبل بمشاركة الملكية في المجلس الجمهوري وفي مقدمتهم أحمد الشامي. أما الإمام البدر ومحمد بن الحسين والحسن بن الحسين، فقد غادروا الساحة إلى الأردن وأوروبا كما روى لي ذلك عام ١٩٩٤ الأمير الحسن بن الحسين ومحمد بن الحسين في عمان بحضور صديقهما الشيخ محسن أبو نشطان، وكانت هذه المرة الأولى التي ألتقي فيها بالأمير محمد خلال حفل إفطار في منزله بحضور مستشار الملك حسين محمد السقاف.

## فيصل عبد اللطيف والدمج

كان فيصل عبد اللطيف، خلافاً لكثير من العناصر القيادية، أكثر تماسكاً وعمقاً في موقفه من الدمج. فقد عارضه دون انفعال، وحلله باعتباره حلقة متصلة بسواها من الحلقات، وقد انعكست أفكاره في تلك السطور البليغة التي ناقش خلالها أطروحات نايف حواتمة لاحقاً، التي نشرت في كراس عنوانه «كيف نفهم تجربة اليمن الجنوبية الشعبية» باسم اللجنة التنظيمية للجبهة القومية. وكان دعاة الدمج يحسبون لفيصل عبد اللطيف ألف حساب.

---

(١٠) اللجنة التنظيمية، مصدر سابق، ص٦١-٦٢.

وأتذكر أن البعض من المتحمسين للدمج أخذ يهدد باعتقال واغتيال كل من قحطان الشعبي وفيصل عبد اللطيف المعارضين للدمج إذا لم يوافقا عليه!

ومن أجل دعم «جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل» وترسيخ شرعيتها ومكانتها، اعترفت بها جامعة الدول العربية في ١٨ آذار/ مارس ١٩٦٦م «ممثلاً شرعياً وحيداً لشعب الجنوب العربي»، ووضعت القاهرة كل ثقلها الإعلامي والمادي إلى جانبها، حيث عُقدت في العاصمة المصرية اجتماعات لجنة تصفية الاستعمار التابعة للأمم المتحدة، في حزيران/ يونيو ١٩٦٦م التي تحولت إلى محاكمة دولية لبريطانيا، ووقفت الجبهة في موضع ممثل الشعب الثائر في الجنوب المحتل، وقدمت في ذلك الإطار مذكرة إلى اللجنة وإلى الرأي العام العالمي.

كما وقف فرع حركة القوميين العرب في صنعاء اليمن بقيادة سلطان أحمد عمر وعبد الرحمن محمد سعيد وعبد القادر سعيد ومالك الإرياني ضد عملية دمج الجبهة القومية بمنظمة التحرير، ما أدى إلى خلق مشاكل لقيادات الحركة وقواعدها في الجهاز المدني والعسكري.

وبصدد عملية الدمج القسري، إذا جازت تسميته، بين الجبهة القومية ومنظمة التحرير، تحدث العدد القليل من القيادات السابقة - بشيء من الحذر- عن بروز ثلاثة مواقف في الجبهة القومية حيال الدمج، تمثلت في الآتي:

**الموقف الأول**: مع عملية الدمج وبشكل كامل في إطار كيان واحد وقيادة واحدة «جبهة التحرير»، ومثّل هذا الاتجاه عدد محدد من قيادات الجبهة القومية: علي السلّامي وطه مقبل وسالم زين وعبد الله المجعلي وآخرين، ولكن بصوت خافت.

**الموقف الثاني**: عبّر عنه في رفض عملية التوحيد وتأكيد بقاء الجبهة القومية كإطار مستقل، ومنهم قحطان الشعبي وفيصل عبد اللطيف، وفي المقدمة قيادة عدن.

**الموقف الثالث**: يتبنى عملية التوحيد في جبهة التحرير كإطار جبهوي مع وجود قيادة موحدة تجمع الفصيلين واستقلالية سياسية وتنظيمية لكل فصيل، وهي أشبه بائتلاف جبهوي على غرار منظمة التحرير الفلسطينية، وذلك من أجل تأمين الحصول على مساعدات

والإمداد بالسلاح والذخيرة من قبل مصر والجمهورية العربية اليمنية وغيرها من الأطراف العربية الأخرى.

غير أن هذا الاتجاه رفضته الأطراف الأخرى وانتصر في نهاية المطاف دعاة الإبقاء على الجبهة القومية كإطار مستقل والانسحاب من جبهة التحرير.

**«مجلس قيادة الثورة»**

نجحت الجهود المصرية، رغم المعارضة الواسعة لدى قيادات الجبهة القومية، في تشكيل «مجلس قيادة الثورة لجبهة التحرير» في مطلع آذار/ مارس ١٩٦٦م من اثني عشر عضواً، مناصفة بين الجبهة القومية ومنظمة التحرير، ونصّب عبد القوي مكاوي أميناً عاماً لها، وتكوَّن المجلس من قيادات الجبهة القومية، وهم:

سيف الضالعي، علي السلَّامي، طه مقبل، سالم زين، عبد الفتاح إسماعيل وعبد الله المجعلي، وقيادات منظمة التحرير لجنوب اليمن: عبد الله الأصنج، وعبد القوي مكاوي (الأمين العام)، محمد سالم باسندوه، السلطان أحمد عبد الله الفضلي، والنائب جعبل بن حسين العوذلي، عبد الله علي عبيد. وكان واضحاً أن ممثلي الجبهة القومية كانوا من بين تيار الدمج في الجبهة والمحسوبين على التيار الوسط الذي يطالب بعلاقات جبهوية تكون إطاراً مناسباً للعمل الوطني.

وعقدت الجبهة اجتماعاً لقادة جبهة تحرير الجنوب في أغسطس ١٩٦٦م خرجت بالنتائج الآتية:

- يؤمن الجميع بأن وحدة العمل الوطني هي الطريق الطبيعي والأمثل لتحقيق وحدة العمل القومي.
- يعتبر الجميع جبهة التحرير تنظيماً ثورياً سياسياً واحداً لكل الشعب في جنوب اليمن المحتل.
- يتمّ صهر كل القواعد والتنظيمات الشعبية والعسكرية المرتبطة بالقوى الوطنية التي اشتركت في تكوين جبهة التحرير خلال فترة زمنية أقصاها ثمانية أشهر على أن يشرع

في تنفيذ ذلك فوراً وعلى أن يقدم كل طرف تقريراً دورياً (كل ثلاثة أشهر) لقيادة الجبهة عمّا تمّ من خطوات في هذا السبيل.

- لكل طرف في جبهة التحرير الحق في اختيار ممثليه، على أن تعلن الأسماء قيادة جبهة التحرير.

- تشكل المؤسسات التنظيمية لجبهة التحرير على النحو الآتي:

- **مجلس قيادة جبهة التحرير**: مكوّن من عشرين عضواً، اثنا عشر عضواً يمثلون القوى التي اشتركت في تأسيس جبهة التحرير، والثمانية الباقون يتم انتخابهم بواسطة ممثلي جبهات القتال في المجلس الوطني على أن يكونوا من بينهم.

- **المجلس الوطني**: يتكوّن من ١٠١ عضو يتمّ اختيارهم على النحو الآتي:

١- ٥٠ عضواً يمثلون جبهات القتال.

٢- ١٢ عضواً يمثلون قادة جبهة التحرير.

٣- ٣٦ يمثلون القطاع المدني، يتم اختيارهم بنسبة الثلث للأطراف الثلاثة التي اشتركت في تكوين جبهة التحرير، على أن يوضع في الاعتبار تمثيل كافة المناطق في الجنوب.

٤- ٣ أعضاء يمثلون المعتقلين السياسيين في سجون عدن.

ولكن بعض المعطيات الجديدة، في الضفة الأخرى، ألقت بظلالها على الوضع حين اكتُشفَت اتصالات ومحاولات تنسيق بين السلطانين الفضلي وجعبل، من جهة، ومسؤولين في حكومة الاتحاد من جهة ثانية، فيما كانا يحتلان أعلى مراكز القيادة في جبهة التحرير.

وتكررت تلك الاتصالات في كل من كرش وبيروت، فلم يكن أمام جبهة التحرير غير فصلهما تحت ضغط الضجة التي نتجت من ذلك. وبعد أسابيع عقدا معاً مؤتمراً مع رابطة أبناء الجنوب العربي في مصر، وانسحبا من صف المعارضة.

## حوار في خيمة «بالمخا» مع عزت سليمان!

وصل وفد من حركة القوميين العرب إلى تعز، يضم كلاً من جورج حبش وهاني الهندي

ومحسن إبراهيم، وذلك بناءً على طلب الرئيس جمال عبد الناصر الذي كلفهم ممارسة الضغط على الجبهة القومية للقبول بالدمج صيغة مقبولة ومكفولة من مصر عبد الناصر. فأعلنت الحركة تأييدها لـ«جبهة التحرير» وقرار الدمج، وشكّلت وفداً من قيادتها للاجتماع بقيادات الجبهة القومية في تعز. وقد نظمت المخابرات المصرية تظاهرات موجهة لخلق جو ضاغط علينا لقبول فكرة الدمج، وتوجهت المسيرة إلى فندق الأخوة بتعز الذي كان ينزل فيه جورج حبش ومحسن إبراهيم وهاني الهندي وحاولوا اقتحام باب الفندق الذي أغلق في وجه المتظاهرين.

وكادت أن تحدث مذبحة حين أخذ الفدائي الذي كان يحرس قادة الحركة يوسف علي بن علي، قنبلة يدوية، وهمّ بأن يرميها على المتظاهرين، فأمسكتُ به ومنعتُه، وقال محسن إبراهيم مازحاً وهو يشاهد التظاهرة وهي تزحف نحو الفندق إنها أول تظاهرة يشاهدها ولا يشارك فيها. وبعد ذلك تفرقت جموع المشاركين بعد أن أدت هدفها السياسي بإرسال رسالة إلى حركة القوميين العرب والرئيس جمال عبد الناصر بتأييدهم للدمج بين الجبهة القومية ومنظمة التحرير. ولم يكن الأمر كذلك، فقد كان المعارضون للدمج أكثر من مؤيديه، والعبرة بالنتيجة.

وجاءت هذه الزيارة بتكليف من الرئيس عبد الناصر، بهدف تقريب وجهات النظر بين المعارضين للدمج والمؤيدين له، وقد التقوا ببعض القيادات ولم يلقوا محاضرات في تعز، ولم يتحدثوا في أن يكون الجنوب العربي من نصيب حركة القوميين العرب، كما ادعى البعض في ندوة الثورة اليمنية[١١]. ومعروف أن الحركة تؤمن بالوحدة اليمنية والوحدة العربية. وفي مدينة المخا عُقد لقاؤنا مع الوفد، وقد كنت في وفد الجبهة إلى جانب سيف الضالعي وعلي السلَّامي وأحمد صالح الشاعر وسالم زين، وكان عزت سليمان مدير مخابرات القوات المصرية يحضر الاجتماع بهدف دفعه نحو النقطة المرسومة له. وقد أعلن في البداية بطريقة «آمرة» تفتقر إلى اللياقة السياسية، وتنمّ عن تهديدات انفعالية، إذ قال: «يا تقبلوا الدمج يا نغلق الحنفية». ولم يكن أمام اللقاء، وأمام وفد قيادة حركة القوميين العرب، غير حل وسطي قوامه ترك الموقف من الدمج إلى المؤتمر الثاني للجبهة القومية.

---

(١١) الجزء الاول، وثائق الثورة اليمنية (حمود بيدر).



مبنى المخابرات المصرية في تعز (عملية صلاح الدين)



قادة عملية صلاح الدين، محمود عطية رئيس العملية، عصام حنفي القنصل، حسن العجيزي رئيس التدريب، رجائي فارس، مسعد حسن تدريب مفرقعات، عبد العزيز منتصر.



مشروع ضرب نار لفرقة ٢٧ في تعز ١٩٦٦، ويشاهد بعض الضباط المصريين الذين يشرفون على تدريب الفدائيين على قاذف «البلاند سيد»

أحدث الدمج في يناير ١٩٦٦م، حالة من الارتباك والفوضى والقلق في أوساط قيادات الجبهة القومية وقواعدها، والجماهير في الجنوب وأنصار الثورة في الجمهورية العربية اليمنية وخارجها، وخلق أزمة ثقة بين قيادة الجبهة وقواعدها، وبين مصر وعملية «صلاح الدين» التي كان يقودها من عرينه في مصر الجديدة، مدير المخابرات المصري «عزت سليمان»، ويتابع تنفيذها رجاله في «تعز». وكان عزت سليمان، المكلف حينذاك ملف الثورة وقضايا الجنوب المحتل، صاحب باع طويل في التعامل مع الثورات والثوار: في الجزائر، والعراق، وسورية، وليبيا، وتونس، والخليج العربي وفي أفريقيا السوداء.

وفي لقاء جرى معه، بالقرب من ميناء المخا، على شاطئ البحر الأحمر في ذلك العام الذي أتحدث عنه، حدثنا عزت سليمان عن ذكرياته مع ثوار تلك البلدان، حديث العارف الخبير، وعن الدعم الذي قدمته مصر إلى تلك الثورات لطرد الاستعمار من كل أرض عربية. وجرى هذا الحديث بحضور السادة جورج حبش، وهاني الهندي، ومحسن إبراهيم، وهم يومئذٍ قادة «حركة القوميين العرب»، وكان الثلاثة من أبرز مؤسسيها في بيروت. وكانت «الجبهة القومية» التي تقود الكفاح المسلح في جنوب اليمن المحتل ضد الاستعمار البريطاني تنتمي معظم قياداتها إلى الحركة قبل أن تعلن في وقت لاحق فصم علاقتها بالمركز الأم في بيروت. والآن جاء هؤلاء بتكليف من الرئيس جمال عبد الناصر، الذي كان يقاتل الاستعمار على أكثر من جبهة، إلى تعز، لإقناع قيادة الجبهة القومية وقواعدها بقرار دمجها في «جبهة التحرير» التي كانت تحظى بتأييد الجمهورية العربية المتحدة ودعمها.

وقد حاول السيد عزت سليمان ورجاله في تعز، خلال جهودهم التي قاموا بها لإقناع قيادات الجبهة القومية وقواعدها بالدمج وفوائده، أن يشقوا جبهات القتال، وعندما لم يصلوا إلى هدفهم، أوعزوا بتنظيم مسيرات وتظاهرات ضد وفد حركة القوميين العرب وقيادة الجبهة القومية في تعز كعامل ضغط عليهم، وليؤكدوا للوفد أن هذه «الموجات البشرية» التي خرجت في مدينة تعز تقف ضد «حركة الدراويش» - كما كانوا يطلقون على حركة القوميين العرب «الجبهة القومية» في الإعلام المصري - وجلّ عناصرها مع الدمج.

وجدت «الجبهة القومية» نفسها في حالة دفاع عن النفس، وعن مكاتبها، ومقارّها، ورجالها، بعدما رفع عنها الجهاز المصري الغطاء والحماية.

وكان ما يجري في تلك الأيام في مدينة تعز محض رسالة موجهة من المصريين و«جبهة التحرير» المدعومة منهم إلى البعض في قيادات الجبهة القومية وقواعدها الذين يرفضون الدمج المعلَن، لعلّهم بهذا الأسلوب يقبلون بالانصهار في «جبهة التحرير»، ويقبلون بقيادة السيد عبد القوي مكاوي الذي كان رئيس وزراء عدن حتى وقت قريب، قبل أن تحتضنه وتتبناه القيادة المصرية بعد إعلان استقالته وخروجه من عدن ولجوئه إلى القاهرة معلناً الكفاح ضد الاستعمار البريطاني.

وكان السلطان الفضلي والنائب جعبل قد أعلنا انضمامهما إلى الثورة وأخذا يبحثان لنفسيهما عن مكان فيها. ولم تكن الجبهة القومية بقيادتها الراديكالية لتقبل بهؤلاء الذين كانوا مع حكومة «صاحبة الجلالة» وبين صفوفها، فكان عليهم البحث عن شكل آخر، وقد وجدوا ضالتهم في «جبهة التحرير».

كان «عزت سليمان» يتحدث عن المكاوي، وعن السلطان أحمد عبد الله الفضلي الذي انسحب من «مؤتمر لندن»، معلناً موقفاً شجاعاً ضد الاستعمار، وكذلك عن النائب جعبل بن حسين العوذلي. وقال لنا عزت سليمان الذي جاء لترويج عملية الدمج، إنه بعد حوار بين كافة الشخصيات والأحزاب التي رفضت «الكفاح المسلح» ضد الاستعمار البريطاني عند بداية عام ١٩٦٣م، عادت واقتنعت في مؤتمر القوى الوطنية بالقاهرة عام ١٩٦٥م بأهمية وجدوى خوض الكفاح المسلح ضد الإنكليز لإخراجهم من البلاد. وقال إن معظم الذين جرى الحوار معهم، بمن فيهم السلاطين والمكاوي وشخصيات من قيادة «الجبهة القومية» اقتنعوا بضرورة قيام «جبهة التحرير» إطاراً سياسياً وتنظيمياً وحيداً في يناير ١٩٦٦م.

ولكن السيد قحطان الشعبي رفض الدمج. وأضاف عزت سليمان: وحرض بعض القيادات ضده، وسبّب لنا الإرباك في جبهات القتال. وقال إن علينا أن نتعاون لإقناع الجميع بهذه الجبهة (يقصد جبهة التحرير)، وأكد أن هدف مصر هو مساعدة شعب الجنوب لكي يتحرر من الاستعمار كما ساعدت من قبل إخوانكم في اليمن. وقال: لن نبقى طويلاً في اليمن، وإن مصر ستنسحب منها، وقد لا يكون ذلك اليوم بعيداً.

وتابع عزت سليمان في ما يشبه التهديد والتحذير هذه المرة: إن قحطان الشعبي حاول أن يتجاوزنا، وأن يتمرد علينا... ويبدو أننا كنا نسير في خطين متوازيين، ونحن لن نسمح له أو لغيره بذلك!

لم يخفَ علينا أن السيد عزت سليمان كان يوجه تهديده ضمناً أو مباشرة إلينا نحن الذين كنا نحضر هذا اللقاء: سيف الضالعي، أحمد صالح الشاعر، وكاتب هذه المذكرات من قيادة الجبهة القومية، وإلى قيادة حركة القوميين العرب الذين كانوا حاضرين: جورج حبش، وهاني الهندي، ومحسن إبراهيم.

ومضى عزت سليمان يقول: إننا كنا نحتجز ونعتقل بعض قادة ثورة الجزائر في أثناء حرب التحرير، ولكن كان هذا لمصلحة الثورة الجزائرية واستمرارها وانتصارها، وقد أفرجنا عنهم بعد الانتصار على القوات الفرنسية وتحقيق الاستقلال.

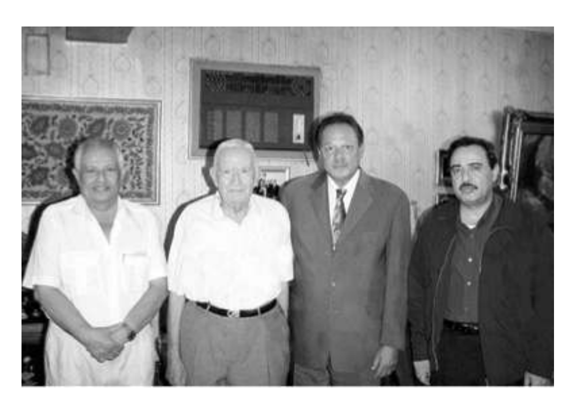
وأشار إلى بقاء السيد قحطان الشعبي في القاهرة بعد رفضه قرار الدمج ضمن هذا المفهوم لحماية الثورة. ولكن كان واضحاً لنا الآن أن عزت سليمان ورجاله كانوا يبحثون عن نوع مختلف من القيادات الجنوبية البديلة الذين تسهل قيادتهم، وهو ما لم يكن عليه قحطان الشعبي، الصعب المراس والمعتدّ بنفسه وبتاريخه وبالثورة. وقد حاول السيد عزت سليمان أن ينال من زعيم الجبهة القومية عندما أشار إلى أن الزعيم الجزائري أحمد بن بلّة، كان يأتي إلى مصر الجديدة بالباص، وأنه كان يقطن في شقة متواضعة في أثناء إقامته القصيرة في مصر، بينما يسكن السيد قحطان الشعبي في فيلّا، ويأتي إلى مصر الجديدة بسيارة خاصة!

لم يعجبنا هذا الأسلوب الذي يتحدث به وكيل المخابرات المصري، فرغم خلافه مع السيد قحطان الشعبي، إلا أنه لم يكن مقبولاً لنا أن ينال من مكانة زعيمنا الوطني. وكنت أعرف الفيلّا التي يسكنها في القاهرة، وهي الفيلّا ذاتها التي كان يقطنها قبل الثورة وتزعمه لها، وهي مستأجرة ولم يحاول تغييرها. وهي على أية حال كانت فيلّا صغيرة متواضعة، وكان قحطان يستقبل فيها أصدقاءه، وحوّلها بعد الثورة إلى مركز يلتقي فيه قادة الثورة واليمنيون الذين يقدمون إلى مصر، وكان يحرص على تقديم الشاي والطعام إليهم وإلى ضيوفه بنفسه. ولم يعش حياة ترف أو بذخ كما حاول السيد عزت سليمان أن يلمِّح. وحتى

بعد أن أصبح أول رئيس للجمهورية الجديدة بعد الاستقلال، فإن حياته لم تتغير أو تتأثر بالمنصب الجديد إلا في الحدود التي يتطلبها المنصب. وقد مات فقيراً لم يخلِّف ثروة ولا مالاً ولا سكناً لأسرته.

وعلى أي حال، فلم نكن معنيين بالردّ على السيد عزت سليمان إلا في حدود ما جئنا من أجله، وهي مسألة «الدمج» حتى لا نتوه في تفاصيل وجزئيات أخرى. وكان ردنا الذي حاولنا أن نقنع به مسؤول المخابرات المصري أن الأسلوب الذي أُتُّبع في إعلان «الدمج» وقيام «جبهة التحرير» غير سليم، فلا قيادة الجبهة القومية، ولا قواعدها كانا مُهيأين لتقبل قرارٍ كهذا. وقلنا له إننا لسنا ضد وحدة القُوى الوطنية في الجنوب، من أجل توحيد كل القوى والجهود ضد الاحتلال البريطاني، ولكن خطوة كهذه ينبغي أن تكون بالحوار والاقتناع، وليس بفرض الدمج على الصورة التي حصل بها. وأكدنا مواصلة الجهود مع الجميع.

وارتفعت درجة الحرارة والرطوبة، وأخذ العرق يتصبّب من وجه السيد عزت سليمان، وتبلل قميصه الأبيض. وعندما نظرت إلى جورج وهاني ومحسن، وجدتهم مبللين بالعرق أيضاً. وبعد أن صعب التوصل إلى اتفاق، وأخفق كل طرف في إقناع الآخر بوجهة نظره، كان علينا أن نغادر الخيمة التي نُصبت خصوصاً لهذا اللقاء، وأن نعود إلى تعز. وغادر عزت سليمان إلى مصر ولم ألتقه إلا بعد ٣١ عاماً في القاهرة، ولأهمية اللقاء ولعلاقته بالثورة، فقد سجلت أهم ما جاء فيه، وكان قد عُقد عند الساعة التاسعة من مساء يوم الخميس ١٩/ ٩/ ٢٠٠٢م.



**مع عزت سليمان بعد إحدى وثلاثين سنة!**

رتب لقائي به السلطان أحمد عبد الله الفضلي، وجرى اللقاء في منزل السيد عزت سليمان الذي يطل على نادي الصيد، وقد حرص السلطان الفضلي على أن يركب في مقدمة السيارة ليدلني على العمارة التي يسكنها، ولكنه لم يتذكر موقعها. كانت السيارة تتوقف بين حين وآخر أمام عدد من العمارات، وهو يشير بيده أكثر من مرة إلى هذا المكان أو ذاك، وفي الأخير قرر أن يترجل من السيارة ويسير على قدميه ليتعرف إلى الأبنية، وبعد لحظات عاد إلى السيارة التي كنت أجلس فيها مع الشيخ مجاهد القهالي، وهو يشير إلينا بالتوجه إلى البناء الذي يسكنه عزت سليمان. لم يتسع لنا المصعد القديم، ولهذا تركنا البعض عند المصعد، وخاصة بعض رجال الأمن الذين كانوا يحرصون على مرافقتنا وسلامتنا. كانت أبواب المصعد مفتوحة حتى توقف في الدور السابع، وإذا بأحمد عبد الله الفضلي يشير بيده إلى شقة مجاورة كان يسكنها حسب قوله عمرو موسى، وقال إنه انتقل منها بعد أن أصبح وزيراً للخارجية، ثم أميناً عاماً للجامعة العربية، وقال: هذه شقة عزت، فشاهدت اسم السفير عزت سليمان مكتوباً على بابها، وقرع الجرس أكثر من مرة ولم نسمع صوتاً أو حركة، وشعرت بأننا قد أحرجناه بهذه الزيارة لأنه لا يحب كما علمت اللقاءات والمقابلات السياسية والإعلامية، ويحرص على ألا يبوح بأسراره وأسرار جهازه لأي جهة إلا بإذن كغيره من المسؤولين في أجهزة المخابرات وأبرزهم زكريا محيي الدين الذي كان وزيراً للداخلية. وقلت في نفسي: لعلها فرصة للتهرب من المقابلة بسبب تأخرنا عن الموعد المحدد نتيجة زحمة المواصلات في القاهرة، التي بدأت تخفّ تدريجاً بسبب الأنفاق والجسور والمترو، وغير ذلك من الوسائل التي خففت من الازدحام فيها، وهي المدينة التي يقارب عدد سكانها عدد سكان اليمن.

المهم أن الباب قد فتح بهدوء وظهر عزت سليمان وهو يبتسم، ويرحب بنا بحرارة ويدعونا إلى صالونه الذي يطل على نادي الصيد، وكان يخيم على المنزل الكآبة والظلام والحزن، ونحن ندخل إليه، ولم أشاهد إلا ضوء نادي الصيد الصاخب بالنشاط والحركة طوال الليل والنهار.

كان عزت مرتبكاً وهو يضغط على مفاتيح الإضاءة واحداً بعد الآخر، حيث شاهدنا صالونه الكبير بصوره ولوحاته المعلقة على الجدران. ألقيت نظرة سريعة على الصالون لكي أشاهد صوراً أخرى لبعض زعماء العالم الذين عرفهم عبر تاريخه الطويل حيث كان الكل يطلب

قربه ووده من حركات التحرر العربية والإفريقية في الجزائر وليبيا وتونس والمغرب واليمن والعراق والخليج والقرن الإفريقي والسودان وإريتريا... وغيرها من البلدان، ولكني لم أشاهد إلا صورة واحدة.

كان يلبس بنطالاً رمادياً وقميصاً أبيض، وقد غزا الشيب شعره وشاربيه، وفعلت السنّ والزمن فعلهما وتركا أثراً على جسمه ووجهه، ولكن ذاكرته ما زالت متقدة رغم كبر سنه وقد تجاوز الثمانين، وبعد كلمات المجاملة والتعازي بوفاة زوجته[١٢] ذكرته بأنني التقيته في تعز بحضور زعماء حركة القوميين العرب وبعض قادة الجبهة القومية، وبحضور بعض قادة عملية صلاح الدين، والتفت نحوي وقال: هذا صحيح، فقد جئت مع جورج حبش وهاني الهندي ومحسن إبراهيم بعد الخلاف الذي حدث بعد الدمج في ١٣ يناير عام ١٩٦٦م بين الجبهة القومية ومنظمة التحرير لجنوب اليمن، وكشف النقاب عن أن الرئيس جمال عبد الناصر قد اطّلع على مذكرة من عبد الله الأصنج يتهم فيها الجبهة القومية بأنها احتكرت العمل الوطني والسياسي والعسكري، وأن مصر قد انحازت إليها، وأن هناك كثيراً من القوى خارج إطار التعاون مع الإنكليز وأنهم مستعدون للنضال والكفاح ضد الاستعمار البريطاني، ومنهم حزب الشعب والرابطة والسلطان أحمد عبد الله الفضلي، والأمير جعبل بن حسين وعبد القوى مكاوي رئيس وزراء عدن، وفي ضوء ذلك تسلمت ملاحظة من الرئيس جمال عبد الناصر عبر سكرتيره سامي شرف. وأضاف السيد عزت سليمان: ما كان يهمنا حينها هو وحدة القوى الوطنية في الجنوب لتحريره من الاستعمار البريطاني، وبعد ذلك الشعب يختار من يريد ليحكم الجنوب، وقد أصدرنا توجيهات لكل أجهزتنا في اليمن وخارجه بالعمل على توحيد الجبهة القومية ومنظمة التحرير وكافة القوى الأخرى، في جبهة التحرير التي وقَّع على قيامها علي أحمد السلَّامي نيابة عن الجبهة القومية لتحرير الجنوب المحتل، ولكن قحطان الشعبي زعيم الجبهة القومية اعترض على إعلانها، حيث كان حينها في مصر، وقد قرر السفر إلى اليمن عبر لبنان، ولكننا منعناه كما منعنا قبله بعض زعماء الجزائر[١٣]، ولم يفرج عنهم إلا بعد تحرير الجزائر من القوات الفرنسية.

---

(١٢) توفيت زوجته قبل شهرين من اللقاء وأصبح وحيداً في شقته.

(١٣) الشاذلي مكي، وأحمد مزغنة وغيرهما.

وأضاف عزت سليمان كاشفاً عن أسباب زيارته تلك لليمن: وبعد أكثر من شهر من قيام جبهة التحرير، اتصل بزعماء القوميين العرب في بيروت وشكانا لهم، وبدورهم اتصلوا بمكتب الرئيس الذي رحب بزيارتهم واللقاء معهم، وهو امتداد للقاءاتهم معه التي تحصل بين حين وآخر للتشاور في بعض الأمور التي تهمّ الأمة العربية، وقد شاركت في هذا اللقاء واستمع عبد الناصر إلى ملاحظاتهم وآرائهم في جبهة التحرير وقيادتها، وأن بعضهم عملاء للاستعمار والرجعية، وفي مقدمتهم أحمد عبد الله الفضلي وجعبل بن حسين وعبد القوي المكاوي الذي كان رئيساً لحكومة عدن، وإن هؤلاء العناصر وغيرهم ليس لهم أي تأثير في الساحة السياسية، وإن الجبهة القومية تحظى بدعم الجماهير اليمنية والعربية. والتفت عبد الناصر نحوي وقال: رتبوا لهم زيارة لليمن للاطلاع على مجريات الأمور والواقع هناك. ورُتّبت الزيارة، وفوجئ الجميع بالتظاهرات ضدهم وضد شعاراتهم وحلفائهم، وهذا هو سبب زيارتي لليمن مع زعماء الحركة. وعلّق السلطان أحمد عبد الله الفضلي بطريقته الساخرة وعفويته: «ما حد مع بوهم يا عزت»، ولم أُعلّق حتى أستمع أكثر إلى ملاحظات السيد عزت على قيام الجبهة القومية ودعمها مالياً وعسكرياً وإعلامياً.

واستأنف عزت سليمان قائلاً: إن عبد الناصر كان لا يحبذ فتح جبهتين: الأولى ضد المملكة العربية السعودية، والأخرى ضد الاستعمار والسلاطين في الجنوب، وكان تركيزنا على تثبيت النظام الجمهوري في صنعاء، ومن ثم الانطلاق إلى العمل لتحرير الجنوب، ولكن القصف البريطاني على مطار حريب أثناء زيارة الرئيس جمال عبد الناصر لليمن عام ١٩٦٤م أدى إلى صدور توجيهات الرئيس بدعم الجبهة القومية، وأعلن في تعز أن على بريطانيا أن تحمل عصاها وترحل عن عدن، وبدأنا فعلاً في فتح مكتب عملية صلاح الدين بتعز[١٤] أشرف عليه في البداية العميد محمود سليمان، وبعد ذلك محمود عطية ورجائي فارس

---

(١٤) وفي فبراير ٢٠١٠ التقيت باللواء المتقاعد رجائي فارس في القاهرة، الذي بدأ عمله في مدينة البيضاء برتبة رائد ونزل في بيت الشيخ أحمد عرمان - خلفاً للرائد مصطفى حمودة - قبل أن ينتقل إلى مقر القيادة العربية في تعز، وتحدث معنا حول أبرز قيادات عملية صلاح الدين، ومنهم محمود سليمان، محمود عطية، نبيل سعيد، عبد الخالق شوقي، أحمد سعيد الفزاري، إيهاب زكي سرور، وعلي ياسين، وأبو النصر مشالي، وهو من أوائل الضباط الذين نقلوا السلاح إلى قعطبة للجبهة القومية تحت إشراف الرائد فخري عبد الجواد عامر (قريب المشير عبد الحكيم عامر)، وكان يشرف عليهم العميد عزت سليمان الذي رقي بعد ذلك إلى وكيل للمخابرات المصرية.

وغيرهم من الضباط الذين أشرفوا على تدريب الفدائيين ومدِّهم بكافة أشكال الدعم حتى يتحرر الجنوب من الاستعمار البريطاني ١٩٦٧م.



**جمال عبد الناصر من تعز ١٩٦٤م**
**«إن على الاستعمار أن يحمل عصاه ويرحل من عدن»**

وقال إن الرئيس جمال عبد الناصر قد تحدث قبل ذلك في بور سعيد بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٦٣، موجهاً حديثه إلى البريطانيين: «همه يروحوا ويحتلوا عدن والجنوب والمحميات والخليج ويعتبروا ده حقهم، وإحنا لما الثورة اليمنية تطلب منا أن نساندها ضد العدوان يزعلوا قوي الإنكليز. إن احتلال بريطانيا لعدن والجنوب حصل رغم إرادة الشعب».

ثم أعلن صراحة: «إحنا نؤيد أحرار عدن، وأحرار الجنوب المحتل بكل قوتنا، وان كل إمكاناتنا ستستخدم للتخلص من الاستعمار البريطاني في هذه المنطقة».

وقال إننا ساندنا الثوار قبل ذلك، وفي مقدمتهم محمد محمود الزبيري[١٥] وأحمد محمد نعمان ومحسن العيني، وإن الزبيري كان يلقي خطابات من صوت العرب، وردّد ذلك أكثر من مرة، وإننا ساندنا ثورة ٢٦ سبتمبر، وليس صحيحاً ما قاله الأفاك عبد الرحمن البيضاني من أني

(١٥) محمد محمود الزبيري: استشهد بتاريخ ١/ ٤/ ١٩٦٥م، في قرية رهيمات ما بين (مداجر ورجوزة وظلام) من قبل درهم بن حمود الفلاحي من ذو حسين وحسن محمد الشتوي، وقد اتهم بقتله الأمير محمد بن الحسين، ولكن يبدو أن مقتله لا يزال لغزاً كما أشار إلى ذلك القاضي الإرياني في مذكراته، لأن القتلة اعتقلوا في مهلهل حتى يحاكما، وجرى تهريبهم في وقت لاحق من قبل حراسة الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر.

وقفت ضد ثورة اليمن التي سببت نكسة حزيران، ومن الذي كان يجرؤ على رفض توجيهات الرئيس جمال عبد الناصر، وادعى البيضاني أنه هو الذي قاد الثورة ونقل الأسلحة والإذاعة في طائرة خاصة، وأنها منعت من المرور في أجواء جزيرة كمران، وقال إن البيضاني ادعى أنه أعطى تعليمات لقائد الطائرة بمواصلة الرحلة رغم تحذير القوات البريطانية لها بعدم المرور لأنهم سيطلقون النار عليها.

ولم يكن ذلك صحيحاً، فقد كان العميد علي عبد الخير في الطائرة وهو الذي يأمر ويقرر، وليس البيضاني، كذلك فإنني كنت موجوداً في قلب الطائرة ولم أسمع مثل هذا الكلام الذي بُثَّ في برنامج شاهد على العصر بقناة «الجزيرة» ولا يوجد في الجزيرة رادار ولا أجهزة اتصالات ملاحية، ومساحة الجزيرة صغيرة يمكن أن تمرّ فوقها الطائرة في أقل من ٣ دقائق. وهذا الشخص أساء إلى الثورة اليمنية والمصرية وإلى عبد الناصر، ولهذا استحق عقاب عبد الناصر بعد ذهابه إلى سلطات الاحتلال في عدن ولقاءاته بالمندوب السامي البريطاني عام ١٩٦٤م.

وكان الفضلي يقاطع بين حين وآخر السيد عزت بكلمات ضد البيضاني، وأنه ليس له علاقة باليمن، ولكنني لم أعلِّق على حديثهما عن البيضاني، وفي نهاية اللقاء طلبت من السيد عزت سليمان لقاءً آخر لمواصلة الحديث معه بشأن معلوماته عن الثورة اليمنية، باعتباره كان شاهداً ومعاصراً للتطورات التي شهدتها اليمن شمالاً وجنوباً، ومن ثم انصرفنا، حيث ودعنا إلى باب المصعد وهو يلوِّح بيده حتى اختفت صورته والمصعد يهبط بنا، والسلطان أحمد يقول: ما شاء الله عليه، صحته طيبة مثل النمر! ولم أعلِّق على ذلك.

وفي مارس من عام ٢٠١٧ التقيت مع السيد محمد عبد السلام محجوب قال إنه عمل في اليمن لمدة عام كامل تقريباً، وكان اليوم الأول لوصوله هو يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م يوم الانقلاب الذي تحوَّل إلى ثورة ضد النظام الإمامي والإمام البدر.

قال إنّ المسؤولين المصريين كانوا متابعين للوضع في اليمن بصورة دقيقة، خاصة في العام الأخير قبل الثورة، وكانوا على تنسيق مع ضباط الثورة، وعلى رأسهم علي عبد المغني ورفاقه من قادة الثورة، وكانوا على استعداد للتوجه إلى اليمن إذا اندلعت الثورة.



**مع الضابط محمد عبد السلام محجوب في القاهرة مارس ٢٠١٧**
**من اليمن د. علي عبد الكريم - السيد محمد عبد السلام محجوب -**
**د. رفعت السعيد - الرئيس علي ناصر محمد**

وحول الانقلاب الذي تحول إلى ثورة، قال قبل شهر من اندلاعها إنّ الأمور كانت مهيّأة للقيام بها في أي لحظة، وعلى هذا الأساس اتخذنا كافة التدابير من اتصالات وتحركات للقطع البحرية وتجهيز بعض الفرق العسكرية في حال استدعى الأمر، حيث إن الذين خططوا للثورة وقادوها مجموعة صغيرة من الضباط برتبة ملازم أول، وكان أبرزهم الشخصية العسكرية علي عبد المغني.

قبل يومين من الثورة استدعى الرئيس جمال عبد الناصر السيد عبد الرحمن البيضاني وتناقش معه في الأوضاع التي يعيشها اليمن وسمع منه وجهة نظره، وقال البيضاني إنه جاهز للسفر إلى اليمن مع المصريين إذا طُلب منه ذلك، وطلب منه الرئيس عبد الناصر التنسيق مع النقيب محمد عبد السلام محجوب.

خلال حديث البيضاني مع النقيب محمد عبد السلام محجوب، سأله البيضاني: ما العمل؟ ردّ عليه الضابط المصري بأن عليه أن يجهز حقيبته للسفر في أي لحظة، ووضعوا لذلك سيارة بقرب منزله حتى تجلبه في الوقت المحدد للسفر مع الفريق المصري إلى صنعاء.

في يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢م أخذوا الإشارة من صنعاء بأن الأمور ستُحسَم خلال ٢٤ ساعة، وعليهم أن يتحركوا من القاهرة باتجاه صنعاء.

أقلعت الطائرة المصرية من مطار القاهرة فجر يوم ٢٦ سبتمبر، أي مع انطلاق الثورة، وكان عليهم التوقف في أسوان للتزود بالوقود، وذلك حتى يتمكنوا مع متابعة الطريق إلى عدن

إذا لم يستطيعوا أن يهبطوا في صنعاء، وذلك في احتمال لفشل الثورة. لكن الأمور جرت وفق الخطة، وهرب الإمام من صنعاء، ونجحت الثورة ووصل الوفد المصري المكوّن من ضابط المخابرات وعاملَي لاسلكي وآخرين واللواء علي عبد الخير- الذي أصبح لاحقاً قائداً للقوات المصرية في اليمن - وكان في استقبالهم في مطار صنعاء الملازم حسن العمري وآخرون. وتوجهوا إلى قصر الإمام الذي تحوّل إلى مركز قيادة الثورة ومكان عمل القيادات المصرية.

أما السفارة المصرية في صنعاء، فلم تلعب أي دور، حيث كانت مغلقة، وفيها موظف إداري اسمه محمد عبد الواحد، كان سكرتيراً في السفارة، وقام بدور جيد خلال الثورة وما قبلها وما بعدها، ورُفِّعَ إلى درجة سفير في السلك الدبلوماسي.

أما المشير عبد الحكيم عامر وأنور السادات، فقد أقاما في مقر السفارة عند زيارتهم لصنعاء لتفقد الأمور بعد ١٠ أشهر من قيام الثورة واحتدام القتال بين قوات الجمهوريين بقيادة الرئيس السلال وقوات الملكيين بقياة الإمام البدر.

وعن رأيه في مجرى الأحداث حينها، قال إنه كان ضد، أو لا يؤيد الوجود العسكري بهذا الكمّ حينها، والنتيجة ما وصل إليه عدد الجيش المصري في اليمن وغرقه في الصراع هناك وعدد الشهداء والجرحى، وكان برأيه أن فرقة مجوقلة محمولة أفضل من هذا الكمّ، أي وفق نظرية الضفدع في المفهوم العسكري الذي يعني القفز إلى المناطق المحتدمة بالصراع.

وأضاف السيد محمد عبد السلام محجوب: قبل الوحدة، أي قبل عام ١٩٩٠م، كنت على تواصل مع مجموعة من القيادة في اليمن الجنوبي بهدف التشاور ووضع رؤية مستقبلية حول الوحدة تضمن حقوق الجنوب، لكن فوجئنا بخبر إعلان الوحدة دون أي تنسيق.

## عودة إلى الماضي في تعز

وامتداداً لهذه الذكريات التي أشرت إليها، لا بد من الرجوع إلى الماضي، وقد أغفلنا بعض وقائعه، فقد عاد جورج حبش وهاني الهندي ومحسن إبراهيم إلى بيروت، في أعقاب التظاهرة الشهيرة التي نظمها المصريون ضدهم. إذ جرت محاولة لاقتحام فندق الأخوة في تعز حيث كانوا يقيمون، ولولا تدخل حراسة الأمن الشمالي برئاسة النقيب

محمد الفضلي(١٦) وبعض عناصر الجبهة القومية لتمكنوا من الوصول إليهم ولحدث ما لا تحمد عقباه. وكان معظم المتظاهرين من المؤيدين للدمج، ومن أولئك الذين تمردوا على الجبهة القومية مع مصر من أمثال: بخيت مليط، ومحمد علي الصماتي، وبالليل بن راجح، وعبد الله مطلق، وعبد الله المشنق، وعبد الله المجعلي، وهاشم عمر إسماعيل.

ويروي العميد سالم علي ناجي حلبوب في شهادته(١٧) حول هذا الموضوع ما يأتي:

«لقد لفت انتباهي أحد المشاركين في ندوة تعز وهو يملي على الطّبّاع (كاتب الآلة الكاتبة) وصفاً ليوم المسيرة الكبرى التي نظمتها القيادة العربية المصرية ضد القيادة المركزية لحركة القوميين العرب التي شهدتها مدينة تعز. وبما أنني كنت وآخرين من المؤيدين للدمج قبل حدوثه والتوقيع عليه في ١٣ يناير ١٩٦٦م فنحن أولى بوصف ذلك اليوم كمشاركين وصناع له، فقد توافدنا إلى مبنى الجهاز العربي لتلقي التعليمات حول التظاهرة وخط سيرها ووضعنا المحاذير حول مداهمة مبنى الجبهة القومية وأخذ هذا بعين الاعتبار من قبل القيادة العربية وقسمونا إلى مجموعتين كل منهما تعرف الأخرى، المجموعة الأولى تكون في مقدمة المظاهرة وهم: بخيت مليط علي، وعبد الله محمد المجعلي، ومحمود ناصر قاسم الداعري، وشيخ بن هيثم، وعبد الله محفوظ، ومحمد علي الصماتي (الطلي)، وعبد القوي ناجي المحلائي، والمجموعة الثانية تكون في مبنى الجبهة القومية ويفضل من له معارف أو أصدقاء يسكنون في المبنى وكنت أنا ضمن المجموعة الثانية وقد كلف الجهاز العربي الشهيد محمد صالح ناصر قاسم الداعري (عمره حينها ١٤ عاماً) أن يستطلع الأمر، وعاد إلينا وقال: لا يوجد أحد في المبنى سوى عمي مساعد الحالمي (عمل في ما بعد حارساً في شركة الغاز بتعز) وهو الحارس الشخصي لقحطان محمد الشعبي عندما كان يأتي إلى تعز، وسالم عبد الرب بن جحاف العامل على آلة الاستنسل التي تطبع المنشورات، وعلي محضار قاسم والمجموعة التي هرَّبها محمود خالد سالم من سجن جعار، ثم توجّهت المجموعة الثانية وهم: بليل بن جيوب قاسم الداعري، وعبد السلام سيف الشرعبي، وسالم علي ناجي بن حلبوب، ومحمود خالد سالم الباقري، ومحمد صالح ناصر الداعري، وتمّ التنسيق بيننا وبين الذين يقودون التظاهرة على أن يكونوا في مقدمتها وهم

(١٦) كان عضواً في حركة القوميين العرب.

(١٧) من كتاب: ندوة الثورة اليمنية - الجزء الرابع - تعز.

المجموعة الأولى والذين سبق ذكر أسمائهم ومرت التظاهرة من حارة المستشفى قادمة من المدينة، مارة من أمام مكتب الجبهة القومية إلى أن وصلت مقدمتها إلى النقطة الرابعة[١٨] ومؤخرتها لا تزال في نهاية الشارع الذي يقع فيه مكتب الجبهة القومية ومفترق الطريق إلى بيت القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإرياني، وشركة الكهرباء، بدأنا نتبادل التهاني عندما عرفنا أن التظاهرة، قد مرت بسلام دون أن تطلق طلقة واحدة ووصلت إلى تلة الضبوعة حيث يقع فندق الإخوة الذي يقيم فيه جورج حبش، ومحسن إبراهيم، وهاني الهندي، وطالب المتظاهرون بمغادرتهم مدينة تعز وخرج عليهم من إحدى بلكونات الفندق أحد ضباط المخابرات المصرية قائلاً لهم: لقد غادر جورج حبش والوفد المرافق له، هؤلاء الذين ترونهم أمامكم هم أعضاء الفرقة الموسيقية بقيادة أحمد فؤاد حسن[١٩]، جورج إيه؟! ومحسن وهاني إيه؟! وكلام فاضي إيه؟! وكل واحد منكم يروح بعد عمله. كان ذلك اليوم من الأيام الخالدة في تاريخ رجال المخابرات المصرية الذين عملوا في تعز وسيَّروا أكبر تظاهرة تشهدها المدينة بكل كفاءة واقتدار، وعاد وفد حركة القوميين العرب من تعز إلى القاهرة من طريق أسمرة وقابلوا الرئيس عبد الناصر ووافقوا على الدمج بين الجبهة القومية ومنظمة التحرير والتعايش في ما بينهم في إطار جبهة التحرير، ولكنهم طعنوا بخنجر مسموم علاقة عبد الناصر بعبد الحكيم عامر عندما أبلغوا الرئيس جمال أنهم قد أبلغوا من قبل عناصرهم في الحركة بتعز بأن هناك مجموعة من العاملين بمكتب المشير يزاولون مهنة التجارة بالسوق السوداء باستيراد الأجهزة الكهربائية (ثلاجات – غسالات – مكيفات – تلفزيونات) يأتون بها من عدن من طريق اليمن، وبعد أن تأكد الرئيس عبد الناصر طلب من عبد الحكيم أن يحقق في الأمر ويصحح الاعوجاج، ونفّذ المشير ما طُلب منه، لكنه ظل متحسساً، ووصلت العلاقات بعدها بين حركة القوميين العرب ممثلة بالجبهة القومية وبين أجهزة المخابرات العامة المصرية إلى نقطة اللاعودة، وعانت من هذا الخلاف والصراع أطراف كثيرة».

---

(١٨) بدأ نشاط النقطة الرابعة عام ١٩٥٩م بتنفيذ مشروع لتنقية مياه الشرب بتعز وبرصف بعض الطرق، وصل عدد العاملين إلى ٧٧ عاملاً وخبيراً ومخبراً أميركياً.

(١٩) شهادة الأخ سالم احتوت على كثير من المعلومات المهمة، ولهذا قمت بإضافتها إلى مذكراتي، ولكن هناك بعض المعلومات غير الدقيقة، وخاصة في ما يتعلق بوجود ضابط مخابرات مصري في الفندق آنذاك، فالذين كانوا يطلّون هم جورج ومحسن وهاني الهندي وكاتب هذه المذكرات وآخرون.

وأتذكر أنه بعد هذه التظاهرة وصل إلى فندق الأخوة الأستاذ أحمد محمد نعمان والدكتور محمد سعيد العطار، وهذه المرة الأولى التي ألتقي فيها الأستاذ النعمان، وكان يتحدث باللغة العربية الفصحى، خاصة عن اليمن ومستقبلها، وكان حينها رئيساً للوزراء، ولم تدم حكومته أكثر من ثلاثة أشهر سُميت حكومة «البرقوق»[٢٠]، ومن بين أعضائها الدكتور محمد سعيد العطار الذي كان يعتبر من وجهة نظر المصريين والمشايخ يسارياً تقدمياً وماركسياً، وكان حينها وزيراً للاقتصاد، وقدم كتابه هدية إلى قادة الحركة، وعاتبهم على عدم اهتمامهم بالشمال والاكتفاء بموضوع الثورة في الجنوب.

وبعد التضييق الذي تعرضت له قيادات الجبهة القومية في تعز، صدرت إليهم التعليمات بالعودة إلى عدن والالتحاق بجبهات القتال في الداخل. كان واضحاً أن القيادة قررت الاعتماد على الذات وعلى الجماهير، لمواجهة الموقف الجديد الناشئ حتى لا تتعرض الثورة للانتكاسة، وهي في أوج قوتها واندفاعها، خاصة بعد الضربات الموجعة التي ألحقتها بقوات الاحتلال في عدن وبقية جبهات القتال.

وكان قادة «جبهة التحرير» برئاسة عبد القوي مكاوي، وعبد الله الأصنج، ومحمد سالم باسندوة، والسلطان أحمد الفضلي، والنائب جعبل بن حسين والمجعلي يشعرون بأنهم القادة الحقيقيون للثورة، بعد أن أصبح بيدهم المال والسلاح والإعلام. وكان صوت المُذيع عبد الله شمسان يدوي من إذاعة تعز: (جبهة التحرير، دُكي بأيديك القوية).

كنت قد تعرفت لأول مرة في تعز إلى عبد القوي مكاوي وباسندوة والفضلي وجعبل. أما عبد الله الأصنج، فكنت قد رأيته مرة واحدة عندما كان يلقي محاضرة في نقابة المعلمين في عدن عام ١٩٥٩ عندما كنت طالباً في (معهد المعلمين) بالطويلة.

وقد وجدت المكاوي رجلاً صامتاً، قليل الكلام في اللقاءات، أو المقايل التي يحضرها في تعز، على عكس عبد الله الأصنج الذي كان متحدثاً ساخراً، يوزع سخريته السياسية على الجميع بلا استثناء، ويرى في «الثورة المسلحة» في بداية انطلاقتها «حركة دراويش». أما محمد سالم باسندوة، فقد كان نموذجاً للمثقف السياسي. وكان أكثر وداً من الآخرين عندما

(٢٠) البرقوق: إجاص بري صغير، وهو فاكهة موسمية قصيرة ومحدودة.

كنا نلتقيه في منزل هاشم عمر إسماعيل ومحمد الحبيشي، وكان يحمل مداعته (الأركيلة) متأبطاً قاته الملفوف في عمامته البيضاء أينما ذهب.

المهم أنه لم يعد هناك مجال لقيادة الجبهة القومية ولقواعدها هنا بعد أن قال عزت سليمان كلمته (وحدوهم وإلاّ... !).

وكان طه مقبل يقول: «عليكم أن تقبلوا بالدمج» ويستشهد ببيت من الشعر العربي المعروف، ولكن مع تعديل في آخره لكي يناسب الموقف فيقول:

**من لم يمت بالسيف مات بعزة**
**تعددت الأسباب «والدمج» واحد!**

المهم أن عزت قد أغلق (الحنفية) على الجبهة القومية، أي المال والسلاح والإذاعة والمعسكرات، والأهم اسم عبد الناصر.

## إلى عدن قلب الثورة... وروحها

بعد أن ضاقت بنا تعز، لم يعد لنا مكان هُنا، فقررتُ أنا وصديقي أحمد صالح الشاعر الذهاب إلى عدن، مع إدراكنا أن هذا الأمر محفوف بالمخاطر. وقد طلبنا من بعض أنصارنا أن يرتبوا مرورنا في جمرك الراهدة، حيث أمن لنا الإخوة مذكرة مرور باسم سليمان أحمد سليمان إلى الضابط الوطني حسن قائد لتسهيل مرورنا، وقد كان بانتظارنا وقدم لنا كافة التسهيلات، وعند الوداع شاهدته وهو يرفع يده بالسلام ونحن في طريقنا إلى مركز «كرش» الحدودي التابع للسلطنة العبدلية بين الشمال والجنوب.

وقد وصلنا إلى «كرش» عند الساعة العاشرة صباحاً بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٦٦م. وكان الصديق العزيز والجندي المجهول وعين الثورة السيد زين البصري على علم بموعد وصولنا، وبرقم السيارة التي تقلنا، ولذلك ما إن وصلنا حتى وجدناه أمامنا وقد أشار لسيارتنا بالمرور، لكنه تعمد أن يستبقينا لحظات كنوع من التمويه حتى لا يثير شكوك عيون السلطة وعسسها. وهكذا أمّن مرورنا بسلام، وعبر هذا المنفذ وغيره كان يمرّ السلاح والذخائر والألغام خفية، وهي مخبأة تحت صناديق الفاكهة والخضروات القادمة من شمال اليمن.

ها أنذا، بعد عامين، أعود من حيث أتيت، «عبر كرش» إلى «لحج» الخضيرة وإلى عدن الحبيبة. ولكن الوضع الآن مختلف. فأنا أعود متخفياً، مع صديقي ورفيقي الشاعر، وفي نظر السلطات الاستعمارية التي كنا نحاربها، «متمرد» ومطلوب لها. وإذا عرفنا أحد ودلّ السلطات علينا، فستحرك أجهزتها للقبض علينا فوراً. وقد كان كثيرون يعرفونني جيداً في الحوطة ولحج، عندما كنت مدرساً في المدرسة المحسنية. وقد مررت في شارع الحوطة الوحيد المكتظ بالمحلات التجارية، والباعة الذين يفترشون الأرصفة، وبالمشاة. وشممت رائحة «الفل» و«الكاذي» و«المشموم» الحبيبة إلى نفسي وروحي، ولامست أنفي رائحة حلاوة لحج، و«المقرمش» فسال لعابي، وخفق قلبي ورفرف بأجنحة الشوق والحنين وأنا أمرُّ قرب المدرسة المحسنية حيث تذكرت بعضاً من أجمل أيام العمر وأنا أنقل إلى تلاميذي رسالة العلم وسلاح المستقبل. فيها كَوَّنْتُ صداقات حميمة مع زملائي المدرسين، وفي مقدمتهم الأستاذ الفنان حسن عطا وأحمد عُباد الحسيني[٢١] وحسن العقربي وغيرهم.

كان الوقت ظُهراً، والساعة تشير إلى الثانية عشرة، أي إننا كنا في وضح النهار كما يقال. وإذا حدث أن رآني أحدٌ من أصدقاء ومعارف أيام زمان، وناداني باسمي، فلا أحد يتوقع ماذا يحدث بعدها. ولهذا طلب مني صديقي ورفيقي أحمد صالح الشاعر أن أضع نظارة سوداء!

كانت سيارتنا تتوقف أحياناً عند بعض النقاط التي يحرسها رجال الشرطة ويتفاهمون مع سائقنا بالإشارات حول الرشوة، والتهريب، والخمور وغيرها! هذه اللغة - الإشارات - التي لا يفهمها سواهم. وكان ذلك يتكرر في كل النقاط التي مررنا بها حتى وصلنا أخيراً إلى «دار سعد»، المحطة الأولى في طريقنا إلى مستعمرة عدن. ولكن أين سيستقر بنا المقام؟!

قال لي صديقي الشاعر إنه يعرف صاحب منزل في دار سعد، فقصدناه وفتح لنا الباب أحد الأشخاص الذي سألنا «من نكون»، فأجابه الشاعر بأنه صديقٌ للسيد محمد علي «مختار». فرد الرجل بأنه غير موجود. فقال له الشاعر: سننتظره حتى يعود! فارتبك الرجل، ولكنه بعد تردد قصير سمح لنا بالدخول. وشاهدنا حلوى ملفوفة في أكياس واخترقت رائحتها أنفينا. ودعانا الرجل بلطف لتناول شيء منها، ولكننا شكرناه بينما ظلت عيوننا على الحلوى. واستلقينا على سرير من الخشب يُسمى الـ«قعادة» في انتظار الفدائي «مختار».

---

(٢١) من مواليد عام ١٩٤٤.

بعد قليل طُرق الباب، ودخل الفدائي «مختار» وهو شاب طويل يتمتع بحيوية عالية وشجاعة نادرة، وقد فوجئ بوجودنا في منزله ولم يكن على علم بمقدمنا، لكنه سلم علينا بحرارة. كان المنزل خالياً من كل شيء، من الطعام، والماء، ومن المرأة أيضاً. ولكن مختار أصرّ على استضافتنا في أحد مطاعم دار سعد المنتشرة والمتخصصة في تقديم اللحم والمرق والرز.

ذهبنا إلى المطعم الذي اختاره مختار، وجلسنا على كراسيّ قصيرة مصنوعة من الخشب، كعادة هذه المطاعم الشعبية، ووصلت إلى أنوفنا رائحة المرق واللحم الشهية، فسال لعابنا، وأخذ يتوافد على المطعم عدد من الفدائيين الهاربين من مستعمرة عدن. وكانت دار سعد توفر لهم التخفي والحركة والإقامة الآمنة بعيداً عن عيون سلطات المستعمرة.

وبعد قليل وصل سالم ربيع علي «سالمين»[٢٢] ومعه عبد الله أحمد حسن «عبد السلام»[٢٣] وعلي صالح عُباد «مقبل»[٢٤].

بعد تناول وجبة الغداء ركبنا سيارة «عبد السلام»، وهي سيارة قديمة من نوع «أوبل» برفقة «سالمين» و«مقبل»، وأخذت السيارة طريقها إلى عدن. كان علينا الآن أن نتجاوز أولاً نقطة تفتيش تسمى رقم (٦)[٢٥] على الحدود الفاصلة بين السلطنة العبدلية ومستعمرة عدن قرب كلية عدن الثانوية. وهناك نقاط تفتيش أخرى بين المستعمرة وحدودها الفاصلة مع السلطنة الفضلية، وأهمها النقطة التي تُسمى «العلم». وقد أخبرنا «سالمين» أن قوات الاحتلال، بعد اشتداد العمليات الفدائية ضدها، وضد المنشآت العسكرية والاقتصادية البريطانية، شددت الحصار على المدينة حتى أصبحت عدن مطوقة بالأسلاك الشائكة، وبالكلاب البوليسية وبالحراسات المشددة ونقاط التفتيش الإنكليزية. وكان علينا أن نخترق العديد من هذه

(٢٢) (سالمين): هو الاسم الحركي لسالم ربيع علي، ثاني رئيس للجمهورية بعد الاستقلال حتى يونيو ١٩٧٨م.

(٢٣) (عبد السلام): الاسم الحركي لعبد الله أحمد حسن. وقد تعرض لحادث عندما انفجرت عبوة بين يديه فتركت آثارها على وجهه ويديه.

(٢٤) (مقبل): الاسم الحركي لعلي صالح عباد، أحد قادة الجبهة القومية، أصبح الأمين العام للحزب الاشتراكي اليمني في عام ١٩٩٤م.

(٢٥) هناك ست نقاط تفتيش قامت بمخيماتها وكل أجهزتها وهي: ١- نقطة تفتيش ثابتة في نمرة ستة، ٢- في جولة كالتس في المنصورة، ٣- عند مدخل البريقة، ٤- بين الجبلين في قاعدة فقم، ٥- في خور مكسر في الجهة الشرقية، في العلم ساحل أبين.

النقاط التي يقف على حراستها الضباط والجنود البريطانيون الذين يشهرون سلاحهم والمستعدون لإطلاق النار لأدنى حركة تثير ريبتهم.

كان الوقت مساءً حين «توقفت بنا سيارة عبد السلام» عند أول إشارة من جندي إنكليزي كان يقف مع زملائه على نقطة تفتيش مستحدثة. ووجه إضاءة مصباحه اليدوي إلى وجوهنا واحداً واحداً، وكان يحدق في لوحة في يده ثم يحدق في وجوهنا مرة أخرى, وفسّر لنا «سالمين» الأمر. فقال: إنهم يحتفظون ببعض الصور للفدائيين المطلوبين، وهم الآن يقارنون بينها وبين صورنا. ونأمل ألّا تكون صورنا بينهم، وإلا «باتستوي لنا فضيحة، يا مقبل».

ثم نظر إلى «مقبل» موجهاً حديثه إليه مازحاً: «وبايضربوك حتى يخرجوا اللحم من بطنك».

كان «سالمين»، وهو رجل صلب وشجاع، يتمتع بروح مرحة، وكان قادراً على الدعابة حتى ونحن في هذا الموقف الصعب والحرج. لكنه للأسف، فقد روح الدعابة هذه بعد ذلك، بعد أن أصبح رئيساً لمجلس الرئاسة أمام جسامة المسؤوليات والمهمات الصعبة التي كان عليه أن يتصدى لها.

وأخذ «سالمين» يضحك. ولم يسلم حتى الجندي البريطاني من سخريته، الذي سمح لنا بالتحرك ومغادرة نقطة التفتيش، لكن سيارة «الأوبل» القديمة تعطلت فجأة وأبت أن تتقدم خطوة واحدة إلى الأمام، فارتبك كل شيء: نحن، والجندي الإنكليزي، وحركة المرور، ونظرنا خلفنا، فإذا رتل من السيارات يقف وراء سيارتنا في انتظار دورها في التفتيش، وخرج سالمين ومقبل من السيارة، وأخذا يدفعانها من الخلف، وأخذ جندي بريطاني يدفع السيارة معهم حتى يفسح الطريق لبقية السيارات، وأصبحت سيارتنا بعيدة عدة أمتار من نقطة التفتيش. ولم تفارق «سالمين» روح دعابته وسخريته حتى في تلك اللحظات التي كُنا فيها غير بعيدين عن نقطة التفتيش الإنكليزية. وكان بوسعهم، لو غيروا رأيهم لأي سبب، أن يأتوا للقبض علينا والزجّ بنا في معتقل سجن مربط الرهيب. وكان «سالمين» يقول مشيراً إلى الإنكليز: تعالوا يا عيال «القحبة» نحن جنبكم. تعالوا اعتقلوا ابن عباد، وابن الشاعر، وابن ناصر منصور (يقصدني). وردّ (مقبل) الذي لم يكن يتحمل مثل هذا المزاح الثقيل في هذا الوقت، وفي هذا المكان: «بطل يا ابن خزانة!»، في إشارة إلى اسم أم سالمين بدلاً من ذكر اسم والده (حتى لا يكشفنا أحد!). وكان «الملثمون» - وهم جواسيس عرب - منتشرين في

نقاط التفتيش، يندسّون بين سيارات الركاب، ويرشدون السلطات البريطانية على الفدائيين. وقلت في نفسي يومها، وأنا أراقب النقطة الإنكليزية، والضباط والجنود البريطانيين الذين كانوا لا يزالون يفتشون السيارات، غير بعيدين عن سيارتنا المتعطلة، إنهم لم يكونوا يدركون أن بعض «الإرهابيين» الذين كانوا يبحثون عنهم كانوا على مقربة منهم دون أن يعرفوا ذلك.

وطلب إلينا «عبد السلام» أن نركب سيارة أجرة، ولا ننتظر أكثر من ذلك كي لا يشاهدنا أحد، خاصة بعض أولئك الملثمين – الجواسيس العرب – المتعاونين مع سلطات الاحتلال. وعلى أي حال، فقد كان عددهم قليلاً بالقياس إلى الأكثرية الساحقة من جماهير شعبنا التي كانت مع الثورة، توفر لها الحماية والدعم.

وصلنا إلى حافة «الهاشمي» في الشيخ عثمان، وبدأت اللقاءات بين القيادة والقواعد في منزل يقع في البناء المجاور الذي يُسمى عمارة الملكيين القريبة من مستودع العرب، الذي كان يملكه صديقنا أحمد عوض علي الذي تربطني به علاقات أسرية، والذي حوَّل مستودعه إلى مكان للقاءاتنا وتجمعاتنا. وقد اكتشفنا أن القيادات في عدن كانت أكثر وعياً، وأكثر تماسكاً من القيادات في جبهات القتال الأخرى، التي كانت متأثرة بأجواء الحياة في تعز، وبأجواء المخابرات فيها التي كانت تنشر الشائعات والبلبلة في أوساط المناضلين والمواطنين، وكان من أبرز من التقينا بهم: سالم ربيع علي، وعبد القادر أمين، وشعفل عمر علي، ومحمود عشيش، وعبد الوارث الأبي، وعبد السلام، وآخرون لا أتذكرهم.

## الآثار الجانبية لرفض الدمج

القيادات التي حاورناها في عدن لم ترفض – من حيث المبدأ – فكرة التوحُّد في جبهة واحدة تقوي شوكة الثورة في مواجهة قوات الاحتلال، ولكنهم أيضاً لم يقبلوها قبل أن يجري نقاش وحوار معهم. وكان علينا أن نناقشهم، ونستطلع رأيهم بشأن مستقبل الدمج الذي كان مرفوضاً بشكل عام في عدن، حيث كان الوضع يختلف عنه في بقية جبهات القتال، بسبب تلك الالتزامات المالية التي كانت توفرها مصر للمقاتلين من سلاح وتدريب وسكن ورواتب، ولهذا قبلوا بالدمج خشية أن يفقدوا هذه المساعدات التي كانت ضرورية لهم. بينما رفضته بعض القيادات وأغلبية المقاتلين في الضالع والشعيب وردفان وأبين ومناطق

أخرى، وتمسكت بالجبهة القومية وقيادتها للثورة حتى النصر. وقد أحدث الدمج انشقاقاً في القيادة بين مؤيد له ومعارض. ولم تنفع كل جهود مصر وعبد الناصر مع المعارضين للدمج وإقناعهم بالتزحزح عن موقفهم. وكان الفدائيون في عدن أكثر الناس تشدداً في رفضهم عملية الدمج، أبرزهم يومها الحاج صالح باقيس، ومحسن وفرحان وبدر وعبود وحسان، وقابلنا لأول مرة المناضل سعيد عبد الوارث المعروف بسعيد الإبي، واسمه الحركي (أمين)، وله أكثر من اسم حركي، وهو قصير ونحيف ونشيط وسريع الحركة بين أحياء العاصمة، لا يركب سيارة خاصة، يتحرك من باص إلى باص ومن سيارة أجرة إلى أخرى، ولا يملك منزلاً أو مالاً، وليس له زوجة. كان الإنكليز يداهمون المنازل التي يتوقعون وجود بعض الفدائيين فيها، ولكنهم لا يصدقون أن الملابس التي يستولون عليها هي ملابس هذا الفدائي لأنها صغيرة تبدو كملابس الطفل. وَهَبَ سعيد حياته للثورة، وقد تزوج بعد ذلك المناضلة نجوى مكاوي، ولكنهما افترقا، وبقيا على علاقة طيبة. لم يتغير أسلوبه في الحياة حتى بعد انتصار الثورة وقيام الدولة وتحمله بعض المسؤوليات فهو لا يزال يتحرك بالطريقة ذاتها والأسلوب ذاته في كل أحياء عدن، وعندما تشاهده في كريتر تراه بعد نصف ساعة في الشيخ عثمان، وبعد ربع ساعة في المنصورة، وبعدها بالتواهي والمعلا وخورمكسر. قليل الكلام، كثير الحركة، وكان مهتماً بجمع الوثائق المختلفة، ومع الأسف لم يعرف مصيرها بعد وفاته، وقد توفي – رحمه الله – في عدن عام ١٩٩٩م.

كانت جبهة عدن[٢٦] هي قلب الثورة في الجنوب وروحها، وأحد مصادر القوة والطاقة التي تمدّ بقية الجبهات الأخرى بالحيوية والحياة والدماء وبعوامل الصمود والاستمرار. وبعد أن تعوّد الفدائيون الكفاح السري، وكسروا حاجز الخوف، وحققوا ذاتهم، والتحموا بالجماهير وعاشوا معها، وجدوا فيها الحصن المنيع والحضن الدافئ، ووفرت لهم الحماية والدعم والتنقل بسرية، فوجدوا في كل ذلك تعويضاً عن الدعم المصري الذي توقف والذي لم يكن

---

(٢٦) علي صالح عُباد مقبل (جهاز التنظيم الشعبي)، محمد عوض سالم مبارك (جهاز الأمن)، زهرة هبة الله (جهاز المرأة)، سالم ربيع علي (الجهاز العسكري)، سعيد الأبي (جهاز الطلاب) وكانت تجري تغييرات للقيادات وفقاً للظروف والتطورات.

يزيد على خمسة آلاف ريال يمني شهرياً[٢٧]، ولكن قيمته العظمى كانت تكمن في أنه مقدم من عبد الناصر مهما كان قليلاً.




ومارست المرأة في عدن دوراً مهماً في هذه المعركة السياسية والعسكرية والإعلامية التي كانت تدور بين الثورة وقوات الاحتلال في عقر مستعمرتهم الأثيرة التي كانوا يتشبثون بها، ويرفضون الخروج منها حتى ذلك الوقت. وكانت نجوى مكاوي واحدة من القيادات الفدائية التي كانت تقارع الاحتلال، وتتصدر التظاهرات[٢٨]. وكانت تنقلنا بسيارتها «الفولكس واجن» مخاطرة بنفسها وحياتها بين نقاط التفتيش البريطانية المنتشرة في كل مكان. وكان البريطانيون، بعد كل شيء، يسمحون لسيارتها بالمرور كغيرها من الآنسات والسيدات اللاتي يقدن سياراتهن. وكان عددهن في تلك الأيام محدوداً جداً.

أحدثت عملية «الدمج» نوعاً من الارتباك في الشارع، كما لمست في عدن، وكما حدثني «سالمين»، ويعود السبب في هذا الارتباك إلى قوة الإعلام المصري وتأثيره، وإلى تردّد قيادة الجبهة القومية التي لم تحسم موقفها بصورة واضحة حتى ذلك الوقت من مسألة الدمج. ولكن التعاطف الشعبي ظلّ مع قحطان الشعبي في الجبهة القومية، وكذلك في أوساط المثقفين وأجهزة الإعلام المحلية، وخاصة الصحف التي مارست دوراً مهماً في الوقوف

(٢٧) كان الدعم المصري لعدن يساوي تقريباً ٢٠٠٠ دولار شهرياً.

(٢٨) وقد احتجزت هي وفوزية محمد جعفر في ١٦ فبراير عام ١٩٦٦م بسبب توزيع منشورات الجبهة القومية. وأفرج عنهما بكفالة قدرها ٢٠٠ دينار جنوبي بعد ذلك.

إلى جانب الجبهة القومية وقيادتها، وتبني مواقفها السياسية، كصحيفة (الأمل) لصاحبها عبد الله باذيب، وصحيفة (الأيام) لصاحبها محمد علي باشراحيل، باعتبارهما من أكبر الصحف التي كانت تصدر في تلك الأيام في عدن وأقواها تأثيراً. ووجدت الجبهة بعض التعويض في ذلك، بعد أن توقفت أجهزة الإعلام المصرية واليمنية في صنعاء وتعز عن دعمها، وفرضت عليها نوعاً من الحصار السياسي والإعلامي، إلى درجة أنها كانت تنسب العمليات الفدائية والعسكرية التي تنفذها إلى «جبهة التحرير»، وهو ما كان يحزّ في نفوس المقاتلين، ويوسّع شقة الخلاف مع القاهرة وصنعاء، وأيضاً مع جبهة التحرير.

ووجدت أن رجال الدين يقفون مع الثورة، ويدعون لها بالنصر والظفر على قوات الاحتلال، التي كانت تتجاوز حدودها، أحياناً، وتدنسّ بأحذيتها المساجد لتعقب الفدائيين والثوار أو للبحث عنهم.

وعندما ذهبت لأداء صلاة الجمعة، بمسجد الهاشمي، في الشيخ عثمان، وجدت إمامه الشيخ عبد الله حاتم يجاهر بعدائه للاحتلال وبتأييده الثورة في الجنوب في «خطبة الجمعة»، وكان الشيخ حاتم صاحب صوت جهوري، وكان المصلون يأتون خصيصاً إلى مسجد الهاشمي لسماعه يوم الجمعة من كل مكان في عدن، فيمتلئ المسجد عن آخره، ويفيض بالمصلين الذين تمتد صفوفهم إلى الشوارع الجانبية للجامع، وها هو صوته يجلجل بقوة وينقله «الميكروفون» إلى أقصى مكان يصل إليه: «يا عظيم يا جبار حطم قواعد الاستعمار»، و«يا عزيز يا قاهر انصر جمال عبد الناصر». ولم تكن مثل هذه الدعوات تعبيراً عن مواقف الشيخ حاتم وحده، الوطنية والقومية إلى جانب الثورات العربية في الجزائر وسورية والعراق وشمال اليمن فحسب، بل أيضاً تعبيراً عن موقف الشعب في الجنوب. وكان الشيخ يردد أيام ثورة الجزائر: «اللهم يا عظيم يا قاهر انصر ثورة الجزائر». وكان الشيخ حاتم شديد العداء لكل من يناصب العداء لعبد الناصر، ويكره كل حاكم ظالم، ويدعو عليه في خطبة الجمعة: «اللهم اقصف رقبته وأرح شعبه منه»، وكان الحبيب بورقيبة الذي كان يناصب العداء لعبد الناصر يلقى نصيبه من هذه الدعوات. وقد أصبح الشيخ عبد الله حاتم بعد الاستقلال عضواً في مجلس الشعب الأعلى حتى وفاته. وترأس أول جلسة للمجلس بوصفه أكبر الأعضاء سناً. وكان شيخاً عصرياً مستنيراً يرفض التزمت ويكره التعصب.

كانت عدن في تلك الأيام تغلي كالمرجل بالثورة، وكان مثقفوها وصحفيوها وفنانوها ورجال الدين وكل الفئات يقفون مع الثورة وكان المطربون والفنانون يغنون للثورة من أمثال «محمد مرشد ناجي» و«فرسان خليفة» و«محمد محسن عطروش» الذي كانت أغنيته الوطنية «برع يا استعمار من أرض الأحرار» تدوي في كل مكان مثل البيان الأول، والفنان حسن عطاء، أو الفنان «أحمد قاسم» الذي كان يذهب إلى معسكرات جبهة التحرير في تعز ويغني وهو يحمل السلاح للثورة، واشتهرت في تلك الأيام أنشودته الوطنية «ومتى كنا عبيد؟» التي كتب كلماتها الشاعر الكبير «لطفي جعفر أمان». وغَنَّى أحمد قاسم أيضاً: «سيري وسيري إلى الأمام سيري يا جبهة التحرير»، ثم غنى بعد ذلك للجبهة القومية:

**سيري وسيري إلـى الأمـــام سيري**
**إلى الأعالي دائماً أنت الهدى والنور**
**أنــــت أنــــت والـلــــه يــا رحــمــة من**
**عــنــد الــلــه يــا جبهتنا القومية**

شعرت في عدن بانطباع أكيد بأن الثورة ستنتصر ما دامت تمتلك كل هذا الزخم، وما دامت تقف معها، وخلفها، هذه الجماهير المؤمنة بالثورة والتواقة إلى يوم الخلاص والحرية والاستقلال. وزاد هذا من إيماني بعدالة القضية التي نناضل من أجلها، وبأهمية أن نتحلى بالصبر والحلم والحكمة. وزوّدني ذلك بمزيد من الإصرار على أن نمضي في طريق الثورة مهما كانت الصعوبات التي تواجهنا، أو كانت التضحيات المطلوبة. وكانت الجماهير تقدم المثل والقدوة لنا، ولم يكن من الجائز أن نتخلف عنها.

قبل مغادرة عدن، عقدنا سلسلة من اللقاءات مع القيادات فيها، تداول تنظيمها وإدارتها منذ قيام الثورة عدد من المناضلين الأبطال من أمثال: فيصل عبد اللطيف، وعلي السلَّامي، وعبد الفتاح إسماعيل، وأحمد صالح الشاعر، وعلي صالح عُباد «مقبل»، وسلطان أحمد عمر، وسواهم من القيادات التي أظهرت مواهب قيادية، وحنكة عالية في إدارة دفة الصراع مع الاحتلال، وفي قيادة الكفاح المسلح في جبهة عدن، وتوجيه العمل السياسي والجماهيري، وخلق جبهة واحدة مُتراصة مع الشعب لإلحاق الهزيمة بقوات الاحتلال.

وكان «محمود عشيش» الذي يعمل في مصافي الزيت البريطانية في عدن يعدّ واحداً من أبرز قادة العمل النقابي، وقد التقيته لأول مرة في مدينة «الشيخ عثمان» خلال هذه المهمة. وكان يبدو متوازناً في الموقف من الخلافات بين جبهتي «التحرير» و«القومية»، وكذلك في «الاغتيالات» التي كانت الجبهتان تقومان بها ضد عناصر كل منهما، بعد اشتداد الخلافات بين الجبهتين. وكان «عشيش» يؤكد أن «الجبهة القومية» ستسيطر تدريجاً على بقية النقابات كلما كان نهجنا واضحاً في التعامل. وكانت السيطرة على قيادة اتحاد نقابات العمال - بالرغم من سيطرة الجبهة القومية على النقابات الست - لا تزال لحزب الشعب الاشتراكي وواجهته جبهة التحرير ببعض النفوذ داخل المنظمات.

كانت عدن صامدة في وجه العسف الذي يمارسه جنود الاحتلال. التفتيش والاعتقال والمداهمات وأصوات الرصاص والقنابل كلها أصبحت من الأمور المعتادة في المدينة، وقد أظهر شعبنا قدرة رائعة على معايشتها، وفهم ضرورة التضحيات المطلوبة منه لكي تنجح الثورة وتنتصر في النهاية.

ومن ذلك: التضحيات والصمود البطولي الذي كان يبديه المعتقلون السياسيون في «رأس مربط» بالتواهي الذي يُعَدّ من أهم مراكز الاعتقال والتعذيب في مستعمرة عدن كلها. وكان البريطانيون ينقلون الفدائيين والسياسيين بعد التحقيق معهم في رأس مربط وغيرها من المراكز إلى سجن المنصورة. وآخرون من السجناء الأبطال الذين كانوا يهزون المستعمرين من سجونهم بالبرقيات والمقابلات وغيرها.

وقد حدثني الرفيق سالم ربيع علي (سالمين) الذي كان على اطلاع بأوضاعهم عن الظروف القاسية للمعتقلين في سجن (راس مربط) وفي سجن المنصورة المركزي. ومن أبرز هؤلاء نور الدين قاسم، وخالد هندي، والحبيشي (معروف بذلك الاسم لأنه اسم الملعب الرياضي)، وعبد العزيز عبد الولي، وأحمد علي العلواني، وسليمان ناصر محمد، ومحمد صالح العولقي، وأبو بكر شفيق. وكان عدد كبير من المعتقلين الصامدين الشجعان يواجهون حتى وهم داخل السجن، السلطات الاستعمارية بالبيانات والمذكرات والمنشورات والإضراب عن الطعام. وأكد لي «سالمين» الذي كان يتحدث عن صمودهم باعتزاز شديد، أنهم متمسكون بموقفهم من الدمج، فهم يرفضونه، ويقفون مع الجبهة القومية ويتمسكون بموقفها وقيادتها.

وعندما قمنا أخيراً بتقويم نهائي للقاءات التي أجريناها مع مختلف القطاعات الفدائية والنقابية والتنظيمية، وجدنا أنهم معارضون للدمج أياً كان مصدره. وكانوا يبدون ثقتهم بأنفسهم وقدرتهم على الصمود والاستمرار حتى مع علمهم بفقد مصدر الدعم من مصر، وذلك بفضل إيمانهم بالدعم الجماهيري لهم وكانوا واثقين به.

وكان لا يزال يربكهم، ويحيِّرهم، ويزعجهم أن القيادة لم تحسم أمرها بنحو واضح وصريح باتخاذ قرار بالاستمرار أو فكّ الارتباط مع «جبهة التحرير» الذي كان معناه الطلاق مع مصر عبد الناصر وأصدقاء مصر في العالم، وهو أمر يجب أخذه في الاعتبار في كل الأحوال بسبب وزن مصر السياسي والاقتصادي والإعلامي وأهميته للثورة في الجنوب.

**هاتان البرقيتان مرسلتان من فتاح ملك نجيب (عبد الفتاح إسماعيل وعبد الملك إسماعيل وقحطان محمد الشعبي) يطالبون فيها - كما ورد - بعدم اتخاذ مواقف حاسمة في مؤتمر حُمر التي تقع بالقرب من مدينة قعطبة في محافظة بشمال اليمن، وليست منطقة «خمر» منطقة الشيخ حسين بن عبد الله الأحمر.**

وقد بادر الفدائيون، بعد زيارتنا عدن، بإصدار منشور برفض الدمج وفكّ الارتباط بجبهة التحرير بتاريخ ١٤/ ١٠/ ١٩٦٦م دون الرجوع إلى القيادة أو انتظار تبلور الموقف في بقية المناطق وجبهات القتال، وهو ما حدث بعد ذلك عندما عقد «مؤتمر حُمر»[٢٩] لترسيخ ذلك «الطلاق» رسمياً من جانب واحد في الفترة من ٢٩ نوفمبر إلى ٣٠ ديسمبر ١٩٦٦م.

أخيراً وبعد ارتياحنا لوضع جبهة عدن، جبهة المواجهة الرئيسية والحاسمة مع العدو،

(٢٩) مدينة حمر، في شمال اليمن بالقرب من قعطبة.

وإلى أن الأمور فيها بخير، ولن يؤثر في مسيرتها قرار الدمج المرفوض والدعم المقطوع، قررنا الرحيل إلى أبين لمواصلة مهمتنا، واستطلاع رأي بقية القواعد في السلطنة الفضلية، والسلطنة العوذلية وولاية دثينة.

## من عدن إلى دثينة

كان في انتظارنا بالشيخ عثمان سيارة «علي منصور باجابر»[٣٠] لتقلنا إلى «مودية» عاصمة ولاية دثينة. وقد وقفنا للتفتيش في أكثر من نقطة، لكن أهمها كانت «نقطة العلم» الفاصلة بين حدود المستعمرة عدن والسلطنة الفضلية. وأخذت سيارتنا الجديدة تنطلق عبر «ساحل أبين» ونحن نستمع إلى أغنية جديدة للفنان محمد عطروش من خلالة أسطوانة داخل السيارة الحديثة التي سمعت لأول مرة فيها:

**بالله اعطني من دهلك[٣١] سبولة**
**لي سنة ما ذقت الجهوش**
**ليه سنة ما شفت الحبايب**
**أنا في الرميله وخلي في الفيوش**

تجاوزنا «نقطة العلم» ومررنا بمدينة «زنجبار» وبالقرية الساحلية «شقرة» دون أن نتوقف فيهما، وتوالى مرورنا ببقية المناطق: العرقوب، الركبة، العين، الخديرة، مودية، أمقوز، وأخيراً قريتي «أمفرعة» التي تقع في حضن جبل القاهرة، وكان الموقف الشعبي الرائع يوفر الحماية والأكل والمال والسلاح والمعلومات للمناضلين، كذلك فإن الحكام في دثينة والفضلي والعوذلي كانوا يغضون الطرف عن ملاحقة الثوار، لأن الثورة كانت حينها على أبواب النصر.



حصن الوالد ناصر محمد

(٣٠) شقيق نائب حاكم ولاية دثينة الشيخ حسين المنصور.

(٣١) دهلك: أرضك.

ها أنذا، بعد أربع سنوات كاملة من الغياب، أدخل دارنا (الحصن) حيث ولدت وترعرعت وعشت أيام طفولتي وصباي. فإذا بكل الذكريات تثب أمامي دفعة واحدة، وتتزاحم صورها في ذهني، في كل الزوايا. استقبلني الكل بالشوق والأحضان والدموع، والدي «ناصر محمد» ما زال صلب العود وشامخاً كما كان، وكما كنت أراه دوماً، وأمي «شيخة» الحضن الدافئ والقلب العطوف والوجه الرقيق السمح والعينان اللتان تبرقان ذكاءً وفطنة. وأخوتي أحمد وهادي، وصلاح، ومحمد، وعوض، وعبد الله، ومنصور، وأخواتي البنات شيخة وفاطمة، كلهم تزاحموا حولي بفرح وشوق. وجاء محمد سليمان ناصر، وعلي شيخ عمر الخارج لتوه من معتقل «رأس مربط» الرهيب، وأخذ يحدثني عن التعذيب القاسي الذي تعرّض له على أيدي المحققين وزبانية المعتقل، ولكنه ظل صامداً ولم يستطيعوا أن ينتزعوا منه أي اعتراف. وأخيراً، عندما يئسوا منه، أطلقوا سراحه، وها هو الآن حرّ طليق.

لا بأس من البقاء في البيت، وتلقي مثل هذه الزيارات، وحضور أعداد كبيرة من الأهل والأصدقاء للسلام عليّ، ولكن في حيطة وحذر. وكان النائب حسين منصور يغضّ الطرف أحياناً، لكن الأمر لا يسلم من وجود وشاة وجواسيس.

أجرينا لقاءات سرية مع القيادة التنظيمية المحلية في مودية، وتشاورنا معهم في أمر الدمج والموقف منه والمستقبل. ولم يكن رأي القيادة هنا يختلف عن ذلك الذي وجدناه ولمسناه في عدن وفي منطقة السعيدي والعواذل حيث التقينا بالمسؤولين فيها، ومنهم عربي عبده، ومحمد أحمد الصغير، أو «الصير» كما يسمونه ومحمد أحمد حرباج، ومحمد علي أحمد، وسواهم من القيادات المحلية للجبهة القومية. وقد جرى اللقاء في منزل صديقنا الساخر علي عبد الإله، الذي يُعَدّ من العناصر البارزين والشجعان والمبدئيين، ويرفض أن يتلون كالآخرين.

وكان علي عبد الإله وأسرته وأقاربه في قرية أمنجدة يقومون على خدمة «ولي» في المنطقة يسمى «عمر بن سعيد» تأتيه القبائل من كل مكان، عندما يحين موعد زيارته السنوية، فيذبحون الذبائح ويتبركون بتراب قبره، والمسجد الذي يقع القبر في أحد أركانه.

وكانت قبائل آل حسنة، كغيرها من قبائل المنطقة، تذهب كل عام لزيارة «الولي عمر بن سعيد» سيراً على الأقدام مصطحبين معهم الذرة والأغنام والسليط «الزيت» والجلجل يقدمونها

لسدنة «عمر بن سعيد» القائمين على خدمته. وفي الطريق كانوا يغنون ويرقصون أو يركضون. وعندما يشعرون بالظمأ كانوا يشربون من القرى التي تقع على طريقهم إلى زيارة الولي، ومنها قرية «الحافة»[٣٢]، التي يقال إنها عاصمة سلطنة الجحافل، وهي قرية السيد ناصر السقاف أحد قادة الجبهة البارزين. ومن بين الذين كانوا يقومون على خدمة الولي عمر بن سعيد، بيت علي ناصر أمخادم وأخته وأولاده الخضر وقاسم والحسين الذي أصبح في ما بعد ضابطاً كبيراً في (جيش الجنوب العربي) ومن بعده جيش جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية.

هذه المرة لم نأتِ لزيارة الولي عمر بن سعيد، بل لزيارة أحد سدنته السابقين علي عبد الإله الذي تمرد على كل هذه العادات والطقوس، وقد تجاوزها الآن، وعلى السلاطين الذين كانوا يحتقرون خدم هذا الولي. مع أن هؤلاء بنوا لأنفسهم بيوتاً أحسن من بيوت السلاطين في «لودر» و«زارة» و«مكيراس»، وسكان هذه المنطقة مشهورون بالرقص الشعبي والغناء في الأفراح والمناسبات، ويرددون شعر نائبهم وحاكمهم ناصر محمد جعبل، وكان أحد الشعراء الشعبيين، ومن شعره:

**يـا أهـل لـودر مـزيـد سلاكم**
**لـيتـنـي مـوت وأحـيـا معاكم**

أما نحن، فلا سلوى لنا في هذه اللحظة إلا علي عبد الإله الذي كان يضفي وجوده علينا جواً مرحاً ونحن في ضيافته وحمايته وعناية الشيخ الولي عمر بن سعيد.

## اليزابيث تغرم بجعبل ويتزوجان

في أثناء زيارتنا سلطنة العواذل (عام ١٩٦٦م) كان السكان لا يزالون يتحدثون عن الحب الجارف الذي ربط بين قَلْبَيْ جعبل صالح و«إليزابيث سافاج»، وقد حرصت على إيرادها

---

(٣٢) توجد فيها آثار حميرية قديمة، وأشهر قبائل الجحافل آل علي، وآل يحيى بن علي، والعجمان، والهياثم، وقد حكموا دثينة وأقاموا دولة قوية عام ١٣٠٣م/ ٧٠٣ هـ، وقد اشتهروا بقطع الطرق كما أشار إلى ذلك بامخرمة، وقال أحد الشعراء:

سقاك يا برق في أرض الجحافل سقاك يل ليت يا برق من يطلع معك في سماك
يلمع بنورك وينزل في ثعانين ماك

ضمن مذكراتي لأهمية قصة هذه الجاسوسة الإسرائيلية وأهمية مدينة عدن في نظر الدوائر الصهيونية والإمبريالية العالمية منذ وقت مبكر، وقد أفردت صحيفة الأيام العريقة أحداث هذه القصة على صفحاتها حيث كانت الصحيفة تنشر قصص الحب والغرام للعاشقَين جعبل صالح غرامه وإليزابيث سافاج التي كانت حديث عدن والمحميات والصحافة.

جاءت اليزابيث سافاج الفتاة الأميركية، خريجة الفلسفة واللغات إلى عدن يحدوها الحب لعدن والشعب، كما بدا في ظاهر الأمر، ووقعت في هوى جعبل صالح العوذلي الشاب البالغ من العمر ثمانية وعشرين عاماً، والذي تنطق ملامح وجهه بالفتوة والشجاعة ويزيّن وجهه العربي الأصيل لحية صغيرة سوداء في أسفل ذقنه وتعلو شفتيه ابتسامة لا تفارقه، فكأنها جزء لا يتجزأ من ملامح وجهه.

غادرت الفتاة الشابة إليزابيث أميركا عام ١٩٥٦م في سياحة حول العالم طافت خلالها بفرنسا وألمانيا ومعظم أنحاء أوروبا الأخرى، وزارت شبه القارة الهندية، ثم عرجت إلى الشرق الأوسط، ووصلت أخيراً إلى عدن على ظهر باخرة أقلتها إليها حيث استقر بها المقام في فندق ميتروبول، وأجرت خلال إقامتها في الفندق اتصالات ببعض الأشخاص الذين يمكن من طريقهم زيارة إمارات الجنوب العربي والقيام بجولات سياحية تتعرف فيها إلى طريقة الحياة العربية. ومن ضمن الذين اتصلت بهم، النائب جعبل بن حسين، ليسهِّل مهمتها ويجري نقلها إلى مكيراس. وفي مكيراس استطاعت أن تتعرف إلى القرويين هناك، وشاهدت ألواناً من حياتهم، وطلبت أن تقوم بعدد من الجولات في جنوب اليمن. وتقرر أن يرافقها في رحلتها رجل موضع ثقة، فوقع الاختيار على جعبل بن صالح غرامه العوذلي.

وقد زارت برفقته معظم المناطق الريفية البسيطة، وكانت تخرج معه إليها من الصباح حتى المساء، ومن ثَمّ بدأ يخفق قلبها لذلك الرجل الذي حاولت الزواج به، لكنه رفض بكل ما يستطيع، إلا أنها توسلت إليه ليسمح لها بمقابلة زوجته وطرح موضوع زواجها به، وقد وافقها أخيراً في ما ترمي إليه، وبالفعل ذهبت إليزابيث إلى منزل جعبل وتقدمت إلى زوجته قائلة: اعتبريني أختك، واسمحي لي بأن أقول لك «إنني أحببت زوجك، ولن أحرمك إياه ولن استأثر به دونك، دعيه لي ولك»، لكن كل محاولتها باءت بالخذلان، وتحت إصرارها

على الزواج منه لم يجد جعبل بداً من عرض القضية أمام السلطان صالح بن حسين العوذلي سلطان العواذل. وعند حضور إليزابيث سافاج سمع السلطان كامل قصتها، وبعد تفاوض مع الأطراف المعنية، قبل السلطان أن يمنح إليزابيث اسمه، وبذلك عُقد قران جعبل على إليزابيث التي أصبح اسمها نور بنت السلطان صالح بن حسين.

لكن فصول القصة لمّا تنته بعد، فقد أوردت صحيفة الكفاح في الفصل النهائي لها أن حالة الحب والشاعرية المرهفة التي كانت عليها إليزابيث لم تكن إلا سيناريو هدفه التجسس على المنطقة التاريخية المهمة. لقد رحلت سافاج عن عدن بعد ذلك، ووجهتها ألمانيا الغربية برفقة موظف كبير في القنصلية الأميركية، رافقها إلى المطار وانتظر الطائرة حتى أقلعت ليسدل الستار على القصة الأسطورية التي حبكتها هذه الأميركية التي جاءت إلى عدن وتزوجت مواطناً من الجنوب العربي وسكنت معه في دار سعد على أطراف عدن.

وقد اتضح أن سافاج هذه ممنوعة من دخول الجمهورية العربية المتحدة ومعظم البلاد العربية، وأنها تملك رصيداً ضخماً في أحد البنوك، وقد تسلّمت قبل انتقالها إلى دار سعد شيكاً بمبلغ كبير من المال لا يعرف مصدره أحد.

حاولت إليزابيث أن تدخل عدن مرة أخرى تحت أي ستار، وفي إطار ذلك ذهبت إلى جيبوتي وهى تحمل جواز سفر أميركي وتعرفت إلى شاب هناك وأعلنت إسلامها وطلبت منه أن يتزوجها حتى تتمكن من الدخول إلى عدن بصفتها زوجته، وفعلاً كاد يحصل ذلك في جيبوتي لولا أن انكشف أمر إليزابيث، وعلم عنها الخاص والعام وانتقلت الأقوال بأنها صهيونية، وأمرتها السلطات بمغادرة جيبوتي في الحال، إلا أن أصدقاء لها من شبان جيبوتي اهتموا بقضيتها واتصلوا بالسلطات الرسمية وأقنعوها بتمديد إنذار إليزابيث لمدة أسبوع واحد فقط، وقبلت السلطات بذلك.

ومرة أخرى طلب أصدقاؤها من السلطات منحها تأشيرة دخول إلى عدن، ولكن إليزابيث هربت مخلفة وراءها العديد من التساؤلات، ودافع زوجها عن هرب زوجته وزعم أنها هربت برضاه، ومع ذلك لم يذكر زوج سافاج أية حقائق إضافية عنها وعن جنسية جواز السفر الذي تحمله هذه السيدة الأميركية التي ذابت غراماً بجعبل وباليمن الجنوبي. ولكن هذه الواقعة التي أوردتها لم تكن سوى قصة على الهامش، ولا علاقة لها بموضوعنا.

## من العواذل... إلى تعز

ولأن مهمتنا أيضاً قد انتهت في العواذل ودثينة، فقد كان السؤال الذي واجهنا هو: من أين نذهب، وإلى أين نعود؟ إلى عدن، ومنها إلى تعز، أم نختصر الطريق إلى البيضاء عبر لودر وجبل ثره ومكيراس؟

هذه المرة لم يكن ثمة خوف من سلوك هذا الطريق بعد أن تحطمت هيبة السلطنة وسلطانها وحدودها بعد هروب نائبها جعبل بن حسين إلى صنعاء، ومن ثم إلى القاهرة. لم تعد للسلطنة الآن تلك الهيبة التي كانت لها يوم كان جعبل يبث عيونه وفلوسه ويزرعها في كل مكان، وحين كنا نضطر إلى الدخول والخروج خفية وسلوك أصعب الطرق والمسالك وعورة سيراً على الأقدام، وتسلق هذا الجبل الشاهق الذي يبلغ ارتفاعه أكثر من ألفي متر.

اتخذنا قرارنا بالذهاب عبر «مكيراس». كان صديقنا محمد علي أحمد يملك سيارة جيب يابانية (حبة وربع) وقد وافق على نقلنا إلى البيضاء مع شحنة بطاطا[٣٣]. وكان محمد علي خبيراً بالطريق وبالمسؤولين في النقاط، ويتميز بالجرأة والشجاعة. وقد أخذ يخاطب مسؤول النقطة في «ثره» بلا خوف عندما لم يسمح لسيارتنا بالمرور، لأن النائب حسب قوله قد أعطى أوامر مشددة بعدم طلوع عقبة ثره أو النزول منها من المساء وحتى وصولنا إليه. غير أن السرّية التي أحطنا بها وصولنا ومهمتنا في عدن ودثينة والعواذل لم تمكنه من معرفة أخبارنا وتحركاتنا أو حتى بوجودنا في منطقته. ولهذا لم يكن لهذه الإجراءات أية علاقة الآن بمرورنا في عقبة ثره، وهو ما جعلنا في حالة اطمئنان. لكن صديقي أحمد صالح الشاعر لم يكن مع رأينا أنا ومحمد علي أحمد، فنصح بالعودة من حيث أتينا، خاصة بعد أن رفض مسؤول تلك النقطة السماح لنا بالمرور، وكان لخوف «الشاعر» ما يسوّغه، فقد كان من أبناء المنطقة، وكان يخشى إذا بزغ الفجر أن نصبح مكشوفين فيسهل التعرف إليه والقبض عليه، على النقيض مني، إذ كنت غير معروف كثيراً في هذه المنطقة آنذاك.

(٣٣) منطقة العواذل تزرع الطماطم والبطاطا والبصل والفجل واللبتس والجزر والكولي فلاور والفاصوليا والخيار والعتر (البسلّة) والبرتقال والخوخ والرمان والسفرجل واللوز والتين، ويقال إن المستر هاريلي (١٩٤٥م) زرع التفاح والعنب الأسود في مكيراس، ومعظم هذه الخضار والفواكه زرعت في دثينة في بداية الخمسينيات وأصبحت دثينة تنافس العواذل في أسواق عدن.

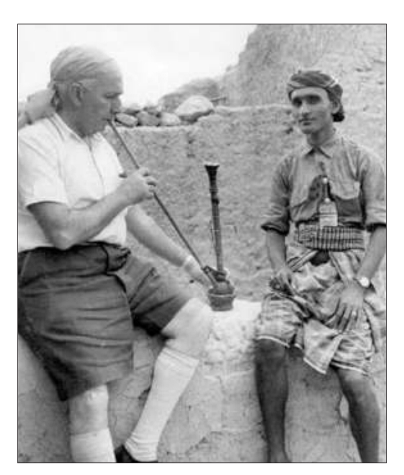
وفجأة لمعت فكرة ذكية في رأس محمد علي أحمد، فلجأ إلى أسلوب الترغيب والرشوة بدلاً من المشادة والصياح. وقد دفع، كما قال لنا، رشوة مقدارها عشرون شلناً[٣٤]، لم يكن المبلغ كبيراً لكن بالقياس إلى جندي كانت تساوي الكثير في تلك الأيام. وهكذا سمح لنا مسؤول النقطة بالمرور، ولكنه اشترط علينا أن نخرج من عقبة ثره [٣٥] بأسرع ما يمكننا وقبل أن تطلع الشمس، إذ كان يخاف أن يصل إلى علم النائب أنه سمح بمرور سيارة مهما كانت مخالفاً تعليماته فيفقد وظيفته ويزجّ به في السجن.


شق طريق جبل ثرة في السلطنة العوذلية

انطلق محمد علي بسيارته بأقصى ما يمكنها من سرعة في هذا الجبل الذي تبدو طرقه ملتوية مثل ثعبان ضخم، وكان يجتاز بها المنعطفات الخطيرة دون أن يقلّل من سرعتها، وكان أخطر هذه المنعطفات منعطف يسمونه «الصراط الحاد»، لكن محمد علي ونحن معه لم يكن تهمه المنعطفات الخطرة، ولا الصراط الحاد، أو المطبات والحفر الكثيرة في الطريق الجبلي الصعب. كنا في سباق مع الوقت، مع الفجر الوشيك والشمس والخطر الداهم، فطوينا الطريق والجبل الأشمّ بسرعة الريح، كما يقال، حتى تجاوزنا نقطة الخطر قبل بزوغ الفجر وسطوع أشعة الشمس.

(٣٤) ٢٠ شلناً = ٣ دولارات أميركية.

(٣٥) عقبة (ثرة) التي ذاعت خطورة منعطفاتها الطويلة على شعاب وأودية منطقة الحضن لودر وصولًا عبرها إلى مكيراس محافظة البيضاء تشهد حوادث مرور راح ضحيتها الكثير من الناس وذلك لقلة الحواجز والموانع على جوانبها وانعدام إشارات المرور فيها يذكر أن طريق عقبة ثرة قد تم شقه في مطلع ستينيات القرن الماضي بإشراف المهندس البريطاني (شيبي) وذلك إبان وجود المحمية البريطانية في مكيراس آنذاك، وقد بلغت منعطفاتها ٥٢ منعطفاً. وكانت عقبة ثرة وعرة وضيقة وقد أُعيد تأهيلها وتوسعتها واختصار كثير من منعطفاتها في عام ١٩٨٨م، وذلك على حساب البنك العربي الإسلامي.



**الأمير عبد الله محمد جعبل المكلف من قبل السلطان الإشراف على العمل في شقّ طريق ثرة، ويظهر في الصورة المهندس شيبي، وبينهما المداعة أو الرشبة كما يسمونها في المنطقة**



**طريق حديثة ثرة بعد سفلتته**

وتذكرت، ونحن نصعد الجبل الأشمّ والصعب، رحلة الأستاذ محمد علي لقمان في نوفمبر عام ١٩٤٥م[٣٦] والصعوبات التي واجهها في الطريق إلى قمة جبل ثرة وقال: «إنها طريق منهكة وشعر وهو يصعد ويصعد ويصعد بالحمير وكأن لا نهاية لهذا الصعود فالطريق يطول

(٣٦) اطلعت على هذه المعلومات في كتيب صغير اسمه «الظاهر» نسبة إلى هذه المنطقة التي زارها، وفيه سجل ذكرياته عن العواذل والبيضاء وسلطنة الفضلي بعد الحرب العالمية الثانية، ومما أذكره أنه فتح المذياع في لودر وسمعوا خبراً عن القنبلة الذرية وإعلان روسيا الحرب على اليابان.

والشمس محرقة رغم برودة الهواء والعطش يكاد يقتلني لولا وصولنا إلى ماء الكرع»[٣٧]. أما نحن فلم نشعر بعطش ولا جوع ولا شمس ولا برد طوال رحلتنا القصيرة، وها نحن نصل للمرة الأولى إلى قمة جبل ثرة التي يبلغ ارتفاعها ٧٠٠٠ قدم بالسيارة، وإذا بالقرى المنتشرة في الهضبة تلوح على أولى خيوط النهار ومنها عريب ومكيراس، ومعسكر القوات البريطانية وجيش محمية عدن. وتذكرت، ونحن هُنا، الحديث الذي دار أمامي بين السيد قحطان الشعبي وكل من عبد الحميد الشعبي وسيف الضالعي والقائمين على «عملية صلاح الدين» في تعز من الأخوة المصريين. كان ذلك بعد خروج جعبل بن حسين من مكيراس وهروبه إلى القاهرة وإعلانه الالتحاق بالثورة وضرورة فتح جبهة ضد الاستعمار.

ومما قالوه أنهم اتفقوا مع جعبل على إدخال السلاح عبر مكيراس، لما له من نفوذ قوي فيها. وعلّق سيف الضالعي قائلاً: لماذا لا ندخل سلاحنا بالطريقة ذاتها؟ فقال أحد الضباط المصريين: إن حصل هذا فإن جعبل سيدخل سلاحه بسرية ومن غير علمنا أو علمكم أو علم السلطات المحلية في مكيراس. وقال سيف الضالعي: لماذا لا نراقبه، وندسّ سيارتنا التي تحمل السلاح بين سياراته فيعتقدون أنها تابعة لجعبل؟ ضحك الضابط المصري واسمه رجائي فارس، وقد رُقِّي إلى رتبة فريق في ما بعد، لكنه لم يعلق على فكرة سيف الضالعي أو مقترحه، إذ كان يراها غير معقولة وغير مقبولة. وربما اعتبرها أيضاً ساذجة.

وقال قحطان الشعبي: بطلوا مزاح.

قال ذلك بانزعاج واضح، وابتلع ريقه وسكت، فقد بدت له هو الآخر هذه المقترحات غير واقعية وغير جادة.

وفي مكيراس، نصحنا محمد علي أحمد بأن ننزل من السيارة، حتى لا يتعرف إلينا أحد في نقطة الجمرك، وخاصة أحمد صالح الشاعر الذي ولد في هذه المنطقة وعاش فيها قبل أن ينتقل منها للعمل في مصافي عدن. كان الشاعر معتداً بنفسه كثيراً، فأصرّ على المرور في مركز مكيراس، ولكن محمد علي رفض وأيدته في ذلك، فاستسلم الشاعر فترجلنا من السيارة آخذين طريقنا بين المعسكرين الإنكليزي والعربي، إذ لم يكن هناك مفر من المرور

(٣٧) أي ماء المطر الذي نزل ذلك الصباح الجميل.

بهذه الطريق، وقد حرصنا على التلثم بالعمائم، ولم تكن مثل هذه الحركة تثير الارتياب بسبب برودة الطقس في مرتفعات مكيراس. والتفت نحو أحمد صالح الشاعر ونحن نمرّ بين المعسكرين، ورددت بيت الشعر المشهور:

**يـا مكيراس لا جـاك البلا[٣٨] ويـش همك**

**عسرك فيك والسركال[٣٩] خيك ابن عمك**

وقد صادفنا في الطريق بعض الفلاحين والناس الذين لم يتعرفونا. وبعد أكثر من ساعتين من السير على الأقدام وصلنا إلى «حيد السما»، وهي النقطة التي اتفقنا مع محمد علي على أن نلتقي عندها. وصل محمد علي الذي كان سائقاً ماهراً وبارعاً مثلما اكتشفت ذلك في تجربة جبل ثرة، ورأينا غباراً أبيض من بعيد بسبب سرعة سيارته، وكانت الشمس قد طلعت وبدأت تهبّ نسمات الصباح الباردة، صعدنا إلى السيارة بسرعة وانطلق بنا إلى حدود البيضاء وسط طرق وعرة وغير معبدة حتى وصلنا إلى حدود البيضاء التي أشار إليها محمد علي وهو يقول: علينا الآن أن نرتاح، وأن نشرب ونفطر من شاهي وملوَّح[٤٠] خادم القوم. وخادم «الولي عمر بن سعيد» علي عبد الإله.

افترشنا الأرض مبتعدين عن الطريق بقدر ما نستطيع حتى لا يشاهدنا أحد، وبما أن محمد علي أحمد، هذا الشجاع المغامر معنا، فلا خوف علينا، ولكن الخوف عليه هذه المرة لأنه سيعود إلى السلطنة، وقد استغرقت رحلتنا أكثر من أسبوعين منذ انطلاقتنا من تعز، وذهابنا إلى عدن، ودثينة، والعواذل وحتى وصولنا إلى البيضاء.

أما المحطة التالية، فقد كانت بتاريخ ١٤ أبريل ١٩٦٦م في منزل علي محمد القفيش، وهو قريب لمحمد علي أحمد، كان حين يخاطبني يناديني «يا خال» وتربطني به قرابة عائلية، فعمّه قاسم حسن متزوج شمس عوض علي، وما زال يناديني بذلك حتى اليوم. شاب وسيم وكريم وشجاع ويتدفق حماسة وحيوية، وهو الشاب ذاته الذي كان رفيق رحلتي إلى الجبهة

---

(٣٨) البلا تعني الحرب، بل ذروة الحرب.

(٣٩) السركال تعني الإنكليز، أي إنهم حلفاء للسلطنة والسلطان.

(٤٠) خبز من الدقيق مطبوخ بالسمن أو الزيت.

الوسطى عام ١٩٦٤م. وقد رحب بنا في منزله العامر. وبعد فترة من قدومنا جاء محمد علي أحمد الذي سلّم علينا بحرارة، معطياً انطباعاً بأنه جاء بمفرده ولم نكن نحن معه لأنه كان عائداً إلى السلطنة. وتظاهرنا نحن بدورنا بأننا لا نعرفه وأننا نراه للتو، فأخذنا نسأله عن صحته، وعن أخباره، وعن البلاد وأخبارها، وعن الخضار وأسعارها، ولم نشتبه في علي محمد القفيش ولكن السرية كانت تقتضي ذلك. وقد أصرّ علي محمد القفيش على أن يستضيفنا لمدة أسبوع كامل، ولكننا شكرناه على كرمه، وودعناه كما ودعنا رفيق طريقنا محمد علي أحمد، وعدنا بالطائرة اليمنية (الداكوتا) التي كانت تهتز لهبوب أدنى هبة ريح، إلى تعز أرض العز والخير والجواسيس والقات والبلس وبائعات البلس.

## بريطانيا... فضلاً لا تتخلي عنا!

قبيل عقد مؤتمر الجبهة القومية الثاني، عقدت مجموعة من قيادات الجبهات العسكرية اجتماعاً مهماً في مدينة عدن، واتخذت قراراً بالعمل خارج قرار الدمج، وبتنشيط العمل الفدائي المستقل في كل مكان، وتوصل المشاركون في الاجتماع إلى صورة المستقبل التي ستشهده البلاد عند جلاء البريطانيين في أقرب فرصة، حيث قرروا تشكيل «لجان شعبية في المناطق المحررة من شأنها أن تغدو هيئات للسلطة الثورية في المناطق، وتقود جميع الإجراءات الاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها»[٤١].

في هذا الوقت كانت الأحداث الداخلية والإقليمية تتفاعل بسبب إعلان بريطانيا في شباط/ فبراير ١٩٦٦م عزمها على ترك الجنوب العربي وسحب قواتها إلى البحرين والاستغناء عن خدمات «مستعمرة عدن» نهائياً، وذلك بحدود بداية عام ١٩٦٨م. وفيما أعلن وزير خارجية بريطانيا في ٥ مايو/ أيار ١٩٦٦م أن حكومة الاتحاد التي نصبها الإنكليز قد وافقت على قرارات الأمم المتحدة، وستعمل على عقد «مؤتمر عام للمسؤولين والهيئات الحزبية والسياسية» لبحث سبل تطبيق تلك القرارات، فقد أصبح واضحاً أن هياكل الاستعمار بدأت تنهار وتفقد شروط استمرارها. وعبّر ذلك عن نفسه في الخطاب الذي ألقاه السلطان صالح بن حسين العوذلي وزير الأمن الداخلي ورئيس «اتحاد الجنوب العربي» أمام اللورد

(٤١) فيتالي ناؤومكين، مصدر سابق، ص ١٤٩.

بيزويك، السكرتير البرلماني لوزارة المستعمرات البريطانية الذي كان يزور عدن في مايو/ أيار ١٩٦٦م، وقد سَمَّت خطابه أدبيات الجبهة القومية: «وثيقة الخيانة والعمالة».

كان الخطاب قطعة من المرارة وخيبة الأمل بالوجود الاستعماري، ولكنه من جانب آخر مثال للاستجداء والضعف والتبعية للاحتلال البريطاني. يقول الخطاب – الوثيقة:

«لقد تحملنا، كما تعرفون، طوال عدة سنوات ألوان الإهانات والسباب من جانب معظم العالم العربي، لأننا اعتقدنا أن الحكومة البريطانية هي صديقتنا المخلصة، وأنها ستحمينا من نتائج تأييدنا الذي لم يتزعزع لها، وذلك إلى أن نصبح قادرين على الدفاع عن أنفسنا. ينبغي على الحكومة البريطانية أن تفهم بأن علينا أن نعيش وسط جيراننا العرب، ولا يمكن أن نصدق أنكم ترغبون في التضحية بنا لا لشيء إلا لأن الحكومة البريطانية بعد عدة سنوات من الوعود المتكررة ترى على العكس أنه مما يلائم مصلحتها الخاصة أن تهجر أصدقاءها».

«إننا نرى أن لنا الحق إزاء ما نعتبره بمثابة اعتزام الحكومة البريطانية على النكوص عن وعدها، في أن ننتظر من هذه الحكومة أن تضعنا في مركز قوي مماثل للمركز الذي كنا سنصبح عليه فيما لو استمرت الحكومة البريطانية تدافع عنا بعد الاستقلال».

«وإذا ما كانت الحكومة البريطانية تتصور حقيقة أن بوسعنا أن نقنع أحداً بلا شيء فعلينا أن نؤكد بكل ما في وسعنا من قوّة أنكم مخطئون إلى أقصى حد، وقبل أن ننتقل إلى المسائل الكبرى فلنضرب مثلاً بسيطاً واضحاً وهو أن الألوف من أبناء شعبنا سيجدون أنفسهم عاطلين يتسكعون في الشوارع بلا عمل إذا ما أغلقت القاعدة».

«كان يقال لنا دائماً عندما نطالب مثلاً بسلاح طيران أنه ليس ثمة حاجة تدعونا للتفكير في هذه المسائل، حيث إن الحكومة البريطانية ستحمينا بقواتها هي، وها نحن الآن في وضع يتطلب منا أن نعمل على إيجاد مساعدة جوية فعّالة لقوات الاتحاد في غضون عامين»[٤٢].

يبدو أن السلطان صالح لم يقرأ التاريخ ومقولة تشرشل عن الصداقة والمصالح الدائمة، فقد تخلى الإنكليز عن الملك فاروق في مصر عام ١٩٥٢م كما تخلى الأميركان في ما

(٤٢) عادل رضا، مصدر سابق، ص ١٥٤– ١٥٩.

بعد عن شاه إيران عام ١٩٧٩م ورفضوا علاجه، ولم يقبلوه لاجئاً إلى الولايات المتحدة الأميركية، وبعد ذلك بعشرين سنة تخلوا عن حاكم زائير الديكتاتور موبوتو وعن ماركوس رئيس الفيليبين وزوجته الجميلة أميلدا، وفي المعسكر الآخر تخلّى السوفيات عن حلفائهم في أكثر من مكان. فالدول العظمى تقف مع مصالحها العليا وأمنها الاستراتيجي.

اندفعت الأحداث الداخلية متسارعة على كل الصعد، وكتبت صحيفة «التايمز» اللندنية حول تلك الأيام «أن قرار الحكومة البريطانية الخاص بالانسحاب من عدن عام ١٩٦٨م أدى منذ البداية إلى نقيض النتائج التي كانت تأملها لندن: فقد ازدادت هجمات الثوار، ولم توُقف نشاطَهُم عمليات الاعتقال الوقائية وفرض نظام حظر التجوال وإعلان حالة التأهب بين قوات الأمن»(٤٣).

وفي غضون فترة قصيرة من ١٠-١٣ شباط/ فبراير بلغ عدد الهجمات التي قام بها الثوار ضد القوات البريطانية ٦٦ هجوماً ووصلت الإصابات إلى ٨٦ إصابة، منها ١١ قتيلاً (٣ من الفدائيين)، و٦٦ جريحاً (٢ من الفدائيين)(٤٤) وحين وصلت بعثة الأمم المتحدة في الثالث من نيسان/ أبريل ١٩٦٧م إلى عدن، فرض عليها الإنكليز الإقامة في فندق «سيفيو» في خور مكسر لمنع اتصالها بالمواطنين، وتعرّفها الأوضاع العامة. وقد ردّت الثورة على ذلك بتحويل عدن إلى ميدان للمعارك ودكّ مواقع المحتلين على مدى الأيام الخمسة التي بقيت فيها اللجنة بعدن. وفي غضون تلك الأيام أضربت المدينة والمدن الأخرى تعبيراً عن رفضها الوجود الاستعماري، وقد نفّذ الفدائيون هجوماً على منزلي وزيرين في حكومة الاتحاد هما: الوزير عبد الرحمن جرجرة، وزير الإرشاد القومي، وفضل بن علي، وزير الدفاع(٤٥).

وكانت الطائرات البريطانية، فضلاً عن القوات الأخرى، قد استنفرت وقامت بعمليات واسعة لإرعاب الشعب، دون جدوى.

في تلك الأيام اتخذنا في قيادة الجبهة قراراً بالإعداد الجدّي لعقد المؤتمر الثاني، وقد شكلنا

---

(٤٣) المصدر نفسه، ص ١٥١.

(٤٤) سلطان ناجي، مصدر سابق، ص ٢٩٣.

(٤٥) جريدة الأهرام ٢٩/ ٣/ ١٩٦٧.

لجنة تحضيرية من خمسة أعضاء (منهم سالم ربيع علي وأحمد الشاعر) لغرض إعداد الوثائق الخاصة بالمؤتمر وتسمية المندوبين. وكان العديد من المعطيات يدفع إلى التعجيل بعقد المؤتمر في ظروف تتعرض فيها الجبهة لكثير من الضغوط، بخاصة الضغوط المتعددة الأشكال لجهاز المخابرات المصري في تعز. فقد اتضح أن عدداً من قادة جبهات النضال أقاموا علاقات بالقيادة العسكرية المصرية في تعز من وراء ظهر قيادة الجبهة، حتى بعد قرار الدمج وإعلانهم رفضه وتشكيل القيادة السباعية المؤقتة.

وما دمنا نتحدث عن (جبهة التحرير) والأسباب التي حدت الجبهة القومية إلى الانسحاب منها بعد قرار الدمج القسري الذي كان بمثابة «عملية قيصرية»، فلا بد من الإشارة إلى أن أبرز رموز جبهة التحرير كانوا أصلاً أعضاءً في الجبهة القومية، خاصة قادة جبهات القتال قبل أن ينشقوا عنها بعد إعلان الدمج، بسبب عدم اتخاذ القيادة موقفاً حاسماً من مسألة الدمج بالدرجة الأولى، ثم بعد ذلك نتيجة تأثير مصر وعبد الناصر اللذين وقفا إلى جانب الثورة منذ انطلاقتها الأولى، وبسب تأثير الإعلام المصري وتأثير حكومة صنعاء التي تحتضن جبهة التحرير ومكاتبها وقواعدها، وأيضاً بسبب حاجتهم للمال والسلاح والتدريب والتمويل ودفع مرتبات الشهداء الذين سقطوا خلال المعارك مع الإنكليز. وكل هذا كان مصدره القاهرة وصنعاء.

وفي الوقت الذي برز فيه علي السلّامي وسالم زين محمد وطه مقبل وعبد الله المجعلي (وجميعهم من قادة الجبهة القومية السابقين) قادة سياسيين في جبهة التحرير، برز القادة العسكريون الآتية أسماؤهم، في جبهات القتال، وكانوا جميعاً من القيادات العسكرية للجبهة القومية:

جبهة ردفان: بالليل بن راحج لبوزة، بالليل بن جيوب، محمود ناصر الداعري.

جبهة حالمين: عبد الله مطلق، حيدرة مطلق وآخرون.

جبهة الصبيحة: محمود علي الصماتي، بخيت مليط وآخرون.

جبهة الحواشب: عبد السلام سيف، السيد محمد عبيد، محمد صالح الحوشبي، علي صالح الحوشبي.

الجبهة الوسطى: عبد الله محمد المجعلي، صالح عبد الله المجعلي، محمد عبد الله المجعلي.

جبهة الضالع: علي بن علي هادي، محمد صالح الأزرقي، المحرابي وآخرون.

لحج: سيف محمد العزيبي، عبد الله درويش وغيرهما.

الواحدي: عمر صلفوح، عبد الله يسلم المشنّق، النميري، وسواهم.

حضرموت: محمد صالح الكور، علي ناصر الكربي.

عدن: هاشم عمر إسماعيل، صالح عبادي (عفيف)، خالد مفلحي، محمد ناصر صالح (مختار)، ناصر السقاف، عبد الله محفوظ، وغيرهم من الفدائيين.

العوالق: سالم أحمد العتيقي، ناصر بريك، أحمد صالح بن لحمر، سالم عبد الله.

وليس لأحد أن يتجاهل دور هؤلاء المناضلين وسواهم في المقاومة الوطنية وحرب التحرير ضد الاستعمار ومن أجل الاستقلال الوطني، أو دور أولئك الذين استشهدوا خلال المعارك من أجل الحرية. ولكن عندما أذكر هؤلاء بالاسم، فلأنني عايشتهم جميعاً وعرفتهم عن قرب، وأعرف مواقفهم الوطنية النبيلة. وكنت أول من باشر الحوار معهم عندما عينت محافظاً للمحافظة الثانية لحج بعد الاستقلال مباشرة، ما كان له تأثير في تعزيز الوحدة الوطنية.

# الفصل السابع عشر

## مؤتمران... وحسم مسألة الاستقلالية عن جبهة التحرير

عقدت القيادة المؤقتة للجبهة القومية اجتماعاً تحضيرياً بتاريخ ٢٥/ ٥/ ١٩٦٦م، ووضعت جدول أعمالها الذي تضمن تشكيل اللجنة التحضيرية للمؤتمر، ومكان انعقاده وزمانه، كذلك المذكرة التي سترسل إلى الرئيس جمال عبد الناصر، وتقويم الوضع القيادي للجبهة، وكذلك وضع مدينة عدن، وتقويم الوضع المالي ووضع السلاح للجبهة، وتوجيه رسالة إلى عدن، والاتصال بالبعثيين والشيوعيين[1].

افتتح الاجتماع الأخ عبد الفتاح إسماعيل، رئيس القيادة المؤقتة، وبعد المداولة في النقاش حول اللجنة التحضيرية تقرر أن تشكل اللجنة من: سيف أحمد الضالعي، أحمد صالح الشاعر، علي ناصر محمد، محمد صالح يافعي، ناصر صداح، سعيد سنان، ومحمود عبد الله عشيش. وتقرر كذلك أن يتابع الأخ سيف الضالعي كل ما يتعلق بالعلاقة مع جبهة التحرير إلى جانب مسؤولية القيادة المؤقتة وتقرر أيضاً أن يتابع علي ناصر محمد أمور الناس من القياديين وأعضاء المؤتمر الذين سيتوافدون إلى مدينة تعز. وأكد الجميع ضرورة الخروج من المؤتمر بقيادة ثابتة ومنسجمة، مع أهمية الإسراع بإرسال مذكرة توضّح الموقف من التطورات للرئيس جمال عبد الناصر، وقد تحدّد أن يُعقَد المؤتمر في ٦/٦/١٩٦٦م في مدينة جبلة. وفي ما يتعلق بالوضع القيادي في مدينة عدن، قرر الاجتماع بقاء الأخ عبد الفتاح إسماعيل مسؤولاً عن منطقة عدن حتى يجري اختيار شخص مناسب لتحمل المسؤولية عن قطاع التنظيم في عدن والداخل. أما موضوع السلاح

(١) راشد محمد ثابت، «ثورة ١٤ أكتوبر من الانطلاقة حتى الاستقلال» صفحة ٣١١.

وتحديد حجمه ونوعه، فقرر الاجتماع أن يكلف الأخ أحمد صالح الشاعر مع الأخ سيف الضالعي بحضور الأخ علي السلّامي لتحديد نتائج المتابعة حول هذا الموضوع، كذلك أوصى الاجتماع بضرورة أن تحدد القيادة المنتخبة في مؤتمر جبلة موعداً لدعوة المجلس الوطني إلى الانعقاد بصورة سريعة ومباشرة بعد الانتهاء من أعمال المؤتمر وانتخاب القيادة الجديدة للجبهة القومية[٢].

## مؤتمر جبلة

إذا استذكرنا الآن أجواء ذلك المؤتمر، فلا بد لي من الإشارة إلى مناخين عقد في ظلهما ذلك المؤتمر الذي سُمي (مؤتمر جبلة) على ما بين المناخين من تناقض.






**يُعَدّ واحداً من معالم اليمن الشهيرة بُني في القرن الخامس الهجري وعُرف بدار العِزّ، وهو قصر الملكة أروى**

المناخ الأول: الطبيعة الجميلة، بل الساحرة لمدينة جبلة نفسها، حيث الخضرة تكسو كل مكان، والمطر يصبّ رذاذاً على الجبال والبيوت والبساتين، فتكتسي النفوس بالغبطة والفرح. وكنت وأنا مأخوذ بسحر الطبيعة، أستحضر الأجواء التاريخية لمدينة جبلة التي كانت إحدى الحواضر اليمنية المهمة في عهد الدولة الصليحية، وأدرك لماذا اتخذت الملكة الصليحية أروى بنت أحمد من جبلة بالذات عاصمة لها ولملكها. ولم يكن سحر المكان وجماله وحدهما ما يمكن أن يفتن به أي إنسان، فضلاً عن المرأة التي هي أول من يقدِّر مواطن الجمال، بل لأن أروى كانت ملكة حكيمة أدركت أنها في هذه المدينة الساحرة

(٢) محضر اجتماع القيادة المؤقتة المدون بخط عبد الفتاح إسماعيل ٢٥/ ٥/ ١٩٦٦م، راشد محمد ثابت، ثورة ١٤ أكتوبر اليمنية... من الانطلاقة حتى الاستقلال، صفحة ٣١٢.

المسالمة تستطيع أن تشيد مملكتها وتحافظ على ملكها، أو بتعبيرها هي «إنك أينما اتجهت بنظرك هُنا تجد إما رجلاً يحمل جِرار السمن والعسل، أو فلاحاً يحرث الأرض بثيرانه»، على نقيض صنعاء التي تشتهر قبائلها بالقتال وحمل السلاح، وهو ما أكد أنه يستحيل على أروى، وهي المرأة، أن تحافظ على ملكها في ظل أجواء كهذه.

لكن ما كان يثير انتباهي، وأنا في جبلة عاصمة الملكة أروى بنت أحمد الصليحي، المكانة التي بلغتها تلك المملكة من الرقيّ والحضارة، حيث قبل أن تُولّى عليها امرأة وتتصرف في شؤون الحكم والمجتمع، سواء في عهد الإسلام أو في ذلك العهد البعيد الذي سادت فيه ملكة سبأ ملكها بحيث لا يزال معبدها وأوابدها وبقايا سدّ مأرب العظيم شواهد على عظمة تلك الحضارة، وأتعجب من ذلك الانحدار الذي وصل إليه اليمنيون بعد انهيار تلك الحضارات بحيث لم يعد هناك مكان للمرأة في حياة المجتمع إلا على الهامش. ولكنني في الوقت نفسه كنت أقول لنفسي: ما دمنا من سلالة تلك الحضارة العظيمة، فإننا أيضاً جديرون ببناء حضارتنا الخاصة دون البكاء على أطلال ما بقي منها، ويمكننا أخذ العبر واستلهام القوة منها زاداً لحاضرنا والمستقبل. وما وجودنا هنا اليوم في جبلة، وبحث مستقبل أوضاعنا السياسية والعسكرية والتنظيمية في الجنوب، إلا جزء أساس من هذه المعركة من أجل المستقبل.

كان هذا هو المناخ الأول.

أما المناخ الثاني. الذي كان يحيط بالمؤتمر، فقد كان حاضراً بقوة على صورة الضغوط الهائلة التي كانت تمارس على قيادة الجبهة القومية وأطرها، وقد بلغت حداً هائلاً، حيث كانت الجبهة تواجه ضغطاً شديداً من قبل الجهاز العربي، تمثّل في:

١- ممارسة شتى الضغوط على العناصر الرافضة للدمج لإقناعها بالدمج.

٢- قطع رواتب المتفرغين في تنظيم الجبهة القومية الرافضين للدمج.

٣- قطع رواتب عناصر المقاتلين الذين لم يوافقوا على الدمج القسري.

٤- حجز البعض من قيادة الجبهة القومية في القاهرة.

٥- خلق الانقسامات في جبهات القتال.

والحقيقة أنه ما كان للمؤتمر أن ينعقد أو ينجح في إنجاز مهمته لولا حماسة القاعدة العريضة للجبهة، وخاصة جبهة عدن، وتلك المساهمات القيّمة التي قدمها عدد كبير من الوطنيين من إخوانهم أبناء الجمهورية العربية اليمنية في جميع مواقعهم. فقد احتضنوا المؤتمر، وشاركوا على نطاق واسع في أعمال التحضير له، ووفّروا له الدعم والحماية، ومنهم على وجه الخصوص المقدم علي الحيمي، قائد لواء إب آنذاك، الذي كان صديقاً للقيادي الحركي الوطني أحمد قاسم دماج، وكذلك مواطنو جبلة الذين أضفوا على المؤتمر جواً من الهيبة، سواء في احتضانهم للمؤتمرين من أبناء الجنوب أو النازحين إلى مدينتهم.

ولا أنسى أبداً الضغوط السياسية والنفسية التي تركتها تعليقات إذاعة القاهرة و«صوت العرب» المنددة بعقد المؤتمر، كما أحزن لما تركته فينا من بلبلة صيحات أحمد سعيد من «صوت العرب»، وهي تؤلب على المؤتمر وعلى المعارضين لدمج الجبهة القومية بجبهة التحرير، وكان يصفهم بـ«الخوارج» و«المنشقين» أو «جماعة تشومبي»[٣].

وربما كان أكثر ما أزعج المؤتمرين وأثار أجواء التحريض وسمّم الأجواء، تعليقات إذاعتي صنعاء وتعز ضد انعقاد المؤتمر.

إن الذين يزعمون أن هذه الحملة الضخمة كلها، التي انخرطت فيها الإذاعات والصحف العربية والأجنبية، لم تؤثر في مجريات المؤتمر سلباً، إنما كانوا يجافون الحقيقة. دخلنا المؤتمر ورؤوسنا ملأى بنداءات التنديد والتشهير بما نقوم به وكأننا فريق لكرة القدم نخوض مباراة وسط جمهور صاخب يشتمُنا من كل أرجاء الملعب. ومن هنا كنا نتذكر تلك الأصوات الشجاعة التي هتفت لنا - رغم الصخب - وشدّت على أيدينا، وبخاصة أشقاءنا من أبناء مدينة جبلة وإب.

---

(٣) في إشارة إلى الزعيم الانفصالي الرجعي في الكونغو في الستينيات الذي أصبح اليوم يُلملم أطلاله في ظلام العصور. والملكة أروى هي أروى بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحي، ولها أربعة أولاد هم محمد وهمدان وعلي وفاطمة وهي القائلة إن امرأة تراد للفراش لا تصلح لتدبير أمر. ثم رحلت من صنعاء التي كانت عاصمة اليمن قبل أن تتركها إلى ذي جبلة في جيش جرار لتنشئ عاصمة دولتها الجديدة. من خلال التنقيبات الأثرية يمكننا القول بأن القصر عبارة عن عدة مبانٍ متجاورة تطل على ساحات مكشوفة ومرصوفة أرضيتها بالأحجار وكانت هذه المباني مربوطاً بعضها ببعض بواسطة العديد من الممرات والسلالم والأبواب المعقودة وتوجد في هذه الساحات قنوات لتصريف المياه إلى الجهة الشمالية من القصر التي كانت تحوي الحوائط والبساتين وفقاً للمصادر التاريخية.

وكنا في قيادة الجبهة المؤقتة نحاول أن نستخرج آراء الأغلبية الساحقة من القيادات والأطر والمواطنين بصدد القضايا الجوهرية التي تهمّ الثورة وتعني الجبهة القومية، وبخاصة مأزق الدمج، وفي الحقيقة إن أكثرية عناصر التنظيم كانت تعارض قرار الدمج، وتدعو إلى عمل مستقل للجبهة القومية، ولكنها تؤيد صياغة خطة بديلة تحقق الوحدة الوطنية، تحدد موقعها الطليعي وتطوّق آثار الدمج وتصحّح العلاقة بقيادة الجمهورية العربية اليمنية، وبمصر عبد الناصر. وكان على المؤتمر أن يتجاوز العديد من المنطلقات والأفكار التي طبعت مواقف الجبهة، سواء ما ورد منها في توجهات المؤتمر الأول، أو من خلال السياسات والممارسات اللاحقة.

لم يكن الموقف من قضية الدمج سهلاً في الواقع، لأن ثمة الكثير من القضايا الأساسية تتصل به وتتوقف على نتائجه. فالكفاح المسلح وأشكاله وتطويره والعلاقة بالقاهرة وصنعاء ومركز حركة القوميين العرب، والتعامل مع احتمالات الانسحاب البريطاني وصياغة المطالب وتجلياته، كلها تتأثر بشكل الحل الذي سيرسمه المؤتمر لقضية الدمج، وما إذا كان سيُستأنَف العمل في إطار جبهة التحرير أو اختيار الطريق المستقل بشكل كامل.

حضر المؤتمر أكثر من خمسين من القيادات والأطر وممثلي قطاعات حرب التحرير ونشطاء الجبهة في المحميات الشرقية والغربية وعدن، بينهم امرأة واحدة هي المناضلة نجوى مكاوي، وغاب قحطان الشعبي وفيصل عبد اللطيف اللذان منعتهما السلطات المصرية من مغادرة القاهرة، رغم المحاولات التي بُذلت لضمان مشاركتهما في المؤتمر. وقد أعدت الوثائق، وأتذكر أن أبرز تلك الوثائق وأهمها كانت «النظام الداخلي» للجبهة، وقد أعدّها علي صالح عُباد (مقبل).

وقد غاب عن المؤتمر عبد الفتاح إسماعيل، إذ كان في القاهرة في نطاق البحث مع الجهات المصرية وقيادة «جبهة التحرير» في موضوع «الوحدة الوطنية».

بعد نقاشات حادة مستفيضة حول قضية الدمج اتّضح أن ثمة ثقلاً للاتجاه الذي لا يحبّذ إنهاء الاندماج كلياً، بل العمل على تكييفه بحيث لا يلغي تنظيم الجبهة القومية ودوره في الثورة. والواقع أنه كان موقفاً صائباً في الظرف الملموس الذي عقد فيه المؤتمر، ولكنه مفتوح على أخطار جدية: أخطار الانزلاق إلى أحضان جبهة التحرير من خلال إعطاء شرعية للاندماج

بها، ومن خلال أهواء وضعف حصانة ومخاتلة كثير ممن صعدوا إلى قيادة الجبهة، وهذا ما حدث فعلاً.

لقد تضمن التقرير الذي قدمته القيادة المؤقتة(٤) صورة للحدود السياسية التي ينبغي التحرك من خلالها في إطار جبهة التحرير، وتتمثل تلك الحدود بما يأتي:

- قيادة جبهة التحرير هي السلطة الفعلية في تسيير شؤون الثورة - التبعية لجهاز المخابرات المصري.
- للقيادة صلاحية فتح جبهات القتال ودعمها، والإسراع في نقل السلاح إلى حضرموت(*).
- تأمين عمل نشاط التشكيلات الفدائية السرية والتنظيمات الشعبية.
- الدمج الكامل في الشؤون السياسية والعسكرية والإعلامية (عدا التنظيمية).
- المجلس الوطني أعلى سلطة في جبهة التحرير، تحتل فيه الجبهة موقعاً مؤثراً.
- أهداف الجبهة القومية وميثاقها ومبادئها هي أهداف جبهة التحرير.
- التزام جميع قوى جبهة التحرير أهداف ثورة ١٤ أكتوبر.
- رفع الحظر عن قحطان الشعبي وفيصل عبد اللطيف.
- دفع مستحقات الجبهات المتوقفة ودفع اعتمادات المتفرغين.
- تحسين العلاقة مع جهاز الأمن المصري في تعز.
- عدم حرمان أي منطقة من مناطق الجنوب حقَّ تمثيلها عسكرياً وشعبياً.
- عند تشكيل حكومة منفى، تحتل الجبهة القومية موقعاً وثقلاً يناسبان مكانتها الطليعية.

### «السلبيّات»!

وقف المؤتمر وقفة نقدية صريحة إزاء المظاهر والثُّغر التي طرأت منذ المؤتمر الأول، وسجل أكثر من عشرين نقداً أطلق عليها بعض الرفاق آنذاك وصفة «العدميّات»، ومنها:

---

(٤) أسماء أعضاء القيادة المؤقتة: عبد الفتاح إسماعيل، سيف أحمد الضالعي، أحمد صالح الشاعر، عبد الملك إسماعيل، علي ناصر محمد، خالد محمد عبد العزيز، علي سالم البيض.

(*) وقد شارك عن حضرموت عدد من القيادات الذين قابلتهم لأول مرة، وأبرزهم عبد الله البار وسعيد العكبري وسالم علي الكندي وخالد باراس.

- انعزال القيادات عن ميادين المعركة (عدا عدن) وطغيان العمل المكتبي.
- غياب مواد تثقيفية وسيادة الروح العسكرية المجردة.
- تصاعد روح المزاحمة والتنافس غير النزيه على المواقع القيادية.
- الامتناع غير المسوّغ عن قبول انتساب شخصيات ووجوه سياسية إلى الجبهة القومية.
- إهمال متابعة قرارات المؤتمر الأول.

وقد أكدت التقارير والمناقشات أن «الدمج الذي أعلن في الثالث عشر من يناير ١٩٦٦م كان تصرفاً فردياً، وقد أدى إلى ردّ فعل عكسي لدى الفدائيين في جبهة عدن والمقاتلين في جبهات القتال الأخرى»، وأن جبهة التحرير بولادتها من عملية الاندماج كانت تمثل الإرادة المصرية وتمثل وجهة نظرها، «وجبهة التحرير» عبارة عن متناقضات متنافرة. أما بالنسبة إلينا فقد كان الدمج بمثابة ولادة قيصرية.

وعلى العموم، كان الموقف من الدمج حساساً وشائكاً، ولهذا جاءت الصياغات متناقضة، فهي تؤكد إدانة عملية الدمج من جهة وتلتزم روحه من جهة ثانية. وهي تضفي على جبهة التحرير الارتماء في حضن قادة عملية صلاح الدين(*) من جهة، وتدعو إلى تحسين العلاقة معها من جهة ثانية.

## «تجميد» قادة التيارين المتعارضين

كان أهم إنجاز على الصعيد التنظيمي هو إنجاز «النظام الداخلي» الأول للجبهة القومية وإقراره، حيث وُجّه العمل السياسي والعسكري والفكري نحو إحراز التحرر وإنهاء الوجود الاستعماري في جنوب اليمن، وسجّل بداية تنظيمية جريئة للابتعاد عن أطر حركة القوميين العرب في بيروت وتقاليدها التنظيمية.

وقرر المؤتمر تجميد عضوية سبعة قياديين. أسباب التجميد المعلنة تباينت واختلفت، إلا أن الواضح فيها، إبعاد عناصر بارزين من التيارَين المتعارضَين في الموقف من قرار الدمج:

---

(*) مكتب متخصص بشؤون ثورة الجنوب والاشراف عليها وتقديم كافة أشكال الدعم السياسي والعسكري والمالي...إلخ. أنشئ هذا المكتب بعد زيارة الرئيس عبد الناصر لليمن عام ١٩٦٤.

المتبنّي والرافض له، لذا فالقرارات لا تخلو من التناقض، والغرابة، ومن بعض القسوة بحق القياديين المشمولين بها. أما المجمّدون فهم:

- قحطان الشعبي (تصرفاته الحادة مع الأعضاء، عدم احتكاكه بقواعد الجبهة، ضعف في أدائه مهماته في إطار المجلس التنفيذي).

- فيصل عبد اللطيف (عدم إعطائه الاهتمام الكافي لتنظيم الجبهة بما يتناسب مع كفاءاته العالية).

- طه أحمد مقبل (مسلكه اليومي غير الثوري وتعاليه على المقاتلين، قبوله بقيادة المكتب العسكري مع معرفته عدم مقدرته على تحمل المسؤولية، تخلّف التثقيف السياسي في جبهات القتال في ظل قيادته، تعاطفه مع تصرف علي السلّامي الفردي في ١٣ يناير ١٩٦٦م).

- سالم زين (سلوكه وتصرفاته مع رفاقه بعيداً عن الأمانة والثورية، موقفه السلبي داخل المجلس التنفيذي، تعاطفه مع علي السلّامي في ١٣ يناير ١٩٦٦م).

- جعفر علي عوض (سلوكه اليومي السلبي، سكوته عما يجري في المجلس التنفيذي).

- علي محمد الشعبي (قصوره في تحمله مسؤولية مكتب الأمن وعجزه عن تطويره، تشدده في متابعة بعض الشبان دون مسوّغ، سكوته عما يجري في المجلس التنفيذي من اختراقات).

- علي أحمد السلّامي (نشاطاته الفردية خارج قواعد التنظيم، مواقفه السلبية في المجلس التنفيذي، تصرفه الفردي في ١٣ يناير ١٩٦٦م).

وأوصى القرار برفع قرار التجميد بعد شهر للجميع عدا علي السلّامي، الذي يبقى مجمّداً (والقيادة العامة لها الصلاحيات الكاملة في تقرير مصيره)، وتقرّر أيضاً إعادة محمد علي هيثم إلى الجبهة بعد أن كان قد قدّم استقالته، وسافر إلى مصر وعاد إلى تعز.

وفي ختام المؤتمر الذي استمر أربعة أيام انتُخبَت قيادة جديدة من: سيف الضالعي، محمد علي هيثم، عبد الملك إسماعيل، أحمد صالح الشاعر، عبد الفتاح إسماعيل، علي سالم البيض، محمود عشيش، محمد أحمد البيشي، علي عنتر، فيصل العطاس، سالم ربيع علي، وعلي صالح عباد. وترك للقيادة ضم ثلاثة آخرين إليها، وتشكيل لجنة تنفيذية لها من خمسة أعضاء، وألزم المؤتمر أعضاء اللجنة التنفيذية أن يستقروا معظم الوقت في

الداخل، ووافق على تشكيل وفد من الجبهة مؤلف من: عبد الملك إسماعيل، سيف الضالعي، أحمد صالح الشاعر، محمد علي هيثم، وأحمد محمد البيشي، وضم عبد الفتاح إسماعيل (الموجود في القاهرة) إليه، وذلك للسفر إلى مصر ومواصلة البحث في قضية «الوحدة الوطنية» هناك مع القيادة المصرية وقيادات جبهة التحرير. وأوصى بتنشيط العمل الإعلامي والثقافي والسياسي بإصدار مطبوعات دورية، والعمل على إصدار صحيفة يومية وأخرى أسبوعية للتعبير عن وجهة نظر الجبهة ومتابعة الأحداث وتطورات الثورة. كذلك وجهت رسالة إلى الرئيس عبد الناصر، داعية إلى رفع الحظر عن نشاط القائدين قحطان الشعبي وفيصل عبد اللطيف.

## محاولة لترسيخ ذوبان الجبهة القومية

وما إن اختتم المؤتمر أعماله، حتى بدأت التحركات السياسية «من حول الجبهة» قبل أن تسترد عافيتها. وإمعاناً في محاولات تفتيت صفوفها، بدأ الحديث يدور حول قرب انعقاد المجلس الوطني التابع لجبهة تحرير جنوب اليمن المحتل. وحدّد له، بالفعل، يوم الثلاثين من حزيران/ يونيو ١٩٦٦م دون موافقة الجبهة القومية، بل بالرغم من اعتراضها على عقده في ذلك الموعد الذي لم تكن الجبهة القومية قد استعدت له: فما زالت آثار الدمج وانعكاساته تنخر في جسم الجبهة القومية، وما زالت نتائج المؤتمر الثاني لم تتبلور بعد. فيما دعا أعضاء القيادة العامة الموجودون في تعز الشباب من الصف القيادي الثاني إلى عقد اجتماع طارئ في منزل ناصر صدح، وكانت نقطة البحث لهذا الاجتماع موضوع انعقاد المجلس الوطني لجبهة التحرير والعمل على إفشال انعقاد هذا المجلس. وفي هذا الاجتماع عُيِّنَت قيادة سرية لقيادة الثورة في حال تعرُّض قيادة الجبهة القومية للاعتقال، وكانت القيادة السرية للجبهة القومية على النحو الآتي:

١- علي محمد سالم الشعبي ٢- جعفر علي عوض ٣- علي ناصر محمد ٤- عبد الرزاق شايف ٥- محمد صالح مطيع ٦- علي محضار ٧- محمود جعفر ٨- فضل عبد الله عوض ٩- محمد سعيد مصعبين ١٠- ناصر صدح.

كان الهدف من وراء استعجال عقد المؤتمر على هذا النحو ضرب وحدة الجبهة القومية وترسيخ ذوبانها في جبهة التحرير. وفيما واصلت قيادة جبهة التحرير مع ضباط

المخابرات المصرية الإعداد للمؤتمر وتجاهل اعتراضات الجبهة القومية، توتّر الجو وشُحن بمشاعر الاستياء والغضب، ما اضطر قيادة الجبهة القومية إلى أن تناشد الرئيس عبد الناصر التدخل لتأجيل المؤتمر إلى وقت أكثر ملاءمة. وفي اليوم المحدد للمؤتمر خرجت في تعز تظاهرة جماهيرية عفوية توجهت نحو قيادة القوات المصرية وهي تهتف ضد المؤتمر وضد عملية الدمج، وحدث غليان وملاسنة فتحت خلاله القوّة المصرية النار على المحتشدين الذين واصلوا التظاهر، مندّدين بانحياز القوات العسكرية المصرية إلى قادة حزب الشعب.

كانت الليلة التي سبقت يوم المؤتمر محرجة ومتوترة. كنا، أحمد قاسم دمّاج وسيف الضالعي وأنا، نتابع الأمر ونعمل على معالجته بعيداً عن أجواء العنف.

اتصلنا بقائد القوات المصرية للمساعدة في إرجاء المؤتمر، دون جدوى، فالتقينا أحمد عطية المصري الذي كان يشغل منصب القنصل المصري في تعز، وعرضنا عليه الموقف الآيل إلى الانفجار، وطلبنا منه الاتصال بالرئيس عبد الناصر لإطلاعه على حقائق الأمور والتماس تدخله لمنع عقد المؤتمر، فوعد خيراً. ثم حررنا برقية باسم قيادات جبهات حرب التحرير، ونورد في ما يأتي هاتين البرقيتين اللتين أرسلتا إلى الزعيم جمال عبد الناصر عبر القنصل المصري في تعز أحمد عطية المصري(٥).

## برقيات من الضالعي وجبهات القتال إلى الرئيس عبد الناصر

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر، رئيس الجمهورية العربية المتحدة – القاهرة، صدمنا بإعلان انعقاد المجلس الوطني لجبهة تحرير جنوب اليمن المحتل بتعز في ٣٠ يونيو، في الوقت الذي سجلنا نحن ممثلي الجبهة القومية في جبهة التحرير وجهة نظرنا بخصوص هذا المجلس في المذكرة المقدمة لسيادتكم. الوحدة الوطنية مهددة بالخطر. أملنا كبير في تدخل سيادتكم لإنقاذ الموقف.

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر، رئيس الجمهورية العربية المتحدة – القاهرة،

---

(٥) وبسبب تعاطف أحمد عطية المصري مع موقف الجبهة القومية وإيصال البرقيتين مباشرةً دون علم مكتب عملية صلاح الدين التابع للمخابرات المصرية، عُدَّ ذلك تجاوزاً من أحمد عطية المصري، ما أدى إلى إبعاده عن اليمن.

نحن قيادات جبهات القتال في ردفان، الضالع، عدن، حالمين، يافع، الشعيب، المنطقة الوسطى، التابعة للجبهة القومية: عضو جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل، نناشد سيادتكم التدخل السريع لإنقاذ الموقف. نحن متمسكون بالأسس المرفوعة لسيادتكم في المذكرة التي حملها وفدنا. المجلس الوطني غير الشرعي لجبهة التحرير أعلن انعقاده في ٣٠ يونيو الجاري. انعقاد خطر يهدد الوحدة الوطنية. أملنا كبير في تدخل سيادتكم لإنقاذ الموقف.

| | |
|---|---|
| عن جبهة ردفان | عبد الكريم محسن الذيباني |
| عن جبهة الضالع | محمد البيشي |
| عن جبهة عدن | أحمد الشاعر |
| عن جبهة حالمين | حيدرة مطلق |
| عن جبهة يافع | علي محضار |
| عن جبهة الشعيب | صالح مصلح |
| عن جبهة المنطقة الوسطى | علي ناصر |

**سيف أحمد ضالعي**
**عضو قيادة جبهة التحرير– تعز**
**٢٦/٦/١٩٦٦**

وقد استجاب الرئيس جمال عبد الناصر لطلبنا بتأجيل اجتماع المجلس الوطني إلى أجل غير مسمى. وأذكر كيف بادر، عشية ذلك اليوم، عبد الله العبيدي، وهو أحد فدائيي الجبهة القومية، من فرط حماسته وغضبه، للذهاب إلى المقبرة وأعطى حفار القبور مبلغاً من المال لحفر مئة قبر لأولئك الذين «سيتم قتلهم غداً»، وكان ذلك رداً على انعقاد المجلس وأنه لن يمرّ دون عقاب.

وقد قمنا حينها[٦] بالاتصال بالشيخ محمد علي عثمان وهادي عيسى وعبد الكريم السُّكري، قائد لواء تعز، وشرحنا لهم طبيعة الوضع وحساسيته، وضرورة منع انعقاد «المجلس الوطني»، فأبدى الجميع تفهماً طيباً لموقفنا وتعاطفاً مع الاقتراح.

(٦) سيف الضالعي، علي ناصر محمد، أحمد قاسم دمّاج.

وجرت في عدن والشيخ عثمان تظاهرات واسعة ضد مؤتمر المجلس الوطني، وضد لعبة انتخابات المندوبين التي أجراها قادة حزب الشعب، وأيدت هذه التظاهرات بحماسة النقابات الست المعارضة لهيمنة حزب الشعب الاشتراكي.

وفيما كانت أجواء التوتر في ذروتها، جاءت تعليمات عبد الناصر في برقية عاجلة تقضي بتأجيل المؤتمر، فكان ذلك بمثابة نزع لفتيل الفتنة التي كانت ستُحدث مذبحة لا محالة. غير أن باب الضغوط لم يغلق نهائياً، فقد عادت نغمة الاستعدادات لجولة جديدة من المباحثات حول «الوحدة الوطنية»، في وقت عادت فيه مجدداً مظاهر الصراع في الجبهة حول «الدمج» والعلاقة بجبهة تحرير جنوب اليمن المحتل، على خلفية تزايد القناعة - لدى القاعدة بخاصة - بضرورة تخلي الجبهة القومية نهائياً عن فكرة الدمج. وفي هذا المجال أصدر المعتقلون السياسيون في سجن المنصورة بضواحي عدن بياناً شجبوا فيه قرار الدمج القسري. وقد وقّع البيان محمد صالح عولقي وعبد العزيز عبد الولي المعتقلان آنذاك في نطاق الحملة ضد قيادات العمال الثورية.

وفي مقابل ذلك، بقي أنصار الدمج التام متشبثين بموقفهم. حتى إن عبد الله الخامري راح يشيد بموقفه الذي يعارض توجهات المؤتمر الثاني للجبهة القومية، وأعلن نيته للتوجه إلى عدن لإقناع القيادة والتنظيم بفائدة قرار الدمج. وقد حاول ذلك فعلاً، الأمر الذي دفع القيادة هناك إلى اعتقاله في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٦م، فبعث برسالة تسلّمتها وأحمد الشاعر من حاملها: أحمد علي عبد الرب «غسان»، وكان قد استهلّها - على ما أذكر - بـ «صدّقوا أو لا تصدّقوا، أنني أكتب هذه الرسالة من المعتقل».

## مؤتمر الإسكندرية

وكان ثمة في القيادة من يقف، أيضاً، بحماسة مع الدمج، ومنهم علي صالح عُباد (مقبل)، الذي اعتُقل مع الخامري في منطقة الدرين في الشيخ عثمان.

في ظل هذا السيل من الأحداث والصراعات، حلّ موعد مفاوضات «الوحدة الوطنية» في مصر. وغادر الوفد الذي كلفه المؤتمر لهذا الغرض، غير أن «وفد» المفاوضات التي جرت بعد ذلك في الإسكندرية في ٨ آب/ أغسطس ١٩٦٦م كان يتكون على صورة أخرى، تحمل

على التساؤل، فقد ضم كلاً من قحطان الشعبي، فيصل الشعبي، عبد الفتاح إسماعيل، سيف الضالعي، طه مقبل، سالم زين، جعفر علي عوض، أحمد صالح الشاعر، محمد علي هيثم، محمد أحمد البيشي، محمود عبد الله عشيش، عبد القادر أمين، وعلي السلّامي، دون أن يتضح كيف ومن اشترط أن يكون قوام الوفد مجموعة تضم ثلاثة ممن يقفون مع الدمج التام، واثنين ممن يضعون رِجلاً مع الدمج وأخرى مع معارضيه.

ومثّل جبهة التحرير كل من عبد القوي مكاوي، وعبد الله الأصنج، وعبد الله المجعلي، ومحمد سالم باسندوة، وعبد الله علي عبيد.

وجرت المفاوضات بين الطرفين واستمرت لأكثر من ٤٥ يوماً وتمخضت عن «اتفاق الإسكندرية» الذي تضمّن ثلاثة مستويات من الأفكار: القرارات الملزمة، والبرنامج السياسي، وآلية التحرك وضوابطه والتعامل مع بريطانيا والأطراف الأخرى. وقد جاءت القرارات معززة فكرة الدمج، ولو بعبارات ملطّفة، مثل «توحيد صفوف المناضلين». وتوزعت على قضايا واسعة: توحيد جبهات القتال، ودمج التنظيمات في المستوى السياسي والعسكري والتنظيمي، وتشكيل قيادة عسكرية مشتركة، وانتخاب مجلس وطني يمثل كل قطاعات الشعب باعتبار جبهة التحرير هي التنظيم الوطني الوحيد في المنطقة، وعدم الاعتراف بالسلاطين والمستوزرين، وعدم مهاجمة الجيش العربي، وعدم فصل أي جزيرة أو منطقة في الجنوب.

أما البرنامج السياسي للاتفاقية، فقد جسد القرارات وأعطاها أبعاداً تحليلية: «توصل الجميع إلى قناعة كاملة بأن جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل التي تكونت من القوى الوطنية المناضلة والتي تقود الثورة المسلحة هي الممثلة الوحيدة لشعب الجنوب. واتفق الجميع على التزام تحسين هذه القناعة وعلى كل الأطراف التمسك بها، وهي: أن جبهة التحرير هي الممثل الوحيد للشعب، وعلى بريطانيا أن تسلِّم بهذه الحقيقة، واعتبار قرارات الأمم المتحدة التي اتخذت في ٥/ ١١/ ١٩٦٥م «لا تمثل كل مطالب الشعب الأساسية»، وتقوية النضال المسلّح وتوجيهه «ضد كل القوى المعادية للثورة، والتفاف الشعب حول جبهة التحرير» و«توحيد القوى الوطنية التقدمية في إطارها».

وفي إطار البرنامج السياسي أشير إلى مجموعة تدابير ستتخذها جبهة التحرير، ومنها إقامة حكومة منفى، وإجراء اتصالات بالدول لضمان الاعتراف بها.

وفي حالة توافر إمكانية المفاوضات مع بريطانيا، فقد وضعت ضوابط وأفكار يُصار إلى التزامها، مثل: طلب إعلان بريطاني واضح بقبول قرارات الأمم المتحدة، ووقف العمليات العسكرية لقوات الاحتلال ضد شعب المنطقة، والسماح للمنفيين والمبعدين بالعودة إلى بلادهم. ولا بد أن تقوم بريطانيا بخطوات ملموسة تسمح ببدء التفاوض، وهي: إلغاء الاتحاد الفيدرالي بكل أجهزته، وإلغاء دستور عدن، وعزل السلاطين والأمراء عن مناصبهم حكاماً للولايات، وإلغاء المعاهدات والاتفاقيات المبرمة بين بريطانيا وحكام الإمارات، وإلغاء كل صلاحيات السلطة البريطانية وسحب مستشاريها من البلاد.

إن اعتراف وفد الجبهة بوحدة تمثيل الشعب في نطاق منظمة التحرير، لجنوب اليمن وحرمان من هم خارجها، واستغلال الإشارة إلى موضوع الوحدة الوطنية، والتوقيع على صيغة الدمج مع استقلال نسبي، والمراهنة على مفاوضات وشيكة مع بريطانيا، كانت بمثابة ردّ الاعتبار لعملية الدمج في ١٣ يناير وتزكيته، وتفسيراً أحادي الجانب لقرارات المؤتمر الثاني، والسقوط – في نهاية الأمر- بفخ جبهة التحرير الذي يتمثل بتدمير الجبهة القومية عن طريق الزجّ بها في دوامة الصراع والخلافات المنهكة. «ويستفاد من أقوال قادة الجبهة القومية أن وفدهم كان مضطراً للموافقة على هذه الشروط تحت ضغط مصر»[(٧)]. ولكن الجميع غير متفقين ومقتنعين برؤية موحدة لمستقبل الجنوب.

وعممت منظمة التحرير لجنوب اليمن، من جهتها، وثيقة داخلية أعدتها قيادة حزب الشعب الاشتراكي تحثّ أعضاءها على ضرورة التوجه إلى المؤسسة العسكرية المحلية والتغلغل فيها. «إن الدور الحاسم لدى الانتقال إلى الاستقلال سوف يضطلع به الجيش الذي ينبغي الاعتماد عليه».

وعقد في القاهرة اجتماع مشترك بين الوفد الذي وصل من قيادة الجبهة والوفد الذي وقّع اتفاقية الإسكندرية بحضور قيادات من جبهات القتال (سالم ربيع علي، علي عنتر)، وعُرضَت

(٧) فيتالي ناؤومكين، مصدر سابق، ص ١٥٧.

بنود اتفاقية الإسكندرية وبرزت معارضة شديدة لها من أغلبية الحضور، غير أن الاجتماع لم يتمخض عن قرار محدد ولا عن بيان سياسي. ولا يكفي طبعاً القول إن اعتبارات الضيافة في مصر تمنع مثل هذا الموقف.

وأهم قرارات هذا المؤتمر كانت:

١- تشكيل قيادة مشتركة، على أن تمثل جبهة التحرير بثلثين، وتمثل الجبهة القومية بثلث الأعضاء.

٢- انتخاب مجلس وطني.

٣- اعتبار جبهة التحرير هي التنظيم الوحيد في المنطقة.

٤- عدم مهاجمة جيش الاتحاد، وعدم الاعتراف بالأحزاب العدوّة والسلاطين.

٥- تم الاتفاق على تشكيل حكومة في المنفى وإجراء اتصالات سياسية بكل الدول للاعتراف بهذه الدولة، وبجبهة التحرير ممثلة للشعب العربي في الجنوب، ورفض أي تدخل من قبل الأمم المتحدة، ما لم يتم أولاً اعتراف بريطانيا بجبهة التحرير والدخول معها في مفاوضات حول كيفية تنفيذ قرارات الأمم المتحدة.

٦- أقر المؤتمر برنامجاً سياسياً أكد فيه أن جبهة التحرير هي الممثلة الوحيدة للشعب في الجنوب، وعلى بريطانيا أن تسلِّم بهذه الحقيقة والاعتراف بها.

وفي تعز عُقد اجتماع في منزل محمد سعيد مصعبين لمناقشة الوضع العام بعد اتفاقية الإسكندرية واتفاقية الصهر الموقعة من قبل فتاح ورفاقه والمكاوي وفريقه، وتحدد جدول الاجتماع بوضع دراسة لسلبيات وإيجابيات الصهر، والتمسك بقرارات مؤتمر جبلة (المؤتمر الثاني)، وخلص الاجتماع إلى رفض اتفاقية الإسكندرية، فلا يحق لأي شخص في القيادة أو خارجها صهر الجبهة القومية أو حتى تطبيعها والذي يقرّ ذلك هو مؤتمر للجبهة، ومن الذين حضروا هذا الاجتماع:

١- جعفر علي عوض ٢- علي محمد سالم الشعبي ٣- علي عنتر ٤- صالح مصلح قاسم ٥- علي شايع هادي ٦- نجوى مكاوي ٧- علي محضار ٨- عبد الكريم الذيباني

٩- فضل عبد الله عوض ١٠- الخضر الكلدي ١١- مهدي حمدون ١٢- أحمد قاسم راجح ١٣- حيدرة مطلق ١٤- علي ناصر محمد ١٥- عبده علي عبد الرحمن ١٦- عبد الرحمن راشد ١٧- عبد الغفور البراق ١٨- محمد مرشد عُباد ١٩- عبد الباري قاسم ٢٠- شاهين ٢١- ناصر صدح ٢٢- عوض الحامد ٢٣- محمود محمد جعفر ٢٤- محمد سعيد مصعبين.

## تنشيط الكفاح المسلح «المستقل»

وقد رفض الاجتماع، في الواقع، أن يغطّي «اتفاقية الإسكندرية» ويعطيها شرعية ما. ثم عادت القيادات إلى مواقعها، يتملّكها شعور من الاستياء والعزم على تنشيط الكفاح المسلح «المستقل» طريقاً وحيدة لترسيخ مكانة الجبهة القومية وتصحيح خطها السياسي. وقد مارس فيصل عبد اللطيف، الذي كان في القاهرة وانتقل إلى تعز ثم إلى عدن، دوراً كبيراً في إنعاش العمل العسكري والسياسي معاً، في وقت كانت فيه الذكرى الثالثة لثورة ١٤ أكتوبر توشك أن تحل. (ومن جانبي فقد عدت في وقت سابق إلى عدن مع أحمد صالح الشاعر).

وامتدت الثورة بنشاطها الجديد إلى المحميات الشرقية، السلطنة القعطية والسلطنة الكثيرية والواحدي والمهرة. فقد شهدت المنطقة تظاهرات وإضرابات واسعة كانت تنظيمات الجبهة القومية تتصدرها. وفي العاشر من أيلول/ سبتمبر ١٩٦٦م، أطلقت الشرطة النار على المتظاهرين الذين خرجوا إلى الشوارع احتجاجاً على زيارة المندوب السامي إلى حضرموت. وردت المكلا بإضراب تضامني عام.

وكان أحد المجندين الوطنيين قد أطلق النار في أواخر تموز/ يوليو ١٩٦٦م على قائد جيش البادية العقيد غراي، ليثير الذعر في صفوف المحتلين البريطانيين.

وعمّت كل أنحاء الريف النشاطات السياسية ضد الاحتلال والسلطات المحلية. وقد احتل الطلاب والمدرسون موقعاً بارزاً في تلك النشاطات. ففي السلطنة العوذلية جرت تظاهرات وإغلاق محلات ومؤسسات، وردّت السلطات باعتقال مجموعة من الطلاب ودهم كثير من البيوت واعتقال من يُشتبه فيهم. والطريف أنه اعتُقِل المدرس أحمد حيدرة باحميد الذي يعمل في مكيراس، لطائفة من الأسباب، منها: عثور الشرطة في بيته على رسالة تقول: «نحن

هنا في مكيراس. الجو محموم. والرياح تأتي شمالية غربية. مشرف التعليم سقط من على المنبر وهو يخطب في مسجد زاره «عاصمة سلطنة العواذل»!

في عدن، ألهبت ذكرى ١٤ أكتوبر المدينة وجماهيرها، فقد تحولت مظاهر الاحتفاء بالذكرى إلى انتفاضة عارمة جسدت قراراً جماهيرياً بالانسحاب من «جبهة التحرير» وتمزيق إعلان الدمج. خرجت الجماهير إلى الشوارع في مسيرات متواصلة، عمّت جميع مدن الولايات معلنة التزامها الثورة والتفافها حول الجبهة القومية والميثاق الوطني. ووزعت خلال ذلك مئات البيانات التي تحمل توقيع الجبهة القومية، ونشرت صحيفة «الأمل» في ١٦/ ١٠/ ١٩٦٦م بيان الجبهة ضمن تقرير واسع بعنوان: «في ذكرى ١٤ أكتوبر.. تظاهرات تجتاح عدن والشيخ»، تضمّن إعلان الانسحاب من جبهة التحرير والتعهد «بالحفاظ على الثورة والتمسك بالميثاق الوطني للجبهة والعمل على تجسيد الوحدة الوطنية». وعبرت عن «الأمل في أن تحظى بتأييد قوى الثورة والتحرر وخاصة الجمهورية العربية المتحدة». وفي الثالث والعشرين من أكتوبر نشرت الصحيفة تقريراً بعنوان «الجبهة القومية توالي إنزال منشوراتها»، أشارت فيه إلى أن منشورات جديدة أصدرتها الجبهة حذرت فيها «كل من يحاول التصدي لمسار الثورة»، وشجبت الجبهة «أسلوب الحل السلمي المتخاذل للقضية، لأنه يؤدي إلى مصلحة العدو على حساب أماني الشعب».

وأكدت أنها ستواصل الكفاح «لتصفية الكيان الاستعماري الرجعي بكل صوره وصولاً إلى بناء المجتمع الاشتراكي». وفي العدد نفسه كتبت الصحيفة «أن مدافع البازوكا قد استخدمت من جديد على يد الجبهة القومية بعد احتجاب دام حوالى العام».

ويلاحظ هنا أن عودة الجبهة القومية إلى العمل بشكل مستقل كانت بمبادرة من القطاع الفدائي في عدن، مدعوماً من قواعد الجبهة القومية وقياداتها الثانية في المناطق الأخرى، ما يُعَدّ انقلاباً لم تشارك فيه القيادة الشرعية للجبهة القومية التي انبثقت من المؤتمر الثاني للجبهة القومية في جبلة في يونيو ١٩٦٦م. وقد جاء هذا الانقلاب، بهذا الأسلوب، رداً على الانقلاب السابق على حدّ تعبير أحمد عطية المصري، وهو الدمج الذي حصل أيضاً بعيداً عن موافقة القيادة الشرعية للجبهة القومية»[٨].

---

(٨) أحمد عطية المصري، مصدر سابق، ص ٢٥٩.

إلا أني لا أجد عبارة «انقلاب» دقيقة تماماً في وصف استئناف الكفاح المسلح والدعوة إلى الانسحاب من جبهة التحرير. ذلك لأن المبادرة لم تحصل من خلال المناورات والمخادعة كما حدث بالنسبة إلى قرار الدمج.

لجأت القيادات العسكرية، ومعها قيادات سياسية في الجبهة إلى تصعيد حرب التحرير بعد مناقشات مستفيضة وعلى مستويات مختلفة، وكانت القيادة تعرف وتتابع ما يجري، مع أنها كانت مكبلة باتفاقية الإسكندرية. إن مفهوم «الانقلاب» الخاطئ قد روّج له نايف حواتمة في كراسه «أزمة الثورة في الجنوب اليمني»، متجاهلاً طابع التحركات السياسية الشرعية التي سبقت إعلان استئناف الكفاح المسلح والتي تكللت بعقد المؤتمر الاستثنائي بعد شهرين.

في هذا السياق، أعلنت الجبهة مسؤوليتها عن ٣٤ عملية فدائية نفذتها خلال أسبوع واحد في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٦م. وكانت الجبهة منهمكة بالإضافة إلى ذلك بالاستيلاء على المصارف لتمويل نشاطنا الفدائي والسياسي، بعد حرمانها المساعدات المادية من مصر وحكومة الجمهورية العربية اليمنية.

وليس من غير دلالة أن تتنامى، بمقاييس واسعة، مشاعر معارضة الدمج القسري في أوساط المقاتلين والجماهير الرازحة تحت نير الاحتلال. ذلك لأن تراجع العمل الفدائي ارتبط بقرار الدمج في يناير ١٩٦٦م. وصحيح رأي المستشرق الروسي (فيتالي ناؤومكين) في قوله: «إن بعض الركود في النشاط المسلح الذي حدث بنتيجة الدمج القسري قد قوّى موقف العداء من جانب مقاتلي الجبهة القومية وقادتها تجاه جبهة التحرير، وعزز الاقتناع بضرورة استئناف الوجود المستقل للجبهة القومية»[(٩)].

وتحت تأثير هذا التنامي في النشاط الفدائي واستعادة الجبهة القومية سيطرتها على الشارع، راح يتبلور مطلب عقد مؤتمر استثنائي للجبهة يجري فيه تصحيح الموقف والاعتماد الذاتي على مواصلة الثورة بديلاً من المساعدات المشروطة بالاندماج مع جبهة التحرير. كان هذا في الداخل، أما في تعز، فقد كان «مقبل» والخامري ينشطان للدفاع عن اتفاقية الإسكندرية وفرضها على الجبهة، والعمل على تطبيق بنودها، استناداً إلى قرارات مؤتمر جبلة.

---

(٩) فيتالي ناؤومكين، مصدر سابق، ص ١٦٣.

أذكر أنني حضرت في عدن اجتماعاً مهماً لقيادات العمل الفدائي بحضور سالم ربيع علي «سالمين» وأحمد صالح الشاعر ومحمد علي هيثم وعلي صالح عُباد «مقبل» (وقد حضر من تعز)، وذلك لبحث الموقف من اتفاقية الإسكندرية ومن جبهة التحرير عموماً. ونجم عن الاجتماع قرار بالدعوة إلى مؤتمر استثنائي للجبهة، لتحديد موقف واضح من القضايا الملتهبة وبخاصة «الاتفاقية» التي وُقِّعَت بصورة مخالفة لروح قرارات المؤتمر الثاني. وجرى الاتفاق على تشكيل لجنة تحضيرية للإعداد للمؤتمر موزعة على ثلاث لجان:

سياسية (من محمد علي هيثم، محمد صالح عولقي وعبد القادر أمين، المطلّق سراحه من السجن منذ حين)، وفكرية (من علي صالح عُباد «مقبل»، المهندس أنور خالد، عبد الله الخامري وزهرة هبة الله)، وتنظيمية (من فيصل عبد اللطيف، سالم ربيع علي، أحمد صالح الشاعر وعبد الفتاح إسماعيل). وقد أُعد تقرير سياسي عن اتفاقية الإسكندرية يقوم على استنتاج واضح، هو خروجها على قرارات مؤتمر جبلة الثاني.

## «التنظيم الشعبي للقوى الثورية»

في ٢٥ ديسمبر ١٩٦٦ كانت البدايات الأولى لتأسيس التنظيم الشعبي للقوى الثورية العربية الذي كان يمثل التوجه الناصري سياسياً وثورياً في مدينة تعز، معظم قياداتهم[١٠] كانوا في أطر الجبهة القومية وتخلوا عنها في ظروف تراجع العمليات الفدائية أو اختلفوا معها

(١٠)
١- عبدالله محمد ناصر المجعلي
٢- محمد أحمد صالح الشظيفي
٣- بخيت مليط
٤- علي بن علي هادي
٥- الحاج علي عوض باعوضة
٦- عبد الهادي عوض باعوضة
٧- خالد أحمد سعيد المفلحي
٨- صالح عبدالله المجعلي
٩- عزب محمد فضل
١٠- فضل صالح الطيار
١١- سالم يسلم الهارشي
١٢- عبدالله محفوظ راجح
١٣- صالح ملقاط
١٤- شيخ الحمزة
١٥- علي محمد سعيد البيحاني
١٦- محمد علي الصماتي
١٧- صالح أحمد الحارثي
١٨- محمد علي سلام العبسي (أبو جلال)
١٩- علي عبد الله الشوتري
٢٠- بالليل راجح لبوزة
٢١- نصر بن سيف الردفاني
٢٢- محمود ناصر الداعري
٢٣- مهدي هادي العولقي
٢٤- هادي محمد عامر
٢٥- صالح عبادي عبد الكريم
٢٦- شيخ الحمزة
٢٧- عبدالله يسلم باعوضة المشنّق
٢٨- عبد القوي ناجي المحلال العربي
٢٩- محمد صالح الضمبري
٣٠- أحمد عبدالله المجيدي
٣١- قائد علي صلاح

لأسباب عدة. لقد تأسس «التنظيم» بعد التوقيع على اتفاقية الإسكندرية بتشجيع خجول من جبهة التحرير ودعم مباشر من القيادة العسكرية العربية في الجمهورية العربية اليمنية، وكان عناصره ممن تأثروا بالناصرية وممن ضاقوا ذرعاً بالقيادات التقليدية، ويعتبرون أنفسهم مستقلين، وسرعان ما شكلوا جبهات قتال في الضالع وحالمين والصبيحة وردفان وعدن تنحدر معظم عناصرها من الجبهة القومية، وأتذكر منهم صائل خالد وأحمد عبد الله المجيدي وقائد علي صلاح وصالح عبادي عبد الكريم (عفيف) ومختار والشوماني ممن مكثوا في تعز بعد الاستقلال، وطلبتُ منهم العودة بعد الاستقلال يوم كنتُ محافظاً في لحج وأمنت لهم العودة المشرّفة في آذار/ مارس ١٩٦٨م.

وإذ واصل التنظيم عملياته الفدائية ضد الوجود البريطاني حاولت، قيادة حزب الشعب الاشتراكي أن تتبناه، ولكن بسبب «حرج» الحزب إزاء شعار الكفاح المسلّح، فقد اكتفى بالإيحاء أن التنظيم الشعبي هو ذراع جبهة التحرير العسكري، ولكن ذلك لم يمنع من ظهور الخلافات بين الحزب والتنظيم إلى العلن، على خلفية الصراع الذي استفحل بين الناصرية وحركة «البعث» في المشرق العربي، ونظراً لوجود تيار بعثي في حزب الشعب الاشتراكي.

في ذلك الوقت كانت التطورات في صنعاء تأخذ طرقاً متفجرة بعد اندفاعة حرب التدخل وإخفاق اتفاقات الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل بسبب استمرار الدعم الخارجي للعناصر الملكية. وفي تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٦م انتهت فترة الاسترخاء وتجميد الجبهات حين شنت المجموعات الملكية سلسلة من الاعتداءات، فيما ردت القوات المصرية والقوات الجمهورية بسلسلة من العمليات استعادت فيها العديد من المواقع التي استولى عليها الملكيون.

## رسالة إلى القيادة

كان أحمد الشاعر قد حمّلنا رسالة إلى القيادة في القاهرة موجهة إلى عبد الفتاح إسماعيل وقحطان الشعبي، تتضمن إشارة إلى الظروف القائمة التي سبقت المؤتمر الثالث، مستهدفة التأثير في أعضاء القيادة العامة واستعداءهم على قيادات جبهات القتال وضبط الأحداث والتنظيم باتجاه تسوية الأزمة السياسية لمصلحة عملية الدمج و«جبهة التحرير».

## مؤتمر الجبهة الثالث في «حُمر»

في التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٦٦م عقد في مدينة حُمر قرب مدينة قعطبة «المؤتمر الثالث» للجبهة القومية الذي حضره:

فيصل عبد الطيف الشعبي – أنور خالد – علي سالم البيض – سعيد عمر العكبري – خالد باراس – محمد سعيد مصعبين – علي محمد سالم الشعبي – جعفر علي عوض – أحمد صالح الشاعر – علي صالح عُباد (مقبل) – ناصر صدح – سالم ربيع علي – عبد الله مفتاح فضلي – صالح النينوه – علي شيخ عمر – محمد علي هيثم – حسين الجابري – عوض ناصر صدقة – عبد القادر أمين – السيد أحمد خميس – عبد النبي مدرم – الحاج صالح باقيس – عمر امعلواني – عبد الله محمد هيثمي – أحمد سعيد عبد الله – عوض محمد جعفر – علي عبد الله – لطفي قاسم – سعيد الأبي – فضل محسن عبد الله – عوض الحامد – علي محضار – عبد الله مطلق – علي أحمد ناصر عنتر – علي شايع هادي – محمد أحمد البيشي – قاسم الزومحي – احمد جودت – حنش ثابت – عبد الكريم محسن الذيباني – صالح مصلح – أحمد قاسم بوبك.

وتضمن جدول أعمال المؤتمر ما يأتي:

- تقييم المرحلة من ١٣ يناير ١٩٦٦ حتى ١٤ أكتوبر ١٩٦٦م.
- التقرير السياسي.
- مشروع قرارات وتوصيات المؤتمر.

وقدم التقرير السياسي علي صالح عُباد (مقبل)، ومن أهم ما جاء فيه: أن المؤتمر يقف أمام منعطف تاريخي مهم إما العودة إلى الموافقة على الانصهار في جبهة التحرير، أو تحديد موقف وإعطاء ثورة ١٤ أكتوبر طابعها المشروع والاعتماد على النفس كلياً وعلى دعم الجماهير الشعبيه في الجبهة القومية، وأن الثورة تقف أمام منعطف خطير وعلى المؤتمرين أن يقدروا الظروف التي ستجابههم بعد إضفاء الشرعية على الانسحاب من جبهة التحرير.

أثناء المؤتمر توالت الإنذارات الموجهة إلى فيصل عبد اللطيف الشعبي بتسليم نفسه ووقف أعمال المؤتمر فوراً، حتى نايف حواتمة (صاحب كتاب أزمة الثورة في الجنوب) شارك

في هذه الإنذارات بإرسال رسالة موجهة إلى المؤتمرين يطلب فيها الموافقة على الانصهار والقبول بالحلول السياسية التي تطبخ لليمن شمالاً وجنوباً، وقد تولى حمل الرسالة وقراءتها الأخ أحمد صالح الشاعر، وبعد الانتهاء من قراءتها طلبت سكرتارية المؤتمر من الحاضرين التعقيب عليها، فطلب الحاضرون سحب الرسالة وضمها إلى وثائق المؤتمر كشاهد إثبات على موقف نايف حواتمة وحركة القوميين العرب. أما الأخ علي شيخ عمر، فتطوع بالتعقيب على هذه الرسالة قائلاً: «إذا نحن لم نسمح لزعيم الأمة العربية جمال عبد الناصر بالسيطرة على قرارنا السياسي والثوري! فكيف نقبل سيطرة ضراط ابن ضراط؟ وهنا ضحك المؤتمرون».

وقد تعرض المؤتمرون لمختلف الضغوط، وبخاصة من داخل المؤتمر لمواصلة خط الدمج، وتزعم هذا الخط أحمد صالح الشاعر ومحمد علي هيثم وعلي سالم البيض وعبد الله مطلق وعلي مختار لأنهم كانوا يخشون وقوع المواجهة مع مصر الذي سيؤدي إلى توقف الدعم السياسي والمادي والمعنوي.

وقد وزع علي السلَّامي وسالم زين وعلي صالح عُباد مذكرة في المؤتمر باسم «ممثلو الجبهة القومية داخل جبهة التحرير»، شرحت أوضاع الجبهة القومية قبل ١٣ يناير ١٩٦٦م، وعدم ملاءمة استراتيجيتها مع الأوضاع الجديدة بالمنطقة، واستعرضت أوضاع ما بعد الدمج في ظل «الوحدة الوطنية»، وخلصت إلى بطلان شرعية المؤتمر لأنه - حسب المذكرة - يهدف إلى «أن تعمل الجبهة في الاتجاه السياسي وتبتعد عن النضال المسلح» وكذلك «الإبقاء على المصالح الشخصية الانتهازية لمن يقفون وراء الانسحاب».

وفيما كان المؤتمر منعقداً أصدر «التنظيم الشعبي» بإيعاز من قيادة جبهة التحرير بياناً استفزازياً يصف فيه أنصار الانسحاب من جبهة التحرير بأنهم «من فلول الحزبية والمفلسين والمخربين الذين يمارسون البلبلة ضد الثورة».

ووزعت جبهة التحرير من جانبها طائفة من المنشورات للتأثير في الاتجاه الجديد داخل الجبهة لمصلحة الانسحاب وبناء علاقات سليمة في الساحة الوطنية. وجاء في أحد تلك المنشورات «أن أجهزة الدعاية الاستعمارية وأبواقها في عدن ولندن ووكالات أنبائها

انهمكت في ترويج إشاعات مضللة حول وجود جبهات وتنظيمات وأجنحة مقاتلة بجانب جبهة التحرير، فادعت زوراً وبهتاناً قيام جبهة تحرير في حضرموت مثلاً. ومن قبل ذلك تنبأت بأن أعضاء من حركة القوميين قد انسحبوا من جبهة التحرير، وكأن المساهمة في النضال المسلح شأنه شأن المشاركة في النشاط الحيوي الخيري أو الترفيهي الذي لا يخضع لضبط وربط والتزام».

ولكن تلك الضغوط ومحاولات الابتزاز عجزت جميعها عن أن تزحزح خيار الانسحاب الذي لم يستند - كما يقول المعارضون - إلى الأهواء الشخصية، بل إلى حقائق ملموسة تتعلق بشروط نجاح الثورة المسلحة وإلحاق الهزيمة بالاستعمار البريطاني.

## فك الارتباط مع جبهة التحرير

بتاريخ ٣ ديسمبر ١٩٦٦م اختتم المؤتمر أعماله بطرح قضية الثورة واستمرارها بقيادة الجبهة القومية، وصوت إلى جانب الانسحاب من جبهة التحرير (٤٣) عضواً وإلى جانب الانصهار (١٣) عضواً، وامتنع عن التصويت علي صالح عُباد ومحمد أحمد البيشي وناصر صدح، وانتُخِبت قيادة جديدة وأقرت شرعية ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٦ واعتبرته إجراءً مشروعاً لإعادة الثورة إلى وضعها الطبيعي الصحيح، واتخذ قرار باعتبار الحاضرين ممثلين أساسيين في المؤتمر الرابع الذي سيعقد في الجنوب[١١]، ووزعت المسؤوليات على القيادة العامة والصف القيادي جميعاً وقد مثّلت القيادة الجديدة للجبهة القومية الاتجاه العام للمؤتمر، ضمت أولئك الذين صمدوا في وجه «الدمج»، وعلى رأسهم فيصل عبد اللطيف، وسالم ربيع علي وعلي عنتر وفيصل العطاس وخالد عبد العزيز، وهم من قيادة المؤتمر الثاني، ثم حسين الجابري وأنور خالد ومحمد صالح عولقي ومحمود عشيش، وهم قيادات جديدة من الصف الثاني.

لقد اتخذ المؤتمر[١٢] بعد أربعة أيام من المناقشة والبحث والصراع قرارين محددين:

---

(١١) عقد المؤتمر الرابع بعد الاستقلال في مارس من عام ١٩٦٨م في مدينة زنجبار، وعرف باسم «مؤتمر زنجبار».

(١٢) عقد المؤتمر الثالث في حُمر في الفترة من ٢٩/ ١١ إلى ٣/ ١٢/ ١٩٦٦م. وقد كُلِّف كل من فيصل عبد اللطيف وسالم ربيع علي وأنور خالد توضيح موقف الجبهة القومية من هذه العملية للرأي اليمني والعربي والدولي، ووجهوا عدداً من الرسائل بهذا الخصوص. ونص الرسالة في الأرشيف، وثيقة رقم ٢١٤.

**أولاً**: إعلان ممارسة الجبهة القومية مسؤولياتها الثورية خارج إطار جبهة التحرير، لعجز الأخرى عن الوصول إلى الغاية المنشودة للوحدة الوطنية.

**ثانياً**: استعداد الجبهة القومية للسعي الدائم وأخذ زمام المبادرة من أجل إقامة وحدة وطنية سليمة حسب أسس تتضمن عملاً ثورياً موحداً في جنوب اليمن المحتل.

وخلال جلسات المؤتمر طرح أحد الحاضرين استفساراً بشأن تنظيم الجبهة القومية في زنجبار وقال: «إننا لم نسمع أي بيان عن تنظيم الجبهة القومية في زنجبار، أو عن عملياته العسكرية هناك أو حتى عن انفجار قنبلة واحدة».

فردّ عليه صالح النينوه وقال: «نحن لم نتمكن من القيام بعمليات فدائية والسبب (عريم - قصاص الأثر المشهور) لكون هذا الرجل يعرف الأثر بدقة، وإن كان ولا بد فنحن نحتاج إلى خيول لنقوم بعمل فدائي من على ظهرها»، فانفجر المؤتمر بالضحك... وتأثر من هذا الرد سالمين وأثناء الاستراحة أخذ النينوه واختلى به وعاتبه على هذا الرد. وكان كثير من الفدائيين من زنجبار وغيرها يشاركوا في العمليات الفدائية في مستعمرة عدن، وعلى رأسهم سالم ربيع علي.

وهذا يذكرنا بمقترح عبد الحميد الشعبي حول طريقة إدخال السلاح ومناقشتها مع الضباط المصريين، حيث قال: علينا أن ندخل السلاح بوساطة الخيول وبسرعة، حيث لا تتمكن قوات السلطنة من ملاحقتها. فالتفت نحوه رجائي فارس وقال له: يبدو أنك متأثر بدورة الشرطة في الكلية بمصر وبأفلام رعاة البقر!

وفي الثاني عشر من ديسمبر ١٩٦٦م أصدرت قيادة الجبهة بياناً بعنوان «**بيان عن الجبهة القومية حول انسحابها من جبهة التحرير وممارستها مسؤولياتها الثورية علناً**»، عرضت فيه أسباب الانسحاب ومقدماته، وتوقفت عند الأوضاع القائمة واتجاهاتها، ومحاولات «احتواء الثورة من قبل الأطراف الرجعية في الحركة الوطنية»، وفندت طروحات المستفيدين من الأزمة التي تمرّ بها الوحدة الوطنية نتيجة الأوضاع والظروف العربية والدولية، كما أشارت إلى أنه «أمام كل ذلك وتقديراً من «مؤتمر حُمر» وحرج المرحلة المقبلة وحرصاً على مكاسب الشعب والثورة وعدم التفريط بها وحفاظاً على التوجه الثوري الشعبي من

التمييع ومحاولة لإعطاء فرص لقيام وحدة وطنية قرر المؤتمر مواصلة السعي لإقامة وحدة وطنية سليمة».

كان قرار الانسحاب من جبهة التحرير مكلفاً للجبهة القومية إذا أُخذ بالمقياس الآني. فقد أوقفت الجهات المصرية مساعداتها للجبهة، وقطع جهاز المخابرات التسهيلات التي كانت تقدم للثورة، وضُرب حول عملياتها طوق من الحصار والتعتيم وانعكس ذلك كله سلباً على أوضاعها، وبخاصة المالية، إذ جرى تقليص كثير من المصروفات الضرورية وتقنين وجوه الصرف وحصرها بمجالات ضيقة، وما زاد الأمر تعقيداً أن الأمانة العامة لحركة القوميين العرب بعثت بيد نجوى مكاوي رسالة (قُرئت في مؤتمر حُمر) ترى وجوب الاستمرار في جبهة التحرير تجنباً للتعارض مع رغبة جمال عبد الناصر. وأذكُر أن صالح مصلح علّق على تلك الرسالة أمام الجميع بقوله: خلونا يا إخواني نعمل لنا (جُبيهة) أي جبهة صغيرة، مثل سيارة نجوى مكاوي (فولكس واجن)، نركب عليها ونقودها نحن ولا نريد دبابة يقودها (الآخرون). ويقصد جبهة التحرير التي يقودها المكاوي والمخابرات المصرية، وأمام إرادة الثورة والثوار فقد تحولت من جبيهة إلى جبهة امتد نفوذها من عدن إلى المهرة توج بالنصر في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م.

لم تفاجئ تلك الرسالة الجبهة، على أي حال، فقد بدأت الخلافات تتفاعل منذ ما قبل ذلك الوقت بين الجبهة والحركة، ويتعمق الشرخ وينفتح الطريق إلى استقلال الجبهة في نهاية الأمر. وكانت رسائل جورج حبش الهادئة إلى القيادة تشير إلى انحيازه وانحياز قيادة الحركة إلى فريق معين في الجبهة: فريق يقف ضد استقلالية التنظيم.

كان على قيادة الجبهة القومية الجديدة أن تعمل على تجاوز آثار الخلافات في التنظيم، الناجمة عن تداعيات قرار الدمج. وقد لعبت حكمة فيصل عبد اللطيف دوراً كبيراً في بلورة أجواء العمل المشترك وكبح الانفعالات وردود الفعل، من أجل توحيد القوى لمواجهة الاحتمالات الجديدة في الوضع السياسي، فلقد كان واضحاً منذ مطلع عام ١٩٦٧م أنه سيكون عاماً حاسماً في نهاية المطاف.

وتولت صحيفة «الأمل» مهمة نشر وثائق مؤتمر حُمر والدفاع عن قرار الانسحاب من جبهة التحرير، وساهمت كتابات عبد الله باذيب في فضح النشاط الرجعي السلاطيني الذي

يستهدف الجبهة القومية والثورة المسلحة، ما أغاظ قيادة جبهة التحرير، فأرسلت تهديداً في ٢٠/ ١٢/ ١٩٦٦م على هيئة برقية تحذّر الصحيفة «من التمادي في نشر الأخبار المضللة والتعليقات السياسية الهدامة»، واختتمت البرقية بقولها: «وقد أعذر من أنذر».

وفي ٢٥ منه ردت صحيفة «الأمل» على التهديد بالتحدي وكتبت: «إن الدافع الحقيقي لإرسال تلك البرقية العجيبة إلينا هو نشر البيانات التي صدرت في عدن باسم الجبهة القومية حول انسحابها من جبهة التحرير، وهي بيانات تعتبر جبهة التحرير أنها منسوبة زوراً إلى الجبهة القومية». وقالت «الأمل»: «إن من حق الجبهة القومية أن تنسحب وتعمل بشكل مستقل ما دامت تعتقد بسلامة خطوتها من أجل تعميق الثورة». وأضافت: «إن الوحدة الوطنية لها أكثر من مفهوم واحد، وأنها لا تتم بالقوّة والانفعال». وختمت مقالها بتأكيد أنها «لا تقبل التهديد والوصاية».

وتلقت صحيفة «الطريق» تهديداً مماثلاً دفع رئيس تحريرها محمد ناصر محمد إلى الرد بعنف والدعوة إلى وحدة الصف في مواجهة الاستعمار وعملائه. غير أن التهديد بحق «الأمل» سرعان ما نفذ بعد أيام، حيث فجّر المبنى الذي يضمها.

في تلك الأيام اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة، قراراً جديداً بشأن الجنوب المحتل، في نطاق دورتها الحادية والعشرين، تضمّن تأكيد حق تقرير المصير بالنسبة إلى شعب الجنوب وعرض آخر تطورات الأحداث، مشيراً إلى أن بريطانيا أخطرت الأمم المتحدة «باستعدادها للتعاون من أجل التنفيذ الكامل للقرارات الخاصة بعدن في أقرب فرصة ممكنة»، ووعدت بأنها ستمنح عدن الاستقلال في موعد لا يتجاوز ١٩٦٨م وإلغاء كل المعاهدات وإزالة القواعد العسكرية مع حلول موعد الاستقلال، وأنها «لن تبرم أية اتفاقية دفاعية أياً كانت مع الجنوب العربي».

وطلبت الجمعية العامة من السكرتير العام التشاور مع اللجنة الخاصة بقضية عدن وبريطانيا من أجل البعثة التي ستتوجه إلى عدن. كذلك طلبت من اللجنة نفسها تقديم التوصية بالخطوات العملية (حكومة رعاية مركزية) أو كيفية اشتراك المنظمة الدولية في الإشراف على تنفيذ القرارات الخاصة بالاستقلال.

ومع حلول موعد ذكرى احتلال بريطانيا لعدن في ١٩ يناير كانت الجبهة قد أصدرت بياناً

مهماً دعت فيه إلى إعلان الإضراب العام احتجاجاً على الوجود الاستعماري، ووزع البيان على دائرة واسعة من المواطنين من عدن إلى كل الولايات والسلطنات. وفي هذه الأثناء عارضت جبهة التحرير تنفيذ الإضراب، انطلاقاً من نظرة ضيقة وباعتبار أن الجبهة القومية تقف وراءه، فكانت سقطة منها فسحت في المجال لأول اختبار للقوة وللنفوذ الشعبي كسبته الجبهة القومية حين استجابت الجماهير الشعبية والطلابية للنداء، ولم تكتف بإغلاق المدارس والمحلات والأسواق، بل انتظمت في مسيرات كبرى رفعت شعارات التحرير والجلاء. وقد ثبت أن الدعوة للإضراب والنداء الذي أصدرته الجبهة كانا يستجيبان لمزاج الشارع واستعداد الشعب لخوض المعارك الوطنية، الأمر الذي دفع جبهة التحرير إلى التراجع الخجول، وامتداح الإضراب من راديو تعز.

ومنذ أوائل فبراير ١٩٦٧م، وبمناسبة حلول ذكرى تشكيل اتحاد الجنوب العربي (١١ فبراير) نظمت الجبهة القومية سلسلة من النشاطات الاحتجاجية في كل المناطق والولايات، فيما سارعت جبهة التحرير إلى اللحاق بالحملة. ومنعاً لقيام إضراب بالمناسبة، اتخذت السلطات البريطانية إجراءً جديداً يقضي بإلقاء مهمة «الحفاظ على الأمن» على عاتق قوى الأمن البريطانية وسحبها من الشرطة المحلية التي أصبحت «ملغومة» بأنصار الجبهة القومية ومؤيدي الثورة. ومنذ العاشر من فبراير أعلن منع التجوال وتحولت عدن إلى ساحة عسكرية في جو مُلئ بالتوتر واحتمالات الانفجار. وقد كشفت السلطات في الوقت نفسه لغماً في مطار «الاتحاد» قبل ساعتين من وصول المندوب السامي إليه، كان مربوطاً بمدفعين مصوبين إلى شرفة الاستقبال. وبعد أيام شهدت عدن وسائر المدن الجنوبية غلياناً شعبياً وصدامات واسعة، ودوّت الانفجارات في مقر رئيس المجلس الأعلى محمد حسن العوبلي. وعلى مدى أربعة أيام (١٠-١٣ فبراير) تعرضت القوات البريطانية لـ ٦٦ هجوماً، وردّت ٣٩ مرة على نيران الفدائيين، ونتيجة الصدامات - كما اعترفت السلطات البريطانية - قتل ثمانية أشخاص وجرح ٦٤ بينهم ٣٣ مدنياً. ولقد سقط في الحادي عشر من فبراير الشهيد مهيوب علي غالب (عبود) ليكون ذلك اليوم يوماً للشهداء.

في مودية تعرضت المصالح الحكومية المحلية لعدد من الهجمات حيث فُجِّرت سيارات الحرس الاتحادي وبعض أوكار عملاء بريطانيا.

وفي ذلك الوقت (أواخر فبراير) فجّرت المخابرات البريطانية قنبلة زمنية في منزل عبد القوي مكاوي راح ضحيتها ستة من المواطنين، ثلاثة منهم من أبناء مكاوي. ولم يكن الحادث غامض الأهداف، ولم يكن مرتكبه مجهولاً، مع أن السلطات لم تعلن ذلك. فقد فضحت صحيفة «المصير» المحلية، وكذلك «الحرية» في بيروت، الأبعاد الاستعمارية للحادث، «وقد ردت القوى الوطنية فوراً على هذه الفاجعة، وعدّتها مخططاً من قبل بريطانيا وعملائها بالمنطقة تهدف إلى تفتيت وحدة الثوار والإيقاع بين الجبهة القومية وجبهة التحرير بنشوب حرب أهلية، وشاركت الجبهة القومية في حملات الاستنكار والتظاهر ضد بريطانيا والمتعاونين معها[١٣].

كانت العملية الإجرامية تستهدف وضع الجبهة القومية في موضع الاتهام وإثارة المشاعر ضدها ودفع الوضع إلى دوامة الاقتتال، وذلك توطئة لوصول بعثة الأمم المتحدة التي كُلفت معاينة الوضع في عدن ميدانياً في نيسان/ أبريل ١٩٦٧م. لكن الجامعة العربية استبقت وصول البعثة بإصدار قرار في ١٨ آذار/ مارس يقضي بشجب الاستعمار البريطاني ودعم «جبهة التحرير الممثلة الشرعية لشعب الجنوب».

وسجل شهر أبريل بداية الطور الجديد في الكفاح المسلح وفي أشكال الكفاح الأخرى. فقد أصدر الاتحاد الطلابي في ١٤ منه بياناً، طالب فيه السلطات المعنية بفتح المدارس المغلقة، والإفراج عن المعتقلين، واستمرار دوام كلية البنات بعيداً عن الإرهاب، وبسحب قرار وقف خمس من طالبات الكلية. ولمّا لم تستجب السلطات للمطالب اندلعت تظاهرات ومسيرات طلابية في عدن ومختلف الولايات.

في هذا الوقت، بدأت القوات البريطانية سحب قواعدها في الولايات وتركيزها في عدن: أولاً لانعدام قدرتها في الدفاع عن النفس وسط تزايد النشاط الفدائي، وثانياً لغرض مواجهة التطورات المتسارعة في عدن. وفي هذا الوقت أيضاً برزت الجبهة القومية قوة قائدة ومتحررة، ومحدِّدة لاتجاهات المستقبل، فيما اندفع قادة جبهة التحرير في تنظيم موجةٍ من التحرشات والتضييق والمعارك الهامشية ضد مقاتلي الجبهة القومية في محاولة لوقف الانعطافة الشعبية لمصلحة الثورة المسلحة.

(١٣) أحمد عطية المصري، مصدر سابق، ص ٢٧٠.

وفي ١٢ مايو صدرت نشرة «فحمان» في دثينة عن الجبهة القومية، وحمل عددها الأول إضافة إلى استعراض العمليات الفدائية تحذيراً لبعض الجنود المتعاونين مع الإنكليز وكافة المرتزقة، وبأن الجبهة ستتصدى لهم في حال استمرارهم في أعمالهم التخريبية ضد الثورة.

ونشر العدد الأول مقالاً ذا مغزى بعنوان «أنا وأخي على ابن عمي»، يعبِّر عن تحليل مسؤول للعلاقة مع جبهة التحرير، وخلص إلى القول إنه «مهما كانت الاختلافات في وجهات النظر بين الجبهتين إلا أن الاستعمار لا يزال موجوداً، وعلينا التكاتف في النضال حتى تحقيق النصر».

## المندوب السامي البريطاني: انسحابات وصفقات

أزاحت بريطانيا في أوائل الشهر نفسه مندوبها السامي ريتشارد تيرنبول، وعينت السير همفري تريفيليان[١٤] محله الذي وصل إلى عدن بتاريخ ٢٠ مايو ١٩٦٧م، وكان الأخير قد شغل مناصب دبلوماسية مرموقة، بينها منصب سفير في موسكو والقاهرة والعراق. وجاء هذا التعيين بناءً على توصية اللورد شاكلتون الذي زار عدن عقب الضجة التي أثارها إخفاق مهمة بعثة الأمم المتحدة. كانت حكومة حزب العمال تتشبث حتى ذلك الوقت بإمكانية التوصل إلى «وفاق شامل» لقيام حكومة محلية من «جميع الفعاليات السياسية»، من الرابطة حتى الجبهة القومية. وقد حلّ تريفيليان في عدن حاملاً في حقيبته هذا التوجه الذي دُونَه استحالات لا يراها ساسة حزب العمال كما يبدو. لكنه اقتنع بعد ذلك بأن «من الخطأ أن ننظر إلى الماضي»، على حد تعبيره هو بالذات في كتابه «الشرق الأوسط في ثورة».

وفي التاسع من مايو برز موقف سعوديّ لافت، فقد أعلن الملك فيصل من لندن معارضته انسحاب بريطانيا من الجنوب المحتل، وتمسكه بمعاهدات الحماية، «وإذا لم نتمسك بمواقفنا بحزم في الجنوب فإن الخليج سيتعرض للتخريب في غضون شهر واحد». وقد ردت بريطانيا في وقت لاحق على لسان وزير خارجيتها جورج براون بإعلان تحديد موعد الاستقلال في

(١٤) همفري تريفليان: كان دبلوماسياً بريطانياً ومؤلفاً، هو آخر مفوض سامٍ في عدن حيث أنهى الحكم البريطاني وأشرف على انسحاب القوات البريطانية من محمية عدن، شغل عدة مناصب دبلوماسية في بكين ومصر والعراق والاتحاد السوفياتي، كتب تريفليان عدداً من الكتب عن حياته المهنية.

٩ يناير من عام ١٩٦٨م، ولكن بلاده «ستدعم الجيش»، وسيكون لها وجود بقوّة عسكرية بحرية بالقرب من شواطئ البلاد لحمايتها. ولمّح الوزير إلى أن السلطات القائمة في عدن سترفع الحظر عن الجبهة القومية، للمرة الأولى منذ اتهامها بالإرهاب، «وذلك من أجل الدخول معها في مفاوضات». ويذكر أن جبهة التحرير لم تكن محظورة من الناحية الرسمية.

كانت رائحة الصفقات والتحركات المبطنة قد انتشرت في الجو، واتخذت أشكالاً عديدة وصوراً مختلفة، ولكن خيطاً واحداً كان يوحدها هو إطفاء التأثير الناصري في أحداث العالم العربي وإنهاء دور مصر القيادي والطليعي من طريق توجيه ضربة عميقة تشارك فيها جميع الأطراف والقوى الاحتياطية الخارجية والداخلية مستفيدين من الأخطاء التي ترتكبها بعض الأجهزة والقوى المحسوبة على الرئيس عبد الناصر، وتتزعم إسرائيل هذا الهجوم وتتحمل الأطراف الأخرى، ومنها عربية، كلفة الهجوم وغطاءه المالي كما ورد في بعض الوثائق.

إن شبح حرب جديدة ضد مصر يلوح في الأفق، والورقة اليمنية بشقيها الشمالي والجنوبي مرتبطة بموجبات هذه الحرب وشروطها: ففي الجمهورية العربية اليمنية ينبغي تصعيد عمليات التدخل والتخريب ضد السيادة اليمنية والوجود العسكري المصري، ويستلزم ذلك إنهاء حالة وقف إطلاق النار وتمزيق الاتفاقات التي وقعت مع مصر، إمعاناً في إبقاء حالة التوتر قائمة لمشاغلة قطاع مهم من قطاعات الجيش المصري بعيداً عن بلاده. وفي الجنوب يستلزم الأمر تأجيل انسحاب بريطانيا، ودعم «الهياكل السلاطينية» المتهاوية والحيلولة دون تولي الجبهة القومية دفة الأحداث.

كانت القاهرة وحركة التحرر العربي هدف المؤامرة. وكانت عين عبد الناصر موجهة إلى اليمن، منشغلة بأحداثها. وليس من غير دلالة أنه في غمرة الأجواء المتلبدة والصراع على السويس والاستعدادات العسكرية الإسرائيلية الاستفزازية العدوانية، رأيناه يقوم بدفع الجهود لضبط أحداث الجنوب المحتل ولإقامة علاقات سوية بين الجبهة القومية وجبهة التحرير منعاً للاقتتال بينهما، ذلك أن الخطر الداهم، أخذ يبرز.

كانت القيادة الناصرية تحاول معالجة الأمور واستدراك الموقف، ولكنها - للأسف - كانت ضحية فريق من المسؤولين عن المعلومات التي قدمت للرئيس، أو من حيث تطبيق توجيهاته في شكلها وليس في روحها.

في أيار/ مايو وجهت القاهرة دعوة إلى وفدي جبهة التحرير والجبهة القومية لبحث موضوع الوحدة الوطنية. وواضح أن موضوع الدمج لم يكن وارداً، فقد حلّ محله البحث في إقامة علاقات جبهوية وتشكيل هيئة مشتركة أصرّت جبهة التحرير على أن تحصل على ثلثي أعضائها، والثلث الباقي لممثلي الجبهة القومية، فيما قدمت الجبهة القومية صيغة ملموسة تتمثل في إقامة إطار تحالفي باسم «الجبهة المتحدة لتحرير جنوب اليمن المحتل»، يتمثل فيه التنظيمان بنسبة ٥٠٪ لكل منهما، وأن تكون العلاقات على مستوى التنسيق السياسي وفي مجال العمل العسكري. وعند هذه النقطة بقي البحث متوقفاً حتى دخلت عليه حرب الخامس من حزيران/ يونيو ١٩٦٧م، ليعود الوفدان إلى حيث بدآ، من غير جدوى، لأن القاهرة أصبحت لها اهتمامات أخرى.

عندما شنت إسرائيل عدوانها الواسع على مصر والأردن وسورية كانت الأنظار شاخصة إلى الجبهة المصرية الحاسمة. وحين حسمت الحرب لمصلحة المعتدين الإسرائيليين، برزت فجأة قضية الوجود العسكري المصري في اليمن بوصفه أحد أسباب الهزيمة، وذهب بعض الساسة والصحافيين إلى اعتباره السبب الرئيسي.

ويمكن القول إن هذا نصف الحقيقة، لأن الوجود العسكري المصري في اليمن لم يكن ليستمر إلى هذا الوقت لو لم تشاغله التحركات والمناورات الإقليمية، ولو لم تتوسع دائرة التدخل في شؤون اليمن. وأقصد أن ذلك الوجود قد دام - أو استمر - بغير إرادة عبد الناصر، بل من ضمن المخطط المرسوم للعدوان على مصر.

مع تهيئة بريطانيا للخروج من عدن، قرروا تعزيز «جيش الاتحاد» لحماية حكومة السلاطين، وشرعت على الفور في ترتيب أوضاع الجيش والأمن من خلال تصفية واستبعاد عدد من الضباط والجنود الذين يشتبه في علاقتهم بالثورة وبالجبهة القومية. حيث كانت تسعى إلى ترتيب الأوضاع قبل خروجها من الجنوب العربي وتهيئة البلاد لما بعد الاستقلال، والتركيز على اختيار القيادات السياسية والعسكرية. فمثلاً، وزير الدفاع فضل بن علي العبدلي ومعه وزير الخارجية محمد بن فريد العولقي وآخرون كانوا يريدون تثبيت العقيد ناصر بن بريك العولقي قائداً للجيش.

استدعت وزارة الدفاع العقيد حيدر بن صالح الهبيلي (رئيس هيئة الأركان في عدن) والعقيد حسين عثمان عشال (قائد المنطقة الشرقية-عتق) والعقيد محمد سعيد شنظور (قائد المنطقة الوسطى-لودر) والعقيد أحمد محمد عرب (قائد المنطقة الغربية-الحبيلين) وأحالتهم على التقاعد، وكان الاتفاق على إقامة حفل وداع لهم بتاريخ ٢٠ يونيو، وبعد خروجهم من وزارة الدفاع أبلغوا أحمد محمد بلعيد بصفته مسؤولاً تنظيمياً في القوات المسلحة والأمن بما جرى.

بلعيد التقى مع القيادة المدنية للجبهة القومية في المنصورة بعدن وناقشوا الموضوع حيث شرح لهم خطورة التسريح كبداية لتسريح عناصر الجبهة القومية في الجيش والأمن. وقد اتخذوا قراراً بأن يكون يوم ٢٠ يونيو إضراباً عاماً لكافة الأجهزة المدنية والعسكرية، والتزم محمد أحمد بلعيد تنفيذه في المؤسسات المدنية والعسكرية، ليكون مبرراً لعدم وصول الضباط الأربعة إلى الحفل.

نجح الإضراب على مستوى عدن، أما على مستوى المناطق الريفية، فقد عمّم بلعيد رسالة بالشفرة الخاصة بالتنظيم السياسي في المؤسسة العسكرية والأمنية، محتواها تحديد مهمات القوات العسكرية والأمنية خارج عدن ليوم الإضراب.

وكانت الخطة المحددة للمنطقة العسكرية في الحبيلين تقضي بمنع حركة القوات البريطانية من ردفان إلى عدن، ونفذت الجبهة القومية الخطة بنجاح، ومنعت القوات البريطانية من الدخول إلى عدن براً وجواً من خلال تلغيم الطرقات ووضع كمائن فيها وتلغيم مطار الحبيلين لمنع هبوط الطائرات ومنع نقل القوات البريطانية من الحبيلين إلى عدن.

عند هبوط الطائرة البريطانية بيفرلي، انفجر لغم بها بينما انفجر لغم آخر بسيارة الإطفاء التي حاولت التوجه نحو الطائرة، ما عطّل مخطط إرسال القوات البريطانية إلى عدن، واكتشف الإنكليز وحكومة الاتحاد في هذا اليوم ضعف القوات الموالية لهم في الجيش والأمن وقوة العناصر المعادين لهم المرتبطين بالجبهة القومية. وبعدها طلب من العقداء الأربعة التوجه إلى إذاعة عدن للمطالبة بتهدئة حالة التمرد التي حصلت في المعسكرات ومطالبتهم بالعودة إلى ثكناتهم وأعمالهم اعتقاداً من بريطانيا أن الحركة كانت بسبب تسريحهم، ولكن الموضوع كان أبعد من ذلك، ومع ذلك لم ينفع هذا النداء، فاضطر البريطانيون إلى

أن ينقلوهم إلى مقر قيادة الجيش ويتحدثوا مع الوحدات المتمردة عبر أجهزة اللاسلكي لإقناعهم بالهدوء والعودة إلى ثكناتهم، ولكن ذلك لم ينفع، فاضطر الإنكليز إلى إحضار طائرة هيلكوبتر للعقداء الأربعة لنقلهم إلى الوحدات المتمردة ومحاولة إقناعها بالهدوء والعودة إلى ثكناتها، ولكن مرة أخرى لم ينفع ذلك معها. فاكتشف الإنكليز أن المحرك لهذه الأحداث هو تنظيم الجبهة القومية في المؤسسات الأمنية بقيادة المقدم أحمد محمد بلعيد، فاتجهوا إليه لإقناعه بوقف التمرد مقابل أي شروط يطلبها، فطلب منهم إحالة الضباط الموالين لهم ولحكومة الاتحاد على التقاعد فوراً والتخلي عن حكومة الاتحاد مقابل تهدئة الوضع، فقُبِلَ بشروطه. واستدعى الإنكليز الضباط الموالين لهم، وعلى رأسهم ناصر بريك العتيقي، حيث نُقلوا بطائرتي هيلكوبتر إلى مناطقهم كمسرَّحين من الجيش والأمن، وفي ضوء هذا قام بلعيد بتهدئة الوضع في المؤسسات الأمنية والعسكرية، وحتى المدنية، في عدن بالاتفاق مع القيادة المدنية للجبهة القومية وسُحب الفدائيون من كريتر وسُمح للإنكليز بالدخول، وبذلك تخلى البريطانيون عن السلاطين والأمراء وإخرجوهم من البلاد.




**الطائرات في مطار الحبيلين**

وفي ردٍّ فعل على ذلك، أعدّت السلطات البريطانية في ١٥ يوليو قوائم بأسماء بعض الضباط العرب في المعسكرات الأربعة الأخرى، ومن الشرطة، لتسريحهم من الخدمة، وفي ضوء ذلك وضعت الجبهة القومية من طريق جيبها الحزبي داخل تلك المعسكرات خطة للانتفاضة «تمرد»، كرد فعل في حال إقدام السلطات على تنفيذ خطتها. وفي تاريخ ١٩ يونيو قررت السلطات أن تضع خطتها موضع التنفيذ في اليوم التالي، وكان السباق سريعاً

بين الجانبين، إذ نفذت قيادة المعسكرات (ضباطاً وصف ضباط وجنوداً) خطة الانتفاضة التي استمرت بشكل متفاوت في بعض المعسكرات الأربعة. أما معسكر «أرم بوليس»، أي البوليس المسلح، فقد سيطر بالتعاون مع الفدائيين على مدينة كريتر لمدة ١٨ يوماً، وجرى التفاوض بين قيادة المعسكرات والسلطات البريطانية على إنهاء الانتفاضة وفكّ الحصار عن المدينة، وكان الاتفاق على الآتي:

١- إلغاء قوائم التسريح من قبل السلطات البريطانية.

٢- أن لا تتخذ أي عقوبة بحق أي ضابط أو صف ضابط أو جندي من الذين قاموا بالانتفاضة.

٣- أن يدخل الجيش الإنكليزي ليلاً بلا أي مقاومة عسكرية أو فدائية.

٤- أن يكون دخول القوات بعد منتصف ليلة ٥ يوليو، وقد حصل ذلك دون أي خرق للاتفاق من قبل الطرفين. وفي صباح يوم ٥ يوليو، أصبحت القوات البريطانية تتمركز في مواقعها القديمة. وبعد يومين استأنف الفدائيون والبريطانيون العمليات المتبادلة بينهما.

بينما كان وكيل وزارة الدفاع مستر شبلين، وقائد الجيش العميد داي، موافقَين على تعيين ناصر بن بريك في قيادة الجيش مع شكهما في كفاءته، وعندما شعر العقداء حسين عثمان عشال، والعقيد حيدر الهبيلي، والعقيد محمد سعيد شنظور، والعقيد أحمد محمد بن عرب بهذه الترتيبات، كتبوا رسالة إلى وزير الدفاع يعترضون فيها على هذا التعيين وغيره من الترتيبات لتعزيز الجيش بالسلاح الثقيل، واتخذ وزير الدفاع على إثر ذلك العمل قراراً بتوقيفهم وإحالتهم على التقاعد، وانتشرت الشائعات حول توقيفهم، وبدأ التحرك صباح العشرين من يونيو في معسكر لايك لاين (عبد القوي لاحقاً) بالتظاهرات والعصيان، ومن ثم انتشرت في جميع المعسكرات شائعات تقول «إن القوات البريطانية ستهاجم المعسكرات العربية»، فبدأ الجنود والضباط في معسكر النصر بكسر أبواب المستودعات واستولوا على الأسلحة وتمركزوا في المعسكر، ومرّت أمامهم في الطريق سيارات بريطانية تحمل جنوداً عائدين من مركز التدريب (البرسالية)، فأطلقوا النار عليهم وقتلوا منهم عشرة وجرحوا عشرين، واستمر إطلاق النار، ووصلت الأخبار إلى معسكر الشرطة المسلحة بعدن (أرم بوليس)،

فاستولى الضباط والجنود على الأسلحة، وبينما كانت دورية بريطانية تمرّ في الطريق أمام المعسكر، أطلقوا عليها النار وقتل نحو ١٠، واستمرت المعركة، وانتقلت أخبار المعركة إلى مدينة الاتحاد، فتحرك الضباط والجنود إلى مكاتب الوزراء والمسؤولين وحطموا الزجاج وأحرقوا العلم البريطاني والاتحادي، واشتعلت المعسكرات الأخرى بالفوضى، وكان يوماً عصيباً في تاريخ القوات البريطانية، لأنّ القوات العربية التي درّبها البريطانيون ويدفعون مرتباتها قد هاجمتهم.






**الشيخ علي مسعد البابكري الواحدي**

وبعد أن حصل ما حصل في ٢٠ يونيو ١٩٦٧م شعر الإنكليز بأن الأحداث هي نهاية حكمهم في الاتحاد، بعد ذلك خَطَرت فكرة عند بعض وزراء الاتحاد وبعض الشخصيات، أن يذهبوا إلى الخارج (جنيف مثلاً) يتفاوضون في ما يمكن أن يحصل بعد انسحاب البريطانيين، وبعضهم ذهب للعلاج في الخارج، ولم يبقَ في مدينة الاتحاد يومها إلا الوزير علي مسعد البابكري الذي اتصل بالمندوب السامي تريفليان وقال له إنه يعتقد أن حكومة الاتحاد انتهت، وأن الفوضى ستعمّ البلد وأن القوة الوحيدة التي تستطيع السيطرة على البلد هي القوات المسلحة والأمن، وهو يقترح على البريطانيين أن يسلموا السلطة للقوات المسلحة والأمن.

كان ردّ المندوب السامي أن لا مانع لديهم إذا كانوا مستعدين، المهم أن تكون هذه الجهة مستعدة لتحمل المسؤولية، وطلب منه أن يلتقي بقيادة الأمن والجيش ويعرض عليهم الفكرة. وعقد في اليوم الثاني اجتماع في قيادة الجيش حضره الوزير علي مسعد البابكري وقائد الجيش ونحو ٢٠ من كبار الضباط في الجيش والأمن، وعرض الوزير علي مسعد البابكري الفكرة عليهم، إلا أن الضباط كان ردهم بأن هناك قوى سياسية يجب التفاوض

معها بشأن تسلُّم السلطة، وهي الجبهة القومية وجبهة التحرير، وبعد ذلك انسحب الوزير علي مسعد وعاد إلى منطقته في ميفعة بسلطنة الواحدي.

حينها قال قائد الجيش البريطاني داي للضباط العرب: «عليكم أن تتصلوا بالسياسيين لتشكيل وفد منهم للتفاوض معنا لتسلُّم زمام الأمورفي البلد لأننا غير مستعدين للبقاء لفترة أطول»، وفي اليوم التالي أصدر الضباط بياناً بُثّ عبر الإذاعة والتلفزيون يطلبون فيه من قيادة الجبهة القومية وجبهة التحرير الالتقاء لتشكيل وفد مشترك لمفاوضة البريطانيين حول الاستقلال. وللأسف، كانت قيادة جبهة التحرير مترددة في المشاركة في الوفد المفاوض والمشاركة في السلطة، ولأن بعض قيادات جبهة التحرير كانت متخوفة من السلطة بسبب ضعف إمكانات البلد، ولأن البلد سيدخل في حرب أهلية ستُنهي أي سلطة. وبعد أيام أو أسابيع ذهب الفريقان إلى القاهرة للاتفاق بشأن الوضع في المستقبل، إلا أنهم لم يتوصلوا إلى نتيجة، بينما كانت الحرب الأهلية على أشدها في الداخل، وكانت قيادات الجيش والأمن ترسل باستمرار برقيات إلى الوفدين في مصر، حتى إنّهم أرسلوا برقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر لحثّ الطرفين على التفاوض والوصول إلى تشكيل وفد موحَّد لمفاوضة البريطانيين، إلا أن شيئاً من ذلك لم يحصل. وفي ٢ نوفمبر ١٩٦٧م انفجر القتال في عدن بين الجبهتين، وكان قتالاً شرساً ذهب ضحيته مئات الأفراد من الطرفين، وقد أنذر الجيش الطرفين للتوقف عن العنف والأعمال المسلحة، وأي جهة لا تتوقف عن الحرب الأهلية سيقف الجيش ضدها. وللأسف، لم يكن لدى مقاتلي جبهة التحرير قيادة موحدة، ولم يلتزموا وقف إطلاق النار، وبما أنه يوجد هناك أنصار للجبهة القومية في الجيش، وأنصار لجبهة التحرير، فإن الحرب كادت أن تنتقل إلى داخل القوات المسلحة والأمن، وهذا ما اعتبره الضباط خطاً أحمرَ لا يمكن السكوت عنه.

في ٥ نوفمبر صدر بيان نهائي عن قيادة الأمن والجيش «بأن الجبهة التي لن تتوقف عن الحرب والتزام وقف النار سيقف الجيش ضدها»، وللأسف فإن عناصر جبهة التحرير لم يتوقفوا عن القتال، ولم يلتزموا القرار، في الوقت الذي التزمت فيه الجبهة القومية قرار وقف القتال.

في ٦ نوفمبر ١٩٦٧م اجتمعت قيادة الجيش والأمن واتخذت قراراً بالاعتراف بالجبهة القومية ممثلاً وحيداً للشعب في الجنوب، وطالبت البريطانيين بالاعتراف بذلك والتفاوض مع الجبهة بشأن الاستقلال، وبناءً عليه وافق البريطانيون على ذلك، وعُقدَت لقاءات لتحديد

المكان والزمان اللذين تقرر أن يكونا يوم ٢٢ نوفمبر في جنيف، وشُكِّل وفد الجبهة القومية وبدأت المفاوضات في نهاية نوفمبر١٩٦٧(١٥).

ويقول تريفيليان، آخر مندوب سامٍ لبريطانيا في عدن عن تلك الفترة: «كان الموقف متدهوراً، فسلطة السلاطين في ولاياتهم كان يسندها وجود قواتنا هناك. والاتحاد أصبح بلا قوّة، ولم يعد يستطيع أن يؤثر في الأحداث، أما الجيش العربي فقد انقسم على نفسه بسبب ولاءاته القبلية (العوالق ضد الآخرين) وولاء بعض أفراده للحركات الوطنية. وفي عدن، على الرغم من قيام القوات البريطانية بتشديد الحراسة على حركة الأسلحة، إلاّ أنها كانت تدخل المدينة في أغلب الظن على سيارات الجيش العربي أو شرطة أمن الريف. وقد رفض الوزراء الاتحاديون السماح لنا بتفتيش سيارات الجيش خوفاً من أن تنقلب القوات عليهم».

ولمواجهة رغبة البريطانيين في «تنقية» الجيش وأجهزة الشرطة من جيوب الثورة، أجرت الجبهة القومية مشاورات مع بعض الضباط تمخضت عن ضرورة التحرك السريع لمقاومة أي إجراءات تتخذها سلطات الاحتلال بهذا الصدد، وهكذا قامت في العشرين من حزيران/ يونيو انتفاضة واسعة داخل قواعد قوات الجيش والأمن ومراكزهما في خور مكسر أطلقت خلالها النيران على القوات البريطانية، وأشعلت الحرائق في المعسكرات، ثم انتقلت إلى كريتر - عدن حيث قام ثوار الجبهة القومية وأنصار الثورة في جهاز الشرطة بالسيطرة على الحيّ لثمانية عشر يوماً، وكانت عملية تحرير فعلية لحيّ من أحياء العاصمة، بل هو الحامل لاسم عدن تاريخياً، وتنسب العاصمة إليه - رغم إطلاق الإنكليز اسم (كريتر) عليه - فهي المدينة (العاصمة) رغم تعدد الأحياء ومسمياتها، مع أن مقاتلي الجبهة عادوا وانسحبوا منها.

## انتفاضة ٢٠ يونيو

كانت «انتفاضة ٢٠ يونيو» ملحمة بطولية التحم فيها الشعب مع أبنائه العسكريين، فيما سجّلت نهاية التوازن القلق في اختبار القوّة بين الجبهة القومية وجبهة التحرير، إذ برزت

---

(١٥) هذا ما حدثني به السيد عبد الله صالح سبعة، الذي كان عقيداً في الأمن، وعضواً في الوفد المفاوض في جنيف، ومدير الأمن بعد الاستقلال.

الجبهة القومية قوة لا يمكن منافستها. وكتب المندوب السامي الجديد همفري تريفيليان عن ذلك ما يأتي:

«في صبيحة ٢٠ يونيو تمرد المرشحون المتدربون في معسكر ليك وأحرقوا بعض الأشياء. ولم يشاركهم جنود المعسكر التمرد، إلا أنهم لم يوقفوهم عند حدِّهم. وبعد ذلك مباشرة، أخبر أحد مثيري الفتن شرطة أمن الريف في معسكر «شامبيون» بأن الجيش البريطاني مقدم على مهاجمتهم، فلما مرت بعد زمن أمام المعسكر عربة محملة بالجنود البريطانيين أطلقوا عليها النار وقتلوا تسعة من الجنود. بعدها أطلقوا النار على المعسكر البريطاني المقابل لهم، وسببوا بعض الخسائر. وفي الوقت ذاته، قامت شرطة أمن الريف القائمة بحراسة مدينة الاتحاد بالتمرد، ودقّ المتمردون أبواب مكاتب السكرتارية وحطموا النوافذ ومزقوا الأعلام البريطانية والاتحادية.

لم يكن أمام الوزراء الاتحاديين إلا أن يذعنوا، وقد أمر وزير الدفاع بإعادة الضباط الأربعة الموقوفين إلى أعمالهم.






بوابة معسكر شامبيون لاينز

انتقل الشغب بعد ذلك إلى كريتر. فقد أخبر البوليس المسلح هناك بالهاتف أن القوات البريطانية ستقوم بالهجوم عليهم. وعندما سمعوا ذلك أصيبوا بالذّعر، فاقتحموا مستودع الأسلحة ثم وزعوها بينهم وعلى البوليس المدني الموجود في مركز كريتر. واتخُّذ قرار بألّا يُسمَح للدوريات البريطانية بأن تمرّ أمام معسكر البوليس المسلح. ولكن قبل أن يصدر قائد الفرقة البريطانية أمره بذلك، مرت ثلاث عربات عسكرية بريطانية أمام المعسكر، أطلق البوليس المسلح، وربما بعض الثوار أيضاً، النار عليها. ونتيجة لذلك، قتل ضابط وجنود بريطانيون، وقد استردت جثثهم في اليوم التالي.

كانت كل من إدارة المندوب السامي وقيادة الشرق الأوسط قلقتين على استرجاع السيطرة على كريتر، وعلى إعادة إرسال الدوريات البريطانية إلى هناك، إلا أن الموقف كان لا يزال متأزماً نتيجة لحرب الأيام الستة وحوادث ٢٠ يونيو.

وكان موقف كل من الجيش العربي والبوليس المسلح في حالة اهتزاز، ولربما تمردت قواتهما لأتفه الأسباب. ولو أنهما فعلا ذلك، لكانت نهايتهما، بل سيعني أيضاً انسحابنا المبكر وانتصار الثوار وترك معظم لوازمنا، والأهم من ذلك قيام حرب أهلية وإمكانية قتل كثير من البريطانيين الذين كانوا لا يزالون في الأرياف وفي العاصمة الاتحادية. لقد كانت كريتر أهم منطقة حساسة في ولاية عدن، ولم نودّ أن نعرضها للخراب.

انتظرنا نحو أسبوع، وكان موقفنا أمام الرأي العام حرجاً للغاية، لقد هاجمتنا الصحف البريطانية لترددنا في اتخاذ القرارات. ولكننا لم نشأ أن نخبر الصحافة سبب عدم عودتنا إلى كريتر.

لقد رأى البعض أن لا نعود إلى كريتر، بل أن نطلب من الجيش العربي أن يتسلم المدينة. ولكننا رفضنا ذلك، لأن قبول ذلك الرأي كان سيعرِّض مطار خورمكسر الواقع داخل مدى المدفعية – للخطر. كان لا بد لنا من أن نسيطر على كريتر لنحمي الجلاء. كذلك ضغط علينا الوزراء الاتحاديون لنسلِّم كريتر للجيش العربي، واقترحوا في الوقت ذاته أن ندعم البوليس المسلّح في شرطة أمن الريف. ولم نقبل ذلك أيضاً لأنه سيعني إضافة إلى القوة المتمردة قوة أخرى تمردت هي أيضاً. وخلال تلك الفترة استطاع الثوار أن يتجولوا داخل كريتر وهم مدججون بالسلاح.



**الصحافي البريطاني براين براون**

وتحدث الصحافي براين براون[١٦] عند زيارته لعدن عن أحداث ٢٠ يونيو التي كان شاهداً عليها، حيث قال: «كان أسطول الإجلاء البريطاني يبحر من مستعمرة عدن لينهي بذلك

(١٦) كان مراسل البي بي سي براين بارون قد غطى الأحداث قبل أربعين عاماً وعاد إلى عدن لجسّ مزاج المدينة.

١٣٠ عاماً من الحكم الإمبراطوري، وكان التمرد قد سحقه القائد العسكري البريطاني الذي اشتهر باسم «ميتش المجنون». كانت النهاية في عدن هي الأكثر حزناً ومأساوية بالمقارنة بالنهايات التي شهدتها بنفسي في نحو ٦ مستعمرات بريطانية أخرى. فقد شهد هذا المكان الصغير فوضى عارمة قبل ظهور كلمة النهاية التي تمثِّل آخر عمل قامت به القوات البريطانية في هذا المكان.

وخلال فترة التمرد أُعطيت قطعة سلاح لكل مواطن بريطاني بسبب المخاوف من تعرضهم للاغتيال. وكانت منطقة كريتر هي قلب التمرد، وقاد هذا التمرد شرطة عدن التي درّبها البريطانيون في منتصف عام ١٩٦٧، ما أدى إلى مجزرة في القوات البريطانية. وفيما كانت الحكومة البريطانية والقيادة العسكرية العليا مترددتين في اتخاذ موقف، أخذ المبادرة كولونيل بريطاني مثير للجدل اسمه كولن ميتشيل، وشهرته «ميتش المجنون»، الذي أعاد احتلال كريتر.



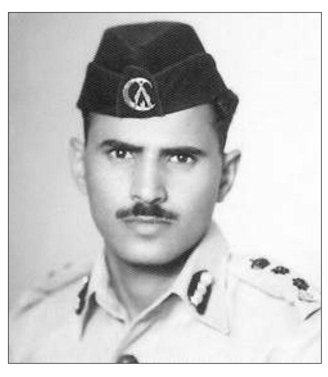
**كولن ميتشيل يقود سيارة عسكرية دشنت الهجوم على كريتر ١٩٦٧**

كان ميتشيل عسكرياً جريئاً لا يعرف الخوف. وقفت إلى جانبه في كريتر، وأمامنا ٤ من العرب كانوا قد قتلوا للتوّ بالرصاص، حيث قال: «إن الأمر مثل صيد الطيور»[١٧].

هذه هي الرواية البريطانية لأحداث ٢٠ يونيو، أما شهادة العقيد حيدر الهبيلي رئيس هيئة أركان الجيش العربي، فهي كالآتي:

في يوم ١/ ٦/ ١٩٦٧م كان توحيد القوات المسلحة في الجنوب بخمس كتائب من جيش الاتحاد النظامي وأربع كتائب من الحرس الاتحادي، وأطلق عليها مسمى (جيش الجنوب العربي) وتألفت قيادته من القوتين على النحو الآتي:

(١٧) العودة إلى عدن من دون ميتش المجنون، لندن «الأيام» براين بارون: ٢٧-١٢-٢٠٠٧ نقلاً عن الـ بي بي سي.



**الشريف العقيد حيدر بن صالح الهبيلي، وهو يحمل اليوم رتبة لواء وعضو مجلس الشورى اليمني**

١- المشرف على قيادة الجيش العميد داي - بريطاني (القائد الفعلي للجيش).

ب - قائد الجيش العربي العميد ناصر بريك عولقي.

ج - نائب القائد العقيد محمد أحمد بن موقع عولقي.

د - رئيس هيئة الأركان العقيد حيدر بن صالح الهبيلي.

هـ - قائد المنطقة الشرقية العقيد حسين عثمان عشال، موقع القيادة عتق.

و - قائد المنطقة الوسطى العقيد محمد سعيد شنظور، موقع القيادة لودر.

ز - قائد المنطقة الغربية العقيد أحمد محمد بن عرب، موقع القيادة الحبيلين.

بعد أسبوع من هذا التاريخ اجتمعتُ مع قادة المناطق وعدد من قادة الوحدات لتدارس الوضع في الجيش، وانتهى الاجتماع بالإجماع على أن ترفع مذكرة إلى حكومة الاتحاد والمندوب السامي البريطاني نوضح بها مطالب خاصة بتصحيح الوضع في الجيش.

تم إعداد تلك المذكرة ووقّع عليها المجتمعون، ورفعتُها يوم ١٤/ ٦/ ١٩٦٧م. وفي ذلك اليوم أحدثت هذه المذكرة إزعاجاً كبيراً لحكومة الاتحاد وإدارة المندوب السامي، وظُهْر نفس اليوم، طُلب مني سحب هذه المذكرة فرفضتُ ذلك الطلب، بالإجابة: «هذه مطالب ضرورية لا بد منها لكونها تطالب بتصحيح وضع الجيش».

في صباح يوم الخميس ١٨/ ٦/ ١٩٦٧م شعرنا بذلك الخطر القادم، وفي مساء ذلك اليوم الخميس ذهبت أنا والعقيد علي أحمد العبدلي إلى بيت وزير الدفاع فضل بن علي العبدلي، وشرحنا له خطورة الموقف، وطلبنا منه العمل على إصدار أمر قبل دوام يوم السبت بعودتنا إلى العمل لكي نجنب البلاد تلك الخطورة القادمة، ووعد بأن يدرس الأمر، ولكننا شعرنا بعدم تصديقه لنا في تلك الطروحات.

وبعد ظُهْر يوم الجمعة ١٩/٦/١٩٦٧م اجتمعت برئيس المجلس الأعلى الشيخ علي مسعد البابكري، وشرحتُ له خطورة الموقف القادم لليوم التالي السبت ٢٠/٦/١٩٦٧م

حيث كان أهم ذلك الطرح أنّ بريطانيا تريد زرع الفتنة بين تجمعات أبناء الجنوب وتحطيم المؤسسات الموجودة العسكرية منها والمدنية لكي يسهل عليها تسليم السلطة لفئة متطرفة عند رحيلها لتحافظ على مصالحها المستقبلية في الجزيرة العربية، لمست منه أنه اقتنع بذلك الطرح. وبالفعل ذهب في ذلك الوقت متحمساً وطلب عقد اجتماع مستعجل بعد مغرب ذلك اليوم الجمعة للمجلس الأعلى لحكومة الاتحاد، وطرح لهم خطورة الموقف، وطلب من المجلس الموافقة على إستصدار أمر تلك الليلة من طريق الإذاعة بعودة العقداء[١٨] إلى عملهم لقصد تجنب ما يمكن حدوثه.

وفي نحو الساعة التاسعة تستلمنا بلاغاً بأن هناك إطلاق نار من معسكر النصر من الأمن على دوريات الإنكليز الواقعة بين معسكر النصر ومعسكر ردفان، كانت حصيلته (١٥) قتيلاً من الإنكليز، وأن هناك قوة من الجيش الإنكليزي متقدمة نحو معسكر النصر من جهة المطار.

نحو الساعة العاشرة اعتدت كتيبة الأمن المتمركزة في مدينة الشعب بقيادة المقدم محمد حسين الجنيدي على مقر المجلس الأعلى، وكسر عناصرها الأبواب الزجاجية، حيث كان المجلس الأعلى مجتمعاً هناك، وقد أدى ذلك إلى هروب الجميع، وزراء وموظفين، كلاًّ إلى سكنه في مدينة الشعب.

كل تلك البلاغات كنا نتسلمها عبر الهاتف من غرفة عمليات الجيش التي كان فيها كل من: المقدم محمد عبد الله محرن، والرائد أحمد صالح حاجب، والرائد صالح أبو زنجبيله.

اتصلت في الحال بالأخ العقيد حسين عثمان عشال الذي كان يسكن في مدينة الشعب بالقرب من سكني، وأخبرته بالموقف وأن علينا الآن الخروج لمحاولة عمل ما يمكن عمله للحيلولة دون حدوث أي سفك للدماء في صفوف أفراد الجيش والأمن أو المواطنين، لأن الإنكليز سيكونون في حالة غضب شديد بعد حادثة القتل التي وقعت لهم قبل ساعات، والتي ارتكبها الأمن في معسكر النصر. هذا ملخص لشهادة العقيد حيدر.

## شهادة عبد اللّه سالم العوسجي

عندما علمنا باستشهاد زملائنا في معسكر (شمبيون لاينز) توجهتُ ومجموعة كبيرة إلى

(١٨) العقداء الأربعة: حسين عثمان عشال، حيدر الهبيلي، محمد سعيد شنظور اليافعي، أحمد محمد بن عرب.

مستودعات السلاح في معسكر البوليس المسلح بكريتر ففتحنا المستودعات بالقوة، ووزعنا الأسلحة والذخائر، وأبلغنا عبد الهادي شهاب مدير أمن عدن آنذاك الذي حضر فوراً والتقى بنا وتحدث إلينا، مطالباً بضرورة ضبط النفس وعدم التهور، وأبلغناه حينها بإشعار القوات البريطانية بعدم دخول عدن، حيث تمركز رفاقنا فوق سطوح المنازل والمعسكر.

وما هي إلا دقائق، وإذا بالقوات البريطانية تتجه نحو المعسكر، فأطلقنا النار عليها، فقُتل منهم تسعة عشر جندياً، وعند سماع عبد الهادي إطلاق النار، قال للجنود الذين كان يحاضرهم: عليكم الاستعداد وأخذ المواقع المناسبة قبل الهجوم الجديد للقوات البريطانية، وهنا انتشر الجنود فوق العمارات الخارجة عن المعسكر، وجاءت طائرة هيلكوبتر للاستطلاع على ارتفاع منخفض، فأطلقت النار عليها وأصيبت، فسقطت على جبل شمسان. وبعد ذلك جاءت الدبابات متجهة صوب المعسكر، حيث أطلقت النار على الجنود المتمركزين على سطوح المعسكر، وكان جنودنا في العمارات الواقعة خلف الدبابات، فأصابوا جنود الإنكليز المتمركزين فوق الدبابات وقتلوهم، وانسحبت الدبابات. وبعدها أرسلوا قوات مشاة اشتبكت مع الجنود الموجودين خارج المعسكر، حيث قتل منهم ثلاثة وانسحبوا، وطوقت القوات البريطانية عدن من الجهة الشرقية وهناك تأزم الموقف، حيث أبلغنا أحد المواطنين بأن هناك جندياً إنكليزياً مصاباً في إحدى العمارات بجانب المعسكر. وقال عبد الهادي مدير الأمن: «سنستفيد من هذا الجندي»، وقال له إن الذين يحاولون اغتياله هم الثوار، والمدافعون عنه هم جنود المعسكر، وطلب منه أن يوقِّع على رسالة موجهة إلى المندوب السامي البريطاني مع نسخة إلى قائد القوات البريطانية ومجلس الاتحاد، يفيد فيها بأن المسبِّبين لما حدث هم الفدائيون، لا جنود معسكر ٢٠ يونيو، وهذه دبلوماسية تشهد بحنكة عبد الهادي شهاب. وهنا هدأ الموقف واتصلوا بعبد الهادي شهاب وطلبوا منه حماية كريتر.

## على أبواب النصر والاغتيالات... وشبح الاقتتال والحروب الأهلية

كان اغتيال عبد الله عبد المجيد السلفي، ومن ثم عبد النبي مدرم وماهر خليفة وتفجير مكاتب صحيفة «الأمل» وغيرها من أعمال الاغتيال والترويع والنسف، سبباً في تأجيج ردود الفعل.

واغتيل أيضاً القائد النقابي علي حسين القاضي قبل ذلك. وبديهي أن الجبهة القومية قد قامت من جانبها بطائفة من الإجراءات المضادة والاعتقالات، ولم تكن لتتورع عنها في ظل الأجواء المتداخلة.

لقد اعتقلت جبهة التحرير في ذلك الطوفان من الصراعات القائد فيصل عبد اللطيف، ومعه محمد أحمد البيشي، في طريق عودتهما إلى عدن بعد مشاركتهما في تحرير منطقة الحواشب (المسيمير)، وأخذتهما أسيرين إلى تعز، ومن هناك إلى القاهرة بحجة الاشتراك في مفاوضات الوحدة الوطنية. وقد أصدرت الجبهة القومية بياناً «حول احتجاز فيصل والبيشي» نشرته «المصير»[١٩] في ٢٦ آب/ أغسطس ١٩٦٧م. وفي مجرى هذه الأحداث انضمت فرقتا «المجد» و«الوليد» التابعتان لجبهة التحرير إلى الجبهة القومية، وصدر عن الجبهة بيان بشأن انضمامهما في ٤ أيلول/ سبتمبر.

وفيما أعلن ممثلو جبهة التحرير في بيروت في لقائهم بعثة الأمم المتحدة في أواسط أيلول/ سبتمبر، على لسان محمد علي الأسودي أن جبهة التحرير هي ممثلة شعب الجنوب، وأن الجبهة القومية «تنظيم ثانوي»، اندلعت المعارك الطاحنة بين الفريقين في عدن في الفترة من ٣ إلى ٦ سبتمبر ١٩٦٧م، وهددت الدوامة بالتوسع، وانحسار الثورة، وهو ما دفع الجماهير الشعبية ومنظماتها الاجتماعية وقيادات الجيش إلى التدخل والتوسط. وعقد لقاء بين وفد للجبهة القومية ضمَّ سلطان أحمد عمر ومحمد صالح مطيع ووفد جبهة التحرير، في الفترة بين ١١-١٣ أيلول/ سبتمبر توصّل، في نهاية الأمر، إلى قرار بوقف إطلاق النار في الشيخ عثمان والتعهد بعدم تكراره، ووقف الاغتيالات وأعمال الاستفزاز في المناطق الأخرى، والعودة الطبيعية للأوضاع إلى المناطق التي جرى فيها الاقتتال، وهي الشيخ عثمان والمنصورة والقاهرة، وشُكِّلت لجنة مشتركة من التنظيمين لمتابعة تنفيذ القرارات. وفي الثامن والعشرين من الشهر، ذكرت نشرة «صوت الشعب» التي تصدر عن الجبهة القومية أن هذه الأخيرة وجبهة التحرير أصدرتا بياناً في القاهرة بشأن الأحداث الأخيرة بينهما. وقد تضمن هذا البيان قرارات مهمة، هي:

(١٩) المصير: كانت تصدر في عدن قبل الاستقلال لصاحبها عبد الله مسعد الحمزي.

- وقف الاقتتال الأهلي وإطلاق سراح المحتجزين.
- تشكيل حكومة انتقالية.
- وضع دستور مؤقت.

وذكرت النشرة أن لقاءً آخر سينعقد بين الجبهتين يوم الثالث من أكتوبر، ومضت تقول: «كان الصراع الأهلي الدائر بين الجبهة القومية وجبهة التحرير في الفترة من ٣ إلى ٦ أكتوبر ١٩٦٧م، والذي يسود منطقة الجنوب المحتل عامة ولحج ودار سعد والشيخ عثمان خاصة، قد سبّب للثورة الشعبية سلبيات وخيمة».

وقد اندلع الاقتتال الأهلي من جديد خلال الفترة بين ٣ إلى ٦ نوفمبر ١٩٦٧م، بالرغم من إعلان الجيش تدخله في الحرب وتشكيل لجان صلح في الاقتتال الأهلي، وقد رفضت جبهة التحرير الوساطة، ما دفع معظم الضباط في الجيش إلى الانحياز إلى الجبهة القومية، وكان ذلك في ٦ نوفمبر ١٩٦٧م.

كان إيقاع الأحداث متسارعاً والأنظار مشدودة إلى عدن، وإلى الخطوات التي ستخطوها بريطانيا للخروج من المأزق، في وقت أصبحت فيه الجبهة القومية بقلب الأحداث تتحكم في وجهتها، وتقوم الجامعة العربية بضغط من عواصم عربية معينة بالتحرك لردّ الاعتبار إلى المجموعات السياسية المحافظة والمترددة التي لفظتها التطورات إلى خارج ساحة الصراع. فقد دعا الأمين العام للجامعة القوى السياسية في الجنوب المحتل إلى بحث مستقبل البلاد ومصيرها مع اقتراب موعد الانسحاب البريطاني. وكان المدعوون خليطاً من ممثلي رابطة أبناء الجنوب والسلاطين والحزب الوطني، وقد ردّت الجبهة القومية بالرفض، واعتبرت هذا التحرك بمثابة محاولة التفاف على الثورة، وخابت المحاولة.

وفي غمرة ذلك الكمّ من الأحداث ومن الاستقطابات اليومية، طرح كثير من قيادات وأجهزة الجبهة القومية السؤال: ماذا بعد الاستقلال؟

بقي السؤال معلقاً دون جواب، لأن اندفاعة الأحداث لم تكن تفسح لنا المجال كي نتأمل بعمق في هذا السؤال. (فيما تبلورت لدى قيادة الجبهة وقطاعها العسكري قناعة تامة بأنّ من الضروري حسم الخلاف مع جبهة التحرير وإخراجها بالقوّة من ساحة الصراع، لأن

الاستغراق في المعارك والاتفاقات والتسويات يشجع قيادة جبهة التحرير على عقد صفقة مع الوجود البريطاني في اللحظة المناسبة). وكان هذا، كما أرى، تقديراً صحيحاً وعاملاً - في ما بعد - لشلّ التنسيق بين الطرفين المذكورين، أو بين الإنكليز وقيادات معروفة في جبهة التحرير على وجه التحديد. ولم يبقَ في الساحة غير قوّة وحيدة مقرِّرة هي الجبهة القومية. ولكن تحقيق ذلك تطلَّب تضحيات ومعاناة وخسائر دفع شعبنا وكثير من الأبرياء ضريبتها، وكان يمكن التقليل منها.

# الفصل الثامن عشر

## ١٩٦٧ عام الحسم والانتصار
## وسقوط الاستعمار

## بعثة الأمم المتحدة

في الثالث من أبريل وصلت البعثة الدولية إلى عدن[1]، وحدّدت السلطات البريطانية إقامتها في «فندق سيفيو» بخور مكسر، وهي منطقة احتراز عسكري مشدد بسبب وجود المطار والقوّة العسكرية والمستشفى. وكان الهدف من ذلك منع اتصال البعثة بالمواطنين أو بأطراف الحركة الوطنية. بل إن السلطات البريطانية سعت لحمل البعثة على الاجتماع بحكومة الاتحاد، فرّد مسؤولو البعثة بأن الأمم المتحدة لا تعترف بهذه الحكومة. وبادرت الحركة الوطنية إلى قيادة تظاهرات وفعاليات احتجاجية لإسماع صوتها للبعثة الدولية والرأي العام العالمي، ونظمت عملية اعتصام جريئة أمام مقر إقامة البعثة في ساحل خور مكسر. وتعرضت القوات البريطانية في اليوم الأول لوصول البعثة لـ (١٧) هجوماً، وكانت أصوات الرصاص ومدافع الهاون تدوي في كل مكان من المدينة، ولم تتمكن اللجنة من مغادرة فندق «سيفيو» بخور مكسر، وتوقفت في المدينة الأعمال والمواصلات، وخرجت الجماهير في تظاهرات صاخبة، إذ كان الشعب يريد أن يوصل صوته إلى بعثة الأمم المتحدة ويهتف بسقوط الاستعمار وبحياة الثورة. وهطلت الأمطار بشدة، وغرقت المدينة بمياه السيول.

ومنذ الليلة السابقة لوصول البعثة بدأت طائرات الهيلكوبتر في محاولة تفريق تجمعات الجماهير بإلقاء قنابل الدخان.

---

(١) تشكلت بعثة الأمم المتحدة المكلفة تقصي الحقائق في عدن، الذين انطلقوا تمام السابعة والنصف من مساء الأحد الموافق ٢ أبريل ١٩٦٧م من مطار جدة السعودي على متن طائرة خاصة تابعة للأمم المتحدة، ونزل أعضاؤها في فندق سيفيو بخور مكسر وسط إجراءات أمنية شديدة، وسبق أن أعلنت جبهة التحرير والجبهة القومية مقاطعتهما اللجنة.

وفي مدينة «الشيخ عثمان»، حاصرت الجماهير مركز البوليس، ولم تستطع فكّ الحصار عنه إلا نجدة من السيارات المصفحة لفرقة «كوينس دراغن غاردس» وجنود «ثري أرانجلين». وأثناء ذلك تمكن ثوار الجبهة القومية من نسف إحدى مصفحات «صلاح الدين» وتحطيمها بعملية استشهادية.

كان الهدف من هذه العملية الاستيلاء على الشيخ عثمان. وأبرق أحد المراسلين الأجانب قائلاً: «إنه لم يشهد مثل ذلك القتال حتى في قلب معارك سايغون»، وأطلق البعض على مدينة الشيخ عثمان في تلك الأيام التي كانت تشهد مواجهات ساخنة بين الثوار وجنود الاحتلال اسم «سايغون العرب».

وفي اليوم التالي، لم يستطع الجنود البريطانيون أن يتقدموا بدورياتهم، وفضلوا البقاء بعيداً عن ساحات المدينة ومعاركها، إلا أن رصاص الثوار استمرّ يلاحقهم في كل مكان. وفي ذلك اليوم سقط شهيدان آخران.

وفي اليوم الثالث قامت البعثة بزيارة سجن المنصورة واستمعت إلى شكوى المعتقلين، وأعدّت في ضوء تلك الزيارة بياناً حاولت إذاعته عبر إذاعة عدن، لكنها أخفقت في ذلك، بسبب معارضة البريطانيين. وقد تضمن البيان الذي نشر في وقت لاحق قناعة البعثة بضرورة ضمان استقلال جنوب اليمن المحتل، مسجِّلاً العراقيل التي وضعتها السلطات البريطانية والمندوب السامي أمام مهمتها، إذ لم يتعاونوا معها حسب الاتفاق مع حكومة بريطانيا. وفي السابع من أبريل غادرت البعثة الدولية عدن، مخلّفة أسئلة كبيرة عن مدى جدية بريطانيا بالانسحاب من الجنوب، ومدى صدقية التعهدات التي قدمتها للأمم المتحدة، وحول إمكانية تراجع لندن تحت ضغط الحوار والمناشدات!

ولعل النتيجة الطبيعية التي استخلصها المواطن العادي بعد مغادرة بعثة الأمم المتحدة، هي أن المستعمرين لن يتركوا البلاد دون أن يصار إلى تصعيد الكفاح المسلح. وهو استنتاج يصبّ في مصلحة الجبهة القومية ويعزّز خطها السياسي والعسكري، ويبدّد الأوهام التي تسود في جبهة التحرير ولدى بعض القطاعات الوطنية بشأن إمكان إحراز الاستقلال بالتفاهم مع بريطانيا.

وبدأ الثوار في الوقت ذاته من خارج أسوار السجن وسطوح بيوت المنصورة القريبة بفتح معركة ضد القوات البريطانية المحيطة بالسجن، مستخدمين كل أنواع الأسلحة من مدافع ورشاشات وبنادق وقنابل، وحوصر أعضاء البعثة داخل أسوار السجن إلى المساء. وفي الأخير، قررت قوات الأمن نقلهم إلى الفندق بطائرة هيلكوبتر، بينما نقلت بقية موظفي البعثة بالعربات المصفحة تحت حراسة مشددة.

وفي اليوم الرابع لوصول بعثة الأمم المتحدة، نفّذ الثوار أربعين هجوماً على القوات البريطانية في «الشيخ عثمان» وحدها. ولما رأت السلطات البريطانية أن هدف الثوار هو الاستيلاء على المدينة، أصدرت الأوامر لقواتها بأن تستمر في إطلاق النيران في كل الاتجاهات، في محاولة لردع الثوار وإرهاب السكان. وأصدروا لها الأوامر بانتهاك حرمة المساجد واقتحامها، وباقتحام واحتلال أي منزل يُشَك في أنه مصدر للنيران. وقد استشهد في ذلك اليوم فدائيان وجرح ثلاثة من الثوار.

في اليوم الخامس غادرت البعثة عدن غاضبة احتجاجاً على منع السلطات البريطانية لها من توجيه خطاب إلى الشعب عبر الإذاعة والتلفزيون تؤكد فيه تعاطفها مع قضية الشعب في الجنوب المحتل، ووقوف المنظمة الدولية بجانبه في إدانة السلطات البريطانية وصنيعتها حكومة الاتحاد.

وقد بلغ عدد العمليات ذلك الأسبوع المجيد المليء بصور الكفاح والبطولات (٢٨٠) عملية، سببت سقوط (٦٤) جندياً بين قتيل وجريح[٢].

في ٣٠ أبريل سقط الفدائي خالد هندي شهيداً عندما كان عائداً من عمله إلى منزله، في عملية غدر نفذها عملاء بريطانيا. وكان الشهيد قد قضى زهاء عامين في سجون الاحتلال قبل ذلك.

---

(٢) من ضمن عشرات المشاهد الدموية التي كانت تنقلها الصحافة المحلية، التقطت هذا المشهد من صحيفة «فتاة الجزيرة» في عددها الصادر يوم الاثنين الموافق ١٠ أبريل ١٩٦٧م والذي أوردت من خلاله كشفاً بحصاد القتلى خلال الأسبوع المنصرم، وهم: حيدر شمشير ومحمد عبد الله علي ومنصور صالح علي وسعيد محمد دعار وعلي محمد سريب وعاطف ضالعي محمد وعلي أحمد ميسري وصالح عبد الوهاب وإبراهيم عبيد حسن ومحمد أحمد سعيدي وعلي بن عبد الله وأحمد عبد الرب وصالح قاسم النقيب يافعي ونجيب عبد الله سيف، كذلك أوردت كشفاً بأسماء ٣٢ جريحاً.

وفي اليوم ذاته، ارتكبت قوات الاحتلال مجزرة بشعة، حين انفجر لغم بسيارة باص تقل طلبة كلية بلقيس بالشيخ عثمان، فقتل على الفور سائق الباص وستة من الطلاب، كذلك جرح أربعة عشر منهم. وأثار هذا الحادث سخطاً عاماً بين صفوف الجماهير، وقد أدينت المخابرات البريطانية في مسؤوليتها عن هذا العمل الإجرامي، ودعي إلى إضراب عام استنكاراً لذلك الحادث البشع الذي أودى بحياة مدنيين أبرياء، وأرواح صغار طاهرين.

بدأت السلطات البريطانية بترحيل عائلات أفراد القوات البريطانية إلى لندن. وغادر عدن حتى الأول من مايو ما يقارب ٨ آلاف فرد، واستمرت عمليات الترحيل حتى منتصف الشهر.

وفي العشرين من مايو، وصل إلى عدن السير «همفري تريفليان»، (اللورد في ما بعد) آخر مندوب سامٍ بريطاني في عدن، وتحددت مهمته في إجلاء القوات البريطانية عن عدن وترحيلها إلى بلادها بسلام. وكانت هذه الخطوات تعني أن الثورة بدأت في ممارسة الضغط السياسي والعسكري على بريطانيا للتسليم بإنهاء وجودها في الجنوب وإجلاء قاعدتها وقواتها من البلاد، لكنها في الوقت نفسه كانت تُعدّ للبديل الذي تثق به ليحلّ محلها، ولم تكن قد اعترفت بعد بالجبهة القومية وبشرعيتها ممثِّلة للشعب في الجنوب، أو بجبهة التحرير، رغم أن هذه الأخيرة لم تكن محظورة.

وهكذا نجدها توقِّع في ١٥ يونيو على قائمة بتسريح عدد من الضباط الوطنيين من الخدمة، وبدأت السلطات البريطانية في عدن وحكومة الاتحاد بإعداد قوائم بتسريحات جماعية لآخرين.

وفي الوقت نفسه، استمر إضراب عمال ميناء عدن، ما ألحق أضراراً جسيمة بالشركات البريطانية العاملة في عدن. وواصلت قوات الاحتلال انسحابها من المناطق الريفية وأخذت تتجمع في عدن.

في ١٩ يونيو، نفّذت مجموعة عسكرية ومدنية ما يشبه عملية تطويق للمجلس الأعلى لحكومة الاتحاد، الذي أظهر عجزه عن معالجة الموقف المتدهور في مؤسستي الجيش والأمن.

ومدّت القوات البريطانية سيطرتها العسكرية على ميناء عدن، بعد أن شلّه إضراب عمال

الميناء، وكونت هيئة عسكرية لإدارته. واستطاعت في اليوم ذاته إحباط محاولة للتمرد في معسكر «فقم» الواقع في عدن الصغرى.

وفي هذا اليوم ١٩ يونيو، أعلن وزير الخارجية البريطاني سياسة حكومته القاضية بتحديد تاريخ الاستقلال، ووعدها بتقوية الجيش الاتحادي وقواته الجوية، وكذلك توفير دعم جوي من حاملات الطائرات البريطانية الراسية قرب شواطئ المنطقة للحكومة الاتحادية بعد الاستقلال.

وحتى هذا الوقت، لم يكن في ذهن بريطانيا تسليم حكم الجنوب لأيٍّ من الجبهة القومية أو جبهة التحرير، اللتين كانتا تقودان الثورة. وقد دفع الإعلان البريطاني الجديد ثوار الجبهة القومية إلى التفكير في القيام بعمل سريع للردّ على هذا التحدي.

## ثورة البركان في عدن

«كريتر» تعني باللغة الإنكليزية فوهة البركان.

ولم تأت هذه التسمية التي تطلق على مدينة عدن من فراغ، إذ تتكون أغلبية شبه جزيرة عدن من سلسلة جبلية هائلة، وسماها البعض «زهرة البركان».

هذه هي كريتر، المدينة التاريخية التي تحتضنها سلسلة من الجبال السوداء، ويحيط بها سور عظيم بُني منذ مئات السنين لحمايتها من القراصنة والغزاة. ويحيط بها البحر من ناحية الشرق وقلعة صيرة التاريخية، وهي النقطة التي دخل منها جنود الاحتلال بقيادة القبطان هينس بعد مقاومة شديدة من الأهالي في معركة لم تكن متكافئة. وللمدينة منفذ واحد يسمى باب عدن أو (عقبة عدن).

لكن البركان العدني تفجرت حممه في العشرين من يونيو ١٩٦٧م في وجه قوات الاحتلال البريطاني، وفي تضامن رائع صنع الثوار والجنود والجماهير ملحمة رائعة بتحرير مدينة كريتر حاصر خلالها جنود الاحتلال المدينة وقطعوا الكهرباء والماء، فأثبتت صهاريج الطويلة مرة أخرى فائدتها والأهمية من بنائها، حيث لجأ الأهالي والسكان إليها لضمان حاجتهم من المياه في ظروف الحصار. وكانت الأمطار والسيول التي تدفقت بكثرة في شهر أبريل عام ١٩٦٧ على مدينة عدن قد ملأت تلك الصهاريج بالمياه.

من هنا كانت البداية عندما احتلها البريطانيون في عام ١٨٣٩م، ومن هنا أيضاً كانت النهاية عندما خرجت قواتهم وقواعدهم في ٣٠ نوفمبر عام ١٩٦٧م[٣].

يقول الجنرال لنت عن نهاية إمبراطوريته:

«لا أعتقد أننا كنا مضطرين إلى مغادرة عدن بالأسلوب الذي غادرنا به. تقريباً في ظل قضية أخرى، وفي كل مستعمرة تركناها، كانت الفرقة الموسيقية تعزف (لن نعود مرة أخرى)، وكانت هناك دموع كثيرة، وفي بعض الحالات ندم كثير من الناس لرحيلنا، ولكننا غادرنا عدن كاللصوص في ظلمة الليل تقريباً. وتركنا الملكة فكتوريا خلفنا، وهي الآن ترقد في زاوية خلفية من متحف».

## حديقة الملكة فكتوريا

كان الإنكليز قد صنعوا تمثال الملكة فكتوريا من مدافع المقاومة الوطنية التي استولوا عليها بعد احتلالهم عدن في عهدها، والآن ها هم يتركونه خلفهم بعد ١٢٩ عاماً من الاحتلال، دون أن يتمكنوا من أخذها معهم. لكنّ تمثالها أُعيد بعد الوحدة اليمنية عام ١٩٩٠م.

## ثوار الجنوب

كان ٢٠ يونيو ١٩٦٧م «المقدمة» ليوم النصر الأكبر، يوم الاستقلال. لكن ما الذي حدث في ذلك اليوم الأغر حتى يكتسب تلك الأهمية في تاريخ الثورة وحرب التحرير في الجنوب المحتل؟ لقد كان رداً عربياً مناسباً وذا مغزى عميق، وله دلالات تاريخية وسياسية ووطنية وقومية.

---

(٣) تقول جريدة الديلي تليغراف البريطانية في عددها ١١ نوفمبر عام ٢٠٠٠ إنه منذ عام ١٩٤٥ حدث ما لا يقل عن ستة عشر صراعاً قتل فيه جنود بريطانيون أثناء القيام بالواجب، ففي اليمن الجنوبي قالت إنه قتل ٦٨ جندياً وضابطاً بريطانياً في الفترة من ١٩٦٤ إلى ١٩٦٧ (لكن الأعداد الكبيرة للقتلى البريطانيين كانت في بداية الثورة عام ١٩٦٣م وما قبلها)، وفي عمان وظفار قتل ٢٤ في الفترة من عام ١٩٧٠ إلى عام ١٩٧٦م، وفي فلسطين ٢٣٣ في الفترة من ١٩٤٥ إلى ١٩٤٨، وفي السويس ٢٢ عام ١٩٥٦، وفي مصر في الفترة من ١٩٥١ إلى ١٩٥٤ قتل ٥٤ شخصاً، وفي حرب الخليج عام ١٩٩١م قتل ٤٧ شخصاً.

كان يوم العشرين من يونيو يوماً حافلاً بالأحداث والدلالات الكبيرة، التي دارت في أماكن أربعة، هي معسكر «ليك» (الشهيد عبد القوي حالياً)، ومدينة «الاتحاد» (الشعب حالياً)، ومعسكر «شامبيون» (النصر حالياً)، و«معسكر البوليس المسلح» آرم بوليس والذي سُمِّي معسكر ٢٠ يونيو ومعسكر زنغفورلين (طارق حالياً) ومعسكر صلاح الدين ومعسكر سبأ. وكل هذه التسميات الجديدة للمعسكرات أطلقها المقدم أحمد محمد بلعيد.

بعد عجز القوات البريطانية عن استرداد المدينة وإسقاطها من خارج الأسوار، لجأت شبكة المخابرات البريطانية وعملاؤها إلى تدبير عملية اغتيالات واسعة ضد ثوار الجبهة القومية، فأقدمت على اغتيال قائد المقاومة الشعبية والمسؤول العسكري عن منطقة كريتر عبد النبي مدرم في الثاني والعشرين من يونيو.

وأكدت الجبهة القومية أنه كان واضحاً أن الهدف من اغتيال عبد النبي مدرم هو ضرب الإجماع الشعبي والدفع بالحركة الوطنية مجدداً إلى دوامة الاقتتال الأهلي. وبعد الاستقلال أطلق اسم الشهيد «مدرم» على الشارع الرئيس في مدينة المعلا، وهو أحدث وأطول وأجمل شارع في عدن، ويمتد نحو كيلومترين.

في الرابع والعشرين من يونيو، استكملت بريطانيا سحب قواتها من كل المناطق الريفية، وتمركزت في عدن. وسجل الانسحاب انتصاراً باهراً للثورة بقيادة الجبهة القومية.

وقد تعرض المندوب السامي البريطاني «همفري تريفليان» وإدارته لهجوم عنيف في الصحف البريطانية بسبب نجاح الجبهة القومية في تحرير مدينة «كريتر» خلال انتفاضة العشرين من يونيو ١٩٦٧م. كانت خلالها كريتر حديث العالم ووسائل وأجهزة إعلامه جميعاً. وعُدَّ ذلك الانتصار التاريخي هزيمة للعسكرية البريطانية أمام ثوار محدودي الإمكانات، ولكن يحظون بالتفاف وتأييد جماهيري واسع. وعُدَّ ذلك الانتصار أيضاً ثأراً للكرامة العربية التي جرحتها وأدمتها هزيمة حزيران ١٩٦٧، وقد كان الفدائيون يقومون مع المواطنين باستعراضات عسكرية في بعض شوارع المدينة لرفع معنويات الشعب.

ولم تتمكن القوات البريطانية من دخول «كريتر» إلا في السادس من يوليو ١٩٦٧م عندما حصل الاتفاق بينهم وبين المقدم أحمد محمد بلعيد وفقاً للشروط المشار إليها أعلاه.

وتقدمت خفية من طريقين: أحدهما من «معاشيق»، والثاني من الطريق البحري. وكان الثوار قد انسحبوا من المدينة بعد أن حققوا النصر السياسي الذي أرادوه حتى لا يعرضوا المدينة الباسلة للدمار، ولحماية المدنيين الأبرياء.

بعد إعادة استيلاء القوات البريطانية على «كريتر»، قامت بالسيطرة على كل عمارة عالية واستراتيجية، وأخرجوا عدداً من العائلات من بيوتها وتمركز عسكر القناصة البريطانيون فوق أسطحها أو فيها، فإذا رميت قنبلة أو انطلق رصاص انهالوا برشاشاتهم في كل الاتجاهات. كانوا الآن يعيشون حالة ذعر حقيقية، ويتوقعون الموت في أي لحظة ومن كل مكان.

في ٢٩ يوليو، بعثت الجبهة القومية ببرقية إلى السكرتير العام للأمم المتحدة حينذاك «يوثانت»، وإلى رئيس لجنة تصفية الاستعمار الدولية، معبرة عن رفضها وعدم التزامها أية حلول أو تسويات تصل إليها الأمم المتحدة مع المندوب السامي البريطاني في عدن دون أخذ رأي الجبهة القومية وموافقتها مسبقاً.

دعت الجبهة القومية في الحادي عشر من أغسطس إلى إضراب عام احتجاجاً على الممارسات القمعية التي تمارسها سلطات وقوات الاحتلال البريطاني ضد المواطنين العزل، ولبّت الجماهير النداء حيث توقفت الحركة في كل المناطق.

وفي الثامن عشر من الشهر ذاته، اغتال ثوار الجبهة الكابتن «جيفرسون» من الجيش الاتحادي، وهو في طريقه بسيارته إلى مدينة الاتحاد. وعلى إثر هذا الحادث اتخذت السلطات البريطانية قراراً بسحب جميع موظفيها وضباطها الإنكليز من المدينة.

في الأسبوع ذاته اغتيل ضباط آخرون، وجرت أيضاً محاولة لنسف السكرتارية. ونتيجة لكل ذلك، اضطرت السلطات إلى تشديد إجراءات الأمن والحراسة على ضباطها وموظفيها من الإنكليز. وفي إجراء احترازي منعوهم من الذهاب بسياراتهم إلى محطات البنزين للتزود بالوقود، أو شراء حاجاتهم من الدكاكين، إلا في أوقات معينة وتحت حراسة مشددة. ولم يعد يسمح لهم بالحركة ليلاً إلا جماعياً وبمرافقة دوريات حراسة.

وفي الثالث والعشرين منه، أطلق ثوار الجبهة القومية ثماني قنابل «مورتر» ٨ مم على دار المندوب السامي البريطاني الكائنة في منطقة حصينة وعسكرية في التواهي، وكان المدفع

من سلاح الجيش وكان طاقم المدفع الذي أطلق القنابل جنوداً من الجيش، وعلى رأسهم عبد الله محمد امجذارة.

وقصف الثوار بمدافع «الهاون» الثقيلة المطار الحربي في «خور مكسر» وواصلوا قصف معسكرات جنود الاحتلال في العاصمة، حيث أدت هذه الهجمات إلى إلحاق أضرار جسيمة بالعتاد والأرواح. هذا المدفع مع ذخيرته كان قد أرسله محمد حيدرة (مسدوس) إلى سالمين بسيارة الجيش من الحبيلين، وقام بالقصف على المطار محمد سالم امعسل.

وفي الثلاثين من الشهر صدر بلاغ للجبهة القومية، عرض الأحداث الكفاحية المهمة التي شهدتها البلاد في الأسبوع الأخير من ذلك الشهر. كذلك شنّ الفدائيون هجوماً مركزاً على نقطة التفتيش رقم (٦) في دار سعد لمدة ساعة ونصف، اضطر جنود الاحتلال على إثره إلى الانسحاب الكامل من تلك النقطة.

حلّ الأول من سبتمبر والاتحاد «المزيف» يلفظ أنفاسه الأخيرة على إثر استقالة رئيس الحكومة الاتحادية بالنيابة أثناء تحرير الجبهة القومية للمناطق الريفية. وفي الخامس من سبتمبر ألقى آخر مندوب سامٍ بريطاني في عدن «همفري تريفليان» بياناً عبر الإذاعة والتلفزيون، أعلن فيه سقوط الاتحاد وأن حكومة اتحاد الجنوب العربي لم يعد لها وجود. وكانت هذه هزيمة قاسية للمشروع الاستعماري البريطاني الذي كان يهدف إلى إحلال حكومة الاتحاد محله حين رحيله، إذ وعدها بدعم عسكري واقتصادي. ولكن بانهيار هذه الحكومة، انهار ذلك المشروع وبات الطريق مفتوحاً أمام الانتصار النهائي للثورة.

وفي اليوم ذاته، بعث ممثلو الدول العربية في الأمم المتحدة مذكرة إلى الأمين العام للمنظمة الدولية «يوثانت»، رفضوا فيها خطة بريطانية استهدفت تدويل جزيرة (بريم - ميون)، باعتبار أن تلك الخطة انتهاك لقرارات الأمم المتحدة.

في الثامن من الشهر، أعدت قوات الاحتلال البريطاني العدة للانسحاب من مدينة «الاتحاد» في عدن باتجاه التمركز في «التواهي» و«خور مكسر».

في التاسع من الشهر، سقط أحمد سالم طيحل الشهير باسمه الحركي «عباس» شهيداً في مدينة «الشيخ عثمان» عندما كان ينفذ عملية عسكرية ضد قوات الاحتلال.

وأمام اشتداد هجمات الثوار انسحبت قوات الاحتلال من منطقتي «الشيخ عثمان» و«المنصورة» في ٢٤/ ٩، بعد أن كانت قد انسحبت من عدن الصغرى «البريقة» في الثالث عشر من الشهر ذاته، وتمركزت القوات المنسحبة من الشيخ عثمان في خنادق جديدة تم حفرها وتحصينها في منطقة «المملاح» لكي تحمي منها المطار والطرق المؤدية إليه لتأمين ترحيل قواتها عندما تحين لحظة الرحيل النهائية. وقد ظلوا متخندقين هناك حتى تاريخ انسحابهم النهائي في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م.

في الثامن والعشرين من سبتمبر شنّ ثوار الجبهة القومية هجوماً عنيفاً بالمورتر على ثكنات كانت للقوات البريطانية في «التواهي» في نطاق عمليات الجبهة الرامية إلى تشديد الضربات العسكرية على قوات الاحتلال لإجبارها على الرحيل.

وفي ١١ أكتوبر وصل إلى عدن سبعمئة من جنود «الكوماندوس» الإنكليز على ظهر حاملة الطائرات «بولو أرك». وكثفت الجبهة من عملياتها العسكرية، وأصدرت بياناً دعت فيه الجماهير إلى تشديد النضال من أجل قيام جمهورية مستقلة ديموقراطية. وفي الرابع عشر من أكتوبر شنّ ثوار الجبهة هجمات عنيفة على القوات البريطانية في منطقتي «التواهي» و«كريتر». وأعلنت الجبهة ذلك اليوم يوم عطلة عامة، وذلك بمناسبة مرور أربع سنوات على قيام الثورة.

وأطلق الحرس الشعبي التابع للجبهة يوم ١٧/ ١٠ سبع قذائف «هاون» على مجموعة كبيرة من جنود الاحتلال البريطاني كانت تقوم بعملية تفتيش في حيّ «الروضة»، وأدى الهجوم إلى سقوط عدد من القتلى والجرحى من جنود الاحتلال. وفي العشرين من الشهر، أعلنت الجبهة أن أحد فدائييها نفذ حكم الشعب في مستشار حكومة الاتحاد المنهارة «ديريك روزو». ووقعت عملية الاغتيال أمام مبنى السكرتارية في مدينة «التواهي». كذلك شهدت مدينة كريتر في اليوم ذاته موكباً جماهيرياً مهيباً شيع فيه الآلاف أربعةً من المواطنين، اثنان منهم من فدائيي الجبهة القومية، كانا قد استُشهدا في اليوم السابق برصاص جنود الاحتلال.

في اليوم ذاته غادر المندوب السامي البريطاني «همفري تريفليان» عدن متوجهاً إلى لندن في مهمة وُصفت بأنها لإجراء مشاورات بشأن تطورات الوضع الناشئ عن اعتراف لندن بسقوط حكومة الاتحاد ونجاح الجبهة القومية في تحرير معظم مناطق البلاد.

وألقى وزير الحرب البريطاني «دينس هيلي»، بياناً أمام مجلس العموم في لندن، أعلن فيه أن حكومته تنوي الانسحاب من عدن والجنوب عام ١٩٦٨م، ولكنه لم يُعطِ تفسيراً للأسباب التي استدعت إرسال قوات بريطانية جديدة إلى عدن.

في الثالث من نوفمبر ١٩٦٧ اندلعت أحداث «الحرب الأهلية» المؤسفة في «دار سعد» و«المنصورة»، واستمرت لمدة أربعة أيام كاملة. وكانت تلك الحرب التي دارت بين فصيلي الثورة والكفاح المسلّح، الجبهة القومية وجبهة التحرير، أمراً مؤسفاً، خاصة أن الثورة كانت على عتبات الانتصار النهائي على الاستعمار وقوات احتلاله.




نساء عدن يتظاهرن إحتجاجاً على مقتل المناضل حيدر شمسان

## الجيش الاتحادي والموقف من الحروب الأهلية

في نهاية أكتوبر ١٩٦٧ وبداية نوفمبر سقطت معظم السلطنات والإمارات والمشيخات بأيدي ثوار الجبهة القومية، ولم يبقَ إلا مستعمرة عدن وجزء من سلطنة العبدلي، وكانت الجبهة القومية في سباق مع الزمن ومع جبهة التحرير حول من يتسلم السلطة بعد إعلان الحكومة البريطانية تقديم موعد الاستقلال ٣٨ يوماً من ٩ يناير ١٩٦٨م إلى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م، ما أدى إلى جعل الجبهة القومية تستخدم كل إمكاناتها وعلاقاتها ونفوذها في القوات الاتحادية والأمن لحسم الموقف في عدن التي كان يتمركز فيها ما بقي من قوات

الاحتلال وجبهة التحرير التي كانت تسيطر على أجزاء من المدينة وضواحيها، وقد عقدت قيادة الجبهة القومية اجتماعات متواصلة بين ٣-٤-٥ نوفمبر ١٩٦٧م، واتخذت قراراً بعقد لقاء عاجل مع قيادة الجيش والأمن لتحديد موقف واضح ومحدد من الحرب الأهلية في عدن، وفي ضوء ذلك عُقد اجتماع يوم ٦ نوفمبر ١٩٦٧م عند الساعة ٣ عصراً في منزل المقدم الصديق أحمد الجفه بمعسكر شامبيون لاينز (معسكر النصر حالياً) حضره كل من:

أحمد صالح الشاعر، علي أحمد ناصر عنتر، عبد الله أحمد الخامري، سيف أحمد الضالعي، سلطان أحمد عمر، محمد أحمد السياري، أحمد صالح ضالعي، الصديق أحمد، عبد الله صالح سبعة، حسين عثمان عشال.

الخمسة الأخيرون هم من كبار القادة العسكريين في الجيش الاتحادي والبوليس، وكانوا في الوقت نفسه أعضاءً في التنظيم العسكري للجبهة القومية داخل الجيش والأمن وهو ما كانت تجهله المخابرات البريطانية، فيما الخمسة الأوائل من قيادات الجبهة القومية المعروفين.

وقد ناقش المجتمعون الصدامات العسكرية بين الجبهة القومية وجبهة التحرير بعد الوساطات الفاشلة التي قام بها كل من صالح محمد أبو زنجبيله وأحمد صالح بن لحمر وآخرون يمثلون الجبهة القومية وجبهة التحرير، وقد شُكلت لجنة من الآتية أسماؤهم: عبد الله أحمد الخامري، سلطان أحمد عمر، محمد أحمد السياري، الصديق أحمد، أحمد صالح ضالعي، وذلك لدراسة الموقف السياسي والعسكري والتشاور مع قيادات الجيش والأمن لمعرفة موقفهم بشأن الحسم النهائي للحرب الأهلية. وبعد ذلك اتُّفق على أن تصوغ اللجنة بياناً يعلن فيه الجيش والأمن موقفهما إلى جانب الجبهة القومية بصفتها الممثل الشرعي والوحيد للثورة في الجنوب. وقد أعد البيان الذي عرض على قيادة الجيش والأمن حيث تمت الموافقة عليه، وطُبع ووُزع وأُذيع عبر إذاعة عدن عند الساعة السابعة مساءً حيث حسم الموقف عسكرياً، وعُدَّ ذلك نصراً للثورة والجبهة القومية التي كلفت السيد قحطان الشعبي رفض أي لقاء مع جبهة التحرير والذهاب إلى جنيف. وبعد ذلك حاول بعض العناصر من جبهة التحرير والسلاطين الإساءة إلى الجبهة القومية بادعاء حصول تواطؤ بين الجبهة القومية وبريطانيا. وحقيقة الأمر أنه كان للجبهة القومية تنظيم حزبي قوي ومنظم في داخل الجيش الاتحادي والحرس الاتحادي والمحلي في مختلف الرتب العسكرية، وقد مارس التنظيم

دوراً مهماً في دعم الثورة بالسلاح والذخيرة وتوزيع المنشورات ونقل القيادات الفدائية وغيرهم بسياراتهم الخاصة وهم بملابسهم العسكرية تجنباً للتفتيش في مداخل مدينة عدن وأحيائها، حيث كان يشرف على التنظيم الحزبي على التوالي كل من علي عبد العليم، علي صالح عُباد (مقبل)، عبد الله الخامري، أحمد صالح الشاعر ومحمد صالح مطيع.

**ومن أبرز عناصر التنظيم العسكري في الجيش والأمن:**

أحمد محمد بلعيد، محمد أحمد اليساري، أحمد صالح حسني، عبد الله سبعة، عمر علي، فريد مجور، منصور سيف، فرج عوض الدقيل، عبد القوي عبد الله، محمد قاسم عليو، محمد سعيد شنظور، محمد يحيى جابر، محمد حيدرة مسدوس، علي مقبل مرشد، صالح علي ناصر (عواس)، أحمد صالح عبده، عبد القوي مفلحي، عبد الهادي شهاب، مهدي عشيش، محمد عبد الله باشهيب، حسين عثمان عشال، الصديق أحمد الجفه، عبد الله أحمد عتيقي، سالم أحمد عتيقي، محمد مقبل ناجي، وعلي مقبل حسن.

وقد شُكلت قيادة احتياط في حالة تعرض القيادة العسكرية لأي طارئ من الآتية أسماؤهم:

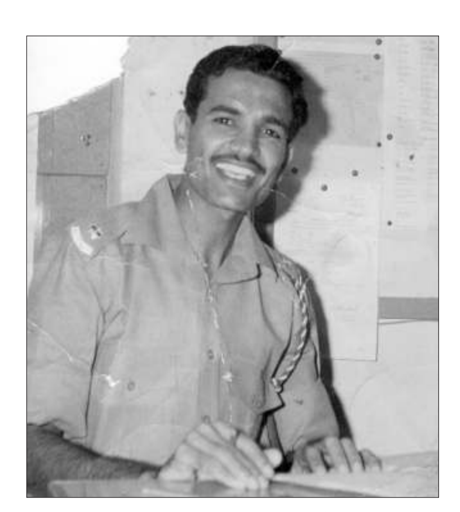
أحمد صالح حسني، أحمد صالح ضالعي، فرج الدقيل، عبد القوي عبد الله، محمد حيدرة مسدوس، عمر علي أحمد، فريد مجور، ومحمد عبد الله باصهيب.

كانت هذه القيادات تتوسع ويتطور نشاطها في مختلف مراحل الثورة حسب تطور التنظيم ومراحل الثورة، وليعذرني الذين لم أذكر أسماءهم ممن شاركوا في الثورة والعمل الحزبي، وأرحب بأي أسماء تَرِدُنِي لكي أُدْرِجَهَا في الطبعة الثانية من الكتاب.

وعن موقف الضباط والجيش واتهام البعض منهم بالعلاقة مع بريطانيا[٤]، ثبت أنّ هذه الاتهامات باطلة ولا أساس لها من الصحة، ومن يعتقد أن قيادات الجيش والأمن وقفت مع الجبهة القومية بإيحاء من بريطانيا، فهو مخطئ، لأن فرع تنظيم الجبهة القومية في هذه المؤسسات كان من أنشط فروع التنظيم، حيث أولت له الجبهة القومية كل اهتمامها، إدراكاً منها لأهمية هذه المؤسسات. ومنذ وقت مبكر بدأت عمليات الاستقطاب للضباط ذوي

(٤) (كما ورد في مقابلة مع المناضل عبد الله محمد الهيثمي في جريدة الوحدة اليمنية بتاريخ ٣٠/ ١١/ ٢٠٠٥ عن لسان محمد السياري).

الرتب الدنيا والجنود، وصولاً إلى القيادات في ما بعد. ولأن معظم أفراد الجيش كانوا من أبناء أبين وشبوة، فقد سهّل ذلك العمل معهم، حيث كان للتنظيم نفوذ كبير في المنطقة الوسطى دثينة، العواذل، باكازم، والفضلي بحكم الوجود العسكري، وبسبب الروابط الأسرية والقبلية أصبح من السهل استقطاب القيادات الصغيرة والمتوسطة إلى التنظيم، وبالتالي إن وقوف هذه المؤسسات مع الجبهة هو تحصيل حاصل وأمر مفروغ منه، وشخصياً فقد ساهمت بتكليف من التنظيم بالجلوس مع الأخ محمد أحمد السياري، وكان برتبة نقيب ومن الضباط القلائل الذين يتمتعون بمستوىً تعليمي عالٍ، وبثقافة عسكرية ممتازة ويتحدث الإنكليزية بطلاقة. أتذكر أنني عندما كُلفتُ اللقاء به ومحاولة استقطابه إلى التنظيم، أعطيته كتابين صادرين عن حركة القوميين العرب لمحسن إبراهيم الأول بعنوان **الثورة والتنظيم الشعبي**، والثاني بعنوان **القوات المسلحة في الوطن العربي في الثورة**، فأهديت إليه الكتابين، وطلبت منه قراءتهما لأناقشه في محتواهما في ما بعد، وبعد أن توثقت العلاقات به، اعترفت له بأني في التنظيم وبرغبة التنظيم في استقطابه.



**المقدّم محمد أحمد السياري**

لقد كان لأعضاء التنظيم في الجيش والأمن دور مهم في انحياز القوات المسلحة إلى الجبهة القومية في ٦ نوفمبر ١٩٦٧م، ما حسم الأمور لمصلحة الجبهة القومية. وبالنسبة إلى القوات المسلحة، فهي قوات وطنية، واتهامها بالعمالة غير صحيحة. لكن ذلك لا يعني أن بريطانيا

لم تحاول الاتصال ببعض القيادات العسكرية ومحاولة استقطابها للعمل لمصلحتها. وقد حدثني الأخ محمد أحمد السياري أنه عندما كان يدرس في بريطانيا عام ١٩٦٦م فوجئ بأحد الأساتذة الإنكليز يدعوه إلى شرب الشاي في منزله بعد انتهاء الدوام، وفعلاً ذهب عصر ذلك اليوم إلى الموعد، وفي الحديقة الصغيرة التابعة للمنزل قدَّم الشايَ للسياري وأستاذه شخص كان يلبس بنطلوناً قصيراً، إذ كان الوقت صيفاً، وقد طلب الأستاذ من ذلك الشخص البقاء بعد أن همَّ بالمغادرة، وقال له: اجلس معنا، إن السيد محمد يمكن أن يصبح رئيس الجنوب العربي القادم، فسحب كرسياً صغيراً وجلس عليه.

قال السياري: «فوجئت بكلام الأستاذ وحسبتُهُ نوعاً من المزاح المبالغ فيه».

بعد ذلك وجّه الأستاذ حديثه إلى السياري وسأله عن رأيه في أن يكون رجل بريطانيا في الجنوب، طالباً منه عدم إبداء رأيه إلا بعد أسبوع ليتمكن من دراسة العرض، وسأله: «إلى أي التنظيمات السياسية تنتمي؟ الجبهة القومية أم جبهة التحرير؟»، قال السياري: «قلت له: لا هذا، ولا هذا».

فقال الأستاذ له: «لا بد أن تكون في إحداهما، فإحداهما ستتسلم السلطة، وستحكم بعد ذهاب بريطانيا».

بعد أسبوع التقى السياري بالأستاذ وسأله: «ما قرارك؟».

قال السياري: قلت له: «أنا شاب صغير وليس لي اهتمامات سياسية والجبهتان تتصارعان على السلطة وأنا ليس لي إمكانية».

قال له الأستاذ: «لو قبلت يا محمد لهيأنا لك كل شيء لحكم البلاد وكل الجماعات المسلّحة وقادتها نستطيع اعتقالهم في ٢٤ ساعة وتهيئة الظروف لك لحكم البلاد».

قال السياري: قلت له: «لا والله، أنا لا أستطيع».

قال له الأستاذ: «good luck سيد محمد (حظ سعيد)».

# الفصل التاسع عشر

## أيام في القاهرة

## جمعتنا الشقة وفرقتنا السلطة!

كانت القاهرة حاضنة النضال العربي من المحيط إلى الخليج، وخاصة الهاربين والملاحقين في أوطانهم، ومفخرة الكفاح من أجل الحرية والانعتاق من السيطرة الاستعمارية في الوطن العربي، تدعم الثوار في كل مكان ضد الاستعمار والأحلاف، على المستوى العربي والأفريقي، وكان بدأها الرئيس عبد الناصر بجلاء القوات البريطانية عن السويس وتأميم قناة السويس وبناء السد العالي.

وكانت المعركة التي تدور في شرقي السويس، في أقصى الجنوب العربي واحدة من هذه المعارك، بل ربما آخر هذه المعارك الفاصلة بين الاستعمار وقوى التحرر الوطني العربية. فإن مصر كانت تدعم بقوة الثورة المسلحة في الجنوب المحتل لإجلاء القاعدة البريطانية عن عدن، كما كانت قواتها العسكرية تقاتل للدفاع عن النظام الجمهوري، في الوقت الذي أيدت فيه الجبهة القومية، إلا أن الخلاف نشب معها بعد قيام جبهة التحرير عام ١٩٦٦م.

لم تكن القاهرة وحدها آنذك التي ضيقت الخناق على قيادات الجبهة القومية وثوارها، بل صنعاء أيضاً التي كانت تتبنى بدورها جبهة التحرير. إما جرياً على ما تريده القاهرة، أو لتعاطف بعض قيادات الجمهورية معها لأسباب تتعلق بالخلاف السياسي بين القوميين والبعثيين. وقد انتقل بعض هؤلاء بعد أن ضاقت بهم الأمور في تعز، إلى القاهرة، اعتقاداً منهم أن الظروف هناك ستكون أفضل مما هي عليه في صنعاء، لكنهم ما إن وصلوا حتى سحبت جوازات سفرهم، فوجدوا أنفسهم في وضع لا يحسدون عليه.

في ٢٢ أكتوبر عام ١٩٦٦، وصلتُ إلى القاهرة ومعي رفاقي محمد صالح مطيع،

يوسف علي بن علي، وفضل عبد الله للالتحاق بالكلية الحربية، ولكننا مُنعنا من الدراسة فيها، بعد أن أصبحت حصراً على عناصر جبهة التحرير الجديدة الموالية للمخابرات المصرية آنذاك.

كل هذه الإجراءات كانت تعني شيئاً واحداً، هو أن المخابرات المصرية قد وضعت كل ثقلها السياسي والعسكري والمادي مع جبهة التحرير، وكانت ترمي من وراء هذه الإجراءات إلى تحجيم الجبهة القومية لمصلحة الأولى حتى تكون هي وحدها سيدة الساحة في الجنوب، أو حتى ترغم الجبهة القومية على الانصياع والانضواء تحت لواء جبهة التحرير، فتفقد استقلاليتها وضياع الاستقلال التام عن بريطانيا.

بعد ذلك وصل إلى القاهرة محمد علي هيثم، وعلي سالم البيض، وعبد الباري قاسم لإقناع القيادات الموجودة في القاهرة بالاستمرار في «جبهة التحرير»، لكنهم لم ينجحوا في إقناعهم.

وانضم إلى هؤلاء بعد فترة وجيزة عبد الفتاح إسماعيل الذي هرّبته المخابرات المصرية من تعز، بعد أن تعرض للملاحقة المستمرة من قبل الضابط عيدروس القاضي (شقيق الشهيد علي حسين القاضي) الذي اتهم عبد الفتاح وأنور خالد بأنهما وراء اغتيال شقيقه، وحفاظاً على حياتهما فقد نُقلا إلى مصر.

أما فيصل عبد اللطيف، وهو من القادة البارزين للجبهة القومية، ومن المؤسسين البارزين لحركة القوميين العرب في اليمن، فقد اختطفته جبهة التحرير مع رفيقه القيادي محمد أحمد البيشي في منطقة الحواشب ونقلتهما إلى تعز، ومنها نُقلا إلى القاهرة وأُرغما على الإقامة فيها، كالآخرين الذين سبقوهما، وقد انضم إليهم بعد ذلك أحمد صالح الشاعر وسيف الضالعي وسكنا مع عبد الفتاح إسماعيل في شقة واحدة.

وهكذا اتخذت المخابرات المصرية والوكيل عزت سليمان، وهو يومئذ المسؤول عن الملف اليمني، قراراً بسحب جوازات سفر القياديين اليمنيين للجبهة القومية، لكنهم قرروا دفع مرتبات للمقيمين في القاهرة، خمسون جنيهاً للقياديين من الصف الأول، وعشرون وخمسة وعشرون جنيهاً مصرياً للقياديين من الصف الثاني، مقابل السكن، والأكل، والمواصلات، وشراء الصحف، والمجلات والكتب...إلخ.

وقد أقمنا في مصر نحو سنة قبل السماح لنا بالسفر إلى اليمن في نهاية عام ١٩٦٧م، وطول هذا العام كنا نتنقل في القاهرة دون قيود، ونتواصل مع الأصدقاء من اليمن شمالاً وجنوباً ومع بعض العرب من فلسطينيين ولبنانيين وسوريين وعراقيين وتونسيين وغيرهم من اللاجئين السياسيين الذين تحتضنهم مصر وتقدم لهم كافة التسهيلات، وأهم شيء هو الأمان في أرض الكنانة. وكانت كافيتيريا أنديانا ملتقىً للشباب والطلاب والسياسيين من مختلف الاتجاهات من قوميين عرب وبعثيين وشيوعيين. ومن أبرز الذين كانوا يرتادونها من اليمن، زين السقاف، أبو بكر السقاف، أنيس حسن يحيى، نصر ناصر علي، محمد علي الشهاري، فيصل عبد اللطيف الشعبي، ومن العرب كان صدام حسين. وكذلك زارتها فيروز وعاصي الرحباني اللذان توجد لهما صورة في الكافيتيريا وغيرهما من الفنانين والمثقفين.

كان الطلاب اليمنيون من الناصريين وغيرهم يلتقون في كافيتيريا زهرة الميدان، واستمر هذا التقليد في اللقاءات حتى يومنا هذا، وإن اختلفت النقاشات والحوارات وفقاً للمتغيرات في الوضع اليمني والعربي. وكانت الصراعات السياسية حينها في ذروتها بين البعثيين والقوميين والشيوعيين، وتعكس نفسها على الطلاب في مصر وغيرها، ولا ينتهي الصراع في هذين الناديين إلا عندما ينصرفون إلى مساكنهم ليعودوا من جديد في اليوم التالي لمواصلة النقاش والحوار، وكانت هذه اللقاءات مجالاً للاستغضاب الحزبي.



أمام كافيتيريا إنديانا في حي الدقي بالعاصمة المصرية القاهرة مع الدكتور علي عبد الكريم في مارس ٢٠١٧م



أمام نادي زهرة الميدان في حيّ الدقي بالعاصمة المصرية القاهرة مع عبد الله الغنامي، في مارس ٢٠١٧م

جمعتنا شقة واحدة في القاهرة، كنا مجموعة أصدقاء، بل أخوة ورفقة سلاح وأصدقاء عمر، وفرقنا الزمن والسياسة والسلطة في ما بعد. وكنا في ريعان الشباب، وفي قمة الصحة والسعادة. لم نكن نملك مالاً، بل إن بعضنا سمع بالدولار، لكنه لم يره حتى ذلك الوقت ناهيك عن اقتنائه. لكننا كنا نملك ما هو أثمن من المال، كنا نملك المحبة في قلوبنا، محبة بعضنا بعضاً، وكانت تلك المحبة كافية لتجعلنا نشعر بالسعادة ونتمناها لبعضنا وللآخرين أيضاً. كنا سبعة: محمد علي هيثم، يوسف علي بن علي، فضل عبد الله عوض، أحمد الفقيرية، محمد أحمد الحيد، محمد صالح مطيع، وكاتب هذه المذكرات. لكن عدد غرف الشقة لم يكن يزيد على ثلاث غرف نوم وصالون. وكان كل اثنين منا ينامان في غرفة واحدة. وكان من نصيبي النوم على الكنبة في الصالون. كان دخل الواحد منا يراوح بين عشرين وخمسين جنيهاً منحة مالية من الحكومة المصرية، وكان قحطان الشعبي يتسلم ٥٠ جنيهاً، وله سكنه الخاص [1]. أما محمد علي هيثم، فكان أكثرنا دخلًا، حيث كان يتسلم ٢٥ جنيهاً. وكنا نجمع هذا الدخل أول كل شهر فندفع منه إيجار الشقة، وما بقي نخصصه للأكل والمواصلات حتى نهاية الشهر. وكان المخصص جنيهاً لليوم الواحد، وإذا فتح الله علينا جنيهين، ونتسلم مبالغ من الأهل والأصدقاء أحياناً. وفي الغالب فإن طعام الغداء كان دجاجة واحدة نقتسمها جميعاً، والشُّربة و«العيش» البلدي. أما الإفطار والعشاء، فهو الفول والعيش والشاي، ولا شيء سوى ذلك. وكان ذلك يكفينا ويشبعنا مثلنا مثل فقراء مصر، أما اللحم فلم نكن نذوقه إلا في المناسبات. وكانت أفضل الوجبات هي التي نتناولها في منزل الأخ والصديق عبد الله صالح غرامة، وتتكون عادة من الرز واللحم والمرق (الحساء) المطبوخ على طريقة أهل لودر، وخاصة عندما نغمسه بالخبز المصري (الرغيف البلدي). وكان من عادة أحد الأصدقاء التندّر على أهل لودر وشدة حبهم للمرق. ومن النكات التي كان يرويها، أنك إذا مررت بالمقبرة وصحت: مرق، مرق فإن الأموات من أهل لودر سيخرجون من قبورهم!!

في هذه الشقة الصغيرة الواقعة في العجوزة عشنا حياة بسيطة وجميلة. وبعد فترة استقلّ يوسف علي بن علي بسكنه، حيث ذهب للدراسة في معهد عالٍ للهندسة. وبقينا نحن الستة في الشقة، وكنا نستقبل فيها الضيوف الذين يأتون لزيارتنا من عدن، وبعض الطلاب الذين

(١) بينما كان القاضي عبد الرحمن الأرياني يتسلم ٣٠٠ جنيه شهرياً، كما أشار في مذكراته.

يدرسون في القاهرة، فنقتسم معهم الطعام، والرغيف، ولقمة العيش - كما يقال - وأكثر من ذلك المودة والمحبة والإخاء. كانت هذه الروح هي رأسمالنا وثروتنا الحقيقية، ونادراً ما كنا نركب سيارة أجرة، أو نشتري ملابس جديدة، وكانت قمة السعادة عندنا أن نأكل الذرة الشامية على كورنيش النيل، أو في الطريق بين البلد وشارع فؤاد في طريقنا سائرين على أقدامنا إلى الدقي - العجوزة.

كنا نمرّ على كشك مدبولي لشراء الصحف والكتب التي كانت تنتشر بين الرصيف والمكتبة الصغيرة، قبل أن تكبر وتتوسع وتتطور وتصبح من أهم المكتبات في مصر وتشترك في معارض الكتب السنوي على امتداد الوطن العربي. ومكتبة مدبولي اليوم هي إحدى أعرق مكتبات القاهرة وأقدمها. وقد أنشأها محمد مدبولي محمد حسين الشهير بالحاج مدبولي (١٩٣٨-٢٠٠٨) الذي يُعَدّ من أبرز الناشرين في مصر. وتقع مكتبة مدبولي في شارع طلعت حرب بمنطقة وسط البلد. وكان الحاج مدبولي يبيع بنفسه بجلابيته التي لم يتخلَّ عنها حتى بعد أن أصبح من أشهر الناشرين، ولم تنقطع زياراتنا لهذه المكتبة، سواء عندما كنا في السلطة أو خارجها وحتى الآن.




**مع الحاج مدبولي صاحب مكتبة مدبولي الشهيرة في مصر**

وكانت قمة سعادتنا عندما نضحك ونمزح ونمرح ونسرح في عالمنا الصغير الخالي من كل عقد الدنيا وهمومها التي لم نكن قد عرفناها بعد. وعلى الطريق كانت أنوفنا ومَعِدُنا الجائعة تلتقط روائح المشاوي والشاورما والسمك والجمبري، ولكننا لم نكن نقترب منها على الإطلاق. وبعض الأصناف كالجمبري كنا نسمع بها من الأحاديث العامة، ونسمع عن فوائدها التي لم نهتمّ بها ما دمنا لا نستطيع تذوقها ولسنا بحاجة لها. وأتذكر أننا ذات مرة عجزنا عن دفع فاتورة حساب لا تزيد قيمتها على ٣٥ قرشاً مقابل مشروبات غازية في فندق الهيلتون الذي كان قد افتُتح حديثاً آنذاك، وكان حينها من أجمل فنادق مصر، ويرتاده ويسكنه الرؤساء وضيوف الدولة ورجال المال والأعمال، وفيه مطاعم حديثة وجميلة، وقد سمعنا عن ذلك وقررنا أن ندخل لتناول المرطبات ومشاهدة الفتيات الجميلات اللاتي كنّ يخدمن في هذا الفندق الجميل الذي يُطلّ على نهر النيل الخالد، وقد رحبت بنا فتاة جميلة، وجاءت أخرى بزجاجات الكولا (مصر كولا) التي طلبناها، كذلك جاءت بالفاتورة ووضعتها في كأس أمامنا، وعندما كنا ننوي الانصراف ودفع الفاتورة صدمنا بأنها ٣٥ قرشاً، وبعد أن جمعنا كل ما عندنا نقص قرش واحد ولم يكن أمامنا إلا أن يذهب أحدنا إلى الشقة في العجوزة لينقذنا من الورطة ويأتي بجنيه من ميزانية الأكل، ولكننا بعد نقاش قررنا الانسحاب بدلاً من الذهاب والإياب والعتاب بعد أن وضعنا في الصحن الصغير كل ما وجدناه من قروش في جيوبنا، وكانت أقل قليلاً من قيمة الفاتورة، ونحن نشعر بالإحراج ونضحك من أنفسنا على هذا الموقف. لن يصدق أحد أننا لا نملك قرشاً واحداً، وكنا في كامل هندامنا وزهونا بصحتنا، وكان معظمنا لا يخرجون إلا بلباس رسمي (بذلة) وكانت عادة شائعة في تلك الأيام، وكان علينا أن نسير على الأقدام وقت الظهيرة إلى المنزل بالعجوزة! ولم نعد إلى دخول الهيلتون مرة أخرى طوال إقامتنا في مصر إلا بعد أن أصبحت وزيراً للدفاع عام ١٩٧٠ لأنزل بجناح جميل يطل على نهر النيل. وأتذكر أنني التقيت لأول مرة في إحدى صالات الفندق بالسلطان علي عبد الكريم والسيد محمد علي الجفري وشيخان الحبشي.

انتهت أيام إقامتنا في القاهرة، وعدنا إلى اليمن ونحن نملك الذكرى الطيبة بيننا، والشوق المتبادل، ويسأل أحدنا عن الآخر ولكن، آه من كلمة «لكن» هذه! فإن دوام الحال من المحال كما يقال. فقد فرقت بيننا السلطة، فاختلفنا، واقتتلنا، بل قتل بعضنا الآخر تارة باسم الثورة

والدولة، وتارة باسم أمن الدولة وصيانة الوطن، وثالثة باسم الشعب، ورابعة وخامسة باسم اليمين واليسار، أو باسم الخلاف السوفياتي – الصيني أو اليمني – السعودي.

مات عدد من رفاق الشقة واحداً إثر الآخر، واختلفت مصائرهم بشكل أو آخر بعد أن فرقتهم السلطة.

## محمد علي هيثم

عاد محمد علي هيثم إلى الجنوب ليشارك في تحرير المناطق، وقد ساهم مع بعض الرفاق في تحرير ولاية دثينة وإنزال العلم البريطاني ورفع علم الجبهة القومية مكانه، وألقى كلمة القيادة العامة التي أعلن فيها انتصار الثورة في هذه الولاية وغيرها من المناطق، وقد ساهم بدور كبير في فترة الكفاح المسلح، خاصة في الجبهة الوسطى، وكان يتمتع بثقة عالية بالنفس.

عُين بعد الاستقلال وزيراً للداخلية في أول حكومة، وحاول اعتقالي في ما سُمي أحداث مدينة الشعب عام ١٩٦٨، ولم تؤثر هذه الحادثة في صداقتنا أو علاقتي به لأنه كان ينفذ واجبه. وبعد استقالة الرئيس قحطان الشعبي من السلطة، وكذلك رئيس الوزراء فيصل عبد اللطيف عام ١٩٦٩م، عين رئيساً للوزراء حتى نهاية يوليو ١٩٧١م حيث ذهب إلى موسكو للدراسة بعد أن قدم استقالته من رئاسة الحكومة.

كان محمد علي هيثم يمثل كبرياء القرية وشموخ القبيلة، وقد منحه السوفيات وسام لينين. وبعد الوحدة عُين وزيراً للعمل في عام ١٩٩٣م ومات في العام ذاته، وخرجت المسيرات في جنازته في ذروة الصراع بين الرئيس علي عبد الله صالح ونائبه علي سالم البيض، وشارك في جنازته قادة الحزب الاشتراكي وقادة المؤتمر الشعبي العام.

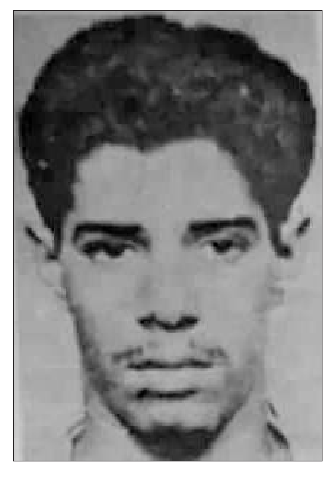
## محمد صالح مطيع

عُين بعد الاستقلال قائداً للبحرية، بقرار من وزير الدفاع علي سالم البيض الذي عين في الوقت ذاته محمد سعيد عبد الله (محسن) قائداً لسلاح الطيران ليوم واحد دون موافقة القيادة العامة والرئيس قحطان الشعبي، شأنه في ذلك شأن قرار طرد البيض للخبراء البريطانيين من

سلاح الطيران حيث لم يعرف الرئيس بهذه القرارات إلا من الإذاعة. وبعد استقالة الرئيس قحطان عُين مطيع وزيراً للداخلية خلفاً لمحمد علي هيثم. وبعد مقتل وزير الخارجية محمد صالح عولقي في حادث طائرة الدبلوماسيين المشؤومة، تولى حقيبة الخارجية حيث أظهر مواهبه وذكاءه كأحد أنجح الدبلوماسيين العرب، وساهم في رسم السياسة الخارجية لليمن الديموقراطي خاصة مع الدول العربية والدول الخليجية، وتحديداً السعودية. وتولى مسؤولية العلاقات الخارجية للحزب الاشتراكي اليمني حتى اعتُقل وأُعدم عام ١٩٨٠.

### فضل عبد الله عوض

من مناضلي حرب التحرير. شخص لطيف وشريف وودود وكريم، رغم أوضاعه المالية الصعبة. عُيِّن لبعض الوقت مديراً للهجرة والجوازات، ثم أصبح قنصلاً في مومباي. وقد عاش أواخر أيامه مريضاً ومات فقيراً.



### يوسف علي بن علي

أو «الباش مهندس». كان واحداً من الفدائيين البارزين، وكان الإنكليز يبحثون عنه في عدن. شجاع، مؤدب، يحب العلم والحياة والغناء. درس الهندسة في شبرا وتخرج منها. وأصبح مهندساً في أحواض السفن في عدن ثم مديراً لها. واختطف وهو يعمل واختفى بعد أحداث يناير ١٩٨٦.

### أحمد محمد امفقيريه

بدأ حياته كاتباً في محكمة مودية، والتحق بالحرس المحلي ورُقِّي إلى رتبة عسكرية في الحرس المحلي. وهو ينتمي إلى أسرة فلاحية وقبيلة لها مكانتها في دثينة، مهذب ولطيف، كريم وشجاع، وكان رفيقي في الجبهة الوسطى، وهو الذي رفع علم الجبهة القومية على قصر الحكومة في مودية إلى جانب محمد علي هيثم. وكان صديقي في شقة العجوزة بالقاهرة. عُين بعد الاستقلال مأموراً للمديرية الوسطى (لودر – موديه) ثم حُسب على ما سُمي حينذاك «اليمين الرجعي» بعد خطوة ٢٢ يونيو ١٩٦٩م في فترة المزايدات والتطرف

التي قادها عناصر دُخلاء على الثورة ليثبتوا أنهم حماة الثورة والدولة، ففصل من عمله ثم خطف دون علم أجهزة الدولة الرسمية.

**محمد أحمد الحيد**

واحد من مناضلي حرب التحرير، والصديق والحارس الخاص لمحمد علي هيثم. لطيف، أنيق. عُين ضابطاً في رئاسة الجمهورية، وأصبح المرافق الشخصي للرئيس سالم ربيع علي، لكن بعضهم وشى به عند الرئيس بأنه يتآمر عليه ويحاول أن يدسَّ له السُّم، فأُعدم بتهمة كاذبة!!

هكذا إذاً جمعتنا شقة القاهرة على الألفة والمحبة والحنان، أصدقاء ورفقة كفاح حقيقيين، وفرقتنا السلطة قبل أن يفرقنا الموت. وقد تكون هذه القصة مثالاً مصداقاً لما تفعله السلطة والمال في الرجال والأصدقاء.

وما زال المصير ذاته يتكرر، كأنه قدر محتوم لا مفرَّ منه في كل زمان ومكان. وقديماً قيل: «ثلاثة تفرق بين الأخ وأخيه والابن وأبيه: المال والمرأة والسلطة»، وأظن أن الذي قال ذلك لم يكذب.

لكن بعض المنجمين، الذين كنا نلتقيهم مصادفة، كانوا يتنبؤون لنا بمثل هذه المناصب والمسؤوليات.

وأتذكر أننا التقينا واحداً من هؤلاء في أحد المطاعم، وقام بقراءة الكف، وبدأ بمحمد علي هيثم، وما إن نظر إلى كفه حتى قال له: أنت ستصبح رئيساً!

وهذا ما قاله لي عندما قرأ كفي حيث قال لي: وأنت ستصبح رئيساً!

وعند قراءته لكف محمد صالح مطيع بادره قائلاً: وأنت ستغدو وزيراً.

وكان آخرنا يوسف علي بن علي الذي تنبأ له بأنه سيكون مديراً.

عدنا إلى المنزل، ونحن نسخر من تنبئه ومن هذه المناصب التي وُزِّعت علينا بسخاء في مطعم وقهوة ديانا بالجيزة.

اليوم، حين أتذكر نبوءة ذلك العرّاف، أندهش جداً، فقد تحققت بنسبة مئة بالمئة!

فهيثم أصبح رئيساً للوزراء في عام ١٩٦٩م، وأنا أصبحت رئيساً للجمهورية في عام ١٩٨٠م، ومحمد صالح مطيع أصبح وزيراً للخارجية في عام ١٩٧٣م. أما يوسف علي بن علي، فقد أصبح مديراً عاماً لهيئة الموانئ اليمنية في الثمانينيات في عدن.

فهل كان ذلك العرّاف، الذي التقيناه مصادفة في مقهى ديانا يعلم الغيب؟! أم يقرأ مستقبلنا من كتاب مفتوح؟!

لكن ما لم يقله لنا ذلك المنجم، في ذلك المقهى، عرفناه من الواقع والحياة، وهو أن السلطة والجاه يدمران الصداقة والعلاقة الأخوية بين الرفاق، وأن الثورات تأكل أبناءها في معظم البلدان العربية وبلدان العالم الثالث!

لا شيء أصعب على الإنسان من الفراغ والوحدة.

الوحدة هي الشيطان الذي يفترس الأحلام والأخلاق.

والوحدة هي الخوف والكآبة والهروب من الآخرين.

ولكننا كنا من الإيمان والصلابة إلى حدٍّ أننا لم ننحرف، ولم ننجرف، ولم نبع أنفسنا للشيطان.

هكذا الفراغ يدمر الإنسان من الداخل.

ويدمر الأخلاق أحياناً.

فإما أن تقتله أو يقتلك ويدمرك.

وفي القاهرة قابلنا نماذج من العرب اللاجئين ويبدو أن غول الوحدة والفراغ قد تسلل إليهم وافترسهم، فكان ليلهم نهاراً، ونهارهم ليلاً. حياتهم سهر، وشرب، وسكر وعربدة. ولكنهم لم ينسوا إجادة بضاعتهم الوحيدة التي يجيدونها، وهي تدبيج البيانات السياسية وكتابتها على أنغام الموسيقى ورنين الكؤوس على ضفاف النهر الخالد، وفي فنادق شبرد وسميراميس وسواهما حيث يتجمع المعارضون العرب من المحيط إلى الخليج. فمصر وطن من لا وطن له. وقد قطع بعض هؤلاء صلتهم بشعوبهم إلا من خلال إذاعة صوت العرب، أو الصحف المصرية. بعضهم احترف السياسة وكتابة التقارير. ينقلون بيادقهم من موقع إلى آخر، ومن نظام إلى آخر، ومن حاكم إلى آخر. وقد تخصصوا في كتابة التقارير،

في البداية ضد الأنظمة التي يعارضونها. بعد ذلك يتحولون إلى التلصص، فيتلصّص بعضهم على بعض، ويتربص بعضهم ببعض، لا يجمعهم هدف، أو قضية، أو مبدأ. لقد تحولوا إلى منافقين في عالم النفاق والارتزاق. وقد تعودوا هذه الحياة. وتجد أشباهاً لهم في كل العواصم: في القاهرة، ولندن، وواشنطن، وباريس، ودمشق، وعدن، وبغداد، وبيروت وعواصم الخليج وسواها، غارقين في عالم هذه المدن الكبرى، وأجهزتها السرية، وأموالها. وأكثرهم قطعوا صلتهم بالوطن الأم، لا يريدون العودة إليه، حتى إن طلبت منهم العودة، أو تهيأت لهم الظروف، وانتعشت الظروف السياسية، وانتفت الأسباب لهذا الانقطاع بينهم وبين أوطانهم وشعوبهم. وبعضهم استوطن وعاش هو وأسرته في هذه البلدان. ولا ينجو من هذا المرض إلا ندرة من هؤلاء الساسة الذين تظل صلتهم بأوطانهم وشعوبهم قوية لا تنفصم مهما كانت الظروف أو المغريات. وقد قابلت كلا النموذجين في القاهرة، وفي سواها من العواصم العربية والأوروبية بعد ذلك.

وأثناء إقامتنا في القاهرة حدثت نكسة حزيران وتأثرت الأمة العربية بهذه النكبة من المحيط إلى الخليج، وخاصة بعد إعلان الرئيس جمال عبد الناصر استقالته، وكان هدف العدوان تدمير الجيش المصري وقياداته، ولكن الشعب المصري العظيم رفض هذا الانكسار، وخرجت الملايين للمطالبة بالوقوف إلى جانب الثورة وعودة الرئيس جمال عبد الناصر إلى رئاسة البلاد، وتحت الضغط الجماهيري استجاب لإرادة الشعب، وخاض حرب الاستنزاف التي تُوجَت بحرب أكتوبر عام ١٩٧٣.

وأكد سامي شرف، مدير مكتب الرئيس جمال عبد الناصر، في تعقيبه على وثيقة[٢] مهمة تسرّبت بعد حرب ١٩٦٧، قائلاً: «إن عدوان ١٩٦٧ كان مؤامرة مدبرة وشارك فيها للأسف بعض القادة العرب وقد يكون هناك الكثير ما زال بعد خفياً عنا مما ستكشفه الأيام القادمة».

قرر المصريون الإفراج عن جوازاتنا المحجوزة والسماح لنا بالسفر، وأفرجوا أيضاً عن

---

(٢) وأنا أحتفظ بنص هذه الوثيقة وتعليق السيد سامي شرف، عليها وقد تسلمت نسخة منها من السيد ياسر عرفات ومن الرئيس علي عبد الله صالح ومن عضو القيادة القومية للحزب البعث العربي الاشتراكي الدكتور قاسم سلام.

القاضي عبد الرحمن الإرياني والأستاذ أحمد محمد نعمان[٣] والفريق حسن العمري وأمين عبد الواسع نعمان وسعيد مرشد وغيرهم من القيادات في الجمهورية العربية اليمنية. وقد التقيت لأول مرة بالقاضي الإرياني في منزله بالجيزة بحضور فيصل عبد اللطيف ومحمد البيشي ويحيى الإرياني ومطهر الإرياني وتحدثنا معهم عن مستقبل الجنوب والوحدة بعد جلاء القوات البريطانية. ولم يكن هذا الوفد يحمل أي صفة رسمية، وليس وفد مفاوضات الاستقلال. كما أشار القاضي عبد الرحمن الإرياني خلال حديثه في مذكراته[٤] عن اللقاء، وكان رده أنه يجب عدم الاستعجال في تحقيق الوحدة أو حتى الاتحاد الفيدرالي، لأن عدن قد تكون ملجأً للمناضلين إذا سقطت صنعاء، لا قدّر الله، ونترك أمر الوحدة للمستقبل. وكان أول المهنئين باستقلال الجنوب الرئيس القاضي عبد الرحمن الإرياني، وكان قد نشر في مذكراته أن البعض أظهر الابتهاج لما حدث لمصر في ٥ حزيران وأنها عقوبة من عند الله لما لاقوه من ظلم ومهانة من المصريين، وأن هذه الهزة قد تعيد القوم إلى صوابهم وما كل مرة تسلم الجرة. وقال الإرياني يغفر الله له – عبد الناصر – لما اقترفه بحقنا وحق الأمة التي آمنت بزعامته فساقها بالسياسة الرعناء إلى هزيمة مهينة[٥]. ولم أصدق وأنا أقرأ هذا الكلام على لسان الإرياني الذي أكنّ له ولتاريخه احتراماً كبيراً لمواقفه من السيادة الوطنية ومواقفه القومية، فعبد الناصر ساق قواته ورجاله إلى اليمن للدفاع عن الثورة اليمنية وتحرير الجنوب، وقدّم كل أشكال الدعم لثورة الجزائر ولحركات التحرر العربية والأفريقية، فماذا نسمي ذلك؟ ومع الأسف أن مذكرات القاضي عبد الرحمن الإرياني لا تخلو من العداء تجاه مصر عبد الناصر، حيث أشرف عليها مطهر الإرياني الذي كان محسوباً على حزب البعث، وكان الخلاف في الخمسينيات والستينيات آنذاك بين البعث وحركة القوميين العرب والناصرية قد سحب نفسه على الساحة اليمنية والعربية بين مؤيد ومعارض لهذه الحركات.

لن أقول إن «مصائب قوم عند قوم فوائد»، لأن نكسة حزيران كانت مصيبتنا جميعاً، بل نكبة العرب الكبرى حتى اليوم بعد نكبة فلسطين في عام ١٩٤٨م. ومع الأسف إن الشعوب

(٣) للأستاذ النعمان ذكريات في السجن ومقولة مشهورة: (لا نريد حرية القول أعطونا حرية البول).

(٤) مذكرات الرئيس القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإرياني – الجزء الثاني صفحة ٦١٧.

(٥) مذكرات الرئيس القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإرياني – الجزء الثاني صفحة ٥٦٨.

العربية وقياداتها قد تعودت مثل هذه النكسات والنكبات أمام العدو، وهي التي تمتلك الكثير من مقومات الحروب السياسية والعسكرية والاقتصادية، ولكنها لا تملك الإرادة والقيادة.

عاد رفاقنا إلى اليمن[٦] عبر بيروت وصنعاء بعد أن تسلموا جوازاتهم التي احتجزتها القيادة المصرية. وبعد فكّ الارتباط بين جبهة التحرير والجبهة القومية أخذت هذه الأخيرة تسيطر على المحميات، وقد التحق هؤلاء القادة الذين عادوا من الإقامة الجبرية في القاهرة بالقيادات المحلية في المحميات ممن واصلوا شرف النضال ولم يسمحوا بنشوء أي فراغ سياسي يؤثر في مسيرة النضال. وكانوا يتولون جميعاً إدارة شؤون هذه المناطق المحررة. وأخذت الجبهة القومية تتقدم من زنجبار وجعار شرقاً وغرباً لتحرير السلطنات والمحميات والإمارات أو الاستيلاء عليها حتى تحرير مستعمرة عدن التي كانت آخر موقع لقوات الاحتلال، الذي يُعَدّ نهاية الإمبراطورية.

قبل مغادرة القاهرة، ذهبت كغيري إلى مبنى المخابرات المصرية في مصر الجديدة مع من بقي من أعضاء القيادة، حيث تسلمنا جوازاتنا المحتجزة واتخذت القيادة المصرية كل الترتيبات لترحيلنا، وبعد ٢٨ سنة زرت قيادتها أكثر من مرة، وكان على رأسها الوزير عمر سليمان، ومن بعده الوزير مراد الموافي وغيرهما من المسؤولين في قيادة هذا الجهاز المهم.

هذه هي المرة الأولى التي أسافر فيها على الطائرة المصرية النفاثة «الكوميت» التي قطعت الوقت من مطار القاهرة الدولي إلى مطار صنعاء في ثلاث ساعات، لم نحسّ خلالها بهزات أو مطبات أو حاجة إلى الحمامات التي كانت تنعدم في الطائرات العسكرية «الأنتينوف ١٢» ذات المحركات الأربعة التي لا أكل فيها ولا شرب ولا كلام ولا حمام.

كانت صنعاء يومئذ حُبلى بالأحداث ضد المصريين، وقد شهدت تظاهرات كبيرة لم تعرف مثلها، وحدثت صدامات بين القوات المصرية والمتظاهرين، وحاولت الجماهير اقتحام مقرّ اللجنة وهي تهتف ضدها وضد الاتفاقية، وسقط ضحايا من الطرفين أمام مقر لجنة الجامعة العربية برئاسة محمد أحمد محجوب رئيس اللجنة الثلاثية، وقد اتُّهم الرئيس السلال بأنه

(٦) قحطان الشعبي، عبد الباري قاسم، محمد علي هيثم، محمد صالح مطيع، أحمد صالح الشاعر، سيف الضالعي، علي سالم البيض، فضل عبد الله، يوسف علي بن علي، أحمد محمد امفقيري، محمد أحمد الحيد، وآخرون.

وراء هذه الأحداث، وقُتل أحد الجنود المصريين وجُرح آخرون، ثم اتجه المتظاهرون إلى المدينة يقتلون كل من صادفهم من المصريين، سواء أكان عسكرياً أم مدنياً، حيث بلغ عدد القتلى أكثر من ثلاثين مصرياً. وإثر ذلك عادت اللجنة إلى القاهرة التي اعتبرت أن الرئيس عبد الله السلال مسؤول عمّا حدث.

كان المصريون يُعدّون أنفسهم للرحيل من اليمن بعد ست سنوات من الحروب المنهكة بين الملكيين والجمهوريين، قدمت خلالها مصر تضحيات كبيرة سياسية واقتصادية وعسكرية قُدِّرت بـ ١٧ ألف شهيد(٧)، وساهمت في تثبيت النظام الجمهوري بقيادة الزعيم عبد الله السلال، وقد اعتذر بعض المشايخ ممّا حدث وقدموا عشر أبقار للقيادة العربية مقابل الشهداء الذين وقعوا في تلك الأحداث في بداية شهر أكتوبر ١٩٦٧م. وشدّد المشير السلال بدوره على ضرورة الاعتذار للإخوان العرب ممّا ارتكبه الفوضويون والمشاغبون، وأكد ضرورة محاكمتهم وإدانتهم(٨)، ومع الأسف إن البشر يقتلون والبقر يذبحون ولا يحاسب الجناة الحقيقيون، سواء في هذه الحادثة أو غيرها من الحوادث المماثلة(٩).

كان الوضع في المطار، وفي صنعاء كلها مرتبكاً بسبب تلك الأحداث. وقد قابلت مصادفة مالك الإرياني عضو حركة القوميين العرب والوجه الصدامي في كل الأحداث والظروف، وكان مضطرباً. وقد سألته: «ماذا يحدث؟!»، ولكنه أجابني على عجل: «بعدين، بعدين سنتحدث!»، ففهمت أنه كان هارباً وملاحقاً بسبب ما يحدث.

تركته وشأنه، وقررت الذهاب بالحافلة (الباص) إلى تعز أرض العز، كما يسمونها، التي تبدو هادئة، ولي فيها الكثير من الذكريات الجميلة والأصدقاء، وأبرزهم محمد حسين العطاب

---

(٧) أشار الرئيس القاضي عبد الرحمن الإرياني في الجزء الثاني من مذكراته صفحة ٢٥٣، إلى أان الأستاذ أحمد محمد النعمان قال بطريقته الساخرة إن التضحيات لا تزعج المصريين لأنهم يشكون من تضخم سكاني، فالتخفيف منهم مطلوب.

(٨) الوثيقة رقم ٢٥ في مذكرات الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر، قضايا ومواقف، رسالة من محمد علي رسام إلى المشير عبد الله السلال ٣-١٠-١٩٦٧م.

(٩) ومع الأسف إن هذا الموقف يتكرر برسالة من القاضي الإرياني إلى الشيخ عبد الله الأحمر، ينصح بها بأن يقوم بعض المشايخ بالشفاعة لدى القيادة مصحوبة بالعقير. وهذا ما ورد في الوثيقة رقم ٢١ في مذكرات الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر، قضايا ومواقف.

وسعيد الجناحي الذي استضافني، وقدم إليّ كل التسهيلات لدخول عدن التي وصلتها عبر الراهدة، التي التقيتُ فيها صديقي المناضل حسن، قائد الشرطة، وأعطاني قطعة سلاح لحماية نفسي من أي طارئ قد أتعرض له خلال الطريق إلى عدن، وكان هذا أمراً متوقعاً بسبب الخلاف الشديد يومها بين الجبهة القومية وجبهة التحرير. وكان لهذه الأخيرة تأثير في المناطق التي سأمر بها. واكتشفت خلال رحلتي بسيارة الجيب «اللاند روفر» أن رفيق رحلتي هو الصديق عبد الرقيب الحربي الذي كان متوجهاً إلى عدن كغيره من العسكريين المسرَّحين أو الهاربين من الخدمة لمساندة الجبهة القومية في عدن والمحميات التي كانت تخوض آخر معارك حرب التحرير الشعبية.

سارت الأمور بسلام حتى النقطة العسكرية في دار سعد التي يشرف عليها بعض الضباط من الجيش الاتحادي. وقد عرفني بعض هؤلاء، وسمحوا لي بالدخول إلى عدن، ولكنهم أشاروا إلى الرشاش الآلي الذي في يدي، وقالوا لي محذرين، إن وجوده معي سيسبِّب اعتقالي في نقاط التفتيش الأخرى التي كانت بيد القوات الإنكليزية. لكن أحد الضباط، ولا أذكر اسمه، قرر على التوّ مرافقتي بسيارته وملابسه العسكرية، حيث يمكننا المرور دون أن نتعرض للتفتيش في تلك النقاط. كانت تلك مجازفة كبيرة منه، ولكن بالنسبة إليَّ وإلى الثورة في تلك اللحظات الحاسمة حيث كانت الثورة قاب قوسين أو أدنى من تحقيق الانتصار، كان ذلك يعني أن الشعب كله، بما في ذلك جزء كبير من الجيش الاتحادي الذي كانت تعوِّل عليه بريطانيا في تقويض الثورة وسحق إرادة الشعب، ينضوي تحت لواء الكفاح المشروع ضد وجود الاستعمار. كان موقفاً عظيماً له دلالته الأكيدة في أن النصر قريب، وهزيمة البريطانيين المستعمرين باتت قريبة جداً. أوصلني الضابط العربي بسيارته العسكرية حتى «مستودع العرب» في الشيخ عثمان. كان عليَّ أن أزور دثينة المحررة لأول مرة برفقة أخي صلاح ناصر منذ خروجنا منها، وفي مودية استقبلنا المسؤولون فيها، وفي مقدمتهم جعبل الشعوي الذي أطلق الطلقة الأولى عندما شاهدني، ترحيباً بي، والذي كان في زيارة لمودية المحررة، وقد سمعت طلقات الرصاص من كل مكان في مودية وفي الطريق بين مودية وأمقوز وأمفرعة، محطتي الأخيرة التي التقيت فيها لأول مرة الأسرة والأصدقاء منذ مغادرتي قبل عامين.

وبعد العودة من دثينة قابلت يومها عدداً من القياديين الموزعين في أحياء مدينة عدن. وفي مدينة زنجبار التي انتقل إليها الأمين العام للجبهة قحطان الشعبي بعد عودته من القاهرة واتخذ منها مقراً لنشاطه. وبعد عدد من اللقاءات والاتصالات التي كنا نعقدها في تلك الأيام لبحث آخر المستجدات والأوضاع على أعتاب الاستقلال ورحيل الانكليز، طلب مني قحطان الشعبي في أواخر سبتمبر ١٩٦٧م أن أتحرك إلى حضرموت للقاء علي البيض والحاج صالح عبد الله باقيس والقيادة المحلية هناك. وكانت هذه المرة الأولى التي أسافر فيها إلى حضرموت بالطائرة الداكوتا في طريقنا إلى مطار الريان الذي يقع شرق المكلا.

# الفصل العشرون

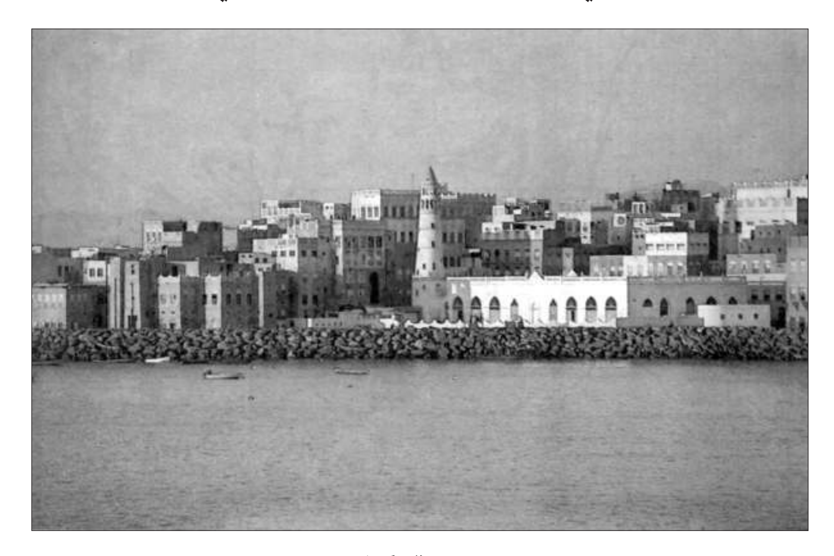
## مهمة في حضرموت

## زيارة أولى في المهمة الأولى إلى حضرموت

كانت حضرموت قد تحررت على يد الجبهة القومية يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٦٧م قبل وصولي إليها بخمسة عشر يوماً، ولم يُسمَح لآخر سلاطين القعيطي، غالب بن عوض، وكان يومئذ شاباً صغيراً وعائداً من رحلة في الخارج، بالنزول إلى عاصمته المكلا، فعاد أدراجه على متن الباخرة التي أقلته. وأعتقد أن الحضارم، وهم قوم مسالمون، تصرفوا بحكمة، إذ سمحوا للسلطان بالمغادرة بسلام دون أن يتعرضوا له، أو ينزلوه عنوة، أو يقتلوه. وقد شبه البعض تلك الواقعة بواقعة السماح للملك فاروق بمغادرة مصر على ظهر يخته الملكي «المحروسة» بعد أن رفض الرئيس جمال عبد الناصر أن تلطخ الثورة يدها بدمه وتفتتح عهدها بالدم، لأن الدم يجرّ الدم أو يستسقي الدم. وللأسف فإن تلك الحكمة أو الحكمة اليمانية لم تسُدْ خلال كل مراحل الثورة في الشمال والجنوب، إذ سرعان ما بدأت الخلافات والصراعات السلطوية، وأُريقت الدماء، دماء الرفاق أنفسهم الذين كانوا بالأمس في خندق واحد، ويقاتلون عدواً واحداً.

كانت هذه هي المرة الأولى التي أزور فيها المكلا، عاصمة السلطنة القعيطية. لكن لم يكن بخافٍ عني تاريخها الحضاري والثقافي ودورها الريادي في نشر الدعوة الإسلامية، ولا تاريخها الطويل في النضال والمقاومة البطولية، وهو تاريخ حافل بالانتفاضات والهبّات الشعبية التي ظلت محفورة في ذاكرة الوطن والشعب. إذ يعود تاريخ العمل السياسي في حضرموت إلى أواخر عام ١٩٢٨م بعقد مؤتمر حضرمي تحضيري في سنغافورة بعد مشاورات ومراسلات بين النشطاء من أبناء حضرموت داخل البلاد وفي المهاجر المختلفة، وخاصة سنغافورة وإندونيسيا، أُقرَّ فيه العمل على توحيد حضرموت، وإقامة دولة واحدة

تعمل على تحديث حضرموت وتطويرها في كل مجالات الحياة. وفي منتصف الأربعينيات من القرن الماضي تشكلت عدة أحزاب من بينها الحزب الوطني، حزب الرابطة الحضرمية، وحركة الوحدة الحضرمية التي أنشأها كل من شيخان الحبشي، الأمين العام لحزب الرابطة في ما بعد، وعلي عقيل بن يحيى الذي أصبح عضواً في القيادة القومية لحزب البعث، وعمر محضار الكاف، أمين المال في حزب رابطة أبناء الجنوب العربي لاحقاً.



مدينة المكلا

ولا ننسى ونحن نتحدث عن حضرموت ونضال أبنائها أن نعرض دور المهاجرين، وخاصة في إندونيسيا، حيث أسهموا بصورة إيجابية في النضال الوطني ضد الاستعمار البريطاني وركائزه، كغيرهم من أبناء الجنوب في المهجر. وقد حدثني الأخ فرج بن سعدون، قائلاً: إن الانتصار الذي حققه الأخوة الإندونيسيون على الاستعمار الهولندي الذي دام أكثر من ٣٥٠ عاماً وتحقيق الاستقلال الناجز بقوة السلاح قد زادهم حماسةً واندفاعاً إلى العمل الوطني، وجعلهم يتطلعون إلى اليوم الذي يصبحون فيه أحراراً كغيرهم من الشعوب التي نالت الحرية والاستقلال.

وقد جرت اتصالات ومشاورات وعقدت عدة اجتماعات في منزل الأخ علي فارس النهدي خلال شهر يونيو عام ١٩٥٦م بين عدد من الشخصيات الواعية والمؤثرة، انطلاقاً من

إحساسها بالواجب تجاه وطن الآباء والأجداد. واتُّفق على تكوين تجمع سياسي تحت اسم (هيئة تحرير الجنوب العربي) كان مقرها جاكرتا، وهدفها محاربة الوجود البريطاني المحتل للجنوب ومناصرة المناضلين ودعمهم، والدعوة إلى توحيد صفوف أبناء الجنوب ورصّها في محاربة الوجود الأجنبي وركائزه، وقد شُكِّلت في نهاية اللقاءات قيادة تنفيذية من:

١- الأستاذ الدكتور عمر سليمان ناجي رئيساً.

٢- عبد الله برواس الكثيري نائباً للرئيس.

٣- عمر صالح خميس الصيعري مساعداً للرئيس.

٤- الأستاذ محمد عمر باحجاج أميناً عاماً.

٥- الأستاذ عبد المجيد أحمد الواحدي نائباً للأمين العام.

٦- الأستاذ أحمد سالم باحلوان مساعداً للأمين العام.

٧- علي فارس النهدي أميناً للمال.

٨- فرج صالح باكدم نائباً لأمين المال.

٩- حسين صالح بن مشرق عضواً.

١٠- فرج محمد بن سعدون عضواً.

١١- عبدالله محمد الجعيدي عضواً.

١٢- محمد أحمد بن جسار مستشاراً.

وقد أعلن بصورة رسمية قيام هيئة التحرير يوم ١/ ٧/ ١٩٥٦م في اجتماع عام عقد في جاكرتا بدار سينما (مترامان) حضره أكثر من ٥٠٠ شخص في مقدمتهم الدكتور برهان الدين هرهب رئيس وزراء إندونيسيا السابق، والدكتور علي فهمي العمروسي، سفير جمهورية مصر، والشيخ عبد الرؤوف الصبان، الوزير المفوض السعودي، والمناضل الأخضر الإبراهيمي ممثل جبهة التحرير الوطني الجزائري في جاكرتا.

وقد قوبل إعلان قيام هيئة التحرير بترحاب وفرح كبيرين من أبناء الجالية المنتشرين في الأرخبيل الإندونيسي الذين يزيد عددهم على ٥٠ ألف شخص في ذلك الوقت، وأصبحت

هذه الهيئة همزة وصل بينهم وبين إخوانهم في أرض الوطن، وبالتالي صار يمكن إيصال صوتهم إلى أصقاع العالم.

وقد أصدرت الهيئة مجلة (صوت الجنوب) التي كان لها صدى واسع وطيب، وفتحت لها فروعاً في مجمل المدن الإندونيسية، كذلك نالت المساندة والدعم من الحكومة الإندونيسية وكافة الأحزاب بمختلف اتجاهاتها ومشاربها.

بعد اندلاع ثورة ١٤ أكتوبر المجيدة جرت اتصالات ومراسلات مع الجبهة القومية تطورت حتى بلغت حد التشاور والتنسيق وتبادل المعلومات، فأصبحت هيئة التحرير بمثابة مركز إعلامي متقدم للجبهة القومية في جنوب شرق آسيا، يروّج لمبادئ الثورة ونشر أخبار المعارك التي تدور على أرض الجنوب.

وبعد تحقيق الاستقلال الوطني في ٣٠ نوفمبر من عام ١٩٦٧م بادرت الهيئة إلى إرسال وفد لتقديم التهاني إلى الشعب وحكومة الثورة والاطلاع على المستجدات والمتغيرات والتعرف عن قرب إلى ما يجري في أرض الواقع. وقد حثّ الوفد الحكومة على إرسال وفد إلى إندونيسيا وتجاوبت مع ذلك، وأُرسل الأخوة عبد الباري قاسم، سالم علي الكندي، محسن محمد بارباع - رحمة الله عليهم - لزيارة أبناء الجالية الذين استقبلوهم بحفاوة بالغة.

بذلت الهيئة جهوداً كبيرة لفتح قنصلية لليمن الجنوبية في جاكرتا. وكان السيد آدم مالك، وزير خارجية إندونيسية الراحل، أكبر المتحمسين لإقامة علاقات مع جمهورية اليمن الجنوبية، وبعد افتتاح القنصلية شكلت لجنة أطلق عليها اسم لجنة تدعيم التعاون بين اليمن وإندونيسيا ساهمت بدور كبير في تدعيم العلاقات بين البلدين.

شهدت حضرموت الكثير من الأحداث، ومنها تلك التي وقعت عام ١٩٥٠ والمعروفة بثورة القصر. والقصر المقصود هو قصر السلطان القعيطي[(١)]، وهو يومها صالح بن غالب القعيطي،

---

(١) قصر السلطان القعيطي:يقع هذا القصر فوق لسان يمتد على الساحل عند بداية مدخل المكلا الرئيسي والذي كان يعرف قديماً بـ (برع السدة). أقُيم هذا القصر في عام ١٩٢٥م في عهد السلطان غالب بن عوض القعيطي، ويتكون من ثلاثة أدوار ،ويحيط به سور بمساحة كبيرة، وبناؤه متأثر بطابع العمارة الهندية الذي كان شائعاً في ذلك الوقت، فهناك مثلاً قصر الباغ في غيل باوزير، والباغ تعني في الفارسية البستان، وبغداد اسمها مشتق من =

وهو قصر جميل حرص على أن يبنيه على الطراز المعماري الهندي، ويقع عند سدة المكلا بين الشارع الرئيسي الوحيد في المدينة والبحر الذي ترتطم أمواجه الصاخبة بجدران القصر.



**قصر السلطان القعيطي في المكلا**

وبعد تحرير مدينة المكلا في ٢٧ سبتمبر ١٩٦٧م، حافظ الثوار على هذا القصر الجميل وعلى محتوياته من الأثاث الثمين والمستورد أغلبه من الهند، ذلك أن سلاطين القعيطي قدموا من حيدر آباد، ولكن أصولهم من يافع.

والآن أنزل في هذا القصر ضيفاً على القيادة المحلية للجبهة القومية برئاسة سالم علي الكندي، وكنت وأنا أقف على شرفة القصر أحاول أن أتخيل تلك الثورة التي قامت بها جماهير المكلا في السابع والعشرين من ديسمبر عام ١٩٥٠م، وقد مرّ على تلك الواقعة نحو ١٧ عاماً كاملة، فلم أتمكن من التقاط سوى أجزاء صغيرة من هنا وهناك مما سمعته من بعض الذين عاصروا تلك الأحداث. لكنني بعد ذلك بسنين استطعت أن أكوِّن صورة كاملة عمّا حدث من الكتاب القيِّم الذي أرَّخ فيه لهذه الحادثة المؤرخ الحضرمي سعيد عوض باوزير والذي سمّاه «ثورة القصر».

---

= باغ وتعني البستان، وقصر السلطان عبد الكريم فضل في حوطة لحج وقصره الآخر في كريتر عدن، وحاليا استُغلَّ القصر كمتحف يضم قطعاً أثرية إضافة إلى مخلفات سلاطين الدولة القعيطية.

لكن تفاصيل هذه الحادثة ظلت مجهولة غامضة وغير مدونة إلى أن كشف عنها بطلها المعتمد البريطاني في حضرموت «هيو بوستيد» في كتابه عن حياته المنشور عام ١٩٧١م بعنوان: «The wind of morning» (ريح الصباح).

وتبدأ القصة عندما أراد بوستيد أن ينصِّب الشيخ القدال سعيد القدال ناظر المعارف، وهو سوداني، سكرتيراً للسلطنة القعيطية بدلاً من الشيخ سيف بن علي البوعلي، الزنجباري الأصل الذي أوصى المعتمد بتنحيته، وألحَّ على السلطان صالح في ذلك، حتى قبله في يونيو ١٩٥٠م. لكن السلطان صالح ذهب في إجازة إلى حيدر آباد دون أن يصدر الأمر، وخلفه في أمر السلطنة ابنه عوض أثناء غيابه، وتسرب الخبر إلى الشعب فتجمع نحو ٤٠٠٠ شخص أمام قصر السلطان صالح مطالبين بتعيين حضرمي في هذه الوظيفة. وعندما عاد السلطان صالح من الهند أعلن تعيين الشيخ القدال سكرتيراً (وزيراً) للسلطنة في يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٥٠م.

نشأ وضع خطير، وتجمعت الحشود في ميدان القصر في صبيحة اليوم التالي وبدأت حشودهم الهادرة تملأ شارع المكلا الرئيسي. وطلب بوستيد من الجيش النظامي أن يستعد بالجنود فوق سيارات النقل، وينتظروا في ثكناتهم «بالديس» في انتظار الأوامر.

صعد وفد من الجماهير إلى السلطان، وتكلم الناطق باسمهم قائلاً: «لقد جئنا نيابة عن الشعب لنقول لكم إننا لا نريد سكرتير الدولة من غير الحضارم»، فأجاب السلطان بجفاوة قائلاً: «إن هذا التعيين من اختصاصي وليس من شأن العامة، فهو الذي يدفع للوظيفة وليس هم!».

وفي هذا الوقت كانت الأصوات العالية ترتفع فوق كل ميدان القصر، وبدأت الحشود الغاضبة تحطّم الزهريات والنوافذ في أسفل القصر، ودوّت طلقة رصاص وجردت الجماهير الحرس من بنادقهم.

وأمر بوستيد الذي كان في القصر نائبه كينيدي بإحضار جيش المكلا النظامي في الحال، ولنترك بوستيد يروي المجزرة بنفسه كما وقعت وكما كتبها:

«... ثم سمعت وابلاً من الرصاص في ميدان القصر أعقبه في الحال صراخ وأنين، ثم تبع ذلك وابل آخر من الرصاص ونواح أكثر من الأنين والألم. لقد حضر جيش المكلا النظامي تحت قيادة القائد اللواء صالح بن يسلم بن صميدع، ووجد أبواب المدينة الحديدية مغلقة في

وجوههم. فلما رأى ابن صميدع ذلك، وكان سريعاً كالقط، قاد طابوراً فوق سور المستشارية، فدخل ميدان المستشارية، ومن بابها دخل إلى ميدان القصر، وقام بصفّ جنوده في الطرف الشرقي من ميدان القصر وأمرهم بالانبطاح، ثم صرخ في الحشود أن يتفرقوا وإلا فسيطلق النار عليهم. وقد أطلق الوابل الأول من الرصاص فوق رؤوسهم: فصرخوا: «هجوماً على الجنود هجوماً، إنهم يساوون عشرين روبية فقط» مشيرين بذلك إلى راتبهم الشهري، ثم تقدموا نحو جنود ابن صميدع. وأطلق الجنود النار مرة ثانية، وسددوا الطلقات هذه المرة إلى صدور الجموع، فسقط ثمانية عشر قتيلاً وجرح سبعة وأربعون، فدارت الجموع وفرَّت نحو البوابة، ومن بقي منهم في القصر ولّى هارباً بأقصى سرعة ممكنة. واستمر السلطان، الذي كان يعبِّر عن عواطفه بالغضب، استمر يردد: «كلاب... كلاب».

وفُرض منع التجوال، وألقي القبض على زعماء الحركة، وحاكمتهم محكمة خاصة، وقد أُدين نحو سبعين شخصاً وحُكم عليهم بالسجن، وراوحت مدة سجن كل منهم بين ثلاث وخمس سنوات».

وهنا تنتهي شهادة البريطاني عن حادثة القصر.

ها هو ذا القصر الذي سالت على جدرانه دماء بعض من أبناء الشعب الأحرار يعود إلى الشعب. وها هو ذا آخر سلاطين القعيطي الذي ارتكب جده بأعصاب باردة تلك المجزرة يذهب إلى خارج السلطنة.

ولقد كرر الشعب صور بطولاته وتضحياته مرات عديدة، فسالت دماؤه وزهقت أرواح خيرة شبابه على مذبح الحرية، كما حدث في منتصف الستينيات عندما ألقى أحد أعضاء حزب الرابطة قنبلة يدوية على مسيرة سلمية للطلاب في المكلا، فسقط شهيداً في الحال الطالب خالد بن هامل، وجرح آخرون أذكر من بينهم الآن جعفر باصالح، وهو من أبناء مدينة الحامي شرقي مدينة الشحر الشهيرة.

## حضرموت أنموذجاً مختلفاً عن كل المناطق الأخرى

يجب الاعتراف بأنّ المسؤولين الجدد في القيادة المحلية بعد تحرير المدينة قد تصرفوا بمسؤولية ووعي. فقد حرصوا على استمرار العمل في كل الدوائر الحكومية، وحافظوا

على كل الممتلكات والأموال، وحموا قصور السلاطين ودورهم من النهب والسلب، على نقيض ما حدث في بعض المحميات الأخرى. ولم تحدث فيها حوادث تذكر، إلا ما كان منها استثناءً، وهو أمر يمكن حدوثه في مثل هذه المراحل الانتقالية. فقد شاهدتُ بنفسي أحد الشباب وهو يحمل سلاح وملابس قائد جيش البادية الحضرمي بن صميدع، وهو نفسه الذي أمر جنوده بارتكاب مجزرة القصر. وربما أراد الشاب الذي فعل ذلك الإشارة إلى سقوط رموز ذلك العهد البائد.

## هدم سدّة المكلا... والإعدام علناً


سدة المكلا

لكن أسوأ مخالفة ارتكبت في المكلا كانت على يد أحد مسؤولي القيادة المحلية الجديدة حين أقدم على هدم سدة المكلا[٢]، وهي أثرٌ معماري جميل.

وقيل يومها في تسويغ ذلك القرار الأخرق إنه لتوسيع الطريق والمدخل إلى المدينة حيث تفصل البوابة بين المدينة القديمة المكلا، وبقية أحيائها الجديدة كالشرج والديس والقرى البعيدة كفوه وبروم. لكنه أيضاً لم يكن يخلو من بعض المزايدة والتطرف بزعم أن البوابة هي من بقايا السلاطين البائدين ومخلفات الاستعمار، وهو ما طاول الحمامات الإفرنجية النظيفة في مطار الريان، وبعض المنازل التي وصلت إليها أيديهم، معتبرين ذلك من المظاهر البرجوازية. وأظن أن هؤلاء هم أول من ندم على ما فعلوه، وخاصة فيصل العطاس[٣] الذي

---

(٢) سدة المكلا: بُنيت في عهد السلطان غالب عوض القصيطي عام ١٩٢١م - ١٣٤٠ هـ وأشرف على بنائها المهندس المعماري داوود الجيلاني.

(٣) فيصل علي العطاس الملقب بالنعيري، من مواليد ١٩٣٤ قرية النعير في حضرموت - تلقى دراسته الابتدائية بالمدرسة المتوسطة بغيل باوزير في حضرموت ثم بعث إلى كلية عدن (Aden Collenge). بدأ مسيرة الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطاني في الجنوب العربي والتحق بصفوف الجبهة القومية لتحرير الجنوب العربي. ثم أبعده الإنكليز عن عدن إلى المكلا ليبدأ كفاحه مع زملائه من أجل الحرية للتحرر من هيمنة الإمبراطورية البريطانية على حضرموت. ترأس حركة إضرابات النقابات العمالية بالمكلا، حيث كان له التأثير الأكبر. ثم تزعم الكفاح المسلح ضد إسقاط السلطنتين القعيطية والكثيرية بحضرموت الداخل. عين عضواً في القيادة العامة للجبهة القومية لتحرير الجنوب العربي، وكما كان عضو اللجنة التنفيذية بالقيادة العامة المكونة من رئيس الدولة وأربعة أعضاء فقط عين بحضرموت المسؤول التنظيمي الأول للجبهة عقب تسلمها مقاليد السلطة عام=

أمر بهدم سدة المكلا، ولكنه كان أول النادمين على ذلك، عندما اعتُقل أثر الحملة التي قام بها الجيش ضد العناصر اليساريين عام ١٩٦٨م.

وكان من ميزات بوابة السدة أنها تغلق في الليل أو في أوقات الطوارئ، ولكن بعد هدمها استطاعت قوات الجيش الوصول إليه بسهولة والقبض عليه!

وهناك في المكلا، التقيت لأول مرة عبد الله الأشطل الذي كان يطلق على نفسه (حسن علي)[٤] وهو اسم لم يشتهر به، ولكنه كان يوقِّع به الافتتاحيات النارية المثيرة للجدل في صحيفة «١٤ أكتوبر» و«الثوري» الصادرتين في عدن بعد الاستقلال.

كان الأشطل رجلاً قصيراً، بل ربعةً، ذكياً، يطلق لحيته في تلك الأيام، ويحيط نفسه ببعض الأشخاص الذين يطلقون لحاهم مثله، مثل سالم باعلوي الذي كان يسمي نفسه كاسترو. وكنت حين تراهم هكذا تظن أنهم قادمون من معارك الجبال على طريقة الثوار الكوبيين في جبال سيرا ماسترا، مع أن أغلبهم لم يشتركوا في معارك التحرير، وكان البعض يسميهم «ثوار ربع الساعة الأخيرة».

كان الأشطل قادماً من بيروت، ومن الجامعة الأميركية التي درس وتخرج فيها تحديداً، وقد أحضر معه عدداً من الكتب الماركسية من مكتبة شريف الأنصاري تاجر الكتب المشهور في لبنان، وأخذ يوزع هذه الكتب لتثقيف الرفاق في حضرموت، وزرع بيئة لماركس في بلاد الأحقاف. وارتبط اسمه بالتطرف، وبالتنظير للصراع الطبقي، ولم يكن بعيداً عن نايف حواتمة الذي كان ينظّر في ذلك الوقت للصراع بين اليمين واليسار ويطالب بتعميم نهج

= ١٩٦٧، عين محافظ لشبوة بقرار جمهوري رقم (١١٦) لعام ١٩٦٩ م بتاريخ ٢٩ ديسمبر، عين محافظ لحضرموت بقرار جمهوري رقم (٨٧) لعام ١٩٧٠ بتاريخ ١ نوفمبر، شغل منصب نائب وزير الإسكان والأشغال العامة لمدة تسع سنوات حتى نهايات سبعينيات القرن الماضي وشغل منصب مستشار برئاسة الجمهورية اليمنية، له مواقف شجاعة كثيرة كذلك اشتهر بقوة شخصيته وشجاعته في الرأي، ما أدى إلى نشوب خلافات مع بعض القادة، وقد اشتهر بثقافته وببساطة تعامله مع العامة وتواضعه، وعرف فى عهده بإعطاء أوامره بتهديم سدة المكلا التى بناها المهندس داؤود الجيلانى فى عشرينيات القرن الماضى.

(٤) مندوب اليمن الدائم في الأمم المتحدة قبل الوحدة وبعدها منذ عام ١٩٧٠. وبقي في هذا المنصب لأكثر من ٣٠ عاماً، وهو من مواليد الحبشة، ودرس في الجامة الأميركية ببيروت، وتعود جذوره إلى عائلة يمنية من رداع في محافظة البيضاء.

حضرموت في التحرر الوطني والديموقراطي. ويقول نايف حواتمة: «السياسة الخارجية انعكاس للسياسة الداخلية، وفي هذا يتضح الفارق الأساسي بين السلطة المركزية في عدن وبين نهج حضرموت عربياً ودولياً...» وكأن حضرموت دولة أخرى، ويزعم وجود تناقض طبقي بين عدن وحضرموت، وهي كلها يومئذٍ خارجة من ظروف الاحتلال البريطاني.

وارتكب هؤلاء حماقات في حضرموت، كاستخدام التعذيب ضد بعض العناصر المعتدلين الذين عارضوا نهج التطرف الذي يقوده الأشطل وينظّر له حواتمة، أو جلد بعض الذين يرتكبون مخالفات بسيطة في الساحات العامة وعلى مرأى من الناس، وهو ما لم تألفه حضرموت في السابق، ويثير استهجان المواطنين المسالمين. وكان هناك شخص بدين وقصير قدم إلى حضرموت من خارجها، وكان يظهر فوق سيارة جيب عسكرية مكشوفة حاملاً رشاشاً آلياً ويقف خطيباً في المواطنين في الأسواق والساحات العامة، ويتوعد أصحاب العمائم والكروش الكبيرة بالقتل والسحل. ويقال إن هذا الشخص كان من الذين مارسوا أعمال التعذيب وكيَّ بعض المعتقلين في حضرموت بالنار وفي مؤخراتهم.

وقد شاهدت بعد وصولي إلى المكلا تجمعاً على التلال المطلة على حي الشرج، وعندما سألت عمّا يحدث هناك، قيل لي إنهم سيعدمون أحد الخونة والعملاء، وإن الناس في انتظار تنفيذ حكم القيادة المحلية من قبل الحاج صالح باقيس، الفدائي القادم من عدن، والمتدفق حينها نشاطاً وحماسة وثورية، والذي جاء على رأس مجموعة من الفدائيين، منهم صالح علي ناصر (عواس) وأحمد عوض معرج وعبد الرحيم عتيق للمساهمة في إسقاط حضرموت.

لم يكن أبناء المكلا المسالمين بطبعهم والميالين إلى الحياة السلمية متعودين مثل هذا الأسلوب في تنفيذ أحكام الإعدام العلنية، لكنهم الآن تجمعوا من كل صوب بدافع الفضول ورؤية هذا المشهد الغريب الذي يشاهدونه لأول مرة في حياتهم، والذي يصادف الذكرى الرابعة لثورة ١٤ أكتوبر.

عصر ذلك اليوم، وصل الحاج باقيس إلى ساحة الإعدام بناءً على تكليف من القيادة المحلية، وأعطى أمره بالتنفيذ، وترنّح المحكوم بعد إطلاق النار عليه، وكانت الهتافات تدوّي كما هي عادة الجماهير بـ«عاشت الثورة عاشت العدالة».

بعضهم سدّ أذنيه بكفيه عندما سمع صوت الرصاص، وبعضهم الآخر انصرف وهو يقول:

- هذا أمر الله. قضاء وقدر. إنك ميت وإنهم ميتون.
وهذا أقصى ما استطاع هؤلاء البعض أن يعلّقوا به على ذلك المشهد الحزين والمؤلم.
وبعد تنفيذ حكم الإعدام تفرّق الجمع.

وسمعت صوت الحاج صالح باقيس الذي أعطى أمر تنفيذ حكم الإعدام وهو يخاطب علي سالم البيض وعبد الله الأشطل وفيصل العطاس والحاضرين: «يجب أن نرعب الخونة والعملاء».

ورفع الأشطل بإبهامه إلى أعلى، دليلاً على ارتياحه لهذا القرار الثوري.

في المساء، ذهبت إلى دار الضيافة (قصر السلطان القعيطي) حيث حافظ الثوار على القصر وكل محتوياته النفيسة من أثاث وهدايا من الملوك والأمراء والسلاطين، وقد التقيتُ عدداً من القيادات، أبرزهم علي سالم البيض وسالم علي الكندي والحاج صالح باقيس وعبد الرحيم عتيق[٥] وفيصل العطاس وخالد عبد العزيز وخالد بارس وعباس العيدروس وصالح علي ناصر (عواس) وأحمد عوض معرج، وآخرين، ودار الحديث حول المستقبل الذي ينتظر البلاد بعد رحيل الاستعمار، وحول طبيعة العلاقة وكيفية التعامل مع جبهة التحرير والسلاطين. وكتب المناضل عبد الرحيم عتيق في ذكرياته عن سقوط السلطنة القعيطية وسلطانها غالب القعيطي عندما علم بقدوم السلطان إلى ميناء المكلا.

«وقد علمت أن السلطان غالب بن عوض القعيطي العائد من أوروبا والسعودية قد وصل إلى المكلا يوم ١٧/ ٩/ ١٩٦٧م من طريق البحر، وحاول النزول إلى الميناء، وفجأة توجه قارب إلى الباخرة وعليه عناصر ملثمون منتمون إلى الجبهة القومية بقيادة المناضل عبد الرحيم عتيق، وكان مكلفاً تولي أمر السلطان غالب، وقد تولى هو وزميله صالح بن عون الكثيري وصلاح مرسال وعلي العامري أمر اعتقال طاقم الباخرة والسيطرة على «قمرة» القيادة وغرف المحركات لخبرتهم المهنية كمهندسين وكانوا يحملون رشاشات كلاشينكوف ومسدسات وقنابل، وفي مقدمتهم سالم علي الكندي الذي أخذ بيد السلطان واتجه به في

---

(٥) ألقى قنبلة من على جدار المجمع وحوصر الضابط البريطاني النقيب شارلز كتري في النزل المجاور للانفجار، وهو الذي فجر لغماً تحت سيارة الضابط البريطاني في الديس، وقد انسحب البريطانيون من المكلا في نهاية ١٩٦٧م بعد ثلاثين سنة من وجودهم في حضرموت – المصدر مايكل كروتش صحيفة الويكلي تلغراف.

الاتجاه المقابل لمدينة المكلا قائلاً له باللغة الأوردية وبالعربية: «يا غالب، هذه المكلا أمامك، انظر البيوت كلها ترفع علم الثورة علم الجبهة القومية، انظر إلى العلم فوق قصرك وفوق مقر سكرتاريتك وفوق مقر المستشارية البريطانية، ألا ترى أعلامنا أعلام الثورة ترفرف عليها؟». أخذ السلطان المنظار المقرب وتطلع إلى المكلا التي استولت عليها الجبهة القومية، وعليه أن يختار العودة فوراً من حيث أتى أو أن الجبهة القومية ستفجر الباخرة بمن عليها. وطُلب منه كتابة تسليم السلطنة للجبهة القومية، وكتب على ورقة فحواها نداء إلى الشعب الحضرمي تمنى لهم التوفيق والأمان والاستقرار وعدم اللجوء إلى القتال وسفك الدماء، وغادر الميناء في طريقه إلى جدة وهو من أحفاد السلطان عمر بن عوض القعيطي مؤسس السلطنة القعيطية في القرن التاسع عشر.



**السلطان عمر بن عوض القعيطي**






**السلطان غالب بن عوض القعيطي**

لكن القضية التي كانت مسيطرة على تفكيرنا في تلك اللحظة هي حسم المعركة في عدن ولحج وبقية المحميات التي لم يتم تحريرها بعد في الشرق، وخاصة المهرة التي لم تكن قد وقعت بعد بيد ثوار الجبهة القومية، وهي تقع في أقصى حدودنا الشرقية المتاخمة لسلطنة عمان. وقد وصل إلى المكلا، كرامة بن عاشور[٦] للتفاوض مع الجبهة القومية في مصير سلطنة المهرة، وكانت هذه المرة الأولى التي أراه فيها. وقد هرب بعد ذلك ولجأ إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، وأخذ معه بعض الوثائق المهمة المتعلقة بالحدود مع عمان حيث احتفظ بها، وقد باعها لنا في عام ١٩٨١-١٩٨٢م عند تطبيع علاقاتنا بالسلطنة. اشترينا منه الوثائق من طريق الشيخ عرمان الذي كان يتحرك عبر الحدود، وقد تسلم قيمتها مالاً وسلاحاً، وهو الخبير بالصحراء وطرقها ومتاهاتها ولا يضاهيه في ذلك أحد. يقال إنه يعرف أين مكانه في الصحراء عندما يشمّ رائحة الرمال أو عندما يدر الرمل من كفه وتذروه الرياح!!

(٦) عاشور نائب سلطان المهرة في الغيظة.

# الفصل الحادي والعشرون

# رحلات مكوكية

## صفقة سلاح صيني من تنزانيا!

تداولت مع علي سالم البيض في المهمة التي اختارتها لنا القيادة، والمتعلقة باتفاق عبد الله الخامري مع الصينيين عندما زارهم في منتصف عام ١٩٦٧م على تزويد الجبهة القومية بشحنة سلاح لحسم المعركة النهائية مع الاستعمار في عدن. وقد وعد الصينيون الخامري بإرسال الشحنة إلى دار السلام التي كانت تربطهم صداقة وعلاقة ممتازة مع رئيسها جوليوس نيريري.

لكن الخامري، على مبدأ اتفاق «الجنتلمان»، لم يطلب من الصينيين الذين وعدوه بإرسال الشحنة أية وثائق بشأن هذا السلاح. والآن ونحن نشدّ الرحال إلى تنزانيا للقاء السفير الصيني في دار السلام، لم يكن في حوزتنا أية وثائق عن صفقة السلاح «المزعومة» غير بعض الصور التي التقطت للخامري مع بعض الصينيين الذين يصعب التمييز بين وجوههم.

اقترح البيض أن نأخذ احتياطات أخرى لشراء سلاح من شرق أفريقيا إذا لم يصل السلاح الصيني لأي سبب من الأسباب، وجرى الاتفاق على أن نأخذ بحوزتنا مليوني درهم (شلن)، وهي يومئذٍ تُعَدّ مبلغاً كبيراً يفي بالحاجة.

سافرنا من المكلا إلى عدن جواً على الطائرة الداكوتا التابعة لشركة خطوط عدن الجوية ADEN AIRWAYS[1]. في مطار عدن دخلنا بملابس جيش البادية الحضرمي (العقال

(١) في نهاية عام ١٩٦٧م بدأت تخف حركة الطيران في مطار عدن الاستراتيجي الذي كان يربط الشرق بالغرب وذلك بسبب الاحداث في عدن واستعداد البريطانيين للرحيل عن عدن بعد ١٢٩ سنة من الاحتلال، وكان هذا المطار يُعَدّ المطار الثالث في الوطن العربي، ويمتاز بأنه يمتد من البحر إلى البحر ويخلو جوه من السحب والمطبات الهوائية.

والعمامة الحمراء والزي والكاكي)، وبتنا فيها ليلة واحدة، وكانت العمليات العسكرية في ذروتها ضد قوات الاحتلال البريطاني التي كانت تستعد للرحيل، ومنها انطلقنا إلى أسمرة على طائرة داكوتا ذات محركين في طريقنا إلى نيروبي ودار السلام.

هذه هي زيارتي الأولى للهضبة الإريترية، وكانت مدينة أسمرة الجميلة هي المصيف الذي يرتاده اليمنيون لقضاء إجازاتهم وأوقات راحتهم الخاصة (ومضع القات والبنات والمشروبات والمشويات)، وكان عدد من المعارضين اليمنيين يلتقون فيها قبل الثورة وبعد قيام الجمهورية العربية اليمنية للتشاور والتآمر، وحيث كان الاتفاق على إقصاء القاضي الإرياني عام ١٩٧٤م بين بعض القادة اليمنيين وبعض الدبلوماسيين من غير اليمنيين.

وهنا في أسمرة، في هذه المدينة الهادئة الناعمة التي امتزج فيها الدم الأفريقي بالدم الإيطالي ونتج منه لون وجنس جميل يسمونه الحنفص أو الخلاسي، نشأت أيضاً حضارة أكسوم العريقة في أريتريا، وهي وثيقة الجذور بالحضارة اليمنية القديمة. كان الإيطاليون قد استعمروا أريتريا وإثيوبيا في نهاية الثلاثينيات إلى نهاية الحرب العالمية الثانية. وكانت طائراتهم تغير على القوات البريطانية في عدن خلال تلك الحرب حيث سقطت قنابلهم في كريتر والتواهي والشيخ عثمان. وقد ارتكبوا مذابح ومجازر في أريتريا، ولكنهم من ناحية أخرى ساهموا في شق الطرقات الطويلة الجميلة، وشيدوا مشاريع مهمة في فترة حكمهم القصير، ومدوا شبكة السكة الحديدية بين أديس بابا وجيبوتي، ونفذوا خلال خمس سنوات أكثر مما فعله البريطانيون في المحميات في ١٢٩ عاماً.

بتنا ليلة في هذه المدينة الرائعة بعد عناء السفر من المكلا وعدن، ولكن لم نستطع أن نمكث فيها أكثر من ذلك، فقد كانت أمامنا مهمة تستحثنا على الرحيل على عجل.

المحطة الثانية كانت نيروبي التي سمعت عنها أنها واحدة من أجمل المدن في شرق أفريقيا. وبعضهم يطلق عليها «هاف لندن» - أي نصف لندن - تشبيهاً لها بالعاصمة البريطانية لندن.

أخذت الطائرة تحلِّق بنا في سماء تنزانيا، وقد كنا قادرين على مشاهدة الأرض والجبال المكسوة بالخضرة الأبدية، والبحيرات الزرقاء التي كان يدلنا عليها ملاح الطائرة، وعلى يميننا كان يقع جبل كلمنجارو الذي هو أعلى جبل في أفريقيا وتكسوه الثلوج طوال أيام السنة.

راحت الطائرة تخترق السحاب إلى أن هبطت بنا تدريجاً في المطار[٢]. تبدو نيروبي في أكثر نواحيها، مثل بلدة أوروبية قديمة بدأت تصلها المباني العالية والحديثة والمراكز التجارية «المولات»، وقد علمت أنها كانت عند استقلالها عام ١٩٦٤ ترقص فرحاً، وتغني وتهتف خلف زعيمها وبطل حريتها جومو كينياتا[٣]: هارامبي! كان كينياتا خريج أشهر جامعات لندن، وتعلم النضال ضد الاستعمار وأبرز زعمائهم هو نلسون مانديلا[٤] الذي درس هو الآخر في بريطانيا وكان أبرز زعماء الهند من متخرجي الجامعات البريطانية، وهم المهاتما غاندي[٥]

---

(٢) بعد عشر سنوات من هذا التاريخ مر بمطار نيروبي وزير خارجية ليبيا علي التريكي، حاملًا رسالة من العقيد القذافي إلى الرئيس جومو كينياتا، وفي المطار طلب وزير خارجية كينيا طائرة الوفد الليبي مقابل ترتيب مقابلة عاجلة مع الرئيس، فاستغرب الوزير الليبي هذا الطلب، ولكنه لم يرفض حتى لا تتعطل المقابلة مع الرئيس، فوافق بشرط أن تجري المقابلة بسرعة وأن ينتقل بعد ذلك بها إلى عدن ومن ثم تُعاد الطائرة إلى الوزير الكيني، كما حدثني بذلك الوزير علي التريكي. وسأله الوزير: كيف نضمن عودتها؟ فقال له: إن هذا وعد منه، فضحك وقال: إن الطلب صعب والتنفيذ أصعب!

(٣) جومو كينياتا نجله، أوهورو، وهو الرئيس الحالي.

(٤) سياسي مناهض لنظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا وثوري شغل منصب رئيس جنوب أفريقيا ١٩٩٤–١٩٩٩. وكان أول رئيس أسود لجنوب أفريقيا، انتخب في أول انتخابات متعددة وممثلة لكل الأعراق. درس مانديلا القانون في جامعة فورت هير وجامعة ويتواترسراند. عاش في جوهانسبورغ، ومكث ٢٧ عاماً في السجن، كان متزوجاً أربع نسوة، ولديه أربعة أولاد وتسع بنات.

(٥) كان السياسي البارز والزعيم الروحي للهند خلال حركة استقلال الهند. كان رائداً للساتياغراها وهي مقاومة الاستبداد من خلال العصيان المدني الشامل، التي تأسست بقوة عقب أهمسا أو اللاعنف الكامل، والتي أدت إلى استقلال الهند وألهمت الكثير من حركات الحقوق المدنية والحرية في جميع أنحاء العالم. جرى تشريفه رسمياً في الهند باعتباره أبو الأمة؛ حيث إن عيد ميلاده، ٢ أكتوبر، يتم الاحتفال به هناك كـغاندي جايانتي، وهو عطلة وطنية، وعالمياً هو اليوم الدولي للاعنف. ولد غاندي في بوربندر بولاية غوجارات الهندية، وقضى طفولة عادية ثم تزوج وهو في الثالثة عشرة من عمره بحسب التقاليد الهندية المحلية ورزق من زواجه هذا أربعة أولاد، قرر غاندي في عام ١٩٣٢ البدء بصيام حتى الموت احتجاجاً على مشروع قانون يكرس التمييز في الانتخابات ضد المنبوذين الهنود، ما دفع الزعماء السياسيين والدينيين إلى التفاوض والتوصل إلى «اتفاقية بونا» التي قضت بزيادة عدد النواب «المنبوذين» وإلغاء نظام التمييز في الانتخاب. لم ترق دعوات غاندي للأغلبية الهندوسية باحترام حقوق الأقلية المسلمة، واعتبرتها بعض الفئات الهندوسية المتعصبة خيانة عظمى، فقررت التخلص منه، وبالفعل في ٣٠ يناير ١٩٤٨ أطلق أحد الهندوس المتعصبين، ويدعى ناثورم جوتسي، ثلاث رصاصات قاتلة سقط على أثرها المهاتما غاندي صريعاً عن عمر يناهز ٧٨ عاماً.

وجواهر لال نهرو[٦] وأنديرا غاندي[٧]. لم نشعر بأننا في أرض أفريقية منذ لحظة هبوطنا في المطار وحتى وصولنا إلى فندق أمباسادور في قلب نيروبي. الموظفون في المطار، والفندق، والبنوك كل شيء أوروبي أو آسيوي آنذاك. قبل أن يحل محلهم تدريجياً المواطن الكيني الذي لم يتأهل لتسلُّم هذه المؤسسات التي أدارها البريطانيون بجدارة بحكم الخبرة الكبيرة بإدارة المستعمرات، وقد ساءت أوضاع الإدارة في هذه المدينة الجميلة، وانتشر الفساد من القمة إلى القاعدة.

قررنا أن نأخذ قسطاً من الراحة قبل أن يحين موعد الغداء، لكن يبدو أننا كنا مرهقين فوق العادة نتيجة السفر الطويل، فنمنا من العاشرة صباحاً حتى الخامسة من صباح اليوم التالي، أي نحو ١٩ ساعة كاملة دون أن نشعر.

عندما استيقظت شاهدت الضوء فخرجت إلى الشرفة، لكني لم أستطع أن أميز إن كان ضوء الصباح أو هي أضواء أخرى في المساء. كنت جائعاً جداً، ورحت أهيئ نفسي لتناول طعام الغداء، فأيقظت زميلَي رحلتي علي البيض ومحفوظ بشير.

---

(٦) ولد في ١٤ نوفمبر ١٨٨٩ وتوفي في٢٧ مايو ١٩٦٤. يعد نهرو أحد زعماء حركة الاستقلال في الهند، وأول رئيس وزراء للهند بعد الاستقلال، وشغل المنصب من١٥ أغسطس ١٩٤٧ حتى وفاته. شغل أيضاً منصب وزير الخارجية والمالية، وهو أحد مؤسسي حركة عدم الانحياز العالمية عام١٩٦١.

(٧) سياسية هندية، شغلت منصب رئيس وزراء الهند لثلاث فترات متتالية (١٩٦٦–١٩٧٧) والفترة الرابعة (١٩٨٠–١٩٨٤)، اغتيلت على يد أحد المتطرفين السيخ. كانت غاندي الأنثى الثانية التي تنال منصب رئاسة الوزارة في العالم بعد سيريمافو باندرانايكا في سريلانكا، ولدت في ١٩ نوفمبر ١٩١٧م في مدينة الله آباد، واغتيلت في ٣١ أكتوبر ١٩٨٤م. تلّقت تعليمها في المدارس السويسرية والإنكليزية، وصارت عضواً في جناح الشباب من حزب العمّال البريطاني .انتسبت أنديرا إلى حزب المؤتمر الهندي عام ١٩٣٩م، تزوجت فيروز غاندي الذي غير اسمه من «فيروز خان» وكان صحفياً، ومن أتباع الديانة البارسية الزرداشية عام ١٩٤٢م، ومات عام ١٩٦٠م بعدما أنجبت له صبيّين، وقد ألحّ عليها والدها نهرو لتحمل عبء الحكم، وبخاصة بعد موت زوجته التي كان يخطط لها كي ترث الحكم بعده، في عام ١٩٦٦م مات رئيس الوزراء لال باهادور شاشتري، خليفة نهرو، فقرّر حزب المؤتمر الحاكم تعيين أنديرا رئيسة الوزراء، وكانت أول امرأة تصبح رئيسة للوزراء في الهند، وهي ابنة جواهر لال نهرو الذي كان أول رئيس الوزراء للهند بعد جلاء قوات الاحتلال الإنكليزي. بَنَتْ إنديرا للهند جيشاً قوياً، وتمكنت من إنتاج القنبلة النووية الهندوسية، وجعلت جميع جيران الهند يخشون بأسها. وفي عام ١٩٧١م قامت بغزو باكستان الشرقية، وأقامت فيها دولة بنغلاديش، وأحرزت أول نصر ضد باكستان. أصبح ابنها راجيف غاندي لاحقاً رئيساً للوزراء، ولا تربطها صلة قرابة بـ المهاتما غاندي الذي ساعد الهند في استقلالها. من أشهر نساء القرن العشرين وهبت حياتها لخدمة بلادها بتفانٍ.

وردّ عليّ البيض الذي كان لا يزال مستغرقاً في النوم: خلينا ننام يا أبو يمال.

قلت له: أُصحُ. لقد نمنا نوماً طويلاً.

استيقظ البيض. وحتى ذلك الوقت، كنا نجهل كم الساعة، وما إذا كنا في صبح أو مساء.

خرجنا إلى الشرفة، ورأينا الضوء، وحركة السيارات وبعض المارة. ونظرنا إلى الساعة في أيدينا. إنها تشير إلى الخامسة!

استحممنا، وارتدينا ملابسنا ونزلنا إلى المطعم، ولكننا وجدناه مغلقاً. والحركة متوقفة في الفندق. سألنا الموظف الوحيد الذي وجدناه، وكان يفرك عينيه، ما يدل على أنه كان نائماً، فأجابنا بأنّ المطاعم جميعها مغلقة ولن تفتح قبل الساعة السابعة صباحاً.

- كانت نومة أهل الكهف.

نظر بعضنا إلى بعض بدهشة، غير مصدقين أننا نمنا تسع عشرة ساعة كاملة، وعدنا أعقابنا إلى غرفنا، في انتظار افتتاح المطاعم ونحن نتضور جوعاً. وكان آخر طعام ذلك الذي تناولناه في الطائرة من أسمرة إلى نيروبي.

ما إن فتح أول مطعم في الفندق أبوابه في السابعة صباحاً، حتى كنا نحن أول الداخلين وأول الزبائن. تناولنا أول وجبة لنا في نيروبي، لكنها كانت إفطاراً وغداءً وعشاءً في الوقت ذاته، وكان علينا أن ندفع ثمن الوجبة بالشلن الشرق أفريقي الذي كنا نتعامل به في عدن والجنوب منذ بداية الخمسينيات، وكانت عدن والمحميات قبل ذلك تتعامل بالروبية الهندية قبل ٨٠ عام[٨]، وكان الشاعر مسرور مبروك قد كتب قصيدة وغناها أحد الفنانين والتي في مطلعها:

---

(٨) كان قرار حكومة بريطانيا عام ١٩٥١ بإلغاء التعامل بالروبية الهندية في عدن والمحميات واستبدال شلن شرق أفريقيا East Afriva Shilling بها مؤثراً وصعبا للغاية، خاصة بعد أن توطنت الروبية الهندية خلال ثمانية وثمانين عاماً، إذ تحتاج إلى جهد ونفس طويل عند صرفها إلى كسور، ما حدا بالشاعر الشعبي الكبير مسرور مبروك إلى التندر بها في قصيدته:

شل الشلن واصرفه سنتات – أما زمان الروبيـة قد فات – جاب الشلن بين الأوادم عشبكات – صرف الثلاثة شلن بميات – ثلاثمـائة سنت معدودات – وإذا صرفت الألف عبي جونيات – إنكلترا جابت الشـلنات – سوت لنا في البلد ربشات – اصرف شلن واحمل شليته (١) ويسرات (٢).

١– شليته: جونية / شوال.

٢– ويسرات: واشرات البراغي، تشبيهاً لفئة ٥ سنت النحاسية المخرومة.

**شـل الـشـلـن واصــرفــه سنتات**
**أمـــا زمـــان الـروبــيــة قــد فــات**

وكان الشلن متداولاً في كينيا وتنزانيا وعدن.







بعد هذه الوجبة أخذنا نتجول في نيروبي، وشاهدت أبناء القبائل العراة وهم يمشون ويحملون على ظهورهم أولادهم وعصيّهم ورماحهم. إنه خليط عجيب في هذه المدينة الجميلة التي نزورها لأول مرة ونشاهد ضواحيها، وروابيها، ونتحرك بين أهلها، وأهلنا أفراد الجالية الجنوبية الذين ينتشرون في كل كينيا، وأكثرهم منتشرون في الساحل، وتحديداً في ممباسا. ومعظمهم من حضرموت، وعدن، والمهرة. وأبرز هؤلاء الشيخ سالم بلعلا، وكان من أكثر المقربين للحكام في نيروبي ورمز الجالية الجنوبية فيها، وكان فيها نائباً لوزير الدولة. وقد دعانا إلى منزله في نيروبي على جلسة قات، لكن على الطريقة الأفريقية. فهم يتناولون القات مع الكولا وهم قاعـدون على الكراسي، على عكسنا، حيث نجلس على الأرض. وبينما نتناول نحن أوراق القات، فإنهم يسلخون الأعواد ويمضغون القشرة فقط، ويتلذذون بمضغها، وكان الحديث الذي يدور اليوم حول الوضع في عدن والمحميات على أعتاب الاستقلال. وكالعادة، أو عادة الناس في تلك الأيام، كانوا منقسمين هنا أيضاً بين مؤيد للجبهة القومية ومعارض لها، لأنها تعادي عبد الناصر وجبهة التحرير، وهو ما لم يكن دقيقاً.


الشيخ سالم بلعلا

وفي لقاء مع الجالية العربية في ممباسا، أردت أن أزيل هذا الاعتقاد، فتحدثت عن مراحل قيام الثورة المسلحة، ودور الجبهة القومية وعلاقتها بالجمهورية العربية المتحدة، وعن دعم عبد الناصر للثورة، والملابسات التي أحاطت بالعلاقة بها وبجبهة التحرير خلال المرحلة الأخيرة. وفي نهاية الحديث هتفت: **عاشت الجبهة القومية. عاش جمال عبد الناصر. عاشت ثورة ٢٣ يوليو**. وضجّت القاعة بالتصفيق الحاد، وخفّ العداء نحونا، بعد أن تأكد لهم أننا لسنا معادين للزعيم العربي جمال عبد الناصر. وقام المغترب الجنوبي أحمد بلغيت بتسجيل المحاضرة وكتابتها بخطه الجميل، وأخذ يوزعها على المغتربين في شرق أفريقيا، وقد سلّمني بعد ست سنوات نسخة من هذه المحاضرة وكنت حينها رئيساً للوزراء.

كانت هذه اللقاءات والمحاضرات، أهم انتصار حققناه في زيارتنا لكينيا، خاصة بين أعضاء الجاليتين الجنوبية والعربية.

بعد زيارتنا لنيروبي وممباسا انتقلنا إلى تنزانيا الموحدة[٩] التي توحدت فيها تنجانيقا مع زنجبار عام ١٩٦٤م بعد الثورة التي أطاحت حكم جمشيد بن عبد الله، آخر الحكام العرب، وانتخب الزعيم اليساري جوليس نيريري رئيساً لتنزانيا، وكان صديقاً للصين الشعبية في فكره وزيه وتوجهاته، وكانت كتب الزعيم الصيني «ماو تسي تونغ» ورفيقه الحميم «شون لاي» تنتشر في كل مكان في شوارع العاصمة دار السلام ومكتباتها، وكانت دار السلام المحطة الأهم في رحلتنا هذه. وقد نزلنا في أحد فنادقها المتواضعة التي ينتشر فيها البعوض بشكل مزعج، والتقينا أعضاء جاليتنا الطيبين من أبناء حضرموت والمهرة وبئر أحمد وعدن والحجرية، وأتذكر من بينهم سالم عبد الله باجسير والقباطي وصالح العقربي. غير أنني لن أنسى ذلك الرجل المهري الطيب الذي التقيناه مصادفة في أحد مطاعم دار السلام حيث كنا نتناول طعامنا، وهذه المطاعم تقدم وجبات حارة وحادة بسبب البهارات المختلفة التي يضيفونها إلى الطعام بكثرة.

---

(٩) تقع جمهورية تنزانيا الاتحادية في شرق أفريقيا، وهي عبارة عن اتحاد بين تنجانيقا وجزيرة زنجبار تم في ١٢ يناير ١٩٦٤م على أثر المذابح الدامية التي وقعت في زنجبار بقيادة عبيد كرومي فقتل الآلاف ونُهبَت ممتلكاتهم فهرب آخر السلاطين العرب الذين حكموا زنجبار (جمشيد بن عبد الله) في باخرة إلى ممباسا في كينيا، وفّر العرب الأخرون إلى تنجانيقا، وعاد البعض منهم إلى عمان فغربت مع رحيلهم شمس عربية إخرى لحكم استمر نحو ٥٠٠ عام تقريباً.


مع صالح العقربي

أتذكر أن هذا الرجل الطيب أخذ يناقشنا عن عدن وبر العرب وعن اللغة السواحلية[١٠] التي كان ٧٠٪ من مفرداتها من اللغة العربية، وعندما رآنا عرف أننا قادمون من بر العرب، أي من جنوب اليمن. وعندما سألناه: لماذا تقول إننا من بر العرب؟ قال: نحن في بر عجم، وأنتم في بر العرب. وأرضينا فضوله فشرحنا له عن الثورة وكفاحها وانتصاراتها، فشكرنا على ذلك، ولكنه أصرَّ على دفع ثمن وجبة الطعام الذي تناولناه، فرفضنا ذلك إشفاقاً عليه، إذ كان بائعاً جوالاً يحمل صرته على ظهره ويطوف بها في الحارات والشوارع بائعاً الملابس، ومع هذا فقد أصرَّ على أن نكون ضيوفه وأن يدفع ثمن الطعام، وأقسم على ذلك فأسقط في أيدينا، وكان له ما أراد.

فكّرت وأنا أراقبه يعيد صرّته إلى ظهره ويرحل مختفياً عن أبصارنا في المنحنى القريب، في أنه نموذج لطيبة الإنسان المهري ونبله أينما كان. وتذكرت لاحقاً حديثاً مع أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح وهو يتحدث عن أبناء المهرة باحترام كبير وبثقة لا حدود لها، قائلاً إننا نأمنهم على أموالنا وعائلاتنا.

وخلال زيارتنا لتنزانيا تعرفنا إلى القائم بالأعمال في السفارة المصرية السيد أحمد عطية المصري الذي انتقل بعد عام ١٩٦٨م قائماً بالأعمال بسفارة جمهورية مصر في عدن، وألف كتاباً عن تجربة الثورة في اليمن الديموقراطية، كذلك قمنا خلال زيارتنا بزيارة وزارة الخارجية التانزانية والتقينا بالسيد موسولومي الذي أبدى تعاطفه مع الثورة في الجنوب، وفي وقت لاحق قابلته مع الرئيس نيريري في أحد مؤتمرات دول عدم الانحياز، وقد أصبح مقرباً من الرئيس التنزاني.

لم ننسَ مهمتنا في السفارة الصينية التي جئنا من أجلها. استقبلنا السفير الصيني والمسؤولون

---

(١٠) اللغة السواحلية ٧٠٪ من مفرداتها عربية ودخلتها بعض المفردات الإنكليزية وكانت تكتب باللغة العربية ثم اللاتينية، وأتت اللغة العربية مع الفتوحات الإسلامية في سنة ٨٤ هـ في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، وعلى سبيل المثال فكلمة أشكرك تعني بالسواحلية أحسنت صنعاً، وكيف حالك تعني حالي جاني، الفطور تعني شاهي يا صبوحي، ووزارة الصحة تعني وزارة يا عافية.

في السفارة، وشرحنا لهم مهمتنا التي كلفتنا إياها القيادة والمتعلقة بشحنة السلاح التي وعد الصينيون عبد الله الخامري بإرسالها إلينا عبر دار السلام. وأريناهم الصور الملتقطة له مع الصينيين الذين التقاهم دليلاً على صحة ما نقول، إذ لم نكن نملك وثائق أخرى سواها.

بانت الحيرة على وجه السفير، ونظر إلينا في استغراب ودهشة. ولعله تساءل في نفسه: ما هذا الوفد الغريب الذي جاء من عدن يطلب سلاحاً صينياً من السفارة لحسم المعركة مع الإنكليز في الجنوب، ولكنه لا يملك ولا يحمل إلا صوراً؟؟!

ولكنه وبالكياسة المعروفة عن الدبلوماسيين الصينيين، قال لنا إنه سيراجع حكومته في بكين، وطلب منا أن ننتظر حتى يصل ردها. ولم يحاول أن يسخر منا، وإن كان قد فعل ذلك حتماً في أعماقه. فقد كنا نحن أنفسنا نضحك من أنفسنا بسبب هذا الموقف الذي وضعنا فيه رفيقنا عبد الله الخامري، فقد كان الموقف تعبيراً عن السذاجة والطيبة!

وبالطبع، لم يصل أي رد على الإطلاق، بالرغم من انتظارنا لمدة طويلة، ولم نجد في دار السلام أي سلاح نشتريه بالمليوني درهم التي كانت بحوزتنا وعدت إلى عدن بخفي حنين. وفي عدن، التي كانت تنتظر شحنة السلاح التي ذهبنا لجلبها من دار السلام، اندلعت الحرب الأهلية الثانية في بداية نوفمبر ١٩٦٧م. وكانت إذاعة لندن، وهي مصدرنا الوحيد للمعلومات، تبثّ أخباراً عن المعارك الدائرة هناك، وعن القتلى والجرحى بالعشرات. ولا شك في أن لندن كانت تهوّل الأخبار بعض الشيء بما يخدم السياسة البريطانية وأغراضها، فلم يكن الضحايا بتلك الأعداد، ولكن حتماً كل قتيل يسقط أو جريح يجرح خلال تلك الحرب هو خسارة دون شك للوطن والثورة والشعب من الطرفين.

# الفصل الثاني والعشرون

## المعارك تشتدّ وتحرير المناطق يتوالى

قررت العودة إلى عدن عبر نيروبي، ووصلتها وهي في ذروة المعارك، وعلى مشارفها، وخاصة في مدينة الحوطة بلحج والقرى المجاورة لها. كانت جبهة التحرير تقاوم في كل مكان، في محاولة لتثبيت وجودها على الأرض، بعد استيلاء الجبهة القومية على العدد الأكبر من المحميات الجنوبية والشرقية. وكان على الجبهة القومية التي تتخذ من زنجبار مقراً لقيادتها أن توجه عدداً كبيراً من مقاتليها من الفضلي ودثينة والعواذل إلى لحج لحسم المعركة الدائرة هناك. كان يقود هذه القوة العقيد الصديق أحمد الذي اشتركت قواته من الحرس الاتحادي الأول، لأول مرة في الهجوم على قوات جبهة التحرير. وكان إلى جانبه القائد سالم ربيع علي وصالح علي ناصر (عواس) وعدد آخر من مقاتلي الجبهة القومية.

كنت قد التقيت «سالمين» في عدن، وانتقلت معه بالسيارة إلى زنجبار وجعار، وحدثته عن مهمتي التي ذهبنا فيها، أنا والبيض وبشير، إلى دار السلام، وطلبت رأيه في العودة إلى هناك أو البقاء في عدن، وقد نصحني بالعودة فوراً إلى تنزانيا وشحن السلاح جواً إلى المكلا. وفعلاً سافرت إلى دار السلام مرة أخرى والتقيت البيض ومحفوظ بشير، وعلمت منهما أن الردّ من الصين لم يصل بعد، وعدنا كما كنا قد ذهبنا مع الأسف.

كان الجيش في عدن قد أعلن انحيازه إلى الجبهة القومية في ٦ نوفمبر ١٩٦٧م وحسم الأمر نهائياً لمصلحة الجبهة القومية وانتصار الثورة. فكان علينا أن نعود إلى عدن في منتصف نوفمبر ١٩٦٧ بعد أن أصبحت الجبهة القومية هي المسيطرة على معظم الأراضي في الجنوب. وكان آخر موقع يقع بيدها هو جزيرة سقطرى التي تحررت على يد سعيد عمر العكبري الذي رفع

علم الجبهة فوق الجزيرة المحررة واحتجز سلطانها المسالم عيسى بن أحمد بن عفرير الذي طلب من العكبري[١] الأمان على نفسه ومنزله وإبله وغنمه. وهكذا سقط آخر موقع للاحتلال البريطاني في المحيط الهندي.

أما ذكرياتي عن هذه الجزيرة والجزر اليمنية فسأتحدث عنها في حينه بعد أن أصبحت محافظاً للجزر في المحيط الهندي والبحر الأحمر.

وهكذا فإن مجمل التطورات التي حدثت خلال الأشهر القليلة على الصعيد العسكري، وخاصة تحرير المناطق ثم الاقتتال الأهلي، عزز موقف الجبهة القومية ودفعها إلى إرسال وفدها إلى جنيف، ولعل تحرير إمارة بيحان يعطي صورة عن تهاوي بقية سلطنات الجنوب العربي ومشيخاته قبل الرحيل النهائي لقوات الاحتلال البريطاني عن عدن.

في نهاية نوفمبر عام ١٩٦٧م، التقيت في عدن الصديق مكرم محمد أحمد، مراسل الأهرام آنذاك ورئيس دار الهلال ومجلة المصور المصرية ونقيب الصحفيين في ما بعد، وكنت قد تعرفت إليه أثناء حرب التحرير في الجبهة الوسطى عام ١٩٦٥م، وكان حينها في طريقه إلى مصر وأنا في طريقي إلى باب المندب. حدثني يومها أنه زار بيحان بعد سقوط حكم الشريف حسين الهبيلي وزير الداخلية في حكومة الاتحاد، والتقى محمد علي هيثم الذي كان مشرفاً عليها، وسلمه كنزاً مهماً من الوثائق، وبدوره سلمها للأستاذ محمد حسنين هيكل. ولأهمية هذه الوثائق، قمت بزيارة هيكل في مكتبه بعد أكثر من ثلاثين عاماً، ولم تكن هذه الوثائق في حوزته، بل نصح بالاتصال بمركز معلومات الأهرام، ولم أجد هذه الوثائق المهمة للأسف عن علاقة شريف بيحان بالإنكليز والملكيين والسعوديين وبعض المشايخ الجمهوريين (الذين يكونون جمهوريين نهاراً ويقاتلون مع الملكيين ليلاً).

ضاعت تلك الوثائق وربما امتدت إليها بعض أيدي القوى الإقليمية والدولية التي لا ترضى عن نشرها، أو التي تريد استعمالها ضد الأشخاص والقوى الأخرى. وكان الأستاذ مكرم قد

(١) ذهب سعيد العكبري إلى جزيرة سقطرى على متن زورق صغير بقيادة الربان سعيد بن ربيد، من أبناء الديس الشرقية، على رأس قوة عسكرية برئاسة الرائد أحمد الكلالي يوم ٢٨ نوفمبر، ووصلوا إلى الجزيرة يوم ٢ ديسمبر ١٩٦٧م ورفعوا علم الجبهة القومية.

استعمل بعض تلك المعلومات في كتابه **الثورة في جنوب الجزيرة**، ونصح بالاطلاع عليها، وخاصة القسم المتعلق بإمارة بيحان.

وهنا أورد نص ما كتبه لأهميته:

«أن تسقط بالذات إمارة بيحان، أن يستشعر أميرها الخطر قبل سقوطها بخمسة أيام فيشدّ رحاله خارج الحدود، ثم تنهار السلطة في أيدي الوطنيين على النحو الذي جرى في الإمارة، شيء كانت تقصر عنه كل التقديرات المتوقعة. إن بعد المسافة عن مركز الثورة، وعلى الرغم من سطوة الشريف الهبيلي فقد كشفت عن أعماق جديدة لما كان يجري في مواجهة الثورة اليمنية.

كنا نجوس داخل باحات قصر الهبيلي القائم على ربا منطقة النقوب، والمطلّ بقبابه على سهل بيحان المزروع بالقمح وتقوم على جوانبه حصون أسطورية - قلاع تنهض فوق مساحة غرفة واحدة تطاول السحاب، تترصد مداخل الوادي بفوهات المدافع.

كنا نجوس داخل القصر، ولم يكن قد بقي منه سوى الحطام... قال محدثنا مسؤول الإمارة السياسي بعد الثورة وهو شاب في الثلاثين من عمره كان حتى الأمس القريب معلماً بالمدرسة الابتدائية، غير أنه هجر الوظيفة ليقود الثوار في جبل وجر القريبة من منطقة دثينة إحدى إمارات الجنوب... قال محدثنا... لم يكن في إمكان أحد أن يكبح ثورة الجموع التي أغارت على القصر ليلة انهيار السلطة، القصر الذي ما كان أحد يجسر أن يمشي في ظل جداره، تجوس الجماهير باحاته وقد أصابهم نوع من الذهول فاندفعوا يحطمون كل شيء بعد أن تحطمت هيئة الإمارة وأميرها والاستعمار البريطاني.

... غرفة الشريف حسين في الطابق العلوي - المرايا محطمة، ستائر المخمل منزوعة، الأثاث الباريسي الصنع محطم الجوانب بكعوب البنادق، الأرض يغطيها الحطام وكل شيء ممزق، بقايا الملابس، زجاجات العطور، أشرطة سينمائية محترقة، أقراص علب الهرمونات، كشوف أسماء قبائل اليمن، كشوف السلاح، منشورات وملصقات تحمل صور الإمام محمد البدر.

في حديقة القصر وفي إحدى حظائرها الجانبية كان هناك مدفع حديث مضاد للطائرات

إلكتروني التوجيه يغطيه العنكبوت وآخر من عيار ١٢٠ كان حتى الأمس القريب يطلق قذائفه على مدينة حريب اليمنية الواقعة على الجانب الآخر من سهل بيحان».



تذكرت وأنا أقرأ ذلك ما جرى لقصور سلاطين العبادل في لحج من نهب للتحف والأبواب والرخام الأبيض من قصر الروضة بالحوطة(*)، وما جرى في القصر الأبيض، جرى في باقي القصور الثمانية التي كانت تملكها الأسرة الهبيلية والتي بُني معظمها في السنوات الأخيرة، وعلى وجه التحديد منذ أن بدأت ثورة اليمن الشمالية، وبدأ شريف بيحان يمارس دوره الخطير في المنطقة وينسق ما بين أهداف الإنكليز الذين يناصرون أهدافه، وأهداف القوى الإقليمية، ويتلقى من هنا ومن هناك، ويمسك بخبث بالغ أطراف الخيوط الثلاثة ويأخذ على عاتقه مسؤولية توجيه العمل في واحد من أخطر المحاور في الحرب اليمنية، المحور الشرقي، الذي يبدأ من حريب ويمتد إلى مأرب، إلى صرواح حتى رأس العرقوب وجيحانة سوق خولان على مسافة ٣٦ كيلومتراً من صنعاء، وهو المحور الذي ظل مشتعلاً بالفتنة والنار طوال السنوات الخمس الماضية (١٩٦٢ - ١٩٦٧).

اندثرت كل الأسرار التي كانت تملأ ملفات مبنى السكرتاريا، والغرفة الملحقة بالدور السفلي من القصر، حيث كان يقيم كاتم أسرار الشريف السيد عبد الله، وأستطيع أن أقول واثقاً إن الملفات التي عثر عليها في مبنى السكرتاريا والتي أتيح لي أن أقرأ معظمها كانت تحوي مخططاً كاملاً يجري تنفيذه لضرب الثورة اليمنية.

(*) تحول القصر إلى كلية ناصر الزراعية.

أبرز ما تظهره هذه الوثائق أيضاً، مدى ما كان هناك وراء الفتنة التي جرت في اليمن: جهاز فني للحرب على درجة عالية من الكفاية يضم خدمة شبه كاملة في التخطيط والتدريب والاتصال والتنصّت، وكانت الوثائق تحوي فوق ذلك كله صوراً من تعامل بعض الأفراد الذين كانوا محسوبين على المعسكر الجمهوري في اليمن، لكنهم في الحقيقة كانوا يمارسون دوراً مزدوجاً.

ومهما يكن، فإن ما يبدو واضحاً من ذلك كله هو دهاء الشريف الهبيلي الذي مكنه من أن يقود مصالحه الخاصة بمهارة فائقة عبر تناقضات الأطراف التي اشتركت في عملية اليمن.

كان الهبيلي موضع اعتماد كل الأطراف، وكانت محاولات استرضائه من جانب كل الأطراف مقترنة بشحنات دورية من صناديق الذهب تصل أحياناً إلى عشرة صناديق في كل صندوق ٢٥ كيساً وفي كل كيس ألف قطعة ذهبية، وكان الذهب هو العملة المتداولة في حروب الملكيين والجمهوريين، أضافة إلى الريال والمارتيريز.

كان في التصور أن بيحان حصن، وأنها ستظل بمعزل عن كل ما يجري في عدن لبعد المسافة بين مركز الثورة وطرفها البعيد، وللثقة المفرطة في قدرة أميرها على أن يكبح جماح الأمور.

كل المخططات كانت تبدأ من بيحان، سواء لمحاولات ضرب الثورة اليمنية في الشمال، أو لمحاولات وضع العراقيل أمام مستقبل الجنوب، وحتى يكون الأمر جلياً بكل أبعاده، فلندع الفرصة للوثائق.

**الوثيقة الأولى**: هي النص الكامل للمباحثات التي جرت بين كاتم أسرار الشريف ومترجمه الخاص ودوغلاس، أحد الضباط في مكتب المخابرات البريطانية في عدن، والوثيقة تكشف مدى البعد الذي سارت فيه عمليات ضرب الثورة اليمنية في الشمال بعد ذلك من جانب بريطانيا.

- اتفاق على تسليح ٢٠ ألف رجل في المحور الشرقي من قبائل خولان.
- اتفاق على خطوط إمداد متصلة تبدأ بالبواخر الحربية من عدن حتى ميناء المكلا عاصمة حضرموت، ومن حضرموت حتى الربع الخالي إلى داخل حدود اليمن الشمالية.

- اتفاق على ميزانية أولية دورية من مليون ريال.
- اتفاق على معونة فنية كاملة من خبراء الشفرة والعاملين في تدريب المدفعية الثقيلة يكون مقرها منطقة النقوب موطن الشريف الهبيلي.
- اتفاق على تنظيم هبوط طائرات نقل كبيرة بمعدل طائرة بعد العاشرة من مساء كل ليلة في مطار النقوب السري الذي جرى تمهيده إلى جوار القصر الأبيض.

**الوثيقة الثانية:** خطاب من أحمد الشامي وزير خارجية الملكيين إلى الشريف الهبيلي يكشف فيه عن تبرم أسرة حميد الدين من كثرة النفقات الزائدة عن بنود الميزانية الشهرية المخصصة لمنطقة حريب التي كانت تصل إلى ٣٠ ألف جنيه إسترليني.



**المشير عبد الحكيم عامر يستقبل الشيخ الغادر قبل انضمامه للملكيين**

**الوثيقة الثالثة:** خطاب من ناجي بن علي الغادر، شيخ خولان وقائد تمردها في المحور الشرقي إلى قائده الجليل والعظيم الشريف المشرف يشكو فيه بيت حميد الدين الذين يتباهون بإذاعتهم من غير عمل وبشجاعتهم من غير فعل، وهو الذي قال:

**حيَد الطيال أعلن ونادى كل شامخ في اليمن**
**ما بانجمهر قط لو نفنى من الدنيا خلاص**
**لو يرجع أمس اليوم وإلا الشمس تشرق من عدن**
**والأرض تشعل نار وأمزان السماء تمطر رصاص**

ورد عليه الشيخ أحمد ناصر الذهب:

**حيَت بكم لندن وفيصل والهبيلي والحسن**
**آمـا مـن أصلينا معابر حصتكم خصاص**
**يــاذي زرعـــتـوا لـلـيـمـن هــذا الفتن**
**لا بــد مــن مـحـكـم وتـالـيـهـا الـقـصـاص**

ويبدو أن الشاعر الذهب قد تنبأ بمصير الشيخ الغادر وصحبه حيث قتل بعد ذلك في خيمة ملغومة، وعلق القاضي عبد الرحمن الإرياني رئيس المجلس الجمهوري على مقتله قائلاً: «عاش غادراً ومات مغدوراً».

عشرات من الأوراق والوثائق - تقارير دورية وغير دورية - قوائم لا حصر لها تتضمن كشوفات حسابات العمليات.

وبالإضافة إلى الوثائق، ما زالت هناك في الإمارة بقايا من تلك العلاقة، بقايا سيارة الفورد الحمراء التي كانت تعمل في نقل الإمدادات والمؤن إلى داخل مناطق الملكيين ملقاة في جانب من ساحة السكرتاريا.

قال لنا قائد الشرطة هناك: كان هنا أسطول من سيارات النقل المشابهة يصل عددها إلى ٣٠ سيارة، غير أنه عندما توالت الأخبار بانهيار سلطة السلاطين في الإمارات الغربية وزاد الإحساس بالخطر في بيحان أخذت السيارات وجهتها إلى مأرب.

ولقد ترك سقوط السلطة الهبيلية عن بيحان آثاراً فورية على الموقف:

خلال الأسبوع ذاته تَمَكَّنَت قبائل عبيدة اليمنية والجمهورية تماماً والتي تسكن الطرف الجنوبي من منطقة حريب، تَمَكَّنَتْ في ظل الأوضاع الجديدة للإمارة التي ما عادت الآن إمارة، من أن تقود هجوماً بالغ الأثر والنتائج على القوى المعادية للجمهورية في خولان، إذ حَرَّرَتْ مدينة حريب من فلول الملكيين الذين كانوا يسكنونها بعد أن هجرها معظم ساكنيها إلى الجبل. ولقد تلقت عبيدة معاونة ومساندة كاملة من كتيبة الجيش الجمهوري الخامسة التي كانت تعسكر في المنطقة. خلال الأسبوع ذاته أيضاً سلمت السلطة الجديدة في بيحان جمهورية اليمن ما يقرب من ٢٠٠ من الملكيين الذين فاجأهم انهيار السلطة، وهم ما زالوا

في الإمارة. الأهم من هذا كله، أن دور بيحان قد توقف بعد أن كانت مركز عمليات ومصدر إمداد للعدوان على الثورة اليمنية في الشمال.

## كيف حدث كل ذلك في بيحان؟

نعم، كانت الثورة تشتعل في عدن منذ أكتوبر ١٩٦٣م، وكان لهيبها يمتد إلى باقي الإمارات الغربية، إلا أن التقديرات كلها كانت تضع إمكانية التغيير في بيحان موضع الشك، ربما لبعدها عن عدن مركز الثورة، خصوصاً أن ظروف التخلف هناك لم تمكن من إنتشار التعليم كالذي حدث في حضرموت. وربما أيضاً لأن الشريف، بالرغم من تجاوزه السبعين من عمره، كان لا يزال في إمكانه أن يقبض على السلطة والمصائر بقوة، وهو جزء من نظام كان يمثل أقوى حلقاته، غير أنه بالانهيار المتتابع لمراكز السلطة القديمة في الجنوب لم يعد لأية حلقة مفردة من حلقاته أدنى قيمة أو قدرة على المقاومة.

إلا أن صورة ما حدث في بيحان لا تكتمل بغير شرح لموقف الكتيبة الخامسة التي كان يقودها العقيد صالح ناصر السعيدي، رجل الجبهة القومية القوي في الجيش، وحينها كان العقيد حسين عثمان عشال قائد المنطقة العسكرية في عتق، وكان الشريف يحاول جاهداً التودد بكل السبل إلى الكتيبة، وكان في تصوره أيضاً أن الأمور ستسير وفق مخططاتها المرسومة وأن الجيش لن يكون في النهاية إلى جانب الثورة، لكن وقائع يوم واحد قطعت الطريق عليه، إذ خرجت التظاهرة وتوجهت إلى دار الضيافة ومبنى السكرتاريا حيث كان لا يزال هناك الأمير صالح وأخوه الأمير قائد، وكان واضحاً لكل شهود العيان أن جنود الكتيبة يشتركون ضمن التظاهرة، وإن لم يكونوا بملابسهم العسكرية، وكان على العقيد حسين أن يقوم بنوع من الوساطة ما بين المتظاهرين والأميرين المحاصرين، ولم يستطع الرجل أن يصل إلى أية حلول وسط، وفي النهاية قال لهما: «نحن في زمان يقاتل فيه الابن أباه»، ولم يكن أمام الأميرين سوى أن يقبلا شروط المتظاهرين وأن يخرجا على الفور من البلاد بعد طلبهما عهداً بالأمان من قيادة الكتيبة الخامسة. وأُحبط الشريف وغادر بيحان ومعه أربعون من مشايخ القبائل، وتولت قوة من الجيش حراسة طابور من ١٥ سيارة يضم باقي أفراد الأسرة، ويحمل أيضاً كل ما استطاع الشريف أن يخزنه. واندفعت الجموع نحو

القصر الأبيض، ونحو باقي القصور الثمانية، فلم تُبقِ على شيء وقطعت أحداث ذلك اليوم الطريق على أية إمكانية لاستخدام الجيش في تدعيم موقف السلاطين المنهار.

وطار العقيد الشريف حيدر إلى بيحان - وكان من قيادات القوات المسلحة والأمن في عدن- لتهدئة الأوضاع، على متن طائرة عسكرية خاصة عندما سمع ما جرى في بيحان، وكانت المفاوضات لا تزال تجري بين المتظاهرين والأميرين المحاصرين في الضيافة، غير أن الجماهير التي أحاطت بمقرّ الكتيبة طالبت بطرده وخروجه من داخل أسوارها، ووجد العقيد نفسه مرغماً على أن يرحل بطائرته على الفور عائداً إلى عدن، حيث اضطرته المجموعات الوطنية في الجيش إلى مغادرتها أيضاً، فالتحق بالركب الهارب من بيحان.

ومع ذلك كله، فلا أحد يستطيع أن يغفل تأثير بعض العوامل التاريخية في بيحان قبل ٤٠ سنة خَلَتْ، إذ لم يكن لأسرة الشريف الهبيلي كثير من النفوذ في المنطقة، ذلك أن تركيب بيحان القبلي قد حدد لها على طول التاريخ قوتين أساسيتين: قبائل المصعبي التي تتمركز أكبر تجمعاتها السكانية حول العليا عاصمة بيحان، ثم قوى قبائل بلحارث التي تتمركز أكبر تجمعاتها السكانية في عسيلان وبلاد المصعبي، وأشهرها منطقة النقوب موطن الأسرة الهبيلية. ومع أن الأشراف والسادة كانوا يمنحون أنفسهم امتيازاً على كل القبائل، إلا أن أياً منها لم يكن يحسّ الضرر في أن يقبل سلطة السيد أو الشريف، ويقبل كذلك زواجهما ببناته دون أن يكون له الحق ذاته، ومع ذلك فقد كان السادة والأشراف يعيشون في حمى هذه القبائل ولا يخرجون إلى الحرب، شأنهم في ذلك شأن مواطني المدن الذين ضاعت مع طول ترحالهم حول مراكز التجار أصول أنسابهم.

حتى هذا التاريخ كانت قبائل المصعبي تحكم أرضها، وكذلك بلحارث، وقد تندلع بين الطرفين حروب قبلية تستمر أعواماً طويلة، إلا أنه سرعان ما تلتحم قبائل المصعبي وبلحارث إذا ما تهددهما خارج سهل بيحان عدو واحد.

غير أن الأشراف استغلوا سلطانهم الروحي على الناس، وتحولوا إلى طبقة سيطرت على سهول القمح في بلاد المصعبي ومناجم الملح الصخري وتجارته في بلاد بلحارث، وسعوا إلى هذه السيادة بكل الوسائل، وأولاها المعاهدة التي عقدها الشريف أحمد محمد محسن

مع الحكومة البريطانية عام ١٩٠٣م، وهي معاهدة توضح الصفقة التي بمقتضاها يتعهد البريطانيون بوضع بلاد بيحان تحت سلطته وداخل حدوده، بشرط أن يسلم إلى الأبد بحق البريطانيين في السيادة عليه هو وأراضيه.

وإحقاقاً للتاريخ، فمنذ عام ١٩٠٣م، وحتى عام ١٩٤٢م، والإنكليز يحاولون فرض البيت الهبيلي بالقوة على قبائل بلحارث والمصعبي. وخلال هذه الفترة حدثت حروب طويلة ودمرت الطائرات حصون بلحارث والمصعبي وحصن شمسان، غير أن البيت الهبيلي استطاع أن يحكم في النهاية الإمارة بمجهود الضابط السياسي بيتر ديفي، أحد ضباط المخابرات البريطانية الذين امتدت شهرتهم في أرجاء الجنوب، وقد أشهر إسلامه في وقت مبكر، وسمى نفسه عبد الله وتعلم اللغة العربية، وتزوج شيخة بنت محسن الهبيلي، وكان يتنقل من محمية إلى أخرى لتفقد الأوضاع، وقد توفي في محافظة الضالع عندما قُتل على يد شخص يدعى ابن عواس لشجار نشب بينهما.

ومنذ عام ١٩٤٢م، وقعت في بيحان حوادث أخرى ذات بال.

قُتل الشريف شيخ المصعبي وشرد قبائل بلحارث خلال سنوات صراع طويل على الملح، ذلك أن مناجم هائلة من الملح الصخري تقع في أرض القبيلة، وهي لذلك تستأثر بحق استخراجه ونقله إلى أسواقه في الجوبة وحريب اليمنية، حيث يباع كيس الملح بخمسة ريالات، وتحمل القوافل في كل أسبوع ما بين ٥٠٠ و٧٠٠ حمل جمل، وكان الشريف يريد ثلث الإيراد، ونشبت بسبب ذلك الحرب، واستمرت أعواماً، وفي النهاية لم يجد الشريف من حل سوى أن ينسى مطالبه.

ولم يكن منزل الهبيلي القديم الذي كان يسكنه قبل القصر الأبيض إلا منزلاً متواضعاً لا يزيد في أحسن الأحوال على دوار العمدة في صعيد مصر، غير أنه مع بداية الحرب اليمنية تغيرت أحوال البيت الهبيلي.

مهما يكن، فقد تحددت معالم الموقف في بيحان عندما كلفت الجبهة أحد أعضائها في العمل التنظيمي أن يترك مهماته على الفور ويتجه إلى هذه الإمارة، ذلك لأن الظروف، وإن مكنت من وجود تيار وطني في بيحان من خلال المدرسة المتوسطة (المدرسة المتوسطة

في إمارات الجنوب جزء مهم ورئيسي من مراكز إشعاع الوعي والثورة)، إلا أن الظروف في الإمارة أيضاً لم تمكِّن التنظيمات السياسية الوطنية من العمل على بناء تنظيمها السري الذي يمكن أن يقف على قدميه عندما تتحول الحركة السرية إلى حكومة علنية، وكان الخوف من أن يولِّد الفراغ الذي نشأ بسقوط الأسرة الهبيلية نوعاً من الصراع على مراكز السلطة الجديدة وتعود القبائل إلى صراعاتها.

وبرحيل الاستعمار انهارت الإمارة كما انهارت الإمارات والسلطنات والمشيخات الأخرى في الجنوب. وقد حدثني السلطان أحمد عبد الله الفضلي أنه نُصب له كمين في العرقوب ونجا بأعجوبة وهرب مع ثلاثة من حراسه من العرقوب إلى أحور سيراً على الأقدام والتقى بالوصي أبو بكر أحمد الذي أعطاه سيارة ومبلغاً من المال للذهاب إلى عتق ومن عتق إلى بيحان، واكتشف السلطان الفضلي أن شريف بيحان يُعدّ نفسه للهروب إلى نجران، وهرب معه، ومن نجران انتقل إلى جدة ليبدأ حياة جديدة. أما الأسرة الحاكمة في مشيخة العوالق، فقد غادرت الصعيد في الطريق إلى السعودية، وعلى رأسها الشيخ عبد الله بن محسن بن فريد، والشيخ فريد محسن بن فريد، ومعهم السيد عبد الله حسن الجفري والشيخ فريد الصريمة. وحدثني الأخ صالح بن فريد العولقي أنهم توقفوا في الطريق على إحدى التلال الرملية لأداء صلاة المغرب، وعندها تقدم السيد عبد الله الجفري ليؤمهم في الصلاة، لكن الشيخ فريد الصريمة انصرف إلى الخلف ليصلي نحو الجنوب، فقالوا له إن القبلة هي باتجاه الشمال، فقال للسيد الجفري: «لقد صلينا بعدك عشرين سنة حتى أوصلت بنا إلى هذه الصحراء وهذه الرمال»، وأضاف: « لن أصلي بعدكم»، فضحكوا وصلوا، وبعدها تحركوا ليلاً في طريقهم إلى نجران ليلحقوا بمن سبقهم عبر البحر والجو إلى السعودية وغيرها من الدول التي لجأ إليها حكّام الجنوب العربي.

هكذا كانت وما زالت إلى يومنا هذا لعبة الكرّ والفرّ بين الأفرقاء السياسيين في اليمن شمالاً وجنوباً وإلى دول المنطقة، فمتى تتوقف هذه الصراعات؟

الجدول أدناه يبين تواريخ تحرير الولايات والإمارات وهروب الأسر الحاكمة. وقد حدث أن كان معظم الوزراء الاتحاديين من سلاطين ومشايخ خارج عدن وقتذاك، وقد غادرت بعض الأسر الحاكمة من مناطقها قبل وقوعها بيد الجبهة القومية.

| المنطقة | التاريخ | الملاحظات |
| --- | --- | --- |
| إمارة الضالع | ١٩٦٧/٨/٢٨ | مغادرة الأمير شعفل بن علي إلى السعودية، وأُسقطت الإمارة عبر مسيرة جماهيرية قادها المناضل علي عنتر بمساندة كتيبة من الجيش بقيادة الرائد أحمد مسعود دهيس، العضو القيادي في الجبهة القومية. |
| مشيخة المفلحي | ١٩٦٧/٨/١٢ | اعتقال ثوار الجبهة القومية الشيخ قاسم عبد الرحمن المفلحي وإسقاط الجبهة للمشيخة. |
| السلطنة العبدلية | ١٩٦٧/٨/١٣ | غادرت الأسرة الحاكمة، وعلى رأسها السلطان فضل بن علي إلى السعودية، وبعد هروب السلطان تسابقت الجبهة القومية وجبهة التحرير على إسقاط السلطنة؛ وكان السبق للجبهة القومية بقيادة المناضلين علي سالم البيض وصالح علي عواس وعلي عبد العليم وأحمد سالم عبيد ومحمد حيدرة مسدوس ومحمد يحيى جابر ومحمد عيدروس يحيى. |
| ولاية دثينة | ١٩٦٧/٨/١٣ | تنحّي نائب الولاية الشيخ حسين منصور ثم عبد القادر بن شائع، وإسقاط الولاية عبر مسيرة جماهيرية بقيادة المناضل محمد علي هيثم وبمساندة كتيبة من الجيش بقيادة الرائد ناجي عبد القوي المحلائي الموالي للجبهة القومية. |
| سلطنة العواذل | ١٩٦٧/٨/٢٧ | مغادرة الأسرة الحاكمة، وعلى رأسها السلطان صالح بن حسين العوذلي، وإسقاط السلطنة عبر مسيرة جماهيرية بقيادة المناضل جعبل الشعوي، بمساندة وحدات من الجيش يديرها العقيد محمد سعيد شنظور، العضو القيادي في الجبهة القومية. |
| السلطنة الفضلية | ١٩٦٧/٨/٢٨ | مغادرة الأسرة الحاكمة (السلطان ناصر بن عبد الله) وأحمد عبد الله الفضلي، وإسقاط السلطنة عبر مسيرة جماهيرية بقيادة المناضل سالم ربيع علي «سالمين». |
| سلطنة يافع العليا | ١٩٦٧/٨/٢٨ | اعتقال السلطان محمود بن عيدروس والسلطان محمد بن عيدروس وبعض من الأسرة بعد الاستقلال؛ وقد أُسقطت السلطنة عبر مسيرة جماهيرية بقيادة عناصر قياديين في الجبهة القومية. |

| اعتقال الشيخ علي عاطف الكلدي ومحاكمته وسجنه والإفراج عنه ومغادرة الجنوب عام ١٩٨٣م، وقد أُسقطت السلطنة عبر مسيرة جماهيرية بقيادة عناصر من الجبهة القومية. | ١٩٦٧/٩/٢ | سلطنة يافع السفلى |
|---|---|---|
| اعتقال السلطان ناصر بن عيدروس ومحاكمته والافراج عنه عام ١٩٨٣م، وقد أُسقطت السلطنة عبر مسيرة جماهيرية بقيادة المناضل عبد الله أحمد بن جعويل. | ١٩٦٧/٩/٢ | سلطنة العوالق السفلى |
| اعتقال شيخ العقارب الشيخ محمود العقربي ومحاكمته والإفراج عنه عام ١٩٨٣ ومغادرته الجنوب. وقد أسقط المشيخة فدائيو الجبهة القومية، وفي مقدمتهم يوسف علي بن علي. | ١٩٦٧/٩/٩ | مشيخة العقربي |
| منع السلطان غالب بن عوض القعيطي من العودة إلى المكلا، ومغادرته إلى السعودية على الباخرة نفسها، وإسقاط السلطنة بمسيرة جماهيرية قادها ثوار الجبهة القومية، وعلى رأسهم سالم علي الكندي، وعبد الرحيم عتيق، وساندها جيش البادية الحضرمي بقيادة ضباط أعضاء في الجبهة القومية. | ١٩٦٧/٩/١٦ | سلطنة القعيطي |
| مغادرة الشريف حسين بن أحمد الهبيلي وأسرته إلى السعودية عبر الربع الخالي إلى نجران وجدة، وإسقاط الإمارة عبر مسيرة جماهيرية على رأسها أحمد عبد القادر وسالم قاسم تساندها كتيبة من الجيش بقيادة الرائد صالح ناصر السعيدي، وتحت إشراف العقيد حسين عثمان عشال، العضو القيادي في الجبهة القومية. | ١٩٦٧/٩/١٨ | إمارة بيحان |
| مغادرة السلطان حسين بن علي الكثيري، الذي حكم من ١٩٤٩ إلى ١٩٦٧، وأعوانه إلى السعودية وإسقاط السلطنة عبر مسيرة جماهيرية بقيادة الحرس الشعبي التابع للجبهة القومية، وعلى رأسهم المناضل عبد الرحيم عتيق. | ١٩٦٧/١٠/٢ | سلطنة الكثيري |
| اعتقال السلطان عيسى بن أحمد بن عفرير وأعوانه، وإسقاط السلطنة عبر مسيرة جماهيرية بقيادة المناضل محمد سالم عكوش تساندها وحدات من جيش البادية الحضرمي بقيادة ضباط موالين للجبهة القومية. | ١٩٦٧/١٠/١٤ | سلطنة المهرى |

| | | |
|---|---|---|
| مشيخة العوالق العليا | ٢٧/ ١٠/ ١٩٦٧ | مغادرة الأسرة الحاكمة، وعلى رأسها الشيخ عبد الله بن محسن بن فريد والشيخ فريد محسن بن فريد إلى السعودية، ومعهم السيد عبد الله حسن الجفري والصريمة، وإسقاط الإمارة بمسيرة جماهيرية تساندها وحدات عسكرية من الجيش بقيادة المقدم مهدي عشيش، العضو القيادي في الجبهة القومية. |
| سلطنة العوالق العليا | ٢٩/ ١٠/ ١٩٦٧ | مغادرة الأسرة الحاكمة واعتقال بعض أفراد الأسرة.<br>السلطان عوض بن صالح توفي في أنصاب. وأُسقطت السلطنة عبر مسيرة جماهيرية تساندها وحدات عسكرية من الجيش بقيادة المقدم مهدي عشيش، العضو القيادي في الجبهة القومية. |
| سقطرى | ٢/ ١٢/ ١٩٦٧ | سبق أن اعتقل سلطانها عيسى بن أحمد بن عفرير في المهرة، وقد أسقط ثوار الجبهة القومية الجزيرة بعد اعتقال سلطانها عيسى بن أحمد بن عفرير المهري وسعيد العكبري. |
| مشيخة الشعيب | ١٢/ ٨/ ١٩٦٧ | مقتل ناشر عبد الله الصقلدي، واعتقال الحاكم يحيى محمد الخلاقي. وأُسقطت المشيخة عبر مسيرة جماهيرية قادها المناضل صالح مصلح المجذوب. |
| مشيخة العلوي | | الشيخ باليل الرهوي (سيف العلوي) هرب إلى الضالع وسلَّم نفسه للمناضل علي عنتر وأُسقطت المشيخة على أيدي ثوار الجبهة القومية. |
| سلطنة الحواشب | | فرار السطان فيصل بن سرور إلى السعودية، وإسقاط السلطنة على أيدي ثوار الجبهة القومية. |
| سلطنة الواحدي | ٢٩/ ١٠/ ١٩٦٧ | اعتقال السلطان ناصر بن عبد الله الواحدي والإفراج عنه في ما بعد ١٩٨٣م، وإسقاط السلطنة عبر مسيرة جماهيرية بقيادة ثوار الجبهة القومية، يتقدمهم توفيق عوبلي وحسن عليوة وسالم بن عثيمان. |

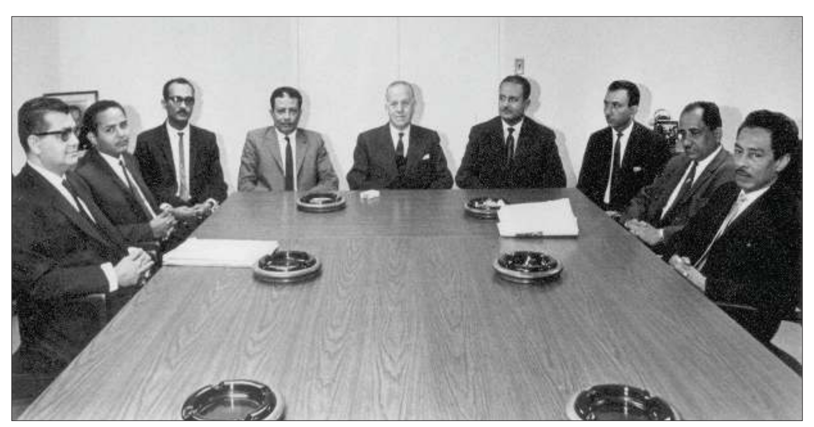
كما يبين الجدول، فقد هرب البعض من السلاطين والمشايخ، واعتُقل بعض آخر منهم، وبقيت جماعة منهم في الوطن، وبعد أن قضى بعضهم فترة حكم في السجن، أُفرج عنهم في الثمانينيات، ولم يقوموا بأي نشاط سياسي أو عسكري ضد النظام في عدن، ولكن الذين كانوا يقومون بالنشاط السياسي والعسكري كانوا في معظمهم من المحسوبين على الجبهة

القومية الذين عارضوا نهج النظام أو جبهة التحرير أو الذين اختلف معهم النظام في عدن في بعض المراحل التاريخية التي مرّ بها.

## قبيل مفاوضات الاستقلال

جرت مفاوضات بين الجبهة القومية وجبهة التحرير في مصر لضبط الصراع بين الجبهتين. ففي الثالث من أكتوبر عقدت جولة من المفاوضات، وكان وفد الجبهة القومية يضم قحطان الشعبي وفيصل عبد اللطيف ومحمد أحمد البيشي وعبد الفتاح إسماعيل، ثم التحق بهم محمود عشيش، حاملاً رسالة من عدن حول آخر التطورات. كان اجتماعاً مهماً وحاسماً كشفت فيه المداخلات عن سعة الخلاف وحجمه.

قدم وفد الجبهة القومية رؤية واضحة حول الوحدة الوطنية تتضمن مرونة وروحاً مسؤولة في تطويق آثار الصراع الداخلي، وتقوم على آلية تنسيق بين الطرفين باعتبارهما قوتين متكافئتين، وهما وحدهما من يحق لهما التفاوض مع الإنكليز لتسلم السلطة، وتحريم القتال الأهلي ورفض التهديدات الخارجية ومظاهر التدخل في شؤون الجنوب.



**مناقشة قضية الجنوب في الأمم المتحدة، من اليمين : شيخان الحبشي، قحطان محمد الشعبي، سيف الضالعي، محمد علي الجفري، أحمد عبد الله الفضلي، عبد الله حسن خليفة، محمد سالم باسندوة وعبد القوي مكاوي.**

واستنكر وفد الجبهة محاولات قيادة جبهة التحرير لمنع تحرير الواحدي والعوالق والإبقاء على المشايخ الذين يرددون شعارات كاذبة، ووضع شروط محددة للعمل المشترك تقوم

على إعلان جبهة التحرير موقفاً صريحاً أمام الرأي العام والشعب من السلاطين والأمراء والأحزاب والشخصيات العميلة، وأن لا تقوم بحمايتهم، وكذلك الموقف من الدور الإقليمي في الأحداث واحتضان بعض أقطاب الحكم السلاطيني وعملاء الاستعمار، والفلول الملكية الإمامية التي تقاتل ثورة ٢٦ سبتمبر في الجمهورية العربية اليمنية.

وإذ رفضت جبهة التحرير هذه الشروط، تقدمت بأفكار لا يمكن القبول بها في ظل تطور الأحداث وبلوغها ذلك المستوى من النضج، مثل تشكيل «حكومة وطنية» يدخلها سلاطين وأمراء ومشايخ، وإعلان التمسك ببنود خطط الجامعة العربية وقراراتها الداعية إلى تشكيل «حكومة وطنية عريضة» تشترك فيها ستة أطراف سياسية محلية. وكان معنى هذا استحالة اللقاء عند قواسم مشتركة. وكان الرئيس جمال عبد الناصر قد كلف السيد أمين هويدي وزير الحربية ومدير المخابرات لقاء وفدي الجبهة القومية وجبهة التحرير في شقة بالزمالك تطل على النيل، واستمرت اللقاءات لأكثر من أسبوعين اتُّفق في خلالها على تشكيل مجلس رئاسة وحكومة ائتلافية بالتعادل، وأصدر الوفدان بياناً يوم ١/ ١١/ ١٩٦٧م، إلا أن القتال الذي اندلع في الشيخ عثمان والمنصورة عطل هذا الاتفاق وأدى إلى انسحاب الجبهة القومية من المفاوضات، وتوجه وفدها إلى بيروت وجنيف من أجل مفاوضات الاستقلال.

في الثاني من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧م عقد قادة الجبهة القومية مؤتمراً صحافياً أعلنوا فيه أن الجبهة القومية تملك مفتاح مستقبل البلاد، وهي الممثلة الوحيدة للشعب في الجنوب، وهم مستعدون لمفاوضة بريطانيا بشأن تسلم السلطة، فيما ردّ المندوب السامي بالترحيب بهذا الموقف، الذي استغلته قيادة جبهة التحرير لتنظيم أوسع هجوم على مواقع الجبهة القومية ومكاتبها، وجرت معارك ضارية في المنصورة والشيخ عثمان والتواهي، استُخدمت فيها مدافع البازوكا والهاون والرشاشات والناسفات، وامتدت ثلاثة أيام متوالية، خرج الشعب فيها بمسيرات تطالب بوقف إطلاق النار، فيما وُجهت أصابع الاتهام إلى جبهة التحرير التي فجرت الموقف وأوصلته إلى هذه النقطة التي سقط فيها نحو مئة قتيل وأُصيب ثلاثمئة آخرون، واضطُر الجيش إلى أن يتدخل لوقف القتال.

وفي الواقع، فقد استطاعت الجبهة القومية أن تستفيد من جيبها التنظيمي في القوات المسلحة والأمن العام وفي صفوف الضباط والجنود الوطنيين في توسيع نفوذها السياسي والتأثير في

موقف الجيش، أو على الأقل، الحيلولة دون الزّج به في معارك مع الشعب والجبهة القومية، بل مكّنها ذلك من توجيه المؤسسة العسكرية نحو تفجير انتفاضة ٢٠ يونيو ١٩٦٧م في كريتر وفي مختلف المعسكرات.




كان من بين ضباط الجبهة القومية والموالين لها من يتمتع بكفاءات عسكرية عالية، فضلاً عن كفاءاتهم السياسية، مثل العقيد حسين عثمان عشال والعقيد الصِّدِّيق أحمد، والرائد أحمد صالح عبده الضالعي، والنقيب أحمد صالح حسني، والرائد محمد أحمد السياري، والعقيد أحمد محمد بلعيد، وكان لعناصر الجبهة القومية في قيادات الجيش وقواعده، تأثير هائل في حسم موقف الجيش من الصراع الأهلي لمصلحة الجبهة القومية. وليس من غير مغزى أن يتولى الرائد صالح محمد بو زنجبيلة صباح اليوم الذي أعلن فيه استقلال الجنوب عن بريطانيا (٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م) رفع علم الاستقلال في التواهي عندما كان على رأس الكتيبة التي أُوكلت إليها مهمة حرس الشرف.

بعد ٣٩ عاماً كاملةً على ذلك، كتب السيد عبد الرحمن الجفري مقالة عن يوم الاستقلال قال فيها: «إن يوم ٣٠ نوفمبر هو يوم شارك في صنعه كل أبناء شعبنا بكل فئاتهم... وإن الحركة الوطنية لتحرير الجنوب من الاستعمار لم تكن وليدة ١٩٦٣، ولا وليدة حلف حركة القوميين العرب والشقيقة مصر كما جاء في مذكرات محمود رياض - عن اجتماع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بجورج حبش وتحالفهما - كما لم تكن من نتاج وجود القوات المصرية في الجمهورية العربية اليمنية».

وأضاف: «إن شعبنا ناضل طويلاً ولعقود كثيرة... فلا تطمسوا تاريخه، ولا تاريخ الرعيل الأول من رواده، فالاستقلال لم يكن حصيلة السنين الثلاث الأخيرة من وجود الاستعمار، ولم يكن بفعل آخرين، وإنما كان بكفاح شعبنا. ومع تقديرنا لدور مصر، إلا أن شعبنا كان يناضل في سبيل استقلاله منذ زمن طويل قبل ثورة ١٩٥٢ في مصر... وكان استقلاله

سيتحقق في كل الأحوال، ولو متأخراً ٣٨ يوماً، نتيجة لنضال شعبنا الطويل وللظروف الدولية التي تلت الحرب العالمية الثانية التي صنعت توازنات دولية جديدة»[٢].

نتفق مع السيد الجفري في أشياء ونختلف معه في أخرى. فيما نتفق معه في قدم نضال شعبنا في الجنوب من أجل الحرية والاستقلال وقدم الحركة الوطنية لتحريره من الاستعمار، إلاَّ أننا نستغرب الفخر بغمز القوى التي خاضت الكفاح المسلح لكي يتوج كل ذلك التاريخ الوطني الطويل أخيراً بالنصر والظفر بالاستقلال[٣]... كذلك نندهش لمحاولة السيد عبد الرحمن الجفري اختزال نضال الشعب في الجنوب وتضحياته وتنكره لدور مصر في دعم الثورة، وأن الاستقلال سيتحقق سواء في نوفمبر ١٩٦٧م أو في يناير ١٩٦٨م بدون هذه التضحيات، والسؤال هو: لمن كانت ستسلم بريطانيا السلطة في يناير ١٩٦٨م[٤]؟ هل للقوى الوطنية بمختلف اتجاهاتها، بما فيها حزب الرابطة، أم لحكومة اتحاد الجنوب العربي التي كانت ترتبط بمعاهدات معها، وما يترتب عنها من إبقاء للقاعدة والخبراء والمستشارين البريطانيين في عدن؟ ويذكرني هذا الموضوع بما يقال عن أن قناة السويس ستؤول إلى مصر عام ١٩٦٨، فلماذا التأميم ولم يبقَ إلا ١٢ عاماً، والأمور لا تقاس بالأيام أو الأشهر أو السنين، بل بمحطات تاريخية مهمة وفاصلة في تاريخ الشعوب. فحرب حزيران عام ١٩٦٧م حُسمت في ستة أيام لمصلحة إسرائيل، والنصر في لبنان عام ٢٠٠٦ على القوات الإسرائيلية حسم في ثلاثة وثلاثين يوماً لمصلحة المقاومة اللبنانية. فنحن لا ننكر الدور الوطني للرابطة وقادتها، ولكننا لا نقبل الإساءة إلى تاريخ الثورة المسلحة والدعم المصري للجبهة القومية وجبهة التحرير، وقبل ذلك لرابطة «أبناء الجنوب العربي»، وقد أتفق معه اليوم إذا قال إن الجبهة القومية انفردت بالسلطة والحكم ولم تشرك الآخرين، وحتى هذا الرأي قد لا تقبل به القوى التي كانت تسيطر على الساحة آنذاك، فالسباق بين الجبهتين، القومية

(٢) عبد الرحمن الجفري، صحيفة الأيام ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٦.

(٣) أوردنا في ما سبق عدداً من تصريحات الوزراء البريطانيين (الخارجية - الدفاع - شؤون المستعمرات - وكذلك المندوب السامي في عدن) التي أكدوا فيها بجزم خلال عامي ١٩٦٥ و ١٩٦٦ وبداية عام ١٩٦٧م أن بريطانيا لن تسحب قاعدتها من عدن تحت أي ظرف من الظروف، ولكن الثورة وخسائرهم أجبرتهم على ذلك.

(٤) هذا إذا ما كانت ستفي بوعدها، ولنا في وعودها مع مصر خير دليل على عدم التزامها ما تعد به... فوعود ثلاثة أعلنتها للانسحاب من مصر ولم يحصل ذلك إلا مرغمة بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

والتحرير، على تسلّم السلطة كان في ذروته، فلكل برنامجه ومشروعه وتحالفاته، وحتى تلحين نشيده الوطني وقطار السلطة كان مسرعاً إلى قصر الرئاسة في التواهي دون توقف في محطات أخرى لركوب أشخاص آخرين، والسباق كان على من يحسم ومن يحكم الجنوب في نهاية عام ١٩٦٧ لينال الشرف الوطني والتاريخي بعد تضحيات جسام للوصول إلى هذا اليوم الخالد، ولم يكن ممكناً الوصول إليه بسهولة مهما بلغت القوة بيد الجبهة القومية دون الالتفاف الشعبي العظيم حولها للوصول إلى الخلاص والتحرر والاستقلال.

لذلك، علينا ألّا نفصّل التاريخ على مقاسات اليوم، بل يجب أن نستفيد من عبره ولا نتباكى على الأطلال، والمهم أن نعي وندرك اليوم أن قوى جديدة ليست لها علاقه بثورة ٢٦ سبتمبر وثورة ١٤ أكتوبر هي التي تسيطر وتحكم وتتحكم في مستقبل البلاد والعباد، ويقوم البعض بالدعوة والهتاف لها في المساجد وفي المهرجانات، ونسوا أن يقولوا لهؤلاء الحكام لا تطمسوا تاريخنا وتاريخ الرعيل الأول من رواده، فالتاريخ ليس ملكاً للحكام والمنتصرين، وهذه هي سنّة الحياة وفعل التاريخ ودراماتيكية الأحداث والتطورات في حياة الشعوب صاحبة القول الفصل في الأحداث العظام.

# الفصل الثالث والعشرون

## على طاولة المفاوضات مع البريطانيين

## وفرضت الجبهة القومية نفسها على الأرض

بدأت المفاوضات بين بريطانيا وقيادة الجبهة القومية في جنيف يوم الحادي والعشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧م. كانت الأسئلة عن مغزى الموقف البريطاني الإيجابي من الجبهة القومية قد عادت إلى مقدمة التحليلات والتعقيبات بالنسبة إلى رجال الصحافة والسياسة والمتابعين، بعد شهور من تراجعها، حيث كانت قد شغلت كثيرين في نهاية آب/ أغسطس من ذلك العام تصريحاتُ السيد قحطان الشعبي الخاصة بإعلان استعداد الجبهة القومية لإجراء مفاوضات مع بريطانيا ولقاء مندوبها السامي في عدن، شرط أن تعلن بريطانيا اعترافها بوحدانية تمثيل الجبهة القومية للشعب.

في الخامس من أيلول/ سبتمبر قام اللورد شاكلتون بما يُعدّ تجاوباً مع تصريحات الشعبي، إذ التقى في بيروت بعثة الأمم المتحدة ليبلغها بأن المندوب السامي البريطاني سيلتقي قادة الجبهة القومية «في المكان الذي يناسب الطرفين»، وأن المحادثات ستؤدي إلى قيام «دولة الجنوب العربي»، وأضاف: «لم يكن أمام المندوب السامي في عدن إلا أن يتعامل مع القوّة في المنطقة».

وتتويجاً لهذه المواقف صرّح وزير الخارجية البريطاني في ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر أمام مجلس العموم، قائلاً: «إن مصر تجلو في الوقت الحاضر عن اليمن، ولذا لن تكون هناك حاجة للاحتفاظ بقوّة بحرية قرب سواحل الجنوب، وبقاذفات القنابل التي كانت بريطانيا تزمع تخصيصها للغرض نفسه، أي لحماية الدولة الجديدة». وفي ١٣ تشرين الثاني/ نوفمبر أعلنت لندن موافقتها الرسمية على بدء المفاوضات المقترحة، وفي اليوم التالي قالت إن القوات البريطانية ستغادر عدن في نهاية الشهر.

## هل سلمت بريطانيا السلطة للجبهة القومية أم اضطرت إلى ذلك؟

لقد اختلفت التقديرات بشأن دواعي استعداد حكومة لندن لمفاوضة الجبهة القومية وتسليمها مقاليد البلاد في ما بعد. وإذا عدنا إلى ما قيل آنذاك، فإننا لا يمكن أن نعزل القول عن مصلحة متبادلة، فقد انطلق الجميع من زاوية الحالة التي كانوا فيها وعلاقتهم بأحداث الجنوب العربي، رغم أن آراءً كثيرة كانت تستند إلى حقائق وتحليلات قريبة من الواقع، ولا يمكن إسقاطها تماماً لسبب أنها «ذاتية» الرؤية.

إن أكثر التلميحات التي ألقت الشكوك على صدقية موقف الجبهة القومية استندت إلى التقرير المبكر لبعثة الأمم المتحدة الذي حذّر من تفرد أيٍّ من الجبهة القومية أو جبهة التحرير بالتحكم بمصائر «الدولة الجديدة»، ودعت بريطانيا إلى ضمان قيام «حكومة عريضة بمشاركة التنظيمين الوطنيين». وقد ذهبت تلك الشكوك إلى اعتبار «المفاوضات» الوشيكة بمثابة «صفقة» لها مرامٍ بعيدة، فيما توجهت القاهرة - في هذا الخضمّ - بمبادرة حاسمة، لكنها كانت الأخيرة، وتستهدف وقف انهيار جبهة التحرير، وذلك باقتراحها الذي تقدمت به إلى الجبهة القومية بإجراء مفاوضات بين الفصيلين في تعز «حول الوحدة الوطنية»، ووقف مفاوضات جنيف تمهيداً لتشكيل وفد مشترك. غير أن هذه المحاولة أخفقت.

وكان أن ارتبطت الحملة التحريضية على مفاوضات جنيف بقضية انحياز وحدات «جيش الجنوب العربي» إلى صف الجبهة القومية، لتكوين انطباع عام عن علاقة بريطانيا بهذا الانحياز وتشجيعها له، في مقدمة للمفاوضات اللاحقة مع الجبهة.

لقد تابع عبد الله باذيب هذه القضية المعقدة، واقترب كثيراً من أسباب انتقال أكثرية جيش الجنوب العربي إلى الجبهة القومية، معللاً ذلك بشعبية الجبهة القومية ونفوذها المتنامي في المناطق الداخلية، وسقوط سمعة جبهة التحرير، ولا سيما بعد حرب الأيام الستة، وهي التي كانت تعتمد أساساً على دعم القاهرة لها، إضافة إلى إدراك الضباط المنحدرين من العوالق أن التأييد اللاحق لجبهة التحرير يعني مواصلة الاقتتال الأهلي الذي أُقحم الجيش فيه وإراقة مزيد من الدماء.

وفي الثامن عشر من نوفمبر نشر في عدن بلاغ رسمي اعترف فيه المندوب السامي البريطاني

بأن الجبهة القومية تسيطر تماماً على الموقف في البلاد، وأنها ممثل شرعي ووحيد للشعب في الجنوب، وأعلن وزير خارجية بريطانيا جورج براون، أن بلاده قررت أن يكون الاستقلال في النصف الثاني من نوفمبر بدلاً من الموعد المحدد من قبل، لأن الانسحاب سيخفض الخطر عن جنوده.

وقد عقدت الجبهة القومية مؤتمراً صحفياً أعلنت فيه مسؤوليتها عن سلامة مناطق الجنوب وأمنها وسلامة المواطنين وممتلكاتهم والممتلكات العامة. كذلك ضمنت أمن الجاليات الأجنبية وسلامتها. وبعد أن أحكمت الجبهة القومية سيطرتها على كل الأراضي خارج مستعمرة عدن، أصدرت العدد الأول من الجريدة الرسمية بتاريخ ١٠/ ١١/ ١٩٦٧م، وقد تضمّن عدداً من القرارات، أهمها:

## قرار رقم (١)

١- تعتبر الجبهة القومية نفسها مسؤولة مسؤولية كاملة عن سلامة وأمن مناطق الجنوب المحررة وأية منطقة تتحرر بعد جلاء الاستعمار البريطاني عنها.

٢- إن المحافظة على سلامة المواطنين وممتلكاتهم الخاصة، وكذا الحفاظ على الممتلكات العامة الثابتة والمنقولة في المناطق المحررة تقع تحت مسؤولية سلطات الجبهة القومية، لذلك فإن العبث أو الإضرار بهذه الممتلكات يُعَدّ إجراماً بحق الثورة.

٣- إن سلامة وأمن أفراد الجاليات الأجنبية العاملة في القطاع المدني وفي المؤسسات التجارية والمالية العربية منها والأجنبية، وكذا ممتلكاتهم الخاصة وممتلكات الشركات والمؤسسات التجارية والمالية التي يمثلونها مصونة، وعليه فإن أية محاولة للتخريب أو الإضرار بهذه الممتلكات، يُعَدّ إجراماً بحق الثورة.

٤- على جميع القيادات العسكرية والشعبية، وكذا رجال الأمن والقوات المسلحة للجنوب اليمني اتخاذ الخطوات الضرورية لتنفيذ هذه القرارات.

٥- تعتبر هذه القرارات سارية المفعول ابتداءً من يوم صدورها.

**القيادة العامة للجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل في ١٠/ ١١/ ١٩٦٧م**

## قرار رقم (٢)

بما أن الجبهة القومية هي السلطة الشعبية في الجنوب اليمني المنبثقة من إرادة الجماهير وممثلة حقيقية لها، فقد قررت القيادة العامة باسم الثورة وباسم الشعب ما يلي:

١- تتوقف حملة التفتيش في البيوت والشوارع في منطقة عدن وضواحيها إلا في حالات الضرورة القصوى وبإذن خاص من القيادة العامة أو الأمن المحلي.

٢- على جميع القيادات العسكرية والشعبية وكذا رجال الأمن والقوات المسلحة للجنوب تنفيذ هذا القرار ابتداءً من تاريخ صدوره.

**القيادة العامة للجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل في ١٠/ ١١/ ١٩٦٧م**

## قرار رقم (٣)

بما أن الجبهة القومية هي السلطة الشعبية في الجنوب اليمني المنبثقة من إرادة الجماهير وممثلة حقيقية لها، فقد قررت القيادة العامة للجبهة القومية باسم الثورة وباسم الشعب ما يلي:

١- على جميع المواطنين الذين في حوزتهم أسلحة وذخيرة مرخص بها من قبل السلطات الاستعمارية أن يسلموا هذه الأسلحة والذخيرة إلى مركز قيادة الجبهة القومية بالشيخ عثمان واستلام إيصال بذلك في مدة أقصاها أسبوع واحد من تاريخ صدور هذا القرار.

٢- كل من يمتنع عن الامتثال لهذا القرار ستتخذ بحقه الإجراءات الثورية الرادعة.

٣- على جميع القيادات العسكرية والشعبية وكذا رجال الأمن والقوات المسلحة للجنوب اليمني تنفيذ هذا القرار ابتداءً من تاريخ صدوره.

**(القيادة العامة للجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل في ١٠/ ١١/ ١٩٦٧م).**

كان الهدف من صدور هذه القرارات قبل الاستقلال الوطني بعشرين يوماً، هو الحفاظ على الاستقرار الداخلي للجنوب وأمن المواطنين ومنع أي ظواهر للفوضى حتى إعلان قيام الدولة وتسمية الحكومة. وقد تمت عن وعي سياسي وحسٍّ عالٍ بالمسؤولية.

في الثاني عشر من نوفمبر استجابت الحكومة البريطانية للأمر الواقع تحت تأثير زخم ثورة ١٤ أكتوبر الظافرة وتعاظمها، فوافقت على إجراء مفاوضات مباشرة مع الجبهة القومية بشأن نقل السلطة إليها.

... وأبرقت الجبهة إلى الأمين العام للأمم المتحدة «يوثانت»، وأبلغته أن الجبهة قد نجحت في تصفية الوجود البريطاني في معظم مناطق البلاد، واستولت بقوة السلاح وبتأييد الشعب، على كل المناطق الريفية.

في الخامس عشر من نوفمبر نُشر في عدن بيان لوزير الخارجية البريطاني «جورج براون»، ذكر فيه أن مفاوضات الاستقلال ستبدأ يوم العشرين من نوفمبر ١٩٦٧م بين الحكومة البريطانية والجبهة القومية باعتبارها ممثلة الشعب.

وفي ٢٠ نوفمبر بدأت مباحثات «جنيف» بين الجبهة والحكومة البريطانية بشأن تسليم السيادة للسلطة الوطنية.

وفي ٢٤ من الشهر نفسه دعت الجبهة القومية إلى العمل على بناء مجتمع جديد يقوم على ثلاثة أعمدة: الحزب، الجماهير، والدولة. وأعلنت أنها ستخوض نضالاً ضد الاستعمار الجديد، المتمثل بالسيطرة الاقتصادية الأجنبية الاحتكارية.

وفي ٢٥ نوفمبر اتخذت القيادة العامة سلسلة من الترتيبات لإقامة نظام حكم وطني تقدمي وحكومة وطنية. وحددت اسم الدولة الجديدة (جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية)، وأطلق اسم «مدينة الشعب» على «مدينة الاتحاد».

كذلك انسحبت قوات الاحتلال من «كريتر»، و«المعلا» و«التواهي». وبذلك الانسحاب اختفت من شوارع المدينة الباسلة تلك الصورة الرهيبة للدبابات والدوريات الإنكليزية التي كانت تنشر الرعب في قلوب الناس.

في ٢٧ نوفمبر شهدت كل أنحاء البلاد مسيرات نظمتها القيادات المحلية للجبهة القومية ابتهاجاً بجلاء قوات الاحتلال.

وأذاع القصر الملكي في لندن مرسوماً يعلن انتهاء ما سمّاه «الحماية» على أرض الجنوب.







وفي التاسع والعشرين من نوفمبر تم الجلاء النهائي لقوات الاحتلال البريطاني، ورحل الكولونيل داي مودغان، وهو آخر عسكري بريطاني من عدن والجنوب، وكان المندوب السامي البريطاني همفري تريفليان قد رحل في اليوم نفسه، بعد استعمار دام مئة وتسعة وعشرين عاماً. (دام الاستعمار بالضبط مئة وثماني وعشرين سنة وعشرة أشهر وعشرة أيام).

وفي ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م أصبحت بلادنا حرة ومستقلة، وحقق الشعب بكفاحه وصبره وتضحياته الغالية استقلاله الناجز غير المشروط، والذي عمّده بالدماء والدموع والتضحيات الجسيمة وبكل صورها وألوانها.

وفي نهاية هذه الذكريات عن عدن، وأعمال المقاومة المسلحة والقتال في جبهات القتال الأخرى، التي كنتُ مشاركاً في بعضها، كما في (الجبهة الوسطى) بوصفي أحد القادة السياسيين والعسكريين لها، أو تلك التي كنت أشرف عليها بصفة مباشرة (جبهة بيحان)، وكنت أحد المشاركين في أخطر القرارات المصيرية التي حددت مصير المعركة والحرب مع قوات الاحتلال في منزل نور الدين قاسم كما هو الحال في قرار فتح جبهة عدن ونقل العمل العسكري إلى قلب القاعدة البريطانية، أو تلك التي كنت أتابعها يوماً بيوم أينما كنت، سواء في تعز أو القاهرة أو في دار السلام، أو تلك التي اهتممت بها وبتاريخ الثورة من موقع مسؤوليتي رئيساً للوزراء، فأمرت بجمعها وتوثيقها في «يوميات حرب التحرير في عدن» الصادرة عن دار الهمداني في عام ١٩٨٤م.

في نهاية هذه المذكرات، فقد رأيت أن من المناسب أن أقدم إلى القارئ أهم ما جاء في برنامج «فيلم إمبراطورية» عن الثورة في الجنوب:

أكد الجنرال «لنت» قائد الجيش الاتحادي أن «الجنود البريطانيين يقاتلون ويقتلون دون أي سبب يمكن أن يفهمه أحد في بريطانيا، وهم يُعدّون أنفسهم للرحيل، وقد غادرنا عدن بطريقة مذلة. وكانت الفرقة الموسيقية تعزف «لن نعود مرة أخرى»، والدموع تنهمر من عيوننا. لقد غادرنا عدن كاللصوص في ظلمة الليل، مخلِّفين وراءنا تمثال الملكة فكتوريا الذي يرقد في زاوية خلفية من متحف».

أما الآن، فقد كانت الإمبراطورية البريطانية تُحتَضَر، وآخر جنودها يغادرون عدن بلا رجعة بعد ١٢٩ عاماً من الاحتلال. وكانت عدن مقراً لقيادة الشرق الأوسط بعد أن طردت بريطانيا من مصر والعراق والأردن، وها هي القوات البريطانية تستعد للرحيل، كما قال وزير الدفاع البريطاني «دنيس هيلي» إننا قررنا المغادرة من هذه القاعدة حيث لم نكن بحاجة لها للعمل في الخليج ما دمنا لن نتدخل عسكرياً في المنطقة.

كان هذا القرار صدمة لحكومة اتحاد الجنوب العربي التي لم تتوقع أن تعلن بريطانيا انسحابها من عدن من طرف واحد دون التشاور معها. وعبَّر عن هذه الصدمة وزير خارجية الاتحاد الشيخ محمد فريد العولقي قائلاً: «إن ذلك يخالف كل الاتفاقيات، وإنهم – أي البريطانيين –

تصرفوا بأكثر الأساليب غير المشرفة لأنهم سيتركون حكومة الاتحاد تواجه المصريين في اليمن، وأعمال العنف التي تهدد الاتحاد ومستقبل بريطانيا في المنطقة تقوم بها المنظمات التي يقودها قحطان الشعبي وعبد الله الأصنج، والتي يقف وراءها جمال عبد الناصر الذي يطالب بجلاء القوات البريطانية وتشكيل حكومة وحدة وطنية».

وأكد السير جون ويلتون، مساعد الحاكم العام في عدن، أن قرار الانسحاب لا رجعة عنه، ولكن الأمر الأهم يكمن في كيفية إخراج القوات البريطانية بأقل خسائر ومن غير إراقة دماء، وتسليم الأمور إلى حكومة موالية!

كان السلاطين أكثر قلقاً بعد التمردات والانقسامات التي حدثت في الجيش في يونيو ١٩٦٧م وبعد الإعداد البريطاني للرحيل عن عدن التي تحولت إلى جحيم لا يطاق بالنسبة إليهم، حيث قُتل ٢٢ جندياً في انتفاضة ٢٠ يونيو، ودفنوا في مقبرة بين الجبلين، بالقرب مما سُمِّي بعد ذلك معسكر صلاح الدين.




**مبنىً مهدَّم من آثار الحرب الأهلية في الشيخ عثمان - ١٩٦٧م.**

وقد اتخذت القوات البريطانية موقفاً محايداً من الحرب بين الجبهتين «الجبهة القومية» و«جبهة التحرير» حتى آخر أيامها في عدن، «لكي لا نفقد أي جندي، ونحن سنغادر عدن بعد بضعة أيام أو أسابيع»، كما قال الكولونيل «داي مورجان»، فقد انسحب ثلاثون ألف جندي

في الأشهر الستة الأخيرة من عام ١٩٦٧م، ورست أربع وعشرون سفينة للقيام بعمليات إنقاذ سريعة خوفاً من الجبهة القومية بقيادة قحطان الشعبي الرئيس القادم للجنوب، الذي طالب من مقر إقامته في زنجبار.. بما يأتي:

- على البريطانيين أن يمنحوا الشعب استقلاله.

- أن يعترفوا بالجبهة القومية ممثلاً وحيداً للشعب في الجنوب.

- على بريطانيا أن تسلِّم كل السلطات للجبهة القومية، ونحن مستعدون لذلك.

أدى المندوب السامي البريطاني «همفري تريفليان» التحية الأخيرة من على متن السفينة الحربية «إنتربيد»، ولم يكن هناك في عدن أي وداع رسمي أو تسليم رسمي للسلطة، وكانت أعلام الفرق قد أنزلت. وفي الثامنة إلا ربعاً حملت طائرات «الهيلكوبتر» آخر ٣٣ جندياً بريطانياً من عشرة مراكز في عدن. كان الكولونيل «داي مورجان» آخر جندي بريطاني يغادر عدن في الساعة الثالثة بعد ظهر يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٦٧م.

ورفع الرائد صالح محمد أبو زنجبيلة[١] علم الجبهة القومية على السارية في مدينة التواهي بالقرب من ميناء عدن إيذاناً برحيل القوات البريطانية وآخر مندوب سامٍ بريطاني في عدن دون وداع أو توديع، ليبدأ عهد السلطة الوطنية في جنوب اليمن.

ترأس قحطان الشعبي وفد الجبهة الرسمي للمفاوضات، وضمَّ في عضويته: فيصل عبد اللطيف، سيف الضالعي، خالد عبد العزيز، عبد الفتاح إسماعيل، العقيد عبد الله سبعة (من الأمن)، ومحمد أحمد البيشي وعدداً من المستشارين، منهم المقدم محمد أحمد السياري (من الجيش)، المقدم حسين سالم المنهالي (من قوات البادية)، عادل خليفة، عبد الله علي عقبة، أبو بكر سالم القطي، أحمد علي مسعد (سكرتير الوفد)، محمود مدحي وملكة عبد الله، وضمَّ الوفد أيضاً عدداً من المستشارين العرب، بينهم الأخضر الإبراهيمي، عدنان ترسيسي، وغسان كنفاني. وجاء قرار الجبهة المتعلق بتشكيل الوفد أنه مكلف «مفاوضة الحكومة البريطانية في الأمور المتعلقة بسيادة جنوب اليمن المحتل واستقلاله ومستقبله،

---

(١) حسب حديث عبد الملك إسماعيل معي.

بما في ذلك جزر كمران وميون وكوريا موريا وسقطرى والجزر الأخرى التابعة». وأُعطي الوفد «صلاحيات اتخاذ القرارات النهائية والتوقيع على الوثائق التي تنبثق من المفاوضات المزمع إجراؤها»[٢].

لم تُناقَش في هذا الاجتماع جميع نقاط البحث، فاجتمعت اللجنة التنفيذية في ١٨ تشرين الثاني/ نوفمبر قبيل مغادرة الوفد المفاوض إلى جنيف، وقد حضره كل من: أحمد صالح الشاعر (سعد)، عبد الملك إسماعيل (مصطفى)، محمد صالح عولقي (محسن)، سلطان أحمد عمر (فارس)، عبد القادر أمين (علي أمين)، عبد الله الخامري (محمد سالم) وسيف الضالعي (رشيد). وكانت أمام المجتمعين قضية مهمة، هي اتجاهات تحرك الوفد المفاوض، وبرقية قحطان الشعبي وفيصل والبيشي وعبد الفتاح (الموجودين في القاهرة للتفاوض بشأن الوحدة الوطنية) التي تطلب بحث موضوع مشاركة ممثلي الجيش في الوفد المفاوض، باعتباره قطاعاً من قطاعات الجبهة.

وبصدد هذه القضية، أشار محضر الاجتماع إلى أن محمد علي هيثم أراد استبعاد فكرة إشراك عسكريين يمثلون الجيش، والتشديد على أن أولئك العسكريين والجيش نفسه بمثابة قطاع من قطاعات الجبهة، ورأى سلطان أحمد عمر أنه يمكن إشراك عسكريين في الوفد دون إعلان صفتهم العسكرية. أما الشاعر، فقد لاحظ أنّ من الخطأ استبعاد الجيش من الوفد، لأن ذلك سيزيد من حساسية القيادات العسكرية إزاء الجبهة القومية.

في ختام المناقشة، جرى التوصل إلى رأي مفاده أن يضم الوفد عسكريين بملابس مدنية. وكانت برقية قحطان وزملائه من القاهرة قد طلبت تأجيل البتّ في التشكيلة الحكومية إلى ما بعد مفاوضات جنيف.

في ذلك الاجتماع ذكر عبد الله الخامري أنه سمع حين كان في بيروت «أن الجيش مدفوع من قبل بريطانيا»، واقترح إبلاغ القيادات العسكرية بهذه الشائعة وتحذيرهم منها لئلا يتأثروا بها عند سماعهم لها. لكن عبد الملك إسماعيل (وأيدته الأكثرية) اعترض على الفكرة بسبب تدني الوعي في الجيش مما قد يسبب ردود أفعال.

---

(٢) القرار أورده كتاب «عدن.. كفاح شعب»، ص ١٩٩ الذي سبق ذكره.

وفي مناقشة التشكيلة الحكومية المقبلة، أيد سالم ربيع علي برقية القاهرة بشأن إرجاء إعلان الحكومة إلى ما بعد عودة الوفد المفاوض من جنيف. وأضاف محمود عشيش الذي أيّد الاقتراح أنه ينبغي مشاركة أعضاء الوفد كله في مناقشة التشكيلة، وضمان إبداء ملاحظاتهم وآرائهم. وهكذا أُجِّل النظر في هذه القضية ليفتح موضوع مقتل صحافي ألماني صباح يوم الاجتماع، فأوضح سيف الضالعي أن القاتل هو أحمد ناصر الحماطي، وقد تجمعت الأدلة ضده، وهو معتقل الآن في خور مكسر. فطلب عشيش إعدام المتهم، وقال: إن هناك تقارير تشكك في سلامة نية الحماطي وصدقها حين انتسب إلى الجبهة القومية. وعقّب الخامري بالقول إن عدداً من المواطنين شاهدوا الحماطي وهو يطلق الرصاص على الصحافي. أما الضالعي، فقد اقترح أن يُتَّخَذ في هذا الاجتماع قرار يقضي باستمرار حبس المتهم وأن لا يطلق سراحه الآن حتى تتأكد براءته. فيما أصرَّ كل من «سالمين» والشاعر على أن يجري التيقّن من حقائق التهم والشهود «قبل إعدام أي شخص بهذه السهولة».

ورأى الشاعر أن يستمر التحقيق في الحادث مع من يُشكّ في تورطهم بالجريمة، وكذلك مواصلة التحقيق في الأحداث التي راح ضحيتها مواطنون خلال الاقتتال الأخير لأسباب شخصية أو قبلية. وشكل الاجتماع لجنة تحقيق قوامها كل من علي سالم البيض وسلطان أحمد عمر. وتقرر أيضاً عدم تنفيذ أي حكم بالإعدام إلا بعد موافقة القيادة العامة للجبهة على الحكم.

## الدولة... والعلم... وعلاقة التنظيم بالسلطة

ثم انتقلت المناقشة إلى موضوع علاقة التنظيم بالدولة، ذلك الموضوع الذي اقترحه محمد علي هيثم ولم يجرِ التوصل إلى صيغة ملموسة حوله، واكتُفي بتبادل وجهات النظر التي عبَّرت عن تفاوت في استيعاب هذه القضية. واقترح محمد علي هيثم إطلاق اسم «جمهورية جنوب اليمن الشعبية» على الدولة الجديدة، أو «جمهورية عدن» أو «جمهورية حضرموت»[٣]، فيما

---

(٣) كان اقتراح تسمية دولة الاستقلال القادمة حينها «بولة حضرموت العربية» وعاصمتها عدن، وللاعتبارات الآتي ذكرها: ١- حضرموت تمثل ثلثي المنطقة السيادية لشعب الجنوب. ٢- اسم حضرموت هو الاسم الذي بقي حاضراً إلى اليوم من ممالك الحضارة العربية الجنوبية، وامتد حكمها ليشمل الجنوب كله في فترات تاريخية معينة، وهذه التسمية تعطي باعتمادها تسمية للدولة الجديدة عمقها التاريخي والحضاري. ٣- حضرموت ليست فقط =

اقترح سلطان أحمد عمر تسميتها «جمهورية اليمن الشعبية»، أو إضافة «الجنوبية» إليها. وطرح البيض تحفظاً على «الشعبية» لأن الوعي - كما قال - لم يبلغ المستوى الكافي. وأكد عشيش ضرورة الابتعاد عن التسميات المختلفة، فيما أورد بعضهم اقتراحاً باسم آخر هو «جمهورية اليمن الحرة». غير أن الجميع اتفقوا في نهاية الأمر على تأجيل البت في الموضوع للاستماع إلى آراء أعضاء الوفد من غير الحاضرين في هذا الاجتماع.

أما في موضوع العلم الوطني، فقد جرى التوصل إلى الصيغة النهائية بعد نقاش جاد[٤]، وأن يتكوّن من الألوان الأفقية، الأحمر في الأعلى فالأبيض فالأسود، وله من ناحية السارية مثلث لونه أزرق فاتح يتوسطه نجم أحمر مخمَّس. وقد طرحت بعض الملاحظات تهيباً من اللون الأحمر في العلم، ومن لون النجم، لكن لم يؤخذ بها. وتقرَّر في هذا الاجتماع إعادة كل من أحمد صالح الشاعر ومحمد علي هيثم إلى قوام اللجنة التنفيذية، إضافة إلى عبد الملك إسماعيل وعبد الله الخامري وعبد القادر أمين، ومُنحَت اللجنة صلاحيات ترتيب أوضاع المناطق، وتحديد صلاحيات كل عضو فيها ومسؤولياته المحددة. ثم نوقش موضوع «الحرس الشعبي» ولم يستكمل النقاش حوله، فترك أمر اتخاذ قرار بشأنه إلى وقت لاحق.

إن نظرة متأنية إلى تلك الأحداث الدرامية التي سبقت مفاوضات الاستقلال تؤكد، دون أدنى شك، أن «خامة» القيادة السياسية للجبهة كان ينقصها كثير من الانسجام. فثمة تناقضات في تحليل التطورات وفي الأفكار المطروحة، وثمة تردد في المواقف، فضلاً عن التفاوت في استيعاب ما يحدث، وغياب العقل الجماعي الذي يوحد عمل الفريق القيادي بما يخفف من آثار الضعف لدى عناصر القيادة في هذا الميدان أو ذاك. ومما له مغزى هنا، أن هذا الخلل لم يتكشف في المفاوضات، ولم يستطع المفاوض البريطاني اختراق صف المفاوضين أو خلخلته. وسواء أكان ذلك نوعاً من التكتيك البريطاني أم ضرباً من العجز، فإن حرارة الكفاح

---

= الأكبر مساحة بين المكونات الجنوبية، بل والأكثر سكاناً، وتركيبتها السكانية تشمل النسيج الاجتماعي الجنوبي كله، مثلما أبناء حضرموت يشكلون جزءاً لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي لمكونات الجنوب الأخرى. ٤- حضرموت كانت ولم تزل مركز المرجعية الدينية لكل الجنوب (مرجعية عينات في تريم). ٥- ميزاتها الاقتصادية.

(٤) الألوان حسب الترتيب من أعلى: الأحمر القاني - يرمز إلى الثورة، الأبيض الناصع - يرمز إلى السلم، الأسود - يرمز إلى إبادة الظلم، الأزرق الفاتح - يرمز إلى القاعدة الشعبية، النجم الأحمر - يرمز إلى وجود تنظيم الجبهة القومية تنظيماً طليعياً للقاعدة الشعبية.

المسلح الذي خاضته الجبهة ضد البريطانيين ونشوة الانتصار الذي تحقق على الأرض، والانعطافة الشعبية العارمة لمصلحة الثورة، هذه جميعها قد «قوَّت» موقف وفد الجبهة التفاوضي، بالإضافة – كما أعتقد – إلى دور قحطان الشعبي الديناميكي في التقاط المواقف المطلوبة وشحذ يقظة زملائه المفاوضين، الأمر الذي اضطر اللورد شاكلتون، رئيس الوفد البريطاني، إلى أن يقول إنه يواجه على الطاولة «رجالاً من عيار ثقيل»، إذ كانوا – كما تشير الوثائق البريطانية – «على استعداد جيد للمفاوضات، ويحوزون وثائق في جميع المسائل ويتخذون موقفاً بنّاءً وعملياً لدى مناقشة المسائل»[٥].

## المفاوضات... إعلان الجمهورية

في العشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧ وصل وفد الجبهة القومية إلى جنيف وأقام في فندق «الإنتركونتيننتال».

وفي اليوم التالي بدأت مفاوضات بريطانيا مع الجبهة القومية حول قضية استقلال الجنوب، وحُددت جلسة المفاوضات الأولى بين الوفدين في جنيف في الساعة الثالثة من مساء يوم الثلاثاء بتاريخ ٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧ وكان ذلك في شارع «كوي ولسون» رقم ٣٧، فيما وصل إلى المدينة كمال أدهم، مدير المخابرات في المملكة العربية السعودية، وأقام في الفندق نفسه الذي أقام فيه وفد الجبهة القومية. كان واضحاً أن ثمة من يتصل به من أعضاء الوفد لكي يطلعه على اتجاهات المفاوضات، كذلك كان ثمة قناة للاتصال بالوفد البريطاني، كما أكد لي ذلك المقدم عبد الله صالح سبعة[٦]. وجاء في مذكرات الأستاذ أحمد علي مسعد، سكرتير وفد الجبهة القومية في مفاوضات جنيف، أن الشيخ كمال أدهم تعهد باسم الملك فيصل تقديم مئة مليون ريال سعودي للدولة الجديدة في دفعة أولى، تتبعها دفعات أخرى في أوقات أخرى، إلا أن بعض الذين اجتمع بهم الشيخ كمال أدهم اعتذروا عن عدم قبول هذا العرض.

---

(٥) فيتالي ناؤومكين، مصدر سابق، ص ٢٠٠.

(٦) من مواليد منطقة صعيد يشبم عام ١٩٣٦م، اشتهر باسم «سبعة» لأنه كان يحمل رقم سبعة في قوات الأمن، وقد أعطاه هذا الرقم القائد فضل عبد الله العولقي بدلا من أحد المسرحين.

وأشار الأستاذ مسعد إلى أن اللقاء بين الطرفين جرى بصورة سرية، وكان الآخرون من أعضاء الوفد لا يعرفون شيئاً عن هذا الموضوع (ص ٤٤، فصول من ذاكرة الثورة والاستقلال: شهادتي للتاريخ)، وكان الملك فيصل - حسبما يورد الأستاذ أحمد علي مسعد - متعاطفاً مع الجبهة القومية، ويشيد بجهودها بقدر ما يشكك في قيادة جبهة التحرير، وكان يقول إن ثوار الجبهة القومية يقاتلون من أجل إخراج الإنكليز من عدن، فيما يقاتل ثوار جبهة التحرير من أجل إخراج الإنكليز من الباب لدخول المصريين من النافذة (ص٣٠)، وهذا الموقف كان متأثراً بما يدور في صنعاء والوجود المصري فيها، وبالصراع المصري السعودي بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر. وعلى أية حال، إن بعضاً من أعضاء الوفد اجتمع بالشيخ كمال أدهم، مدير المخابرات السعودية، بناءً على طلب الأخير الذي كان مقيماً في الفندق نفسه، وقد حصل اللقاء بعد تشاور أعضاء الوفد في ما بينهم وبموافقة الجميع ونقل تحيات جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز واستعداد المملكة للاعتراف بالنظام الجديد وتقديم المساعدات التي كانت مرصودة لمساعدة حكومة الاتحاد والتزام تمويل المشاريع التي كانت تنفذ، وفي مقدمتها طريق العين - مكلا، إلى جانب مساعدات أخرى سياسية واقتصادية، بما في ذلك المساعدة في حلّ مشكلة جزر كوريا موريا التي أدت إلى تعليق المفاوضات يومين، والتزام المملكة عدم السماح للذين لجأوا إليها بأي نشاط سياسي، وإنها تستضيفهم كضيوف ليس إلا، وكل ما تطلبه المملكة من الجبهة هو علاقات حسن الجوار وعلاقات طيبة. وكان ردّ الوفد المفاوض الشكر للمملكة والملك فيصل على هذه المبادرة الأخوية الطيبة، ووعد الوفد بأنه عند عودته إلى البلد وتشكيل الحكومة سيدرس العرض السعودي وسيردّ عليه.



**فندق إنتر كونتيننتال - جنيف**

لقد ضمَّ الوفد البريطاني، بالإضافة إلى رئيسه المحنك وزير المستعمرات، اللورد شاكلتون، طاقماً من الساسة والدبلوماسيين والعسكريين ممّن هم على صلة بأحداث مستعمرة عدن والمحميات والمنطقة.

وفي أثناء المؤتمر فوجئ عضو وفد الجبهة القومية المقدم محمد أحمد السياري بأن الشخص الذي كان يقدم إليه الشاي في حديقة الأستاذ البريطاني بلندن هو رئيس الوفد البريطاني في مفاوضات الاستقلال الذي عرض عليه بعد تخرجه من دورة عسكرية عام ١٩٦٦ أن يكون رجل بريطانيا في الجنوب.

وقال السياري: «عندما خرجنا للاستراحة نتمشى في بهو الإنتركونتيننتال[٧] ذلك الفندق الكبير، كانت هنالك لوحة جميلة معلقة في الفندق، ورأيت رئيس الوفد البريطاني اللورد شاكلتون يحدثني عن اللوحة ويقول إن هذه اللوحة من القرن السادس عشر، رسمها الرسام فلان، وبعد ذلك همس لي وقال: «لو كنت قبلت عرضنا لكنت الآن رئيساً للوفد ورئيساً للدولة الجديدة، بعد ذلك قال: انتبهوا من الشيوعيين الذين معكم وفي بلدكم».

أما الوفد الذي يمثل الجبهة القومية، فقد ترأسه قحطان الشعبي الذي أكد قبيل مغادرته القاهرة إلى جنيف أن المفاوضات ستتناول تحقيق الاستقلال الناجز بالدرجة الأولى، وإن الجبهة القومية ترفض أي اتفاق عسكري أو دفاعي أو الارتباط بأي أحلاف سياسية، كما ترفض الدخول في نطاق الكومنولث البريطاني، وتؤكد عدم التفريط بأي جزء في الجنوب، بما فيه الجزر، وأكد رفضه لأي شروط أو قيود اقتصادية أو سياسية أو مالية، وأن الحكومة الوطنية الجديدة ستدرس الارتباط بمنطقة الإسترليني، وأن الجبهة ستنهي كافة الاتفاقيات التي أبرمها السلاطين والمشايخ السابقون مع بريطانيا، وأن المفاوضات ستشمل طلب معونات وتعويضات مالية غير مشروطة، وتسليم كل ممتلكات الحكومة البريطانية والجيش البريطاني لحكومة الثورة، وأنه بعد الاستقلال ستحدد فترة انتقالية وسيقام مجلس وطني تأسيسي لإعداد الدستور الدائم للبلاد. وأكد في ختام حديثه أن الجبهة لن تدير ظهرها لأي أفراد أو مجموعات ما زالت خارجة عن نطاق الجبهة القومية[٨]. وفي المؤتمر نفسه أكد

(٧) فندق إنتركونتيننتال - جنيف: هو مقر إقامة وفد الجبهة القومية في محادثات الاستقلال في جنيف عام ١٩٦٧م.

(٨) راشد محمد ثابت، «ثورة ١٤ أكتوبر اليمنية... من الانطلاقة حتى الاستقلال» صفحة ٤٤٧-٤٤٨، الحديث الصحفي للرئيس قحطان الشعبي عند السفر من القاهرة إلى جنيف.

عضو الوفد سيف الضالعي، عزم الحكومة الوطنية على إقامة علاقات دبلوماسية مع بريطانيا، وضمان سلامة مختلف المقيمين الأجانب «بمن فيهم الخبراء البريطانيون في مصفاة الزيت بعدن الصغرى». وأعلن أن الجبهة القومية «ستوقف بعد بدء المفاوضات جميع العمليات ضد الإنكليز، وأن أية أعمال من جانب جبهة التحرير أمر مستبعد، لأن الجبهة القومية تسيطر تماماً على الوضع في البلاد».

وفي نهاية هذه المذكرات، فقد تجنبت الكتابة عن جبهة التحرير والتنظيم الشعبي، وتركت ذلك لقياداتها التي شاركت في الثورة لأنهم يمتلكون الكثير من الأسرار والمعلومات والحقائق والوثائق التي سيعتمدون عليها في كتابة تاريخ جبهة التحرير والتنظيم الشعبي، وهذا لا يعني التقليل من دورهما في النضال السياسي والعسكري من أجل تحرير الجنوب من الاحتلال وتحقيق الاستقلال.

**قائمة الوفد البريطاني في مفاوضات جنيف:**

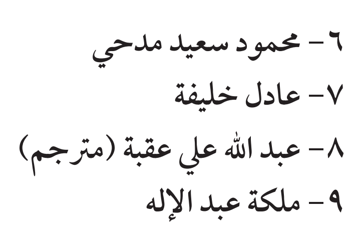
**١ - اللورد شاكلتون** رئيساً
**٢- المستر هوبر**
**٣- المستر كارشي**
**٤ - المستر جربيون**
**٥- المستر والتون**
**٦- المستر كانبيل**
**٧- المستر رشفورد**
**٨- المستر هاك**
**٩- المستر مايلز**
**١٠ - المستر جوايمز**
**١١ - المستر لورانس**
**١٢ - المستر كور**
**١٣ - الآنسة كولنجر**
**١٤ - المستر تود مترجم**
**١٥ - المستر فوستر مترجم**

**قائمة أعضاء وفد الجبهة القومية في مفاوضات جنيف:**

**١ - قحطان الشعبي** رئيساً
**٢- سيف الضالعي** عضواً
**٣- فيصل عبد اللطيف** عضواً
**٤ - عبد الفتاح إسماعيل** عضواً
**٥- عبد الله صالح سبعة** عضواً
**٦- محمد أحمد البيشي** عضواً
**٧- خالد عبد العزيز** عضواً
**٨- أحمد علي مسعد** سكرتيراً

المستشارون:

١- محمد أحمد السياري
٢- حسين المنهالي
٣- د. محمد عمر الحبشي
٤- محمد أحمد عقبة
٥- أبو بكر سالم القطي



٦- محمود سعيد مدحي
٧- عادل خليفة
٨- عبد الله علي عقبة (مترجم)
٩- ملكة عبد الإله



**وفد الجبهة القومية المفاوض: تمثيل العسكريين بملابس مدنية، الوفد المفاوض في جنيف، ويظهر في الصورة قحطان محمد الشعبي، وإلى يساره عبد الله صالح سبعة، وبعده باثنين عادل محفوظ خليفة وخالد عبد العزيز وفيصل الشعبي وعبد الله علي عقبة، وفي أقصى الصورة محمد البيشي، وإلى يمين قحطان يظهر العقيد محمد أحمد السياري وسيف الضالعي وعبد الفتاح إسماعيل وأحمد علي مسعد والمقدم حسين المنهالي، وملكة عبد الإله ومحمد عمر الحبشي وأبو بكر القطي وخالد محيرز، وآخرون لم نعرف اسماءهم.**

وإلى جانب وفد الجبهة القومية كان ثمة مستشارون عرب، أذكر منهم الصديق الجزائري الأخضر الإبراهيمي(٩) الذي كان سفيراً في القاهرة لبلاده، وقدم خدمات استشارية مهمة

(٩) وأذكر بهذا الصدد أنني زرته في مقر السفارة الجزائرية في القاهرة (الجيزة) قبل المفاوضات بنحو شهرين، مع كل من فيصل عبد اللطيف ومحمد أحمد البيشي، وكان الإبراهيمي آنذاك مؤيداً لجبهة التحرير ومن أنصار المفاوضات مع بريطانيا بوفد مشترك من الجبهة القومية وجبهة التحرير. وقد ناقشناه طويلاً وأنصت إلينا بعمق، خصوصاً ونحن نعرض أمامه تطورات الوضع في الجنوب الذي يشهد عملية حسم يومية لمصلحة الجبهة القومية وتراجع =

للوفد، وقد التقيت به في مقر السفارة الجزائرية في القاهرة (الجيزة) قبل المفاوضات بنحو شهرين، مع كل من فيصل عبد اللطيف ومحمد أحمد البيشي.

وضع الوفدان البريطاني والجنوبي آلية دقيقة للمفاوضات الخاصة بالاستقلال، وقد استهل اللقاء الأول شاكلتون بدعوة الحاضرين إلى «أن يتخذوا الترتيبات اللازمة لانتقال السلطة ووضع دستور للبلاد. ويتضمن محضر الجلسة الافتتاحية الإشارة إلى أن شاكلتون قدم مداخلة طويلة تتناول أسس المفاوضات ومستلزمات إنجاحها، مؤكداً أن جوهر المفاوضات ينصبّ على صوغ «أسس اتفاقية لإنهاء الاحتلال».

أما قحطان الشعبي، فقد رد على كلمة شاكلتون قائلاً: «برغم حقيقة وقوع الشعب تحت الاحتلال مدة طويلة، ووصول الجنوبيين إلى مرحلة الكفاح المسلح، فإنه يأمل، بل ويعتقد أن من الممكن البدء في مرحلة جديدة من التعاون في ما بين شعبي الجنوب العربي وبريطانيا».

وأضاف: «إن الحكومة البريطانية قد عملت القليل جداً لمصلحة الجنوب العربي». وكرر القول: «إن الوفد ليس لديه الخبرة في التفاوض، لكنه قوي بعدالة قضية شعبه». ورد شاكلتون على ذلك بقوله: «لدى البريطانيين سبب قوي في التأكد من كفاءة الجبهة القومية». وأضاف أنه متردد في الدفاع عن سجل الاحتلال البريطاني، لكونه مواطناً إيرلندياً.

## الجزر والمساعدات المالية

ابتداءً من اليوم الثاني دارت مفاوضات ساخنة، وشغلت موضوعات مثل قضية الجزر والمساعدات المالية حيزاً كبيراً من وقت الاجتماعات، حتى إن شاكلتون عزم إزاء إصرار وفد الجبهة القومية على فرض السيادة الوطنية على جزر كوريا موريا، على مغادرة مدينة

= جبهة التحرير. وعرضنا عليه أيضاً وقائع الاختطاف الذي تعرض لها بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٦٧م كل من فيصل عبد اللطيف والبيشي في الحواشب بهدف الضغط على الجبهة، ونُقلا إلى تعز ومنها إلى القاهرة في محاولة لوقف التأثير على تداعيات الموقف لمصلحتها، وكيف أن الأمر لم يغير من تطور الأحداث التي اندفعت بسرعة دون أن تتمكن جبهة التحرير من الصمود، فاضطرت إلى إطلاق سراح فيصل والبيشي، فانتقلا إلى صنعاء ومن هناك إلى القاهرة. وفي نهاية ذلك العرض، أبدى الإبراهيمي تفهماً لموقف الجبهة، وعبّر عن استعداده لمساعدتها في المستقبل، وكان ودياً في حديقة منزله، وهو يقدم بنفسه الشاي.

جنيف متوجهاً إلى لندن للقاء وزير الخارجية براون. وغادر فعلاً، لكنه عاد دون أي موقف جديد، فكانت تلك بمثابة حركة مدروسة للتأثير النفسي في الوفد الجنوبي، حيث أكد أن الحكومة البريطانية لن تتراجع عن قرارها بتسليم جزر كوريا موريا لمسقط بناءً على تعهد سابق مع السلطان الحاكم هناك، ومبدأ استفتاء تمخض عن موافقة مواطني الجزر (٧٠ شخصاً فقط) على الانضمام إلى مسقط و«أبناء عمومتهم» هناك على حد تعبير شاكلتون!

وعلى مدى ثلاث جولات من المفاوضات بشأن موضوع الجزر، قدم وفد الجبهة رؤى تحليلية زاخرة بالدقة والثبات والتمسك بعدالة القضية، فيما وقف الوفد البريطاني – رغم طراوة الكلمات والعبارات التي جاءت على لسان شاكلتون وزملائه – مستكبراً صلفاً. وقد فضحت محاضر الاجتماعات الستة التي سنأتي إليها في نهاية هذا العرض أبعاد الموقف البريطاني الاستعماري.

لقد أوضح المناضل قحطان الشعبي أن بحوزته «معلومات تثبت أنه كان في نية بريطانيا تسليم جزر كوريا موريا للحكومة الاتحادية». وبعد أن كشف بالوقائع طبيعة الحق الجنوبي في الجزر، ووفق قرارات الأمم المتحدة التي سبق أن وافقت عليها الحكومة البريطانية، ووفق «الدستور» الذي وضع لـ «دولة الاتحاد»، ووفق الإجراءات والنشاطات الإدارية البريطانية التي تؤكد انتماء الجزر إلى الجنوب، استخلص أنه «إذا كان التنازل عن أجزاء من العالم وأعطيات القرون الوسطى مشروعاً، فإنه لم يعد كذلك الآن». وأضاف سيف الضالعي إلى ذلك: «في الماضي اتخذت الحكومة البريطانية إجراءات تخدم مصالحها ويجب وضع نهاية لها». وفي سياق آخر أدلى الضالعي بما يُعَدّ رداً مفحماً على الوفد البريطاني: «وإذا كانت الحكومة الاتحادية – وهي ليست ممثلة للشعب – لا تسمح بانتزاع تلك الجزر، فهو يسأل كيف يتوقع الوفد البريطاني أن الجبهة القومية التي هي فعلاً الممثل الحقيقي للشعب، ستسمح بذلك».

## جزر كوريا موريا... على الطاولة

وتُعَدّ مداخلة سيف الضالعي حول حقوق السيادة الجنوبية على جزر كوريا موريا خلال الجولة الثانية من المفاوضات وثيقة مهمة تؤكد حقوق السيادة الجنوبية على الجزر. وقد عالج الضالعي عائدية الجزر للجنوب ضمن ثمانية مستويات:

١- مسوَّدة الاتفاقية المعقودة بين الحكومة البريطانية والحكومة الاتحادية، حيث جرى تأكيد أن جزر كوريا موريا جزء من الاتفاقية.

٢- الكراس الذي أصدرته حكومة «الاتحاد» بعنوان «دليل الاتحاد ومحميات الجنوب العربي»، حيث ورد أن تلك الجزر هي جزء من عدن طبقاً لقرارات الأمم المتحدة وللتقرير الذي رفعته بريطانيا نفسها إلى المنظمة الدولية.

٣- مسوَّدة الدستور التي أعدها خبيران بريطانيان، وقد حُددت الجزر ضمن أراضي الإقليم.

٤- المشاورات التي أجريت مع «حكومة الاتحاد» كانت سرية، ما يلقي شكوكاً حول أهدافها.

٥- لم تكن الجزر وحدها تعاني صعوبة التأجيل لتُضم إلى مسقط، فالمهرة كانت تعاني وضعاً مماثلاً.

٦- الجبهة القومية ترى التمسك بالجزر حقاً غير قابل للمساومة.

٧- الحقائق العيانية والتاريخية تثبت عائدية الجزر لجنوب اليمن.

٨- وجّه المندوب السامي دعوة إلى مسؤولي حكومة عدن لزيارة الجزر في وقت سابق تمهيداً لضمها إلى «الاتحاد».

ورداً على مزاعم شاكلتون بأن بريطانيا لا تنطلق من مصالح استعمارية حول موضع الجزر، تساءل قحطان الشعبي: «إذا لم تكن لبريطانيا مصالح ذاتية في الجزر، فلماذا يصرّ الجانب البريطاني على فصلها؟ إما للاحتفاظ بها أو لتسليمها لبلد آخر». وأضاف في موقف آخر: «إذا استمر البريطانيون في موقفهم غير العادل هذا، فإن بريطانيا ستتحمل مسؤولية إخفاق المفاوضات»، «كما أن السيد مكارثي ذكر أيضاً أن حكومة صاحبة الجلالة لا ترغب في رؤية الدول المقبلة على الاستقلال وهي تتمزق. فإذا كان الأمر كذلك حقاً، فهو يتساءل لماذا إذن يتم فصل هذا الجزء (كوريا موريا) عن الإقليم».

وقد وقف الوفد البريطاني عاجزاً حقاً عن مواجهة تلك الحجج التي قدمها قحطان الشعبي، ومنها هذه الحجة:

«وإذا كانت بريطانيا لا تستطيع أن تعفي نفسها من التزاماتها تجاه سلطان مسقط، فهو يعجب كيف تستطيع أن تعفي نفسها من التزاماتها الدولية والتزاماتها إزاء الأمم المتحدة وإزاء شعب الجنوب المحتل!».

ولم يجد شاكلتون إزاء جدار الحقائق والصلابة غير أن «يطري» كلامه بإعلان الإعجاب بالمفاوضين الجنوبيين أو القول: «إن السيد قحطان الشعبي وزملاءه هم رجال شجعان ويمتلكون إرادة قوية». غير أن وصول الجدل إلى «النقطة الحرجة» حيث هدد وفد الجبهة القومية بوقف الحوار وإلقاء المسؤولية على عاتق الوفد البريطاني، قد نقل المفاوضات إلى مستوى جديد انتهى بتراجع وفد الجبهة وقبوله بمناقشة النقاط الأخرى التالية قبل حسم موضوع الجزر، خلافاً لتأكيداته السابقة في الجولتين الأولى والثانية، أنه يرفض تأجيل بحث هذه القضية التي تعادل عنده موضوع الاستقلال نفسه، وقد اتفقوا على أن لا يتفقوا بشأن الجزر.

## مساوئ إسقاط القضية

وعندما تحول موقف الجبهة، لم يكن تكتيكياً ولا دليل حكمة مسوغة، بل بضغط من خارج الوفد وفي داخله، حيث بدا أنْ ليس في هذا الفريق الواسع انسجام في الموقف من أولوية قضية الجزر على سواها.

والمهم أن تعليق مسألة السيادة على الجزر وتأجيل بحثها قد فتح الطريق لتعليق الأمور المالية المترتبة على بريطانيا. وكان قحطان الشعبي قد التقط خيط «المؤامرة» في الجولة السادسة لبحث المساعدات المالية البريطانية بقوله: «إذا كان موقف الحكومة البريطانية قد تقرر من قبل، فهو يعجب لماذا جاؤوا إلى المؤتمر إذاً».

أما فيصل عبد اللطيف، فقد أكد خلال المفاوضات أن على بريطانيا أن تتعامل مع حكومة الجبهة القومية بجدية «على أنها حكومة وطنية»، وليس حكومة تتسلم مرتبها من بريطانيا في نهاية كل شهر».

لقد كان السجال حول المساعدات المالية حاداً، وقد اتضح أن البريطانيين عازمون على استخدام ورقة المساعدات في التأثير بسياسة النظام الجديد وكبح اندفاعاته الثورية، أو كما

قال أحد أعضاء الوفد البريطاني (هارولد بيلي)، بما يُعَدّ زلّة لسان كان على وفد الجبهة التوقف عندها، أنه يأمل أن الموقف البريطاني في المساعدات سيتحسن ويتغير إلى الأفضل في ضوء ثقة البريطانيين بقوة الحكومة الجديدة في الجنوب العربي وثباتها. وهنالك بعض الشكوك في أوساط معينة في لندن حول ذلك، لكنه يأمل ويؤمن بأن هذه الشكوك ستختفي.

وعرض الوفد البريطاني إرسال ستة خبراء عسكريين بريطانيين لمساعدة الجيش الوطني، رفضته المجموعة العسكرية في وفد الجبهة القومية، ولكنها أبدت ملاحظة بشأن الحاجة إلى خبراء في قسم الإشارة - سلاح المدفعية، ولكن الوفد البريطاني ربط الموافقة على إرسال أية بعثة عسكرية بشروط تتضمن تبعية تلك البعثة للسفارة في عدن وقيادة القوات البريطانية، وأن يسمح لها بحمل السلاح في أي وقت، وأن تؤمن لها مساكن خارج تقييدات السلطة المحلية.

وقد رفض وفد الجبهة ذلك، فيما كان الوفد البريطاني، حتى آخر الاجتماعات، يراهن على تراجع وفدنا عن رفضه الشروط المعلنة. وكان شاكلتون يكرر باستمرار أن النظام الجديد محتاج إلى «الخبراء».

وتعرض وفد الجبهة في جنيف لحصار وجوٍّ من الضغط من قبل صحف لندن والغرب من جهة، والصحف العربية والمصرية بخاصة من جهة ثانية، ما اضطر قحطان الشعبي إلى عقد مؤتمر صحافي هاجم فيه بريطانيا التي استعمرت جنوب اليمن نحو ١٣٠ سنة، وتركته في أسوأ درجات التخلف، وهاجم الصحف البريطانية التي تحرض حكومتها على الامتناع عن تقديم المعونات للدولة الجديدة، وقال: «إن وفدنا لم يطلب صدقة من بريطانيا، ولكنه طلب تعويضاً عادلاً عن استغلال بريطانيا موارد الجنوب وأسواقه وميناء عدن وأرض الجنوب التي استخدمتها قاعدة عسكرية»، مضيفاً: «إن شعبنا لن يواجه المجاعة» إذا ما رفضت بريطانيا التعويضات المقترحة.

الثامن والعشرون من تشرين الثاني كان يوماً عاصفاً من المفاوضات، واستخدم كل منهما أوراقه وبراعته، إذ لم يكن أمامهما وأمام المفاوضات ومصير الاحتلال البريطاني غير هذا اليوم الحاسم.

## وثيقة الاستقلال

مذكرة تحوي النقاط المتفق عليها والمتعلقة باستقلال الجنوب (جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية).

المواد المتفق عليها بين وفد المملكة المتحدة ووفد التنظيم السياسي الجبهة القومية في اجتماع جنيف وتحوي الآتي:

١- سوف ينال الجنوب العربي الاستقلال في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م (الذي سيعرف بعد ذلك بيوم الاستقلال).

٢- في يوم الاستقلال جميع الولايات التي ينتهي احتلالها سوف تُعرَف بجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، وسيوطد هذا اليوم بقرار رسمي من قبل التنظيم السياسي الجبهة القومية الجهة الممثلة لشعب وأراضي الجمهورية الجديدة وسوف تقوم بتشكيل الحكومة.

٣- سوف تقوم حكومة صاحبة الجلالة بخطواتها في الجلاء وإنهاء احتلالها مع سحب قواتها في يوم الاستقلال من جميع أراضي الجمهورية.

٤- سوف تعطي حكومة صاحبة الجلالة اعترافها الكامل بجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية من يوم استقلالها وستقوم علاقات دبلوماسية كاملة بين كل من جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية والمملكة المتحدة من يوم الاستقلال، وطبقاً لذلك فسوف تقوم الحكومتان بتعيين سفيريهما في كل من الدولتين مع تحديد كل ما يتعلق بهذه العلاقة الدبلوماسية من يوم الاستقلال وإلى أجل غير مسمى، فسوف تلتزم جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية العرف الدبلوماسي والعلاقات الدبلوماسية بين البلدين طبقاً للقانون الدولي المعمول به والمقر في مؤتمر فيينا - عام ١٩٦١م.

ومن الآن وصاعداً العلاقات الدبلوماسية ستتقيد عرفاً وموضوعاً على القواعد والأسس المعمول بها والمتبادلة بين الدولتين، وذلك في حال بروز أي تغييرات، إذا وجدت أي تغييرات بين الطرفين.

٥- سوف يكون لجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية الحق بتقديم الطلب للانضمام إلى هيئة

الأمم المتحدة بصفة عضو رسمي فيها، وحكومة صاحبة الجلالة ستبدي رغبتها في انضمام الجنوب إلى هيئة الأمم المتحدة إذا رغبت في ذلك.

٦- من الآن وصاعداً لاستقلال جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، فالمملكة المتحدة لن تكون مسؤولة عن المسؤوليات العالمية الخاصة بجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية وبالأخص أراضيها، حدودها، وسوف تتحمل الجمهورية الجديدة كامل مسؤولياتها العالمية المتعلقة بحدودها وحقوقها العالمية المرتبطة بها.

٧- كل الاتفاقات والأمور والالتزامات العالمية سوف تقوم بتغطيتها جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، وذلك بإصدار إعلان يحدد ذلك من قبلها، وهذا القرار أو الإعلان يجب أن يعنون أيضاً إلى هيئة الأمم المتحدة وكل مصادرها، وذلك مع تقديم طلب انضمام الدولة الجديدة إلى المنظمة، وكذا في حالة طلب أي التزامات عالمية بالجمهورية.

٨- أية معاهدات، اتفاقيات، حق ممنوح، تنازلات، أو أي ترتيبات أخرى قائمة ومستمرة حتى يوم الاستقلال بين حكومة التاج وممثليها أو أي دول أخرى أو أي حكام أو أي مسؤولية في مختلف أراضي جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية سوف تقلص من يوم الاستقلال.

٩- سوف تتحمل جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية من يوم الاستقلال كل ما يتعلق بحقوق أراضيها، أو بأي مطالب قد تطرحها حكومة التاج، أو ممثلوها أو أي حكام دول أو أي منطقة من مناطق الجمهورية، فهذا سيكون من اختصاص الجمهورية الجديدة ومن مسؤولياتها.

١٠- جميع المسؤوليات، الالتزامات، التعهدات والحقوق التي وجدت ومورست في أراضي الجمهورية قبل الاستقلال من قبل حكومة صاحبة الجلالة وممثليها أو ما يتعلق بدول أخرى، منذ يوم الاستقلال، سوف تصبح التعهدات والحقوق تابعة للجمهورية وتحت مسؤوليتها وبدون أن يتم التعرض للجمهورية في تسييرها دفة هذه الأمور أو في أي شك يطرأ لديها حول هذه القوانين أو أي نقد أو فحص أو معاينة لذلك من قبل

الجمهورية الجديدة، وقد تتخذ أي إجراءات في كل ما قد تراه غامضاً وغير صالح للمرحلة التي تمر فيها.

١١- حول كل ما يتعلق بالمصالح المتعلقة بالأرض بالممتلكات أو أي موجودات أخرى في نطاق أراضي جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية والتي كانت تابعة لحكومة صاحبة الجلالة قبل يوم الاستقلال لأغراض حكومية أو لغرض خاص فيها، هذه الأشياء مع الأراضي سوف تكون ضمن أراضي جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية... كذا أي أراضٍ وحدود كانت تابعة لحكومة صاحبة الجلالة قبل يوم الاستقلال تستعملها لأغراضها العسكرية وقواتها فيها، فمن يوم الاستقلال مباشرة سوف ترتبط هذه الأراضي بالجمهورية من ضمن الحقوق والالتزامات والتعهدات الأخرى التي لن يتم التعرض لها بذلك أو باتخاذ الجمهورية أي إجراءات ما عدا تلك الأراضي التي تم الاتفاق عليها لاستعمالها كقنصلية أو هيئة سياسية أو لأي أغراض أخرى.

١٢- سوف يتم التشاور والمداولة بين حكومة صاحبة الجلالة وحكومة جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية في كل الأمور التي قد تبرز بعد الاستقلال، وخاصة أولئك الذين يحملون الجنسية البريطانية، وهذه المداولة ستتم قبل أن تتخذ حكومة صاحبة الجلالة خطواتها بتجريد أو حرمان أي من رعاياها هنا أو من رعايا مستعمراتها الذين يحوزون تلك المناصب الخاصة (التمثيلات الخاصة) والتي تثبت علاقاتهم وارتباطهم بأراضي الجمهورية وكمواطنين ورعايا تابعين للمملكة المتحدة ومستعمراتها.

١٣- سوف تقوم حكومة صاحبة الجلالة بتسليم جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية أي وثائق، تقارير، دراسات، وخرائط تتعلق بأراضي جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، وذلك بقدر استطاعة حكومة صاحبة الجلالة توفير ذلك، وسيتم التشاور في كل ما يتعلق بتحقيق أهداف هذا الغرض من إمكانات فنية وذلك بين الحكومتين. أيضاً ستقوم حكومة صاحبة الجلالة أيضاً بتموين جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية بكل ما بحوزتها من مواد متوافرة لم تعد تحوزها الجمهورية، بما يتلاءم وتوضيح كل الحقائق المتعلقة بحدود أراضي الجمهورية.

١٤- نظراً لقصر وقت المحادثات في ما يتعلق بالأمور الخاصة بالخدمة العامة والمعاشات فسوف يتم مناقشة ذلك في أقرب فرصة ممكنة بعد الاستقلال.

١٥- نظراً لقصر الوقت في ما يتعلق بالتعهدات بتقديم القرض من قبل حكومة صاحبة الجلالة وكذا الدين العام لاستعمال أراضي الجمهورية فسوف يؤجل إلى ما بعد الاستقلال.



**التوقيع عن التنظيم السياسي**
**الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن**
**قحطان محمد الشعبي**

**التوقيع عن حكومة المملكة المتحدة**
**اللورد شاكلتن**

**الوزير بلا وزارة**
**هارلد بيلي**

**في ٢٩/ تشرين الثاني / نوفمبر/ ١٩٦٧**

# الفصل الرابع والعشرون
## إعلان الجمهورية وتشكيل الحكومة

# مناقشات القيادة في يوم الاستقلال

فور عودة وفد الجبهة القومية المفاوض عقدت القيادة العامة اجتماعاً مهماً صباح يوم «إعلان الاستقلال»، في الثلاثين من نوفمبر، وترأسه قحطان الشعبي بحضور كل من فيصل عبد اللطيف، عبد الملك إسماعيل، أحمد صالح الشاعر، عبد الفتاح إسماعيل، علي سالم البيض، سلطان أحمد عمر، سيف الضالعي، محمد علي هيثم، علي عنتر، سالم ربيع علي، عبد الله الخامري، محمد أحمد البيشي، محمود عشيش، محمد صالح عولقي، حسين الجابري، وعبد القادر أمين.



وكان على جدول البحث أخطر الموضوعات والأفكار والتوجهات التي ينبغي إعلانها والشروع بتحقيقها، ولهذا دعي إلى الاجتماع عدد من العسكريين لإشراكهم في مناقشة موضوع مشاركة الجيش في الحكم، هم العقيد حسين عثمان عشال، العقيد أحمد محمد بلعيد، الرائد أحمد صالح الضالعي، والمقدم صالح أحمد الزنجبيلة.

وإذ عُرِضَت نتائج المفاوضات والتعبير عن الرضى إزاء ما تحقق، بدأ الاجتماع بمناقشة قوام الحكومة والمراسيم وبيان السيادة.

في بدء مناقشة تشكيلة الحكومة، طُرح اسم سيف الضالعي وزيراً للخارجية، فاعترض على ذلك أول الأمر، متعللاً بضعف مستواه الأيديولوجي وفي الكتابة والخطابة والحركة المطلوبة لمركز مثل هذا، ثم عاد ووضع شروطاً على تسلمه المركز، وهو أن تتحمل القيادة مسؤولية الإخفاق الذي قد يتعرض له (أيده في ذلك البيض ومحمود عشيش وعبد الله الخامري) وأن يختار مساعديه في الوزارة دون تدخل من القيادة أو من أحد.





**عودة الوفد المفاوض من جنيف إلى عدن عند الساعة السادسة والدقيقة الأربعين صباح الخميس ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م، ويُشاهَد قحطان الشعبي، ومن خلفه سيف الضالعي وعبد الفتاح إسماعيل وفيصل الشعبي**(*)

---

(*)

في مطار عــــــدن يوم ٢٩ / ١١/٦٧

عند وصـــول الوفد

يستقبله عند الطائرة .

(١) أعضاء القيادة العامة للجبهة .

(٢) مندوبين عن قيادة الجيش وشرطة المدن و شرطة الريف

ويرافقهم مندوبون عن الاعلام والاذاعة والتليفزيون والمصورون والصحفيون الاجانب. يتوجه الوفد والمستقبلون أعلاه الى ساحة قاعة المسافرين حيث يتعرف الوفد على المذكورين أدناه :

(١) رجال الدين .

(٢) وكلاء الوزارات ورؤساء الدوائر الحكومية .

(٣) مندوب عن القطاع العمالي .

(٤) مندوب عن الهيئة الطلابية .

(٥) مندوبة عن قطاع المرأة .

يقوم بالتعريف السيد على أحمد بدوى .

يخرج الضيوف للعودة الى منازلهم .

يدخل أعضاء الوفد الى قاعة المسافرين لمقابلة الصحفيين .

رئيس الوفد يلقي بيانا قصيرا .

الصحفيون يوجهون الاسئلة الى رئيس الوفد فى مدة لاتتجاوز ١٥ دقيقة .

تحدث في هذا الاجتماع، بصدد الحكم، فيصل عبد اللطيف الذي صاغ أفكاره على الوجه الآتي: «لقد انفردنا بالسلطة، والمسؤولية ضخمة وكل ما عندنا طرحناه على الجماهير. مشكلتنا في الجبهة القومية – التنظيم السياسي، يوجد التعاطف وقلة الكفاءات... إن الأوضاع صعبة، ومواجهتها تتطلب الشجاعة والمسؤولية التاريخية، ولأجل المساعدة أقترح استشارة حركة القوميين العرب». وحذّر من الرأي الذي تداولته بعض الأوساط الحركية في بيروت من «أن الحكومة مؤقتة وستحترق بمشاكل الاستقلال». وشدد على ضرورة الانتقال بإطار التنظيم القائم إلى إقامة «الحزب الثوري»، وهذا – كما قال – «لا يمكن إلا بتوافر قدر كبير من المصارحة ومعرفة واقعنا اليمني... وتوافر نوع من الدراسة حول واقع الجبهة القومية، وأهمية أن يكون هناك فهم شامل. وبما أن السلطة امتحان للتنظيم، ولكنه امتحان لا مفر منه، وعلينا اجتيازه، ليس بالتهرب... البعض يريد التهرب من المسؤولية ومواجهة المصاعب لكي يحرق الآخرين. فأين رفقة النضال، وقد بدأنا نفكر سوءاً في بعضنا؟».

والحق أن مداخلة فيصل عبد اللطيف لامست كثيراً من القضايا الحساسة والظنون والدواخل، وكانت موجهة إلى عبد الفتاح إسماعيل بعد أن اسرّ بعض قادة الجبهة الشعبيه لتحرير فلسطين بأنه ينبغي أن يفسح المجال أمام قحطان الشعبي ليتولى الرئاسة، ليحترق ثم يُطاح!

بعد ذلك قدم الخامري اقتراحاً بتشكيل الحكومة حيث يتولى قحطان الشعبي رئاسة الجمهورية والحكومة معاً، ويكون فيصل عبد اللطيف وزيراً للخارجية وهيثم وزيراً للداخلية، والضالعي وزيراً للمالية، وعبد الفتاح إسماعيل وزيراً للثقافة والإرشاد، وعلي البيض وزيراً للدفاع، ومحمود مدحي وزيراً للاقتصاد والتجارة وعادل خليفة وزيراً للعدل وفيصل بن شملان وزيراً للأشغال والمواصلات وأحمد سعيد صدقة وزيراً للصحة ومحمود عشيش وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية ومحمد عبد القادر بافقيه للإدارة المحلية.

وقدم عبد الفتاح تصوراً آخر بإسناد رئاستي الجمهورية والوزراء إلى قحطان الشعبي، والخارجية للضالعي والداخلية للبيض والمالية لعشيش والثقافة والإرشاد للخامري، خلافاً لاتفاقه مع عبد الله باذيب، والدفاع لمحمد أحمد البيشي والاقتصاد والتجارة لفيصل عبد اللطيف، والعدل لعادل خليفة والأشغال والمواصلات لفيصل بن شملان، والصحة

لصدقة أحمد سعيد والتربية والتعليم لمحمد عبد القادر بافقيه، والزراعة لأنور خالد والعمل والشؤون الاجتماعية لعبد الملك إسماعيل والإدارة المحلية لمحمد علي هيثم.

أما قحطان الشعبي، فقد اقترح تكليف الضالعي وزارة الخارجية ومحمد علي هيثم الداخلية والبيض المالية وعبد الفتاح الثقافة والإرشاد وعبد الله سبعة الدفاع وفيصل عبد اللطيف الاقتصاد وعادل خليفة العدل وبن شملان الأشغال والمواصلات وصدقة الصحة وبافقيه التربية والتعليم وعبد الملك إسماعيل العمل والشؤون الاجتماعية وعشيش الإدارة المحلية.

وعاد الخامري لإجراء بعض التعديلات على مقترحه الأول، وذلك بعرض وزارتي المالية والخارجية على كل من الضالعي وفيصل عبد اللطيف وتسمية أنور خالد وزيراً للزراعة وتعيين سبعة قائداً عاماً للجيش وحسين عثمان عشال رئيساً للأركان.

وخلال مناقشة مستفيضة عرض كل من البيض والعولقي رأياً بضرورة تعيين عشال وزيراً للدفاع وسبعة للداخلية، وعبّر عبد الفتاح ومعه الخامري عن رأي قريب منه، مضمونه أن يتحمل مسؤولية وزارتي الدفاع والداخلية أشخاص من داخلهما.

غير أن العسكريين، وبالتحديد تنظيم الجبهة القومية في القوات المسلحة، رفضوا فكرة المشاركة في الحكومة.

## قحطان للرئاسة... وبيان عن القيادة

وفي ختام المناقشة اتفق على صيغة نهائية لتشكيلة الحكومة يتولى خلالها قحطان الشعبي رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة معاً، سيف الضالعي للخارجية، علي سالم البيض للدفاع، محمد علي هيثم للداخلية، محمود عشيش للمالية، عبد الفتاح إسماعيل للثقافة والإرشاد القومي وشؤون الوحدة اليمنية، فيصل عبد اللطيف للاقتصاد والتجارة والتخطيط، عادل محفوظ خليفة للعدل والأوقاف، فيصل بن شملان للأشغال العامة والمواصلات، عبد الملك إسماعيل للعمل والشؤون الاجتماعية، محمد عبد القادر بافقيه للتربية والتعليم وسعيد العكبري للإدارة المحلية والزراعة.

وجرى الاتفاق على أن يتحمل فضل أحمد ناصر السلّامي مسؤولية مكتب رئاسة الجمهورية، وأن تؤدي الوزارة اليمين الدستورية أمام القيادة العامة للجبهة.

وعيّن أحمد صالح ضالعي وكيلاً لوزارة الدفاع وحسين عثمان عشال قائداً عاماً للجيش، ومهدي عشيش رئيساً للاركان، وعبد الله سبعة مديراً للأمن العام، والعقيد الصديق أحمد الجفة نائباً لمدير الأمن العام، وأن تكون دار المندوب السامي البريطاني في التواهي مقراً لرئاسة الجمهورية.

وفي ذلك اليوم، الثلاثين من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧م أذيع بيان الاستقلال الصادر عن القيادة العامة.

## نص بيان الاستقلال

أيها الأخوة المواطنون، يا شعبنا العظيم،

في هذه اللحظات الخالدة التي تعيشها جماهيرنا وشعبنا في جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية نقدم لكم تحية الثورة، نقدم لكم باسم الجبهة القومية قائدة وطليعة هذا الشعب، تحية الثورة ونبارك لكم، ونبارك لأنفسنا هذا اليوم السعيد.

إن هذا الانتصار الكبير الذي حققه شعبنا اليوم في الأساس كان انتصاراً منذ البداية، منذ أول طلقة نار أطلقت في جبال ردفان الثائرة، ومنذ أول قنبلة في عدن المستعمرة... إن أول طلقة نار في ردفان وأول قنبلة فجرت في عدن كانت هي الأساس في صنع هذا الانتصار الذي ناضل شعبنا من أجله طوال أربعة أعوام نضالاً باسلاً خالداً وجباراً. والجبهة القومية، التنظيم الجماهيري والطليعي لهذا الشعب منذ البداية كانت تشعر أن خروج قوات الاحتلال من بلادنا لا يمكن أن يكون إلا بالعنف والقوة، ولهذا فقد أعطت جماهيرنا وأعطى شعبنا كثيراً من التضحيات وكثيراً من المسؤوليات التي تحملها، أعطى كثيراً لكي يصل في الأخير فعلاً إلى أن يحرز هذا النصر ويفرض على الاستعمار البريطاني أن يجلو عن بلدنا وأرضنا.

ولقد أعطت جماهيرنا المناضلة تضحيات كبيرة، فعلى مستوى جيش التحرير في الجبال قدم التضحيات وقدم الشهداء وقدم مزيداً من الدم ليصنع هذا النصر وعلى مستوى الفدائيين في عدن والمدن أيضاً قدم الفدائيون من شعبنا كثيراً من التضحيات وعانى كثيراً في المعتقلات لكي يصل إلى تحقيق هذا الانتصار وكذلك قدم العمال قطاعاً ثورياً وأساسياً من هذا الشعب، كما قدم الطلبة، كما قدم المناضلون الثوريون، كما قدمت المرأة كل هؤلاء فعلاً بكل هذه

القطاعات من جماهير شعبنا قدمت بعملها وبتضحياتها وبعملها الطويل الانتصار والوصول إلى هذا اليوم العظيم وباعتمادنا على إرادة الشعب فقط وباعتمادنا على أن هذه الجماهير وأن هذا الشعب منظم ويعبأ في إطار الجبهة القومية، بهذا الاعتماد على الجماهير، وهذا الاعتماد على تنظيم الجبهة القومية، استطعنا فعلاً أن نجابه كل أعداء الشعب، استطعنا أن نجابه الاستعمار، واستطعنا أن نجابه كل عملائه وركائزه واستطعنا فعلاً بهذا الشعب وبتنظيماته أن نسقط النظام السلاطيني الرجعي في كل منطقة في طول المنطقة وعرضها من عدن إلى المهرة وأيضاً في الوقت ذاته بالاعتماد على الجماهير بتحقيق الانتصار الكبير للوصول إلى هذا اليوم الخالد، وفي تحقيق النصر على المستعمر وكل ركائزه، أيضاً استطعنا أن نحرز النصر بهذا الشعب وبتنظيم وطليعة الجبهة القومية في مفاوضات الاستقلال التي تمت بين الجبهة القومية وبين الوفد البريطاني في جنيف. لقد قبلنا بمفاوضات الاستقلال مع الوفد البريطاني ونحن متسلحون بإرادة الجماهير وبإرادة شعبنا وعلى الرغم من أن الجو العربي لم يكن مهيأ لنا، وعلى الرغم من أنه ما من جهة تحتضن وتتبنى الجبهة القومية، على الرغم من ذلك كله استطعنا فعلاً بإرادة هذا الشعب وبطليعة الجبهة القومية أن نحرز الانتصار الكبير في مفاوضات جنيف لنطلع في النهاية باستقلال حقيقي، يمثل إرادة هذا الشعب وحريته وكرامته.

أيها المواطنون،

لقد جابهتم وجابهت كل الجماهير المناضلة وجابهت كل قطاعات الشعب، بتنظيم الجبهة القومية مسيرة شاقة وعويصة في مرحلة التحرر الوطني وفي مرحلة النضال المسلح، ونحن ندرك تماماً أن المرحلة القادمة ليست أقل خطورة من المرحلة السابقة. إن المرحلة السابقة اعتمدت على تضحياتنا وعلى شهدائنا وعلى معتقلينا ولكن المرحلة القادمة هي أكثر صعوبة وأكثر مشقة من الماضي. إن على الشعب وعلى الجماهير وعلى الجبهة القومية طليعة هذا الشعب أن تواجه المرحلة القادمة مرحلة البناء الاجتماعي مرحلة التحول الاجتماعي ومرحلة ما بعد الاستقلال فنحن، وإن كنا في الماضي ومن خلال انشغالنا بالنضال الشاق الطويل لم نتمكن فعلاً من أن نوجد لهذا التنظيم القومي التماسك وأن نحافظ فعلاً على كل مقاييسه التنظيمية والفكرية لأن مرحلة النضال المسلح لم تتح لنا فرصاً كثيرة من وقت إلى آخر لنراجع موقفنا ولنؤكد من جديد ونتجاوز كل الثغرات بالنسبة لتنظيم الجبهة القومية.

لكن في المرحلة القادمة وهي المرحلة التي تحتاج منا فعلاً إلى تنظيم جماهيري حقيقي يقود هذا الشعب في مرحلة البناء القادمة فإننا لا بد أن نتوجه لبناء حزب طليعي عقائدي قادر فعلاً على مواجهة أعباء هذه المرحلة وقادر فعلاً أن يقود الجماهير وأن يحقق لها غدها المشرق غدها المنتظر. إن بلداً متخلفاً كبلدنا يحتاج منا بعد الاستقلال إلى جهود كبيرة وإلى نضالات شاقة فعلاً لننقذ شعبنا من هذا التخلف الذي تركه لنا الاستعمار بعد ١٢٩ سنة، إن هذا التخلف وإن التركة الثقيلة التي تركها لنا الاستعمار البريطاني فعلاً تحتاج منا إلى جهد كبير في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولذلك فلا بد فعلاً من أن يعدّ هذا الشعب نفسه إعداداً كافياً ويتسلح بالوعي ويتسلح بالإيمان بقضيته ليستمر في طريق النضال.

إن مرحلة جديدة من النضال الجماهيري تطل علينا ولا بد أن نجابهها بكل شجاعة وصمود. وإن التخلف الذي فرضه المستعمر لا بد من مجابهته فنحن بالنسبة إلى الجانب الزراعي في بلد متخلف، في بلد لا يمتلك أي شيء من وسائل التصنيع الحديث. وهذا بالتالي سيحتاج منا إلى برنامج وخطة للإصلاح الزراعي حتى نستطيع أن نجابه هذا التخلف في هذا الميدان وإننا فعلاً نعتمد على الفلاحين وعلى طاقاتهم الثورية في بناء ريف أفضل، في بناء ريف سعيد على المستوى الاقتصادي والتجاري والصناعي لا بد من خطط تنمية لمواجهة هذا التخلف في هذا المجال، ولكي تستطيع الثورة فعلاً أن توجد خطة تنمية للمرحلة القادمة حتى تستطيع أن تحارب الفقر وتحارب الجهل وتحارب المرض وتوجد جيلاً قوياً وتبني حضارة مدنية قوية، لذلك فلا بد فعلاً من أن يكون التنظيم الشعبي والجماهيري في يقظة دائمة وفي تسلح دائم لمجابهة المرحلة القادمة ولحراسة الثورة حتى يستطيع الشعب أن يسير نحو تحقيق الانتصارات تلو الانتصارات وأيضاً لا بد للجماهير ولا بد لتنظيم الجبهة القومية مستقبلاً أن يحمي ثورته من خلال السلطة.

إن سلطة الثورة بعد ١٢٩ سنة من الاستعمار فعلاً هي أول سلطة حقيقية وطنية خلقت، وهي فعلاً التي انبثقت من إرادة هذا الشعب ومن أن يكون هناك حكم وطني قادر على مجابهة أعباء المرحلة القادمة، لذلك فالجماهير والشعب يطالبان فعلاً بحماية هذه السلطة حتى تستطيع الثورة متابعة سيرها نحو الانتصار حتى يتحقق النصر النهائي لكل جماهيرنا ولكل قطاعات الشعب.

أيها المواطنون،

باسم الثورة وباسم الجبهة القومية نختتم هذه الكلمة بتلاوة القرارات الآتية:

**قرار رقم ١:**

قررت القيادة العامة للجبهة القومية الممثلة الوحيدة للشعب، وهي السلطة الفعلية ما يلي:

١- إن المنطقة التي كانت تعرف في السابق باسم عدن ومحمياتها الشرقية والغربية وكل الجزر التابعة لها تعد منطقة واحدة وتسمى جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية.

٢- القيادة العامة للجبهة القومية هي السلطة التشريعية لجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية وستمارس القيادة العامة هذه السلطة حتى يتم إعداد دستور مؤقت للجمهورية.

٣- الجبهة القومية هي التنظيم السياسي الوحيد في الجمهورية.

٤- علم الجمهورية يتكون من الألوان الأفقية التالية وترتيبها من أعلى الأحمر فالأبيض فالأسود وله من ناحية السارية مثلث لونه أزرق فاتح تتوسطه نجمة حمراء مخمسة.

٥- نظام الحكم نظام رئاسي.

**قرار رقم ٢:**

قرار بتعيين رئيس الجمهورية... الآن وقد تم جلاء الاستعمار عن جميع أجزاء الوطن وبما أن الجبهة القومية هي الممثلة الوحيدة للشعب والسلطة الفعلية، فقد قررت القيادة العامة للجبهة القومية بوصفها السلطة التشريعية بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧... تعيين السيد قحطان محمد الشعبي رئيساً لجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية لمدة سنتين من تاريخ تعيينه، وقد كلفته إعلان الاستقلال رسمياً منذ ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧، وبعد الإعلان بتشكيل الحكومة، وحتى تشكل الحكومة تمنحه كافة الصلاحيات بتنفيذ القوانين واللوائح السارية المفعول في كل أجزاء الجمهورية وإصدار أية مراسيم يراها ضرورية لمنفعة الجمهورية وأمنها.



**الرئيس قحطان الشعبي رئيساً للجمهورية وقائداً عاماً للقوات المسلحة**

كما خطب قحطان الشعبي في الاحتفال الذي أقيم مساء يوم الاستقلال موجهاً الشكر إلى مصر وقائدها الرئيس جمال عبد الناصر «للدعم الذي تلقاه شعب الجنوب إبان نضاله من أجل التحرر، ولمبادرة مصر للاعتراف بجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية». وحدد فيه المبادئ العامة الخارجية لسياسة الحكومة حيث تقوم على «التزام ميثاق الأمم المتحدة وتقدير الدور الذي قامت به لمساندة نضال شعب الجنوب، واعتماد سياسة الحياد الإيجابي وعدم الانحياز والتضامن مع شعوب العالم الثالث والعداء للاستعمار» وأنها ستكون دولة «شعبية تقدمية».

وفي اليوم نفسه، أصدرت القيادة العامة للجبهة القومية القرار بإنشاء منصب قائد أعلى للقوات المسلحة. وفي ما يلي نصه ونصوص المراسيم الصادرة عن السيد رئيس الجمهورية قحطان محمد الشعبي، ومن بينها قراره بتعييني محافظاً للجزر اليمنية.

**قرار القيادة العامة رقم ٣:**

أصدرت القيادة العامة للجبهة القومية، باعتبارها السلطة التشريعية المؤقتة في جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية القرار التالي:

١- إنشاء منصب قائد أعلى للقوات المسلحة.

٢- يتولى رئيس الجمهورية منصب القائد الأعلى للقوات المسلحة.

٣- يعمل بهذا القرار من حين صدوره.

٤- ينشر هذا القرار في الجريدة الرسمية.

**صادر في ٢٨ شعبان ١٣٨٧هـ**
**الموافق ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م**



**أول اجتماع لمجلس الوزراء**
**برئاسة قحطان محمد الشعبي عام ١٩٦٧م**
**وصدرت فيه أخطر القرارات**

**مرسوم جمهوري رقم (١): تشكيل الوزارة**

أنا قحطان محمد الشعبي، رئيس جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية أصدر بموجب الصلاحيات المخولة لي من قبل القيادة العامة للجبهة القومية بوصفها السلطة التشريعية في الجمهورية ما يلي:

١ - أعين الآتية أسماؤهم وزراء في حكومة جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية:

| | |
|---|---|
| السيد سيف أحمد الضالعي | وزيراً للخارجية |
| السيد علي سالم البيض | وزيراً للدفاع |
| السيد محمد علي هيثم | وزيراً للداخلية |
| السيد محمود عبد الله عشيش | وزيراً للمالية |
| السيد عبد الفتاح إسماعيل | وزيراً للثقافة والإرشاد وشؤون الوحدة اليمنية |
| السيد فيصل عبد اللطيف الشعبي | وزيراً للاقتصاد والتجارة والتخطيط |
| السيد عادل محفوظ خليفة | وزيراً للعدل والأوقاف |
| السيد فيصل بن شملان | وزيراً للأشغال والمواصلات |
| السيد محمد عبد القادر بافقيه | وزيراً للتربية والتعليم |
| السيد عبد الملك إسماعيل | وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية |
| السيد سعيد عمر عكبري | وزيراً للإدراة المحلية ووزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي بالوكالة |
| السيد أحمد سعيد صدقة | وزيراً للصحة. |

٢- يعمل بهذا المرسوم من حين صدوره.

٣- ينشر هذا المرسوم في الجريدة الرسمية.

**صادر في ٢٨ شعبان ١٣٨٧هـ**

**الموافق ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م**

**قحطان محمد الشعبي**

**رئيس الجمهورية**

**مرسوم جمهوري رقم (٢)**

**تحديد دار الرئاسة**

أنا قحطان محمد الشعبي، رئيس جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية أعلن ما يلي:

١- سيكون دار الحكومة السابق والكائن في التواهي مقراً لرئيس الجمهورية، ويُسمى بدار الرئاسة ابتداءً من اليوم الثامن والعشرين من شعبان ١٣٨٧هـ الموافق ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م.

٢- ينشر هذا المرسوم في الجريدة الرسمية.

**صادر في ٢٨ شعبان ١٣٨٧هـ**
**الموافق ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م**
**قحطان محمد الشعبي رئيس الجمهورية**



**مبنى رئاسة الجمهورية**[(١)]

(١) مبنى رئاسة الجمهورية في التواهي GOVERNMENT HOUSE، كان هذا المبنى حتى يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م، مقراً للمندوب السامي البريطاني في عدن همفري تريفيليان حيث تحول إلى دار لرئاسة الجمهورية، وهو يتكون من دورين، وفيه عدد من القاعات والمكاتب، وفيه أهم التحف المهداة من السيوف والخناجر وبيانو جميل وسط قاعة جميلة، وقد حافظ كل الرؤساء على محتوياته وأضيفت إليها الهدايا التي تسلمها الرؤساء والقيادات المختلفة التي يحصلون عليها في داخل الجمهورية في الجنوب وخارجها حتى قيام الوحدة اليمنية. وزار هذا المبنى عدد من زعماء العالم ووقعت فيه أهم الاتفاقيات والمعاهدات وصدرت فيه أخطر القرارات، ومع الأسف فإن محتويات متحف الرئاسة الذي كان يحوي كل تلك الهدايا الثمينة (سيوف وساعات وأقلام وتحف من ذهب وغيرها) استولي عليها بعد حرب عام ١٩٩٤م.

**مرسوم جمهوري رقم (٣)**

**نص اليمين الدستورية[٢]**

بموجب الصلاحيات المخولة له قرر رئيس الجمهورية ما يأتي:

١- يكون نص اليمين الدستورية لأعضاء حكومة جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية كما يأتي:

«أقسم بالله العظيم وبالثورة أن أحافظ مخلصاً على الثورة وأهدافها والنظام الجمهوري وأن أحترم الدستور والقانون وأن أرعى مصالح الشعب رعاية كاملة وأن أحافظ على استقلال الوطن وسلامة أراضيه».

٢- يعمل بهذا المرسوم من حين صدوره.

٣- ينشر هذا المرسوم في الجريدة الرسمية.

**صادر في ٢٩ شعبان ١٣٨٧هـ**
**الموافق ١ ديسمبر ١٩٦٧م**
**قحطان محمد الشعبي**
**رئيس الجمهورية**

**مرسوم جمهوري رقم (٤)**

**إنشاء منصب محافظ للجزر**

بموجب الصلاحيات المخولة له قرر رئيس الجمهورية ما يلي:

١- إنشاء منصب محافظ على جزر كوريا موريا[٣] وميون وكمران.

---

(٢) وفي ١/ ١٢/ ١٩٦٧م أقسم جميع الوزراء اليمين الدستورية بدار الرئاسة أمام رئيس الجمهورية، وبحضور أعضاء القيادة العامة للجبهة القومية وبعض قادة الجيش، ومراسلي الصحف المحلية والأجنبية ووكالات الأنباء، وسط مشاعر البهجة والفرح بهذا الانتصار وتشكيل أول حكومة وطنية موحدة في تاريخ الجنوب. وبهذه المناسبة نظم التلفزيون برنامجاً خاصاً (أفراح أمة) ألقيت فيه قصائد للشاعر لطفي أمان وعلي مهدي الشنواح وعبد الله فاضل فارع ومحمد سعيد جراده وغنى في هذا البرنامج عدد من الفنانين، وفي مقدمتهم أحمد بن حمد قاسم، محمد مرشد ناجي، محمد محسن عطروش، طه فارع، محمد صالح عزاني، محمد بن محمد باسويد، عوض أحمد، عبد الرحمن باجنيد، أبو بكر سكاريب، والمنولوجست عثمان عبد ربه، وعاشت الجماهير ليلة سعيدة وجميلة مع الفن والأدب، وهم يحتفلون بجلاء قوات الاحتلال البريطاني عن عدن بعد ١٢٩ عاماً من الاحتلال.

(٣) وقد سُميت هذه الجزر بعد عام ٢٠٠٠م جزر الحلانيات، وأهم هذه الجزر الحلانية، السوداء، أم الطير، وذلك بسبب المعنى المعيب لكلمتي كوريا موريا اللتين تعنيان خراء الطيور.

٢- تعيين السيد علي ناصر محمد حسني محافظاً لجزر كوريا موريا وسقطرى وميون وكمران.

٣- يعمل بهذا المرسوم من حين صدوره.

٤- ينشر هذا المرسوم في الجريدة الرسمية.

**صادر في ٢٩ شعبان ١٣٨٧هـ**
**الموافق ١ ديسمبر ١٩٦٧م**
**قحطان محمد الشعبي**
**رئيس الجمهورية**

وفي ٢/ ١٢/ ١٩٦٧ أصدر رئيس الجمهورية مرسوماً جمهورياً باعتبار جميع القوانين والتشريعات السابقة التي وضعت أيام الإدارة البريطانية سارية المفعول قانونياً وإدارياً مع اعتماد كلمة (رئيس الجمهورية) بدلاً من كلمات (صاحبة الجلالة، المندوب السامي البريطاني، وزير اتحادي، وزير المستعمرات) أو غير ذلك من العبارات أو الكلمات الاستعمارية، حتى تسنّ حكومة الثورة قوانين وتشريعات جديدة لجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية.

## الانضمام إلى الجامعة العربية والأمم المتحدة

وبالإضافة إلى القرارات التي أوردناها، والتي اتخذها الرئيس قحطان محمد الشعبي في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م، بعث ببرقية طلب لانضمام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية إلى عضوية جامعة الدول العربية في يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م، وتواصلت المساعي في هذا الاتجاه بإرسال وفد من الجمهورية الوليدة إلى الجامعة العربية طلباً للحصول على الموافقة بالانضمام. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأمم المتحدة قبلت اليمن الجنوبية في عضوية الجامعة في ١٢/ ١٢/ ١٩٦٧م وأصبحت الدولة رقم ١٤ في ١٣/ ١٢/ ١٩٦٧م، كذلك وافق مجلس الأمن الدولي بالإجماع على قبول اليمن الجنوبية الشعبية في هيئة الأمم المتحدة، وأصبحت رقم ١٢٤ في سجل هيئة الأمم المتحدة.

وفي ١/ ١٢/ ١٩٦٧م بعث الرئيس جمال عبد الناصر برقية تهنئة إلى الرئيس قحطان الشعبي بمناسبة استقلال الجنوب وتعيينه رئيساً لجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية.

واستقبل الرئيس قحطان الشعبي في ١/ ١٢/ ١٩٦٧م، سعادة المندوب السامي للهند الذي سلّمه رسالة من رئيسة الوزراء السيدة أنديرا غاندي، باعتراف الهند بجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، وقد انهالت برقيات التهاني والاعتراف بجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية من رئيس وزراء السودان السيد محمد أحمد، والرئيس التونسي الحبيب بورقيبة والملك الأردني الحسين بن طلال والرئيس العراقي أحمد حسن البكر والرئيس الباكستاني محمد أيوب خان والرئيس السوفياتي نيكولاي بودجورني والإمبراطور هيلا سلاسي إمبراطور إثيوبيا ورئيس وزراء ماليزيا تنكو عبد الرحمن وغيرهم.

وفي ٢/ ١٢/ ١٩٦٧م أبرق ممثل ظفار في القاهرة السيد يوسف بن علوي إلى الرئيس قحطان الشعبي وإلى قيادة الجبهة القومية بمناسبة جلاء قوات الاحتلال البريطاني ولمّح إلى أن جبهته جادة وعازمة على تحرير الخليج العربي من قوات الاحتلال البريطاني. لكن السلطان قابوس استطاع بحكمته ودهائه استيعاب معظم قيادات الجبهة المعارضة، وعلى رأسهم السيد يوسف بن علوي الذي أصبح في ما بعد وزير الدولة للشؤون الخارجية في عُمان.



**الوزير عبد الملك إسماعيل مع عبد الخالق حسونة باشا أثناء رفع علم جمهورية اليمن الجنوبية عند انضمامها إلى جامعة الدول العربية بتاريخ ١٢/١٢/١٩٦٧م**



**الوزير عبد الملك إسماعيل يتقبل التهاني بانضمام جمهورية اليمن الجنوبية إلى جامعة الدول العربية**



**سيف الضالعي وأحمد علي مسعد في الأمم المتحدة في نيويورك ١٩٦٧**

## كلمة أخيرة

أما وقد فرغت من تدوين هذا الشريط الطويل من الذكريات عن مرحلة الثورة المسلحة التي خاضها شعبنا، على قدر ما أسعفتني به الذاكرة، وسمحت به الوثائق، وقبل أن أتحول إلى كتابة الجزء الثاني من المذكرات الذي يتناول مرحلة بناء الدولة، وما رافقها من نجاح وإخفاق، وما تحقق خلالها من إنجازات في مختلف الميادين، رغم الصعوبات والعوائق، أحب أن أعترف بأنني أقبلت على هذا العمل متهيباً، إذ ليس أعسر على المؤلف من أن يُنحي شخصه جانباً، ويلتزم الحياد والموضوعية في تقديم الحقائق والوفاء بالأمانة التاريخية بعيداً عن التحيّز والتزوير، أو مصادرة التاريخ لإبراز الذات، إذ لم يكن هدفي في تدوين هذه المذكرات الحديث عن إسهامات شخصية قمت بها في مسيرة الثورة، فما أنا إلا قطرة ماء في محيط هذه الملحمة الوطنية الكبرى لنضال شعبنا الأبيّ الذي استطاع، بإرادة الحياة فيه، أن يواجه أعتى الإمبراطوريات الاستعمارية في التاريخ الحديث، بجيوشها الجرارة، وأسلحتها الفتاكة، وهو يكاد يكون أعزلَ من السلاح، بل كان هدفي رصد كل ما استطعت وتحليله وتسجيل كل الوقائع والتطورات تقريباً التي شهدتها مرحلة الثورة والكفاح المسلح بتعقيداتها وتناقضاتها، وتفصيلاتها الدقيقة والتي هي امتداد للانتفاضات الشعبية من الاحتلال إلى الاستقلال، لتكون زاداً للأجيال، تتلقن منه دروس البطولة والفداء والتضحية وتستلهم منه عزيمة التحرر والبناء وتوفير الحياة الكريمة لغد مشرق مأمول وتستخلص منه العبر والدروس المفيدة من الأحداث التي مرت بها الثورة، وتتجاوز أخطاء قاتلة وعثرات ما كان لها أن تُرتكَب لو أمتلك بعض رموز هذه الثورة وبُناتها الوعي الذي يجنبهم الوقوع فيها،

ولو تحرر بعضهم من هذا الضعف الإنساني أو الاندفاع المتهور في إدارة المواقف واتخاذ القرارات المصيرية ونحن على أبواب النصر.

ولا أنكر أنني لم أستطع أن أُنحّي نفسي كلياً وأنا أدوّن الوقائع وأروي قصة وطن ارتبطت حياتي به. فبعض أجزاء هذه المذكرات كتبته بدم القلب وبروح العاشق المتحمس لوطنه الذي يهتزّ لكل نصر يحققه الشعب ويأسى لكل إخفاق، بحكم أنني مشارك متواضع في بعض أحداث هذه الثورة، من موقع مسؤوليتي في قيادتها سياسياً وعسكرياً، على أن اندفاعي العاطفي لم يُحل دون حرصي على أن التزم الموضوعية، وأُحكِّم العقل والحياد في الحكم على الأحداث وتحليلها، وتقديمها في إطار موضوعي محايد بعيداً عن الهوى والانحياز، إلا ما كان انحيازاً وحبّاً لوطن أدين له بالوفاء، وأشعر بسعادة بالغة وأنا أقدم جزءاً من تاريخه المجيد للقارئ الكريم.

ربما كانت هذه السعادة التي استشعرتها وأنا أدوّن هذه الصفحات من أكبر العوامل التي سهّلت مهمتي، إذ ليس من الميسور إنجاز مثل هذا الجهد الكبير الذي بُذل في إعدادها استناداً إلى مئات المراجع والكتب، والوثائق التي تتناول مرحلة من حياتنا لم يكن أبناؤنا ومثقفونا يقدّرون أهمية الحفاظ عليها، فأهمل بعضها وضاع على مرّ السنوات، وكان من صلب عملي أن أبحث عمّا بقي منها، في ذاكرة معاصري الثورة ومدوناتهم وشهاداتهم، مستعيناً بنخبة من الباحثين والمهتمين الذين أخصهم بشكري وتقديري، وعبر سنوات طويلة استغرقها الجمع والتصنيف قبل التدوين والتأليف، أُنفق في سبيلهما كثيراً من العرق والمال، ومما يحزنني ضياع بعض هذه الوثائق أو إتلافها خلال أزمات العنف والصراع السياسي اللذين شهدتهما البلاد خلال مراحل زمنية متعددة، وما أُتلف عمداً لطمس الحقائق، ولكي لا ترى النور.

غير أن سعادتي البالغة بإنجاز هذا العمل واعتزازي به تمحو غبار التعب المبذول، وهي تبعث في نفسي اعتزازاً يكاد يفوق اعتزازي بأي مشاركة في عمل وطني أنجزته، وقد بدأ اهتمامي بتنفيذ جمع الوثائق في زمن مبكر، لاقتناعي بأهميتها في كتابة تاريخنا الوطني، وقد ساعدني على ذلك مشاركتي في أحداث الثورة أو قربي وصلتي الوثيقة بوقائعها وموقعي منها الذي جعلني أُسهم في بعض أخطر قراراتها المصيرية، كقرار فتح جبهة عدن ونقل

النضال المسلح إلى قلب القاعدة البريطانية، فكنت أُتابع الأحداث يوماً بيوم، وأدوّنها وأجمع الوثائق حولها، أينما كنت، في عدن أو أبين أو تعز أو القاهرة أو دار السلام، وقد برز ذلك الاهتمام لدي جلياً من موقع مسؤوليتي رئيساً للوزراء.

وإنني أتقدم بالشكر لكل من مدّني بالمعلومات والوثائق التي ساهمت في إغناء هذا الكتاب، ومنهم بالليل بن راجح لبوزه، وخليفة عبد الله حسن خليفة، وأحمد صالح الضالعي، وعبد الله صالح سبعة، واللواء سالم حلبوب وغيرهم ممن حدثوني في لقاءات شخصية استمرت لساعات وأحياناً لأيام عن تلك المرحلة التي كانوا شهود عيان عليها، وأشكر الكاتب الصحفي محمد عمر بحاح والأخوين حسن عليوه وصالح شائف حسين وماهر الحداد وعمار علي وغيرهم من الأخوة والأصدقاء. وأشكر أيضاً صحيفة الأيام الغرّاء التي وقفت إلى جانب الثورة، وكانت أحد المصادر الموثّقة لتلك الفترة، وكذلك كتّابها الذين استفدت مما كتبوه عن الثورة والتاريخ، وأخصّ بالذكر الأستاذ نجيب يابلي الذي وثّق لتلك الفترة عبر صفحته (رجال في ذاكرة التاريخ)، كذاك لا ننسى صحيفة «الأمل» و«الطريق» و«المصير» التي واكبت الثورة منذ انطلاقتها وحتى الاستقلال.

ولعلّ أبرز ما يميز هذا العمل المتواضع الذي أقدمه للقراء، حرصي على إنصاف الشخصيات والحقائق التي تعرّض بعضها للإهمال أو الإغفال المتعمد أو غير المتعمد، وكان من أبرز تطلعاتي ألّا أهمل دور أي مناضل أسهم في معركة الحرية وخدم البلاد بصمت، فتعرض للإهمال أو التجاهل أو الانكار، ولو كان مدى هذا الجهد يتسع لما توانيت عن ذكر أسماء آلاف من جنود الثورة المجهولين الذين قدموا من الأعمال المشرفة ما يستحق التنويه، فإذا كنت قد أغفلت أدوارهم، فلهم عذري ولي منهم الصفح، إذ لم أكن عامداً، بل عاجزاً عن الوصول إلى معلومات عن مشاركتهم بسبب ضياع الوثائق والإهمال، ولن أتوانى عن توسيع دائرة البحث عنهم والإشارة إلى إسهامهم إن زُوِّدْتُ بالوثائق اللازمة، ولن أتردد في نشر أي وجهة نظر أو تصويب أو إيضاح أُزَوَّدُ بها في الطبعات اللاحقة لهذه المذكرات توخياً للحقيقة واعترافاً بإسهام المخلصين والمناضلين والشهداء من أبناء وطني منذ الاحتلال وحتى النصر والاستقلال في ٣٠ نوفمبر. ولا ننسى هنا دور مصر عبد الناصر في دعم الثورة المسلّحة في الجنوب، وهو الذي قال كلمته المشهورة: «إن على الاستعمار

البريطاني أن يحمل عصاه ويرحل من عدن». مشهد مهيب، فالكل يلتقون لأول مرة وجهاً لوجه بعد انسحاب القوات البريطانية وتحقيق النصر على قوات الاحتلال، العائدون من الخارج برئاسة قحطان الشعبي، والفدائيون الذين خرجوا من مخابئهم وملاجئهم السرية، وهم يظهرون لأول مرة أمام العالم بعد عمل سري استمر لأكثر من ٤ سنوات، ولا يُعرَفون إلا بأسمائهم الحركية، والمناضلون القادمون من جبهات القتال في الريف، والعسكريون الذين كانوا يناصرون الثورة ويساندونها بالمال والسلاح والمعلومات، يظهرون لأول مرة أمام الكاميرات، وهم يحتفلون مع كل المناضلين والأحرار، والجماهير تهتف للجبهة القومية وتردد: «برع برع يا استعمار برع من أرض الأحرار»، وغيرها من الأغاني والأناشيد والأهازيج التي تعبِّر عن فرحتهم بهذا النصر الذي تحول إلى عرس وطني كبير لم يشهد له التاريخ مثيلاً في تاريخ الجنوب الذي شارك فيه مختلف مكونات المجتمع المدني من نقابات وصحافة ومنظمات ورجال الدين وبقية جماهير الشعب.

أجل... ليس ما دونته في هذه الصفحات محض مذكرات نستذكر بها التاريخ، إنها كتاب الوطن المفتوح لذاكرة الأجيال، الذي أرجو ألّا تدون في صفحاته عبر الزمن سوى المكرمات لكي تظل للثورة التي خاضها شعبنا دلالتها العظيمة وأثرها في ضمائر الأجيال، وإلهامها القوي لمسيرة ظافرة نرجو أن تتواصل بغيرة أبناء شعبنا وحسِّهم الوطني والقومي، ولكن يجب أن نعترف ونحن نتحدث عن الاحتلال والاستقلال بأن البريطانيين تركوا لنا نظاماً مالياً وإدارياً ومؤسساتياً متطوراً، كان أساساً متيناً لبناء الدولة الجديدة.

والله ولي التوفيق.

# ملاحق

## مؤتمر القاهرة: صيغة «لاستيعاب» النضال المسلح

في هذه الأجواء وضمن اعتبارات التحولات المتسارعة للأحداث في الجنوب، عقد في القاهرة «مؤتمر وطني» للجنوب حضره خليط من القوى السياسية المتنافرة والشخصيات والزعامات المحلية غير المتفقة (ربما في أغلبيتها الساحقة) إلا على التحفظ إزاء الثورة المسلحة بقيادة الجبهة القومية. كان الهدف المعلن للمؤتمر الذي عقد في مبنى الجامعة العربية قد ورد صراحةً في الكلمة الافتتاحية: «الوقوف صفاً واحداً في مواجهة الاستعمار، واتخاذ خطة موحدة لدعم النضال الوطني».

خرج المؤتمر – الذي تغيبت عنه الجبهة القومية بسبب تحفظها على تركيبة وغموض أهدافه –ببيان يتضمن شجباً لتصرفات الاستعمار البريطاني وحرب الإبادة التي ينظمها في الجنوب المحتل، ودعوة إلى «النضال المقدس ضده حتى يتم التخلص من جميع آثاره». وعارض المجتمعون مؤتمر لندن (الذي عقد قبل أسابيع) وجميع ما خرج به وطالبوا بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة التي قضت بجلاء القاعدة البريطانية عن عدن وإزالة كل الوجود الاستعماري «وضمان حق تقرير المصير بإشراف الأمم المتحدة سواء بالنسبة لنظام الحكم الذي يختاره أم الوحدة التي يرتضيها في النطاق العربي». وكان من البديهي أن يخرج المؤتمر بهذه النتائج العمومية التي لا تلزم أحداً بتنفيذها، بل والخالية من آلية لانتزاعها من الاحتلال. ذلك لأن الثقل الأساسي في الحضور إنما يحتله أولئك الذين لم يأتوا عن قناعة بقضية التحرير وليست لديهم أية رغبة في «النضال المقدس» ولا إيمان بجدارته أو نيّة في الانخراط فيه وحتى في أبسط أشكاله. وهذا لا ينسحب، طبعاً، على بعض الشخصيات الوطنية مثل عبد الله باذيب وغيره ممّن لم يستطيعوا أن يؤثروا في وجهة المؤتمر، واكتفوا باستطلاع الأمور.

شارك في حضور المؤتمر قوى سياسية محلية من ممثلي حزب الشعب ورابطة أبناء الجنوب العربي والمؤتمر الشعبي بحضرموت والاتحاد الشعبي الديمقراطي، فضلاً عن السلاطين علي عبد الكريم وأحمد عبد الله الفضلي ومحمد أبو بكر بن فريد وكان هناك عبد القوى مكاوي وعمر شهاب عضوا «المجلس التشريعي»... وسرعان ما تكشَّف هدف المؤتمر الحقيقي حين بدأت على الفور المفاوضات بين الحضور (عدا الاتحاد الشعبي الديمقراطي) لإقامة تنظيم سياسي يتصدر العمل الوطني ويدفعه في منحى مخالف للاتجاه الذي تمضي فيه الجبهة القومية. فتوصل المعنيون إلى قرار بمواصلة اللقاء في المستقبل لبحث طرق العمل المشترك.

وإذ تمنّى المؤتمر وقياداته - واللقاءات التي جرت على هامشه - «ضبط» الأحداث ووجهة الصراع مع الوجود البريطاني، كانت مسارات المواجهة تأخذ طريقاً آخر، يسوّغ صواب خط الجبهة القومية. لقد سارت التطورات قدماً ضمن حتمية المجابهة المسلحة التي تستند إلى دعم الشعب واستعداده لحماية الثورة وتغذيتها، إزاء تشبث البريطانيين بوجودهم الاستعماري واندفاعهم في حملات الإبادة والقمع. ولعل من المؤسف، أن تتابع مصر عبد الناصر ذلك المسار عبر الأجهزة العسكرية التي كانت بعيدة عن قراءة المعطيات والتبصرّ في الحقائق، ومنها من كان يتقصد التعتيم على معطيات الصراع الحقيقية لإلحاق الأذى بالثورة وبعبد الناصر معاً. كان جمال عبد الناصر في أعماقه مع الثورة والجبهة القومية ولكنهم حالوا بينه وبين ما يقتضيه قلبه وضميره.

غير أن تنامي بأس الكفاح المسلح وترسيخ مكانة الجبهة القومية في الشارع لم يمنعا اللقاءات المنعقدة في القاهرة من أن تصل، بعد ثلاثة أسابيع من البحث، إلى إقامة إطار عمل سياسي بين الفرقاء سمي بـ «الميثاق الوطني»، جرى التوقيع عليه في الثلاثين من تموز-يوليو ١٩٦٤م يوصي بإقامة «مجلس تنسيق» يعمل على مواصلة البحث من أجل قيام «تكتل وطني» للجنوب المحتل «لمواجهة الاستعمار وأعوانه». وسيكون هذا التكتل، كما ذكر البيان الصادر عن اختتام اللقاءات، «مفتوحاً أمام كل التنظيمات والشخصيات والجماعات الوطنية».

**«منظمة تحرير الجنوب المحتل»**

غير أن مؤتمر القمة العربي (٣ أيلول- سبتمبر ١٩٦٤م) الذي أعلن «تقديم المعونة لحركة التحرر في الجنوب المحتل» ورعى اتفاقاً ثنائياً بين عبد الناصر والملك فيصل بوقف إطلاق النار بين الجمهوريين والملكيين، في الجمهورية العربية اليمنية أعطى دفعاً جديداً لتحركات «التكتل الوطني». ويبدو أن اتفاقاً خفيّاً عقد بعيداً عن الأنظار بين كل من القاهرة والرياض وصنعاء. وربما بريطانيا أيضاً، لإيجاد إطار سياسي في الجنوب يكون مقبولاً من الجميع ويتولى في نهاية الأمر التفاهم مع لندن حول صيغة من «الاستقلال» لا تغيرّ من طبيعة التوازن القائم في المنطقة. وعلى هذا الطريق استمرت اللقاءات وتكثفت الجهود لإقامة تنظيم سياسي باسم «منظمة تحرير الجنوب المحتل»، أعلن عن ميلاده في الأول من تشرين الأول-أكتوبر ١٩٦٤م. وقد صدر على هامش الإعلان دستور للمنظمة ورد في توطئته أن الأعضاء المؤسسين للمنظمة هم قادة حزب رابطة أبناء الجنوب (محمد علي الجفري) وحزب الشعب الاشتراكي (عبد الله الأصنج) وهيئة تحرير الجنوب (محمد عبده نعمان) والسلاطين (أحمد الفضلي وعلي عبد الكريم ومحمد أبو بكر بن فريد).

وعدا الاعتبارات الخارجية التي دفعت إلى إقامة «المنظمة» فإن ثمة تحولات داخلية ساهمت في تسريع عملية إيجاد هذا الشكل من العمل السياسي في ظروف اتسمت بالاحتمالات والتقلبات والأحداث المتداخلة، مما يهدد بطرد القوى التقليدية والمحافظة من موقع المشاركة في النتائج.

لقد التقط عبد الله باذيب رئيس اتحاد الشعب الديمقراطي الموجبات الحقيقية لهذا الاستقطاب السياسي، بقوله:

«أحسَّت الأحزاب السياسية أنها بمعارضتها الكفاح المسلح تخسر مواقعها في الحركة النقابية وفي صفوف الشعب وتزداد انعزالاً عن الجماهير، وأنها ستخسر كل شيء إذا استمرت على هذا المنوال. وهكذا تكونت (منظمة تحرير الجنوب المحتل) (...) كرد فعل لقيام الجبهة القومية ولغرض إضعافها واستقطاب أقسام من الجماهير حول المنظمة الجديدة. وأعلنت المنظمة، أنها هي الأخرى مستعدة لخوض المعركة المسلحة[١].

ثمة حقيقة تفرض نفسها هي أن إعلان المنظمة جاء بعد عام ونصف على قيام الجبهة القومية، وبعد حوالي سنة على اندلاع الثورة المسلحة من جبال ردفان، وثلاثة أشهر على إخفاق مؤتمر لندن. ولابد من استعادة هذه الحقيقة كي نقترب من صورة الأسباب و»الضرورات» التي تقف وراء قيامها.

لقد تمثلت أهداف المنظمة المعلنة –والمقتصرة على الإطار العام والفضفاض– في شعار «الاستقلال». التحرر. وحدة الجنوب. حق تقرير المصير واختيار نظام الحكم الذي يرتضيه الشعب بالنسبة للوحدة في الإطار العربي». أما الطريق لتحقيق ذلك فهو «النضال المقدس». ولم تكن هناك «غفلة» في تجنب تأييد الكفاح المسلح، ذلك أن مفردات الأهداف والشعارات والسبل لتحقيق الاستقلال تشير إلى الطبيعة السياسية للمنظمة التي تتعارض مع ضرورة إجلاء البريطانيين إجلاءً تاماً غير مشروط. ولم يكن لهذا أن يتم – في الظروف الملموسة القائمة– بغير الكفاح المسلح شكلاً أساسياً، إلى جانب الأشكال السياسية الجماهيرية التي ترفد الكفاح المسلح وتحميه وتطوره. دون أن يقلل ذلك من دور مقاتلي جبهة التحرير فيما بعد في المعركة من أجل التحرير والاستقلال بصرف النظر عن مواقف بعض قياداتها.

لكن مجرد تحليل وثائق المنظمة وبياناتها وتصريحات أركانها لا يكفي للكشف عن خطورة الدور المرسوم لها. فالمواقف العملية اللاحقة إزاء الأسئلة التي طرحتها وتائر الصراع مع المحتلين أكدت أن للمنظمة مهمة محددة، وهي مسايرة النضال ضد الاحتلال البريطاني وفرملة الثورة المسلحة التي تجاوزت هذه الأحزاب على المستوى الوطني، والعربي، والدولي، أو ركوبها إذا تعذّر ذلك، لتوجيهها بعيداً عن أهدافها، أو مواجهتها إذا لم يكن بدّ من المواجهة. وهذا يعني أن الثورة (والجبهة القومية بالذات) قد وضعت في مواجهة امتحان صعب، بدءاً من محاولات افتعال موجة إعلامية صاخبة لصالح «منظمة تحرير الجنوب المحتل»، في وقت لا تملك فيه موطئ قدم، ولا تأثيراً، في ميدان الحرب التي يخوضها الشعب ومقاتلو الجبهة القومية ضد الوجود الاستعماري.

وحين دعت بريطانيا في أواخر عام ١٩٦٤م إلى إحياء فكرة عقد مؤتمر دستوري في لندن في ٢ آذار – مارس ١٩٦٥م أصبح واضحاً لماذا أقدمت القيادات «المحافظة» على تشكيل «منظمة تحرير الجنوب المحتل». وقد تكشَّف ذلك أكثر فأكثر بقيام وزير المستعمرات البريطاني جرينود (وهو زعيم لحزب العمال وقائد سابق

---

(١) عبد الله باذيب: كتابات مختارة، ج٢، دار الفارابي، بيروت ١٩٧٨م، ص٢٠٥.

للنقابات البريطانية) بزيارة إلى عدن ومناقشته قيادات حزب الشعب والرابطة والساسة العدنيين حول جدول أعمال المؤتمر المقترح.

وإذ خابت مهمة الوزير البريطاني في تعبئة الساسة والأطراف المعنية لعقد المؤتمر في موعده، فإنها نجحت في التوصل إلى مبدأ عقده في العام التالي وإجراء اجتماع تمهيدي له في لندن في آب-أغسطس ١٩٦٥م[٢]. لكن الاجتماع مني هو الآخر، بالإخفاق، شأنه شأن اقتراح عقد المؤتمر الدستوري في مارس من نفس العام وشأن المؤتمر الدستوري الأول الذي عقد في منتصف ١٩٦٤م، فبقي اقتراح عقد مؤتمر لندن الدستوري في كانون الأول-ديسمبر ١٩٦٥م معلقاً في الهواء، مخافة أن تتكرر تجربة المؤتمر الأول الذي استمر شهراً كاملاً دون أن يتوصل إلى نتيجة.

وفي تشرين الثاني-نوفمبر ١٩٦٥م اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً بشأن الجنوب المحتل ندد بمحاولات بريطانيا إقامة نظام في المنطقة لا يمثل الشعب، وسعيها للإبقاء على قاعدتها في عدن، وطالب بإلغاء حالة الطوارئ وسائر القوانين التعسفية وبإطلاق سراح المعتقلين السياسيين.

إلا أن الحكومة البريطانية التي عبرت عن حرصها الزائف على حل مشكلة الجنوب المحتل، كررت رفضها قرارات الأمم المتحدة التي تعد أكثر تقدماً من قرارات العام ١٩٦٣م وأكثر استيعاباً لحقوق الشعب الوطنية.

أما قحطان الشعبي فقد رد على الموقف البريطاني قائلاً: «إن رصاص الفدائيين وحده هو الآن الطريق الحاسم الذي يؤدي إلى الحل الطبيعي لقضية الجنوب المحتل».

**ضغوط لأجل الإندماج**

سرعان ما وجدت «منظمة تحرير الجنوب المحتل» نفسها على عتبة متاهة وضياع رغم الدعم والتسهيلات التي حظيت بها، وانعكس ذلك في قلق بعض الأوساط السياسية التي راهنت عليها في كل من القاهرة وصنعاء، فأسرع أمين الجامعة العربية إلى التحرك لاحتواء التداعيات الناجمة عن ضعف مكانة «منظمة التحرير» من جهة وتنامي قوّة الجبهة القومية وتأثيرها من جهة أخرى، دعا مختلف التنظيمات والشخصيات الوطنية إلى اجتماع في مبنى الجامعة العربية بالقاهرة «لغرض إقامة التنظيم الواحد الذي يقود النضال ويحقق آمال الشعب ويحصل على عون الدول العربية». وقد تعرضت قيادة الجبهة القومية إلى ضغوط مكثفة ومحاولات ابتزاز، وحتى تهديد، لحملها على حضور المؤتمر، في وقت تبلوَرَ داخل القيادة اتجاه يسوّغ الانحناء أمام تلك الضغوط والقبول بصيغة العمل مع المنظمة، وحتى الاندماج بها، بذريعة أنه مكفول بإشراف عبد الناصر وبحماسه لمناصرة قضية تحرير الجنوب من الاحتلال البريطاني.

---

(٢) مؤتمر لندن آب/ اغسطس ١٩٦٥م.

## نص الرسالة إلى القيادة في القاهرة

«الأخوة الأعزاء: فتاح، قحطان، ملك وبقية الرفاق تحية النضال المشترك وبعد:
كنت قد أرسلت في صباح اليوم رسالة مقتضبة عن الأوضاع، التنظيمية الراهنة مع الأخوة يوسف وعلي ناصر... وقد ذكرت فيها أن الحديث الأخير الذي استفسرتم عنه في عدن سوف يُحْكَىْ لكم من قبل الأخوين شفهياً أولاً لطوله وثانياً لسلامة الطريقة والخوف من وقوع الرسالة الطويلة، واكتشافها...

ولقد أجَّلتُ سفر الأخ محمد صالح يافعي يوماً واحداً لعل وعسى أن تأتي أخبار جديدة من عدن توضح أواخر الأمور وأين ترسو، لكن إلى الآن والساعة ٤ عصراً لم يأتِ أحد ولذا فسوف أضطر إلى أن أدخل لرؤية الأمور على الطبيعة ولمحاولة إنقاذ الموقف المتدهور والمخيف. ولقد كان واضحاً منذ اجتماعات ممثلي المناطق والقيادة العامة في الشهر الماضي أن الأمور ليست طبيعية، وأن هناك لغماً تنظيمياً يهدّد التنظيم بكامله. ولقد أوضحت بكل إخلاص هذا الأمر لإخواننا في القيادة العامة، وأشرت إلى أن هذا اللغم هو «عدم الثقة» بين الجانبين، ممثلي المناطق من جهة، والقيادة العامة من جهة ثانية. والجانب الأول يشعر، بل يؤكد أن القيادة (أو غالبيتها) موافقة على التعايش، لكونها وقعت في خطأ تنظيمي وهو الموافقة على اتفاقية القاهرة دون أخذ رأي التنظيم، وبالتالي فكل ما يطرحونه من تحليل وغيره لا يشكل تبريرات وتعمية للخطأ الذي وقعوا فيه. ولذا كان كل ما يطرح يرفض بقوة غريبة، وهذا ما حدث بالفعل في التجمع الأخير والاجتماعات الجانبية التي– بكل أسف – عمل على ممارستها أخوة لنا في ق.ع. كما أن القيادة لم تعد تثق – وهذا رأيي الشخصي الذي أجريت عليه أخيراً – في ممثلي المناطق، لأنهم لن ينفذوا ما ستنزله القيادة عليها. لكن الأخوة سامحهم الله ورطوا التنظيم بحسن نية وصفاء في مدة ٣ أشهر لسير التنظيم مبلبل بين تعايش وتحديد موقف، ولم يحسم الموقف حسبما اتفقنا.

ورغم شعورهم بهذا اللغم البائن للعيان..

على كل نأمل أن يصل الأخ ملك لكي يبقى في تعز في الداخل لأنه بعد دخوله اليوم لن يبقى أحد هنا وستبقى الأوضاع منفلشة، وخاصة أن علاقتنا بجبهة التحرير بدأت تأخذ جانباً إيجابياً جداً، وبدأت لجان تتشكل لكي تنزل الجبهات التي موجودة بها شبابنا مثل الضالع، حالمين، ردفان الشعيب وذلك لينفذوا ما اتفقنا عليه – ولكون العلاقة بين الجبهات وجبهة التحرير لا بد أن تنزل من خلال التنظيم ولغياب الأخوة في الداخل والخارج لذا فقد وجدت نفسي مرغماً على ممارسة هذه العملية رغم أنني غير ملزم بأدائها.

على كل لا بد من وجود أحد الأخوة هنا، وخاصة ملك وليبقَ فتاح ليتم علاجه، وبالمناسبة جبهات القتال والتنظيمات في الداخل فضلية، عواذل، دثينة، حضرموت، مهرة غير مرتبط وضعها بعدن وأوقفنا تعميم الإشكال وحصرناه في منطقة عدن.

والمشكلة الآن في نظري وكما أشرت للأخوة عند الخروج من التجمع الأخير بصورته المألوفة بأن الحل الآن هو التعجيل لعقد مؤتمر بـأسرع وقت وحسم الموقف.

أخوتي الأعزاء،

إن ما يخيف المرء اليوم هو التمزق واليأس واللامبالاة قد تبدأ تأخذ طريقها في صفوف التنظيم ومترتبات ذلك، وخاصة أن الفروق السياسية التي تحيط بنا وأوضاع الجمهورية العربية اليمنية المزرية وسياسة الجمهورية العربية المتحدة المتقلبة صعبة جداً ومساعدة على وجود الجو العفن والوبيء هذا.

الأخ فيصل كما قلت في رسالتي السابقة وصل إلينا، ولم يبق في تعز بل ذهب إلى شعب وقد التقيت به أمس في الراهدة وهو مصرّ على النزول وحسبما يقول. لكونه تناقش الموضوع مع سلطان ونائف في بيروت وجاء على مسؤوليته الشخصية لكي يساعد على تهدئة الوضع ومراجعة الأخوان في عدم الاستمرار بهذا الخط (غير الطبيعي..) ولقد ترك جوازه في تعز (الشرطة) وهذا أكيد سوف يصل الجهاز الخبر وغيابه عن تعز سوف يثير مشكلة، لذا نصحته بالبقاء في تعز لأنه أيضاً يخبرهم الوضع في عدن بالذات لكون الأخوان في القيادة بعدن يظنون أنه وراء العملية، ويترك الموضوع لي ولكنه مصر لذا مضطرين نتركه يدخل معي ويدلي بدلوه.. سلطان على فكرة ضخّم الحدث للإخوان في بيروت رغم علمنا بخطورة مثل هذه العملية ولكنها ليست الحد الذي يطرحها لي فيصل.

حيرتنا اليوم هو كيف نستطيع التوفيق بين تنفيذ مخطط جبهة التحرير والجهاز الذي وافقنا وقاتلنا على تنفيذه وبين ضبط الأمور وتهدئتها حتى يعقد مثل هذا المؤتمر الذي سيحسم الموقف، إضافة إلى كيف نفهّم الجهاز هذا وخوفنا ممّا قد يتخذه من أساليب لإزالة أو تعقيد الأمور بقصد تشتيت التنظيم وبعثرته. الأخوان في تعز اتصلوا بي وأخبروني بأنهم فهموا الخبر برسالة من سلطان وصلتهم أمس وأنهم سمعوا العتاب.

سالم وطه (لأننا معطينهم الصورة) وهم في الحقيقة يلوموننا أن نفكر مجرد التفكير بأنهم وراء العملية أو محبذين للأسلوب الذي اتبع وأنهم في الحقيقة معارضين ومستغربين أن يحصـل هذا وأنه لو أن الأمور سائرة في خط تحديد موقف فإنه من الأسلم والأبسط لتنظيم ج. ق. أن يتبع الأساليب والقنوات المعروفة تنظيمياً أي عقد مؤتمر وقرار... إلخ... إلخ المهم أنهم لا يعرفون بالحديث ولم يدفعوا به كما يتصور الأخوة.

الأخ عبد الملك ذكر في رسالته أنه يريد فلوس وأنه لن يأتي إلّا بمصروف لعائلته وبصراحة هو أعرف مني بوضعنا المالي وأنظمته حالياً، فالفلوس غير موجودة عندنا بل مع الأخوة في الداخل والأخوة هناك حتى لم يرسلوا لنا بقشة واحدة للمرضى والجرحى، وجبهة التحرير تقول إنهم لا زالوا في جلسات ترتيب للأوضاع

ومافيش عندهم فلوس، لذا نرجوكم دفع أي مبلغ مهما كان لعائلته وإرساله إلينا وهنا سوف نرسل لعائلته أي مبلغ بعد تهدئة الأوضاع واستقرارها.

سوف نرسل لكم إن شاء الله وقريباً رسالة تشرح آخر ما وصلنا إليه..

**تحياتي للأخوة جميعاً والله الموفق**

**أخوكم**

**٢٢/ ١٠/ ١٩٦٦م»**

## تعزيزات عسكرية بريطانية متلاحقة

ما إن حل العام ١٩٦٤م حتى بدأ كل من طرفي الصراع: الثورة وقائدتها الجبهة القومية من ناحية ومعها جماهير الشعب. وبريطانيا وقوات احتلالها من ناحية أخرى يستعدان للمواجهة التي انتقلت الآن إلى قلب المستعمرة البريطانية في عدن ومقر قواعدها العسكرية.

فقد أعلن في الأول من كانون الثاني يناير ١٩٦٤م عن وصول الفرقة العسكرية من الحرس الاسكتلندي البريطاني إلى عدن في غضون عشرة أيام لتعزيز القوات البريطانية التي أخفقت في إجهاض الثورة، خاصة بعد الإخفاقات التي منيت بها في جبهة ردفان، وفي العاشر منه استكملت سلطات الاحتلال الترتيبات لاستقبال تلك الفرقة. وقام وزير الحرب البريطاني في اليوم ذاته بزيارة لعدن. واضطر المندوب السامي البريطاني إلى القيام بزيارة خاطفة إلى لندن في ٦ شباط فبراير لإجراء مباحثات مع وزير المستعمرات البريطانية بخصوص تزايد خسائر قواته في عدن وخيبتها في إجهاض الثورة التي قالوا إنها محض تمرد قبلي لا تحتاج منهم إلا إلى عدة أيام لسحقها. ونفذ الجيش البريطاني في العشرين من الشهر ذاته في عدن (كريتر) والمعلا عملية مداهمات وتفتيش للمنازل، وحملة اعتقالات واسعة شملت عدداً من المواطنين نتيجة لتزايد العمليات الفدائية. وفي ٢٦ منه وصلت إلى عدن قوات الكوماندوز البريطانية لمواجهة الضربات الموجعة من فدائيي الجبهة القومية. كما وصلت في الأول من مارس، قوة كوماندوز تابعة للبحرية البريطانية على ظهر الحاملة «إلبيون» في محاولة لدعم حرب بريطانيا ضد الثورة في جنوب اليمن، وأجرت قوات الاحتلال مناورة في عدن اشتركت فيها القوات البرية وطائرات الهيلوكبتر والطائرات الأخرى. ولم يكن خافياً المعنى من وراء تنفيذ هذه المناورة في هذا الوقت ولا الرسالة التي تريد توجيهها. كما لم يكن خافياً الهدف من وراء زيارة قطع بحرية حربية تابعة للولايات المتحدة الأمريكية إلى ميناء عدن فقد أعلن عنها في ٢١ أبريل كمظهر من مظاهر دعم الإدارة الأمريكية الاحتلال البريطاني.

وتوالت الاستعدادات البريطانية لقمع الثورة، فوصل إلى عدن في ٩ أيار مايو الجنرال «بلفور» مدير العمليات العسكرية البريطانية. كما وصلها وزير المستعمرات البريطانية «دنكان ساندرز». وذكر أن هدف زيارتهما هو إجراء مباحثات مع المندوب السامي البريطاني حول الموقف العام لقوات الاحتلال. كما وصلت كتيبة بريطانية بقيادة اللفتانت كولونيل «تانلي» للانضمام إلى قوات الاحتلال. ووصلت إلى عدن أيضاً قوة بريطانية جديدة وصفت بأنها من رجال جيش الطوارئ.. وفي ١٢ حزيران يونيو وصل زعيم المعارضة البريطانية وقتذاك «دينيس هيلي» لتفقد قوات الاحتلال. وجاءت زيارته إلى عدن في وقت كانت تتوارد فيه إلى لندن أخبار الخسائر المتزايدة التي تكبدها الجيش البريطاني في جبهات القتال على يد جيش التحرير الشعبي. وأعلن وزير الخارجية البريطاني في ١٦ حزيران يونيو أن حكومته قررت عدم الانسحاب من عدن التي وصفها بأنها قاعدة

مهمة لما أسماه بالتزامات بريطانيا الدفاعية الحربية في الخليج العربي. وفي الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تكثف استعداداتها العسكرية بعد سلسلة الهزائم التي منيت بها وبعد قنبلة المطار وانتقال ساحة المعركة إلى قلب مستعمرتها في عدن، فإنها واصلت في الوقت نفسه حملاتها القمعية ضد أبناء شعبنا حيث أصدرت الإدارة البريطانية في عدن قانوناً في ١٦ آذار مارس ينظم في ظاهره العلاقة بين العمال وأرباب العمل، لكنه في باطنه كان يهدف إلى خنق موجة الإضرابات العمالية. وفي ٢١ مارس أصدرت سلطات الاحتلال في عدن قانوناً يقضي بالسجن لمدة ثلاث سنوات وغرامة قدرها خمسة آلاف درهم لكل مواطن يخدم في جيش الجمهورية العربية اليمنية. وليس بخاف أن هذا القانون كان يستهدف منع أبناء الجنوب من الالتحاق بجيش الجمهورية والدفاع عن جمهورية سبتمبر، وبعض هؤلاء كانوا بعد إتمام تدريبهم يلتحقون بجيش التحرير في الجنوب لمقاومة الاحتلال. وحل المندوب السامي البريطاني في ٢٤ تموز يوليو ما كان يسمى بالمجلس التشريعي لعدن في مظهر آخر من مظاهر السياسة الاستعمارية استهدف في حينها، تنفيذ عدد من المناورات السياسية وإجهاض الثورة. وفي الحادي عشر من آب أغسطس، صدر في عدن مرسوم الطوارئ العامة للمطبوعات بهدف فرض مزيد من القيود على الحريات الصحفية، ومنع الأقلام الوطنية من كشف مخططات بريطانيا الاستعمارية. واتخذت السلطات الاستعمارية في الأول من أيلول سبتمبر إجراءات مشددة في عدن من بينها منع التنقل بين الأحياء ليلاً (حظر التجول) وفرض رقابة شديدة على الميناء، وإجراء حملة اعتقالات جديدة، وذلك للحيلولة دون قيام مظاهرات جماهيرية بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة العربي في ٥ سبتمبر ١٩٦٤م والذي كان من بين جدول أعماله دراسة قضية شعب الجنوب اليمني المحتل. وفي ١٣ سبتمبر رفضت السلطات البريطانية السماح لفريق من الصليب الأحمر الدولي دخول الجنوب للتحقيق في جرائم الاستعمار وقيامه بتشريد آلاف الأسر من قراها في ردفان والضالع.. وفي ٢٨ سبتمبر أقدمت السلطات على إغلاق المدارس في عدن، وأوقفت الدراسة فيها بسبب عدم انصياع الطلاب لأوامر السلطات البريطانية. وقد قام الطلبة بمظاهرات احتجاجية ضد السياسة الاستعمارية التعليمية وأصدروا بياناً طالبوا فيه بإطلاق الحريات العامة.

وهكذا فإن بريطانيا كانت تستكمل مختلف الحلقات السياسية والعسكرية والتشريعية استعداداً للمواجهة التي بدأت بينها وبين الثورة بقيادة الجبهة القومية.

وبالمقابل فإن الثورة كانت قد استكملت استعداداتها السياسية والعسكرية والشعبية لنقل العمل العسكري إلى عدن وفقاً لقرار القيادة العليا للجبهة القومية كما اوردت سابقاً. ولم تمنع كل تلك الاستعدادات العسكرية التي قامت بها بريطانيا وتعزيز قواتها بالمزيد من القوات من الفرق الخاصة والكوماندوز من أن تنفذ الجبهة القومية عدداً من العمليات الفدائية الجريئة حيث نفذت أول عملية جريئة من هذا النوع في ١٦ يوليو ١٩٦٤م بوضع عبوة ناسفة انفجرت في مقر سلاح الطيران الملكي البريطاني رغم الحراسة المشددة وانتشار الجنود البريطانيين حول المقر.

وفي ٢ أغسطس هاجم ثوار الجبهة مطار «خورمكسر» العسكري الذي كان تابعاً للسلاح الجوي الملكي البريطاني، وأدى الهجوم إلى تدمير ثلاث طائرات من طراز «بيفرلي» كانت رابضة على أرض المطار، وكانت الطائرات المقاتلة تنطلق منه لتشن غاراتها الوحشية على قرى المواطنين في ردفان والضالع وغيرها من مناطق القتال.وفي ٢٤ من الشهر نفسه هاجم فدائيو الجبهة، بالصواريخ، مبنى ما كان يسمى بالمجلس التشريعي. وكان هدف هذه العملية التعبير عن رفض الثورة والشعب الانتخابات المزيفة التي أرادت بريطانيا إجراءها في ذلك الوقت بعد حل المجلس القديم.

وأعلنت الجبهة أن وصول كتيبة جديدة من الجنود البريطانيين لتعزيز قوات الاحتلال المتهالكة، لن يغير من الأمر شيئاً، وأن الثورة تعتمد على الجماهير. وكدليل على صحة ما افترضته من قدرة الثورة على الوصول إلى أي مكان فقد دوى انفجار هائل في مقر حكومة السلاطين في ما كانت تسمى بمدينة «الاتحاد».

وفي ٢١ تشرين الثاني نوفمبر نجح ثوار الجبهة في تفجير مخزن الذخيرة والأسلحة التابع لمعسكر بريطاني، واعتقل الجيش البريطاني ٢٤ مواطناً في منطقة الشيخ عثمان عقب مظاهرة جماهيرية استخدم فيها الغاز المسيل للدموع.

وأعلن رسمياً في عدن أن عدة انفجارات هزت العاصمة، وإن صاروخاً أطلقه الثوار أصاب مبنى ما كان يسمى بالمجلس التشريعي. كما انفجرت شحنات في منازل الضباط البريطانيين.

وفي ٧ ديسمبر كانون الأول وقع انفجار هائل في محطة الطيران الملكي البريطاني في «خورمكسر» أكد قدرة الثوار على الوصول إلى أي موقع ومهاجمة جيش الاحتلال في قلب مستعمرة عدن.

وفي ٢٤ ديسمبر انفجرت قنبلة في منزل أحد الضباط الإنكليز في معسكر خورمكسر بينما كانت تقام حفلة راقصة فيه. وقد أدى الانفجار إلى مقتل ابنة قائد سلاح الطيران للشرق الأوسط وجرح أربعة آخرين. في اليوم التالي تم اغتيال أول ضابط يعمل في المخابرات البريطانية، وذلك في وسط السوق المزدحم «في كريتر» وقد رصدت السلطات البريطانية جائزة قدرها ألف جنيه لمن يكشف عن هوية مغتاليه.

وفي خلال عامين قضي تقريباً على معظم ضباط المخابرات البريطانيين وعملائهم، حتى تم شل فاعلية إدارة المخابرات تقريباً.

وهكذا انتهى عام ١٩٦٤م في عدن بست وثلاثين إصابة بين قتيل وجريح في صفوف البريطانيين، وقد نفذت كل العمليات في الشهرين الأخيرين من العام.

ولم تكن معركة الثورة والجبهة القومية عسكرية فحسب، بل استخدمت كل الأشكال الكفاحية الأخرى كالعمل السياسي، ففي الثامن من أغسطس ١٩٦٤م كشفت الجبهة القومية في بيان هام، خطة كان الاستعمار

البريطاني يعكف على تنفيذها، قضت بوضع ما كان يسمى بالجيش الاتحادي في المقدمة، كرأس حربة، على أن تقف الجيوش البريطانية في الخطوط الخلفية. وقال البيان إن تلك المؤامرة تهدف إلى إبعاد الجنود البريطانيين عن خطوط النار. وجاء هذا البيان على أثر الاجتماع الذي عقده في عدن في الخامس من الشهر نفسه المجلس الأعلى لحكومة الاتحاد، بتوجيه من بريطانيا، لبحث تدهور وضع قوات الاحتلال البريطاني، وأمن السلاطين. وقد شيع الإنجليز في عدن في السابع من الشهر جثمان السرجنت البريطاني «ديفيد جيمس» الذي قتل خلال معركة مع ثوار الجبهة في الضالع.

وفي ١٥ أغسطس قدمت الجبهة، مذكرة عن قضية الثورة إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، شرحت فيها حرب الإبادة التي مارستها قوات الاحتلال ضد شعبنا. وطلبت عرض المذكرة على مؤتمر القمة العربي الذي كان مقرراً عقده في الخامس من سبتمبر ١٩٦٤م كما ناشدت الضمير العالمي إلى استنكار حرب الإبادة البريطانية ضد شعبنا في المناطق القريبة من مواقع القتال، وتسميمها الآبار، وحرقها المزارع، وتشريد المواطنين، والتعذيب الوحشي للمعتقلين، ونبهت الجبهة في ٧ سبتمبر مؤتمر القمة العربي إلى أن بريطانيا وضعت خطة لمواجهة الدعم العربي للثورة في الجنوب. وقد استنكر المؤتمر الإبادة التي تشنها بريطانيا ضد شعبنا. وحذرت الجبهة في ٢٤ أغسطس من أن دعوة حكومة الاتحاد المزيف إلى عقد معاهدة دفاع مع بريطانيا ليست سوى تمهيد لتنفيذ قرارات مؤتمر لندن الدستوري سيء الذكر وهي القرارات التي قاومها شعبنا. وقد عقد المؤتمر في لندن في مطلع يوليو ١٩٦٤م وشارك فيه السلاطين ووزراء حكومة اتحاد الجنوب العربي ووزير المستعمرات «دنكان ساندرر» ونددت به الأمم المتحدة.

كما التقت بعثة الأمم المتحدة المكونة من مندوبي «كمبوديا» و«مدغشقر» و«يوغسلافيا» و«العراق» بعض المواطنين خارج الوطن لتقصي الحقائق بعد أن منعت بريطانيا اللجنة من دخول عدن كما اشرنا إلى ذلك فيما سبق.

وفي ١٦ سبتمبر من نفس العام شكل أبناء الجنوب المقيمون في الكويت لجنة لمناصرة الثورة، ورفعوا مذكرة أعلنوا فيها تأييدهم التام للجبهة القومية.

وفي الثامن عشر من الشهر أصدرت الجبهة بياناً، دعت فيه المواطنين إلى مقاطعة انتخابات اعتزم المندوب السامي البريطاني إجراءها لتشكيل مجلس تشريعي في عدن يستتر وراءه الاستعمار لتنفيذ قرارات مؤتمر لندن الدستوري.

وجددت في ٣ أكتوبر أنها ستقاوم الانتخابات المزيفة في عدن. وفي اليوم نفسه اكتشفت السلطات قنبلة موقوتة قبل انفجارها في مبنى حكومة الاتحاد.

وفي ١٥ أكتوبر بعثت الجبهة ببرقية إلى المنظمة الدولية، تطالب فيها السكرتير العام للأمم المتحدة واللجنة الدولية لتصفية الاستعمار بإلزام بريطانيا بقبول قرارات الأمم المتحدة، وتعهدت باستمرار النضال حتى تحقيق الاستقلال الناجز والجلاء التام للقوات البريطانية المحتلة عن أرض الوطن.

وأجرت سلطات الاحتلال انتخابات صورية في عدن اكتشفت فيما بعد بأنها أخفقت إخفاقاً ذريعاً. وأغرق الاحتلال شوارع عدن بجنوده ودباباته ومصفحاته للقيام بتفتيش العمارات بحثاً عن الفدائيين وعن السلاح أو عن أية وثائق تدل عليهم.وفي الثامن عشر من الشهر، أبرق الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب إلى رئيس الحكومة البريطانية «هارولد ويلسون» معبراً عن احتجاجه واحتجاج ملايين العرب على الإجراءات التعسفية البريطانية ضد شعبنا في الجنوب. كما أطلع وفد من الجبهة بعثة الهلال الأحمر العربي، التي وصلت إلى تعز، على نتائج الجرائم البشعة التي ارتكبها سلاح الجو الملكي البريطاني في تدمير قرى بأكملها في مناطق القتال في الجنوب. كما شكلت لجنة الأمم المتحدة لجنة خاصة، أسندت إليها مهمة وضع مشروع قرار بشأن قضية جنوب اليمن المحتل.

ورفضت السلطات البريطانية السماح لوفد من الهلال الأحمر العربي الدخول إلى عدن والجنوب لزيارة المناطق التي تعرضت لقصف الطائرات البريطانية. وأعلن أن بعثة الهلال الأحمر العربي ستقدم تقريراً إلى جامعة الدول العربية عن انتهاك سلطات الاحتلال البريطاني الصارخ حقوق الإنسان في اليمن الجنوبي. وتسلمت البعثة صوراً ووثائق مادية من المواطنين كشفت كثيراً من حقائق الحرب التي تعرض لها شعبنا في ردفان والضالع ومناطق أخرى.

وهكذا فإن الثورة أخذت تخوض معركتها السياسية بالاقتدار ذاته الذي كانت تخوض به المعركة العسكرية من خلال ما نفذته من عمليات موجهة ضد قوات الاحتلال إلى درجة أن وزير المستعمرات البريطاني «انتوني جرين وود» قرر زيارة عدن في نوفمبر وبقي فيها حتى ديسمبر ١٩٦٤م حيث ترأس سلسلة اجتماعات خصصت لبحث سبل إجهاض الثورة ومواجهة الوضع المتفجر في عدن، وأعلن في ٧ ديسمبر في مؤتمر صحفي عقده في عدن، في ختام زيارة دامت أحد عشر يوماً، عن مناورة سياسية جديدة لحكومته لإجهاض الثورة، ووقع في اليوم نفسه انفجار هائل في محطة سلاح الطيران الملكي البريطاني في خورمكسر وعدة انفجارات أخرى.. وكان هذا أول تحد يواجهه الوزير البريطاني بعد تصريحاته المتفائلة بالقضاء على الثورة..

وفي الأيام الأخيرة من عام ١٩٦٤م كانت إرادتان متناقضتان تتصارعان بقوة وشدة..

إرادة الثورة والشعب..

وإرادة الاحتلال والاستعمار البريطاني..

وقبل نهاية عام ١٩٦٤م كانت قد استكملت كافة جبهات القتال تشكيلاتها السياسية والعسكرية في عدن والصبيحة والحواشب والضالع والشعيب وحالمين ويافع ودثينة والعواذل والفضلي وسلطنة العوالق السفلى وبيحان وحضرموت والمهرة والعوالق العليا والواحدي واصبحت الجبهة القومية تتمتع بنفوذ واسع في اوساط الجماهير في الداخل والخارج.

**في قلب المستعمرة عدن**

ونحن هنا في الجبهة الشرقية نخوض معركة الحرية والاستقلال ضد الاستعمار البريطاني في هذه الجبهة البعيدة كانت قلوبنا وارواحنا هناك في عدن قلب المستعمرة البريطانية، ومقر اكبر قاعدة لها في المنطقة بعد السويس، حيث يخوض مناضلوا وفدائيونا اشرس المعارك ضد القوات البريطانية، وكنا ندرك أن المعركة واحدة سواء خضناها هنا في الجبهة الشرقية أو قبلها في المنطقة الوسطى، او في جبهة ردفان حيث انطلقت الشرارة الأولى لثورة ١٤ اكتوبر المجيدة عام ١٩٦٣م او الى حيث امتدت بعد ذلك الى حضرموت وغيرها من المناطق ببعديها العسكري والسياسي كما انها اكثر ادراكاً أن الحسم العسكري سيكون هناك في عدن وليس في أي مكان اخر سواه، حيث ان هزيمة الاستعمار البريطاني هناك يعني هزيمته النهائية في كل الجنوب وهزيمة الإمبراطورية البريطانية.

كان للمعركة هناك في عدن، ولحرب التحرير، وللعمليات العسكرية الفدائية ابعادها السياسية والعسكرية والامنية والاعلامية والنفسية، من هناك الى أن كتب الله لنا النصر الذي كنا واثقين منه – سيأفل ليل الاحتلال والاستعمار وسيبزخ فجر الحرية والاستقلال لذا فان كل طلقة أو رمية من بندقية أو مدفع لنا نطلقها على مقرات ومعسكرات امارة بيحان كانت كانها طلقة موجهة الى قلب المستعمرة البريطانية في عدن.

وكان مد المعركة الى اكثر من جبهة واشعالها في كل مكان حيث للانجليز وجود عسكري او لاتباعه كان قراراً صائباً بحيث يشعر الانكليز بأن الامر يختلف هذه المرة عن أي مرة سابقة وان ما يجري ثورة حقيقية وحرب تحرير شاملة وليس كما كان قبل ذلك مجرد تمردات قبلية او تململات شعبية معزولة عن بعضها البعض وكسرها والقضاء عليها.

هذه المرة كنا نمتلك الرؤية الاستراتيجية والسياسية الشاملة و القيادة و الارادة

وكنا نمتلك الدعم والتأييد من شعبنا في الجنوب المؤمن بقضية الحرية والاستقلال..

وفوق هذا الدعم من ثورة ٢٦ سبتمبر و الدعمين السياسي والعسكري من ثورة ٢٣ يوليو في مصر عبد الناصر والعديد من الدول العربية وحركات التحرر العربية والعالمية ...

وكل هذا كان يعني أننا نتحرك في محيط شاسع معاد للاستعمار وموات لنضالنا وكفاحنا كحركة تحرر وطني.

ما اردت في هذه المقدمة سوى وضع القارئ في جو اهم وأشرس المعارك الفدائية التي دارت وكانت تدور في عدن خلال السنوات الاربع الحاسمة (٦٤ – ٦٥ – ٦٦–٦٧) مع حرصي على ذكر التفاصيل حتى وان طالت بعض الشيء لما لها من اهمية.

## ملحق عن بداية عام ٦٧

جاء عام ١٩٦٧م وكل شيء يشير إلى أنه سيكون عام الحسم والنصر الكبير على القوات البريطانية المحتلة، وعلى الوجود البريطاني الذي دام طويلاً في الجنوب المحتل منذ عام ١٨٣٩م.. وكانت الثورة والجبهة القومية قد اكتسبتا زخماً خاصاً في نهاية العام المنصرم ١٩٦٦م بعدما أعلنت الجبهة القومية الانفصام عن جبهة التحرير والعمل منفردة، بعد أن أحست بأن وجودها في إطارها يقيد حريتها في الحركة، خاصة بعدما تعرضت له من تحجيم لدورها السياسي والعسكري والإعلامي، ومنع الدعم المالي والمعنوي عنها، مما أثر سلباً وتسبب في تضحيات وصعوبات كثيرة كانت الثورة في غنى عنها في مسيرة الثورة المسلحة.

وقد اضطرت الجبهة القومية للبحث عن المال بديلاً للدعم الذي كانت تقدمه مصر قبل الدمج فلجأت الى البحث عن موارد اخرى من رجال المال والاعمال والاشتراكات من اعضاء الجبهة القومية كما قامت بعملية سطو على بعض محلات الذهب في عدن لتمويل نشاط الجبهة السياسي والعسكري وبعضه نقل الى مصر وسلم لعبد الملك اسماعيل حيث تقيم زوجته المصرية في القاهرة وجزء منه سلم لعبد الجليل اسماعيل شقيق عبد الفتاح اسماعيل الذي نقله الى قريته في شمال اليمن، واختفت اثار هذا الذهب بعد الاستقلال لان الجبهة القومية لم تعد بحاجة له وفي ذروة الخلاف بين قيادات الجبهة القومية وجلسة النقد الذاتي بين اعضاء القيادة بدأ الحديث من جديد عن الكنز المفقود، ووجه نقداً شديداً لعبد الفتاح اسماعيل الذي تركه لاكثر من ستة سنوات ولكنه اعاده لوزارة المالية، كما اعاد عبد الملك اسماعيل الذهب الذي كان بحوزته، ولولا الخلافات لما جرى الحديث عنه بعد الاستقلال.

.. وهكذا فإن الجبهة القومية استهلت الشهر الأول من العام بمعركة كبرى جرت قرب «الشيخ عثمان» في ٣٠ يناير ١٩٦٧ ضد قوات الاحتلال، أسفر عنها سقوط عدد من القتلى والجرحى في صفوفها..

وقد أعلنت قيادة القوات البريطانية في الشرق الأوسط في ٣ فبراير عن خطة تستمر لمدة ثلاثة أشهر، لترحيل عائلات الجنود البريطانيين.

وفي التاسع من الشهر، وجهت الجبهة القومية نداءً تاريخياً إلى جماهير الشعب، دعت فيه إلى إضراب عام يوم الحادي عشر من فبراير بمناسبة ذكرى تأسيس الاتحاد الفيدرالي الذي أنشأته ورعته بريطانيا. وأصدرت السلطات البريطانية أمراً بمنع تحرك السيارات في عدن اعتباراً من العاشر من فبراير ١٩٦٧ حتى إشعار آخر.

.. وشن ثوار الجبهة عدة هجمات ناجحة على الدوريات البريطانية التي كانت تجوب الشوارع وأوقعوا فيها كثيراً من الخسائر في العتاد والأرواح.

واستجابة لدعوة الجبهة القومية تجاهلت الجماهير التحذيرات الرسمية البريطانية، وخرجت يوم الحادي عشر من فبراير في مظاهرات تاريخية، وشل الإضراب العام المدينة.

ونفذ الفدائيون في اليوم ذاته عدة عمليات عسكرية ناجحة، سقط خلالها عدد من الشهداء الأبرار في مقدمتهم الشهيد مهيوب علي غالب المشهور باسمه الحركي (عبود). وتم اعتقال عشرات آخرين من مناضلي الجبهة القومية. وقد اعتبر يوم الحادي عشر من فبراير من كل عام بعد الاستقلال يوم الشهداء.

ورفعت السلطات البريطانية نظام حظر التجول في عدن صباحاً في الثاني عشر من فبراير، ولكنه أعيد بعد أربع ساعات فقط من رفعه نتيجة تكثيف ثوار الجبهة عملياتهم العسكرية الفدائية ضد جيش الاحتلال.

ووقع انفجار هائل في مستودعات الوقود التابعة لبريطانيا في «حجيف» بالمعلا موقعاً بها خسائر جسيمة في عملية نفذها ثوار الجبهة في ١٣ فبراير. وفي اليوم ذاته تعرضت القوات البريطانية في عدن لعدة هجمات مسلحة شنها ثوار الجبهة، وأسفرت عن إلحاق عدة إصابات بين صفوف جنود الاحتلال.

وخرجت في الخامس عشر من الشهر، مظاهرة جماهيرية كبرى معادية للاحتلال، وذلك أثناء تشييع جنازة رمزية للشهيد عبود ورفاقه الذين استشهدوا برصاص جنود الاحتلال.

وأعلن المعتقلون السياسيون في اليوم التالي، في «سجن المنصورة» أنهم سيضربون عن الطعام احتجاجاً على عمليات القمع الإرهابية التي نفذتها السلطات البريطانية يوم الحادي عشر من فبراير.. وفي اليوم ذاته أعلن في عدن عن تفاصيل خطة بريطانية لترحيل عائلات الجنود البريطانيين إلى لندن كجزء من عملية استهدفت إبقاء الجنود فقط، وتوسيع العمليات العسكرية ضد الثوار.

في ٧ مارس اشتعلت النيران في مقر رابطة أبناء الجنوب العربي في كريتر، وأرسلت الإدارة البريطانية في عدن قوة من جيش البادية الحضرمي وجيش الاتحاد إلى جزيرة «سقطره». وأعلنت الجبهة القومية مسؤوليتها عن تفجير قنبلة في شقة ضابط بريطاني كبير في «حافون» بحي المعلا.

## ملحق عن مفاوضات الاستقلال

أما المنطلقات السياسية التي آلت الجبهة على نفسها الاستناد إليها، فقد عبر عنها بوضوح التصريح الذي أصدرته الجبهة في ١٥/ ١١/ ١٩٦٧م أي قبل أسبوع من بدء المفاوضات الرسمية. وتضمن التصريح عرضاً تحليلياً لاتجاهات الأحداث الجارية في الجنوب، إذ رأى أن الجبهة القومية «هي المنظمة الشعبية الحقيقية التي فجرت الثورة الشعبية المسلحة» ولكن «القوى التقليدية» بقيادة حزب الشعب الاشتراكي انقلبت على الثورة حيث «لجأت إلى إضعاف وعرقلة هذه الثورة من الداخل» عن طريق إعلان «الاندماج الدعائي» الذي «ليس له وجود حقيقي على ساحة الجنوب».. «ومع ذلك فقد عملت الجبهة القومية كل مافي وسعها لتحويل هذا التركيب المصطنع إلى إطار حقيقي للوحدة الوطنية». وإزاء انحسار المد الثوري عام ١٩٦٦م أعلنت الجبهة القومية أنها «ستتخلى عن محاولة تطوير جبهة التحرير، الأمر الذي دفع الثورة «إلى كل الجهات» حتى انتقلت إلى عدن، فيما تحولت جبهة التحرير «إلى واجهة سياسية خالصة». ومضت انتفاضة ٢٠ يونيو التي «أوضحت المقدرة النضالية العظيمة لشعب الجنوب» مكملة مسيرتها نحو الإطاحة بالحكم السلاطيني الإقطاعي في كافة الإمارات.

وأشار التصريح إلى أن الجبهة أدركت «بأن الإمبريالية ستعمل كل ما في وسعها لزرع ألغام جديدة على طريق الاستقلال»، ولهذا «دعت إلى اجتماع مع كافة العناصر الأخرى التي أعربت منذ اندلاع الثورة في عام ١٩٦٣م عن استعدادها لتأييد النضال الشعبي»، ولم يتحقق ذلك إذ «أشعلت بعض العناصر التي تمثل جبهة التحرير حرباً أهلية من جديد» بهدف «تصفية قوى الثورة في مدينة عدن» وكذلك «خلق جو من الفوضى والإرباك لبدء حرب أهلية واسعة النطاق تعطي الإمبريالية فرصة لتقوية نفسها»، ثم «بدأت الجبهة القومية بالتعاون مع القوى الشعبية والقطاعات الوطنية الأخرى بالعمل على إيقاف الاقتتال الأهلي فوراً»، وهكذا «تحرك الجيش استجابة للنداءات الوطنية والانتفاضة الشعبية من أجل الاستقلال تحت راية الجبهة القومية». ودعا التصريح إلى مزيد من دعم الجبهة في مفاوضتها اللاحقة مع بريطانيا.

## ملحق قرارات الجامعة العربية بخصوص قضية الجنوب من عام١٩٤٦ الى مارس ١٩٦٥

ومنذ العام ١٩٤٦ كانت قضية تحرير الجنوب العربي المحتل من قبضة الاحتلال حاضرة على جدول أعمال مجلس جامعة الدول العربية، وكان أول قرار أصدرته (ق٦٤/ د٤/ ج٥-١١/ ٦/ ١٩٤٦).

وظلت الجامعة تتابع باهتمام تطور المباحثات اليمنية ـ البريطانية، وأصدرت القرار (ق٢٩١/ د١٢/ ج٤-١/ ٤/ ١٩٥٠) معلنة عن ترحيبها باعتزام الطرفين الدخول في مفاوضات مباشرة في لندن، وأعربت عن أملها في الوصول إلى تسوية ودية مرضية.

وترد أول إشارة صريحة للانتفاضات الشعبية في وثائق جامعة الدول العربية عبر مذكرة برقم (١٤/ ١/ج-١٦ وتاريخ ٢٢/ ١٢/ ١٩٥٣) موجهة من مفوضية المملكة المتوكلية اليمنية إلى الأمانة العامة للجامعة تفيد بأن السلطات الإنجليزية أخذت تهاجم بعض المناطق الجنوبية بقوات عسكرية تؤازرها الطائرات، وتقوم بقتل السكان وهدم بيوتهم، لا سيما في منطقتي «الدماني» و «الربيزي» وأشارت المذكرة إلى اللاجئين الفارين من ذلك العدوان، وطالبت بدرج هذا الموضوع ضمن أعمال مجلس جامعة الدول العربية في أقرب اجتماع له لدراسته واتخاذ اللازم... واستجاب مجلس الجامعة لهذا الطلب وأصدر القرار (ق٥٩٨/ د٢٠/ ج٤-١٩/ ١/ ١٩٥٤) الذي تضمن عدة نقاط منها:

١ـ الموافقة على مقترحات اللجنة الفرعية المؤلفة لدراسة هذا الموضوع والمقرة من اللجنة السياسية.

٢ـ استنكار المجلس لأعمال العنف والعدوان التي تقوم بها القوات البريطانية.

٣ـ يعلن المجلس عن تأييده لليمن تأييداً كاملاً في موقفه.

٤ـ إيفاد بعثة باسمه إلى اليمن لتعرب لملك اليمن عن استعداد جامعة الدول العربية لمناصرة اليمن بكل الوسائل.

وفي الزمن ذاته أصدر المجلس بياناً يستنكر فيه الأعمال العدوانية البريطانية في المحميات، القرار (ق٧٢٤/ د٢١/ ج٨-٢٧/ ١/ ١٩٥٤) وما كادت تمر بضعة أسابيع حتى عادت البعثة من اليمن وقدمت تقريراً عن الوضع هناك، فأصدر المجلس القرار (ق٧٥٣/ د٢١/ ج٢-٣/ ٤/ ١٩٥٤) والذي عبر فيه عن:

- موافقة المجلس على تقرير بعثة جامعة الدول العربية إلى اليمن.
- يؤكد المجلس استعداده بالاشتراك مع حكومة اليمن لتقديم المساعدات اللازمة.

ومن ثم ظلت الجامعة تتابع تطورات الموقف عن كثب وأصدرت القرارين:

(ق٧٩١/ د٢١/ ج٦-٣٠/ ٦/ ١٩٥٤) و (ق٨٠٥/ د٢٢/ ج٣-٢٩/ ١١/ ١٩٥٤) وهما يدعوان إلى الاستمرار في بذل المساعي لوقف العدوان البريطاني وفض النزاع بالوسائل السلمية، وأردفتهما في الوقت ذاته تقريباً بالقرار (ق٨٤٦/ د٢٢/ ج٦-١١/ ١٢/ ١٩٥٤) وتضمن إحاطة اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية بشكوى أهل جنوب الجزيرة العربية، وبتعريف لأحوالهم، وأنها تلتزم في المستقبل بتقديم نتيجة بحوثها إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، وأن تستعين في هذا الشأن بالبعثات الاستطلاعية لهذه المناطق.

وفي العام ١٩٥٥م بعثت وزارة خارجية اليمن مذكرة إلى الأمين العام للجامعة، تفيد بتفاقم الحالة في الجنوب، وتزايد الحملات العسكرية والغارات الجوية على السكان الآمنين، وأن الحكومة البريطانية قد أوفدت القائد العام لقواتها في الشرق الأوسط وبرفقته القائد العام للقوات الجوية إلى عدن لوضع الخطط العسكرية لقمع الحركة الوطنية الاستقلالية في اليمن الجنوبي، ووصول فرقة مؤلفة من ألف جندي ومصفحاتهم إلى عدن لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية.

وأصدرت الإدارة السياسية في جامعة الدول العربية، مذكرة عن الحالة في اليمن الجنوبي مقدمة إلى مجلس الجامعة، فاتخذ القرار (ق٩١٩/ د٢٣/ ج٢-٣١/ ٣/ ١٩٥٥) الذي يوصي بتأييد موقف اليمن من طلب إثارة الموضوع في مؤتمر باندونج، والجدير بالذكر أن الوفود العربية قد تعاونت في تأييد قضية اليمن العادلة، وأصدر المؤتمر قراراً بتأييدها، واستمر المحتل البريطاني في القيام بأعمال العنف العسكرية مما أدى إلى التجاء سكان بعض المناطق إلى الجبال هرباً من القصف الجوي، تاركين وراءهم مساكنهم التي هدمت، وقد تجاوب مجلس الجامعة العربية، وأصدر بهذا الخصوص:

القرار (ق١٠١٩/ د٢٤/ ج٣-١٤/ ١٠/ ١٩٥٥)

القرار (ق١١٤٤/ د٢٥/ ج٤-١٢/ ٤/ ١٩٥٦)

القرار (ق١٢٠٩/ د٢٦/ ج٥-٢٥/ ١٠/ ١٩٥٦)

وكلها تطالب بوضع حد لأعمال العنف والتوصل إلى تسوية عن طريق المفاوضة على أسس عادلة، وفي العام التالي تزايدت الأعمال العدوانية البريطانية على الأراضي اليمنية، مما استدعى من مجلس الجامعة العربية إصدار القرار (ق١٣٢٨/ د٢٧/ ج٥-٣٠/ ٣/ ١٩٥٧) وتضمن إيفاد بعثة تمثل الدول الأعضاء والأمانة العامة إلى اليمن لمعاينة حوادث العدوان، وتأليف لجنة فرعية من رؤساء الوفود السعودية والسودان ومصر والأمين العام لمتابعة تطورات الموقف مع وزير اليمن المفوض في مصر، واقتراح الوسائل الناجعة لمواجهتها، وتم تحديد سفر البعثة إلى اليمن يوم ٢/ ٤/ ١٩٥٧ وذلك بالتوازي مع جهد دبلوماسي لوقف العدوان تمثل في:

١ـ إجراء اتصال دبلوماسي بالسفراء الأجانب في العواصم العربية.

٢ـ توجيه الحكومات العربية لسفرائها في واشنطن كل على حدة للقيام بمساع دبلوماسية في هذا الصدد.

٣ـ أن تتجه كل هذه الاتصالات الدبلوماسية إلى إقناع الولايات المتحدة وغيرها من الدول ببذل وساطتها لتهدئة الحالة تمهيداً للحل السلمي، وأصدر المجلس بهذا الشأن القرار (ق١٣٧٠/ د٢٧/ ج٥-٣٠/ ٣/ ١٩٥٧)

وعقب عودة البعثة من اليمن، والإطلاع على التقرير الذي قدمته، أصدر المجلس القرار (ق١٣٧٣/ د٢٧/ ج٦-٢٤/ ٤/ ١٩٥٧) وتضمن ما يلي:

١ـ استمرار الدول الأعضاء في تأييد حكومة المملكة المتوكلية اليمنية في موقفها من النزاع اليمني ـ البريطاني.

٢ـ تقديم المعونات إلى المنكوبين واللاجئين من أهل الجنوب اليمني، وكذلك توفير الإسعاف العاجل لهم بواسطة جمعيات الهلال الأحمر والصليب الأحمر العربية.

٣ـ إحالة المقترحات العسكرية للبعثة إلى الأمانة العسكرية لدرسها وتوصية الدول الأعضاء بما تراه بشأنها.

وتتابعت قرارات مجلس جامعة الدول العربية المعبرة عن شجب العدوان البريطاني وتأكيد حق اليمنيين في الكفاح المشروع على النحو التالي:

القرار (ق١٣٧٧/ د٢٧/ ج٨-٤/ ٩/ ١٩٥٧)

القرار (ق١٤٣٣/ د٢٩/ ج٤-٢٧/ ٤/ ١٩٥٨)

القرار (ق١٤٩٥/ د٢٩/ ج٦-٩/ ٩/ ١٩٥٨)

القرار (ق١٥٧٤/ د٣١/ ج٥-٢٦/ ٣/ ١٩٥٩)

وعادت قضية اليمن الجنوبي المحتل للبروز في دور الانعقاد الثالث والثلاثين لمجلس الجامعة العربية بتاريخ ٤/ ٩/ ١٩٥٩ وأصدر المجلس في ختام اجتماعاته القرار (ق١٥٩٧/ د٣٢/ ج٤-٧/ ٩/ ١٩٥٩):

١ـ استنكار العدوان البريطاني على الجنوب المحتل.

٢ـ التنبيه على خطر "الاستعمار البريطاني في الجزيرة العربية" لدى الأمم المتحدة في الدورة الرابعة عشرة للجمعية العامة.

وفي الاتجاه ذاته وردت إلى جامعة الدول العربية مذكرة من سفارة الجمهورية العراقية بالقاهرة بتاريخ ٨/ ٣/ ١٩٦٠ تقترح على الجامعة إثارة قضية الجنوب العربي في الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الخامسة عشرة.

وفي ٦/ ١/ ١٩٦٠ رفعت وزارة خارجية الجمهورية العربية المتحدة بلاغاً إلى جامعة الدول العربية حول فصل جزيرتي ميون وكوريا موريا عن إدارة محمية عدن، بحيث تديرهما وزارة المستعمرات البريطانية بشكل مباشر، وطالبت بإدراج الموضوع في جدول أعمال المجلس في اجتماعه القادم لبحثه واتخاذ ما يلزم، وبعد ذلك بدأت قضية تحرير الجنوب اليمني تنضج في أذهان السياسيين العرب بعيداً عن وصاية (المملكة المتوكلية اليمنية) وهو ما يفهم من القرار (ق١٦٥٥/ د٣٢/ ج٢-٩/ ٤/ ١٩٦٠) الذي أوصى بتأجيل بحث مقترحات وفد المملكة المتوكلية اليمنية، لكأنما كان هناك استشراف لتشكل القوى الوطنية الثورية في اليمن الجنوبي التي ستأخذ فيما بعد زمام الأمور بيدها لمقارعة المحتل البريطاني، وانتزاع الاستقلال الثمين من بين أشداق الأسد، والتلويح عالياً براية الحرية.

الجدير بالذكر أنه في هذه الفترة التاريخية كان نظام الإمامة لا ينظر إلى الجنوب ككتلة واحدة يطالب بتحريرها ككل، وإنما كأجزاء مفككة يتنازع عليها مع حكومة عدن الاستعمارية، متوسلاً فرض سلطته على بعضها، وطامعاً في توسيع رقعة حدوده، دون المطالبة بتحرير الجنوب من الاحتلال البريطاني أو بذل أي جهود بهذا الشأن إلا في مرحلة متأخرة، إلى جانب ذلك ساهم الاستعمار البريطاني بطريقة منظمة في تسويق المصطلحات السياسية التي تخدم أغراضه، عبر أجهزته الإعلامية وقنواته الدبلوماسية، ويظهر في وثائق الجامعة العربية، مدى تخبط المصطلحات السياسية المستخدمة للإشارة إلى اليمن الجنوبي وخاصة من مندوب المملكة المتوكلية اليمنية، ومنها: المحميات، النواحي التسع، المناطق الجنوبية، المناطق الجنوبية والشرقية، جنوب اليمن، الجنوب العربي.

## ملحق عن ثورة الربيزي

### من هو علي معور الربيزي؟

ولد علي في كور العوالق عام ١٨٩٣م، وقد نشأ في بيئة قبلية حربية حيث كانت الحروب الطاحنة تدور رحاها بين مختلف القبائل الجنوبية وقد مات أبيه وهو في سن مبكرة ونشأ (علي ) يتيماً مع شقيقه «ديمح» وتكفل بتربيتهما أقاربهما من الأهل والعشيرة بالإضافة إلى أمهما. سكن علي مع قومه في البادية في شعاب الكور بالعوالق العليا في: (شي) (دفع) (صبر) وكانوا يعتمدون في معيشتهم على تربية الجمال والأغنام وإنتاج السمن والعسل أما زراعة أطيانهم فقد كانوا يوكلونها إلى الفلاحين من حطيب مقابل جزء من المحاصيل الزراعية وقد عاش الشيخ علي بن صالح في بلاده لم يهاجر ولم يسافر قط في حياته لا للعمل ولا للمعيشة.

نشأ الشيخ علي بن صالح معور نشأة قبلية وبرزت سماته الشخصية والقيادية في مرحلة مبكرة من عمره فكان كريماً شجاعاً يبذل من ماله الخاص ويستدين للوفاء بالتزاماته القبلية وكان ينصف الضعفاء والأيتام والأرامل خاصة وهو قد ذاق مرارة اليتم في طفولته وصباه وفي سن الشباب فقد علي شقيقه «ديمح» الذي سقط في احد الاشتباكات القبلية عام ١٩٤١م وعند وفاة ابن عمه الشيخ (مسعود ) تولى زمام المشيخة بدلا عنه وأصبح شيخاً ومرجعاً لقبيلته وقد كان معتدل القامة لا بالطويل ولا بالقصير نحيف البنية سريع الحركة والخطوة وهو قريب الشبه إلى ابنه الشيخ باسعد بن علي صالح معور.

### الثورة في حطيب

في عام ١٩٥٣م قاد الانكليز حملة عسكرية كبيرة لإخضاع منطقة حطيب والدخول عنوة إلى الوادي وعندما واجهت مقاومة شرسة من قبائل الربيز بقيادة الشيخ علي بن صالح معور. لجأ الانكليز إلى أسلوب المداهنة والخداع وأرسل الضابط البريطاني (جونسون) رسالة اعتذار يبدي فيها أسفه لما حدث وانه مستعد للتحكيم في ذلك وحاول اقناعة في تسهيل دخول الانكليز الى الوادي فرفض ذلك.

وبعد ان فشل الانكليز في إقناع الشيخ علي صالح بن معور شنوا حملة عسكرية على محورين: المحورالاول من نصاب والثاني من دثينة، بقيادة الضابط البريطاني (جونسون) والضابط العربي (مبارك عبد الله السحم الطوسلي العولقي) وقد طلبا مقابلة الشيخ علي بن صالح معور للتفاوض معه ولكن اللقاء فشل بسبب تمسك الشيخ علي معور بموقفه في حين أرسل رسائل إلى كافة القبائل وخاصة قبائل العواذل وعله والجعادنة وأعلن الصلح الكامل معها للتفرغ لحربه مع الانكليز، وبعد فترة من المعارك بمحور نصاب طلب الانكليز الصلح وتم عقد صلح بين الطرفين لمدة أسبوع وبعد مضي يوم واحد فقط من ايام الصلح وصلت حملة عسكرية كبيرة قادمة من عدن عبر دثينة وسرعان ما نكث الانكليز بالصلح ليفتحوا جبهة من جهة دثينة.

## الهجوم الغادر

شن الانكليز هجوماً عسكرياً من محورين على وادي حطيب ونشب القتال ضارياً بين قبائل الربيز والانكليز الذين استطاعوا في اليوم الأول للهجوم من محاصرة (حصن معور) مقر الشيخ علي بن صالح معور وقُصف الحصن بالمدافع الثقيلة بشكل عنيف ومركز وتمكن الشيخ علي ومعه ثلاثة من رجاله من الخروج من الحصن في حين استشهدت والدته ثم لجأ الشيخ علي معور ورجاله إلى جبال (شي) في كور العوالق وكعادة الانكليز وبحكم ثقافتهم وخبرتهم في استعمار العديد من شعوب الأرض وما يملكون من مرونة عالية فهم يحاربون وفي الوقت نفسه يتركون مجالا للمفاوضات.

وبعد اتصالات مكثفة تمكنوا عبر وسطائهم العرب بإقناع الشيخ علي بن معور على التفاوض معهم وتحدد مكان الاجتماع في (جابره) وكان الانكليز يعتقدون أن بن معور سيوافق على شروطهم بينما هو حضر لأجل أن يحكموه هم فيما بدر منهم من نكث للصلح المبرم.

## سأحاربك حتى يضحك النبي في قبره

عندما اجتمع الطرفان علم الشيخ علي معور بمراوغة الانكليز ومماطلتهم ورفضهم التحكيم فقام من المجلس وخاطبه الضابط (جونسون) قائلاً:
لا صلح معك يا بن معور وأنت الذي تحمل أربع طلقات رصاص في مسبتك ماذا تستطيع ان تفعل مع بريطانيا العظمى؟؟!!

وعلى الفور أجابه الشيخ علي معور:
أنا بهذه الرصاصات الأربع سأجعلك تستدين لقواتك وسأحاربك حتى يضحك النبي في قبره !!

بهذه العفوية والتلقائية وسرعة البديهة والذكاء الفطري أجاب ابن معور وخرج شامخ الهامة مرفوع الجبين وقد عقد العزم على القتال لأنه صاحب حق يرفض أن يطأ المستعمرون بلاده فكان رده حاسماً جازماً.

## الانكليز يدسون السم

من جديد استعرت نار الحرب في وادي حطيب بين الانكليز والثوار من قبائل الربيز بقيادة الشيخ علي بن صالح معور لمدة عام كامل وتحققت نبؤة الشيخ بن معور عندما استدان الضابط جونسون مبلغ أربعة آلاف ريال فرنصه من الشيخ محسن مكنهوش لتمويل قواته في حطيب!

وعندما تدهور الوضع وأصبحت الحرب مكلفة وخسائرها كبيرة في الأرواح والعتاد لجأ الانكليز من جديد إلى أسلوب الدس والخداع حيث كلفوا احد عملائهم القادم من عدن بتسليم رزمة من التبناك المسموم سلمت للعميل من مركز حطيب من قبل الانكليز.

وذهب العميل بالهدية إلى الشيخ علي بن معور وسلمه التنباك المسموم كهدية شخصية واستلمه منه وخلال ساعات سرى السم في جسده ومات شهيدا وانتقل الى رحاب الله عام ١٩٥٤م وله من العمر واحد وستون عاما (٦١) وقد خلف الشيخ علي بن صالح معور من الذكور: سالم و باسعد.

**أبناء علي معور قادة الثورة**

قاد الثورة من جديد وواصل القتال أبناء الشيخ علي بن صالح معور المذكورين أعلاه واستمرت الحرب طاحنة بين الجانبين من عام ١٩٥٤ حتى عام ١٩٥٦م حيث لحقت بالانكليز خسائر كبيرة ووصف الوضع احد الرسميين منهم قائلاً:
انتشرت الفوضى الآن وفي خلال اشهر قليلة وامتدت من قفار وادي حطيب البعيدة إلى القسم الأعظم من ولايتي: العوالق العليا ودثينة والعوالق السفلى ومناطق الحدود في العواذل وبيحان وبالنسبة للاحتياطي من جيش الليوي والحرس الحكومي فقد ذاب ذوبان الثلج في عاصفة ممطرة.

**الصدق ما شهد به الأعداء**

يقول المندوب السياسي البريطاني في عدن كيندي ترافسكس:
وقد اخبرني جونسون انه يعتقد ان الاحتمال ان يقتله جندي من جيش الليوي أكثر من احتمال أن يقتله ربيزي وبانكشاف عدم ولاء جيش الليوي وكذا بقية القوات المحلية بدرجة اقل فقد فقدنا معظم ما كسبناه في عام ١٩٥٢م وعانينا الهزيمة.

وعن صدى المعارك في حطيب يقول ترافسكس:
«يظهر ان كل شيء سار سيراً خاطئاً فسرعان ما أصحبت قوة الحرس الحكومي في امرباط مصيدة لرصاص قبائل الربيز. إن عملية حطيب كانت عملية فاشلة ومذلة لنا!!».

**ثمن الحرية**

للحرية ثمن وقد دفعته قبائل الربيز بكل إباء وشمم حيث تواصلت الحرب عليها من عام ١٩٥٢م وحتى عام ١٩٥٦م ثم تجددت حتى عام ١٩٥٩م حيث رحلوا عائلاتهم إلى البيضاء وبقوا يقاتلون في ساحات المعركة دون كلل أو تردد حتى تم طرد القوا ت البريطانية نهائياً من وادي حطيب عام ١٩٦١م وقد وقف الإمام احمد موقفا شجاعا ومعه عماله على البيضاء صالح بن ناجي الرويشان والشامي حيث دعموا الثورة بالجنوب بالمال والسلاح لمقاومة الاحتلال البريطاني.

كما شنت الطائرات البريطانية غارات جوية متواصلة وقد تسبب القصف في سقوط العديد من الشهداء من قبيلة الربيز ومنهم:

١ – محمد الهول الشمسي
٢ – علي صالح شعور الشمسي
٣ – عبد الله حميد الدغيمي
٤ – حورية عبد الرحمن الربيزي
٥ – شمس علي معور
٦ – محمد علي صالح الديلاب
٧ – علي حسن صالح
٨ – عوض صالح عطيف

وكانت الغارات الجوية البريطانية تصب قنابلها على جبل العر ومن شدة القصف نبتت اشجار العشر في رأس الجبل كما تم تدمير ٢٨ منزلا لقبائل الربيز واحرقت المحاصيل بفعل الغارات الجوية خلال الاعوام ٥٣– ٥٤ – ٥٨– ١٩٥٩م.

**العلاقات مع اليمن الشمالي**

وفي زيارته للبيضاء عام ١٩٥٣م لتلقي الدعم من الحكومة اليمنية دار هذا الحوار بين الشامي عامل البيضاء والشيخ علي معور:

الشامي: قاتلوا يا شيخ علي الانكليز ومعكم الله والنبي!

الشيخ علي: الله والنبي قدهم معنا ولكن ايش معي منكم؟

وقد وقفت قبائل آل فطحان موقفاً شجاعاً مع الربيز أثناء حربهم مع الانكليز فقد كانت تساعدهم وتتواصل معهم وتزودهم بالأخبار وتحركات الجيش انطلاقاً من موقف وطني وكان الشيخ سالم صالح الفطحاني شاعر قومه وفارسها صديقاً مقرباً من آل معور في وقت الشدة وكذلك قبائل العوالق الأخرى تعاطفت مع تلك الثورة المظفرة.

**الشعر يخلد البطولات**

عندما تولى سالم علي وشقيقه باسعد آل معور قيادة الثورة قادوا الثورة بشجاعة واقتدار وقد وصف الشعراء تلك المعارك حيث قال الشاعر الكبير ناصر احمد بن لزنم مخاطباً ناجي المصعبي الذي كان مرافقاً لأحدى الحملات العسكرية البريطانية في حطيب:

**اهرج وكلمني وانا بكلمك لبعد تسوج**
**جوب علي في لوله ما البدع عندي لاتلوج**

**ليلة شرد عمك «جرافس» من تعاشير السبوج**
**وانته قفاه اقفيت واذانك بها مثل اللجوج**
**اهل السلب زاكي كرام امسوا يهجونك هجوج**

وقال الشاعر علي محسن بن عيدروس العولقي:

**يالطائره علي بجنحاتش من ضوع معور لا يصيبونش**
**لا ينذقونش في خلا خالي حيث التخاتر ما يداوونش**
**وبالفعل فقد اسقط الربيز طائرة خلال تلك**
**المعارك بأسلحتهم العادية «العيلمان» .**

وقال الشاعر الأخر:

**وأنا سلامي يا علي معور ياشاعر المركز ودسماله**
**لي منعكم ياهل السلب هدوا مازال بن فطحان وعياله**

وقال الشاعر ساخراً من غارات بريطانيا على حطيب:

**كل ما جن من المجراد خمسه بلوكي روحن وانت يالبدوي مكانك بمحجاك**
**وانت ياصاحب الطيار كم لك تزوكي لنت ماخذ حطيب المعتلي كان يمداك**

وقال الشاعر أبو بكر بن عبد الله السليماني:

**لامات معور عاد سالم بن علي طير قناع البنت هي والكوبره**
**تبدلك الجودات يا سالم علي يالوعل يابن الوعل ياوعل الغره.**

بند ٨-

اتحاد الجنوب العربي
مرسوم حالة الطوارئ العامة
أمر تحت المادة ٧ (٨)

بالاشارة الى شرط رقم (٢) من امري بتاريخ ٨ مارش ١٩٦٦م بخصوص الشيخ سيف حسن قطيبي عملا بالسلطات المخوله لي بالمادة ٧ (٨) من مرسوم حالة الطوارئ العامة لعام ١٩٦٢م، فانني امر هنا بنقل الشيخ سيف حسن قطيبي تحت حراسة الحرس الاتحادي من احور الى الاتحاد، ويوضع هناك في دار مناسب تحت حراسة الحرس الاتحادي . واني امر ايضا انه في خلال اقامة الشيخ سيف حسن قطيبي في الاتحاد سوف يسمح له بمزاورة ولده المريض في عدن تحت حراسة الحرس الاتحادي .

حرر في اليوم ٢٧ من شهر ابريل ١٩٦٦م.

... Federation of South Arabia
... Public Emergency Decree, 1963
Order Under Section 7(8)

With reference to condition ...II of my Order dated 8th ...rch, 196., in respect of ...ikh Saif Hassan Qutibi in ...rcise of the powers conferred ...on me by section 7(8) of the ...blic Emergency Decree, 1963; I hereby order that Shaikh ...i Hassan Qutibi be removed ...der guard of the Federal ...rd from Ahwar to Al Ittihad ... shall there be put under ...d by the Federal Guard ... a suitable house. I ...ther order that during ... stay at Al Ittihad ...ikh Saif Hassan Qutibi ...ll be allowed to visit, ...er Federal Guard escort, ... son who is sick in ...n.

...ated this 27th day of April 1966.

وزير الامن الداخلي
Minister of Internal Security.

# فهرس الأعلام

## ب

## ت



## ث



## ج

## ح

### خ



### د



### ذ



### ر

## ش

## ص

## ض



## ط



## ظ



## ع

## غ

## ك



## ل

## م

## ن



## هـ

**و**



**ي**

# فهرس الأماكن

## أ



## ب

## ت



## ث



## ج

## ح

## خ



## د



## ر



## ز



## س

## ش



## ص



## ع



## ف



## ق

## ن



## هـ



## و



## ي